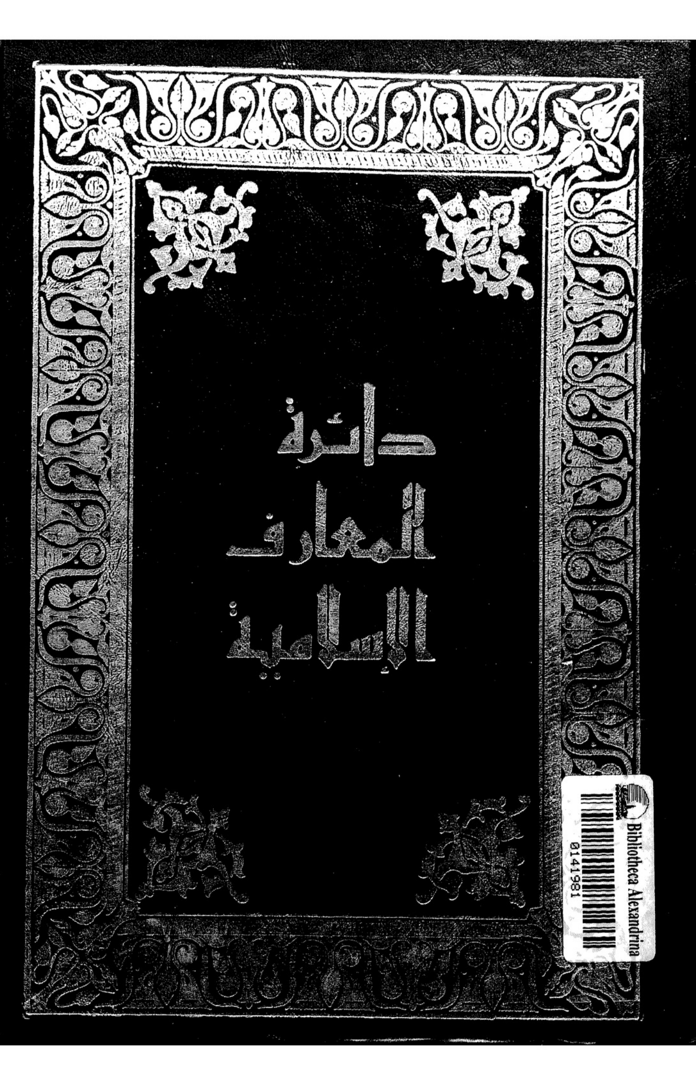

دائرة
المعارف
الإسلامية

كتاب الشعب

دائرة المعارف الإسلامية

أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية
أئمة المستشرقين في العالم
ويشرف على تحريرها
تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية

هوتسما، وفنسنك، وگب، وهفننگ، وليفي بروفنسال، [illegible]
وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور، ولو[illegible]، وشاخت

النسخة العربية

إعداد وتحرير

إبراهيم زكي خورشيد • أحمد الشنتناوي • د. عبد الحميد يونس

المجلد السادس

الشعب
٩٩ شارع قصر العيني بالقاهرة
[illegible]

+ « بارود » :

١ — إلمامة عامة

تطلق كلمة نفط فى العربية (نفت فى الفارسية) على صفوة قار Bitumen (ويقال أيضاً القير والبابلى) ما بين النهرين ، ولونه فى الطبيعة أبيض ، ويوجد أحياناً أسود ، يبيض بالتصعيد ؛ وهو نافع فى ظلام عدسة العين Cataract وسحابة القرنية Leucoma ، ومن خصائصه اجتذاب النار عن بعد دون أن يمسها مباشرة .

وإذا خلط بمواد أخرى كالدهن والزيت والكبريت وغيرها ، اشتد التهابه ولزوجته وأصبح عنصراً أساسياً من عناصر « النار الإغريقية » ، وهى مزيج سائل يضرم النار فى كل شىء ، وكان يقذف به على الناس ، وعلى آلات الحصار المختلفة التى كانت تصنع من الخشب ، وعلى السفن ، وقد استخدمه المسلمون فى المشرق استخداماً مشهوداً ، ضد الصليبيين والمغول. واحتفظ هذا المستحضر الجديد باسم «النفط» . ويتولى متخصص يعرف « بالنفّاط » أو « الزرّاق » إطلاق هذه النار الإغريقية على هيئة النفث متوسلا إلى ذلك بأنبوبة خاصة من النحاس هى الـ « نفّاطة » أو « الزرّاقة » أو « المُكحلة » ، وهذه الآلة هى الأصل فى قاذفات اللهب اليوم . وكانت ، كما يبدو ، نوعاً من الزرّاقات (المحاقن) الضخمة ، أشبه ما تكون بالمضخات التى كان يستعملها رجال المطافئ الأولين فى الآستانة . وكان يمكن أيضاً أن تعبأ فى قوارير ويرمى بها بمجانيق من أشكال شتى ، أو توضع فى قراطيس (فشكات) وتشد إلى السهام على طريقة أهل الصين (سهام خطائية) .

واتخذت كلمة نفط معانى جديدة منذ عرف ملح البارود حوالى سنة ١٢٣٠ م . فقد كان الصينيون من زمن سحيق على معرفة بما لملح البارود من خصائص إشعال النار ، غير أنهم لم يكونوا يستعملونه إلا فى دفع الصواريخ فى الألعاب النارية أو فى الحروب . ولعل المعرفة بخصائص ملح البارود (وطريقة تنقيته بالغسيل) قد انتقلت من الصين إلى بلاد فارس ، إذ الواقع أنه كانت توجد فى الفارسية علاوة على الكلمة الإيرانية « شوره » — (شورك فى اللغة القديمة) ومعناها الأرض المشبعة بملح البارود أو ملح البارود نفسه — مرادف آخر لها هو « نمك چينى » أى ملح الصين . ونجد فى العربية — علاوة على كلمة « شَوْرَج »، وهى كلمة مستعارة من الإيرانية ، وعلى الصيغ العامية « ملح الحائط » أى ملح البحر (انظر ما يلى) و « ملح الدباغين » — عبارة « ثلج صينى » و « ثلج الصين » ، ونصادف أيضاً : « زهرة حجر أسيوس » (بلدة قديمة فى طرواس أو ميسيا) ، وهى نوع من ملح البارود البحرى ، يكون على هيئة طفح ملحى ناعم يترسب من رشاش ماء البحر على صخور هشة تماثل الحجر الخفاف ، وهو شىء يشبه زبد البورق ، ويطلق عليه ابن البيطار كلمة بارود ، وسنتتبع تاريخه بعدُ من حيث هو مرادف فى لغة المغرب للمصطلحات الثلاثة الأخيرة التى تنطبق على ملح البارود فى الأقراباذين .

وكان ملح البارود بادئ الأمر يدخل فى تركيب مسحوق الإشعال فى الألعاب النارية ، وقد احتفظ باسم النفط ، ثم أطلق هذا الاسم نفسه بعد ذلك بقليل على بارود المدافع .

وبمقدار ما يصل إليه علمنا اليوم ، فإن أول كلمة استعملتها الشعوب المتحدثة بالعربية للدلالة على المسحوق الجديد الذى يدخل ملح البارود فى تركيبه كانت هى الكلمة العامة « دواء » أى العقار ، وهى فى الواقع نفس الكلمة التى استعملها حسن الرمّاح المتوفى سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م) للتعبير عن المخلوط الذى يحشى به المدفع وقدره ١٠ أجزاء من البارود وجزءان من الفحم النباتى ، و١,٥ جزء من الكبريت ، وما زال هذا المصطلح مستعملا فى العربية (انظر Landberg : *Glossaire datinois* حـ ١ ، ص ٨٩٥) . ويؤدى هذا المصطلح نفس المعنى الذى يؤديه المصطلح « دارو » (انظر ما يلى) فى الفارسية . وإن كان من المستحيل علينا أن نقول على وجه اليقين : هل كان ذلك محض توافق بين الكلمتين أو أننا بصدد كلمة مستعارة انتقلت عن طريق الترجمة ، وبأى معنى اصطنعت الكلمة الأخيرة؟

وكان المصطلح « نفط » ، وهو الاسم الأول للنار الإغريقية الذى أطلق من بعد على المركب الجديد ، هو الاسم الذى غلب فى الشرق على الأقل أيام المماليك . وفى الأندلس كان أقدم اسم سجل هو النفط (من عام ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م)

وفى مجموعة المفردات (*Vocabulista* : وهو معجم لاتينى أسبانى عربى صنف فى بلنسية فى القرن الثالث عشر الميلادى) نجد كلمتى *Ignis* و *Ignem excutere* مقابلتين لكلمة نفط ، ولكن معنى كلمة نفط لم يحدد أى تحديد يتصف بالدقة . ومهما يكن الأمر فقد ظهر هذا المصطلح فى بيروت اسما على الثقاب . وكانت كلمة نفّاطة تعنى فى تونس الألعاب النارية . وفى كثير من اللهجات العربية العامية كان للألفاظ المشتقة من الأصل نفط (نَفْطا ، نَفّاطة) معنى القارورة أو البثرة أو الانتفاخ بين الجلد واللحم مملوء بالماء . وربما كان ذلك صدى لكلمة « قوارير النفط » .

وبارود — بالألف — ليست من العربية الفصحى ، ويبدو أنها ظهرت أول ما ظهرت فى كتاب الجامع لابن البيطار المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . فقد ذكر فيه أن البارود هو الاسم الذى يطلقه عامة الناس والأطباء فى المغرب على « ثلج الصين » أو ملح البارود ، وهو مادة ذات خواص علاجية (انظر ابن البيطار ، ترجمة Leclerc جـ ١ ، ص٧١) . ويستعمل الرمّاح هذه الكلمة فى نفس المعنى فى وصفه لتركيب بارود المدافع . وكذلك لم يكن للبارود عند ابن الكتبى (٧١٠ هـ = ١٣١٠م ، انظر ما يلى) من معنى إلا ملح البارود .

ويذكر العمرى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨م) فى كتابه التعريف (طبعة ١٣١٢ هـ ، ص ٢٠٨) كلمة البارود مرتين ، يتكلم فى الأولى منهما عن مادة تدخل فى تركيب « قوارير النفط » ، وهى قذائف تستخدم فى الحروب البحرية ، ويتكلم فى الأخرى عن « مكاحل البارود » ، ويمكن أن يستدل

من الكلمة فى هذا الموضع على أنها تشير إلى مركب من ملح البارود له قوة دفع (انظر ما يلى ، قسم ٢) :

ومن ثم يصعب علينا أن نعين على وجه الدقة تاريخاً أو بلداً اتخذ فيه حشو المدافع اسم العنصر الأساسى فى هذا الحشو. ففى الأندلس وقع التغير فى معنى الكلمة فى غضون النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى،حين أصبح حشو المدافع هو «البارود» ، ونترات البوتاسيوم هى « ملح البارود» : أما « النفط » (وتجمع على أنفاط) فصارت اسماً للمدفع ، وأصبح « النفّاط » هو المدفعى . (انظر Dozy : *Suppl.* ، هذه المواد) .

وبهذا المفهوم الجديد لحشو المدافع ذاعت كلمة « بارود » فى طول البلاد المتكلمة بالعربية وعرضها، ونطقوها عامة براء مشددة ، وفى جزيرة العرب اتخذت اصطلاحات إضافية تحل محل « دواء» (انظر ما سبق). وفى بلاد تونس استعملوا كلمة «كسكسى» وفى بلاد القبائل «كُسكسو آبركان » أى الكسكسى الأسود ، وكلها أسماء مشتقة (وربما كانت تلطفاً فى التعبير) من التشابه بين النوعين ، إذ كلاهما يُفتلان ويُحببان : ونجد فى ليبيا ، إلى جانب « بارود » ، كلمة « باروك » التى يمكن إرجاعها إلى الأصل العربى برَق بمعنى لمع كالبرق : أو إلى كلمة « بوراق » وهى الاسم اليونانى للنطرون .

وقد استعملت الكلمة فى اللغة التركية غالباً بصيغة باروت ، وهو نطق يتردد فى كثير من اللهجات العامية لشعوب بلاد العرب الجنوبية المختلفة : عُمان ، وحضرموت (بل لقد وردت أيضاً صيغة : باروط ، انظر Landberg : *Glossaire datinois* ، جـ ١ ، ص ١٣٠) : ومن التركية استعارت الفارسية هذا المصطلح ، وكذلك فعلت بعض لغات البلقان ، كاليونانية الحديثة والألبانية والصربية والبلغارية ؛ وانتقل من الفارسية إلى الكردية والهندوستانية ، غير أنه وَجد فى الهندوستانية كما فى الأفغانية نداً له فى المصطلح الفارسى « دارو » بمعنى دواء : ويتردد فى اللغات الإفريقية : الأمهرية والسواحلية ولغة الهوسا وغيرها مصطلحات تقابل البارود : وأجازت اليونانية الحديثة كلمة موريتيس باعتبارها كلمة علمية ورأت أنها الأصل فى كلمة بارود وإن كان هذا الاشتقاق ليس يقينيا على الإطلاق ، هذا بالإضافة إلى الكلمة المألوفة الجارية على الألسن : مباروتى المستعارة من التركية .

ويفرد الخفاجى (انظر هذه المادة) وهو كاتب مصرى توفى عام ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩ م) بعد أن عاش زمناً طويلا فى تركية ، لكلمة بارود فى كتابه « شفاء الغليل » (طبعة القاهرة ، عام ١٢٨٢ هـ ، ص ٥٥) نبذة طويلة يقول فيها : « بارود » بالدال المهملة ، و « باروط » غلط »؛ وجاء فى كتاب « ما لايسع الطبيب جهله » (وهو كتاب لابن الكُتُبى الطبيب البغدادى. صنفه حوالى سنة ١٣١٠ م) « أنه اسم لزهرة أسيوس (انظر ما سبق فيما استشهد به من ابن البيطار) بالمغرب » وفى عرف أهل العراق يطلقونه على ملح الحائط ، وهو طفح يظهر على الجدران العتيقة فيجمعونه ،

وهم يستعملونه فى «أعمال النار» [الألعاب النارية] المتصاعدة والمتحركة فيزيدها خفة وسرعة التهاب». ويتابع الكاتب المصرى كلامه فيقول: «وهو لفظ مولد من البُرادة [برادة الحديد] لشبهه بها؛ وهو الآن اسم لما يركب من ذلك الملح ومن فحم [نباتى] وكبريت، سمى باسم جزئه». وكان البارود عند العراقيين فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) لايزال يدل على ملح البارود فحسب؛ ولكنه كان قد دخل فى صناعة الأسهم النارية.

ويعادل هذا أهمية التعليق الذى خصّ به ابن خلف التبريزى فى معجمه الفارسى «برهان قاطع» (طبعة طهران، عام ١٣٣٠ هـ = ١٩٥١ م) كلمة بارود، فهويقول إنه هو «داروئ تُفَنْگ» ومعناها «كحل المكحلة [البندقية]»؛ وهو الاسم الذى يطلق فى السريانية على الـ «شوره» أى «النطرون أو ملح البارود» وهو العنصر الأساسى فى البارود.

ولا أدرى من أين جاء هذا اللغوى الفارسى بمعلوماته هذه؛ على أنه من الوقائع المعروفة أن بروكلمان يسجل فى معجمه السريانى (Brockelmann: *Lexikon Syriacum*، الطبعة الثانية، عام ١٩٢٨ م، ص ٩٥) مثالا للبارود «النطرون Natrium» وهو لفظ التقطه من نص كيمائى.

ومن هاتين القرينتين يمكن أن يكون لكلمة «بارود» أصل آرامى، يتفق فى تصريفه مع وزن «فَعُول»[١].

ويسمى البارود فى اللغة الأرمنية وروُد (بدلا من ورَّوْد براء مشددة) وهى كلمة لايمكن أن ترتبط ارتباطاً مباشراً ببارود لأسباب صوتية تحكم تصريف الكلمة؛ ومع ذلك فإن الكلمة الأرمنية لها فى ما يظهر اشتقاق (شائع ؟) له أصل فى الأرمنية نفسها وهو «ورّ» بتشديد الراء بمعنى يحترق، وأود بمعنى هواء؛ ترى هل تكون الكلمة الآرامية من أصل أرمنى ؟ (هذه المعلومات أملاها الأستاذ فايدى Feydit، باريس).

ويفترض ده غويه de Goeje اشتقاقاً آخر للبارود تغاضى عنه الناس (انظر *Quelques observations sur le feu grégois* فى *Homenage a D.F. Codera*، عام ١٩٠٤ م، ص ٩٦)، قائلا إنه يمكن أن يشتق من البارود فى المحل الأول «كحل مهدىء ينفع فى التهاب العين» ثم أطلق فى نهاية الأمر على كل ذرور للعين (انظر ابن الحشّاء: *Glossaire sur le Mansuri de Razès*، طبعة Colin et Renaud عام ١٩٤١، ص ١٨).

وقد بشَّر ابن جزْلة الطبيب البغدادى المتوفى عام ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) فى كتابه «المنهاج» بفائدة «زهرة حجر أسيوس» أو ملح البارود البحرى فى تركيب الكحل علاجاً يقوى البصر، ويجلو العين، ويذهب بسحابة القرنية (Leucoma)؛ أما استبدال الألف بالفتحة، فله أمثلة أخرى فى الأسماء المغربية (التى تجرى على هذا الميزان الصرفى) وجميعها أسماء أدوية، مثل غاسول (وردت من قبل فى ابن البيطار)

وقاسوخ وهو صمغ النشادر : ويغرى المرء بألا يمر على هذا الفرض مر الكرام أن لفظ مُكحُلة — وهي أداة الكحل — كان ولم يزل مستعملا فى كثير من البلاد المتكلمة بالعربية مصطلحاً للدلالة على «البندقية» . ويجب ألا يعزب عن بالنا أن أول لفظ عربى أطلق على البارود كان لفظ « دواء » . وعند علماء اللغة الإيرانيين يسمى البارود فى بعض الأحيان « دواء » أو « كحل البنادق » . وأخيراً ، وفى مجال بعيد كل البعد عما نحن فيه ، يستعمل أهل الملايو عبارة « دواء البندقية » « أوبات بديل » . أما فى حالة « بارود المدفع » كما فى « أنبوبة النار » فالمسألة ابتداءً لا تعدو أن تكون اسما فيه تلطف فى التعبير . والكلمة دواء العربية مفاهيم أخرى من نفس الأصل . وهى « سم » ، و «نورة» أى مركب مزيل للشعر . (انظر Dozy : *Suppl.*) . وصفوة القول أن أصل الـ « بارود » مازال غامضاً .

وينصرف أهل الريف فى شمالى إفريقية فى أيام الأعياد إلى « لعب البارود » ببنادق محشوة بالبارود الكذاب ، إما على ظهور الخيل (لعب الخيل أى بالمزاريق على طريقة الأوربيين) حيث يقلد المشتركون فى اللعب الحركات الحربية القديمة من الكر والفر ، وإما على الأقدام « رقص البنادق » . (وللوقوف على صورة دقيقة لذلك باللغة العامية انظر G. Delphin : *Recueil de textes* ، ص ٢٣٣ و٢٥٥ ؛ V. Loubignac : *Textes arabes de Zaer* ، ص ٧٩ ؛ وبالفرنسية L. Mercier : *La chasse et les sports chez les arabes* ص ٢٣٤) .

واشتق من الـ « بارود » الـ « بارودة » أى البندقية . أما الكلمة المراكشية « بارودِيّة » (سلفات الحديدوز) التى تستعمل صبغة سوداء فيفسرها لون المسحوق .

[كولان G.S. Colin] عبد القادر

٢ — المغرب

كانت آلات الحصار هى أول سلاح نارى ظهر . فقد ذكر ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أن السلطان يعقوب المرينى استخدم فى حصاره لمدينة سجلماسة سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٤ م) المجانيق والعرّادات وهِنْدام النفط الذى كان يقذف بحصا الحديد تدفعه من « الخزّنة » النار التى أشعلها البارود (انظر العبر ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٨٤ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ فى أسفلها) . وهذه المعلومات الدقيقة هى ، لسوء الحظ ، مشكوك فيها بالنسبة لهذا الزمن المتقدم . والحق إن ابن خلدون فى وصفه لهذا الحصار نفسه فى تأريخه لملوك تلمسان (المصدر المذكور ، ص ٨٥) إنما تكلم عن آلات الحصار فحسب دون أية إشارة إلى هذا الاختراع العجيب ، ومن ناحية أخرى نجد أن المصدر الذى استقى منه ابن خلدون وصفه لهذا الحصار كان فيما يظهر هو كتاب « روض القرطاس » ونظيره كتاب « الذخيرة السَّنية » (الطبعة الثانية ، فاس ، ص ٢٥٥ ؛ طبعة بن شنب ، ص ١٥٨) ولم يذكر هذان الكتابان إلا المجانيق والعرادات فحسب .

ولم يكن فى الإمكان حتى عام ٧٢٤ هـ (١٣٢٤ م) أن يقف أحد على إشارة لشىء يلوح منه أنه سلاح نارى بحق . ذلك أنه لما حاصر إسماعيل ملك غرناطة مدينة وَشْقَة التى تبعد ٦٨ ميلا (١٦٠ كيلومتراً) شمالى غرب غرناطة وكان يحتلها النصارى ، استعمل إسماعيل « الآلة العظمى المتخذة بالنفط » ، وقد أمطرت هذه الآلة حماة القلعة « بكرات حديد محماة » ، وكانت الكرة إذا أطلقت رمت بشآبيب من الشرر ثم تحط وسط المحاصرين محدثة من عظم التخريب ما تحدثه الصاعقة : وقد خلَّد كثير من الشعراء هذه الوقعة (انظر ابن الخطيب : الإحاطة ، طبعة القاهرة عام ١٣١٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٣١ ؛ الكاتب نفسه : اللمحة البدرية ، طبعة القاهرة ، عام ١٣٤٧ هـ ، ص ٧٢) .

وحدث بعد ذلك بتسعة عشر عاماً ، فى حصار الجزيرة الخضراء ، أن أطلق المسلمون المدافعون على النصارى متوسلين بما يسمى الرعود (Truenos ومعناها لفظاً « رعود ») سهاماً غليظة كبيرة وكرات من الحديد : (انظر : *Cronica del rey Don Alfonso el onceno* ، طبعة Ribadeneira ، فصل ٢٧٠ و ٣٤٤ ، فصل ٣٧٩ ، ٣٥٢) : ولكن ما المقصود بالرعود على وجه الدقة ؟ هل هى سلاح نارى بالفعل ، أو آلات شبيهة بالرَّعادات ؟ ولم يحدث إلا فى أخريات أيام ملوك بنى نصر (من سنة ١٤٨٢ إلى ٤٩٢هـ) أن بدأ يظهر المصطلح « بارود » بمعنى بارود المدافع والمصطلح نفط (وجمعه أنفاط) بمعنى مدفع أى مدفع حصار للقشتاليين ومدفعة حصون للغرناطيين . وفى حصار مُكْلين (عام ١٤٨٦ م) استخدم القشتاليون مدافع تقذف بصخور من نار تحلق فى السماء ثم تنقض كتلة تشتعل ناراً على المدينة فتقتل وتحرق كل من تصيبه . ويجب أن نلاحظ أنه خلال هذه المدة كانت أنفاط بصيغة الجمع تقترن عادة بكلمة « عُدَّة » التى تنطبق تماماً على الآلات القديمة من طراز المجانيق . والواقع أنه فى حصار ضاحية البيّازين بغرناطة عام ١٤٨٦ ، اشتركت الأنفاط والمنجنيق فى العمل معاً : (انظر Mueller : *Die letzen Zeiten von Granada* ، وبخاصة ص ١٨ ، ٢٠) . وفى مفردات العربية التى يُتحدث بها فى غرناطة (*Vocabulista* ، وقد صنفت عام ١٥٠١م) ترجم پ. دى ألكالا P. de Alcala كلمة Artilleria بكلمة « عُدَّة » لكنه ترجم كلمة Artillero بكلمة « نفّاط » المشتقة من نَفْط «lombarda» ، أما كلمة trabuco فقد أداها بكلمة « منجنيق » : وعرف فوق ذلك نوعاً من المدافع باسم « أبرُقين » أو «أبرقين» ، على أنه لم يذكر إلا جعبة السهام والقذائف Arbalest ولم يذكر شيئاً عن الأسلحة النارية المحمولة ،

وقد ظهر السلاح النارى بالمغرب فى مستهل القرن السادس عشر ، فقد أهدى أحد المغاربة أول « بندقية » إلى السلطان المملوكى قانصوه الغورى (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ = ١٥٠٠ — ١٥١٦ م) وذكر له أنها السلاح الذى ظهر فى بلاد الإفرنج ، وكان يستعمل فى جميع بلاد العثمانيين وبلاد المغرب

(انظر ابن زنبل : فتح ، مخطوط بباريس ، سنة ١٨٣٢ ، ورقة رقم ٢) .

ويزودنا ليو أفريقانوس (الحسن بن محمد الوزّان الزياتى) الذى غادر مراكش سنة ١٥١٦ م بصورة لجيش بنى وطّاس (انظر هذه المادة) مجهزاً بالمدافع والبنادق يحملها الفرسان : أما بلاد تونس ، فى نفس هذا العهد ، فيقول عنها إن لملكها حرساً من المشاة مؤلفاً من الأتراك المسلحين بالبنادق (انظر *Description de l'Afrique* : ترجمة Epaulard ، ص ٢٣٩ ، ٣٨٧) . ولكن صناعة الأسلحة النارية واستخدامها لم يبلغا شأوهما إلا أيام السعديين بخاصة. فقد نظم سلاطين هذه الدولة جيشهم على النمط التركى ، فأنشئوا فرقاً مسلحة بالبنادق من الأتراك والأندلسيين ، وأحاطوا أنفسهم — إن كثيراً وإن قليلا — بالأوربيين المرتدين عن دينهم الأصلى «العلوج» الذين استحدثوا لهم أساليب فنية جديدة ، هى صب المدافع .

وفى سنة ١٥٧٥ م كان جيش السلطان مولاى محمد مجهزاً بنيف ومائة وخمسين مدفعاً من بينها مدفع ذو تسع مواسير (هو الآن فى متحف الجيش بباريس) ، وفى عام ١٥٧٨م كان الجيش المراكشى فى معركة وادى المخازن المشهورة مزوداً بأربعة وثلاثين مدفعاً ، وثلاثة آلاف من الأندلسيين المشاة حملة البنادق و ١٠٠٠ من الأندلسيين الفرسان المسلحين بالبنادق .

وفى سنة ١٥٩١ م تألفت الحملة التى جردت على السودان من ٢٠٠٠ من المشاة الأندلسيين والمرتدين حملة البنادق ، و ٥٠٠ من الفرسان المرتدين مسلحين بالبنادق ؛ ونقلت هذه الحملة معها ستة مدافع هاون وعدداً من المدافع الصغيرة (انظر Hespéris : عام ١٩٢٣ ، ص ٤٦٧) : ويسّرت هذه الأسلحة النارية هزيمة السودانيين ، وكانت الحراب المريشة والأقواس والسيوف هى كل ما يحملونه من عدة الحرب : ولم تزل سلالات حملة البنادق المراكشيين هؤلاء تعيش فى تمبكتو وقد اختلطت دماؤها اختلاطاً شديداً ، وجعلوا من أنفسهم طبقة تعرف باسم أرمه ، من اللفظ العربى رُماة .

وفى هذه الفترة من الزمن كان « النفض » (كذا) عند المراكشيين هو المدفع ، بينما كانت البندقية هى المدفع : ولم يطلقوا كلمة « مدفع » على المدفع بمعناه اليوم ، وكلمة مُكحُلة ، التى ربما وصلت إليهم من الشرق ، على البندقية ذات الزناد الجديدة إلا فى القرن السابع عشر الميلادى . والحقيقة التالية ذات دلالة خاصة على التاريخ الذى حدث فيه هذا التغير فى المعنى ، ذلك أنه فى الجزء من كتاب « نفح الطيب » الذى ينقل نصاً غرناطياً عربياً تاريخه سنة ١٥٤٠ م ، نجد أن المَقّرى التلمسانى ، المتوفى سنة ١٠٤١هـ = (١٦٣٢م) الذى كتب هذا النص حقا فى المشرق يستبدل فى كثير من المناسبات كلمة « المدافع » بكلمة « أنفاط » (انظر نفح الطيب ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٧٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٥ ؛ Mueller : *Die letzen Zeiten von Granada*) .

وفى عام ١٦٣٠ م صنف أحد المسلمين الذين بقوا فى أسبانيا بعد سقوط غرناطة ثم فر إلى تونس رسالة هامة باللغة الأسبانية فى المدفعية على أساس من الأساليب الفنية الألمانية ، وفى عام ١٦٣٨ ترجم مسلم آخر ممن بقوا فى أسبانيا ، ثم لجأ إلى تونس بعد أن عاش طويلا فى المغرب ، هذه الرسالة إلى اللغة العربية المتداولة، لتوزيعها على السلطان العثمانى « مراد » وعلى غيره من حكام المسلمين (انظر Brockelmann : ج ٢ ، ص ٤٦٥ ؛ قسم ٢ ، ص ٧١٤) وتوجد لهذه الرسالة ترجمة مختصرة اختصاراً طفيفاً فى المكتبة العامة بالرباط (١٣٤٢) وتذكر الرسالة أن لفظ مدفع كان معناه فى تونس المدفع المعروف ، وكان معناه فى مراكش البندقية . وكان الأمر على عكس ذلك إذ كانت كلمة « أنفاط » التى تدل على المدفع فى مراكش ، تدل فى تونس على ألعاب النار ، وهى التى كانوا يسمونها فى مراكش « سماويات » .

وكانت مدافع البرونز التى صبها السعديون فى مراكش فى مصانعهم بفاس ومراكش وتارودانت (أو بناء على توصياتهم فى هولندة) رشيقة بخاصة، ومازال الكثير منها موجوداً فى ثغور مراكش ، وهى محلاة عادة بعلامة السلطان الحاكم (الطغراء). وكانت الأسلحة النارية المحمولة تستورد من أوربا ، مهربة فى العادة .

وتألفت مدفعية العلويين ، على الأخص ، من قطع استولوا عليها من أعدائهم فى البر والبحر، وأخرى استقدمها السفراء الأجانب هدية لمولاء السلاطين ، وكانوا فيا عدا ذلك يشترونها من الخارج ، ثم ينقشون عليها بالعربية . على أن صناعة البنادق انتشرت فى مراكش ، وبخاصة فى الجنوب ، كما انتشرت أيضاً فى الشمال فى تطوان وتارجيست .

ومهما بدا ذلك عجيباً ، فإن المجانيق كانت تستعمل جنباً إلى جنب مع المدافع ومدافع الهاون فى مراكش ، لا فى الحصار فحسب بل فى الحملات الحربية فى المناطق الجبلية أيضاً (انظر *Archives Marocaines* : المجلد التاسع ، ص ١٠٧ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٨٠) .

واللفظ العام الذى يدل على كلمة مدفع بمعناها المعروف هو « المدفع » وذلك فى جميع بلاد شمالى إفريقية . أما كلمة « كورة » (وبالفصحى كُرَة) وبالدارجة كور فهى جُلة المدفع . ويسمى الرجل الذى يقوم على المدفع فى أى مكان « طوبجى » ، ومدفع الهاون « مهراز » ، وهو يقذف بالبُمبة « بُنبة » ، وهى كلمة لاتينية انتقلت عن التركية . وكان للبنادق المصنوعة محلياً فى مراكش والجزائر وتونس أسماء مشتقة من لفظ « مكحلة » ، والطرازان الرئيسيان هما « بوشفر » وهو بندقية تُطلق بالزناد و « بو حبّة » وهو بندقية تطلق بالكبسول . ويشتقون التسميات العارضة للأسلحة إما من أسماء صانعها أو من أماكن صنعها ، أو حتى من طولها مقاساً بالشبر . وتحتفظ مفردات اللغة المغربية الدارجة فى ذاكرتها حتى الآن بأسماء الأسلحة القديمة التى من أصل أوروبى ، مثل

قابوس أى غدّارة من Arcabus ، ومِشْقِط من Muschetto ، وشكبّيطة من Escopeta ، وقَرَبيلة من Carabina ، وهلم جرا ؛ ويسمون البندقية التى تُعمر من البورمة فى بلاد مراكش «كلاطة» (من الإسپانية culata) ؛ ويسمون أنواعاً أخرى على عددما تحويه الخزنة من طلقات .
وفى شرق تونس وفى ليبيا تسمى البندقية المصنوعة محلياً «بندگة» وتسمى الغدارة «ششخان» (عن الفارسية ، أى ذات الأنبوبة المسدسة الأضلاع ، عن التركية) .

وقد رأينا أن «النفط» فى غربى المغرب حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادى كان يدل على المدفع ، أما المدفع فهو عندهم السلاح النارى المحمول ؛ واحتفظ هذان الاسمان بمعنيهما إلى يومنا هذا (مع رسم النفط بصيغة أخرى هى «نفض») فى اللهجات البربرية لهذا الإقليم نفسه ؛ وهما موجودان أيضاً بهذه الصفة فى اللهجة العامية فى موريتانيا ؛ ومع ذلك ، فإن البندقية عند بربر الطوارق هى «البورروض» ، وتنعكس الآية فى اللغة الأمهرية ، فلفظ «نفط» معناه بندقية و «المدف» معناه المدفع .

أما عن مسميات البندقية فى مراكش فانظر (Joly : *L'industrie à Tétouan* فى *Archives Marocaines* ، الجزء الحادى عشر ، ص ٣٦١ ؛ Delhomme : *Les armes dans le Sous occidental* فى *Archives Berbères* ج ٢ ، ص ١٢٣) .

واقتضى الأخذ بالأسلحة النارية المحمولة واستخدامها فى الجهاد ، وضرورة تخصيص وقت للتمرن على أصول الرماية ، إنشاء جمعيات للرماة ذات صبغة دينية (انظر *Archives Marocaines* ج ٤ ، ص ٩٧ ؛ ج ١٧ ، ص ٧٣ ؛ ج ١٠ ، ص ٢٤٢ ؛ Le Mercier : *Les chasse et les sports chez les Arabes* ، ص ١٣٤) .

على أن استعمال مثل هذه الأسلحة فى الصيد ألجأ الفقهاء من أول الأمر إلى أن يدرسوا حكم ما يقتل من الحيوان بهذه الطريقة ، أحلال هو أم حرام ؟ (كتب أحكام البندق) .

[عبد القادر كولان G.S. Colin]

٣ — المماليك

وبقدر ما تيسر لنا من المعرفة حتى الآن فى هذا الموضوع ، فإن المعلومات الموثوق بها عن استعمال الأسلحة النارية فى سلطنة المماليك تبدأ من منتصف الستينات للقرن الرابع عشر الميلادى ، أى أنها كانت متأخرة نحو أربعين سنة عن المعلومات المناظرة لها التى تيسرت لنا عن استعمال هذه الأسلحة فى أوربا ؛ وفى المصادر إشارات أقدم من ذلك عن هذه الأسلحة ، ولكن صحتها تتطلب مزيداً من الإثبات ؛ ولما كان ابن فضل الله العمرى يتكلم عن الأسلحة النارية فى كتابه «التعريف فى المصطلح الشريف» (طبعة القاهرة ، سنة ١٣١٢ هـ ، ص ٢٠٨ ؛ ج ٢ ، ص ١٧ — ٢٢) الذى ألفه سنة ٢٤١ هـ (١٣٤١ م) فإن ذلك خليق بأن يدل على أن المماليك بدءوا يستعملون الأسلحة النارية قبل منتصف الستينات بعدة عقود من السنين .

ولا بأس من ذكر بضع كلمات عن المصطلحات التي كانت تعرف بها هذه الأسلحة ، كانت هذه المصطلحات هي : مكاحل (مفرد مُكحُلة) النفط ، ومدافع (مفرد مِدْفع) النفط ، أو نفط فحسب (وجمعها نفوط) ، ثم كان أن اختصر المصطلحان الأولان فأصبحا مكاحل ومدافع . ولا يستفاد من المصادر المملوكية هل كانت مكحلة ومدفع يدلان على طرازين متميزين من الأسلحة النارية أم لا . وتصادفنا في السنين الأولى التي تلت اتخاذ هذه الأسلحة المصطلحات : صواعق النفط ، وصواريخ النفط ، وآلات النفط ، وهندام النفط ، وهي تفيد أيضاً معنى الأسلحة النارية . غير أن هذه الأسماء الأخيرة كلها لم تلبث أن اندثرت (ومن شاء أدلة مفصلة على أن المصطلحات المذكورة آنفاً كانت تدل على الأسلحة النارية ولا تدل على النفط أو النار الإغريقية التي كانت تسمى بالعربية أيضاً « نفط » فلينظر D. Ayalon : *Gunpowder and firearms in the Mameluk Kingdom* ص ٩ — ٤٢) .

ولم يرد المصطلح بارود في مصادر المماليك التاريخية اسماً على المخلوط بأسره الخاص ببارود المدافع إلا في أندر النادر طوال الجانب الأكبر من عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤ — ٩٢٢ = ١٣٨٢ — ١٥١٧ م) ، وإنما تردد ذكره في العقود الأخيرة من سني حكمهم . ومع ذلك فقد ظل المصطلح « نفط » سائداً حتى لفظت سلطنة المماليك أنفاسها الأخيرة . على أن غلبة البارود على النفط نهائياً قد وقعت فيما بعد الغزو العثماني ، وقد ازداد استعمال المدفعية أيام سلطنة المماليك زيادة مطردة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ومع ذلك فإن الزمن استطال بهم قبل أن يستطيعوا التخلي تماماً عن آلة الحصار التي بلوها طويلا وهي المنجنيق . وقد ظل المدفع والمكحلة عدة سنين يستخدمونهما أدوات لمساعدة المنجنيق فحسب يؤديان بهما المهام الصغرى . وتمدنا مصادر المماليك بمعلومات وفيرة عن ضرر لا يذكر كان يحدثه هذان السلاحان في الأهداف التي يصوبان إليها . ومع ذلك فقد كانت الغلبة للمدفعية في نهاية الأمر . وقلّ ذكر اشتراك المجانيق في القتال شيئاً فشيئاً أثناء النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، رغم مجاهدتها للبقاء حتى نهاية عصر المماليك .

وقد استخدم المماليك مدفعيتهم في الحصار فقط (هجوماً ودفاعاً) وأبوا في إصرار أن يستخدموها في ميدان القتال حتى نهاية النهاية لدولتهم . ولا يمكن بحال أن يعزى إلى الصدفة اشتراك المدفعية المتزايد في أعمال الحصار في دولة المماليك ، من جهة ، وغيابها عن ميادين القتال كلية من جهة أخرى . والسبب في سهولة اصطناعها في أعمال الحصار يتجلى في أنها لم تحدث أية تغييرات شاملة في النظم التقليدية للحصار ، وبخاصة في تاريخها الأول ، فقد سبق المنجنيقُ المدفعَ ، وأدى بإحكام تام نفس المهام التي أداها المدفع ، وظل عمراً طويلا متفوقاً على الأسلحة النارية . أما في الميادين المكشوفة ، فقد كانت الظروف مختلفة

جداً . فالمدفعية بدْعة فى الحرب فى كل النواحى لم يسبقها سلاح مثلها ، ذلك أنها كانت خليقة بأن تحدث تغيراً فى فن الحركات الحربية وفى أساليب الحرب ، مما يحمل سلطة المماليك الحربية على أن تصطنع نهجاً يخالف أشد المخالفة طبيعتها نفسها .

وقد أفسح السلطان الغورى المجال بعض الإفساح لاستعمال الأسلحة النارية ، وكان هذا التنازل منه على أهميته فى الظاهر ، قليل الشأن فى الواقع . ذلك أنه اشترط فى جميع ما نزل عنه فى هذا الشأن شرطاً واحداً ، هو ألا يتعرض البناء القائم للمجتمع الحربى للمماليك لأى تغيير ذى شأن . وكانت نتيجة هذا الموقف منه القضاء المبرم على مشروع إعادة تنظيم الجيش المملوكى وإعداده للامتحان الحاسم ، إذ لم يكن ثمة أمل فى استخدام الأسلحة النارية استخداماً فعالا ، ما لم يتغير شكل المجتمع المملوكى هو وجميع المفاهيم التى يقوم من أجلها . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن الغورى بعد إذ أمر بالتوسع فى استخدام الأسلحة النارية ، كان قد استقر عزمه على إحياء أساليب الحرب التقليدية .

وكان لخطته ثلاث نواح رئيسية : (١) أن يزيد من سبك المدافع زيادة كبيرة . (٢) أن يجدد تمارين الفروسية والتدريب الحربى التقليدى . (٣) أن ينشئ وحدة من حملة البنادق (الأرقبوصات). والذى يهمنا فى بحثنا هذا هما الناحيتان الأولى والثالثة .

سبك المدافع :

شرع الغورى بعد توليه عرش السلطنة ببضع سنين فى سبك المدافع بمعدل ونطاق لم يسبقه إليهما أحد قط فى تاريخ السلطنة ، فأقام على مقربة من ميدانه الجديد الذى أنشأه مسبكاً للمدافع أخرج مقادير كبيرة من المدافع فى فترات قصيرة . ومن المؤسف أن مصدرنا ، وهو ابن إياس ، لم يجر على أن يبين كم هو عدد مدافع كل فترة . ولكنه فعل ذلك فى أربع حالات : أحصى فى واحدة ١٥ مدفعاً ، وفى الثانية ٧٥ مدفعاً ، وفى الثالثة ٧٤ مدفعاً ، وفى الرابعة ٧٥ مدفعاً .

وهذا الإنتاج الضخم لم يقصد به على الإطلاق استخدامه ضد العثمانيين فى الميدان المكشوف . بل وجه معظمه إلى الثغور المصرية على البحرين المتوسط والأحمر لتعزيز تحصينات هذه الثغور أو لإقامتها فوق السفن الحربية للانتفاع بها .

ويجب ألا نخرج من إرسال مثل هذه الأعداد من المدافع إلى السواحل وإلى التحصينات الساحلية بأن القواعد الاستراتيجية فى الداخل لم تكن تزود بمقادير كبيرة من المدافع . ذلك أن الذى حدث فى داخل البلاد سواء فى أيام الغورى أو فى أيام الأجيال السالفة ، أن عدداً كبيراً من مجموع إنتاج المدافع كان قد خصص لقصبة البلاد بما فى ذلك قلعتها . ويتبين هذا كله أولا من أن معظم معلوماتنا عن هذا السلاح جاءت من القاهرة ، ويؤيده أيضاً ذلك الحشد الضخم من مدافع المماليك الذى كان فى موقعة الريدانية (يناير عام ١٥١٧ م) . أما عن

الشام فإن معلوماتنا عن حظ المدفعية فى هذا الجزء من دولة المماليك قليلة جداً ، سواء فى ذلك مايتعلق بالساحل أو بداخل البلاد . ونحن نعلم من أخبار ابن طولون بوجود مقادير كبيرة من الأسلحة النارية فى دمشق . ويقودنا هذا إلى أن نذهب إلى تواريخ أخرى عن الشام أكثر تفصيلا مما بين أيدينا خليقة بأن تكشف أن المدفعية قد لعبت فى هذا القطر دوراً أكبر مما نتبينه من المصادر المتيسرة لنـــا .

إنشاء وحدة من حملة البنادق (الأرقبوصات) :

تشير مصادر المماليك إلى الأرقبوصات (أو مدافع اليد ، أو الأسلحة النارية المحمولة) بالمصطلح البندق الرصاص ، والتعريف المتأخر للمدفع المحمول ، وهو « البندقية » ، إنما جاء دون شك من بندق ، على حين أن « الرصاصة » بمعنى طلقات أو قراطيس قد اشتقت من الرصاص ، أو أن يكون لقيام مدينة فينيسيا (وهى البندقية ، باللغة العربية) بالإشراف على حركة نقل واسعة للسلاح فى الفترة التى نحن بصددها ، دخل فى اتخاذ اسم البندقية مصطلحاً . ويبدو أن النقلة من « بندق الرصاص » إلى البندقية لم تستغرق وقتاً طويلا ، فقد ذكر ابن إياس نفسه البندقية ثلاث مرات ، فى حين كثر تردد ذكر بندقية وبندقيات وبنادق فى كتب ابن زُنْبل وابن طولون المعاصرين له واللذين ماتا بعده بعشرات قليلة من السنين . وهما يذكران أيضاً « بندق » فى كتبهما ، أما « بندق الرصاص » فقد انقطع ذكره من آثارهما .

وكان نفور المماليك من استعمال الأسلحة النارية المحمولة أشد بكثير من إبائهم استعمال المدافع فى الميادين المكشوفة ، فالمدافع ميدان متخصصين فنيين ، ولم يكن عددهم كبيراً فى القوات المسلحة ، ولا يقتضى سوى تغيير ضئيل فى بناء الجيش . أما الأرقبوصة (البندقية) فهى ، من الناحية الأخرى ، سلاح فردى وجماعى ، يؤثر اصطناعها تأثيراً بعيد المدى على أعداد كبيرة من الجند . ويترتب عليه إحداث تغييرات بعيدة المدى فى تنظيم الحرب وأساليبها . وإن تزويد الجندى ببندقية ، معناه تجريده من قوسه ، أما الذى كان يزيد من نفور المملوك فهو حرمانه من حصانه ، فذلك يهوى به إلى درك رجل المشاة المهين ، ويكرهه إما على أن يمشى على قدميه أو أن يُحمل على عربة يجرها ثور .

ولذلك لم يكن ثمة مناص من الاعتماد على غير المماليك إذا أريد التوسع فى استخدام البنادق ، أى على العناصر الدون فى الجيش . وهذا ما اضطر إليه سلاطين المماليك من بداية الأمر ، وكانت عُقباه قيام الصدام بين مصالح السلطنة ومصالح السلطة العسكرية . ولما ازداد الخطر من الخارج استطاع السلاطين أن يوسعوا — هوناً ما — القيود الضيقة التى فرضها مقاومة المماليك لاستخدام الأرقبوصات ، وأن يضموا إلى حملة الأرقبوصات أفراداً من وحدات أخرى أرفع قدراً فى الجيش من سابقيهم ، ولكن هذا النجاح لم يمتد أكثر من ذلك . ومن ثم لم يكن بد من أن يحل القضاء بالأرقبوصة .

واليوم نفسه الذى أدخل فيه المماليك الأرقبوصة مغزى . فقد ورد ذكرها لأول مرة فى المصادر فى تاريخ متأخر يرجع إلى عام ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م ؛ أيام السلطان قايتباى) ، أى قبل أن تزول دولة المماليك بسبع وعشرين سنة فحسب ، ومتأخراً عن التاريخ الذى استحدثت فيه فى أوربا بخمس وعشرين ومائة سنة (بدأ استعمالها فى أوربا حوالى سنة ١٣٦٥ م) . وأدخلت المدفعية من ناحية أخرى فى سلطنة المماليك متأخرة بنحو أربعين سنة عنها فى أوروبا . ولم يكن المدى الطويل الذى انقضى بين استخدام البندقية وبين استخدام المدفعية أمراً عارضاً بأية حال .

وكان العبيد السود وأولاد الناس (انظر هذه المادة) قوام الوحدات التى تستخدم أسلحة النار ، ولم يخدم أفراد هاتين الطبقتين ، على ما يبدو ، فى وحدة واحدة معاً ، إذ تارة تكون الأغلبية للعبيد ، وأخرى تكون لأولاد الناس .

وسعى السلطان الناصر أبو السعادات محمد (٩٠١ — ٩٠٤ هـ = ١٤٩٥ — ١٤٩٨ م) ابن قايتباى ، الذى ارتقى العرش فى سن الرابعة عشرة ، سعياً حثيثاً لإنشاء وحدة قوية من حملة الأرقبوصات يجعل قوامها من العبيد ، وأراد أن ينعم عليهم برتب اجتماعية أرفع ، وتدخل أمراء المماليك ، وأجبروه على حل الفرقة والتعهد بألا يعيد تشكيلها ثانية أبداً .

وبعد نحو اثنتى عشرة سنة من مقتل الناصر أبى السعادات فى سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) عمد السلطان قانصوه الغورى — الذى كان يحظى بنفوذ أوفر بما لا يقاس مما كان للملك التلام المذكور آنفاً ، وكانت أيامه فى حاجة إلى الأرقبوصات أشد إلحاحاً — إلى بذل محاولة أخرى فى حذر أكبر ، لإنشاء وحدة من حملة الأرقبوصات ، وكانت هذه الوحدة أكثر توفيقاً من وحدة سلفه إلا أن بقاءها كان مزعزعاً جداً ، ومنزلتها منحطة ، وآثارها لا تذكر .

وأطلق على هذه الوحدة اسم « الطبقة الخامسة » لأن أعطيات أفرادها لم تكن تصرف مع باقى الجيش فى الأيام الأربعة لصرف الأعطيات ، حوالى منتصف الشهر ، بل كانوا يصرفونها على حدة فى اليوم الخامس لدفع الأعطيات عند نهاية الشهر . وسموها أيضاً « العسكر الملفق » لأنها كانت مؤلفة من أشابات من عناصر شتى هى فى اعتبار المماليك من أصول وضيعة : فكان فيها مع أولاد الناس « تركمانيون وعجم وصناع من مهن شتى كالحذائين والحاكة والجزارين » ولم ينخرط المماليك من أفراد البيت الحاكم فيها إلا بعد أن قام السلطان الغورى بحملته الكبيرة على البرتغاليين . ومما له مغزى أن هذه الفرقة رغم ما كان بين أفرادها من تباين شديد ، فإنه لم يسمع قط أن العبيد السود قد دخلوا فى عداد « الطبقة الخامسة » .

وكان المركز الاجتماعى العسكرى لهذه الفرقة فى الدرك الأسفل ، وأعطيات أفرادها أقل بكثير من أعطيات المماليك أصحاب السلطة ، ومع ذلك فقد تعرض السلطان لضغط شديد جداً لحمله على

إلغائها بحجة أنها تنعم بحظوة فوق ما للوحدات الأخرى ، وأن إنشاءها هو السبب الجوهرى فى إفقار بيت المال » ورضخ السلطان آخر الأمر ، وحل الفرقة فى المحرم من عام ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) . غير أن هذا الحل كان على الورق فقط ، ذلك أن الطبقة الخامسة عاشت من بعد لأن الحاجة إليها كانت ماسة فى جبهة حيوية جداً .

وكان لاستخدام العثمانيين للأسلحة النارية على الوجه الصحيح وعلى نطاق هائل ، وإهمال المماليك وسائر الحكام المسلمين ذوى الشأن ، أثر حاسم فى مصير آسية الغربية ومصر » إذ لم يمض إلا سنتان ونصف السنة فحسب (أغسطس سنة ١٥١٤ — يناير سنة ١٥١٧) حتى هزم العثمانيون الصفويين ، وأطاحوا بسلطنة المماليك ، وضموا إلى ملكهم أراضى العالم الإسلامى القديم ، التى ظلوا يحتازونها حتى اللحظة الأخيرة التى تفككت فيها إمبراطوريتهم فى القرن العشرين ، والتى كانت أوسع رقعة من كل فتوحاتهم مجتمعة فى أوروبا على امتداد تاريخهم ، ولولا تفوقهم الساحق فى الأسلحة النارية ما تم لهم قط هذا الاتساع الشاسع السريع .

المصادر :

(١) Reinaud et Favé: *Histoire de l'artillerie, du feu Grégeois, des feux de guerre et des origines de la poudre à canon.* سنة ١٨٤٥ ، مجلد وأطلس » (٢) Reinaud : *De l'art Militaire chez les Arabes au moyen âge* فى *Journ. As.* ، السلسلة السادسة ، ١٢ ، سنة ١٨٤٨ ، ص ١٩٣ ، ٢٣٧ : (٣) Reinaud et Favé : *Du feu Grégeois, des feux de guerre et des origines de la poudre à canon chez les Arabes, les Persans et les Chinois* فى *Jour. As.* سنة ١٨٤٩ ، السلسلة السادسة ، ١٤ ، ص ٢٥٧ — ٣٢٧ . (٤) Reinaud : *Nouvelles observations sur le feu Grégeois et des origines de la poudre à canon,* فى *Jour. As.* ، سنة ١٨٥٠ ، السلسلة السادسة ، ١٥ ص ٣٧١ — ٣٧٦ : (٥) رشيد الدين : *Histoire des Mongols de la Perse* (طبعة كاترمير)، باريس ، سنة ١٨٣٦ ، ص ١٣٢ ، ١٣٧ ، ٢٨٥ — ٢٩٠ : (٦) Quatremère: *Histoire des Sultans Mameluks* (ترجمة كتاب المقريزى)سنة١٨٣٧— ١٨٤٥ ، ص ١١٢ ، ١٤٨ : (٧) Quatremère : *Observations sur le feu Grégeois* فى *Jour. As.* ، السلسلة السادسة ، ١٥، سنة١٨٥٠ ، ص ٢١٤ — ٢٧٤ . (٨) Amari : *Su i fuochi da guerra usati nel Mediterranio nell'XI & XII secoli, Atti della Reale Academia die Lincei* طبعة رومة ، سنة ١٨٧٦ م، ص ٣—١٧ (٩) M.L. de Goeje : *Quelques observations sur le feu grégeois, Estudios de Erudicion Oriental,* سرقسطة ، سنة ١٩٠٤ ، ص ٩٣ — ٩٨ (١٠) G. Wiet : *Notes d'Epigraphie Syro- musulmane, Syria* ، باريس ، سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٦ ، ص ٦٢—٦٦ (١١) M. Canard : *Les expéditions des Arabes contre Constantinople,* فى *Jour. As.* سنة ١٩٢٦، جـ ٢٠٨ ، ص ٦١—١٢١

(١٢) Canard: Textes rélatifs à l'empoloi du feu grégeois chez les Arabes, في Bulletin des Etudes Arabes ، رقم ٢٦، يناير — فبراير سنة ١٩٤٦ ، ص ٣ — ٧ (والمصادر واردة فى ص ٧) (١٣) H. Ritter: La parure des Cavaliers und die literatur ueber die Ritterlichen Kunste في Der Islam ، سنة ١٩٢٩ ، ص ١١٦ — ١٥٤ (١٤) Huuri: Zur Geschichte des Mittelalterlichen Geschuetzwesens aus Orientalischen Quellen في Studia Oriantalia, ، هلسنكى عام ١٩٤١ ، (١٥) I.S. Allouche: Un Texte relatif au premiers canons في Hespéris : سنة ١٩٤٥ ، ص ٨١ — ٨٤ ؛ (١٦) R.Brunschvig: Les Berbèrie Orientale sous les Hafsides. ، باريس سنة١٩٤٧، مجلد ٢، ص٨٥— ٨٧ ؛ (١٧) C. Cahen: Un traité d'armurerie composé pour Saladin في Bulletin d'Etudes Orientales المجلد السابع ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٤٧ / ١٩٤٨ ، (وبخاصة ص ٢٠ — ٢٣) ؛ (١٨) Mercier: Le feu grégeois, Le feux de guerre depuis l'antiquité, Le poudre à canon, ، باريس سنة ١٩٥٢ (المصادر على الصفحات من ١٥١—١٥٨) ؛ (١٩) D. Ayalon: Gunpowder and firearms in the Mameluk Kingdom - A challenge to a Mediaeval Society ، طبعة لندن ، سنة ١٩٥٦ (ويتضمن ذيلا بقلم P. Wittek: The Earliest References to the use of Firearms by the Ottomans ، ص ١٤١—١٤٤) ؛ (٢٠) H.W.L. Hime: The Origins of Artillery ، لندن سنة ١٩١٥ (المصادر على صفحة ٢٢١) ؛ (٢١) C. Oman: A history of the Art of War in the Middle Ages لندن سنة ١٩٢٤ ، المجلد ٢ ؛ (٢٢) G. Sarton: Introduction to the history of Science ، جـ ٢ ، جـ ٣ ، ص ٧٢٥—٧٣٦ ، ص ١٠٣٤—١٠٤٠ ؛ ١٠٤٩ ؛ (٢٣) W. Y. Carman: A History Of Firearms from Earliest times to 1914 ، لندن ، سنة ١٩٥٥ (المصادر على الصفحتين ١٩٨ — ١٩٩).

[آيالون D. Ayalon]

٤ — الإمبراطورية العثمانية

لا نجد فيما بين أيدينا دليلا يثبت على وجه الدقة متى استخدم العثمانيون بارود المدافع والأسلحة النارية لأول مرة ؛ على أن فقرة وردت فى سجل تركى عن ألبانيا سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) تجيز لنا أن نستخلص منها أن المدفع أدخل فى هذه البلاد على الأقل فى عهد محمد الأول (١٤١٣ — ١٤٢١م) وربما كان ذلك فى فترة متقدمة عن ذلك (إينالجق: فى بلتن ، جـ ٢١ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٥٠٩) . وتذكر مصادر أخرى أن العثمانيين استعملوا المدافع فى الحصار فى السنوات ١٤٤٠ و ١٤٤٦ و ١٤٤٨ وفى سنة ١٤٥٠ م (انظر المصادر المذكورة فى Witteck ، ص ١٤٢ ، وفى إينالجق: المصدر المذكور ، ص ٥٠٩) ؛ وفضلا عما تقدم . فإن المعروف جيداً أن محمداً الثانى (١٤٥١ — ١٤٨١) كان لديه مدافع كثيرة عندما ضرب الحصار على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م (Ducas: ص ٢٤٧ — ٢٤٩ و ٢٧٣ ؛ Sphrantzes ، ص ٢٣٦.

ومابعدها ، وفى مواضع مختلفة ؛ Chalcocondylas ص ٣٨٥-٣٨٦ ، ٤١٤-٤١٥ ؛ Critobulus : الكتاب الأول ، فصل ٢٠ ، ٢٩ ، وبه مصادر إضافية وردت فى التعليقات ؛ Wille : ص ١٠ ؛ Jaehns : ص٧٩١-٧٩٢ ، ١١٤١-١١٤٤) . وقد ظهرت مدافع الميدان عند العثمانيين ، فيمابيدو ، قبيل معركة وارنه (١٤٤٤م) أى أثناء الحروب المجرية التى شنها العثمانيون فى عهد مراد الثانى (١٤٢١-١٤٥١) . وأول إشارة صريحة إلى أن العثمانيين استعملوا مدافع من هذا الطراز فى اشتباك واسع النطاق ، ترجع إلى معركة قوصوه الثانية سنة ١٨٤٨م . (Wittek : ص ١٤٢ - ١٤٣ ؛ إينالجق ، المصدر المذكور ، ص ٥٠٩ ، ٥١٠) ، غير أن ظهور مدافع ميدان عثمانية عظيمة الأثر لم يتيسر إلا فى وقت متأخر عن ذلك كثيرا ، حين ارتقت صناعة المدافع . واستخدم العثمانيون الأرقبوصات أيضاً حوالى ١٤٤٠ - ١٤٤٣ م ، فى الحروب المجرية أيام مراد الثانى ، وتوسعوا فى استعمالها فى عهد محمد الثانى ، ومع ذلك فقد كانت النقلة إلى استخدام هذا السلاح الجديد على نطاق أعم ، بطيئة تدريجية كما حدث بالنسبة للإنكشارية ، إذ قدر له أن يظل أمدا طويلا غير مكتمل (Wittek : ص ١٤٣ ، إينالجق ، المصدر المذكور ، ص ٥٠٦ ، ٥١٠ - ٥١٢ ؛ Ayalon : ص ٣٨ ، تعليق ٨٩ ؛ Jorga : جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ؛ وانظر أيضاً Promontorio ، ص٣٦ (Zerbotaneri) ؛ Chalcocondylas ، ص٣٥٦ ؛ (Zarabotanas) ، Dolphin : ص١٣ (Zarabattane) ؛ وهى مصطلحات غير محققة المعنى . وربما كانت تشير إلى الأرقبوصة ؛ انظر زيادة على ذلك Lokotsch : ص ١٧٢ ، زربطانة بالعربية ؛ Ayalon : ص٦١ : زَبْطَانة) .

وبعد النكسات التى نزلت بالعثمانيين فى الحرب القيليقية مع مماليك مصر والشام مابين سنتى ١٤٨٥ - ١٤٩١ م ، زاد بايزيد الثانى (١٤٨١ - ١٥١٢ م) فى عدد الإنكشارية وزودهم هم وطوائف أخرى من جيشه بأسلحة أكثر كفاية وأشد نكاية وفتكاً فى الهجوم ، من الأسلحة التى تيسرت من قبل . ولم يضن السلطان أيضاً بالمال لينشئ قوة مدفعية أسرع تحركاً وأقدر جنداً (Alberi : السلسلة الثالثة ، ص ٣ ؛ جـ ٣ ، ص ٢١ ، وهو تقرير مؤرخ فى سنة ١٥٠٣ م ، وانظر أيضاً إينالجق ، المصدر المذكور ، ص ٥٠٦) . ولم تناسب الأرقبوصات احتياجات الفرسان وقدراتهم ، بسبب بطء حشوها ، وصعوبة تناولها ، ومن ثم لم تحظ إلا بقبول قليل لدى أصحاب التيارات العثمانيين وسپاهى الباب العالى ، أى الفرسان الإقطاعيين وفرسان البيت السلطانى . وكان لابد لاستخدام الأسلحة النارية ، بصفة عامة ، أن ينتظر ظهور أنواع جديدة من النبادق أسهل تناولا ، أى الطراز الأقدم للبندقية والغدارة . وكان على العثمانيين ، مع هذا ، أن يقوموا بإنشاء قوة راكبة من حملة الأرقبوصات فى مصر بعيد الفتح العثمانى عام ١٥١٧م (Ayalon : ص ٩٦، ٩٧، ١٢٩ ، تعليق رقم ١٢٤٧ ؛ فوزى قورت أوغلى : فى بلتن ،

سنة ١٩٤٠ م ، ص ٦٧ و ٦٨ : آتلى توفكجى زمره سى) .

ويمكن أن نذكر على النحو الآتى الجنود الذين كان واجبهم الأول منصرفاً إلى البارود والأسلحة النارية واستخدامها العملى وقت الحرب :

(أ) الـ « جبه جيلر » أى صناع السلاح الذين وكل إليهم أمر أسلحة الإنكشارية وذخائرهم وهى : الأقواس والسهام والسيوف وغيرها . كما كانوا مسئولين عن المدافع اليدوية (توفنك) والبارود والفتيل . ورصاص الطلقات (قورشون) وما إلى ذلك . ويعمل رجال هذه الفرقة فى إستانبول وفى القلاع الإقليمية فى الإمبراطورية (أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى ، جـ ٢ ، ص ١ — ٣١) . وتفيد تقارير البنادقة التى كتبت ما بين سنتى ١٥٧١ و ١٥٩٠ م أن الإنكشارية جميعاً تقريباً كانوا يستخدمون الأرقبوصة . وكانت أنبوبة الطراز العثمانى منها أطول مما هو مألوف لدى المسيحيين ، ورصاصها أكبر ، مثل أرقبوصات البربر : Alberi (السلسلة الثالثة ، جـ ١ ، ص ٤٢١ — ٤٢٢ ؛ جـ ٢ ، ص ٩٩ ؛ جـ ٣ ، ص ٢٢٠ ، ٢٤٣ ؛ وانظر أيضاً Bombasi : فى *Rivista degli studi orientali* ، جـ ٢٠ ، سنة ١٩٤١ — ١٩٤٣ م ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٩ [البنادق التى تطلق طلقات زنة ٤٠ — ٥٠ درهماً] ، أوزون چارشيلى ، المصدر المذكور ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٨ [التعليق رقم ٢ : البنادق التى تعمر بطلقات زنة ٤ — ٥ دراهم] ، ص ١٣ — ١٤ ، ٢٨ — ٢٩) :

(ب) الـ « طوبجى لر » أى المدفعيون ، وهم مسئولون عن الإنتاج الفعلى للمدافع ، وصيانتها واستخدامها فى الحرب . والمركز الرئيسى لهؤلاء الجنود المتخصصين يقوم فى دار الصنعة « طوپ خانه » بإستانبول ، وكانوا يعملون أيضاً فى القلاع المختلفة للإمبراطورية ، وفى مسابك المدافع الإقليمية ، وفى مستودعات الذخيرة . (أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٣٣ — ٩٣) . وكان العثمانيون فيما مضى يحملون إلى ميدان القتال مئونتهم من المعادن بدلا من المدافع الكاملة الصنع الثقيلة الوزن المعوّقة ، ويصبون مدافعهم وفقاً لاحتياجاتهم أثناء سير القتال (ابن كمال : تواريخ آل عثمان ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ [= ٤٢٠ — ٤٢١ فى نسخة أخرى] ؛ Dolfin ، ص ١٠ — ١١ ؛ Promontorio : ص ١٦ ، ٨٥ ؛ Jorga ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ ؛ Wittek : ص ١٤٢ ؛ إينالجق : المصدر المذكور ص ٥٠٩) . وبقى هذا الإجراء متبعاً أيام محمد الثانى ، ثم بطل شيئاً فشيئاً لأنه صار لا لزوم له بعد التقدم الذى طرأ بعد ذلك فى أصول الصناعة ووسائل النقل .

وأظهر التحليل الكيميائى لمدفع من مدافع العثمانيين صنع عام ٨٦٨ هـ (١٤٦٤ م) أنه مركب من برونز ممتاز ، وقد وضع فى الإعتبار ما قد

يظهر من عيوب فى عملية الصهر التى كانت متبعة فى ذلك الزمن (Abel : فى *The Chemical News*، سنة ١٨٦٨) . ويصف مدفعى أسبانى يدعى كولادو Collado المدفع العثمانى فى رسالة له تاريخها ١٥٩٢م ، أنه سيئ التناسب ، ولكنه من معدن جيد (*Manuel de Artilleria*، فصل ٥ «*La fundicion Turquesca por la mayor parte es fea, y deffectuosa, aunque es de buena liga*») ، ولأوليا چلبى وصف للطرائق التى كانت مستعملة فى سبك المدافع فى طوپ خانه بإستانبول (أوليا چلبى : سياحت نامه ، ص ٤٣٦ وما بعدها = أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٤١ وما بعدها) .

(حـ) طوپ عربه جيلرى : أى الفرقة المسئولة عن نقل المدافع والذخيرة (أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٩٥ — ١١٣) : وكانت العربات التى تجرها الخيل والثيران والبغال تحمل المدافع الكبيرة والصغيرة ، ومع ذلك فقد كثر استخدام الجمال فى حمل الأنواع الأخف من المدافع ، وبخاصة فى الأراضى الوعرة (Promontorio : ص ٣٣ ؛ Menavino : الكتاب الخامس ، الفصل الحادى والثلاثون ؛ ابن طولون وابن زنبل ، فيما استشهد فيه بهما Ayalon : ص ١٢٥ ، تعليق ٢٠٦ ، ص ١٢٧ ، تعليق ٢٢٠ ؛ Alberi ، السلسلة الثالثة ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦) . ويشار فى مواضع متفرقة من المصادر إلى مدافع على عجل ، وأن ثمة فقرات ربما تشير إلى العربة نفسها أو إلى نوع من عربات للمدافع تسير على عجل (Tauer : *Campaigne Contre Belgrade*، ص ٤٨ ؛ النص الفارسى ، ص ٦٤ ؛ *Viaggio et Impresa ... di Diu*، ص ١٧٣ وجه ؛ Giovio : جـ ٢ : الكتاب الثلاثون ص ١٠٤ ظهر) . زد على ذلك أن العثمانيين احتفظوا على الدانوب بأسطول صغير ، كان له دور خطير فى نقل مدافع الحصار والميدان والمؤن التى كانوا يحتاجون إليها فى حملاتهم الكبيرة على المجر (انظر أوزون چارشيلى : بحريه تشكيلاتى ، ص ٤٠٣ — ٤٠٤ ؛ وانظر أيضاً فى نفس المصدر ، ص ٤٠٤ — ٤٠٥ : دار الصنعة التى كانت قائمة فى بيره جك على الفرات ؛ Alberi ، السلسلة الثالثة ، جـ ٣ ، ص ١٥٣ : حيث ذكر سفناً مسطحة القاع « Palandarie » كانت تحمل الخيل والمدافع والمؤن وغيرها) .

(د) الـ « خمبره جيلر » : وهم صناع القنابل المنوط بهم إنتاج واستعمال القنابل اليدوية وقنابل المدافع والألغام المحمولة والنار الصناعية وغيرها (أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجا قلرى ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١٢٧) .

(هـ) الـ « لغمجيلر » : وهم الذين يبثون الألغام ، وبمساعدة قوات كبيرة من العمال تحت تصرفهم يعدون الخنادق والسدود ومصاطب المدافع والألغام تحت الأرض مما لا غنى عنه فى الحصار (أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ، جـ ٢ ،

ص ١٢٩ — ١٣٣) وكان العثمانيون ، حتى قبل وفاة محمد الثانى سنة ١٤٨١ ، قد اصطنعوا النماذج الخامة من السلاح ، والأساليب الفنية التى تقتضى استعمال البارود ، ومدافع الحصار والميدان ومدافع الهاون والقنابل والأرقبوصات والألغام الصناعية (Jorga ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨) وكان لأهل الصرب والبوسنة ضلع كبير فى انتقال هذه الأسلحة الجديدة إلى العثمانيين ، ذلك أنه قد جند من هذين القطرين مدفعيون وحملة أرقبوصات ظلوا على مسيحيتهم ، وقد علمنا أنهم دخلوا فى خدمة محمد الثانى (إينالجق : فاتح دورى ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، وانظر أيضاً بلتن ، جـ ٢١ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٥١١) . وجاء معلمون (أسطوات) أيضاً من بلاد أبعد شقة مثل جورك من أعمال نورنبرغ (Kissling : ص ٣٣٦) . وصار الاعتماد على إخصائيين من أصول أوروبية منذ ذلك الحين من المقومات الثابتة الضرورية لكل الفرق العثمانية المعنية بالبارود والأسلحة النارية ، وكان معظم هؤلاء من الألمان والإيطاليين فى بادئ الأمر ، ثم ازدادوا عدداً فى الأزمنة الأخيرة بقدوم عناصر من الفرنسيين والإنكليز والهولنديين .

وفى المصادر الغربية للقرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين معلومات متفرقة ، ذات طبيعة فنية ، عن أنماط المدافع التى كانت مستعملة عند العثمانيين . وقد وصفت هذه المعلومات المدافع وفقاً لنظام التصنيف الشائع فى أوروبا وقتئذ (وفى الإمبراطورية العثمانية أيضاً) أى باعتبار وزن القذائف وحجمها (Promontorio : ص ١٦ ، ٨٥ ؛ De Bourbon : ١٣ ظهر ووجه ، مع التنويه بمدافع الحديد والبرونز ، مثل : مدافع الكولفرين culverins ومدافع البازيليكات basilisks ومدافع الصقور sakers ، وكذلك مدافع الهاون التى كانت تطلق قذائف الرخام وطلقات النحاس والبرونز الممتلئة بالنار الصناعية ؛ Ufano : ص ٤٠ ، ٤١) . وفى خبر إيطالى عن الحملة على « ديو » عام ١٥٣٨ م ، بيان بالمدافع التى كانت فى حوزة العثمانيين فى هذه المناسبة (*Viaggio et Impresa ... di Diu* ؛ ص١٦٩ ظهر ، ١٧٢ ظهر : وانظر أيضاً Sousa Coutinho ، ص ٥٨ وجه عن مدافع البازيليكات العثمانية المستعملة فى الحصار . وكان المدفعيون العثمانيون موضع إكبار لدى أمراء الهند ، وقد رحبوا بهم فى جيوشهم ، مثل مصطفى رومى الذى حارب فى جيش بابر ، ورومى خان الذى خدم تحت إمرة سلطان گجرات) .

ولم يُدرس حتى الآن فن تعبئة وتحركات المدافع الذى اصطنعه العثمانيون فى حروبهم دراسة تفصيلية ، على أن التشكيل العادى الذى كانوا يتبعونه عند الدخول فى معركة هو « الطابور » ، وهو ربط عربات المدافع بعضها إلى بعض وصف المدافع بينها ، وهو بدعة ربما كان المجريون هم الأصل فيها (إينالجق فى بلتن ، جـ ٢١ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٥١٠ ؛ وانظر أيضاً Frauenholz : ص ٢٣٤ ، وأوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى ،

جـ ٢ ، ص ٢٥٥-٢٦٤) . ومثل هذا الترتيب فى المعركة (« طبقاً لمألوف الروم » أى الإمبراطورية العثمانية : روم دستورى بيله) كان معروفاً فى الهند الإسلامية وفى بلاد فارس (بابر نامه ، طبعة إيلمنسكى Ilminski : ص ٣٤١ ، ٤٥٨) .
ويصف الأسپانى كولاّدو Collado فى رسالته الطريقة التى ينتهجها العثمانيون فى دك جدران حصن ما فيقول : تطلق المدافع المتوسطة ، أى مدافع الكولڤرين Culverins القادرة على التوغل وإطلاق النيران على طول خطوط متعارضة ورأسية حتى تقوض البناء الحجرى من أساسه وتصدعه ، ثم تأتى مدافع البازيليكات التى ترمى بقذائف أثقل وأشد تدميراً وأفظع فتكاً بظاهر الأهداف : فتطلق جميعها دفعة واحدة فتأتى على البنيان المتهاوى وتدكه (*Manuel de Artilleria* ، ص ١٣ ظهر ، ٢٠ ظهر ، ٣٢ ظهر ؛ وانظر أيضاً پچوى ، جـ ٢ ، ص ١٩٣) . وكان للعثمانيين بطبيعة الحال أسماؤهم التى أطلقوها على مدافعهم ، وعلى ماله صلة بها من عدّة الحرب (انظر أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى ، جـ ٢ ، ص ٤٨ — ٥١) فعلاوة على عبارات ذات طابع شعرى خالص (مثل « إژدر دهان » و « مار تن » أى « التنّينى الفم » و « الثعبانى الجسم » — انظر نعيما : جـ ١ ، ص ١٤٨) ، وأسماء سميت بها مدافع بعينها (مثل « الكوزچيان » أى المدفع الذى استولوا عليه من كاتسيانر Katzianer ، القائد الإمبراطورى الذى هزمه العثمانيون فى عام ١٥٣٧ م قرب أوسك Eszék على الدانوب ؛ انظر سلانيكى : ص ٣١) ، تجد أيضا فى الأخبار والوثائق العثمانية — من حين إلى حين — أسماء لها معان اصطلاحية دقيقة ، ومن أكثر طرز المدافع ذكراً فى هذه المصادر :

(١) « البجالوشقه » أو « البدالوشقه » وهو مدفع حصار كبير (وربما كان هو المدفع البازيليسك؟ ؛ انظر سلانيكى : ص ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ؛ حاجى خليفة : فذلكه ، جـ ١ ، ص ٢٩ ، وكانت المدافع من هذا النوع تطلق مقذوفات زنة كل منها ١٦ أقة (ص ٣١ ، ٣٣ ؛ Collado : ص ١٣ ظهر ، ٣٢ ظهر ؛ أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ٨٠ ، ٨١) .

(٢) الـ « بال يمز » (انظر هذه المادة) وربما كان اسمه مشتقاً من الألمانية (Kissling) : «Faule Metze» . انظر پچوى : جـ ١ ، ص ٢٠٢ ؛ أوليا چلبى : جـ ٨ ، ص ٤١٨ ، ٤٩١ الذى وصفه بأنه « منزل طوپى » أى مدفع بعيد الرماية ؛ سلحدار ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ وقد وصف فى هذه المواضع مدفعاً طاقته تزن ما بين ١٠ — ٤٠ أقة على اعتبار أنه من نوع « البال يمز ») .

(٣) الـ « قولومبورنه » (انظر الكلمة الإيطالية Colubrina) أى المدفع الكولڤرينى (انظر سلانيكى : ص ٨ ؛ پچوى : جـ ٢ ، ص ١٩٨ ؛ حاجى خليفة : فذلكه ، جـ ١ ، ص ٢٩ ، ويذكر هنا المدفع الكولڤرينى الذى تزن طلقته ١١ أقة ؛ جـ ١ ، ص ٣٣ : اللومبورنو Lomborno ، سلحدار : جـ ١ ، ص ٥٠٣ ؛ جـ ٢ ، ص ٤٦

و ٤٧ ؛ ويذكر هنا مدفعاً يقذف طلقة زنتها مابين ٣—٩ أقات على اعتبار أنه مدفع من مدافع القولومبورنه ؛ أوزون چارشيلي : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ٨١ ؛ Viaggio et Impresa ... di Diu ، ص ١٦٩ ظهر ؛ Collado ، ص ١٣ ظهر ؛ Alberi ، السلسلة الثالثة ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢) .

(٤) « الشاقالوز » : (انظر الكلمة المجرية Szakallaz) ، والظاهر أنه نوع من المدافع الخفيفة يطلق قذائف صغيرة من الحجر أو المعدن (انظر سلانيكي ، ص ٣٧ ، ٤١ ، ١٤٥ ؛ پچوى ، حـ٢ ، ص ٢٤٢ ؛ سهيل أونور فى بلتن ، جـ ١٦ سنة ١٩٥٢ ، ص ٥٦٠ ؛ L. Fekete : *Die Siyaqat - Schrift* ، جـ ١ ، ص ٦١ ، ٦٩٤ ، وكذلك فى *Magyar Nyelv* ، جـ ٢٦ ، سنة ١٩٣٠ ، ص ٢٦٤ ؛ Redhouse : مادة « چاقالوز » ؛ وفى Ducas إشارات إلى مدافع ذات طلقات صغيرة ، ص ٢١١ ؛ وانظر أيضاً Jaehns : ص ٨١١ ؛ وفى Giovo : جـ ٢ ، الكتاب الثلاثون ، ص ١٠٤ ظهر) .

(٥) الـ « شايقه » : (انظر الكلمة المجرية Sajka) اسم يطلق على نوع من الزوارق ، كما يطلق أيضاً على المدافع التى تركب على هذه الزوارق : (انظر حاجى خليفه : فذلكه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ ؛ أوليا چلبى ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ ، وفيه ذكر لمدفع « شايقه طوپلرى » الذى يطلق قذائف من الحجر زنة كل منها ٨٠ أقة ، ص ٣٨٢ « شايقه نام برانقا طوپلرى » ؛ فوزى قورت أوغلى فى بلتن ، جـ ٤ ، سنة ١٩٤٠ ، ص ٦٨ ؛ أوزون چارشيلي : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٨١ ، وقد ذكر مدافع من الشايقه كبيرة ومتوسطة وصغيرة ؛ L. Fekete فى *Magyar Nylev* ، جـ ٢٦ ، عام ١٩٣٠ م ، ص ٢٦٥ ؛ أما عن المدافع المستخدمة فى الزوارق التى يحتفظ بها العثمانيون على الدانوب فانظر Giovio : جـ ٢ ، الكتاب ٣٦ ، ص ١٩٢ ظهر

(٦) « الضربزن » أو « الضربوزن » : وهو مدفع يصب من أحجام مختلفة (انظر L. Fekete: *Die Siyaqat Schrift* ، جـ١ ، ص٦٩٤ ، ٦٩٥ : الصغير زنة طلقته ٣٠٠ درهم ؛ والوسط زنة طلقته أقة واحدة ؛ والكبير زنة طلقته ٣ أقات ، ويذكر أيضاً مدفع يسمى « ظربزن شايقه بزرك » زنة طلقته ٣٦ أقة ؛ انظر ابن كمال : تواريخ آل عثمان ، ص ٤٦٤ ؛ ٥٠٩ (=٤٢٢ و ٤٥٨ فى النسخة المنقولة عن الأصل) ؛ سلانيكي : ص ٨ ، ٣٥ ؛ شاهى ضربزن طوپلرى ، ص ٣٧ ؛ پچوى : جـ ١ ، ص ٩٣ ؛ جـ ٢ ، ص ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٩٦ ؛ Du Loir : *Voyages* ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ : « شاهى ضربزانلر » ؛ سلحدار : جـ ٢ ، ص ٤٧ ، ٥٧ ؛ أوزون چارشيلي : المصدر المذكور ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ؛ Ayalon : ص ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٩ ، تعليق ٩٢ ، ١٢٧ ، تعليق ٢٢٠) .

والظاهر أن العثمانيين استخدموا فى حروبهم البحرية بصفة عامة جميع أنواع المدافع التى

استخدموها فى حروبهم البرية : فمدافع القولونبورنه والضربزن والشايقه كانت مما استخدمه العثمانيون فى أساطيلهم (Barozzi et Berchet : جـ ١ ، ص ٢٧٤ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٠ ؛ أوزون چارشيلى : بحريه تشكيلاتى ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥١٢، ٥١٣ ؛ وهناك معلومات أكثر عن تسليح البحرية العثمانية نجدها فى Alberi : السلسلة الثالثة ، جـ ١ ، ص ٦٨ ، ١٤٠ ، ٢٩٢ — ٢٩٣؛ جـ ٢، ص ١٠٠، ١٥٠، ٣٤٢؛ جـ ٣، ص ٢٢٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ؛ Barozzi et Berchet: جـ ٢ ، ص ١٦٥ ؛ Marsigli : حـ ١ ، فصل ٧٤ ، ص ١٤٢ ، حـ ٢ ، فصل ٢٧ ، ص ١٧١ — ١٧٢ ؛ de Warney : ص ١١٥ ؛ وكذلك عن البرانغى أو البرانقى: انظر Tauer فى ArO ، حـ ٧ ، سنة ١٩٣٥ ، ص ١٩٥ ؛ كمال پاشا زاده : مهاجنامه ، ص ٥٤ ، النص التركى ؛ Bombaci فى RSO ، جـ ٢٠ ، سنة ١٩٤١—١٩٤٣، ص ٢٩٢ ؛ حـ ٢١ ، سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٦ ، ص ١٩٠؛ أوزون چارشيلى: قاپى قولى أوجاقلرى، حـ ٢ ، ص ٤٩ ، ٨٣ ، وانظر أيضاً: بحريه تشكيلاتى ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٥١٢ — ٥٢٣) .

وتذكر المصادر فى كثير من الأحوال آلات للحرب غير المدافع يكون الأساس فيها استخدام البارود ، مثل :

(١) الـ « هوائى » (سلانيكى : ص ٨ ، انظر Hammer-Purgstall : حـ ٣ ، ص ٤٢٦ ؛ تعليق ١ ؛ أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى، حـ ٢ ، ص ٤٩) و « القاوان » (أوليا چلبى : جـ ٨ ، ص ٤٠٧ ، ٤١٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ؛ يوسف نابى : ص ٤٣ ؛ سلحدار : حـ ٢ ، ص ٤٧) وهما مدفعا هاون يطلقان القنابل ومقذوفات من الحجارة أو المعدن (Promontorio ، ص ٦١؛ De Bourbon : ص ١٣ وجه ؛ Viggario et Maurand : Impresa ... di Dia : ص١٦٩ وجه؛ Scheither : ص ٢٠٢ ؛ Marsigli : ص ٨١ ؛ حـ ٢ ، الفصل التاسع ، ص ٣٠ — ٣١) .

(٢) الـ « خمبرة » أو « القُمْبرة » ، أى القنابل (Tauer : Campaigne contre Belgrade ، ص ٥٣ ، ٥٨ ، النص الفارسى ، ص ٧٩ ، ٨٩ ؛ سلانيكى : ص ٤٠—٤١ ؛ مخطوطة بالقسم الشرقى من المتحف البريطانى ، ١١٣٧ ، ٧٤ وجه ، وهى قنابل مصنوعة من الزجاج والبرونز : « شيشه خمبره » ، « تونج خمبره » ؛ أوليا چلبى : جـ ٨ ، ص ٤٠١ ، ٤١٤ ، ٤٣٢ ، ٤٨٣ ؛ قازان « قازغان » قمبره ؛ نعيما : جـ ١ ، ص ٣٠٤ ؛ سلحدار : جـ ٢ ، ص ٤٧ « خمبره هوانلرى » ؛ Scheither ، ص ٧٥ ؛ Marsigli ، حـ ٢ ؛ فصل ٩ ، ص ٣٣ ؛ Bigge : ص ١٥٤) .

(٣) « الخمبره سى » ، أى القنابل اليدوية (أوليا چلبى ، حـ ٨ ، ص ٤١٤ ، ٤٣٢ ، ٤٧١ ، وهى قنابل من الزجاج والبرونز : سرچه وطوج الـ قمبره لرى ؛ سلحدار: حـ ١ ، ص ٤٦٧ ،

٤٨٤ : ٥٠٢ ؛ Scheither : ص ٧٧ ؛ Marsigli : جـ ٢ : فصل ٩ ، ص ٣٣) .

(٤) « اللغم » وهى ألغام متفجرة من طرز وحجوم مختلفة (حاجى خليفه : فذلكه ، جـ ٢ : ص ٢٥٥ ؛ نعيما : جـ ٤ ، ص ١٤٣ ، لغم كبير يسع ١٥٠ قنطاراً من البارود ؛ أوليا چلبى : جـ ٨ ، ص ٤٢٤ : لغم ذى ثلاثة دهاليز وثلاث خزنات للبارود ، ص ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٩٥ ؛ سلحدار : جـ ٢ ، ص ٥٥ ، ٥٦ : لغم من صنف يعرف باسم بوسكورمه ويسع ٣٠ قنطاراً من البارود ، ص ٦٦ ؛ Scheither : ص ٦٢ — ٧٣ ؛ Montecucoli : جـ ٣ ، فصل ٦٧ ؛ Marsigli : جـ ٢ ، فصل ١١ ، ص ٣٧ وما بعدها) ، وتوجد إشارات متعددة إلى الألغام فى البيانات العثمانية عن حرب إقريطش ما بين سنتى ١٦٤٥ — ١٦٦٩ (انظر مثلا حاجى خليفة : فذلكه ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، وفى مواضع متفرقة من سلحدار : جـ ١ ، ص ٤٠٩ ومابعدها ؛ وفى نعيما : جـ ٤ ، ص ١١٦ وما بعدها ؛ وفى مواضع متفرقة من أوليا چلبى : جـ ٨ ، ص ٣٩٦ وما بعدها ، انظر أيضاً المصدر نفسه : جـ ٨ ، ص ٤٦٨ وما بعدها ، وبه حصر للمدافع والذخائر وغيرها مما وجد فى قلعة قنديه بعد انتزاعها من المسيحيين عام ١٦٦٩ ، وهو بيان زاخر بالمصطلحات الحربية التى استعملها العثمانيون فى ذلك الوقت) .

وسحب العثمانيون من الأراضى التى كانت تحت سيطرتهم مالا غنى لهم عنه من خامات مواد الحرب كالحديد ، والرصاص ، والنحاس ، وما أشبه ؛ زد على ذلك أنهم فى كثير من الأحيان قد اتخذوا من المناجم التى تستخرج منها هذه الخامات مراكز لصناعة الذخيرة ، كالقنابل مثلا (Alberi : السلسلة الثالثة ، جـ ١ ، ص ٦٦—٦٧ ، ١٤٦—١٤٧ ، ٤٢٢ ؛ جـ ٢ ، ص ١٤٥ ، ٣٤٢ ؛ جـ ٣ ، ص ٣٥١ ؛ Berchet et Barozzi ، جـ ٢ ، ص ١٦٥—١٦٦ ، ٢٢٥ ، ٣٢٧ ؛ أحمد رفيق : تورك عشيرتلرى ، الوثائق رقم ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ١١٢ ؛ توركيه معدنلرى : الوثائق رقم ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٥٤ ؛ وانظر فى المصدر نفسه : پراكنده وثيقه لر ، الوثائق رقم ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ؛ Anhegger : *Beitrage* ، جـ ١ ، ص ١٣٨ — ١٤٠ ، ١٤٨ — ١٤٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٣—٣٠٤ ، ٣٠٦ — ٣٠٨ ؛ وانظر أيضاً *Nachtrag* ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٤ ؛ أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى ، جـ ٢ ، ص ٧٢ وما بعدها ، وفى مواضع متفرقة) ، وكانت هناك علاوة على ذلك مناجم تغل ملح البارود والكبريت اللازمين لإنتاج البارود (« باروتوفنك » و « بارود سياه » : انظر L. Fekete : *Die Siyaqat Schrift* : جـ ١ ، ص ٦٩٦ ، تعليق ٨) فى إستانبول وولايات الإمبراطورية (أوليا چلبى ، جـ ٢ ، ص ٤٨٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ؛ أوزون چارشيلى : المصدر المذكور ،

ﺣـ ١ ؛ ص ٢٤٧ ، ٣٣٥ — ٣٣٦ ؛ أحمد رفيق : توزك عشر تلرى ، الوثيقة ٥٣ ، وتوركيه معدنلرى ، الوثائق ١١ — ١٣ ، ١٦ — ٢٠ ، ٢٢ — ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ — ٣٠ ؛ Alberi ؛ السلسلة الثالثة ، ﺣـ ١ ، ص ١٤٦ ، ٤٢٢ ؛ ﺣـ ٢ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٩ — ٣٥٠ ؛ ﺣـ ٣ ، ص ٣٩٨ ، Barozzi et Berchet ، ﺣـ ١ ، ص ١٧٧ و ٢٧٥ ، ﺟـ ٢ ، ص ١٧ ، ١٦٥ ؛ Marsigli : ﺣـ ١ ، فصل ٧٤ ، ص ١٤٢) ؛ وكانت مواد الحرب ترد على العثمانيين من أوربا أيضاً ؛ والواقع أن المؤن التى حصلوا عليها من المسيحيين كانت لها فى بعض الأوقات أهمية كبرى بالنسبة لجيوش السلطان ، مثلما حدث فى الحروب الطويلة ضد الفرس (١٥٧٨ — ١٥٩٠) وضد النمسا (١٥٩٣ — ١٦٠٦) ، ففي الحروب الأولى اقتضى الأمر إنشاء عدة حصون وإقامة حاميات والمحافظة عليها فى الأقاليم الجبلية الفسيحة القائمة إلى الجنوب من القوقاز ، وتطورت الثانية إلى قتال مرير يقوم على سلسلة من الحصارات ، وتطلب ذلك كله استهلاك عدد ضخم من المدافع والذخيرة ؛ وباع الإنكليز للعثمانيين فى تلك الأيام شحنات من الصفيح (الضرورى لصنع مدافع البرونز) والرصاص والأجراس المكسرة والتماثيل (من الكنائس التى تخربت فى انكلترة أثناء عصر الإصلاح الدينى) والحديد والصلب والنحاس والأرقبوصات والبنادق وصفائح السيوف والحجر الخفاف وملح البارود والبارود (*Cal. State Papers, Spanish* ، السنوات ١٥٦٨ — ١٥٧٩ ، رقم ٦٠٩ ، والسنوات ١٥٨٠— ١٥٨٦ ، رقم ٢٦٥ ؛ *Cal. State Papers, Venetian* ، السنوات ١٦٠٣ — ١٦٠٧ ، رقم ٤٧٠ ، ٤٩٤ والسنوات : ١٦٠٧ — ١٦١٠ ، رقم ٨٦٠ ؛ Braudel : ص ٤٧٩ : الصفيح ومعدن الأجراس والرصاص ؛ Charrière : ﺟـ ٤ ، ص ٩٠٧ ، تعليق ١ « تماثيل مكسرة » ؛ Sir Thomas Sherely : *Discours* ، ص ٧ : « ولم يكن لدى الإنكشارية ذرة من بارود صالح إلا ما استولوا عليه من المسيحيين المغلوبين على أمرهم أو ما ابتاعوه من خارج إنكلترة ، ص ٩ — ١٠ : « ويدير الإنكليز ثلاثة محال علنية للسلاح والذخيرة فى الآستانة ؛ ويباع البارود بما بين ٢٣ و ٢٤ تشيكينو لكل مائة ...... وتباع البندقية الواحدة بخمسة أو ستة تشيكينو ، والتشيكينو عملة ذهبية للبنادقة قيمتها عند العثمانيين تساوى من عملة «السلطان الذهبية» واحداً : انظر : *The Travels of John Sanderson* ؛ الملحق ا ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ، فهرس مخطوطات سالسبورى Salisbury ، ﺣـ ١١ ، ص ١١١ ، ﺣـ ١٣ ، ص ٦٠٦ — ٦٠٧) . ولم يلبث الهولنديون أن دخلوا فى هذه التجارة ، وبيّن أن هذا كان لصالح العثمانيين ، وشاهد ذلك حرب إقريطش (١٦٤٥ — ١٦٠٩) ؛ وتؤكد المصادر الغربية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين مبلغ الفضل الذى يدين به العثمانيون لتجارة الذخائر ، واعتمادهم العظيم على الأساليب الفنية الأوربية فى استعمال الأسلحة النارية والبارود ، والعدد الكبير

من الخبراء المسيحي الأصل الذين انخرطوا فى سلك جيوشهم ، مهندسين ومدفعيين : خبراء من أصل إيطالى وفرنسى وألمانى وهولندى(Scheither : ص ٧٥ ، ٨٠ ؛ Montecuccoli ، جـ ٣ الفصلان ٢٨ ، ٣٠ : نحاس من الهولنديين والإنكليز والفرنسيين والسويديين أيضاً ؛ Barozzi et Berchet ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٧٣ ، ٢٢٢، ٣٢١ ، ٢٣٢ ؛ Marsigli : جـ ٢ ، الفصل التاسع ، ص ٢٣ : كان العثمانيون يصنعون مدافعهم طبقاً للنماذج الواردة فى كتب الإيطالى ساردى Sardi ، الذى ترجم كتاب من كتبه إلى التركية ، والراجح أنه كتاب: (L'artiglieria di Pietro Sardi Romano ، البندقية سنة ١٦٢١ ؛ De Warney : ص ٩٢— ٩٣) .

وشهدت أوروبا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين تغييرات مشهودة فى الحرب (J.R. Hale فى The New Cambridge Modern History ، ص ٤٨١ وما بعدها ؛ C.O. Laskowski فى Teki Historyczne ، جـ ٤ ، سنة ١٩٥٠ ، ص ١٠٦ وما بعدها ؛ M. Roberts : The Military Revolution 1560 — 1660 وكذلك Justavus Adolphus and the Art. of War فى Historical Studies ، جـ ١ ، ص ٦٩ وما بعدها ؛ Justavus Adolphus ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ وما بعدها) ؛ وفرضت هذه التغييرات على العثمانيين حاجة ملحة تقتضيهم أن يصطنعوا هذه المبتكرات التى استجدت لدى الأوربيين فى ممارسة الحرب، أو أن يواجهوها بطريقة فعالة ، وهى عملية توفيق كانت فى وقت من الأوقات بطيئة وعسيرة .

وكتب أحد مسلمى البوسنة ، بعد وقعة كرزتس Keresztes بقليل ، ينعى على العثمانيين أن المسيحيين رجحت كفتهم رجحاناً مبيناً على جيوش السلطان بسبب استخدامهم أنماطاً جديدة من البنادق والمدافع كان العثمانيون بعدُ غافلين عنها : (L. Thaloczy : Stanschrift ، ص١٥٣— ١٥٤ ؛ Garcin de Tassy ، فى Jour. As. ، جـ ٤ ، سنة ١٨٢٤ ، ص ٢٨٤ ؛ صفوت بك باشا گج : نظام العلم ، ص ١٣؛ مخطوط فى المتحف البريطانى Harleian ، ورقة ٥٤٩٠ ، ٣٥٠ ظهر ووجه) ؛ على أن ظهور مصطلحات لم تكن مألوفة حتى ذلك الوقت فى أخبار العثمانيين ووثائقهم — أو قل زيادة شيوع هذه المصطلحات فى الاستعمال — خليق بأن يكشف لنا أن العثمانيين هضموا إلى حد كبير آخر المبتكرات والأساليب الفنية التى حذقها الأوربيون فى ذلك الوقت (Bombaci : فى RSO ، جـ ٢٠ ، سنة ١٩٤١ — ١٩٤٣ ، ص ٣٠٣ : « صاچمه طوپلر » أى المدافع التى تطلق نوعاً من القنابل العنقودية : انظر أيضاً حاجى خليفه : فذلكه ، جـ ١ ، ص ٣٤ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٤٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ؛ سلحدار : جـ ١ ، ص ٥٩٦ ، ٥٩٨ : « مسكت »، « پچوى : جـ ٢ ، ص ١٩٩ ؛ انظر تعيا : جـ ١ ، ص ١٦٤ : البنادق التى تطلق طلقات زنة الطلقة ما بين ١٥ — ٢٠ درهماً ؛ أوليا چلبى : جـ ٧ ،

ص ١٧٩ : « موشقات توفنكلرى » التى تقذف طلقات كل طلقة زنتها مابين ٤٠ — ٥٠ درهما، و « قول توفنكلرى » ؛ حـ ٨ ، ص ٣٩٨ ، ٤١٠ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ : « بدالوشقه نام موشقات» ؛ إينالجق : تاريخ وثيقه لرى ؛ حـ ٢ ، سنة١٩٤٣ ؛ ص ٣٧٧ : « چفته طبانچه لى توفنالگ » ؛ أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلرى ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، تعليق ٢ : « آتلو توفنكلرى » پچوى : جـ ٢ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ : انظر نعيما : حـ ١ ، ص ١٩٠ : وصف طريقة صنع « أغاج طوپ » ، وهو نوع من المجانيق) . ويوجد فى المصادر الغربية مزيد من الشواهد (انظر Alberi : السلسلة الثالثة ، ص ٣ ؛ حـ ٢ ، ص ٤٥٢ [*Archibugieri a cavallo*) أى الفرسان حملة الأرقبوصات ، جـ ٣ ، ص ٣٩١ [تقرير تاريخه سنة ١٥٩٤ م ورد به أن العثمانيين لم يتخذوا بعدُ الغدارة] وص ٤٠٤ [ازدياد استخدام الأرقبوصات فى الأسطول العثمانى] ؛ Barozzi et Berecht : حـ ١ ، ص ٢٦٥ : شرع سپاهيو الپاشا أثناء الحرب المجرية ما بين سنتى ١٥٩٣ — ١٦٠٦ فى تسليح أنفسهم بالأرقبوصات و الـ terzarallo أى الأرقبوصات القصيرة الأنبوبة ، حـ٢ ، ص ١٦ ، و ١٥٨ ؛ Rycaut : ص ٣٤٩ [استخدم سپاهيو الباب العالى الغدارات والقرابينات ، ولم يكن للأسلحة النارية لديهم تقدير كبير] ؛ Marsigli : حـ ٢ ، فصل ٨ ، ص ١٥ ، ١٦ : تعلم العثمانيون من المسيحيين طرقاً جديدة فى حرب إقريطش مابين سنتى ١٦٤٥ — ١٦٦٩ : وكان الإنكشسارية ومعظم فرسان العثمانيين يحملون الغدارات) .

ولم يبلغ هذا التحول التدريجى غايته إلا أيام الوزراء من آل كوپريلى ، ويصف كتّاب من ذوى الحكم السليم مثل شايتر Scheither ومونتكوكولى Montecuccoli ومارسيجلى Marsigli فى إسهاب كبير الأسلحة التى كان يستعملها العثمانيون ويمتدحونها فى كثير من الأحوال منوهين مثلا بتفوق مدافع الهاون عندهم (Scheither : ص ٧٥) وبنادقهم القصيرة (Montecuccoli : حـ ٣ ، فصل ١٤) وألغامهم التى كان للأرمنى (لغمجيلر) القدح المعلى فى تركيبها (Marsigli : حـ ٢ ، فصل ١١ ، ص ٣٧ وما بعدها ؛ وانظر أيضاً Levinus Warnerus : ص ٦٩ ، ١٠١ ؛ أوليا چلبى : حـ ١ ، ص ٥١٥) . على أن مونتكوكولى : (حـ ٣ ، الفصلان ٣٠ ، ٣١) يلاحظ أن المدفعية العثمانية رغم أثرها المشهود إذا أحسن استخدامها كانت تستهلك مقادير كبيرة من الذخيرة ، كما كان يعسر استخدامها ونقلها ، أما فيما يتعلق بحركتها وكفايتها العملية فإن المسيحيين كانت لهم فى ذلك ميزة لاشك فيها على أعدائهم .

وعجز العثمانيون آخر الأمر عن مسايرة التطورات التى حدثت فى أوربا ، فلم تتقدم الأساليب التى اتبعوها فى الأسلحة النارية عموماً ، معظم أيام القرن الثامن عشر ، إلا قليلا عما كانت عليه الأساليب الفنية الشائعة بينهم فى عهد الوزراء الأولين من آل كوپريلى (انظر de Warnery :

ص ٣٤ — ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٣) ويذكر هذا الكاتب (المصدر نفسه) أن العثمانيين استنكفوا من قبول نصيحة طيبة تسدى إليهم ، فأصروا على أسلوبهم العتيق فى توجيه حصارهم لبلغراد سنة ١٧٣٩ : صحيح أن جهوداً بذلت فى سبيل الإصلاح ، بذلها أناس من أمثال خمبره جى أحمد پاشا (وهو كونت دى بونيڤال ، انظر : أوزون چارشيلى : قاپى قولى أوجاقلر ، جـ ٢ ، ص ١١٨ وما بعدها ، ١٢٢ وما بعدها ؛ وانظر أيضاً المخطوط المحفوظ بالمتحف البريطانى تحت رقم ١١٣١ : « تاريخ صبحى » ورقة ٦٨ وجه — ٦٩ وجه) والبارون ده توت Baron de Tott (أوزون چارشيلى ، المصدر المذكور ، ص ٤٠ ، ٥٦ ، ٦٧ ؛ de Tott : *Mémoires* المجلد ٢، جـ ٣ ، فى مواضع مختلفة)، وخليل حامد پاشا (انظر : أحمد جودت : جـ ٢ ، ص ٥٧ وما بعدها ، وكذلك المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص٢٣٩—٢٤٠؛ أوزون چارشيلى: قاپى قولى أوجاقلر جـ ٢ ، ص ٦٧ — ٦٨ ، ٩١ — ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٢٥ — ١٢٧ ، وكذلك فى توركيات مجوعه سى ، جـ ٥ ، سنة ١٩٣٥ ، ص ٢٢٥ وما بعدها ، ص ٢٣٣ وما بعدها)، ولكن جهودهم لم تصب إلا نجاحاً محدوداً ، ومع هذا فقد شهد عهد سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧) اتخاذ تدابير جذرية قصد بها صبغ القوات المسلحة للدولة العثمانية بالصبغة الحديثة على النمط الغربى (انظر : أنور ضيا قارال ، ص ٤٣ وما بعدها ، وبخاصة ص ٤٥ — ٤٩ ، ٥٩ — ٦٣ ، ٦٣ — ٧١) . وأخذت الأسلحة النارية العثمانية إذا نظرنا إليها نظرة شاملة تفقد آنئذ تلك السمات التى أضفت عليها بعدُ طابعاً متميزاً ، وأصبح تطورها من بعد مقترناً بالتقدم الفنى والتحسينات التى تحدث فى أوربا ؛ وحسبنا هنا أن نشير إلى أن الإصلاحات التى تمت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، قد انتهت بأن خرجت من بين صفوف الجيش العثمانى فرقة ذات كفاية من المدفعية جيدة التجهيز قادرة على أن تثبت أنها تستطيع أن تقف على قدم المساواة مع أندادها من الفرق الأوربية (انظر : *Unsere Tage* ، كراسة ٣٦ ، سنة ١٨٦٢ م ص ٥٨٠ ، ٥٨٦ وما بعدها) .

المصادر :

(لا نعيد هنا أرقام الصفحات التى ورد ذكرها فى صلب المادة) :

(١) المخطوطان المحفوظان فى المتحف البريطانى : القسم الشرقى رقم ١١٣١ ، ١١٣٧ ؛ وفى Harleian رقم ٥٤٩ . (٢) ابن كمال (وهو كمال پاشا زاده) : تاريخ آل عثمان ، دفتر ٧ ، طبعة شرف الدين طوران (تورك تاريخ قوروم يايينلرندن ، السلسلة الأولى ، رقم ٥)، أنقرة سنة ١٩٥٤ (إنسكرپسيون ، طبعة شرف الدين طوران ، أنقرة ، سنة ١٩٥٧ ، الفهرس ، مادة طوپ) . (٣) كمال پاشا زاده : مهاجنامه ، طبعة Pavet de Courteille ، پاريس ، سنة ١٨٥٩ . (٤) سلانيكى : تاريخ ، إستانبول سنة ١٢٨١ هـ . (٥) پچوى : تاريخ ، إستانبول ، سنة ١٢٨١ — ١٢٨٣ هـ . (٦) أوليا

چلبي : سياحت نامه ، جـ ١ ، إستانبول ، سنة ١٣١٤ هـ ، حـ ٧ ، ٨ ، إستانبول ، سنة ١٩٢٨ (٧) يوسف نابي : تاريخ وقائع قاميتشه ، سنة ١٢٨١ هـ ؛ (٨) نعيما : تأريخ ، إستانبول ، سنة ١٢٨١ — ١٢٨٣ هـ ؛ (٩) سلحدار : تأريخ ، إستانبول سنة ١٩٢٨ ؛ (١٠) أحمد جودت : تأريخ ، إستانبول ، حـ ٢ ، سنة ١٢٩٢ هـ . (١١) F. Tauer : L'Histoire de la campagne du Sultan Suleyman I contre Belgrade en 1521 ، براغ سنة ١٩٢٤ ، وكذلك Additions à mon ouvrage «Histoire de la campagne ... contre Belgrade en 1521 في ARO حـ ٣ ، براغ سنة ١٩٣٥ ، ص ١٩١ — ١٩٦ ؛ (١٢) A. Bombaci : Le fonti turche della Battaglia dell Gerbe (سنة ١٥٦٠) ، في RSO ، حـ ١٩ ، رومة سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ ، ص ١٩٣ — ٢٤٨ ؛ حـ ٢٠ ، رومة ، سنة ١٩٤١ — ١٩٤٣ ، ص ٢٧٩ — ٣٠٤ ؛ حـ ٢١ ، رومة ، سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٦ ، ص ١٨٩ — ٢١٨ ؛ (١٣) بابرنامه : طبعة إيلمنسكي ، قازان سنة ١٨٥٧ ؛ (١٤) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، طبعة Blochmann ، كلكته سنة ١٨٦٧ — ١٨٧٧ م ؛ (١٥) أخبار المؤرخين البوزنطيين مثل دوكاس Ducas (بون سنة ١٨٣٤ م) وفرانتزس Sphrantzes (بون سنة ١٧٣٨) وخالكوكونديلس Chalcocondyles (بون سنة ١٨٤٣م) وكريتوبولس Critobulus ، طبعة C. Mueller ، في Fragmenta Historicorum Graecorum ، حـ ٥ ، باريس ، سنة ١٨٧٠ م ؛ Calendar of State Papers; Spanish : 1568-1579 ، لندن سنة ١٨٩٤ وص ٤٠—١٦١ (١٦) وسنة ١٥٨٠ — ١٥٨٦ ، لندن سنة ١٨٩٦ (١٧) Calendar of State Papers : Venetian ، لندن سنة ١٩٠٠ ، وسنة ١٩٠٧ — ١٩١٠ ، ولندن سنة ١٩٠٤ (١٨) تقويم مخطوطات سالسبوري Salisbury ، حـ ١١ : لندن سنة ١٩٠٦ ؛ حـ ١٣ ، لندن سنة ١٩١٥ (١٩) E. Alberi : Relazioni degli Ambasciatori Veneti al-Senato ، السلسلة الثالثة في ثلاثة مجلدات : فلورنسة ، سنة ١٨٤٠ — ١٨٥٥ (٢٠) N. Barozzi et G. Berchet : Le Relazioni degli stati Europei lette al Senato dagli Ambasciatori Veneziani nel secolo decimosettino. ، السلسلة الثالثة : Tuechia ، حـ ١ ، حـ ٢ ، البندقية ، سنة ١٨٦٦ — ١٨٧١ (٢١) E. Charrière : Négociations de La France dans le Levant ، في أربعة مجلدات ، باريس سنة ١٨٤٨ — ١٨٦٠ (٢٢) Belagerung und Eroberung von Constantinopel im Jahre 53 aus der Chronik von Zorzi Dolfin : طبعة G.M. Thomas ، ميونخ سنة ١٨٦٨ (٢٣) F. Babinger : Die Aufzeichungen des Genuesen Jacopo de Promontorio-de Campis ueber den Osmanenstaat um 1475 في SB Bayr. Ak., Phil.-Hist. سنة ١٩٥٦ ، كراسة ٨ ، ميونخ سنة ١٩٥٧ ؛ (٢٤) Donado da Lezze : Historia Turchesca (١٣٠٠—١٥١٤) طبعة I. Urso ، بخارست سنة ١٩٠٩ ، ص ١٤٠ وما بعدها (٢٥) G.A. Menavinso : I. Cinque Libri

، della Legge, Religione, et Vita de' Turchi, البندقية سنة ١٥٤٨ ، الكتاب الرابع ، الفصول ١٤ — ١٥ ، ص ١١٨ وما بعدها . (٢٦) Jacques de Bourbon : La grande et merveilleuse et très cruelle oppugnation de la noble cité de Rhodes، باريس سنة ١٥٢٦ . (٢٧) Viaggio et Impresa ... di Diu in India) منشور فى A. Manuzio : Viaggi fatti da Vinetia alla Tana, in Persia, in India, et in Constantinopli ، البندقية ، سنة ١٥٤٣ ، ص ١٥٩ ظهر ، ١٨٠ ظهر) . (٢٨) J. Maurand : Itinéraire à Constantinople (1544) طبعة L. Dorez ، باريس سنة ١٩٠١ . (٢٩) P. Giovio : Historiarum Sui Temporis Libri XLV ، لوتيتياى سنة ١٥٥٨ — ١٥٦٠ . (٣٠) Lopo de Sousa Coutinho : Do cerco de Diu, que os Turcos poseram à fortaliza de Diu ، قوعرة سنة ١٥٥٦ . (٣١) L. Collado : Pratica manual de Artilleria ، ميلانو سنة ١٥٩٢ (٣٢) Sir Thomas Sherley : Discours of the Truks طبعة E. Denison Ross فى Camden miscellany ، المجلد السادس عشر ، لندن سنة ١٩٣٦ م (٣٣) D. Ufano : Tratado de la Artilleria ، بروكسل سنة ١٦٢١ (٣٤) P. Sardi : L'Artiglieria ، البندقية سنة ١٦٢١ م (٣٥) Les voyages du Sieur du Loir ، باريس سنة ١٦٢٤ ، ص ٢٠١ و ٢٢٩ وما بعدها ، وفى مواضع مختلفة (٣٦) Levinus Warnerus : De Rebus Turcicis Epistolae Ineditae ، طبعة G.N. Du Rieu ، Lugduni Batavorum ، سنة ١٨٨٣

(٣٧) J. B. Scheither : Novissima Praxis Militaris ، برونشفيگ سنة ١٦٢٧ (٣٨) Memorie del Generale Principe di Montecuccoli ، كولونيا سنة ١٧٠٤ ، الكتاب الثالث Afforismi applicati alla Guerra possibile col Turco in Ungheria ، فى مواضع مختلفة (٣٩) P. Rycaut : The History of the present State of the Ottoman Empire ، لندن سنة ١٦٨٢ ، ص ٣٧٥—٣٧٧، ٣٨٣ ، ٤٠٢ (٤٠) L.F. Marsigli : Stato Militare dell'Imperio Ottomanno ، لاهاى وأمستردام سنة ١٧٣٢ ، جـ ١ ، الفصول ٢١ ، ٢٦ — ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٤ ؛ جـ ٢ ، الفصول ٨—١١، ٢٧ . (٤١) de Warnery : Remarques sur le militaire des Turcs et des Russes, ، برسلاو سنة ١٧٧١ . (٤٢) Mémoires du Baron de Tott sur les Turcs et les Tatares ، أمستردام سنة ١٧٨٤ ، مجلد ٢ ؛ جـ ٣ فى مواضع مختلفة . (٤٣) Hammer-Purgstall : Gesch. des Osman. Reich ، پشت سنة ١٨٢٨ — ١٨٣٥ ؛ و Des Osmanischen Reiches Staatsverfassung und Staatsverwaltung ، ڤينا سنة ١٨١٥ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٣٦ . (٤٤) N. Jorga : Geschichte des Osmanischen Reiches ، گوتا سنة ١٩٠٨—١٩١٣ . (٤٥) M. Jaehns : Handbuch einer Geschichte des Kriegswesens von der Urzeit bis zur Renaissance ، ليبسك سنة ١٨٨٠ ، (٤٦) R. Wille : Die Reisengeschuetze des Mittelalters und der Neuzeit ، برلين سنة ١٨٧٠ ؛ (٤٧) P. Horn : Das Heer-und Kriegswesen des Grossmoghuls ، ليدن سنة ١٨٩٤ .

(٤٨) J.R. Hale: *Armies, Navies and the Art of War* في *The New Cambridge Modern History*، المجلد الثانى (*The Reformation* 1520-1559)، كمبردج سنة ١٩٢٨، فصل ١٦، ص ٤٨١ — ٥٠٩؛ (٤٩) O. Laskowsky: *Infantry Tactics and Firing Power in the XVI Century* في *Teki Historyczne*، المجلد الرابع، لندن سنة ١٩٥٠، ص ١٠٦ — ١١٥؛ (٥٠) M. Robert: *The Military Revolution* 1560-1660، بلفاست سنة ١٩٥٦؛ *Gustavus Adolphus and the Art of War* في *Historical Studies*، جـ ١ (المؤتمر الأيرلندى الثانى للمؤرخين)، طبعة T. Desmond Williams، لندن سنة ١٩٥٨، ص ٦٩ — ٨٥ و *Gustavus Adolphus*، جـ ٢، لندن سنة ١٩٥٨، الفصل الثالث (جـ ١)، ص ١٦٩ — ١٨٩؛ (٥١) W. Bigge: *Der Kampf um Candia in den Jahren* 1667-1669 (*Kriegsgeschichtliche Einzelschriften*، المجلد الخامس، كراسة ٢٦، برلين سنة ١٨٩٩، ص ١١٣ — ٢٢٧)؛ (٥٢) A.B. de Bragança Periera: *Os Portugueses em Diu*، نوفا گوا سنة ١٩٣٨؛ (٥٣) E. von Frauenholz: *Lazarus von Schwendi*، همبورغ سنة ١٩٣٩؛ (٥٤) R. Anhegger: *Beitraege zur Geschichte des Bergaus im Osmanischen Reich*، *Istanbullar Schrifetn*، رقم ٢، ١٤، ١٤ ا، إستانبول سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٥؛ (٥٥) F. Braudel: *La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II*، باريس سنة ١٩٤٩؛ (٥٦) Garcin de Tassy: *Principes de Sagesse touchant l'art de gouverner* فى *Jour. As.*، جـ ٤، باريس سنة ١٨٢٤، ص ٢١٣ — ٢٢٦، ٢٨٣ — ٢٩٠. (٥٧) Thalloczy: *Eine Staatschrift des bosnischen Mohammedaners Molla Hassan Elkjâfi "ueber die Art und Weise des Regierens"* فى *Archiv fuer slavisch. Philologie*، المجلد الثانى والثلاثون، الكراسة الأولى، برلين سنة ١٩١٠، ص ١٣٩ — ١٥٨؛ (٥٨) Safvetbeg Bashagich: *Nizam ul Alem*، سراييفو سنة ١٩١٩، ص ١ — ١٧؛ (٥٩) *Das Heerwesen des Osmanischen Reichs, in unsere Tage*، جـ ٣، كراسة ٣٦، برونشفيگ سنة ١٨٦٢، ص ٥٧٧ — ٥٩٠؛ (٦٠) F.A. Abel: *On the Chemical Composition of the Great Cannon of Muhammed II, recently presented by the Sultan Abdul Aziz Khan to the British Government,* فى *The Chemical News* رقم ٤٥٧ (٤ سبتمبر سنة ١٨٦٨)، ص ١١١ — ١١٢. (٦١) J. H. Lefroy: *The Great Cannon of Muhammad II (A.D. 1464)* فى *Archaeological Journal*، رقم ١٠٠، لندن سنة ١٨٦٨، ص ٢٦١ — ٢٨٠؛ (٦٢) J.H. Lefroy: *An account of the Great Cannon of Muhammad II, in Minutes of Proceedings of the Royal Artillery Institution, Woolwich*، المجلد السادس (سنة ١٨٧٠)، ص ٢٠٣ — ٢٢٧؛ (٦٣) Ch. Foulkes: *The «Dardanelles» gun at the Tower*، فى *The Antiquaries Journal*، ١٠، لندن سنة ١٩٣٠، ص ٢١٧ — ٢٢٧؛ (٦٤) L. Fekete:

Az oszmânli-torok nyelv hodoltsâgkori Magyar في Magyar Nyelv Jövevényszavai، المجلد السادس والعشرون، بودابشت سنة ١٩٣٠، ص ٢٥٧ — ٢٦٥ ؛ (٦٥) L. Fekete : Die Siyaqat Schrift in der tuerkischen Finanzverwaltung (Bibliotheca Orientalis Hungarica VII)، ج ١، بودابشت سنة ١٩٥٥، ص ٥٧ — ٦٥، وفى مواضع مختلفه؛ ص ٦٩٢ — ٦٩٩ وفى مواضع مختلفة ؛ (٦٦) H. J. Kissling : Baljemez فى Zeitschr. der Deutschen Morgenl. Gesells. (Neue Folge = ج ١١٠، ٢٦)، فيسبادن سنة ١٩٥١، ص ٣٣٣ — ٣٤٠ ؛ (٦٧) D. Ayalon : Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom، لندن سنة ١٩٥٦ ؛ (٦٨) P. Wittek : The earliest References to the use of Firearms by the Ottomans (فى D. Ayalon، المصدر المذكور، ذيل ٢، ص ١٤١، ١٤٤) ؛ (٦٩) The Travels of John Sanderson in the Levant (1584 - 1602) طبعة Sir W. Forster (جمعية Hakluyt السلسلة الثانية، العدد السابع والستون) لندن سنة ١٩٣١ ؛ (٧٠) أحمد رفيق : أناطولى ده تورك عشيرتلرى (٩٦٦ — ١٢٠٠ هـ) إستانبول سنة ١٩٣٠، وعثمانلى دورنده توركيه معدنلرى (٩٦٧ — ١٢٠٠هـ) إستانبول ١٩٣١ (٧١) طلعت ممتاز يمان : كوره باقير معدننه دائر وثيقه لر، فى تاريخ وثيقه لرى ج ١ / ٤ (سنة ١٩٤١)، ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ؛ (٧٢) شريف بايغو : كيغى دمير معدنلرنده يابيلان طوپ گولله لرينك أوروپا سفرلرى إيچين أرضرومدن گوندرلرنسك عائد أوچ وثيقه فى تاريخ وثيقه لرى، مجلد ٢، ج ٢ (سنة ١٩٤٣)، ص ٣٣٥ — ٣٣٧. (٧٣) فوزى قورت أوغلى : خادم سليمان پاشانك مكتوبلرى وبلغرادك محاصره سى، فى بلتن، ج ٤، أنقره سنة ١٩٤٠، ص ٥٣ — ٨٧ ؛ (٧٤) أنور ضيا قارال : سليم الثالث أون خط همايونلرى، نظام جديد سنة ١٧٨٩ — ١٨٠٧ (تورك تاريخ قورومى يايبنلرندن، ج ٧، السلسلة ١٤)، أنقره سنة ١٩٤٦، ص ٤٣ — ٩٣، وفى مواضع مختلفة ؛ (٧٥) أوزون چارشيلى : صدر أعظم خليل حامد پاشا (فى، توركيات مجموعه سى، ج ٥ (سنة ١٩٣٥) إستانبول سنة ١٩٣٦، ص ٢١٣ — ٢٦٧. (٧٦) أوزون چارشيلى : عثمانلى دولتى تشكيلاتندن قاپى قولى أوجاقلرى (تورك تاريخ قورومى يايبنلرندن ج ٨، السلسلة، رقم ١٢)، أنقرة سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ؛ (٧٧) أوزون چارشيلى : عثمانلى دولتنك مركز وبحريه تشيكلاتى (تورك تاريخ قورومى يايبنلرندن، ج ٨، السلسلة رقم ١٦)، أنقرة سنة ١٩٤٨ ؛ (٧٨) سهيل أونور : دوردونجى سلطان مرادك أريوان سفرى قرونولوجيسى (سنة ١٠٤٤ — ١٠٤٥ هـ = ١٦٣٥ م.) فى بلتن، ج ١٦، أنقرة سنة ١٩٥٢، ص ٥٤٧ — ٥٧٦. (٧٩) خليل إينالجق : فاتح دورى أوزرنده تتقيقلر ووثيقه لر (تورك تاريخ قورومى يايبنلرندن، ج ١١، السلسلة رقم ٦) أنقرة سنة ١٩٥٤ ؛ (٨٠) خليل إينالجق (مقالة

Gunpowder and Firearms in the عن D. Ayalon *Mamluk Kingdom* ، لندن سنة ١٩٥٦) فى بلتن مجلد ٢١ ، أنقره سنة ١٩٥٧ ، ص ٥٠١ — ٥١٢ .

(٨١) ف، رشيد أونات : صدر أعظم كمانكش قره مصطفى پاشا لايحه سى فى وثيقه لرى ، مجلد ١ (سنة ١٩٤٢) ، ص ٤٥٧ — ٤٥٨ (٨٢) خ . إينالجق : سراى بوسنه شرعيه وثيقه لرسجللرينه گوره ويانه بوز گونيلدن صو گرالى حرب ييللاً رينده بوسنه فى تاريخ وثيقه لر ، حـ ٢ ، مجلد ٢ (سنة ١٩٤٣) ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧ ؛ (٨٣) أنور ضيا قارال : نظام جديد داير لايحه لر فى تاريخ وثيقه لر ٥ جـ ٢ (سنة ١٩٤٣) ، ص ٣٣٠—٣٥٦ حـ ١٢/٢ (سنة ١٩٤٣) ، ص ٤٢٤ — ٤٢٧ ، ٤٣٠—٤٣١(٨٤) طورغوداِيسيكسال: ٣نجى سليمگ تورك طوپچيلغينه دايرير خط هما يونى فى تاريخ درگيسى ، حـ ٨ / ١٢، إستانبول ١٩٥٦ ، ص ١٧٩ — ١٨٤ ؛ (٨٥) J. Redhouse : *A Turkish and English Lexicon*، الآستانة سنة ١٨٩٠ م . (٨٦) L. Lokotsch : *Etymologisches Wolrterbuch der europaischen Wolrter Orientalischen Ursprungs.* (٨٧) E. Blochet : *Catalogue des Manuscripts Turcs de la Bibliothèque Nationale*، المجلد الأول ، پاريس سنة ١٩٣٢ ، ص ٢٧٠—٢٧٢ (الملحق : أرقام ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧) ؛ (٨٨) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مواد جبه جي (أوزون چارشيلى) وأحمد پاشا (بونيڤال ، خبره باشى وقبره جى ، م . جاويد بايصون) .

(٨٩) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أحمد باشا بونيڤال (بقلم H.Bowen) .

[ف . ج : پارى V.J. Parry]

٥ — الصفويون

يتلبرج موضوع النظر فى استخدام الأسلحة النارية فى بلاد فارس أيام الصفويين تحت عنوانين: المدفعية (اسم جنس = توپ) ، والبنادق . ويستخدم المشاة والفرسان البنادق، وتشمل الأرقبوصات والبنادق القصيرة والقرابينات؛ وأطلق على الجميع بلا تمييز الاسم « تُفَنْگ » .

دخلت المدفعية بلاد فارس فى قول الرواية المأثورة للكتاب الأوربيين ، فى عهد الشاه عباس الأول ، على يد إنكليزيين من المرتزقة ، هما سير أنطونى شيرلى Sir Antony Sherely ، وأخوه سير روبرت شيرلى Sir Robert Sherely اللذان وصلا إلى قزوين فى ديسمبر عام ١٥٩٨ . وكان من بين جماعة سير أنطونى المكونة من ٢٦ شخصاً (Sir E. Denison (المحرر) : *Sir Antony Sherely and his Persian Adventure* ، لندن سنة ١٩٣٣، ص ١٣ ، تعليق٣) « سباك مدافع واحد على الأقل » (براون Browne ، حـ ٤ ، ص ١٠٥) ويذكر أبل پينسون Abel Pinçon ، وكيل سير أنطونى أنه لم يكن لدى الفرس فى ذلك الوقت أية مدفعية على الإطلاق (Denison Ross ، ص ١٦٣) ؛ ولكن ترجمانه أنجيلو Angelo يؤكد أن الشاه عباسا « كان لديه مدافع ، إذ استولى على بعضها من التتار ؛ وعلاوة على ذلك

فإنه لم يكن ينقصه صناع معلّمون يقومون بصنع مدافع جديدة ؛ فقد انقلب هؤلاء على الأتراك وولوا وجوههم شطر ملك بلاد فارس ليكونوا فى خدمته » (Denison Ross ، ص ٢٩) ، ويزعم پرتشاس Purchas الذى كتب سنة ١٦٢٤ أن هذا التقدم قد تم بإرشاد من الأخوين شيرلى : « إذ تعلم الفارسى الظافر فنون الحرب الشيرليانية وأصبح ذلك الذى لم يكن من قبل يعلم فائدة المدفع ، عنده ٥٠٠ مدفع من النحاس » (Denison Ross ص ٢١) ؛

ورغم هذا ، فهناك شواهد وافرة فى المصادر الأوروبية والفارسية جميعاً تدل على أن استخدام المدافع كان مألوفاً عند الفرس قبل زمن عباس الأول بوقت طويل ؛ ويقول السفير البندقى دالسّاندرى d'Allessandri ، الذى دخل فارس عام ١٥٧١ أن الأمير العثمانى بايزيد التجأ إلى الشاه طهماسپ سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٦ م) وقد جلب معه ثلاثين قطعة من المدافع (*A narrative of Italian Travels in the 15th and 16th centuries* ، لندن سنة ١٨٧٣ ، ص ٢٢٨) ؛ ويقرر هربرت (Herbert فى *A Rrelation of Some yeares Travaile etc.*، لندن سنة ١٦٣٤ ، ص ٢٩٨) « أن الفرس تعلموا المدافع على يد البرتغاليين المغلوبين على أمرهم » ؛ ويقول فيگويروا Figueroa إن المدفعية الفارسية كان يديرها أوربيون « وبخاصة البرتغاليون » (تذكرة الملوك ، ص ٣٧) ونحن نعلم أن البرتغاليين أمدوا طهماسپ سنة ٩٥٥ هـ (١٥٤٨) بعشرة آلاف رجل ، وعشرين مدفعاً ، فى الوقت الذى قام فيه السلطان العثمانى سليمان بغزوته الثانية على بلاد فارس (٩٥٥هـ = ١٥٤٨ ؛ *A chronicle of the Carmelites* ، جـ ١ ، ص ٢٩) ؛ ونجد فى التاريخ الإخبارى المعاصر لذلك « أحسن التواريخ » (طبعة C.N. Seddon ، بارودة سنة ١٩٣٨) دليلا مباشراً على أن الفرس كانوا يستخدمون المدافع حتى فى تاريخ أقدم من ذلك . فقد كان فى جيش الصفويين الذى حاصر دامغان سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩) أستاذ [أى معلم فى صنعته] شيخى المدفعى « طوپچى » (أحسن التواريخ ، ص ٢١٢) ؛ وفى معركة مدبرة دارت رحاها عقب ذلك فى السنة نفسها ضد الأزابكة قرب « مشهد » ، صفّ طهماسپ أمام جيشه العربات التى تحمل الـ « ضربزان » (والراجح أنه كان نوعاً من المدافع الخفيفة ؛ انظر المصطلح المملوكى « ضربزانة » ، وانظر D. Ayalon : *Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom* ، لندن سنة ١٩٥٦ ، ص ١٢٧ ، تعليق ٢٢٠) والـ « توپ فرنگى » (.A.T ، ص ٢١٤) ، ومع ذلك لم يستطع المدفعيون أو حملة البنادق (توپچيان وتفنگچيان) أن يستخدموا مدافعهم لأن الأزابكة لم يواجهوهم من الأمام (أحسن التواريخ ، ص ٢١٧) ؛ وفى سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨) دمرت قوات الصفويين المحاصرة أبراج قلعة بيقرد فى شيروان بنيران مدافعهم (أحسن التواريخ ، ص ٢٨٧) ؛ ونسمع فى سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩) للمرة الأولى عن « توپچى

باشى » (قائد عام المدفعية) مشتركاً فى قتال ضد أمرا قباد أمير آستارا المتمرد (أحسن التواريخ ص ٢٩٣) ، ومن يومها كثر استخدام الصفويين للمدفعية فى الحصار ، مثال ذلك ما فعلوه فى گلستان ودربند سنة ٩٥٤ هـ (١٥٤٧ — ١٥٤٨ ؛ انظر أحسن التواريخ ، ص ٣٢١ — ٣٢٢) . وفى حصار كيش القرية من شكّى (سنة ٩٥٨ هـ ١٥٥١ — ١٥٥٢) استعمل الصفويون مدافع إفرنجية (توپ فرنگى) ، علاوة على نوع من المدافع يقال له « بادليج » (انظر P. Horn : *Das Heer, und Kriegswesen des Grossmughuls,* ليدن سنة ١٨٩٤ ، ص ٢٩) ومدافع الهاون (قَزَقان) التى يرد ذكرها للمرة الأولى ، فدمروا أبراج الحصن بعد ضربها بالقنابل عشرين يوماً (أحسن التواريخ ، ص ٣٢٠) .

وواضح من ثم أن القول بأن الأخوين شيرلى أدخلا المدفعية فى بلاد فارس هو زعم لا يقوم مطلقاً على أساس . وحقيقة القول أن المدفعية كانت مستعملة بانتظام فى تاريخ سابق على سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩) ، أى فى غضون سنوات قليلة من اعتلاء طهماسب العرش ، وبعد خمس عشرة سنة من هزيمة الصفويين فى چالدران (انظر هذه المادة) ، وهى هزيمة كان لمدفعية الجيش العثمانى فيها ضلع كبير . ومع ذلك فإن من الواجب أن نؤكد أن الصفويين ، حتى قبل چالدران ، كانوا على معرفة باستخدام المدفعية ، وأن افتقارهم من ثم إلى المدافع فى چالدران إنما يعزى إلى سياسة مقصودة أريد بها عدم التوسع فى استخدام الأسلحة النارية فى الجيش الفارسى ، ذلك أن الفرس كانوا يمقتون الأسلحة النارية بفطرتهم ، ويرون فى استخدامها عملا ينطوى على فقدان الرجولة والجبن (نصر الله فلسفى : جنگ چالدران فى مجلهٔ دانشكدهٔ أدبيات طهران ، جـ ٢/١ ، ص ٩٣ ، سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٤) ويمقتون المدفعية بنوع أخص لأنها تعوق المناورات السريعة لفرسانهم (تذكرة الملوك ، ص ٣٣) . والغريب فى أمر الصفويين هؤلاء أنهم ، رغم الشواهد الكثيرة التى أوردناها عن استعمالهم المدفعية فى الحصار ، لم يبذلوا فيما يظهر مجهوداً يذكر فى سبيل مباراة العثمانيين فى استخدام المدافع فى الميدان . ففى وقعة مشهد ، سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩ م ؛ انظر ما سلف) ، وهى المناسبة الوحيدة التى سجلت فيها المصادر بالذات استخدام طهماسب المدفعية فى الميدان ، كان جمود المدفعية عن الحركة هو الذى جعلها عديمة الأثر . ولم نعد نسمع بعد ذلك شيئاً عن مدفعية الميدان حتى زمن عباس الأول ، وحتى فى زمن عباس الأول كان عمل المدفعية مقصوراً فى معظمه على الحصار (انظر نصر الله فلسفى : زندگانىء شاه عباس أول ، جـ ٢ ، طهران سنة ١٣٣٤ شمسية = ١٩٥٥ ، ص ٤٠٣) .

والظاهر أن الصفويين فى استعمالهم المدفعية ، كما فى كثير غيرها ، كانوا يتأثرون خطى أسلافهم الآق قويونلى ، فقبل قيام الصفويين بزمن طويل كان الآق قويونلى من حكام ديار بكر وآذربيجان ،

قد سعوا فى تجهيز جيوشهم بالمدفعية ، فأرسل البنادقة إلى أوزون حسن (المتوفى سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٨ م) ، مائة من رجال المدفعيـــة المحنكين الأكفاء ، فسيّرهم من فورهم إلى بلاد فارس ، إذ كانت الجيوش الفارسية تعانى الأمرين من نقص المدافع لديها ، فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش التركية فى آسية — من ناحية أخرى — مجهزة أحسن تجهيز بهذا السلاح ، وكانوا يستطيعون أن يُلحقوا أضراراً فادحة فى أى هجوم لهم به » (Don Juan of Persia : طبعة وترجمة G. Le Strange ، لندن سنة ١٩٢٦ ، ص ٩٨) ؛ وعندما ضربت قوة من الصفويين قوامها ١٠,٠٠٠ رجل بقيادة محمد بگ إستاجلو الحصار على حصن « كيفا » فى ديار بكر حوالى سنة ٩١٣ هـ (١٥٠٧) استخدموا : « مدفع هاون من البرونز ، طول ماسورته أربعة أشبار ، جلبوه من ميرْدِن (ماردين) ، وكان مسبوكاً فيها أيام السلطان يعقوب الأق قويونلى المتوفى سنة ٨٢٦ هـ = ١٤٩٠ وبأمره ، وكان لدى كستا گيالو (محمد بگ إستاجلو) مدفع هاون آخر أكبر من الأول ، صبه له شاب أرمنى من قطعة واحدة على الطريقة التركية ، وكانت قاعدته نصف مجموع طوله ، وعياره عند الفوهة خمسة أشبار » (Narrative of Italian travels in Persia ، ص ١٥٣) ، وفى نفس هذا الوقت بالتقريب ، (والراجح أن ذلك كان سنة ٩١٢ هـ = ١٥٠٦ — ١٥٠٧) أنفذ إسماعيل قوة من ١٠,٠٠٠ رجل بقيادة بيرام بگ (قره مانلى) لمحاصرة « وان » ، وكان بيرام بگ « يمتلك مدفعين متوسطى الحجم كانا فى معسكره ، وبدأ يضرب القلعة ، ولم يلحق بها ضرراً ، إذ كانت جدرانها منيعة كل المناعة ، ورجال المدفعية أقل دربة من أن ينالوا منها منالا ، غير أنهم أفلحوا بعد حصار دام ثلاثة أشهر فى إصابة مورد الماء فيها فسقطت القلعة بعد ذلك تحت رحمتهم (A Narrative of Italian Travels in Persia ، ص ١٦٠ — ١٦٣) ؛ ويقال إن إسماعيل غنم أربعة مدافع من الأزابكة فى انتصاره العظيم عليهم عنـــد مَرْو سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠م ؛ جميل قُوزانلو : تاريخ نظامىُ إيران ، مجلد ١ ، طهـــران ١٣١٥ شمسية = ١٩٣٦ ، ص ٣٧٢ ، ولم يذكر سند لهذا الخبر) ، ومن ثم يبدو لنا من الشواهد التى بين أيدينا ، أن الصفويين استخدموا المدافع فى العقد الأول من سنى حكم إسماعيل الأول ، ومع ذلك فإن عدد المدافع التى تيسرت لهم كان قليلا ، وكان رجال مدفعيتهم بعدُ أغماراً ، وقد نسب إلى سير أنطونى شيرلى الفضل فى تشكيل فرقة من حملة البنادق أنشأها الشاه عباس الأول ، ويقول السائح پيترو ديلا Pietro della Valle فى خطاب له مؤرخ فى ٢٢ أبريل سنة ١٦١٩ « إن الشاه عباسا الأول أنشأ هذه الفرقة من حملة البنادق ، منذ بضع سنين ، عملا بمشورة سير أنطونى شيرلى (تذكرة الملوك : ص ٣١) ، ومع هذا فقد قرر أنجيلو ترجمان سير أنطونى فى رومة يوم ٢٨ نوفبر سنة ١٥٩٩ ، أنه كان فى استطاعة الشاه عباس الأول أن يجهز بالخيل مائة ألف جندى مسلحين بالقسى :

والسهام والسيوف العراض ؛ وذلك علاوة على الخمسين ألف جندى من حملة الأرقبوصات الذين كانوا تحت يده : « وكان الشاه فى وقت من الأوقات لا يستخدم حملة الأرقبوصات ، غير أنهم أصبحوا بعدُ موضع اغتباطه » (Denison Ross : ص ٢٩) ؛ وغادرت رُفقة سير أنطونى إصفهانَ حوالى أول مايو سنة ١٥٩٩ (انظر Denison Ross : ص ٢٢) ؛ ومن المستبعد فيما يبدو أن يكون فى الإمكان تشكيل فرقة قوامها خمسون ألف مقاتل فى غضون الخمسة الأشهر التى قضاها سير أنطونى فى القصبة الفارسية ؛ ولم يدَّع أحد من رُفقة سير سير أنطوانى العديدين ، الذين خلفوا وصفاً لرحلته ، أن سير أنطونى كان مسئولا عن تشكيل هذه الفرقة ، ويذكر سير أنطونى نفسه فى معرض وصفه لرحلته إلى بلاد الفرس (مشيراً إلى النصر الذى أحرزه عباس الأول على الأزابكة بخراسان فى التاسع من المحرم عام ١٠٠٧ هـ = ١٢ من أغسطس ١٥٩٨) أن « الشاه أخذ معه إلى ميدان القتال ثلاثين ألف رجل ، منهم اثنا عشر ألف رجل يحملون البنادق Harquebusiers وهى ذات ماسورة أطول بنصف قدم من بنادقنا ، وقد صنعت فى غير إحكام ولكنهم كانوا يستعملونها استعمالا فيه جودة وتمكن » (*Purchas His Pilgrimez* ، حـ ٨ ، لندن سنة ١٩٠٥ ، ص ٤٠٩ — ٤١٠) .

وبصرف النظر عما ورد فى شهادة سير أنطونى عن وجود قوة كبيرة ذات كفاية فى الجيش من حملة البنادق ، قبل حضوره إلى بلاد فارس ، فإن ثمة دليلا قاطعاً فى المصادر الأوروبية والفارسية على أن الجنود الفرس كانوا مجهزين ببنادق برعوا فى استعمالها قبل أيام عباس الأول ، ويقرر « مانوارينگ » Manwaring ، أحد مرافقى سير أنطونى صراحة أن الفرس كانوا بالفعل : « على خبرة عظيمة بمدافعهم وبنادقهم ؛ صحيح أن بعض الناس قد كتبوا أخيراً قائلين بأن الفرس لم يكونوا يستخدمون الأسلحة النارية قبل مجيئنا ، إلا أن الأمر يقتضينى أن أثنى الثناء الجم عليهم ، إذ لم أر فى حياتى قط ماسورة بندقية كالتى رأيتها هناك ، وكان للملك قريبا كل القرب من بلاطه فى إصفهان ما ينوف على مائتى رجل يشتغلون فى المدافع والقسى والسهام والسيوف والأهداف ، ولا عمل لهم سوى ذلك » (Denison ، ص ٢٢٢) . بل حتى قبل ذلك (حوالى سنة ١٥٧١) نجد فى الوصف القيم الذى كتبه ألسّاندرى أن « سلاحهم السيف والرمح والأرقبوصة التى يستطيعون جميعاً استعمالها ؛ وهو أيضاً سلاح أرق ، وسقيه أجود من غيره فى أية دولة أخرى ؛ وطول ماسورة الأرقبوصة ستة أشبار غالباً (*A Chronicle of the Carmelites in Persia* ، لندن سنة ١٩٣٩ ، حـ ١ ، ص ٣٥ ؛ وفيه يقدر الطول بسبع قبضات يد = ١,٧٥ متراً ؛ وفى هذه الترجمة للمتن خطأ واضح حدث عفواً) وزنة طلقتها أقل قليلا من ثلاث أوقيات ، ويستعملونها بسهولة بحيث لاتعوقهم لا فى سحب أقواسهم ولا فى استعمال سيوفهم » ، ويبقى السيف معلقاً فى السرج مع أقواسهم حتى

تدعو إليه الحاجة : وتُحمل الأرقبوصة على الظهر ، وهكذا لا يعوق سلاح سلاحاً » (*A Narrative of Italian Travels in Persia* ، ص ٢٢٧) ؛ ويقرر هربرت Herbert (المصدر المذكور ، ص ٢٩٨) أن الفرس كانوا يستعملون البنادق القصيرة « منذ أعان البرتغاليون الملك طهماسپ ببعض الجنود المساعدين المسيحيين فى حربه ضد الأتراك (الراجح أن ذلك وقع سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨) حتى أصبحوا بعدُ (عام ١٦٢٧) رماة مهرة » : وفى التاريخ الفارسى الإخبارى المعاصر (أحسن التواريخ) شاهد مباشر على أن البنادق (تفنگ) كانت مستعملة فى الجيش الفارسى حتى قبل وفاة إسماعيل الأول : ففى عام ٩٢٧ هـ (١٥٢٠ — ١٥٢١) ردت فصيلة من الحامية الصفوية فى هراة جنود عُبيد خان أوزبك على أعقابهم ، بالسهام والبنادق (تير وتفنگ ؛ أحسن التواريخ ، ص ١٧١) ، وهذه أول إشارة إلى البنادق فى هذا التاريخ الإخبارى ، ثم كثر ذكرها بعد ذلك : وفى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ — ١٥٢٤) وهى السنة التى مات فيها الشاه إسماعيل ، وارتقى شاه طهماسپ العرش ، كان فى حامية الجيش الصفوى فى هراة فريق من المشاة المسلحين بالبنادق (پياده گان تفنگ أنداز) ، وأشير إلى عمليتين حربيتين موفقتين ضد الأوزبك ، استخدمت فيهما البنادق (أحسن التواريخ ، ص ١٨٦) . وحدث سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ — ١٥٢٨) ، فى حصار الأزابكة لهراة الذى دام أربعة أشهر أن لقى يارى بگ ، أمير أمراء الأزابكة ، مصرعه برصاصة أطلقها عليه أحد المدافعين من بندقية (أحسن التواريخ ، ص ٢٠٦) ؛ وفى سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩ م) قاد طهماسپ بنفسه جيشاً إلى خراسان ضد الأزابكة ، وألقى الحصار على دامغان ، وكان ضمن قواته جماعة من تفنگچية روملو (أحسن التواريخ ، ص ٢١٢) ؛ وبعد ذلك بأشهر قلائل حاصر الأزابكة مشهد ، وكان حملة البنادق (تُفنگچيان) جزءاً من الحامية الصفوية (أحسن التواريخ ، ص ٢٢١) ؛ وبينما يقدم كتاب « أحسن التواريخ » ، على هذا النحو أدلة إيجابية على استخدام البنادق فى الجيش الفارسى فى تاريخ متقدم يرجع إلى سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢٠ — ١٥٢١) فإن هناك دليلا قوياً (فى *A Narrative of Italian Travels in Persia,*) على أنها كانت فى واقع الأمر مستعملة حتى قبل وقعة چالدران ؛ ووردت إشارة عن المدافع فى وصف حصار القوات الصفوية لحصن كيفا ، وهذه الإشارة لا تدل فى سياق الكلام إلا على « البنادق . » « وقد أخبرنا أيضاً بأن المدافعين كانوا يملكون ثلاثا أو أربع بنادق من طراز « أزمى » ، أى من طراز عجمى ، أى فارسى ، ولهذا الطراز من البنادق ماسورة صغيرة يُربط « على نصابها جهاز فى حجم الأرقبوصة الجيدة » وكان هذا الطراز بعيد المدى (المصدر المذكور ، ص ١٥٣) .

ومن ثم يتضح أن الزعم بأن الأخوين شيرلى كانا أول من فكر فى إنشاء فرقة من حملة البنادق لا يمكن أن يكون صحيحاً ، إذا كان له سند من

التاريخ على الإطلاق ، إلا بمعنى أن الشاه عباسا الأول كان هو أول من أنشأ فرقة نظامية من حملة البنادق ، أصبحت جزءًا من الجيش العامل ، يصرف عليها من الإيرادات « الخاصة » ، وذلك مقابل الوحدات الموجودة منذ عهد إسماعيل الأول وطهماسب التي كان مثلها مثل سائر وحدات الجيش الفارسي وقتذاك ، جندت فيما يرجح على أساس قبلي ، وكان ينفق عليها من « ديوان ممالك » .

ومع ذلك فمما لاشك فيه أنه كان لنصيحة الأخوين شيرلي فائدة جليلة للشاه عباس الأول ، الذي كان يقدر سر روبرت شيرلي تقديراً عظيماً ، حتى إنه عين روبرت بعد سفره « القائد العام ضد الأتراك » (G.N. Curzon : *Persia and the Persian Question* ، لندن سنة ١٨٩٢ ، حـ ١ ، ص ٥٧٤) ؛ ولم يكتف الشاه عباس بفرقة حملة البنادق (تفنگچيان) التي بلغت عدتها ١٢,٠٠٠ رجل (Chardin : *Voyages du Chevalier Chardin en Perse,* ، طبعة Langlis ، باريس سنة ١٨١١ ، حـ ٥ ، ص ٣٠٥) استقر العزم على أن يكونوا مشاة ، ثم زودوا شيئاً فشيئاً بالخيل ، بل أنشأ الشاه عباس أيضاً فرقتين أخريين لتكونا جزءًا من الجيش العامل ، وهما المدفعية (توپچيان) ، وعدتها ١٢,٠٠٠ رجل (Chardin : حـ ٥ ، ص ٣١٢ — ٣١٣) ، والعبيد (قولر ، غلامان خاصه شريفه) ، وهي كتيبة من الفرسان ، مجندين من بلاد الكرج وبلاد الچركس ، ومسلحين بالبنادق فيما سلحوا به ، ويتراوح عددهم بين ١٠,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ رجل (تذكرة الملوك : ص ٣٣) ؛ وكان الجيش الصفوي أقوى ما يكون في عهد عباس الأول ، ثم نقص عدده أيام خلفه « صفي » المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ (١٦٤٢) ثم ازداد نقصاناً أيام عباس الثاني المتوفى عام ١٠٣٧ هـ (١٦٦٦) ، الذي اتخذ خطوة تخرج عن المعقول بإلغائه سلاح المدفعية ، إذ لما مات توپچي باشي حسين قُلي خان سنة ١٦٥٥ ، لم يعين خلفاً له (Chardin : حـ ٥ ص ٣١٢ — ٣١٣) ؛ ولم تظهر المدفعية على مسرح الحوادث بعد ذلك فيما يبدو حتى حل عهد الشاه سلطان حسين (١١٠٥ — ١١٣٥ هـ = ١٦٦٤ — ١٧٢٢ ؛ انظر تذكرة الملوك : ص ٣٣) ؛ وفي وقعة گلناباد ضد الأفغان (٨ من مارس ١٧٢٢) كان لدى الفرس ٢٤ مدفعاً تحت إمرة توپچي باشي أحمد خان ، وإشراف رئيس المدفعية الفرنسي فيليپ كولومب Philippe Colombe (L. Lockhart : *The fall of the Safavi dynasty and the Afghan Occupation of Persia.* ، لندن سنة ١٩٥٨ ، ص ١٣٥ ، وهو يستشهد بملاحظات كروسينسكي Krusinski المقنعة عن عجز التوپچي باشي) ، واجتاح الأفغانيون المدفعية في تقدمهم ، ولقي توپچي باشي وفيليپ كولومب مصرعهما في المعركة (المصدر المذكور ، ص ١٤٣) ؛ وليس من المبالغة أن نذكر أن الصفويين لم يستخدموا مدفعيتهم في الميدان أي استخدام مجد قط .

[R.M. Savory سافوري] عبد القادر

المصادر :

وردت في صلب المادة .

٦ — الهند

استعمل المسلمون فى الهند سائل النفط (Naphta)، استعمله محمد بن القاسم ضد راجا داهر عام ٩٣ هـ (٧١١م)؛ وكانت «تير آتشين» أى السهام المشتعلة هى أبسط ما استعمله الحكام المسلمون الهنود من مقذوفات نارية فى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)، ووضعت إدارة «آتش بازى» تحت رياسة «مير آتش»؛ والقول الذى يقول به فرشته من أن السلطان محموداً الغزنوى استعمل المدفع (توپ) والبندقية (تفنگ) ضد أناندپال قرب پشاور سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٨) ليس مفارقة واضحة، ومن الجائز مع ذلك أن فرشته كان يعنى بقوله هذا استعمال السلطان محمود للقذيفة التى تحمل النفط (قارورة نفط) وهى سلاح ذكره فرشته فى موضع آخر عند كلامه عن غزوة للسلطان محمود قام فى الهند؛ وملح البارود عنصر فى تركيب البارود شائع الوجود فى الهند؛ وتحتاج عبارة «كُشْك أنجير» التى ذكرت فى المخطوطين اللذين ينتميان إلى القرن الثالث عشر الميلادى، وهما فى «آداب الملوك» (ورقة ١١٨ب) و «تاج المآثر» (ورقة ٣ أ) إلى تمحيص دقيق؛ ويفسر هذه العبارة «فرهنگ شرفنامه أحمد منيارى» (صنف سنة ٨٧٥ هـ = ١٤٨٠م) بقوله إنها «خرّامة» أو آلة لرمى الحجارة، أو جُلَّة (كرة) تندفع بقوة تمدد مواد متفجرة»؛ ويفسرها ستاينگاس Steingass بقوله إنها مدفع أو كرة مدفع. أما كتاب «باهار عجم» فهى عنده آلة حرب تعمل بالبارود؛ وقد يبدو من ذلك أن آلة تقذف كرات بقوة مواد متفجرة قد استعملت فى الهند قبيل سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠). ولا يمكن أن يؤخذ مما ذكره كل من برنى وأمير خسرو أن لفظ «سنگ مغربى» أى حجر المغرب، المستعمل أيام علاء الدين الخلجى (٦٩٥–٧١٥ هـ = ١٢٩٦ – ١٣١٦ م) معناه المدفع، فهذه الآلة الجديدة مستعارة من أسبانيا وشمالى إفريقية. وهى بلاد يسميها العرب فى لغتهم «المغرب»؛ ويستعملها المحاصرون بوجه عام فى دك الحصون. ولم يذكر فى وضوح كيفية قذف الحجارة، ولكن الشئ المؤكد أنها كانت تنطلق بالقوة المتولدة عن البارود؛

ومن العسير كل العسر أن نكشف عن الطبيعة الحقة للأسلحة النارية التى استعملت فى الهند فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) أو فى مستهل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)؛ فالمصطلح آتش بازى (الصواريخ) يحتمل تأويلين: ألعاب النار والمدفعية، وهذا ما يسبب الالتباس فى فهم الفقرات التى ورد فيها؛ ومع هذا، فقد ذكر أن «توپ» و «تفنگ» كانا كثيرى الاستعمال منذ منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)؛ وعندما قام السلطان محمود لحرب تيمور عند دلهى عام ٨٠٠ هـ (١٣٩٨)، كانت فيلة السلطان تحمل هوادج بها «رعد أنداز» أى قاذفات القنابل اليدوية، وال «تخش أنداز» أى قاذفات الصواريخ؛ وتحسنت المدفعية أيام أسرة لودى (٨٥٥–٩٣٢ هـ/

١٤٥١ — ١٥٢٦ م) ؛ فقد استخدم إبراهيم لودى التوپ (المدفع) والضربزان (الهاون) فى قتاله بابُر فى وقعة پانيپت ، سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦) .

وأصبح استعمال المدفع شائعاً جداً فى الدكن منذ منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، ومستهل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . والسبب الأول فى ذلك هو اتصال ولايات الدكن من جهة البحر ببلاد العرب وإيران وتركية ، ومن هذه البلاد كانوا يحصلون على المدافع والمهندسين . ويسجل فرشته أن السلطان محمود شاه بهمنى أقام مصنعاً للأسلحة النارية عام ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وكان أول من فعل ذلك من حكام الدكن المسلمين . وأغرق السلطان محمود بايقرا بمدافعه ، وبمساعدة رجال مدفعيته الأتراك ، سفينة برتغالية كبيرة تجاه « ديو » فى سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) . وبزَّ بهادرشاه ، صاحب گجرات، معاصريه فى المدفعية . وصب له رئيس مدفعيته « رومى خان » الكثير من المدافع . وكان من أسباب انتصار بهادُر على البرتغاليين تفوقه فى المدفعية ، ويتضح من كل هذه الحقائق أن المدافع استعملت فى الهند قبل أن يستعملها بابُر عند پانيپت سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) بزمن طويل .

ووجه المغل كثيراً من اهتمامهم نحو فن المدافع ، وكان لدى بابُر عدد محدود من المدافع الثقيلة عند پانيپت ، وهو قد استعمل الألفاظ « دغ » و « فرنگى » و « ضربزان » ولكنه لم يبين أعدادها .

وقد جرى على « ربط مدافعه بعضها إلى بعض بجلود الثيران المجدولة على طريقة الروم » . وكان مدفع بابُر يستطيع أن يطلق ما بين ٨ — ١٦ طلقة فى اليوم فقط ، وكان مدى قذيفته بعد تحسينه ١٦٠٠ ستريك Striks : وشاع استعمال الصواريخ فى الهند بعد عام ٩٤٧ هـ (١٥٤٠) . وكانت بنادق أكبر (٩٦٣ — ١٠١٤ هـ = ١٥٥٦ — ١٦٠٥) ذات الزناد على نوعين : نوع طول ماسورته ٦٦ بوصة وآخر طولها ٤١ بوصة ، وكانت تصنع من طرائق من الصلب يلف طرفاها ويلحم أحدهما بالآخر . ولا يمكن أن يستعمل أطول السلاحين إلا رجل واقف على قدميه . وكان ديك الصوانة غير معروف كثيراً عند المغل . وكانت المدافع أعظم إتقاناً وأكثر عدداً أيام أورنگزب (١٠٦٨ — ١١١٨ هـ / ١٦٥٨ — ١٧٠٧) . وهو الذى استخدم الأتراك والعرب والبرتغاليين والهولنديين، علاوة على الهنود . وكان عنده مهندس مدفعية هولندى ، بقى فى خدمته ست عشرة سنة ثم عاد إلى وطنه سنة ١٠٧٧ هـ (١٦٦٧) .

واستعمل كل من المغل وأهل الدكن المدافع الثقيلة ، فقد صنع مدفع « هفت گازى » فى بيدار سنة ٩٧٧ هـ (١٥٧٠ م) . وكان طوله ٣١ قدماً . وصنع مدفع « ملك ميدان » سنة ٩٥٧ هـ (١٥٤٩) ، أمر بصنعه برهان نظام شاه من سبيكة من ٨٠,٤٢٧ جزءاً من النحاس و١٩,٥٣ جزءاً من القصدير ، ويزن ٤٠٠ مونداً (وزن من الذهب فى الهند يختلف مقداره باختلاف

المواطن) ؛ وكانت فوهته من السعة بحيث يجلس فيها الرجل ويتحرك فى كل ناحية بسهولة ؛ وتزن قذيفته من الحديد عشرة مونلدات (العيار الأكبرى)، وكان مدفع «قلعه — كُشا» الذى استعمله دارا سنة ١٠٦٨ هـ (١٦٥٨ م) فى «سامكره» مصنوعاً من ٨٠٪ من القصدير، وطوله ٢٥ قدماً. وحدث أثناء النزاع على العرش بين أبناء بهادُر شاه، سنة ١١٠٣ هـ (١٧١٢)، أن نقلت ثلاثة مدافع كبيرة من قلعة لاهور، وكان يجر كل مدفع ٢٥٠ ثوراً يساندها خمسة أو ستة أفيال ؛ ومع ذلك فقد اقتضى وصولها إلى المعسكر عشرة أيام مسافة لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة أميال.

وكانت «توپخانه زره» أو «توپخانه جمبشى» مدافع خفيفة أو متحركة ؛ وكان «الگجنال» أو «المثنال» يطلق من فوق ظهور الفيلة. «وشُتُرنال» و «شاهين» اسمان لسلاح واحد، وهو مدفع صغير متحرك، وكان «الزَمبورك» كما يذكر برَنى، «مدفعاً صغيراً للميدان فى حجم بندقية مزدوجة» يرمى بكرات زنة رطلين أو أو ثلاثة أرطال ؛ وكانت الـ «ذماكَه» والـ «زهقاله» مدفعى ميدان خفيفين ؛ وكان لمدفع «الأرغون» ست وثلاثون ماسورة متجمعة بحيث تنطلق قذائفها معاً فى وقت واحد ؛ أما القدارات ذوات الخزن الأربع فلم يستعملها غير النبلاء دون سواهم.

المصادر :

(١) فخر مُدَبِّر : آداب الملوك، مكتبة وزارة الهند، ص ٦٤٧ ؛ (٢) على بن حميد : چچ نامه، *B.M. Or.* سنة ١٧٨٧ ؛ (٣) حسين نظامى : تاج المآثر، *S.O.A.S.* لندن، مخطوط رقم ١٨٩٦٧ ؛ (٤) أمير خسرو : خزائن الفتوح، عليگره سنة ١٩٢٧ ؛ (٥) برَنى : تاريخ فيروز شاهى : المكتبة الهندية، كلكته سنة ١٨٦٢ ؛ (٦) على يزدى : ظفرنامه *B.M. Add.* رقم ٢٥٠٢٤ ؛ (٧) ظهر الدين بابر : توزك بابرى، *B.M. Add.* رقم ٢٤٤١٦ ؛ (٨) أبو الفضل : أكبر نامه، مجلد ٢، كلكته سنة ١٨٧٩ ؛ (٩) فيرشته، مكتبة وزارة الهند، ١٢٥١ ؛ (١٠) عبد الحميد لاهورى : پادشاهنامه، كلكتة، سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ ؛ (١١) محمد ساقى : مآثرى عالمگيرى، المكتبة الهندية، سنة ١٨٧١ ؛ (١٢) Sir Henry Eliot : *Bibliographical Index to the Histories of Mohammadan India*، مجلد ١، كلكتة سنة ١٨٤٩ : ص ٣٤٠—٣٥٩ ؛ (١٣) *Encyclopaedia Britannica* : الطبعة الحادية عشرة، حرف (G) ص ٤ ؛ (١٤) W. Irvine : *The Army of the Indian Moghuls*، لندن سنة ١٩٠٣، ص ١١٣—١٥٠ ؛ (١٥) *Journal of Indian History*، ١٩٣٧، ص ١٨٥ — ١٨٨ ؛ (١٦) *Islamic Culture* : مجلد ٧، سنة ١٩٣٨، ص ٤٠٥ — ٤١٨.

عبد القادر (يار محمد خان Yar Mohammad Khan)

+ «البارودي»، محمود سامى : مصرى ورجل دولة، ولد فى ٢٧ رجب سنة ١٢٥٥ هـ (٦ أكتوبر سنة ١٨٣٩) وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩٠٤) ؛ وتَرِدُ نسبته إلى نورروز

الأتابكي الملكي الأشرفي أخي برسباى المتوفى سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨) ، والبارودى نسبة إلى بليدة من أعمال البحيرة فى مصر السفلى تدعى إيتاى البارود .

وفقد محمود سامى أباه ، الذى كان وقتذاك موظفاً فى دنقلة ، فى سن السابعة ، ولما أتم دراسته الابتدائية التحق سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥١) بالمدرسة الحربية فى القاهرة أيام الخديو عباس الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) وتخرج فيها سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥) برتبة « باشجاويش » فى أوائل عهد سعيد الأول (١٨٥٤ — ١٨٦٣) .

وقد نما ذوقه الشعرى من هذا الوقت فصاعدا . واستطاع بفضل قــراءاته ودراساته الشخصية واتصالاته برجال الأدب والشعراء فى عصره أن يصبح من أئمة النهضة الأدبية فى مصر على الرغم من أن واجباته العسكرية وهو ضابط كانت تستغرق معظم وقته ، وقد بدا له أن الرجوع إلى مصادر الشعر الحقة ، ونعنى بذلك فحول شعراء الجاهلية بعامة ، وأكابر الشعراء العباسيين بخاصة ، أمر لا غنى عنه ، ولكنه أراد أيضاً أن يكون منتمياً لعصره ، ومن ثم لم يترك فرصة إلا اغتنمها لتوسيع دائرة معرفته فى ميادين الأدب مبتدئاً بالأدبين التركى والفارسى ثم بالأدبين الفرنسى والإنكليزى . وعاش البارودى ردحاً من الزمن فى الآستانة بوصفه سكرتيراً للشئون الخارجية المصرية ، ولما زار الخديوى إسماعيل قصبة آل عثمان لفت البارودى نظر الخديوى الجديد إليه ، وكان إسماعيل قد خلف

وشيكاً الخديوى سعيدا (١٢٧٩ هـ = ١٨٦٣) ومن ثم التحق البارودى بالهيئة العسكرية للخديوى المصرى ، ورقى إلى رتبة البكباشى فى المحرم من سنة ١٢٨٠ (يوليـــة سنة ١٨٦٣) وتولى قيادة الحرس الخديوى ، وكان البارودى عضواً فى البعثة العسكرية التى أوفدت إلى كامب ده شالون Camp de Chalons بفرنسا ثم إلى لندن ، ولما عاد من البعثة سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤) رقى إلى رتبة « قائمقام » للكتيبة الثالثة من الحرس ثم رقى بعيد ذلك إلى رتبة أمير آلاى بالكتيبة الرابعة لهذا الحرس .

واشترك البارودى فى حرب إقريطش سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥) وأبلى فيها بلاء حسنا فكوفئ بمنحه « الوسام العثمانى » من الطبقة الرابعة ، واحتفظ إسماعيل — الذى أصبح خديويا منذ سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦) — بالبارودى على رأس حرسه ، ثم عينه بعد ذلك سكرتيرا خاصا له وأوفده إلى الآستانة أثناء الحرب الصربية البلغارية ليؤدى مهام دبلوماسية شتى ، وأثبت البارودى أيام الحرب الروسية سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧) أنه ضابط لامع مقدام ، فرقى إلى رتبة اللواء ، وانشغل منذ عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ — ١٨٨٢) بإعادة تنظيم أركان الحرب المصرية فى ظل الخديوى توفيق الذى كان قد خلف إسماعيل سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) . وفى هذه الأثناء عين وزيرا للأوقاف ، وحاول وهو يلى هذه الوزارة أن يخلص الأملاك الموقوفة من الشوائب التى رانت عليها وأنفق المبالغ التى

استخلصها بذلك فى إقامة المرافق العامة من مساجد ومساكن . وبدأ ينشئ المكتبة الخديوية واقترح إنشاء متحف للفنون الجميلة .

ورقى البارودى إلى رتبة فريق ومنح النشان المجيدى ؛ وعين سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) وزيرا للحربية ووزيرا للأوقاف ، فألفى نفسه مضطرا إلى المشاركة فى الحركة القومية التى كانت وقتذلك فى مهدها ، وأن يتدخل فى الصراع المرير بين الجيش المجند من أهل البلاد وبين الضباط من الأتراك الجراكسة . ومن يومها وجد نفسه مشتركا فيما يعرف بثورة عرابى باشا أو الثورة العرابية إما مشاهدا لها أو ضالعا فيها . ونلخص الأحداث التى تلت ذلك فيما يأتى : سقوط الوزير شريف باشا ؛ تأليف وزارة البارودى ؛ إعلان الدستور سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢) ؛ ضرب الإسكندرية بالقنابل بمعرفة الأسطول البريطانى ؛ نزول الجيش الإنكليزى بالبلاد ؛ هزيمة عرابى باشا فى التل الكبير (قرب القاهرة) ؛ احتلال بريطانيا لمصر ؛ نفى زعماء الثورة أو مثيريها ومنهم البارودى وعرابى باشا والشيخ محمد عبده .

وأجبر البارودى على الإقامة فى جزيرة سيلان من آخر عام ١٨٨٢ إلى أوائل عام ١٩٠٠ ، واستغل وقت الفراغ الذى فرض عليه فى دراسة الإنكليزية ، والانصراف إلى إلقاء الدروس على إخوانه فى الوطن والدين ، ثم استغله فوق ذلك كله فى استئناف دراسته المحببة للشعر العربى وفى إطلاق العنان لعرائس إلهامه تهديه إلى نظم القصائد العصماء فى ديوانه .

ولما عاد إلى مصر بعد العفو عنه بالمرسوم الصادر فى ١٨ محرم سنة ١٣١٨ (١٨ مايو سنة ١٩٠٠) كان قد حشد قصائد كثيرة اختارها فى وعى من مجموعات دواوين العصر العباسى ، وشمل هذا الاختيار الموضوعات الآتية التى ضمت كذلك خير ما تمثل دواوين الشعراء المولدين أو المحدثين : (١) الأدب (أخلاقى) (٢) المديح (٣) الرثاء (٤) الصفات (٥) النسيب (٦) الهجاء (٧) الزهد ؛ وقد رتب شعراء هذه الدواوين ترتيبا زمنيا فكان عددهم ثلاثين شاعرا . وبلغ مجموع الأشعار التى استشهد بها وأدرجها تحت هذه الموضوعات ما يأتى على الولاء : ١,٦٩٧ ، ٢٤,١٨٥ ، ٣,٤٠٠ ، ٣,٣٩٣ ، ٤,٦١٦ ، ١,٢٢٩ ، ٤٧٣ بيتا ، وبذلك بلغ مجموع هذه الأبيات جميعا ٣٩,٠٩٣ بيتا . وقد بلغ عدد الأبيات التى جمعها فى المديح رقما مشهودا . وأهم من ذلك ، فيما يبدو ، الأهمية التى أولاها لشعراء بعينهم ، وقد جاء فى مقدمتهم ابن الرومى والبحترى ، إذ اختار لابن الرومى ٣,٧٣٢ بيتا وللبحترى ٣,٣٩٧ بيتا ، واختار لشاعرين آخرين ما بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ بيت ، ونعنى بهما : سبط ابن التعاويذى والشريف الرضى ؛ واختار لأربعة من الشعراء ما بين ألفى بيت وألفين وخمسمائة بيت ، وهم : الأرجانى، وأبو تمام ، والمتنبى ، والسرى الرفاء (وهكذا نجد أنه وضع المتنبى فى المقام السابع) ؛ وخص اثنين بما بين ألف وخمسمائة بيت وألفى بيت ، وهما ابن نباتة المصرى ومهيار الديلمى ؛ وخص خمسة بما بين ألف بيت وألف وخمسمائة بيت ،

وهم : الأبيوردى ، والغزّى ، وابن حيّوس ، وأبو العلاء المعرّى ، وصُرَّدُرّ ، وثمانية مما بين ٥٠٠ بيت وألف بيت وهم : الطغرائى ، وأبو نواس ، وأبو عُمارة اليمنى ، والتهامى ، وابن هانئ الأندلسى ، وابن سنان الخفاجى ، وابن المعتز ، وابن الخياط ، ثم خص أخيرا سبعة من الشعراء مما بين تسعين بيتا وخمسمائة بيت ، وهم : أبو فراس الحمدانى ، ومسلم بن الوليد ، وأبو العتاهية ، وابن عُنَيْن ، والعباس بن الأحنف ، وبشّار بن برد ، وابن الزيات .

لم تظهر « مختارات » البارودى عند آى وراّق قبل وفاة جامعها ، ولكنها طبعت بالقاهرة فى أربعة مجلدات ، اثنين منها سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩) ، والاثنين الآخرين سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١) وتم ذلك بفضل جهود العلم ياقوت المرسى .

وكان نصيب ديوانه مثل نصيب مختاراته ، إذ لم يقيض له النشر قبل وفاة صاحبه ، وقد طبع هذا الديوان أول ما طبع بفضل العلم والشارح محمود الإمام المنصورى فى ثلاثة مجلدات جمعت فى اثنين (الأشعار التى قافيتها من الهمزة إلى اللام) طبعة غير مؤرخة فى ٥٣٦ صفحة و ٦٣١ صفحة ، وطبع للمرة الثانية سنة ١٩٤٠ مع مقدمة بقلم محمد حسين هيكل وبشرح على الجارم ومحمد شفيق معروف ، ويفصح هذا الديوان عن نهج التحرر المعهود من هنا ومن هناك ، ويكثر فى هذا الديوان قصائد المناسبات ، وتمكننا الأوصاف الدقيقة التى وصف بها الأماكن من أن نتتبع حياة هذا الشاعر ورجل الدولة فى مراحلها المختلفة . وبعض القصائد التى نظمت فى كولومبو بسيلان تحرك المشاعر تحريكا قويا . وليس من الممكن فى نطاق هذه المادة المحدودة أن نعرض لأشعاره بالتفصيل الواجب حين يكون المجال مجال التقديم النقدى العميق لمادتها بلمقالها ، وحسبنا أن نقول إن البارودى قد ملك بلا جدال ناصية اللغة الشعرية فى أصفى صورها الفصيحة ، فلم تكن تستغلق عليه المفردات ، ولا المجازات ، ولا لطائف الأسلوب . ولم يسعَ البارودى وراء الابتكار فى شكل القصيدة أو فى أوزانها (ولم يرد فى ديوانه ما يشذ عن ذلك إلا القليل النادر ، انظر جـ١ ، ص ٦٣ — ٦٤) وظل وفيا للنماذج التى احتذاها . مثال ذلك معارضته « البردة » للبوصيرى ، فقد لجأ فيها إلى وزن البسيط المأثور وجعل قافيتها « مِ » وسماها « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » (القاهرة سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩ ، ٨ ظهر ، ٤٨ صفحة ، ٤٤٧ بيتا ، فى حين أن البردة نفسها لا تحتوى إلا على ١٧٢ بيتا) . على أن الموضوعات التى طرقها البارودى فى ديوانه حديثة كل الحداثة ، وهو يعد بحق فى هذا الميدان من أكبر رواد النهضة المعاصرة فى الشعر العربى أثرا .

المصادر :

(١) محال القارئ إلى المصادر المستفيضة التى ذكرها داغر فى كتابه « مصادر الدراسة الأدبية » جـ٢ ، ١ : « الراحلون » (١٨٠٠ — ١٩٥٥)

بيروت سنة ١٩٥٦ ، ص ١٥٩ — ١٦٢ (٢) ويجب أن يضاف إلى ذلك فيما يختص بالثورة العرابية الكتابان الاثنان اللذان يزودان القارئ بجميع الوثائق اللازمة (٣) La genèse : M. Sabry de l'esprit national égyptien (1863-1882)، باريس سنة ١٩٢٤ (٤) Muhammed : Osman Amin Abduh. Essai sur ses idées philosophique et religieuses القاهرة سنة ١٩٤٤ (٥) انظر أيضا ملاحظة بروكلمان فى كتابه ، قسم ٢ ، ص ٧ — ١٨ .

خورشيد [بيريز H. Pérès]

+ «البارونى» ، سليمان : فقيه طرابلسى إباضى ورجل سياسة ألهم عرب بلاده فى نضالهم مع إيطاليا ، وهو ينتمى إلى أسرة بربرية ذات جاه ونفوذ فى جبل نفوسة (ولها فروع فى جادو وكاباو وجربة حيث تقوم مكتبة بيرونية خاصة) ، وكان أبوه عبد الله البيرونى متكلما وفقيها وشاعرا تولى التدريس فى زاوية البخاشخة بالقرب من يفرن . واشتبهت الحكومة العثمانية فى سليمان موجسة أنه يغذى الآراء الانفصالية ويدبر إقامة إمامة إباضية ، وأقيمت عليه الدعاوى ، ولكن الأحكام التى حكم بها فى هذه الدعاوى لم تنفذ بكاملها لما أثارته من الاضطرابات ، وخاصة فى الجبل . وصدر العفو عنه ، على أن السلطات العثمانية طلبت منه أن يقدم نفسه فى الآستانة ففر إلى القاهرة .

وكان البارونى رجلا عجيبا فى ثقافته ، فقد درس فى تونس والأزهر وفى مزاب ، وأنشأ مطبعة كان لها الفضل العظيم فى نشر عدة كتب إباضية قديمة ، وكذلك أنشأ البارونى صحيفة لم يكتب لها مع ذلك إلا حياة عابرة ، وقد منع تداولها فى الولايتين العثمانيتين وهما تونس والجزائر .

ولما أعلن الدستور عقب ثورة حزب تركية الفتاة ، انتخب سليمان نائبا عن لواء الجبل واستدعى إلى الآستانة، وهناك درس التركية فى شهرين بذل فيهما غاية جهده .

ولما اتضحت نوايا إيطاليا حيال ليبيا حاول سليمان أن يحصل على صفقات السلاح من حكومته . ولما نزل الإيطاليون طرابلس يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩١١ كان البارونى من أنشط المثيرين للمقاومة العربية التى جعلت تركية تقرر الوقوف بثبات فى وجه هذا العدوان وظلت على موقفها حتى بعد توقيع معاهدة الصلح التركية الإيطالية فى أوشى (أو لوزان) فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ . وفى قطاع الجبل الغربى الذى كان البارونى يقاتل فيه بغية إقامة إمارة بربرية ، حسم الأمر فى وقعة الأصابعة فى الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩١٣ : ولما عاد البارونى إلى الآستانة عين عضوا فى مجلس الشيوخ ومنح لقب باشا .

ولما دخلت تركية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول أوربا الوسطى (سنة ١٩١٤) أوفد البارونى فى أكتوبر سنة ١٩١٤ إلى السلوم صحبة نورى بك أخى أنور باشا لإغراء أحمد الشريف زعيم السنوسية بمهاجمة البريطانيين من الغرب .

ولكنه أخفق فى مهمته ، واكتشفت خطة إجبار السنوسى على اتخاذ هذا الموقف واعتقل البارونى ، على أنه حاول الهرب فى يناير سنة ١٩١٥ . واستأنف البارونى شأنه من الوقوف فى وجه إيطاليا حين دخلت إيطاليا الحرب . ولم يتح للبارونى أن ينزل من غواصة فى مسراتة إلا فى نهاية سنة ١٩١٦ حين أقامته تركية حاكما عاما وأميرا لبلاد طرابلس وما يتبعها . وكان الطليان فى مركز حرج إذ كانوا قد تحصنوا فى طرابلس والخُمْس وزوارة ، ولكن العرب أيضا كانوا فى فوضى شاملة ، إذ اختلفت أهداف زعمائهم وكانت القبائل تتقاتل فيما بينها . وأعاد البارونى الوحدة بين صفوفهم ، على أنه سرعان ما فقد نفوذه الغالب . إذ سار متجها إلى غربى بلاد طرابلس فهزمه الطليان هناك فى اليومين السادس عشر والسابع عشر من يناير سنة ١٩١٧ . وفى آخر هذا الشهر ، أى يناير ، أحل الترك محله رجلا عسكريا هو نورى باشا الذى أشرنا إليه من قبل . وفى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، أى بعد أن وقعت تركية معاهدة الصلح مع الحلفاء ، أقام الوطنيون — متأثرين بمبادئ ولسون — الجمهورية الطرابلسية فى بلاد طرابلس التى منحتها إيطاليا من بعد القانون الطرابلسى الأساسى . وهناك ظهرت حركتان ، إحداهما ترمى إلى عقد اتفاق مع إيطاليا خليق بأن يحقق الاستقلال التام ، والأخرى ، ويمثلها البربر بصفة خاصة ، تؤيد التعاون مع إيطاليا بتطبيق القانون الأساسى . وقد أيد البارونى الحـــركة الثانية ، ولو أن هدفه الأخير ظل يرمى إلى إقامة إمارة بربرية فى غربى الجبل لها منفذ إلى البحر . وقررت السياسة الأولى فى اجتماع عقد بگاريان فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ حيث طالب الناس فى بلاد طرابلس بإقامة إمارة عربية بطبيعة الحال (أما فكرة توحيد طرابلس وبرقة فقد نضجت من بعد فى آخر سنة ١٩٢١ وتحققت بعرض هذا المنصب على إدريس السنوسى فى ربيع سنة ١٩٢٢) . أما البربر الذين كانوا يسعون إلى عون إيطاليا ورماهم العرب بالزندقة بحكم اعتناقهم المذهب الإباضى ، فقد طردوا من غربى الجبل بالقوة وحملوا على التماس ملجأ لهم على الساحل فى يولية سنة ١٩٢١ . وهكذا تبخرت أحلامهم فى الاستقلال أو الاستقلال الذاتى .

ونفى البارونى من بلاد طرابلس فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ لموقفه الغامض ، فأقام زمناً فى أوربا وفى الحجاز ثم شخص إلى مسقط ضيفاً على السلطان سعيد بن تيمور . ومن هناك مضى إلى داخل عُمان ونزل فى رحاب محمد عبد الله الخليلى إمام الدولة الإباضية الصغيرة (قصبتها نَزْوَى) التى ظلت قائمة إلى عهد قريب (انظر مادة « نزوى ») فى الجبل الأخضر ، وهناك منح لقب وزير ووكل إليه أمر إعادة تنظيم الدولة . ثم عاد إلى مسقط من بعد ، حيث أقيم سنة ١٩٣٨ مستشاراً للسلطان ومنح سلطات واسعة . وتوفى البارونى فى بومباى (وليس فى مسقط ، انظر *O.M.* ، سنة ١٩٤٠ ، ص ٣٢٦) سنة ١٩٤٠ .

ولم ينشر من كتابه : « الأزهار الرياضية فى أئمة الملوك الإباضية » إلا المجلد الثانى . إذ طبع

فى القاهرة طبعة من غير تاريخ [سنة ١٩٠٦ – ١٩٠٧] .

المصادر :

(١) R. Rapex : *L'Affermazione della sovranità italiana in Tripolitana* ، تيئسن سنة ١٩٣٧ ، الفهرس ؛ (٢) L. Veccia Vaglieri : *La partecipazioni di Suleimàn Al-Baruni alla guerra di Libia* فى *L'Oltremare* جـ ٧ ، رقم ٢ ، فبراير سنة ١٩٣٤ ، ص ٧٠ – ٧٥ ، (٣) *O.M.* ، جـ ٦ ، سنة ١٩٢٦ ، ص ٥٤٤ ؛ جـ ١٤ ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٩٢ – ٣٩٦ ؛ جـ ١٨ ، سنة ١٩٣٨ ، ص ٥٦٣ ؛ جـ ٢٠ ، سنة ١٩٤٠ ، ص ٣٢٦ ؛ (٤) ومن شاء مصادر أوفى عن حوادث ليبيا فليرجع إلى : R. Ciasca : *Storia coloniale dell'Italia contemporanea* ، الطبعة الثانية ، ميلان سنة ١٩٤٠ ؛ (٥) أبو القاسم البارونى : حياة سليمان باشا البارونى ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨) .

خورشيد [ڤاگليرى L. Veccia Vaglieri]

« البارئ » : من أسماء الله الحسنى ، (انظر مادة « الله ») .

+ « باز » : (انظر مادة « بيزرة ») .

« بازار » : ومعناها سوق، وهى فى الفهلوية واچار ، وفى الفارسية أباچارى (J. Darmesteter : *Etudes Iraniennes* جـ ٢ ، ص ١٢٩ ؛ P. Horn فى *Grundriss der iranischen Philologie* : المجلد الأول، الجزء الثانى، ص١١ ؛ Horn : *Grundriss der neupers. Etymol:* رقم ١٦٦ ؛ Bartholomae : *Zum altiranischen Worterbuch* ص١٠٤ – ١٠٥) ؛ والبازار بمعناها الأصلى مجموعة من الدكاكين فى شارع مسقوف بسقف من الخشب أو الحجر ، وله بابان يقفلانه من طرفيه ؛ وعندما يتقاطع هذا الشارع مع آخر تسمى نقطة تقاطعهما مربعاً ، وهى بالفهلوية « چهارسوك » وبالفارسية « چارسو » وبالتركية « چارشى » ؛ وتفتح أبواب الخانات عادة فى وسط البازار ؛ وقد بنى الوزير ميرزا تقى خان فى القرن التاسع عشر « بازار أمير » فى طهران ؛ وفى هذه المدينة أسواق أخرى أصغر منه فى أحياء مختلفة وتسمى « بازارچه » ؛ ويقضى الكسالى ساعات يتحدثون فى البازار ويسمون بازارى أو بازار گرد ؛ وانظر أيضاً مادة « سوق » .

المصادر :

(١) J.E. Polak : *Persien* ، جـ١ ، ص ٨١ .

[إيوار Cl. Huart]

« باز بهادر » أو بايزيد : حاكم مالوه بالهند الوسطى فى القرن السادس عشر ، وهو ابن شجاع خان الذى أقامه الملك الأفغانى « شيرشاه » والياً على مالوه ؛ وأعلن استقلاله بعد وفاة أبيه عام ١٥٥٤ ، واتخذ مدينة سارنگ پور حاضرة لملكه وضرب السكة باسمه ؛ وفى عام ١٥٦٠ غزا أكبر إمبراطور المغل مدينة مالوه فتاضل باز بهادر

عنها بضع سنين ولكن بلا جدوى ، ثم سلم له عام ١٥٧٠ ونال الحظوة عنده . وتوفى المترجم له فى « أجين » عام ١٥٨٨ .

واشتهر باز بهادر فى القصص بغرامه الشديد بزوجته الهندية « روپمتى » وهى صاحبة الألحان التى تنشد إلى اليوم فى أنحاء مالوه .

المصادر :

(١) طبقات أكبرى (Elliot Dowson : History of India ، جـ ٥) (٢) Blochmann : ترجمته لكتاب آئين أكبرى ، جـ ١ ، ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

+ باز بهادر : آخر حاكم لمالوه المستقلة قبل غزوة المغل فى عهد أكبر . وكان باز بهادر ابناً لشجاع خان وقريباً لشيرشاه سور ، وقد أقامه شيرشاه حاكماً لمالوه بعد أن غزتها قواته سنة ٩٤٩ هـ (١٥٤٢) .

ولما توفى شجاع خان سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) قتل باز بهادر أخاه دولت خان حاكم أجين ونودى به سلطاناً سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥) ؛ وهنالك بسط حكمه على معظم أراضى مالوه إذ أجبر أخاه الأصغر مصطفى خان على أن ينزل له عن رايسين وبهيلسا .

وفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ — ١٥٦١) تقدم جيش مغلى يقوده أدهم خان لغزو مالوه ، مما اضطر باز بهادر إلى التخلى عن قصبته متندو . وفى العام التالى نجح باز بهادر فى هزيمة پير محمد خليفة أدهم خان ، ولكنه اضطر بفضل وصول الأمداد المغلية فى آخر سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦٢) إلى الفرار إلى تلال گندوانه : وراح باز بهادر من ملجئه يشن عدة هجمات من رجال العصابات على القوات المغلية ، إلا أنه سئم النضال وسلم آخر الأمر لأكبر سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠) وتلقى « منصب » بألفين . وتوفى بعد ذلك بقليل ، والراجح أنه دفن فى آگرا .

وقد اشتهر باز بهادر فى القصص الشعبى بحبه لحظيته « روپمتى » التى نظم فيها — كما يقال — أغانى وأشعاراً . وهو أيضا العلَم فى حركة تطور أسلوب جديد عاطفى فى التصوير بالهند الوسطى اندمجت فيه ثقافتا مالوه التوأمتان : ثقافة الهندوس وثقافة المسلمين .

المصادر :

(١) نظام الدين أحمد : طبقات أكبرى ، المكتبة الهندية ، المتن ، جـ٣ ، كلكتة سنة ١٩٣٥ ، ص ٤٢١ — ٤٢٤ (٢) أبو الفضل : أكبر نامه ، المكتبة الهندية ، المتن ، جـ٢ ، كلكتة ، سنة ١٨٧٦ — ١٨٧٩ ، ص ٨٩ — ٩٠ ، ١٣٤ — ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ — ١٤٣ ، ١٦٦ — ١٦٩ ، ٢١١ ، ٢٣١ ، ٣٥٨ (٣) آئين أكبرى ، ترجمة H. Blochmann ، جـ١ ، المكتبة الهندية ، سنة ١٨٦٨ ، الفهرس ، ص ٦٣٠ (٤) فرشته : جـ١ ، ص ٥٣٧ — ٥٤١ (٥) نعمت الله الهروى : مخزن أفغانى ، ترجمه بعنوان History of the Afghans ، B. Dorn جـ١ ، لندن سنة ١٨٢٩ ، ص ١٧٧ — ١٧٩ (٥) صمصام الدولة شاه نواز خان : مآثر الأمراء ،

المكتبة الهندية : المتن جـ١ ، كلكتة سنة ١٨٨٨ ، ص ٣٨٧–٣٩١ (٦) L. White King : History and Coinage of Malwa في Numismatic Chronicle ، السلسلة الرابعة : جـ٣ ، لندن سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٩٦–٣٩٨ ، السلسلة الرابعة ، جـ٤ ، لندن سنة ١٩٠٤ ، ص ٩٣، ٩٧ (٧) H. Nelson Wright : The Coinage of the Sultans of Malwa في Numismatic Chronicle ، السلسلة الخامسة ، جـ١١ ، لندن سنة ١٩٣١ ؛ السلسلة الخامسة، جـ١٢ لندن، سنة ١٩٣٢، ص ٤٦: ولوحة ٤ (٨) C.R. Signal : On Certain Unpublished Coins of the Sultans of Malwa في Journal of the Royal Asiatic Society of Bengal ، السلسلة الجديدة ، جـ٣ ، سنة ١٩٣٧ ، الملحق الخاص بالسكة ، جـ٤٧ ، مادة رقم ٣٤٩، السكة رقم ١٣٧ (٩) Zafar Hasan : The Inscriptions of Dhar and Mandu في Epigraphia Indo. Moslemica ، سنة ١٩٠٩–١٩١٠: ص ٨–٩ (١٠) S. H. Hodivala : Studies in Indo-Muslim History ، جـ٢ ، بومباي ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٢٥–٢٢٧ (١١) The Lady of the Lotus (Rup Mati Queen of Mandu) بقلم Ahmed-ul-Umri ترجمة L.M. Crump ، لندن سنة ١٩٢٦ (١٢) E. Barnes : Dhar and Mandu في Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society ، جـ٢١ ، سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٤ ، ص ٣٧٠ — ٣٧٢ (١٣) G. Yazdani : Mandu The City of Joy ، أوكسفورد سنة ١٩٢٩ ؛ الفهرس : بازبهادر ، ص ١٢٥ ؛ روبمتي ، ص ١٤٠ ؛ التصوير الخاص بالهند الوسطى ، مع مقدمة وتعليقات بقلم W.G. Archer : Faber Gallery of Oriental Art ، لندن سنة ١٩٤٨ ، ص ٤ — ٥ ؛ وانظر أيضا لوحة ٤ ، ١٠ — ١١ (١٤) Gahrwal Painting ، مع مقدمة وتعليقات بقلم W.G. Archer : Faber Gallery of Oriental Art ، لندن سنة ١٩٥٤ ، لوحة ٤ ، ص ١٠ — ١١

خورشيد [P. Hardy هاردى]

+ « بازة » (انظر مادة « بسطة »)

+ « بازَرْكان » : (انظر مادة « تجارة »)

+ « بازِرْكان » أو بزِرگان ، وهما صيغتان تركيتان للكلمة الفارسية « بازَرگان » أي التاجر، وتطلق بازِرْكان في اللغة التركية العثمانية على التجار النصارى بعامة واليهود بخاصة ؛ وكان بعض هؤلاء يشغلون مناصب رسمية في العصر العثماني أو في القوات المسلحة ، مثال ذلك الـ « بازِرگان باشى » أي المشرف على المنسوجات في البيت السلطاني (D'Ohsson : Tableau général جـ ٧، باريس سنة ٧٢٤ ، ص ٢٢ ؛ Gibb. Bowen ، مجلد ١ ، جـ ١ ص ٣٥٩) ؛ والـ « أوجاق بازرگانى » أي وكلاء الخرج ، وكانوا في العادة من الإغريق أو اليهود يسلمون فرقة الإنكشارية أعطياتها ومؤونتها . وقد جنح هذا المنصب إلى أن يكون

وراثيا فى أسر بعينها (D'Ohsson ، جـ٧ ، ص ٣١٨ ؛ أوزون چارشيلى : قاپى قولى أو جاقلرى ، جـ١، أنقرة سنة ١٩٤٣ ، ص ٤٠٧ وما بعدها) ؛

خورشيد [لويس B. Lewis]

+ «بازنقر» (والشائع : بازنگر، وبازنگر، وباسنگر ، وبِسِنگر) : جنود من العبيد سلحوا بالأسلحة النارية ، وهو مصطلح شاع فى السودان المصرى أيام العصرين الخديوى والمهدى .

اشتقاق الإسم : واشتقاقه غامض ، ويمكن أن ننكر ما أكده السير رگينالد وينجت (Sir Reginald Wingate : *Mahdiism and the Egyptian Sudan* ، لندن سنة ١٨٩١ ؛ ص ٢٨ تعليق ١) من أنه اسم قبيلة ، ذلك أنه لم يؤخذ فيما يبدو من أية لغة سودانية جنوبية . أما قول الأستاذ پريتشارد (Professor E. E. Evans-Pritchard : *A History of the Kingdom of Gbudwe* ، زايره ، أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، رقم ٥ ، ص ٤٨٨ ، تعليق ٣٦) بأن الاسم مشتق من كلمة نوبية قد تكون دنقلاوية وهى «بَزَنْگَرَه» فيفتقر إلى إثبات . وربما وجب علينا أن نلتمس أصله فى التركية والفارسية . ويمكن أن يكون ذا صلة بكلمة « باز » أو « سنقر » بمعنى « الشاهين » (انظر أيضا استعمال « فرخه » أو « بازنگر» بمعنى المهرج [انظر مادة «جانباز»]) .

أصله : ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر بين تجار العاج والنحاسين فى بحر الغزال ، ولم يكن — فى أول أمره على الأقل — شائعا بين هؤلاء التجار فى النيل الأبيض الأعلى ، ذلك أنه لم يرد له ذكر على لسان السير صامويل بيكر الذى شرح له غوردون C.G. Gordon معناه فى خطاب أرسله إليه بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٧٨ (T. Douglas Murray & A. Silva : *Sir Samuel Baker* : White ، لندن سنة ١٨٩٥، ص ٢٤٢) . أما شوينفورث G. Schweinforth الذى كان فيما يبدو أول أوربى استعمل هذا المصطلح فيجعل البازنقر مرادفا لـ « فُروخ » (أى فراخ الدجاج بالعربية ؛ والفرخة هى الخادم ولم تزل فى اللغة السودانية الدارجة) والـ « نركيك » (لعلها الرقيق) . وتذكر مصادر أخرى أن الفروخ كانوا غلمان مدفعية البازنقر (Wingate : المصدر المذكور ، ص ١٠٣ ؛ تعليق ١ : G. Schweinforth, F. Ratzel, R.W. Felkin & G. Hartlaub : *Emin Pasha in Central Africa* الترجمة الإنكليزية، لندن سنة ١٨٨٨، التعليق) .

شأن البازنقر فى التاريخ :

يصف شوينفورث بازنقر بحر الغزال حوالى سنة ١٨٧٠ (Schweinforth : *The Heart of Africa* ، لندن سنة ١٨٧٣ ، جـ٢ ، ص ٤٢١) بأنهم عبيد خصوصيون للتجار ، وكانوا نصف قواتهم المحاربة تقريبا ، ويصحبون العساكر النوبيين فى حملاتهم . وكان البازنقر جنودا ممتازين ،

ولكن نزوعهم إلى الصحراء جعلهم أقل جدارة من النوبيين. وقد أصبح كثير من النيام نيام (الأزَنْدَة) عبيدا باختيارهم ليدخلوا فى عداد البازنقر. وكان أعظم جيش من العبيد فى بحر الغزال هو جيش الأمير التاجر الزبير رحمة منصور. ولما تشتت شمل هذا الجيش بعد سنة ١٨٧٥ كان استخدام البازنقر من المشاكل التى واجهت الحاكم العام غوردون، وقد وصفهم غوردون بأنهم «أشداء المراس حقا» (Colonel Gordon in : G. Birkbeck Hill *Central Africa*، لندن سنة ١٨٨١، ص ٣٣٦). وقد دخل كثير من القواد النوبيين فى خدمة الخديوى هم والبازنقر التابعون لهم، ولقبوا بلقب «سنجق بكى» وهو لقب جرى العرف بمنحه لقادة الجنود غير النظاميين (*Seven* : R. Gessi *Years in the Soudan*، لندن سنة ١٨٩٢، ص ٢٨٠). وأصبح واحد من هؤلاء بعد، وهو النور بك محمد عنقرة، قائدا مهديا له بعض الشأن (*A biographical dictionary* : Richard Hill *of the Anglo-Egyptian Sudan*، أوكسفورد سنة ١٩٥١، ص ٢٩٧؛ *The* : P.M. Holt *Mahdist State in the Sudan*، أوكسفورد، سنة ١٩٥٨، ص ٥٢، ٥٦، ٩٤، ١٩٦). ولما هزم سليمان بن الزبير رحمة (١٨٧٩) فرت جماعة من البازنقر التابعين له غربا بقيادة رابح فضل الله (رابح الزبير) وأقام رابح نفسه حاكما على أرض فى إقليم تشاد، وهناك هزمه الفرنسيون وقتلوه سنة ١٩٠٠ (المصدر : Richard Hill المذكور، ص ٣١٢–٣١٣؛ Max, v.Oppenheim: *Rabeh und das Tschadsegebeit*، برلين سنة ١٩٠٢) وقد دخل كثير من البازنقر الذين ظلوا فى السودان المصرى فى «الجهادية» على ما يرجح، ونعنى بهم الجنود المهديين المحترفين، أو فى الكتائب السودانية للجيش المصرى الجديد. وقد جند عربى دفع الله الحاكم المهدى للرّجاف على النيل الأبيض بازنقر جددا وأرسل إلى الخليفة عبد الله ستمائة منهم خراجا فى شوال سنة ١٣١٢ (مارس سنة ١٨٩٦؛ انظر مخطوطات حكومة السودان، الخرطوم؛ «المهدية»، ٣٢/١، ١/١٨، ١/٧٥؛ ٣٢/١، ١٨، ٧٦؛ ٣٤/١، ١٠).

المصادر :

وردت أهمها فى صلب المادة.

[P.M. Holt خورشيد [هولت

+ «بازْهَر» Bezoar : دواء لجميع أنواع السموم كان الناس فى القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر يقدرونه تقديرا عظيما ويشترونه بالثمن الغالى، وظل هذا حالهم فى المشرق حتى يومنا هذا. وحجر البازهر (الشرقى) الأصلى يستخرج من ماعز البازهر (Capra aegagrus Gm.)، وتبين من أبحاث فريدريك ووهلر Freidrich Wœhler الكيمائى المشهور وغيره أنه الحصاة الصفراوية والظاهر أن هذا الحجر لم يكن معروفا لدى العرب القدماء، إذ لم تذكر الكلمة لا فى المعاجم ولا فى

كتاب صدّيقى (A. Siddiqi : Studien ueber die persischen Fremdwoerter im klassischen Arabisch، سنة ١٩١٩) .

أما اشتقاق الكلمة الذى شاع الأخذ به فهو أنها من الفارسية («پا (د) — زهر ») أى « ضد السم » (P. Horn فى Geiger-Kuhn : Grundr. d. ir. Phil. ، جـ ١ / ٢ ، ص ١٥٩) . وتورد الكتب العربية فى الأحجار والعقاقير روايات مختلفة واشتقاقات مختلفة للمصطلح لا تتفق دائما فيا بينها ، كما أن الاشتقاقات نفسها ليست فى جميع الأحوال صحيحة (انظر ما يلى) .

والظاهر أن البازهر ظهر لأول مرة فى الكتب الإسلامية ببعض كتب هرمس التى لم يطبع منها شىء وفى بعض الكتابات الأرسطية المنحولة التى أوحت بها ترجمات للمشارقة لقصة الإسكندر . وقد ذكر فى كتاب الأحجار المنسوب لأرسطو (J. Ruska : Das Steinbuch des Aristoteles ، سنة ١٩١٢ ، ص ١٠٤) البازهر وقيل خطأ إنه إغريقى على حين شرح للمصطلح الشرح المألوف : « النافى للسم » . والسموم تخثّر الدم ، ويمنع هذا حجر البازهر ، فهو يخلص الجسم من السم بالعرق الشديد ، ويسجل أرسطو أيضا الألوان المختلفة للبازهر والأماكن التى يوجد فيها وهى الصين والهند و « المشرق » وخراسان . والبازهر مفيد أيضا إذ يتخذ تميمة وحجر خاتم ، وهو كذلك ضد لسعة الحشرات السامة (انظر مايلى) .

وثمة مخطوطان لكتاب « سر الأسرار » (Secretum Secretorum) المنحول لأرسطو ، ونعنى بهما مخطوط أوكسفورد رقم ٢١٠ ، ومخطوط باريس رقم ٢٤١٨ ، وهذا الكتاب فيه فصل عن الأحجار الكريمة . وقد ترجم متن المخطوط الأول فى Opera hactenus meditea لروجر بيكون (أ)، (جـ ٥ : Secretum secretorum ، طبعة R. Steele ، سنة ١٩٢٠ ، ص ٢٥٣) والمخطوط الثانى أشار إليه — فحسب — عبد الرحمن بدوى (Fontes Graecae d octrinarum politicarum Islamicarum (sic) ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٦٧ ، تعليق ٣) ويسوق لنا ستيل Steele أيضا (ص ١٧٤) النص اللاتينى للكتاب طبقا لطبعة أشيلينى Achillini ، ١٥٠١ ، ويشير إلى النص العبرى (نشره وترجمه M. Gaster فى Jour. Roy. As. Soc. ، سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ ، فقرة ١٣٠) . وقد عرّب الاسم : « النافى الضّر » أو « ممسك الروح » (بالعبرية: عوصيرهارُوَح » ؟) ، وقد وصف مفعوله وصفاً مماثلا للوصف الذى ورد فى كتاب الأحجار الذى أشرنا إليه آنفاً .

ويشرح إخوان الصفاء (جـ ٢ ، ص ٨١ من طبعة بومباى = ١٠٤ من طبعة القاهرة) مفعول الحجر بطريقة نظرية محكمة . ومما يجدر ذكره أنهم استعملوا المصطلح أيضاً اسمَ جنس بصيغة الجمع مقترناً بـ « سمومات » و « ترياقات » . وفى « كتاب السموم ودفع مضارها » لجابر بن حيان غلب استعمال بازهر بمعنى «ترياق» عامة ، وذلك بحسب ماقاله سِكَّل (A. Siggel : Das Buch der Gifte etc. ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٢١٣) وإنما ترجمه سكل فى

صفحة١٨٦فحسب بكلمة: « Bezoar » . وقدأطلق على الحجر أنه من الأدوية الكبرى لا غير . وقد كان جابر من المصادر التي استشهد بها البيروني في مقاله المستفيض : « الجماهر في معرفة الجواهر » سنة ١٣٥٥ هـ ، ص ٢٠٠ — ٢٠٢ (وانظر M. J. Haschmi : Die Quellen des Steinbuchs des Berûni ، رسالة جامعية ، بون سنة ١٩٣٥، ص ١٩ ، ولم يدرك صاحب هذه الرسالة أن الشواهد الكثيرة المستقاة من كتاب النُخَب لجابر أن المقصود بكتاب النخب هنا هو مصنفه «كتاب البحث» الموجود مخطوطاً باستانبول، مكتبة جار الله ، (١٧٢١) ؛ وكذلك يورد بيان البيروني عن هذا الحجر المأخوذ من مراجع مختلفة أوصافاً تجعل من المحتمل أن يكون البازهر مادة عضوية، مع أنه يسهّل قوله بأن حجر البازهر معدن ؛ ويهدى البيروني أيضاً إلى طرائق للتأكد من أصالة البازهر ويختم قوله بالأساطير .

والكاتب التالي للبيروني في الترتيب التاريخي هو الغافقي ، ولا يتيسر حتى الآن إلا في مختصر ابن العبري (طبعة ميرهوف M. Meyerhof وصبحي G.P. Sobhy ، ص ٩٨ ، فقرة ١٨٥ ؛ الترجمة الإنكليزية ، ص ٣٥٦ — ٣٥٨ ومعها شرح مستفيض ، حيث ذكرت المصادر المتأخرة بالتفصيل) ؛ وقد عرب الغافقي الاسم : « مقاوم السمّ » ؛ أما عن التيفاشي فانظر الفصل الطويل الذي حققه موليه عن البازهر (Clément Mullet في Journ. As. ، جـ ٦/١١ ، سنة ١٨٦٨ ، ص ١٤٣ — ١٥٠) ؛ أما المصادر العربية التي لم يستشهد بها مايرهوف فهي : النص العربي لابن البيطار (سنة ١٢٩٢ هـ ، ص١، ٨١) ؛ الترجمة الألمانية للقزويني (J. Ruska : Das Steinbuch aus der Kosmographie des al-Kazwini ، كيرشهاين، سنة ١٨٩٦) ؛ ويسمى التيفاشي ، والأنطاكي : تذكرة أولي الألباب (جـ ١ ، ص ٦٠) الحجر: « پاك زهر » أي المخلص من السم (شرح أنستاس P. Anastase-Marie de St.Elie على ابن الأكفاني : « نُخَب الذخائر » ، (سنة ١٩٣٩ ، ص ٧٥ وما بعدها ، فقرة ١٣) .

وثمة حكاية عن صبي لدغته عقرب وشفي بشراب من البخور المختوم بخاتم من البازهر بقيت في شرح أحمد بن يوسف ابن الداية على كتاب « الثمرة » Centiloquium المنحول لبطلميوس (المقولة ٩) ونقل في كتاب « غاية الحكيم » (Picatrix ؛ طبعة Ritter ، سنة ١٩٣٣ ، ص ٥٥ = ص ٥٦ في الترجمة الألمانية التي ستصدر)

أما عن التاريخ المتأخر للبازهر ، في أوربا أيضاً ، وشأنه الكبير في نظر الناس في بلاد فارس المعاصرة فانظر كتاب إيلكود (C. Elgood : Medical History of Persia ، سنة ١٩٥١ ، ص٣٦٩ — ٣٧١) وهذا الكتاب يصف أيضاً الطرائق الحديثة في الفحص عن أصالة البازهر .

خورشيد [رسكا وپلسنر Ruska-Plessner]

+ «بازوكيّون» : (پازوكى) : قبيلة استقرت بحسب ما يقول م. أ. زكى (تاريخ ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١) إما فى بلاد فارس أو فى تركية (لها صلات بقبيلة سُوَيْد) . وانشعبت القبيلة فرعين : خالد بكلو ، وشاكر بكلو ، والفرع الثانى أهم شأناً ، ومنازلها فى خنس وملازكرد ، وفى موش إلى حد ما . وكان فرع شاكر بكلو خاضعاً لأمير بدليس . وكان رأس خالد بكلو هو حسين على بك ، أما خليفته خالد بن شاه سوار بك ابن حسين على بك رفيق الشاه إسماعيل فى السلاح ، فقد اشترك فى عدة معارك أبلى فيها بلاء حسناً وفقد يداً من يديه ، ومن ثم لقب بخالد ذى اليد الواحدة مثله مثل أحمد خان برادوست (انظر هذه المادة) وكافأه الشاه على بلائه فنحه خنس وملازكرد وناحية أخان (أجكان) بموش . ثم أعلن استقلاله من بعد عن الشاه وتحالف مع السلطان سليم ياووز . على أن هذا الخضوع كان قصير الأجل ، إذ اعتقل خالد آخر الأمر وقتل . وإن ظلت أسرته مدة طويلة تمارس سلطانها . وهاجرت شعبة من هذه القبيلة فى عهد ابنه الأمير قلج بك إلى دُنْبُلى (انظر هذه المادة) ولو أنها ظلت خاضعة للسلطان العثمانى . على أن م. أ. زكى (خلاصة) ذكر وجود قبيلة تحمل هذا الاسم فى إقليم طهران (ص ١٥) وفى جنوبى بلاد فارس (ص ٤٦٥) وفى جوار إريوان (ص ٤٦٦) . وقد ذكر لبرج Lerch (ج ١ ، ص ٩٦) قبيلة تسمى « پازكوى » فى قاروف .

المصادر :

(١) محمد أمين زكى : تاريخ الدول والإمارات الكردية فى العهد الإسلامى ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .

(٢) م. أ. زكى : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، بغداد سنة ١٩٣٧ .

خورشيد [نيكيتين B. Nikitine]

« پاسبان » أوغلى (قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٤٦٧) أو پازوَاند أوغلى (عبد الرحمن شرف : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠) أو « پازوانت أوغلى » فى الرسم الحديث (حامد ومحسن : تركيه تاريخى ، ص ٤٢٣) وقد نقش على خاتمه « پازواندزاده عثمان » (Oreshkow ، المصادر) پاشا ودّين الثائر (١٧٥٨ ـ ١٨٠٧) وأسرته من توزله من أعمال البوسنة ، وأُقطع جده پاسبان أغا حوالى عام ١٧٣٩ قريتين بالقرب من ودين فى بلغاريا مكافأة له على حسن بلائه فى حروب النمسا . ولم يقتصر ميراث عمر أغا پاسبان أوغلى والد عثمان على هاتين القريتين اللتين آلتا إليه بل كان بصفته « بيرقدار » رجلا غنياً مبرزاً (آيان) وقد قتله والى الجهة لخروجه عليه .

ولم ينج عثمان نفسه من القتل إلا بالفرار إلى ألبانيا ، ولكنه عاد إلى موطنه بعد أن تطوع فى الحروب التى نشبت من ١٧٨٧ إلى عام ١٧٨٩ ، ولم يلبث أن عاد إلى ميدان القتال وأبلى فيه بلاء حسناً ، ثم عاد إلى ودين عام

١٧٩١ وفيها أخذ يعد هو ورجاله الحملات وينفذها على بلاد الأفلاق والصرب . ولما أراد السلطان معاقبته على ذلك خرج عن طاعته عام ١٧٩٣ واعتصم بالجبال وغزا ودين فى أواخر عام ١٧٩٤ مستعيناً بعصابته من قطاع الطريق ، وأصبح الوالى الحقيقى عليها . وأعاد تحصينها فأضحت ملتقى قطاع الطريق والمتذمرين من الإنكشارية الذين أخرجوا من الصرب عام ١٧٩٢ . وأصبح پاسبان الزعيم الشعبى لجميع الذين يعارضون سليمان الثالث .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن پاسبان أوغلى هاجم عام ١٧٩٥ والى بلغراد الحاج مصطفى پاشا المؤيد للإصلاحات والذى نيط به التخلص من المترجم له . فما كان من الباب العالى إلا أن جرد فرقاً قوية من الجنود على پاسبان ولكنها باءت بالخيبة . ثم بدأت المفاوضات فى أواخر عام ١٧٩٥ . بيد أن پاسبان أوغلى ظل فى الواقع مستقلا بالجزء الأعلى من بلغاريا كله .

ولم يعترف الباب العالى رسمياً بـ «پاسبان» فعمد هذا إلى طرد واليه على ودين وغزا الولايات المجاورة عام ١٧٩٧ . واحتلت جنوده وهددت فى الشرق بلداناً كثيرة فى بلغاريا وإن كانت قد هزمت عند «وارنة» Varna وهاجمت فى الجنوب «نيش» (انظر هذه المادة) ولكنها لم تفلح فى احتلالها . وتقدمت فى الغرب حتى وصلت إلى بلغراد وفتحت المدينة ، غير أن الترك والصربيين الذين سلحهم الحاج مصطفى صدوهم عن قلعتها .

ونتج عن هذا أن أنفذ الباب العالى عام ١٧٩٨ جيشاً عدته مائة ألف مقاتل تحت قيادة أمير البحر كوچك حسين پاشا ، وكان من البواعث التى دفعت الباب العالى إلى ذلك ، المفاوضات التى دارت بين پاسبان من ناحية وبين فرنسا والروسيا من ناحية أخرى . وحاصر هذا الجيش التركى ودين عبثاً حتى شهر أكتوبر ، ثم اضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر فادحة . ودفعت هذه الهزيمة — مضافاً إليها غزو ناپليون لمصر — الباب العالى إلى الصلح مع پاسبان فى الظاهر ومنحه لقب پاشا (وزير) عام ١٧٩٩ .

ومع ذلك فقد صرح بعدائه للإصلاحات ومعارضته للحكومة المركزية وعلم ولائه للسلطان سليم الثالث . وأنفذ أيضاً عدة حملات لسلب الأفلاق (١٨٠٠—١٨٠١) وحرض الإنكشارية الذين كانوا قد عادوا إلى بلغراد على احتلال القلعة (صيف عام ١٨٠١) وعلى قتل الحاج مصطفى پاشا فى أواخر العام نفسه .

ولم يكتف پاسبان بهذا بل ألح على القيصر أن يعتبره من رعاياه المخلصين كما عرض خدماته على فرنسا . وعاد الباب العالى منذ عام ١٨٠٣ إلى قتال المترجم له بعد أن كان قد عفا عن هفواته جميعاً . ولكن فتنة الصرب التى شبت عام ١٨٠٤ حالت بين الترك وبين قتاله .

واضطر پاسبان من ناحيته إلى المبادرة بإخماد فتنة بنترو Bintzo في الجزء الغربي من ممتلكاته ، وأغراه ظهور الروس على الضفة اليسرى لنهر الدانوب عام ١٨٠٦ بأن يعرض خدماته على الباب العالي ، ولكن الباب العالي صرف نظره عنه وأعطى القيادة العامة إلى قائد «روسچلك» فزاد هذا من حفيظته وصمم على أن يدافع عن ولايته وحدها ضد هجمات الروس والصرب ، إلا أن المنية عاجلته في ٢٧ يناير عام ١٨٠٧ .

ويعود الفضل في ثبات پاسبان أوغلى إلى الحظ ثم إلى حالة الدولة العثمانية في ذلك الوقت وإلى مواهبه وبعد نظره ، يشهد على ذلك عدم تخليه عن ودين ، وكان يجبي من ولايته المكوس والضرائب في حزم واستبداد لا يخلوان من اللين والعدل . ومع أن صحته كانت سيئة بعض الشيء نتيجة لإجهاد عقله فإن الطموح كان يحدوه إلى أن ينزع للاستقلال الذي نجد مصداقه في السكة التي ضربها والمعروفة بـ «بازوان چته» .

المصادر :

نجد كثيراً من النبذ عن پاسبان أوغلى في رحلات الرحالتين المحدثين G. A. Oliver (١٨٠١) و L. Pouqueville (١٨٠٥) . ولكنا لم نحظ بالوصف الشامل له إلا في *Notes sur Passvan-Oglou 1758-1807 par L'adjudant-commandant Mériage* التي ألفها مبعوث الفرنسيين في ودين (١٨٠٧-١٨٠٨) ، وهذه النبذ هي أهم ما كتب عنه ، وقد نشرها Grgur Jakshich في *La Revue Slave* ، مجلد ١ ، باريس سنة ١٩٠٦ ، ص ٢٦١ — ٢٧٩ و ٤١٨—٤٢٩ ؛ مجلد ٢ ، سنة ١٩٠٦ ، ص ١٣٩ — ١٤٤ و ٤٣٦ — ٤٤٨ ؛ مجلد ٣ ، سنة ١٩٠٧ ، ص ١٣٨ — ١٤٤ ، ص ٢٧٨—٢٨٨ ، وترجمت إلى اللغة الصربية الكرواتية في *Glasnik Zemaljskog muzeja* ، مجلد ١٧ ، سراييڤو سنة ١٩٠٦ ، ص ١٧٣—٢١٦ .

(١) J.W. Zinkeisen في *Gesch. Reiches Osm. in Europa* ، جـ ٧ ، گوتا سنة ١٨٦٣ ، ص ٢٣٠ — ٢٤١ (٢) C. Jirechek : *Geschichte der Bulgaren* ، براغ سنة ١٨٧٦ ، ص ٤٨٦—٥٠٣ (٣) Iv. Pavlovich: *Ispisi iz francuskih Archiva* ، بلغراد سنة ١٨٩٠ وبخاصة ص ١٠٣ — ١٢٨ ، وهي عبارة عن تقارير سياسية عن پاسبان أوغلى من سنة ١٧٩٥ — ١٨٠٧ (٤) M.Gavrilovich في *La Grande Encyclopédie* ، مجلد ٢٦ ، باريس ، ص ٦٨ (٥) St.Novakovich : *Tursko carstvo pred srpski Ustanak* 1780-1804 ، بلغراد سنة ١٩٠٦ ، ص ٣٣٢ — ٣٨٩ (٦) M. Vukichevich : *Karadorde* ، مجلد ١ ، بلغراد سنة ١٩٠٧ ، ص ١٦٦—١٧٦ و ١٨٥—٢٠٨ (٧) P. Oreshkov : *Nekolko dokumenta za Pazvantoglu i Sofroni Vrachanski* (1800-1821) ، المأخوذة من وزارة الخارجية الروسية ، في *Sbornik* الخاصة بأكادمية العلوم ، مجلد ٣ ، صوفيا ١٩١٤ ، المقال الثالث ، ص ١ — ٥٥ (٨) V. Chorovich في

Narodna Enciklopedija ، المجلد الثالث ، زغرب سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٧٢ .

[بكر كتارڤتش F. Bajraktarevich]

« الباسط » : اسم من أسماء الله الحسنى ، (انظر مادة « الله ») .

« پاسى » : إقليم على الشاطئ الشمالى لآشى فى سومطرة ، والرأى السائد بين أهلها أنها تمتد من نهر جمبو آبى فى الشرق إلى الضفة الأخرى من نهر پاسى فى الغرب . وتنقسم پاسى كلها إلى ولايات صغيرة لكل منها زعيم يعرف بـ « أولى بالانغ » .

وكانت پاسى حيناً من الدهر مملكة معروفة فى شرقى آسية ، وكان الشاطئ الشمالى لـ « آشى » فى العصور الوسطى على الطريق التجارى البحرى من الهند إلى الصين ، وقد جاء الإسلام إليها من هذا الطريق وتوطدت أقدامه فى الهند ثم على طول هذا الشاطئ . وكان هذا الشاطئ هو أول بقعة وصل الإسلام إليها فى جزائر الهند الشرقية . وإنا لنعلم أنه كان هناك حكام من المسلمين فى القرن الثالث عشر الميلادى ، أحدهم هو الملك الصالح المتوفى عام ١٢٩٧ م وهو الذى أنشأ هذه الدولة وأدخلها فى الإسلام كما يعتقد أهلها . واكتشف قبره المشيد من الحجر المجلوب من كامباى من أعمال الهند إلى جانب عدة مقابر أخرى غير بعيد عن البحر على الضفة اليسرى لنهر پاسى . ويقال إن موقع قصبة المملكة كان فى هذه البقعة . وهناك عاصمة أخرى إلى الغرب هى « سامُدرة » Samudra وكانت مقر الملك عند ما زارها ابن بطوطة فى القرن الثالث عشر الميلادى فى ذهابه إلى الصين وعودته منها . والاسم الحالى الذى يعرف به الغربيون الجزيرة هو « سومترا » Sumatra ، وهو مأخوذ من سامدرة هذه (ويرسم عند ابن بطوطة « سمطرة ») . وإذن فقد كانت پاسى بلاداً مزدهرة على الشاطئ ، حاكمها هو ملك الثغر وهو الذى يرسل المراكب للتجارة ، وقد رأى ابن بطوطة إحدى مراكبه عند ثغر شوئنشو (فوكين) فى جنوبى الصين . وكانت الحياة فى بلاط هذا الملك على نسق الحياة فى بلاط أمراء الهند المسلمين . وكان الملك فى ذلك العهد مسلماً شديد الغيرة على الإسلام وله مشاركة فى العلم . وقد أعلن الجهاد على الأهالى الذين يقطنون البلاد التى فى محاذاة الشاطئ . وضربت السكة فى پاسى من الرصاص كما أن الذهب الصينى الخام كان أداة البيع والشراء . والغذاء الرئيسى فى هذه المملكة هو الأرز .

واضطر ملك پاسى إلى الاعتراف بسلطان دولة ماجاپيت الهندية الجاوية قبل عام ١٣٦٥ أى بعيد رحيل ابن بطوطة ... وقد اكتشف

بالقرب من «موء سوكون» . قبر الملكة أو أميرة على قمة الحجر الأعلى منه نقش عربى أرخ فى عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) وفى أسفله نقش متآكل فى لغة جاوية قديمة لم تفك طلاسمها حتى الآن . وذكر المبعوث الصينى تشنغ هو عام ١٤١٦ أن پاسى اشتبكت فى حرب متصلة مع ناگو (پيدى) ، وقال إن حاصلاتها هى الأرز والفلفل ، وتربى فيها دودة القز . وجذب الفلفل البرتغاليين إليها ، فأنشئوا محلة محصنة فى پاسى عام ١٥٢١ ، غير أن سلطان دولة آشى التى أخذ نفوذها فى الظهور طردهم منها عام ١٥٢٤ . وبذلك أصبحت پاسى من ولايات هذه الدولة . وفى تاريخ متأخر يرجع إلى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ — — ١٦٣٩) نجد سلطان آشى المشهور إسكندر ثانى قد أخذ يزور مقابر حكام پاسى . أما الآن فقد انمحت ذكرى هذه المملكة القديمة ، وملأ الغرين مصب نهر پاسى ، ولا نستطيع تبين المكان الذى كانت تقوم عليه قصبتها .

وكان لپاسى خلال السنين أثر عظيم فى أرخبيل الملايو بفضل بعثاتها وعلمائها المسلمين الذين حفظت الأخبار الملاوية والجاوية ذكراهم :

المصادر :

(١) C. Snouck Hurgronje : *Verspreide Geshriften* ، مجلد ٤ ، جـ ١ ، ص٤٠٢ وما بعدها ؛ (٢) C. Defrémery et B. R. Sanguinetti : *Voyages d'Ibn Batoutah* ، مجلد ٤ ، جـ ٢ ، ص١٠١ وما بعدها ؛ (٣) W. P. Groeneveldt : *Notes on the Malay Archipelago and Malacca* فى *Miscellaneous Papers relating to Indo-China and the Indian Archipelago* ، السلسلة الثانية ، مجلد ١ ، لندن سنة ١٨٨٧ ، ص ١٧١ و ٢٠٨ وما بعدها (٤) J. P. Moquette : *De eerste vorsten van Samoedra-Pasé* (Noord-Sumatra) فى *Rapporten Oudheidk Dienst Neder landsch-Indie* ، سنة ١٩١٣ ، ص١ ومابعدها (٥) *Oudheidk Verslag* ، سنة ١٩١٥ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

[كرن R.A.Kern]

«باش» : كلمة تركية معناها : رأس ، أو طرف ، أو قمة ، أو زعيم ، أو قائد ، أو البداية ، أو المبدأ ، أو القاعدة ، أو الأساس . ومن مركباتها : بوگار باشى ومعناها المنبع ، ويل باشى ومعناها رأس السنة ، وباش وكيل ومعناها رئيس الوزراء أو رئيس المجلس فى النظام الدستورى ، وباشكاتب ومعناها كبير الكتاب ، وباش بوغ وهى كلمة خليط من التركية والبلغارية ومعناها قائد فرقة أو قائد جيش ، وتستعمل قليلا بمعنى قائد الأسطول . وتطلق أحياناً بمعنى ضابط لغليون بحرى . وفى بلاد الجزائر تدل كلمة «باش أغا» على رئيس عربى لعدة أغوات تحت إمرته ، وكلمة «باش عدل» على مساعد القاضى وكاتب المحكمة .

المصادر :

(١) Barbier de Meynard : *Supplément aux dictionnaires turcs* ، جـ١ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٤

(٢) Belin : *Fiefs militaires dans l'islamisme* في المجلة الأسيوية ، سنة ١٨٧٠ ، ص ٤٩ .

[إيوار Cl. Huart]

« باشا » : كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية « پادشاه » ، والراجح أنها تأثرت بالكلمة التركية « باصقاق » وهى تدل على أعلى الألقاب الرسمية التى كانت مستعملة فى تركية إلى عهد قريب وما زالت مستعملة فى بعض الممالك الإسلامية التى كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية ، وكلمة پاشا تستعمل دائماً مع اسم العلم شأنها فى ذلك شأن ألقاب الشرف فى أوربا ، إلا أنها تذكر بعد الاسم ، أما ألقاب الشرف فى أوربا فتذكر قبله ، ويستعمل على هذا النحو أيضاً لقبا بك وأفندى وهما أقل شأناً من لقب پاشا ، ويختلف هذا اللقب عن الألقاب الأوربية فى أنه لا يورث ولا يترتب عليه مرتبة للزوجات ولا يقترن ذكره بذكر إقطاع من الإقطاعات ، فهو ذو طابع عسكرى أكثر منه إقطاعى . ولم يكن منح هذا اللقب مقصوراً على العسكريين وحدهم ، بل كان يمنح أيضاً لبعض كبار الموظفين المدنيين من غير رجال الدين .

وظهر لقب پاشا أول ما ظهر فى القرن الثامن . ومن العسير أن نحدد على وجه الدقة استعماله الأصلى ، وعلى أية حال فإن هذا اللقب كان فى بادئ أمره يدل على معنى غامض هو « المولى » ، وسرعان ما فقد هذا المعنى (انظر ديوان تركى سلطان ولد ، ص ١٤ ، سنة ٧١٢ هـ = ١٣١٣ م ، فى هذا الديوان تضرع إلى الله بعبارة « أى پاشا » أى يامولاى) ، وفى هذا العهد كان لقب پاشا مثل لقب سلطان يمنح للنساء أحياناً (إسماعيل حق : كتابلر ، سنة ١٩٢٧ ، الفهرس ، قادم پاشا : سلجوق پاشا) ، وقد حدث هذا المنح مرة واحدة فى القرن التاسع عشر وذلك فى حالة أم الخديو ، (انظر مادة « والده سلطان »)

وفى عهد سلاجقة الأناضول كان لقب پاشا – من حيث هو اختصار لـ « پادشاه » ومشابه لسلطان – ينعم به من وقت لآخر على بعض رجال الدين الذين كانوا فى الوقت نفسه رجال حرب والذين لم نعرف بعد تاريخهم معرفة وافية ، ونستدل من سلسلة النسب التى ربط بها عاشق باشا زاده نفسه أن هذا اللقب كان مستعملا بالفعل فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، ويروى عالى أفندى أن مخلص الدين موسى بابا وإلياس شيخ مخلص أو مخلص پاشا قبضا على أزمة السلطة فى إقليم قره مان أوغلى بعد هزيمة السلطان السلجوقى غياث الدين كيخسرو الثانى سنة

١٢٤٣م (Gibb ، *History of Ottoman Poetry* ، جـ ١ ، ص ١٧٧) .

ويظهر أنه حدث فى آخر القرن الثالث عشر الميلادى أن أضيف لقب باشا إلى أسماء بعض أمراء الدويلات التركية والتركمانية التى اقتسمت حكم آسية الصغرى وكان عددهم محدوداً ؛ وكانوا إما حكاماً وإما أعضاء من الأسر الحاكمة . وكان الأمر على هذه الحال أيضاً فى إمارات تكه وآيدين ودكيزلى وقيزيل أحمدلى (انظر مادة « الأتراك ») ولعل الأمر كان كذلك أيضاً فى إمارات الأناضول الصغيرة (انظر ما ذكره على باشا عن صاروخان فيما نقله شهاب الدين بن العمرى : « التعريف » واستشهد به القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١٦ ، س ١٤) :

ولقب اثنان من أسرة عثمان بلقب باشا : هما علاء الدين بن عثمان وسليمان بن أورخان .

وقصة علاء الدين هذا غامضة جداً ، فهناك شخصان مختلفان بهذا الاسم أحدهما علاء الدين بك ابن عثمان والآخر علاء الدين باشا وزير عثمان ، ويظهر أنهم خلطوا بين الاثنين (انظر حسين حسام الدين : علاء الدين بك ، أربع مقالات منشورة فى تاريخ عثمانى انجمنى مجموعه سى ، السنة الرابعة عشرة والسنة الخامسة عشرة) ونضيف إلى هذا أن علاء الدين أو واحدا من الاثنين اللذين عرفا بهذا الاسم ربما كان يلقب بـ « بكلربكى » أيضاً (انظر تاريخ أوروج الإنجبارى ، طبعة بابنگر ص ١٥ ، س ١٥) ومهما يكن من أمر هذه المشكلة التى لم تحل فإنه يبدو من المؤكد أن لقب باشا أنعم به على بعض السياسيين منذ عهد طويل (انظر ما ذكر عن سنان باشا فى عهد أورخان ، ومادة « الأتراك ») .

وعلى أى حال فإن لقب باشا سرعان ما أصبح امتيازاً لطبقتين من أصحاب المناصب : الأولى حكام الأقاليم « بكلربكية » والثانية وزراء القصبة ، ثم أنعم بهذا اللقب بعد ذلك على أصحاب المناصب المماثلة .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع عشر (سنة ١٣٥٩ أو سنة ١٣٦٢ ؟) كان لاله شاهين الذى يقول المؤرخون العثمانيون إنه كان أول « بكلربكى العثمانى » قد منح لقب باشا فى الوقت الذى أسند إليه فيه هذا المنصب ، ثم منح هذا اللقب إلى بكلربكى الأناضول ، وبهذا احتفظ بفكرة وجود اثنين من البكلربكية أحدهما فى الشرق والآخر فى الغرب . وكلما كبرت الدولة أنشئ فيها مناصب جديدة وأعطى اللقب إلى أصحاب هذه المناصب من الولاة (البكلربكية) .

وكان الأمر على هــذا فيما يختص بالوزراء الذين كان أولهم ، كما جاء فى رواية المؤرخين العثمانيين ، چاندارلى خليل الملقب بخير الدين باشــا (٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ — ١٣٦٩) وارتفع عدد الوزراء الذين كانوا يسمون إلى عهد أحمد الثالث « قبه وزيرلى » إلى ثلاثة ثم إلى تسعة ومنح لقب وزير إلى كبــار الموظفين

مثل قپودان پاشا النشانجى والدفتردار وأصبح هذا اللقب شيئاً فشيئاً من آلقاب الشرف وكان يقترن بلقب پاشا . على أنه لم يكن فى القصبة نفسها إلا وزير واحد لاغير واستمر ذلك وقتاً طويلا فأصبح لقب پاشا فى أرفع مدلولاته يطلق مجرداً على كبير الوزراء الذى سمى فيما بعد « أولى وزير » أو « صدر أعظم » ومن ثم لقب « پاشا قاپيسى » الذى استبدل به فيما بعد الباب العالى أى مقام كبير الوزراء .

ولم يزد عدد من كان يلقب بلقب پاشا فى أول الأمر زيادة سريعة : وقد ذكر دارامون D'Aramon أربعة أو خمسة من الپاشاوات أو الوزراء الپاشاوات ، وفى الوقت الذى كتب فيه (سنة ١٥٤٧ م) كان يوجد ثلاثة من الپاشاوات لا غير وهم : أياز وگوزلجه قاسم وإبراهيم وكلهم من أصل نصرانى . والواقع أنه يشير بهذا إلى من كان منهم فى القصبة وحدها . أما فى الولايات فقد أصبح عددهم كبيراً ، وكانوا طبقتين متمايزتين : الأولى طبقة الپاشاوات أصحاب ثلاثة من ذنب الجواد وكانوا يلقبون بلقب « توغ » أو وزير ، ومرتبتهم هذه أصبحت شيئاً فشيئاً من مراتب الشرف وكانت تمنح فى الولايات حتى قضت على رتبة البكلربكى . والثانية طبقة الپاشاوات أصحاب ذنبى الجواد أو « الميرميران » وهى رتبة فارسية كانت فى أول الأمر مرادفة للكلمة التركية بكلربكى والكلمة العربية أمير الأمراء ثم أصبحت أقل شأناً على مر الزمن . هذا إلى آن قدماء بكوات السناجق كانوا من حيث النظر أصحاب ذنب جواد واحد ولكنهم رقوا إلى رتبة الميرميران وبهذا أصبحوا بدورهم من الپاشاوات .

وبعد « التنظيمات » منح لقب پاشا إلى الأربعة الأوائل من تسعة من أصحاب المناصب المدنية وهم : « وزير » وبالا » وأولى » وثانية صنف أولى » وإلى مثلهم من رجال الجيش وهم : « مشير » وبرنجى فريق » وفريق » ولوا » وكذلك إلى الأعيان (٣ روم إيلى بكلربكى و ٤ ميرميران) . وكان يلقب بلقب پاشا من غير مبرر من الناحية العملية أصحاب رتبة « مير الأمراء » بعد اعتزالهم العمل ، وفى هذه الحالة كان اللقب شرفياً لأصحاب الرتبة السادسة .

وبعد سقوط آل عثمان ألغيت الرتب واحتفظت الجمهورية التركية بلقب پاشا للعسكريين وحدهم . وقد ألغى هذا اللقب المجلس الوطنى الكبير بأنقرة فى ٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٣٤ واستبدل بلقب پاشا لقب جنرال وبلقب مشير لقب مارشال . وكان الأوربيون ينطقون هذه الكلمة أول الأمر باشا Basha ولم ينطقوا بها پاشا Pasha إلا فى القرن السابع عشر ، وكانت تكتب فى الإيطالية Bascia وفى اللاتينية Bassa وفى الفرنسية Bacha أو باسا Bassa وفى الإنكليزية باشو Bashaw ، بصرف النظر عن اختلاف رسمها .

وكان الأمر على عكس هذا فى اللغة اليونانية ، فإن كلمة پاشا هى الأقدم ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، ولعل اليونانية تأثرت باللغات الأوربية إذ نجد فيها أيضاً كلمة باشا فى القرن

السادس عشر (انظر Ducange : *Glossarium mediae et infimae Graecitatis* ، انظر الكلمة اليونانية « مپاسپاس ») .

ويرجع نطق الأوروبيين لهذه الكلمة « باشا » إما إلى تأثرهم باللغة العربية فى مصر أو إلى خلط بين كلمة پاشا وبين اللقب التركى القديم باشا (انظر آخر هذه المادة) .

أصل كلمة پاشا :

سنتحدث فيما يلى عن الآراء المختلفة التى قيلت فى أصل هذه الكلمة :

١ — قيل إن أصلها پاى شاه بالفارسية ومعناها قدم الملك ، وقد بنى هذا التأويل على أساس أن الفارسية القديمة كان فيها موظفون يسمون باسم عيون الملك ، وتجد هذا التأويل فى قاموس تريڤو Trévoux ، مادة *bacha* ، وقد بعثه من جديد ڤون هامر von Hammer ، ولسنا نرضى بهذا الرأى .

٢ — وقيل إن أصلها هو الكلمة التركية باش بمعنى رأس أو زعيم ، وقد ذهب إلى هذا أنطوان جيفروى Antoine Geuffroy فى *Briève description de la cour du grand Turc* (1542) ، ولوينكلاڤيوس Leunclavius فى ملحق حولياته *Pandectes historiae turcicae* عن سنة ١٥٨٨ ، وانظر كذلك قاموس تريڤو وملحق Barbier de Meynard ، ولسنا نرضى بهذا الرأى أيضاً .

٣ — وقيل إنها مأخوذة من الكلمة التركية « باش أغا » وذكر فى تأييد هذا أن معنى هذه الكلمة الأخ الأكبر ، وهذا الرأى هو الذى كان يقبله الترك إلى وقت قريب (محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ ٤ ، ص ٧٣٨: شمس الدين سامى : قاموس تركى ، انظر مادة پاشا) وهو ينهض على أن سليمان پاشا وعلاء الدين پاشا كانا على التوالى أكبر أبناء أورخان وعثمان . وقد نبه عالى أفندى فى كتابه « كنه الأخبار » الذى صنفه بين سنة ١٥٩٣ وسنة ١٥٩٩ (ص ٤٩، س ٢٣) وكذلك عثمان زاده أحمد تائب المتوفى سنة ١٧٢٤ إلى هذا الاستعمال بين الترکمان (انظر كتاب حديقة الوزراء، طبعة استانبول ، سنة ١٢٧١ ، ص ٤ ، س ١٦) .

ويقول أيضاً هيدبورن (Heidborn : *Manuel de Droit Public et Administratif Ottoman* ، ڤينا سنة ١٩٠٨ ، ص ١٨٦) إن كلمة پاشا معناها عند يونان قرمان الأخ الأكبر ، ولكن يظهر أنه لا يوجد ما يؤيد هذه الأقوال الفردة . وقد أقر هذا الاشتقاق بعض مصنفى المعاجم من الترك مثل أحمد وفيق (انظر كلمة باشه) وصلاحى ، وقالوا إن اشتقاق هذه الكلمة كان على درجتين : فإن كلمة پاشا أخذت من اللقب التركى « باشا » وهذا كان معناه فى أول الأمر « باش آغا » . وسنتكلم على لقب « باشا » هذا فيما بعد ، ويظهر أنه جاء بالفعل من كلمة باش آغا ولكنه لا صلة له بكلمة « پاشا » كما ظننت أول الأمر .

٤ – وقيل أيضاً إن كلمة « باشا » مأخوذة من اللفظ الفارسى « پاد شاه » ومعناه ملك ، قرر هذا الرأى القاموس التركى الرومى الذى صنفه بوداگوف Boudaguv سنة ١٨٦٩ ، ثم أيدته من جديد دائرة المعارف الروسية التى أصدرها بروكهاوس وإفرون Brockhaus and Efron . وهو الرأى الوحيد الذى يمكن التسليم به مع إمكان تأثره بالقول الوارد فى الفقرة الخامسة . وكان « ديربلو » « d'Herbelot » قد أبدى مثل هذا الرأى من قبل عند كلامه على كلمة « pascha » بمناسبة هجائها مع حرف h فى آخرها . وهذا الرأى ينهض على استعمال كلمتى سلطان و « پادشاه »، إذ أنهما فى الغالب تقعان بعد الاسم إذا أطلق على أشخاص من ذوى المرتبة السامية فى عالم الدين كالدراويش مثلا (انظر Giese : تركيات مجموعه سى ، حـ ١ ، سنة ١٩٢٥ ، ص ١٦٤) . ويظهر أننا نستطيع أن نستعين بكلمة « پاد شاه » فنفسر العبارة الغامضة التى قالها أورخان لعلاء الدين پاشا والتى وردت فى عاشق پاشا زاده (طبعة Giese ، ص ٣٤ – ٣٥) : يقول له أورخان « ستكون « پاشا » بالنسبة إلى » وكان قد سأله قبل ذلك بأسطر قليلة أن يكن ن « چوبان پادشاه » أى راعياً لشعبه .

ومن وجه آخر نلاحظ أن لقب « پاشا » يستعمل فى كثير من الأحيان لا كمرادف لكلمة « پادشاه » فقط وإنما باعتباره مرادفاً لكلمة « شاه » أيضاً . وفيما يلى أمثلة على ذلك :

فشجاع الدين سليمان من دولة قيزيل أحمدلى يلقب « پادشاه » فى كتاب ابن بطوطة (طبعة Dfrémery et Sanguinetti ، حـ ٢ ، ص ٣٤٣) ، وورد لقب سليمان پاشا فى كتاب التعريف بالمصطلح الشريف الذى صنفه شهاب الدين ابن العمرى (طبعة القاهرة ، سنة ١٣١٢ هـ ، ص ٤) مرسوماً « باشا » حسب الكتابة العربية لهذا اللقب ، وورد كذلك أيضاً فى « منجم باشى » (حـ ٣ ، ص ٣٠) . وقد لقب إبراهيم بن سليمان وخليفته بلقب « شاه » فى كتاب ابن العمرى وبلقب « پاشا » فى « منجم باشى » . ولقب سليمان پاشا ابن أورخان بلقب الشاه سليمان فى « دستور نامه أنورى » (طبعة مكرمين خليل ، ص ٨٣–٨٤) . وقد ذكر ابن العمرى على بن چيچك الحاكم الإيلخانى لمدينة بغداد المتوفى سنة ١٣٣٦ باسم على پاشا . ويقول « نظمى زاده » ، فى « گلشن خلفاء » (طبعة الآستانة ، سنة ١١٤٣) إنه ذكر فى بعض المخطوطات باسم « على شاه » وذكر أيضاً باسم « على پادشاه » (انظر Huart : *Histoire de Bagdad* ، ص ١٠) . ويلقب حكام الدويلات الصغيرة فى اللغات الشرقية بلقب پادشاه ، ولم يتطور هذا اللقب فى تلك البقاع إلى كلمة پاشا ، ولكنه أصبح « پاتشا » بين القرغيز و « پوتشو » بين الأزابكة .

٥ – وقيل إن هذا اللقب مأخوذ من الكلمة التركية « باصقاق » (وقد رسمت : باشقاق ؟ وباشقان ؟) ومعناها حاكم أو صاحب الشرطة

(انظر قاموس Pavet de Courteille وكذلك قاموس Boudagov مادة « باصمه ») . ويقول ڤولرز إن هذه الكلمة من اللغة الخوارزمية وإنها انتقلت إلى بلاد الفرس فى عهد الدولة الإيلخانية ، وكانت تطلق عند المغول على المندوبين والولاة الذين أوفدوهم إلى الأقاليم التى فتحوها فى الغرب وبخاصة فى بلاد الروسيا . والاشتقاق المسلم به لهذه الكلمة هو أنها مأخوذة من الفعل « باصمق » ومعناه يضغط ، يحسد ، يظلم ، يكره . ونلاحظ أن كلمة « باصقاق » كانت تطلق على أحد الموظفين ومعناها ظالم أو مغتصب (انظر دائرتى المعارف الروسية والبولندية) . وكانت المهمة الأولى لهذا الموظف جباية الضرائب والخراج . ومهما يكن من غرابة هذا التفسير للقب صاحب هذا المنصب فإنه يؤيده التشابه الموجود فى كلمة « داروغه » فى لغة المغول تلك الكلمة التى تقابل كلمة « باصقاق » فى لغة الترك . ويمكننا أن نوازن كلمة « داروغه » بالكلمة المغولية « داروخو » وهى فعل مرادف لكلمة « باصمق » بمعنى يكره . وقد تكون هذه هى الاشتقاقات الشائعة .

ويقول شيفر فى الطبعة التى أصدرها لكتاب *Voyage de M. d'Aramon* (ص ٢٣٨ ، هامش ٣) إن الاشتقاق الذى ذكره جيفروى Geuffroy لكلمة باشا وهو أنها مأخوذة من الكلمة التركية « باش » خطأ . فإن باشا صيغة مخففة لكلمة « باشكاك » أو « پاشكاك » ومعناها حاكم عسكرى . ويترجم كاربينى Carpini الكلمة المغولية « باصقاق » بكلمة « باسشاق » (وردت فى المخطوطات باسكاتى وباستاسى ، انظر *The Texts and versions of John de Pl. Carpini* ... ، لندن ؛ طبعة Hakluyt ، سنة ١٩٠٣ ، ص ٦٧) . وفى هامش طبعة سنة ١٥٩٨ وفى طبعة Hakluyt الشرح الآتى : « باشا كلمة تترية يستعملها الترك » . وهذا الشرح فيه أيضاً خلط بين كلمة باصقاق وكلمة باشا .

وليس من المستحيل أن يكون الترك أنفسهم قد خلطوا بالفعل بين كلمة « پادشاه » (پاشا) وبين كلمة « باصقاق » التى ترادف الكلمة المغولية « دارغه » . وقد ذهبنا إلى هذا الرأى حتى قبل أن نرى تعليقات شيفر Schefer وطبعة هكلويت Hakluyt . ويمكننا أن نلاحظ أن لقب پاشا ، وهو لم يرد فى المصادر الفارسية كما يقول محمد القزوينى ، أطلق إما على أهل الأناضول الخاضعين بالفعل أو بالاسم للمغول أو على عمال المغول الإيلخانية ، مثل والى بغداد الذى أسلفنا ذكره (انظر ما ورد فى « بزم ورزم » لعزيز بن أردشير الأسترابادى عن پيسر على پاشا ، طبعة كوپريلى ، ص ٢٨٩ ، ص ٨) . ومما يسهل علينا تفسير هذا الخلط ورود كلمة « باصقاق » وإن كانت لا ترد إلا نادراً (الجوينى : تأريخ جهان گشا ، ١٢٦٠ هـ ؛ طبعة محمد قزوينى ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، تعليق رقم ٩ ؛ وفى هذه الفقرة إشارة إلى عامل خوارزمى كان موجوداً سنة ٦٠٩ أى قبل الفتح المغولى) .

ويمكننا أن نفترض أنه لولا التأثير الذى حدث من خلط لقب « باصقاق » ولقب باشا لـــما كان لهذا اللقب الأخير الأهمية التى أصبحت لـــه .

لقب باشا عند الترك :

ينبغى ألا نخلط بين هذا اللقب – أى باشا – ولقب باشا الذى تحدثنا عنه ، أو بينه وبين النطق العربى أو الشرقى القديم للقب پاشا : وكان لقب باشا يستعمل بعد اسم العلم ويطلق على الجند وصغار الضباط وبخاصة الإنكشارية ، ويظهر أنه أطلق أيضاً على وجوه الأقاليم (*Thesaurus* : Meninski ، حـ ا ، عمود ٦٦٢ ، ٢٩٤ ، فصل ١٨ ؛ *Onomasticon* ، عمود ٤٢٧ ؛ ومادة پاشا فى *d'Herbelot* ؛ Viguier : *Elements de la langue Turque* ، سنة ١٧٩٠ ، ص ٢١٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٧ ؛ Zenker ص ١٦٤ ، عمود ٢ ، ومن الراجح أن يكون قد أخذ عن Meninski ؛ De La Mottrayé : *Voyages* ، سنة ١٧٢٧ ، جـ ١ ، ص ١٨٠ ، تعليق ا ؛ أوليا چلبى ، حـ ٥ ، ص ١٠٧ ، ٢١٦ : نعيا ، حـ ٥ ، ص ٧١ ؛ إسماعيل حقى : كتابلر ، سفربشه ، ص ٤١ ، ٨) : ونجد أن بولاى له جوز Boullaye-Le-Gouz يميز أيضاً فى كتابه (*Voyages* ، سنة ١٦٥٧ ، ص ٥٩ ، ١٥٢) اللقب عن بشه ويترجمه بكلمة مسيو Monsieur : وقد ذكر مينِنسكى Meninski أيضاً فى كتابه سالف الذكر كلمة « بشى » ولاحظ أنها غير كلمة « بش » التى يتلوها حرف « الياء » وهو ضمير الغائب فى حالة الإضافة ، وكان مينِنسكى Meninski يجيد التركية إجادة تمنعه من الخطأ فى هذا . أما كلمة بش التى ذكرها خلورُوس Chloros فهى مأخوذة من كلمة بشه (انظر أحمد وفيق باشا : زوراكى طبيب ، الفصل الأول ، المشهد الثانى ؛ وقد أطلقها فى هذا الموضع على امرأة من قبيل التهكم) على أن مينِنسكى Meninski كان ينطقهامع هذا «بشه» .

وكما أن أصحاب المعاجم قد خلطوا بين كلمة باشا وكلمة پاشا ، فقد ظن بعضهم أن الكلمة الأولى معناها أيضاً الأخ الأكبر (انظر محمد صلاحى : قاموس عثمانى ، حـ ٢ ، ص ٢٩١ وما بعدها ، وقد أخذ عنه Chloros) : وأظن أن فى الأمر مسألتين مختلفتين وأن كلمة باشا تستعمل حقيقة محل كلمة باش أغا بمعنى كبير الأغوات وهو لقب عسكرى : ويقول روهرك Rochrig إن جماعة « القواص » ويسمون أيضاً الإنكشارية أو الياساقچى ، كان يطلق عليهم كذلك اسم « باش آغا » . ونجد المعانى الأخرى لكلمة « باش آغا » ، كما نجد تفصيلات أوفى عن بعض النقط الواردة فى هذه المادة فى J. Deny : *Sommaire des Archives turques du Caire*

ملاحظة على النطق :

يمد فى كلمة پاشا المقطع الأخير منها ، أما كلمة باشا فيمد فيها المقطع الأول وهذا يوضح تخفيف الحركة الأخيرة فى باشى كما ذكرنا من قبل .

[دنى J.D eny]

استمر اللقبان التركيان « آغا وباش آغا » يستعملان فى بلاد الجزائر ، وأطلقا فيها على بعض قادة (زعماء) القبائل الكبيرة أو على زعماء القبائل المتحالفة ، وقد أسبغت عليهم الإدارة الفرنسية فى تلك البلاد صفة رسمية ، أما لقب باشا فقد اختفى منها بينما بقى مستعملا بين شرفاء مراكش ، وظهر هذا اللقب بينهم فى القرن السادس عشر عندما تأثرت بعض التأثر حكومة السعديين بالمؤثرات التركية . وفى بداية عهد الحماية الفرنسية فى مراكش اندثر لقب باشا ولم يكن يطلق إلا على بعض زعماء القبائل مثل قبيلة شراگة فى شمالى فاس ، وقبيلة عبده الأحمر على شاطئ المحيط الأطلسى . واحتفظت الدولة الحامية بهذا اللقب عن غير قصد فحل رسمياً فى القرى محل لقب « قائد » . وهذا اللقب الأخير يفضل أصحاب القضايا إطلاقه على القاضى . وفى منطقة النفوذ الفرنسى ، وكذلك فى منطقة النفوذ الأسبانى كان يوجد باشاوات فى جميع البلاد المزودة بالمجالس البلدية . وينطقون فى تلك البلاد اللقب باشا ويجمعونه على باشاوات .

« باشالق » : كلمة تركية لها معنيان ، أولهما : منصب الباشا أو لقبه (انظر مادة « باشا ») . وثانيهما : الإقليم الذى يحكمه الباشا فى الولايات . وقد منح بعض الولاة الذين كانوا يعرفون باسم « سنجق بكى » أو « ميرلوا » لقب باشا فسميت الولايات التى يحكمونها (كالسنجق أو اللوا) بـ « باشالق » .

وفى أوائل القرن التاسع عشر كان سبعون سنجقاً من السناجق البالغ عددها ١٥٨ يطلق عليها « باشالق » : منها ٢٥ « باشا سنجغى » أى السناجق التى فيها حاضرة الإيالة مقر حكم الوالى . وللتوسع فى هذا الموضوع انظر Mouradgea d'Ohsson : *Tableau général*

[دنى J. Deny]

« باشجرد » ويقال أيضاً باشغرد وباشغرت وباشغرد وباش قرد أو باش قُرد : الاسم العربى للباشقر والمجر . والباشجرد كانوا يسكنون على الإجمال ما يعرف الآن بناحيتى أوفا وأورنبورغ Ufa & Orenburg ، وأول من ذكرهم فى إيجاز هو الإصطخرى (طبعة ده غويه ، ص ٢٥٥ ، ٢٢٧) ثم فصل ابن فضلان الكلام عنهم (ياقوت ، حـ ١ ، ص ٤٦٨ وما بعدها) .

والباشغرد قليلو العدد ، وهم يبلغون فى رواية الإصطخرى ألفى نسمة فحسب ، وكانت أرضهم مغطاة بالغابات كما هى الحال فى بعضها الآن وهى على مسيرة ٢٥ يوماً من أرض المجر .

وكان الباشغرد خاضعين للبلغار ، وإن كانوا قد ظلوا وثنيين . وذكر ابن فضلان أن كل واحد منهم نحت خشبة وجعل منها صنما يحمله معه ويصلى له إبان الشدة ، وفى ساعة الخطر . وحل القرن الحادى عشر ولم يُسْلم الباشغرد أجمعين ، ويقول الرحالة روبرنكى (١٢٥٣) إنهم ظلوا خاضعين للبلغار إلى أن جاء التتر فأسلم معظمهم .

والواقع أن الروس هم أول من عرف فى القرن السادس عشر الميلادى أن الباشغرد أصبحوا أمة إسلامية بالمعنى الصحيح .

وقد سمع روبريكى من قساوسة من أصل مجرى سكنوا تلك البلاد قبل مجىء التتر أن لغة الباشغرد هى عين اللغة المجرية . ولغة الباشغرد اليوم تنتسب ، إذا استثنينا بعض الخصائص الصوتية وقواعد القلب والإبدال ، إلى مجموعة اللغات التركية وليست تابعة للمجموعة الفنية كلغة المجر (انظر وصف روبريكى فى O. Wolff : *Geschichte der Mongolen oder Tartaren* برسلاو عام ١٨٧٢ ، ص ٢٦٣ وما بعدها) . بل إن التفسير الشائع لاسم القوم يذهب إلى أنه مكون من « باش » ومعناها رأس و « قورت » ومعناها ذئب أو « قورت » بمعنى دودة أو نحلة .

ومن المشكوك فيه أن يكون الأمر على عكس ذلك فى القرن الثالث عشر الميلادى . ويرى ماركار (Marquart : *Osteuroptische und ostasiatische Streizege* ، سنة ١٩٠٧ ص ٦٩) أن هذا التقارب بين الباشغرد والمجر ووصف بلاد الباشغرد بأنها بالمجر العظمى *Magna Hungria* لا يفسران إلا الرجوع إلى مدلول هذا الاسم عند العرب . ومما يجدر ذكره هنا أن قوزاق الروس أطلقوا اسم الباشقر على المجر إبان حملة عام ١٨٤٩ م .

واضطر الباشغرد إلى الخضوع للروسيا عقب فتح قازان ، وفى القرن السابع عشر كانت هناك حروب كثيرة بين الباشغرد والقالموق ثم بينهم وبين القرغيز فى القرن الثامن عشر ، أضف إلى ذلك أنهم كثيراً ما انتقضوا على حكم الروس ، إما باشتراك مع تتر القريم ، وإما بتحريض شيوخهم على حكم الكفار ، وقد حدث هذا ثمانى مرات فى القرن السابع عشر وأربعاً فى القرن الثامن عشر . وذكر اسم الباشغرد مع الثوار فى الفتنة الكبيرة التى قام بها پوغاچوف Pugachew (١٧٧٣ — ١٧٧٤ م) فاتبعت الحكومة الروسية سياسة الإيقاع بين قبائل البدو الثائرة كى يفنى بعضها بعضاً . وقام الباشغرد وحدهم سنة ١٧٥٥ بآخر فتنة لهم فأخضعتهم قبائل القرغيز بعدما أنزلت بهم أشد ضروب القسوة .

وتدرب الباشغرد بوصفهم جنودا غير نظاميين فى خدمة الفرسان النظاميين منذ عام ١٧٨٩ واشتركوا فى الحملات التى وجهت إلى غرب أوروبا (١٨١٣ — ١٨١٤ م) ولو أن سلاحهم كان القوس والنشاب ، ولم يحملوا الأسلحة الحديثة إلا فى عهد متأخر . ولما أدخل نظام التجنيد الإجبارى عام ١٨٧٤ م أنشئت كتيبة من الباشغرد ، وفى عام ١٨٧٨ م أنشئت منهم كتيبة من الفرسان ولكنها سرحت عام ١٨٨٢ م .

وعاقت الحروب التى نشبت فى القرن الثامن عشر تقدم هؤلاء القوم ، أضف إلى ذلك أن جزءاً كبيراً من الأرض حصل عليه موظفو الروس فى ذلك الوقت وما تلاه بأثمان بخسة يضرب بها المثل فى الروسيا ، وابتاعت الحكومة الروسية من هؤلاء

الموظفين جزءاً كبيراً من هذه الأراضي ثم أعادتها إلى الباشغرد باعتبارها وقفاً لايحل فيه البيع أو الشراء . ويعطى الآن لكل فرد منهم خمسة عشر دستان (٣١٧ فداناً) من الأرض وهو قسط ضئيل لا يكفي البدوى ، ولذلك فان غالب القوم ركنوا إلى حياة الاستقرار . ويبلغ عدد الباشغرد الآن مليوناً من الأنفس .

المصادر :

(١) E. Reclus : *Nouvelle géographie universelle* ، باريس سنة ١٨٨٠ ، جـ ٥ ، ص ٧٥٣ وما بعدها (٢) Liewschin : *Opisanije kirgiz-kaisackich ord i stiepej* ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٣٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢ ومابعدها (٣) N. Aristow : *Zamietki ob etniches-kom sostavie tjurkskich narodnostiej i sviedienija o jich chislennosti* ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٩٧ ص ١٣١ وما بعدها . (٤) ونشر W. Katarinskij في Orenburg سنة ١٨٩٩ قاموساً صغيراً في لغة الباشغرد عنوانه *bashkirsko-russkij slovar* .

ونحن نجد أن المجر سموا بالمجغرية منذ ابن رسته (طبعة ده غويه ، ص ١٤٢ وما بعدها) وكلمة باشغرد أو باشقرد لم ترد في هذا المعنى عند ياقوت فحسب (جـ ١ ، ص ٤٦٩ وما بعدها) بل وردت كذلك فيما كتب عن حملات المغول (D'Ohsson : *Historire des mongols* جـ ٢ ص ٦٢٠) ولم يشر العرب إلى المجر إلا إشارات ضئيلة ، فالمجر الوثنيون يعتبرون دائماً عباد نار ، ورواية رشيد الدين تشير في الواقع إلى هذا (جامع التواريخ ، باب تاريخ الفرنجة ولم ينشر بعد) فهو يقول إن أوتو الأول نصّر كثيرين من عباد النار (گابران) وليس من السهل أن نفسر قصة المجر المسلمين الذين رآهم ياقوت في حلب .

[بارتولد W. Barthold]

+ باشجرد (باشكُرْد) : اسم شعب تركي يعيش في باشكردستان جنوبي جبال الأورال ، وهي الآن جمهورية سوفيتية ؛ والمكان الذي نشأ فيه هذا الشعب مشكوك فيه، وجاء في بعض الشواهد إنه خرج من جنوبي غرب تركستان (انظر طوغان: تورك تاريخي درسلري، سنة ١٩٢٧ ؛ Hamilton ، *Les Uygures* ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٣) على حين تبين مصادر أخرى أن موطنهم الحالي هو موطنهم الأصلي (قد تكون الأسماء پا گوريتاي ؛ گيوينوي؛ تابينوي؛ بورويسكوي ، وسوبينوي ، بطلميوس جـ ٣ ، ص ٥ ، ٢٢ ، ٢٤ ؛ جـ ٤ ، ص ١٤ ، ٩ ، ١١ ، هي عين « الباشگرد » والأسماء القبلية « گينه » و « طابين » و « بوروج » و « صووين »؛ ابن فضلان ، طبعة طوغان ، ص ١٨٧ ، ٣٢٧ ؛ رشيد الدين ، باريس ، الملحق الفارسي للمكتبة الأهلية ، ١٣٦٤ ، ورقة ١٣٤ أ) .

ويقول الإصطخري إن الباشكُرْد كانوا يعيشون في إقليم حافل بالغابات يصعب اختراقه ، وأن قلب هذا الإقليم كان على مسيرة ٢٥ يوماً من البلغار ، ويسمى البيروني جبال الأورال : « جبال

الباشكرد » . وقد مسح ابن فضلان بشخصه سنة (٩٢٢ م) الإقليم وقوّم دين الباشكرد وعاداتهم ، وقال إنه أقبل على مضارب القوم بعد أن عبر نهرى كنال وسوخ على مشارف البلغار . ويذكر ابن فضلان أيضاً أنهم كانوا وثنيين (أى شامانيين).

وقد ضم الإدريسى قصص معاصريه عن هذا الإقليم إلى القصص التى نجدها فى الترجمة العربية لبطلميوس ، وزودنا بتفصيلات أقرب إلى التعقيد عن مدنه ومصنوعاته النحاسية وأسلحته وصادراته من فراء القندس والسنجاب ... إلخ . ولكن معظم هذه التفصيلات تشير فيما يرجع إلى المجريين . والسبب فى هذا الخلط نشأ من أن المصادر الإسلامية سمت الباشكرد «باشكرد الداخل» وسمت المجريين «باشكرد الخارج» ؛ على حين قسم باشكرد جبال الأورال أنفسهم إلى باشكرد الداخل وباشكرد الخارج .

وقد عرف الباشكرد لدى جيرانهم القازاق والنوغاى بعد القرن الخامس عشر باسم « إيستك » الذى كان المنشأ الذى خرج منه المصطلح « هشك » . وكانت قبيلتا « يورماطى » و « ينى » من الباشكرد ضمن القبائل التركية التى بسطت سلطانها على المجريين فى القرن الثانى عشر . ثم إن النظريات التى تقول إن الباشكرد كانوا مجريين لم يستتركوا حتى عهد المغول (انظر Nemeth : Magna Hungaria ، ص ٩٥ ؛ KCA ، حـ ٣ ، ص ٧٣) تفقد وجاهتها نتيجة لقول محمود كاشغرى أن لهجتى الباشكرد واليمك أى اللغة القبچاقية الشمالية بينهما صلة وثيقة . وكذلك يربط شمس الدين الدمشقى المتوفى سنة ١٣٢٧ وأبو الغازى خان الباشكرد بالقبچاق . والحق إن الباشكرد كانوا قد دخلوا فى الإسلام قبل عهد المغول بأمد طويل . ويروى ياقوت الذى لقى بعض الباشكرد القادمين من بلاد المجر ليدرسوا فى حلب ، روايات عنهم تذهب إلى أن أجدادهم تلقوا الإسلام من بلغار نهر إتيل ويقول إنهم كانوا من الحنفية ، وإنهم كانوا يملكون ثلاثين قرية ، ويتحدثون بلغة « الأفرنج » وقد انخرطوا فى جيش ملوك « المجر » وإن كانوا لا يشتركون فى حملاتهم على بلاد الإسلام . ويذكر الكاتب أبو حامد الأندلسى الذى عاش ردحاً من الزمن بين الباشكرد فى بلاد المجر أنهم كانوا مثل البلغار على المذهب الحنفى ، ويقول إنه كان ببلاد المجر ٧٨ قرية باشكردية ، ويتوسع فى إطلاق اسم الباشكرد حتى شمل المجريين غير المسلمين .

وكانت منازل الباشكرد قريبة كل القرب من المضارب الصيفية لخانات القطيع الذهبى المغولى ، ولما دانوا بالطاعة للمغول أجبروا على الانخراط فى سلك الجنس المغولى ؛ على أنه سمح لهم بأن يقوم بالقضاء بينهم قاض خاص بهم . وقد برز فى خدمة الإيلخانية أمير الباشكرد الذى قضى على عصيان سُلَـمِش فى آسية الصغرى وصارقان باشكرد نائب ألجايتو . وقد وجدنا الباشكرد أيضاً فى خدمة مماليك مصر ، ومنهم علم الدين سنجر الباشقردى الذى كان نائباً لقلاوون فى الشام .

وكان النورا (شيبانى) خانية يبسطون سلطانهم على الأجزاء الشمالية والشرقية من باشكردستان ،

على حين بسط قازان خان صاحب گراى نفوذه على « القازان يولى » وغنم أمراء النوغاى جنوبى باشكردستان . وقد حكم أميران من الأولى نوغاى هما إسماعيل أوغلى أوروس ميرزا وابن أخيه إيشتيرك ميرزا : النوغاى يولى أى باشكرد جبال الأورال من قبل الكوچومية حتى سنة ١٦٠٨ .

وقد حدث فى وقت من الأوقات أن قدم أوروس ميرزا إلى السلطان سليمان الأول عروضاً يستحثه بها على ضم حوض القلجا إلى الدولة العثمانية ، كما أرسل أيضاً سفراء إلى القيصر إيڤان الرابع ، ذلك أن الروس الذين يحتلون قازان وأستراخان كانوا يضغطون على شرقى القلجا وقد جعلوا سمارا ويايتيكا وأوفا قلاعاً روسية وفرضوا الضرائب على الباشكرد المجاورين ، واحتج بأن الإيستك الباشكرد كانوا يؤدون الضرائب له وحده ، وأن الروس بفرض الضرائب عليهم يتدخلون فى الشئون الداخلية لولاية النوغاى (Pekarsky : *Kogda osnovany goroda Ufa i Samara* ، سنة ١٨٧٢ ، ص ٨) . . صحيح إن الترك خطوا بعض الخطوات لإصلاح ذات البين ، إلا أنهم مضوا فى بسط سلطانهم شيئاً فشيئاً . وقد أصبحت ٨٠٠ أسرة باشكردية تحت سلطان الروس ، وما وافى عام ١٧٠٠ حتى ارتفع عددها حتى بلغ ٧٠٠٠ أسرة . وفى عهد الروس نظمت الولاية تنظيماً أقرب ما يكون إلى ما كانت عليه . فقد قسمت الجماعة عدة طبقات : « الميرزاوات » (بالروسية : كنياز) الذين خرجوا من بين صفوف أشراف المغـــول والتتار ، والـ « بابات » (بالروسية : ستراشينا) والـ « طرخانية » الذين كانوا من زعماء القبائل ، والـ «عصبات» (بالروسية : ڤوتچينيك) الذين كانوا أصحاب إقطاعات يتوارثونها وينخرطون فى صفوف الجيش ، والـ « ياساقلية » الذين كانوا فلاحين صالحين للخدمة العسكرية ، والـ «تيپترية» الذين كانوا فلاحين مقيدين بدلا من أصحاب الإقطاع ، والـ « بوبيلية » (بالتركية القديمة والمغولية : بوگول ، أى الأسير) الذين كانوا فلاحين بلا أرض يمتلكونها ، والـ « تاسناقية » الذين كانوا بدوا ارتبطوا بقرية بعينها . وقد جرى الميرزاوات والبيكوات والطرخانية على أن يلتقوا فى مؤتمرات (ياين) ليناقشوا المسائل السياسية العامة ، ويكون لقاؤهم فى خان توبيسى فى جوار ما يعرف الآن بقرية حاجى يورماطى . وكان ثمة مصالح تسمى ديوان تدبر شئون الولاية . وكانت منازل قبيلة يورماطى هى القاعدة العسكرية للولاية ، وكان العصبات يرابطون على طول الطرق العسكرية الكبرى التى تخرج من هناك : طريق نوغاى إلى الجنوب ، وطريق قازان إلى الغرب ، وطريق أوسه إلى الشمال ، وطريق سيبيريا إلى الشرق .

وكان ثمة مقاومة ضارية لضم البلاد إلى الروسيا ، وكثرت الانتفاضات . وقد كان الكوچومية ، أى زعماء الباشكرد الذين ينتخبهم الشعب ، على رأس هذه الانتفاضات التى اقترنت فى بعض الأحيان بحركات أخرى فى أوكرانيا وشمالى القوقاز ، كما اقترنت بجهود أهل القريم والقلموق والعثمانيين

الذين كان للباشكرد صلات معهم . وفى القرن السابع عشر والربع الأول من القرن الثامن عشر انضم الباشكرد إلى الحركات التى قامت فى أقاليم غربى سيبيريا ، وسيحون الأسفل ، وأستراخان ، والطونه وداغستان بل فى منطقة ديربسين المنغارية . وكانت سنة ١٦٦٧ هى السنة التى زار فيها أوليا چلبى أيام كوچوك سلطان الكوچوى الباشكرد بين ترك وأستراخان هم والقلموق ، وقد بهرته قدرتهم الحربية وغيرتهم القومية والدينية (سياحتنامه ، حـ ٧ ، ص ٧٦١ ، ١١٨ — ٨٢٥ ، ٨٣٥—٨٣٦).

وكان الباشكرد يقومون بانتفاضاتهم إذا حلت بالروسيا شدائد من الخارج ، مثال ذلك فتنة سنة ١٦٧٨ التى أحرقت خلالها عدة بلدان روسية فى حوض الڤولجا وقاما ، وارتبطت بالانتصار التركى على الروس فى چگرين واحتلالهم لجنوبى أوكرانيا . وكان الباشكرد أيضاً صناع سلاح مهرة وكانوا يمونون به أنفسهم والقره قلپاقية والقازاقية . وكانت الحكومة الروسية تعول تعويلا كبيراً على قطع علاقات الباشكرد بالخارج وإغلاق مصانعهم التى تنتج الحديد والصلب . وفى سنة ١٦٧٥ أصدر الروس مرسوماً يمنعهم من إنتاج الحديد ولكنهم لم يفوزوا بطائل . على أن الروس نجحوا فى زيادة العنصر الروسى على الرغم من الصعوبات الخارجية ، بفضل إقامة مصانع فى پترو بجبال الأورال ونقل حشود من الروس إليها

وقد كان أبوكه خان القلموق هو السبب فى مصرع كوچوك سلطان . واستؤنف النضال مع الروس على يد ابنيه مراد سلطان وخوزاى (إبراهيم) سلطان . وقد استطاع هذان الأميران أيام الحروب بين الروس والسويديين فى عهد بطرس الأكبر أن يدفعا الباشكرد جميعاً إلى الثورة ، كما كانا على صلات وثيقة بخانات القرم وقوزاق النوغاى والطونة ، وقد شخص مراد سلطان إلى القرم وإستانبول فى محاولة فاشلة لطلب العون . وأسهم هذا الأمير سنة ١٧٠٨ فى محاولة مشتركة بذلت لدى نوغاى قوبان والچركس لحملهم على احتلال القلعة الروسية ترك ، ولكنه جرح واعتقله الروس وحاكموه ثم قتلوه . ويروى مبعوث باشكردى زار سلطان أحمد الثالث سنة ١٧١٦ أن الباشكرد هم وحلفاءهم القره قلپاقية والقرغيز قد أثاروا فتنة أخرى هاجموا خلالها ترك انتقاماً لقتل مراد سلطان وذبحوا أربعين ألف روسى (رشيد : تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٣٢٧) . وكان يعينهم القازاق ، ذلك أنهم انضموا فى أوائل القرن الثامن عشر تحت سلطان الخان القازاقى طوبيرچيق أوغلى قايب خان الذى كانت قصبته طشقند . وقد احتفظ بالرسائل التى دارت بين قايب خان و سلطان أحمد الثالث سنة ١٧١٥ — ١٧١٦ فى المحفوظات العثمانية (إستانبول : باشوكالت أرشيوى نامه همايون دفترلرى ، مجلد ٧ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢) .

ودامت هذه الثورة سبعة عشر عاماً أنهكت قوى الباشكرد . وفى النهاية أرسل وفد إلى سانت بطرسبرغ وأبرمت معاهدة صلح . على أن فتنة أخرى قامت سنة ١٧٣٥ بقيادة قلماق أبز وكوسوم

أوغلى آقاى لمواجهة جهود الروس الرامية إلى تطويق باشكردستان وعزلها عن القرهقلپاقية والقازاق . وكانت هذه الفتنة أشد فتن الباشكرد فى كثرة ما سفك فيها من دماء، وقد اعتقل أبز وآقاى آخر الأمر وحملا إلى سانت بطرسبرغ وقتلا ، ولكن نيران القتال اشتعلت ثانية سنة ١٧٣٧ بقيادة اثنين من البيكوات من قبيلة قوواقان هما بيبين وتونگوور كوسپ يؤيدهما خانات القازاق . ونادى بيبين بخوجه أحمد سلطان ابن خان القازاق أبى الخير خاناً على الباشكرد . ولم تخمد هذه الحركة إلا بعد خسائر باهظة فى الأرواح .

واستؤنف القتال سنة ١٧٤٠ بقيادة زعيم عرف باسم قره صقال . وكان هذا الزعيم فى الواقع هو باى بولاد آخر الكوچوميه الذى كان هو وابن أخ له يجاهدان بين الباشكرد منذ سنة ١٧٣٨ بتأييد خانات القرم (*Istor. Zapiski* ، مجلد ٢٤ ، ص ١٠٢) . واستمر القتال سنتين ثم أنزل الروس الهزيمة بقره صقال ففر إلى خانات قازاق أورطهيوز والتجأ إلى براق خان . ولم نعد نسمع بعدهذه الفتنة بشىء عن الكوچومية ، ولكن فتنتين أخريين نشبتا سنة ١٧٥٥ وسنة ١٧٧٤ .

وفى سنة ١٧٩٨ عملت كاترين الكبرى بسياسة الوئام مع الباشكرد فقسمت الولاية إقليمين قبليين تقليديين ، كما جندت أيضاً كتيبتين باشكرديتين سلحتهما بالأقواس والسهام وألبستهما الزى الوطنى . وقد استخدمت هاتان الكتيبتان فى الحروب مع ناپليون ، وتقدمت فعلا حتى باريس . على أن هاتين الكتيبتين ألغيتا سنة ١٨٦٢ ، ولو أن بعض وحداتهما الصغيرة لم تسرح إلا سنة ١٨٨٢ . وكان الباشكرد تتولى شئونهم وزارة الخارجية الروسية من قبل ، ولكن الروس منحوهم سنة ١٧٨٢ نفس الحقوق التى كان يستمتع بها سائر الرعايا الروس وإن كانوا قد احتفظوا بقوانينهم الإدارية والقوانين الخاصة بالأراضى .

وكان للباشكرد شأن هام فى ثورة سنة ١٩٠٥، ذلك أن الباشكرد عملوا سنة ١٩١٧ بالقرار الذى اتخذته « الجمعية العامة لمسلمى روسيا » فى اجتماعها الذى عقد ما بين ١ — ١٠ مايو بالمناداة بمنح الاستقلال الذاتى للأقاليم التركية المسلمة ، فألف ممثلو الباشكرد لجنة ثلاثية (زكى وليدى ، سعيد ميراث ، الله بردى جعفر) ليبحثوا التنظيم الإدارى لولاياتهم . وانتهوا إلى اتفاق مع القازاق قرغيز ، وعقدوا المؤتمر الباشكردى الأول الذى حث الباشكرد على الانضمام إلى الشعوب الأخرى التى تناضل فى سبيل الاستقلال الذاتى (القازاق والأزابكة ... إلخ ؛ باشكرد آيماغى ، أوفا سنة ١٩٢٥ ، جـ ١ ، ص ٣) . وفى الخريف بدءوا ينشئون جيشاً وأقيم مركز إدارى فى الخان بأورنبورغ برئاسة بيكباو أوغلى يونس . وفى سنة ١٩١٨ ألقى الروس هذه الحكومة وسجن أعضاؤها فى أورنبورغ ولكنهم استطاعوا الهرب من بعد . وفى يونية هب الباشكرد ثانية ، وجندوا فرقتين حربيتين ، وأحيوا الحكومة فى أورنبورغ . وأرادوا أن يدخلوا فى صفوف جنودهم فصائل من القازاق قرغيز فحولوا

الفرقتين إلى جيش قائم بذاته بقيادة القائد إشبولاتوف. ولكن الحلفاء روعهم الهجوم الألمانى فى أوكرانيا والقوقاز ولم يوافقوا على قيام جيش وطنى من القرغيز والباشكرد فى الأورال وفى الفيافى وسعوا إلى تسريحه . ونزل على رغباتهم فأعلن القائد قولچاق أنه لن يعترف بالجيش ولا بالحكومة (٢١ نوفمبر سنة ١٩١٨) .

وفى ١٩ فبراير سنة ١٩١٩ عقدت حكومة « باشكردستان » معاهدة صلح مع السوفييت حمت جيشها واستقلالها الذاتى وشئونها الداخلية . وبذلت بعد ذلك جهود للتوحيد بين الباشكرد والقازاق ، ولكن السوفييت أنكروها ، وجعلت إيستر ليطاماق القاعدة الإدارية لباشكردستان ، وآقتوبه قاعدة لقازاقستان ، وكانت تلك هى « باشكردستان الصغرى » ومساحتها ٨٤,٨٧٤ كيلومترا مربعاً وعدد سكانها ١,٢٥٩,٠٥ نسمة فيهم ما بين ٦٥—٧٢٪ من الترك. وكان رئيس وزرائها هو يوموغول أوغلى الذى عرف من بعد باسم زكى وليدى طوغان (وليدوف) . وفى ٢٩ يونية سنة ١٩٢٠ انسحب أعضاء الحكومة من مناصبهم ومضوا إلى التركستان ليشاركوا فى حركة الباصمچية (انظر هذه المادة) ضد السوفييت ، وألفت حكومة سوفيتية خالصة وسرح الجيش . وفى يونيه سنة ١٩٢٢ وحد السوفييت بين باشكردستان وبين ولاية أوفا التى كان يغلب عليها الروس وسموها « باشكردستان الكبرى » . وقد بلغت مساحتها فى تعداد سنة ١٩٣٥ : ١٥١,٨٤٠ كيلومترا مربعاً ، وعدد سكانها ٢,٩٧٥,٤٠٠ نسمة فقط ٥١٪ منهم أتراك .

واللهجة الباشكردية وسط بين القازاقية والقازانية وقد طوعت فى عهد السوفييت للكتابة وطبعت بها كتب .

المصادر :

(١) Gyula Németh : *Magna Hungarica* ، *Beitraege zur his. Geographie des Orients* طبعة von Mzhik ، ڤينا سنة ١٩٢٩ ، ص ٩٢ — ٩٨ ؛
(٢) *Relation de* : Abu Hâmid el Granadino ، *Viaje par Tierras Euroasiaticas* طبعة C. Dubler ؛
(٣) I. Hrbek فى *Archiv Orientalni* ، جـ ٢٣ ، پراغ سنة ١٩٥٥ ، ص ١٠٩ ومابعدها ؛
(٤) Peloninko : *Bashkiriya* ، أوفه سنة ١٩١٢ .
(٥) عبد الله عصمى : باشكردستان جغرافياسى ، أوفا سنة ١٩٢٤ ؛
(٦) وانظر عن تاريخ الفتن والانتفاضات : ا. بطال : قازان توركلرى ، إستانبول سنة ١٩٢٥ ص ٨٢ — ٨٦ ، ٩٢ — ٩٥ ، ١٠٠—١٠٨ ، ١١٧—١٢٦ ؛
(٧) Chuloshnikov : *Bashkirskiya vosstanya 17 i pervoy poloviny 18 Veka* ، سنة ١٩٣٦ ؛
(٨) Dobroshmislov : *Bashkirskiya bunti* ، سنة ١٨٩٩ ؛
(٩) *Trudi nauchnago obschestva po isuchenyu bita istoriyi i kulturi bashkiryi* ، إيستر ليطاماق سنة ١٩٢٢ ، جـ ١ ، ٢ ؛
(١٠) *Materialy obschestva izuchenya Baskbiriyi* ، جـ ١ .
(١١) *Bashkirski krayovedcheski Sbornik* ، أوفا سنة ١٩٢٢ ؛
(١٢) شمس تيتيف: باشكرد يستانده إنقلاب تاريخى ، أوفا سنة ١٩٢٦ .
(١٢) R. Raimov : *Obrazovanje Baskkirskoj ASSR. M.* سنة ١٩٥٢ . *Materialy po istoriji Bashkirskoj*

ASSR ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٦ ، Vyp ، ML سنة ١٩٥٦ = Materialy (١٣) N.V. Ustingov : Baskkir سنة ١٩٥٠ ، AIL Baskir. Vosstanji 1737-1739 g. Kuzyev (١٤) Vsostanje 1662-4g M 1947 ، Ocherki istoriyi Bashkirskoi ASSR : Osmanov أوفا سنة ١٩٥٧ . (١٥) زكى وليدى طوغان : تورك إيلى (تركستان) تاريخى ، إستانبول سنة ١٩٤٢ ، ص : ١٢٦ ، ١٥٨—١٧٣ ، ٢٤١—٢٤٣ ، ٣٠٠ ، ٣٦٠ — ٣٦٤ ، ٣٧٠ — ٣٧٢ ، ٤٠٢ — ٤٠٥ ؛

وانظر عن الباشكرد من حيث علم السلالات وعلم الإنسان : (١٦) S. Rudenko : Bashkiri, opit etnologocheskoy Monografiyi ، حـ١ ، بتروغراد سنة ١٩١٦ ؛ حـ ٢ ، سنة ١٩٢٢ ، Bashkiry ؛ موسكو سنة ١٩٥٥ ؛ (١٧) Kuzeyev : Ocherki etnografiyi Bashkir 18. Stoletya (١٨) Youferov : Etudes Ethnographiques sur les Bashkirs ، باريس سنة ١٨٨١ (١٩) J. Wastl : Bashkiren, Ein Beitrag zur Klarung der Rassenprobleme Osteuropas ، فينا سنة ١٩٣٨ ؛ (٢٠) Nikolsky : Bashkiry ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٩ مع مصادر مستفيضة ؛ (٢١) R. Lach. & H. Yansky : Bashkirische Gesaenge ، فينا سنة ١٩٣٩ ؛

وانظر عن اللهجة الباشكردية : (٢٢) G. Meszaros : Magna Ungaria ، بودابشت سنة ١٩١٠ ، ص ١٠١—١٠٤ ؛ (٢٣) Bashkuri Aymaghi ، حـ ٢ ، سنة ١٩٢٦ ؛ (٢٤) Biyisev : Bashkursky Literaturny Jasyk i dialekti ، سنة ١٩٥٥ (٢٥) إسلام أنسيكلوبيدياسى . مادة باشكرد ، بقلم زكى وليدى طوغان ؛

خورشيد [زكى وليدى طوغان Z.V. Togan]

« باش دفتردار » : (انظر مادة « دفتردار »)

« باشغرد » : (انظر مادة « باشجرد ») ؛

« الباشقر » : (انظر مادة « باشجرد ») ؛

« باشقرد » : (انظر مادة « باشجرد ») .

« باشماق » : كلمة تركية معناها « نعل » ، ويطلق اسم « باشماق شريف » على نعل من آثار النبى صلى الله عليه وسلم ورد ذكرها فى القرن الرابع الهجرى ؛ وقيل إنها كانت فى حوزة السلطان الأشرف المصرى المتوفى سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧م) نعل من هذه الآثار فى دمشق ؛ وفى فاس نموذج آخر من هذه النعل وصفه المقّرى وصفاً مفصلا فى رسالة عنوانها « فتح المتعال فى وصف النعال » ؛ انظر أيضاً : « باشماق شريف خاصيتلرى برله » طبعة قازان ، سنة ١٨٤٨ ؛ ويوجد أيضاً بين آثار النبى صلى الله عليه وسلم المحفوظة فى إستانبول « باشماق شريف » ؛ وانظر أيضاً مادة « النعل الشريف » ؛

المصادر :

(١) Dozy : *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes* ، ص ٤٢١ — ٤٢٢

(٢) Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، جـ ٢ ، ص٣٦٢ — ٣٦٣ .

+ « باشماقلق » : مصطلح أطلق أيام الحكم العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر على إيرادات الإقطاعات المخصصة لحريم السلطان لشراء حاجياتهن الشخصية وخاصة ملابسهن ونعالهن (باشماق أو باشماق في التركية معناها نعل) . ولم نصادف بعدُ هذه الكلمة في أي وثيقة أقدم من نهاية القرن السادس عشر ، وقد بطل استعمالها منذ بداية القرن الثامن عشر ، وكانت السيدات الصالحات لتلقي الباشماقلقيات هن أم السلطان (والده) وشقيقاته وبناته وقادبناته (جمع قادين) وخاصكياته . ولكننا نفتقر إلى المعلومات فيما يخص القيم المختلفة للإيرادات التي كانت تخصص لكل من هذه الطبقات ، إن وجد مقياس كان يقاس به ذلك على الإطلاق ، على أننا نعلم أن هذه الإيرادات كانت تخصص لهن مدى الحياة ، ثم إنه حدث في القرن السابع عشر أن هذه الإيرادات قد زيدت في كثير من الأحيان زيادة معينة حتى تجاوزت الحد المألوف لهذا الإيراد وقدره ٢٠,٠٠٠ آقچه في السنة بأن أضيفت إليها إيرادات الإقطاعات الحربية التي شغرت من أصحابها ، صحيح أن المصطلح « باشماقلق » قد بطل استعماله في باكورة القرن الثامن عشر ، إلا أن إيرادات الإقطاعات ظلت تخصص للحريم السلطاني المذكور ، وأصبحت تسمى من هذا الوقت باسم « خاص » وتتكون في الواقع من جميع الإيرادات التي كانت تجمع قبيل هذا التاريخ « بالمقاطعة » من حصيلة المبالغ المؤداة مقدما من الملتزمين لبعض هذه المزارع ، وحوالي نهاية هذا القرن اتخذت سُنة جديدة هي منح « مقاطعات » لهؤلاء السيدات على طريقة « مالكانه » أي الالتزام مدى الحياة ، ولكن مثل هذه المنح ألغيت آخر الأمر في عهد الإصلاح واستبدل بها مرتبات نقدية كانت تؤدى لهن سنوياً .

المصادر :

(١) قوچي بك : رساله ، إستانبول سنة ١٩٠٣ ، ص ١٧ ، ٣٤ ، (٢) Hammer : *Des Osmanischen Reichs Staatsverfassung* ، جـ٢، ص ٤٣٤ ، ١٥٩ (٣) إسلام أنسيكلوبيديا سي ، هذه المادة بقلم گوك بلگين ، (٤) Gibb and Boven : *Islamic Society and the West* ، مجلد ١ ، جـ ١ ، الفهرس .

خورشيد [بوون H. Bowen]

+ « باش محاسبه » : (انظر مادة « ماليه »).

+ « باشوكالت أرشيوى » ، وكانت تعرف أيضاً باسم « باشبقاللق أرشيوى » : محفوظات رئاسة الوزراء ، ويطلق الاسم الآن على المحفوظات المركزية للدولة التركية والإمبراطورية

العثمانية ؛ وقد بدأ إنشاء المحفوظات العثمانية بظهور الدولة العثمانية ، على أن مجموعة المحفوظات المالية ، وإن كانت تشمل عدداً من الوثائق الشخصية والسجلات من الأزمان القديمة ، فإنها ترجع فى جوهرها إلى ما بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ ؛ وأصبحت المحفوظات مكتملة حقاً منذ منتصف القرن السادس عشر تقريباً وظلت تتكمل حتى نهاية الإمبراطورية .

أما تنظيم السجلات العثمانية فى مجموعة من المحفوظات على النمط الحديث فيرجع إلى ما بادر به فى هذا الشأن الصدر الأعظم المصلح رشيد باشا ، ذلك أنه شيد سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) بناء جديداً للمحفوظات فى أرض الصدارة العظمى ، ونقل إليه عدداً كبيراً من مجموعات السجلات التى كانت محفوظة من قبل حزماً أو فى صناديق فى مخازن مختلفة ومكاتب فى أنحاء شتى من المدينة ؛ وقد زود البناء الذى خططه المهندس المعمارى المشهور فوساتى Fossaii ، بهيئة من الموظفين ومدير . وهذا المكتب الخاص بالسجلات الذى عرف فى عهد العثمانيين باسم « خزينه أوراق » كان فى الأصل يتكون من مجموعتين رئيسيتين من الوثائق: وثائق الديوان السلطانى (ديوان همايون) ووثائق مكتب الصدر الأعظم (باب على أو باشا قاپيسى) ؛ وكانت تضاف إلى ذلك بين الحين والحين مجموعات أخرى ، وخاصة وثائق الإدارات المالية وسجلات إدارة المساحة التقييمية .

وقد ألحقت « خزينه أوراق » من أول الأمر ببناية الصدارة العظمى ، وألحقت فى عهد الجمهورية بعد فترة قصيرة من القلق ، بمكتب رئيس الوزراء . واستبدل بالاسم القديم الاسم الحديث بمقتضى قانون صدر سنة ١٩٣٧ ؛

وبدأت مرحلة جديدة فى تنظيم المحفوظات ودراستها سنة ١٩١١ ، بعد إنشاء الجمعية العثمانية التاريخية (تاريخ عثمانى أنجمنى) ؛ وكان المقال الافتتاحى فى العدد الأول من صحيفة الجمعية بقلم عبد الرحمن شرف آخر مؤرخ رسمى وأول رئيس للجمعية ، وقد تضمن هذا المقال بياناً بأغراض الجمعية ، وكان أول غرض من أغراضها تصنيف وثائق المحفوظات ودراستها ونشرها (تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى ، سنة ١٩١١ ، ص ٩ — ١٩ ، ٦٥ — ٦٩ ؛ فى *Les Archives de Turquie* : P. Wittek ، *Byzantion* ، حـ ١٣ ، سنة ١٩٣٨ ، ص ٦٩١- ٦٩٩) ؛ وفى السنوات التالية بدأ الدارسون الأتراك الذين يدرسون هذه المحفوظات بتصنيف السجلات ، ونشروا أيضاً كثيراً من الوثائق الشخصية ؛ وتوقف هذا العمل بسبب الثورة وحرب الاستقلال ، وأعقب ذلك نقل قصبة البلاد والنفور العام الذى ساد القوم من الماضى العثمانى ، على أن بداية جديدة وقعت سنة ١٩٣٢ ، ومضى العمل من وقتها فى إيواء الوثائق وتنظيمها وفهرستها . ودعى فكيته L. Fekete ليشير بالمناهج التى تتبع فى أداء هذه المهام (انظر L. Fekete : *Ueber Archivalien und Archivwesen in der Tuerkei* بوداپشت ، حـ ٣ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٧٩—٢٠٦)

ويمكن تقسيم ما تضمه « باشوكالت أرشيوى » بصفة عامة إلى مجموعتين بحسب طريقة حفظها : أوراق ودفاتر . وتختلف الأوراق ما بين مراسيم سلطانية محررة فى صورتها المأثورة إلى مذكرات عارضة ومحاضر لكتبة صغار . وقد قدر عدد الأوراق بملايين كثيرة لم يفهرس منها إلا عدد صغير جداً . وقد عمل تصنيف أولى للأوراق ما بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٢١ بمعرفة لجنة برياسة على أميرى ، وقد رتبت هذه اللجنة ١٨٠,٣١٦ وثيقة ترتيباً تاريخياً بسيطاً وفقاً لعهود السلاطين من السلطان عثمان الأول إلى السلطان عبد المجيد . وكان معظم هذه الوثائق ينتمى إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر . وفى سنة ١٩٢١ قامت لجنة أخرى برياسة ابن الأمين محمود كمال بتصنيف ٤٦,٤٦٧ وثيقة ما بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر قسمت إلى ٢٣ مجموعة ذات موضوع ،كان أكبرها المجموعة الخاصة بالشئون المالية (١٢,٢٠١ وثيقة) والمجموعة الخاصة بالشئون العسكرية (٨,٢٢٧ وثيقة) وقد رتبت الوثائق داخل كل مجموعة ترتيباً تاريخياً إجمالياً ؛ وتولت جماعة أخرى برياسة معلم جودت العمل من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٧ على نفس الأسس تقريباً التى سار عليها ابن الأمين ، وصنفت ١٨٤,٢٥٦ وثيقة تندرج تحت ستة عشر موضوعاً ؛ وكانت أكبر مجموعة فى التصنيف المجموعة العسكرية (٥٤,٩٨٤ وثيقة) ومجموعة الأوقاف (٣٣,٣٥١ وثيقة) ومجموعة الشئون الداخلية (١٧,٤٦٨ وثيقة) . وعرفت هذه التصنيفات الثلاثة عامة بأسماء الأشخاص الذين رأسوا العمل بها .

وقد عدل عن هذا التصنيف السابق للتصنيف العلمى منذ سنة ١٩٣٧ ، وحدثت بداية جديدة على أسس أحدث . فقد فصلت الأوراق عن الدفاتر فصلا تاماً وصنفت تبعاً للمكاتب والإدارات التى كانت تتبعها . مع الاحتفاظ قدر الإمكان بالترتيب والسياق الأصليين . وعلاوة على هذا التصنيف الجوهرى قامت هيئة المحفوظات بتحضير عدد من المجموعات الخاصة مثل المراسيم السلطانية (خط همايون) و « الإرادات » السلطانية ، والمعاهدات ووثائق الوقف ... إلخ . ويعد فهرس خاص بأوراق وسجلات عبد الحميد الثانى التى نقلت إلى « باشوكالت أرشيوى » من سراى يلدز .

وقد قدرت الدفاتر والسجلات المجلدة بحوالى ٦٠,٠٠٠ فى جميع المجموعات التركية ، وأغلبها محفوظ فى باشوكالت أرشيوى . وهى نوعان أساسيان : نوع إحصائى ويشمل أرقاماً ومعلومات واقعية طلبت وجمعت لأغراض إدارية مختلفة ؛ ونوع ديپلوماسى ، يشمل صوراً مسجلة منقولة من نصوص لأوامر ورسائل ومراسلات أخرى صدرت .

ويمكن أن نقول إن الدفاتر ثلاث مجموعات رئيسية :

(١) المجلس السلطانى والصدارة العظمى . وقد تمت الصدارة العظمى فى القرن السابع عشر

حتى عدت هيئة بيروقراطية قائمة بذاتها ؛ ونهضت آخر الأمر بجميع مهام المجلس السلطانى ، وأصبحت محفوظات الاثنين مجتمعين تسجل من ثم أعمال المركز الرئيسى للحكومة العثمانية السلطانية . ومن المجموعات الكثيرة للسجلات التى تدخل فى هذا القسم مجموعة تعد أهمها جميعاً وهى « مهمه دفترى » (أى سجل الشئون العامة الهامة) : وتتكون من ٢٦٣ مجلداً تشمل السنوات من ٩٦١— ١٣٢٣ هـ (١٥٥٣ — ١٩٠٥ م) وهى سجل يومى لما صدر من مراسلات على اختلاف أنواعها فى ترتيب تاريخى بسيط (انظر عن « مهمه دفترى » *Iz Carigradskih Turskih Archiva* : G. Elezovich ، *Mühimme Defteri* ؛ بلغراد سنة ١٩٥١ :U. Heyd *Documents on Ottoman Administration of Palestine 1552-1615, A Study in the Muehimme Defteri* أوكسفورد ، وهو تحت الطبع) . وبمرور الزمن بُدئ بعدد من المجموعات القائمة بذاتها تتناول شئوناً كانت تدخل من قبل فى الـ « مهمه » ؛ فقـــد كانت الشكاوى التى ترد من الولايات من سنة ١٠٥٩ إلى سنة ١١٥٥ هـ (١٦٤٩ — ١٧٤٢ — ١٧٤٣م) والمراسيم التى تعالجها تسجل فى سجل خاص بها (شكايت دفترلرى) ؛ وظلت هذه السجلات مرتبة ترتيباً تاريخياً صرفاً ، ثم استبدل بها من سنة ١١٥٥ إلى سنة ١٣٠٦ هـ (١٧٤٢ — ١٧٤٣ — ١٨٨٨ — ١٨٨٩ م) سجلات الأحكام (أحكام دفترلرى) التى كانت مقسمة جغرافياً إلى سبع عشرة مجموعة إقليمية قائمة بذاتها ؛ وكان عدد سجلات الشكاوى والمراسيم معاً ٥٣٠ مجلداً . وكانت شعب أخرى من الـ « مهمه » تشمل مجموعة من الشئون العسكرية (٦٨ مجلداً من سنة ١١٩٦ — ١٣٢٦ هـ = ١٧٨١ — ١٩٠٨ م) ؛ ومجموعة من الشئون العامة السرية بنوع خاص (١٠ مجلدات) من سنة ١٢٠٣ — ١٢٩٤ هـ (١٧٨٨ — ١٨٧٧م) ومجموعة خاصة بالشئون المصرية المجلد الأخير منها سرى (١٥ مجلداً ، من سنة ١١١٩—١٣٣٣ هـ = ١٧٠٧ — ١٩١٤ م) ؛ ومن المجموعات الأخرى العديدة فى هذا القسم الرسائل السلطانية (نامه همايون فى ١٧ مجلداً ، من سنة ١١١١ — ١٣٣٦ هـ = ١٦٩٩ — ١٩١٧ م) وسجلات مجلس « التنظيمات » (فى ثلاثين مجلداً ، من سنة ١٢٧١ — ١٣٣٣ هـ = ١٨٥٤ — ١٩١٤ م) ومجموعات أخرى تتناول القناصل والتجار الأجانب والامتيازات ، والأحكام الفقهية (مقتضى) والمعاهدات ، وأحكام الاعتقال فى القلاع (قلعه بند) و « الإكتساب » والتعيينات ، والكنائس والأقليات ... إلخ .

(ب) المساحة التقويمية (طابو) وتشمل مسح أراضى الدولة وإحصاء عدد سكانها ، وكانت من قبل مصلحة قائمة بذاتها من مصالح السلطنة (انظر مادة « دفترخاقانى ») مقرها فى الدفترخانة قرب مسجد السلطان أحمد ؛ وقد نقل الجزء الأكبر من سجلاتها إلى « باشوكالت أرشيوى » وتقول هذه الباشوكالة إن فى حوزتها من هذه السجلات ١١٥٥ مجلداً ، أما الباقى وقدره حوالى ٢٥٠ مجلداً

محفوظ فى إدارة المساحة العامة (طابو وقاداستر و عموم مديرلغى) بأنقرة . وقد نشر خليل إينالجق (صورت دفتر سنجق أروانيد ، أنقرة سنة ١٩٥٤) أقدمها وهو سجل بالتيمارات فى سنجق ألبانيا تاريخه سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) : وتشمل هذه السجلات التى كانت تجدد فى فترات كثيرة، جل ولايات السلطنة فى أوربا وآسية بما فى ذلك أجزاء من ما وراء القوقاز وبلاد فارس الغربية. أما جزيرة العرب ومصر وشمالى إفريقية فقد استبعدت .

(حـ) المالية : السجلات الباقية للإدارة المالية العثمانية محفوظة الآن فى « باشوكالت أرشيوى » ، وهى تشمل كثيراً من مجموعات السجلات ، كما تشمل قدراً ضخماً من الأوراق : وقوامها الحسابات والسجلات الخاصة بالمراقبة العامة للحسابات (باشمحاسبه) من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ، وكذلك الأمانات العامة القيمة مثلا على دور الصنعة ، والحبوب ، واللحوم ومستودعات المدفعية ، ودور سك النقود ، والمطابخ ، ومستودعات البارود ؛ ثم الولايات ، والمصالح ، والصرافين ، وجباية الضرائب ، والمناجم ، والمكوس ، والمواريث ... إلخ . ومن الأمثلة الجيدة على ذلك مجموعة الجزية (٤١٨ مجلداً ، من سنة ٩٣٨ــ ١٢٥٥ هـ = ١٥٥١ ــ ١٨٤٠) . وقد قسم جزء من هذه المجموعات أقساماً فرعية تبعاً للولايات ، وتشمل بعض السجلات نسخاً من وثائق الجزية والإيصالات ، وقوائم بمؤدى الجزية مرسلة من حواضر الأقاليم .

وعلاوة على المجموعات الرئيسية المحفوظة فى « باشوكالت أرشيوى» توجد عدة مجموعات أخرى أصغر من هذه فى تركية : أهمها محفوظات القصر السلطانى الموجودة فى طوپ قاپى سراى (انظر هذه المادة) . وسجلات الإدارة العامة للأوقاف فى أنقرة . ومجموعة الوثائق الشرعية المعروفة باسم « سجلات شرعيه » (انظر مادة « سجل ») .

المصادر :

(١) من شاء إلمامة عامة بالمحفوظات ووصف الأوراق والسجلات وتصنيفها فليرجع إلى : مدحت سرت أوغلى: محتوى باقيمندن باشوكالت أرشيوى ، أنقرة سنة ١٩٥٥ ؛ (٢) ويمكن استكمال تاريخ المجموعات فى هذه الوكالة بالرجوع إلى صلاح الدين إيلك أر :مصطفى رشيد پاشا وتورك أرشيوجيلغى فى ١٤. تورك تاريخ قونغريسى « أنقرة سنة ١٩٥٢ ، ص ١٨٢ ــ ١٨٩ ؛ (٣) وانظر أيضاً : *The Ottoman Archives*: B. Lewis *as a source for the History of the Arab Lands* فى *Jour. of the Roy. As. Soc.* ، سنة ١٩٥١ ، ص ١٣٩ ــ ١٥٥ . (٤) الكاتب نفسه : *The Ottoman Archives as a source for European History, Report on Current Research, Spring* 1956 ، واشنطن سنة ١٩٥٦ ، ص ١٧ ــ ٢٥ (وقد أعيد نشره مع تعديلات طفيفة فى *Archives* ، سنة ١٩٥٩) (٥) الكاتب نفسه فى *Bulletin of the School of Oriental and Asiatic Studies* ، جـ ١٦ ، سنة ١٩٥٤، ص ٤٦٩ــ٥٠١ ، ٥٩٩ــ٦٠٠ (٦) وتجد مصادر

عن الدراسات الخاصة بالمخطوطات العثمانية فى : Ananiasz Zajaczkowski & Jan Reychman *Zarys Diplomatyki Osmansko-Tureckiej* ، وارسو سنة ١٩٥٥ (وستنشر فى القريب ترجمة إنكليزية لهذا الكتاب) .

خورشيد [B. Lewis لويس]

+ « باش وكيل » : الاسم التركى لرئيس الوزراء ، وقد استحدث هذا الاسم أول مااستحدث سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) حين اتخذه كبير الوزراء بدلا من الصدر الأعظم (انظر هذه المادة) فيما اتخذ بعامة من تسميات أوربية ، ولكن هذا التغيير كان قصير الأجل إذ لم يعمل به إلا أربعة عشر شهراً ونصف الشهر ، ثم عاد الترك إلى الاسم الأول . وقد بذلت محاولة ثانية لاتخاذ اللقب الأوربى فى الفترة الدستورية الأولى ، إذ أخذ به فى صفر عام ١٢٩٥ هـ (فبراير سنة ١٨٧٨) ثم أغفل بعد ١١٤ يوماً ، ثم أعيد فى شعبان سنة ١٢٩٦ هـ (يولية سنة ١٨٧٩م) ثم أغفل مرة أخرى بعد ثلاث سنوات ونصف السنة تقريباً فى المحرم من سنة ١٣٠٠ هـ (نوفبر سنة ١٨٨٢م) . وظل لقب الصدر الأعظم بعد مستعملا بصفة رسمية حتى نهاية السلطنة ، وهنالك استبدل به نهائياً لقب « باش وكيل » (وكان يلقب فترة « باش باقان ») فى ظل الجمهورية .

المصادر :

(١) عبد الرحمن شرف : تاريخ مصاحبه لرى ، إستانبول سنة ١٣٤٠ ، ص ٢٦٤ ومابعدها .

خورشيد [B. Lewis لويس]

« باشى بوزوق » : كلمة تركية معناها « المدار الرأس » ، تطلق على فصائل من الجند المتطوعين غير النظامية تجند بصفة خاصة من الألبان والكرد والچركس عند قيام حرب كبيرة فى بلاد الترك ، وهم لا يخضعون لنظام ما ، وقد اشتهروا بشجاعتهم وفظاعتهم فى الحرب وتعطشهم للسلب والنهب .

ويظهر أن هذا الاسم أطلق لأول مرة سنة ١٨٥٣ م أيام حرب الترك ضد الروس .

المصادر :

(١) Barbier de Meynard : *Supplement aux dictionnaires turcs* المجلد الأول ، ص ٢٦٣ ؛ (٢) A. Gallenja : *Two years of the Eastern question* ، لندن سنة ١٨٧٧ ، جـ ١ ، ص ٣٩١ ؛ جـ ٢ ، ص ١٣٩ ؛ (٣) A. Ubicini : *Lettres sur la Turquie* جـ ٢ ، ص ٤٢٠ ؛ (٤) Belin : *Fiefs militaires dans l'Islamisme* ، فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٧٠ ، ص ٣٨ ، تعليق رقم ٢ .

[Clement Huart إيوار]

+ باشى بوزوق : مصطلح معناه « الجامح أو الشاذ » ، أطلق أول ما أطلق فى تاريخ متأخر من العصر العثمانى على العيارين الذين لا مأوى لهم وقد قدموا من الولايات إلى إستانبول سعياً إلى المعاش ،

وعلى رعايا السلطان من الذكور المسلمين الذين لم يلتحقوا بأية فرقة عسكرية ، ومن ثم أصبحت تدل على «المدنى» (انظر Turkish-English : Redhouse Lexicon ، هذه المادة) ؛ ولهذا السبب أطلق على الأشخاص المتطوعين الذين كونوا فصائل التحقت بالجيش العثمانى أيام حرب القرم اسم « باشي بوزوق عسكرى » (أى العساكر المدنيين أو غير النظاميين) ؛ وكان هؤلاء الجنود غير النظاميين الذين كانوا يجندون فى الغالب من الألبان والأكراد والچركس يتزودون من عندهم بالأسلحة والركائب (وبعضهم كان من الفرسان) وكان لهم قوادهم ؛ وبذلت محاولة أثناء الحرب لإخضاعهم للنظام العسكرى المألوف ، ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح . وقد انصبّ على الباشي بوزوق عسكرى أيام الحرب الروسية العثمانية الثانية (سنة ١٨٧٧) الكثير من اللوم على وحشيتهم وحبهم للسلب والنهب حتى عدل من بعد عن استخدامهم .

المصادر :

(١) إسلام أنسيكلوبيدياسى ، هذه المادة بقلم أوزون چارشيلي .

خورشيد [بوور H. Bover]

+ « الباصْمَجيّة » (وبالأوزبكية : قطّاع الطرق) : الاسم الذى أطلقه الروس على حركة ثورية للشعوب الإسلامية فى التركستان قامت ضد السلطة السوڤيتية . وقد اشتعلت هذه الحركة سنة ١٩١٨ واستمرت حتى سنة ١٩٣٠ بل بعد ذلك (انظر مواد « التركستان » و « أوزبك » و « تاجيك » و « خوقند » و « خيوة » ، و « التركمان » و « أنور باشا ») .

خورشيد [بنيگسن A. Bennigsen]

+ «باطل وفاسد» : (انظر مادة « فاسد »)

« باطن » : الباطن الخفى ، وهو خلاف الظاهر . ولهاتين الكلمتين شأن كبير فى علم التفسير . انظر مادتى « باطنية » و « ظاهرية » . والباطن معرّفة من أسماء الله الحسنى (سورة الحديد ، الآية ٣) .

+ « الباطن » : وادٍ كبير فى الشمال الشرقى لجزيرة العرب كان من قبل المجرى الأسفل لوادى الرمة (انظر هذه المادة) ولكن رمال الدهناء (انظر هذه المادة) تقطعه الآن . ويجرى الباطن فى اتجاه شمالى شرقى مسافة ٣٨٥ كيلومترا ، من أسفل خُشوم الشُّمامى فى الدهناء إلى سهل يمتد خمسة عشر كيلومتراً جنوبى غرب الزُبَيْر . واتساعه منتظم فى الغالب يتراوح بين عشرة كيلومترات وثلاثة عشر كيلومترا بين ضفتيه ، وبين كيلومترين وثلاثة كيلومترات فى مهده ، ومياهه السطحية الوحيدة تجرى مجنبة بفعل الأمطار المحلية . ومعظم الباطن قناة تخط رواسب سابقة لوادى الرمة ، ذلك أن سهول الدبْدِبة (انظر هذه المادة) على

على الجانبين تشمل حصباء من الحاجز العربي (انظر مادة « العرب ، جزيرة » قسم ٢ ، ٣) ؛

والباطن طريق تاريخي بين البصرة والحجاز . ومع ذلك ليس فيه من البقايا الأثرية المعروفة إلا القليل ، أهمها اثنتان وأربعون بئراً راكدة ربما كانت هي « حَفَر أبي موسى » عند ياقوت بالقرب من قرية حفر الباطن ؛ والمنزل الوحيد في الباطن ، وهو الحَفَر ، يشمل ٢٠٠ منزل ، وقلعة الإمارة التي تتبع محافظة الولاية الشرقية بالدمّام .

وفي نقطة غير محددة عند ملتقى الباطن برافده العوجاء تقوم الحدود بين العربية السعودية والكويت والعراق ، كما أن المنطقة المحايدة بين العربية السعودية والعراق تتقارب عند هذه النقطة طبقاً لاتفاقيات العُقَيْر سنة ١٩٢٢ .

المصادر :

(١) الهمداني . (٢) ياقوت (٣) محمد بن عبدالله ابن بُلَيْهِد : صحيح الأخبار ، سنة ١٣٧٠ — ١٣٧٣ هـ ؛ (٤) H. Dickson : *Kuwait and her neighbours* ، لندن سنة ١٩٥٦ (٥) J.G. Lorimer : *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia* ، كلكتة سنة ١٩٠٨ — ١٩١٥ .

خورشيد [هيدلي R.I. Headley]

+ « الباطِنة » : إقليم منخفض إلى الشرق من الجزيرة العربية بين سيف خليج عمان وجبال الحَجَر ، يحدّ شمالا بلسان « خَطْمة مِلاحة » وجنوباً بقرية حي آل عُمَيْر وجنوباً إلى الشرق من بلدة السيب وإلى القرب من مدينة مسْقط . ويختلف الإقليم عرضاً من عشرة أميال إلى عشرين ؛ والتربة قريبا من الساحل رملية مرقطة بكثرة من الآبار الضحلة ؛ وبعيداً إلى الداخل تكون التربة طينية ثم تغدو الأرض حجرية كلما تدانت سفوح الجبال . وتقطع الإقليم أودية عديدة تنساب منحدرة إلى الساحل حيث تنفسح مهادها .

وكلمة الباطنة تعني الإقليم المنخفض المنبطح ، على الضد من الظاهرة (انظر هذه المادة) وهو الإقليم الأعلى إلى الغرب من جانب الحَجَر الذي يصله بالباطنة ممران مشهوران : وادي الجِزّي ووادي الحوَاسِنة .

والباطنة أصلا إقليم صيد سمك وزراعة نخيل وإن كان داخلها مراحا لعدد من أناس أشبه بالبدو معهم قطعانهم . وتمتد على سيف البحر منطقة من أشجار النخل متصلة في الأكثر وتنفسح في بعض الأماكن إلى الداخل حتى عمق يقرب من سبعة أميال ، وينبت أيضاً القمح والقطن والشعير وقصب السكر والفِصْفِصَة والمانجو والموز والتين والليمون والبطيخ والزيتون ، وتروى من الآبار الغزيرة المياه . والحيوان المستأنس : الأغنام والماعز والحمير وخاصة جمل الباطنية الركوب الذي يعد أعظم السلالات الثلاث المشهورة في عُمان أهمية وذلك لسيره المريح . وتصاد الأسماك في كثير

من الأحيان بـ « الشاشة » وهى قارب من جريد النخل لايغوص شبيه بالوَرَقية فى الكويت . وتبحر سفن للتجارة أكبر إلى الخليج الفارسى وجنوب الجزيرة العربية وزنجبار وباكستان :

وأول ما اعتنقت الباطنة الإسلام كان فى السنة الثامنة من الهجرة (٦٢٩ م) على يد أبى زيد الأنصارى وعمرو بن العاص (انظر هذه المادة) وكان قد أكرم وفادتهما فى صُحار (انظر هذه المادة) بيت الجُلَنْدَى : وفى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) غزا الفرس الإقليم مرتين وظلوا فيه إلى أن أخرجهم البرتغاليون سنة ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) : ومع أن البرتغاليين أخذوا الجزية التى كانت ترسل قبلُ إلى هرمز ، فإنهم لم يحتلوا ساحل الباطنة احتلالا دائماً حتى سنة ١٠٢٥ هـ (١٥١٦ م) وظلت صُحار تنافس مسقط وهرمز بوصفها ميناءً تجارياً إلى أن طردت أسرة اليَعَاربَة (انظر مادة « يعرب ») البرتغاليين سنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣ م) . وقد باءت بالفشل ، إلى ما شاء الله ، محاولات الفرس لاسترداد الباطنة وكان الفضل الأكبر فى هذا للجهود التى بذلها أحمد بن سعيد من آل بو سعيد (انظر مادة « بو سعيد ») إبان حكم نادر شاه (انظر هذه المادة) ودفاعه عن صحار الذى دام تسعة أشهر من سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) بوّأه مكاناً كفل به لنفسه إمامة عُمَان ولخلفائه سلطنة مسقَط .

وكان لسلطان مسقط ولاة على السيب وبَرْكا والمصْنَعة وسُوَيْق والخابورة وصُحار ، وكانت المكوس والزكاة التى تجبى من هذه الأماكن نادراً ماتزيد على التكاليف الإدارية ، وقدقدر لوريمر Lorimer سكان الباطنة القارّين بنحو من ١٠٥,٠٠٠ شخص نصفهم كانوا يعيشون على طول الساحل . وعدد البدو الذين كانوا يهيمون فى الداخل كان أقل جداً ، وكانت القبائل الرئيسية بين السكان الموطنين آل سعد والحواسنة . وكثير من البدو فى الإقليم ينحدرون من القبيلتين نفسيهما ومن بنى خاروص . والقبائل الأقل هى البدُوَات ، وآل حَمَد ، وآل جراد ، والمَوالك ، والنوافل ، وآل بو قُرَيْن ، وآل بو رُشَيْد ، والشُبول ، والسواد الأعظم من أهل الباطنة هِنَاوِىّ السياسة إباضى العقيدة وإن كان البلوچية والزنوج يجنحون إلى المذهب السنى .

المصادر :

(١) البلاذرى : فتوح . (٢) ابن الأثير . (٣) ابن رُزَيق : فتح (مخطوط ، الإضافات رقم ٢٨٩٢ ، كمبردج) ، ترجمة G. Badger بعنوان *Imams and Seyyids* ، لندن سنة ١٨٧١ . (٣) ابن بشر ، تاريخ ، مكة سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) . (٤) ياقوت . (٥) السالمى : تحفة الأعيان ، القاهرة سنة ١٣٣٢ — ١٣٤٧ هـ (١٩١٣ — ١٩٢٨ م) . (٦) *A Handbook of Arabia* : Admiralty ، لندن سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ . (٧) Albuquerque :

Commentaries ، طبعة هاكلويت، لندن سنة١٨٧٥. (٨) Caetani : Annali (٩) F. Danvers : The Portuguese in India ، لندن سنة ١٨٩٤ : (١٠) Pietro della Valle : Travels ، لندن سنة ١٦٦٥ . (١١) M. de Faria e Sousa : Asia Portuguesa ، أوپرتو سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٧ . (١٢) Ch. Guillain : Documents sur l'hist... de l'Afrique orientale ، باريس سنة ١٨٥٦ . (١٣) L. Lockhart : Nadir Shah ، لندن سنة ١٩٣٨ : (١٤) J. G. Lorimer : Gazetteer of the Persian Gulf.. ، كلكتة ، سنة ١٩٠٨—١٩١٥ : (١٤) S. Miles : The Countries and Tribes of the Persian Gulf ، لندن سنة١٩١٩. (١٥) Niebuhr : Beschreibungen von Arabien ، كوپنهاغن سنة١٧٧٢ . (١٦) Palgrave : Narrative... ، لندن وكامبردج ، سنة ١٨٦٥ — ١٨٦٦ . (١٧) R. Said-Ruete : Said Bin Sultan ، لندن سنة ١٩٢٩ : (١٨) الكاتب نفسه فى JCAS ، مجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٤١٩ . (١٩) Selections from the Records of the Bombay Government ، ج ٢٤ ، بومباى سنة ١٨٥٦ . (٢٠) B. Thomas : Alarms and Excursions in Arabia ، إنديانابولس سنة ١٩٣١ . (٢١) Wellsted : Travels in Arabia ، لندن سنة ١٩٣٨ .

الأبيارى [هيدلاى R.L. Headley]

« الباطنية » : هذه الكلمة مشتقة من كلمة باطن كما يدل على ذلك اسمها . والباطنية هم أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للكتاب ويجعلون لكل تنزيل تأويلا .

وقد أطلق مؤلفو العرب اسم الباطنية على فرق عديدة متباينة كان لها شأن سياسى هام وأهمها : الخُرَّمية والقرامطة والإسماعيلية . وهذه التسمية أطلقت أيضاً على فرق ليست من فرق المسلمين إذ يعد منهم المزدكية وهى فرقة مانوية أسسها مزدك وظهرت فى عهد الملك الساسانى قباذ بن فيروز .

ويقول الشهرستانى إن الباطنية يسمون بالعراق القرامطة والمزدكية ، ويسمون فى خراسان التعليمية والملاحدة : وقد أطلق اسم الباطنية أيضاً على بعض الصوفية .

وعلى هذا فليس يوجد مذهب عام يقابل هذه التسمية ، بل لكل فرقة منها مذهبها الخاص . ومع هذا فقد شرح الشهرستانى عند كلامه على الباطنية مذهبهم على نحو يجعله قريباً من مذهب الإسماعيلية ، ولاحظ بحق أن هذا المذهب قد استمد كثيراً من آراء الفلاسفة . ولنذكر بعض آرائهم :

لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ، ولا يصح أن نصف الله بصفات مما نصف به البشر فلا يقال إنه عالم ولا جاهل أو إنه موجود أو لا موجود ، فإن ذلك يجعلنا نقع فى خطأ تشبيه بالمخلوقات .

وبين أتباع أبى الخطاب المتوفى سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ — ٧٥٦ م) يظهر أن مثل هذا التأويل كان شائعاً بخاصة ، وكان بعضهم يذهب إلى أن فى كل

وقد تضمن مذهبهم ما تضمنه مذهب ابن سينا وغيره من الفلاسفة من القول بالأفلاك السماوية والتمييز بين العقل والنفس وأن النفس أقل مرتبة من العقل ؛ وقالوا أيضاً بوجود عقل كلي ونفس كلية فى العالم العلوى . ويقابلهما فى العالم الدنيوى الناطق والأساس أى النبى والإمام الذى يجىء بعده . وهما مكلفان بتحريك العقل والنفس [بالشرائع] لتبلغ النفس إلى حال كمالها ، وكمالها بلوغها درجة العقل واتحادها به . وفى اليوم الآخر يحاسب الخلق فتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلية وجزئيات الباطل بالشيطان أى العدم ، وهــذا هو الذى يسميه الباطنية البعث . ويظهر لنا مما ذكرنا مثل من أمثلة التأويل أو البحث عن المعنى الباطن لعقيدة من العقـــائد .

[كارّاده فو B. Carra de Vaux]

+ الباطنية : اسم يطلق على : (ا) الإسماعيلية فى العصور الوسطى بسبب تركيزهم على الباطن . والباطن يعنى ما وراء ظاهر التنزيل ؛ (ب) ثم يطلق بدرجة أقل خصوصية على أى فرد يُرمى باطراحه للمعنى الظاهر لمثل هذه النصوص مؤثراً البـــاطن .

(ا) وبين الإسماعيلية (انظر هذه المادة) وبعض فرق من الشيعة تتصل بهم ظهر طابع متميز من التأويل (انظر هذه المادة) وهو تفسير للتنزيل قد يسمى باطنياً ، وكان رمزياً أو مجازياً فى منهجه فِرَقيا فى أغراضه يصدر عن أصحاب الحدود فى الفرقة أنفسهم وهو مستور . وكل فروع الإسماعيلية وكذلك شعبها الدرزية احتفظت بالتأويل الباطنى فى صورة أو فى أخرى ، ويظهر أن الطريقة المشابهة للإسماعيلية – ونعنى بها النُصيْرية – هى بقية من حلقات الباطنية المرتبطة بالأئمة الاثنى عشرية الذين أتوا بعد ذلك (انظر مادة « غُلاة ») .

ويمكن أن نجد لمظاهر معينة من هذا النوع من التأويل ما يناظرها فى الأصول اليهودية والمسيحية (وذلك كما فى الشروح الرمزية لأوريجن) وثمة مظاهر أخرى يمكن أن نجد لها نظائر بين الغنوصيين . على أن أصول هذا التأويل المباشرة إسلامية ؛ ويمكن أن نرد بدايات هذا التأويل إلى غلاة الشيعة فى العراق أيام القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) مثله فى ذلك مثل التأويل الرمزى المنسوب إلى الإمامية من الشيعة الاثنى عشرية المتأخرين . (إذ فيه ما فيه من سمة رمزية وفرقية ، كما أن فيه شيئاً من السرية). ولذا يقال إن المغيرة بن سعيد المتوفى سنة ١١٩ هـ (٧٣٧م) ذهب فى تأويل إباء الجبال حمل الأمانة (سورة الأحزاب ، الآية ٧٢) إلى أنها ترمز إلى رفض عمر لعلى ؛ ويقال إن أبا منصور العجلى ذهب إلى القول بأن السماوات ترمز إلى الأئمة وإلى أن الأرض هى أتباعهم ؛ وتنسب إليه الفكرة التى تحل القضية ، وهى أنه على حين كان الرسول هو الذى جاء بنص القرآن كان الإمام وحده هو المنوط بتأويله .

جيل ناطقاً يعلن العقيدة الحقة جهاراً ، وصامتاً يؤولها للصفوة » ويظن أن مثل تلك العناصر من التأويل الباطني دخلت عن طريق الخطابية فى الحركة الإسماعيلية حيث توسع فى التأويل حتى أصبح السمة المميزة لتلك الحركة .

ويمكن وصف منهج الباطنية فى عبارات من أفكار أربعة جوهرية : باطن ، تأويل ، خاص وعام ، وتقية . وكل منها مما يلتزم به سلفاً أيا كان المذهب الذى يُدّعى إليه .

وكان من المسلم به أن كل نص منزّل له معناه الباطن الذى يقابل الظاهر ، ولم يكن هذا قاصراً على فقرات هى مجازية على أية حال ، ولكن على فقرات تاريخية ، وفقرات الوعظ ، وأحكام الشرع والمعاملات ، وعلى كل إنسان ، أو فعل أو غاية تذكر ، فكان يجب أن يأخذ هذا كله مأخذاً رمزياً » والأشياء الرمزية كانت فى كثير من الأحيان تشرح واحدة واحدة من حيث هى موضوعات مطروحة للموافقة والطاعة والكراهية وما أشبه ذلك حسب موقعها من الكلام » غير أنه فى بعض الأحيان كانت تقرأ قصص وحكايات بأكملها باعتبارها رمزيات توسع فيها » وقد استخدم بلا حرج العدد الرمزى والحرف الرمزى ، وكان الإجراء نفسه مطبقاً أيضاً على الكتب المنزلة غير الإسلامية ، بل وعلى الطبيعة بأسرها » إذ أن الباطن كان يمثل عالماً باطنياً ينطوى على حقيقة روحانية خفية مقابلة لحقيقة الظاهر ، وهو العالم العادى المرئى ، الذى يحجبه ويخفيه » والمهمة الحقة لكتاب منزل هى أن تشير إلى ذلك العالم الخفى حتى حين يُحتفظ به مستوراً وراء رموز .

والتأويل الذى هو تخليص باطنى من نص ظاهر كان على هذا أساسياً كالتنزيل ، وكان كذلك قائماً على الوساطة الإلهية ، ويجب أن يكون لكل نبى جاء بتنزيل « وصىّ » (وفى حال محمد كان الوصى « على ») هو الذى أعطى التأويل يبسطه إلى القلة الجديرة بذلك بينه وبينها ، أى إلى أفراد الفرقة الذين ارتضوا حُجّيته .

ومن ثمة كان الناس جميعاً منقسمين إلى خاصة ، وهم الصفوة الذين يعرفون الباطن ، وإلى عامة وهم الكثرة الجاهلة : وكان الخاصة هم هؤلاء الذين يُحتفل بدخولهم فى الفرقة أى يلقنون المعرفة والطاعة للإمام الذى هو الممثل لعلىّ والمصدر الثقة الوحيد للتأويل فى أى جيل . وبين الإسماعيلية كان يتوسط بين الإمام وبين المبتدئ الداخل فى الفرقة طبقات (حدود من المشايخ) وكان البادئ يلقن « الباطن » على مراحل (يختلف عددها) وعلى نحو يُملى إملاءً .

ولم يكن الباطن باطناً لخفائه فحسب بل لسريته ، ومعرفته يجب ألا يلقنها الإمام للعامة الذين يأخذون بالظاهر خشية أن يساء فهمها على نحو يخرج بها الخروج كله عن المحجة .

وقول الشيعة بالتقية (انظر هذه المادة) قد أعيد تفسيره تبعاً لذلك بحيث يتضمن وجوب ألا يُكشف عن الباطن لأى شخص من غير شيوخ الفرقة

بصرف النظر عن التعرض لأي خطر من الاضطهاد. ومن ثمة رأى البعض أن اصطناع الظاهر في الشريعة — حتى في صورته الشيعية الصريحة — أصبح يعد تقية من حيث احتفاظه بالباطن مستوراً .

والتأويل (كما نعرفه في صورته الإسماعيلية) لم يبلغ أي وحدة دقيقة في الرأي بالرغم من وجود طبقات من المشايخ ذوي الحجة ، ذلك أن الكتاب المختلفين كانوا يختلفون اختلافاً كثيراً في تفسيرهم الباطني لأي فعل من أفعال العبادات بل إن الكاتب نفسه كان يدلي في بعض الأحيان بتفسيرات كثيرة في الكتاب الواحد نفسه ، ولذلك فإن المعنى الباطن لفريضة الزكاة قد روي أنه الخمس من دَخْل المرء يجب أداؤه للإمام أو أن المرء يجب عليه أن يعطي كل ما يفيض من دخله للفقير أو أن الثروة الحقة هي المعرفة فحسب . والذي حققه التأويل هو أنه أحل محل العالم القرآني الذي يبدو فطرياً ، مذهباً عقلياً على حظ كبير من السفسطة ، مذهباً يبدو أنه يغوص إلى ما وراء الخلافات الشكلية بين الجماعات الدينية المتنازعة بدعاواها العقائدية غير المتسقة ليبلغ بذلك حقيقة عامة أعمق . وقد أضفى الإسماعيلية على التأويل مشرباً واحداً وذلك باستخدامه في أغراض ثلاثة كبيرة مترابطة ، فهو يمثل تصوراً للكون مشتقا من مصادر إفلاطونية حديثة ، وهو يفسر علم الآخرة تفسيراً تاريخياً يقوم على الدين والدورات (وأحياناً بالتناسخ) وأخيراً فهو يبرز طبقات المشايخ للفرقة الذين تقابل درجاتهم على تفاوت الدرجات العديدة للتصور الإفلاطوني المحدث للكون .

والرغبة في التحلل السفسطائي من العقائد المسلم بها عامة أدت إلى قيام نزعة ملحة تهدف إلى السمو بالباطن سمواً جوهرياً . وفي مذهب الإسماعيلية الفاطمي الرسمي اعتبر أن كلا من الظاهر والباطن له ميادينه الخاصة المناسبة ، على الأقل في مسائل العبادات والشرعيات الملزمة للداخل في الطريقة . ولكن كانت ثمة بين الباطنية معاودة متكررة لنبذ معنى الظاهر كلية حتى في الشريعة أو على الأقل في أحكام العبادات على اعتبار أنها نافلة لكل من يعرف الإمام ومن ثم الباطن . وهذا حدث مثلا بين الإسماعيلية النزارية بعد سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٤ م). وهؤلاء الذين نبذوا الظاهر كلية قد جروا أيضاً في الأكثر على السمو بالوصي (علي) إلى درجة أرفع من التي للنبي (محمد) لأن التأويل كان أحق من التنزيل ، وكان هذا موقف النصيرية .

ويظهر أن الحركة الباطنية تركت آثارا بين جماعات متأخرة مثل الحروفية والرَّوْشَنية والبابية الذين أخذوا بالتفسير الرمزي وإن كان ذلك في بعض النصوص المختلفة بعض الاختلاف .

وكذلك أثرت اصطلاحات التأويل وتصوراته بعد أن تجردت من طائفيتها في رمزية الفكر الصوفي. ومع ذلك فلعل المواقف الجوهرية التي اتخذتها الباطنية كان لها فوق ذلك كله أثر في جعل أهل السنة من المسلمين أكثر تشككاً في أي لون من ألوان التأويل الرمزي . وغلى غلوا النحو جعل الغزالي الباطنية الإسماعيلية في كتابه : القسطاس

المستقيم ، مبدأ الخلاف فى تحليله للحدود الشرعية للتأويل عامة .

(ب) واستخدم الكتاب السنيون فيما بعد المصطلح « باطنية » فى جدلهم ليجرّحوا أى كتّاب يرون أنهم قد جاوزوا التسليم بالمعنى الباطنى للتنزيل إلى إنكار المعنى الظاهر مقتصرين فى ذلك على المعنى الباطن ؛ وعلى هذا النحو فإن ابن تيمية لم يرم بالباطنية الشيعة الباطنية فحسب ، بل رمى أيضاً بعض الصوفية وكذلك بعض الفلاسفة مثل ابن رشد . والصوفيون عامة يرون أن ثمة معانى باطنية وافرة فى القرآن يتدبرها من أوتى نفساً متأملة بحق . ولكنهم كانوا عامة حريصين على أن يجانبوا اتخاذ موقف يمكن ان ينعت بأنه باطنى بهذا المعنى ، فابن عربى مثلا الذى يتسم تفسيره للتنزيل فى كثير من الأحيان بالتحرر خاصة ، يدفع عن نفسه تهمة الباطنية على أساس أنه يقول بالظاهر مع الباطن .

المصادر :

(١) انظر مواد « الإسماعيلية » و « النصيرية » و « الغلاة » . (٢) I. Goldziher : *Die Richtungen der islamischen Koranauslegung* ، ليدن سنة ١٩٢٠ ، الفصلان ٤ ، ٥ (٣) H. Corbin : *Etude préliminaire* فى ناصر خسرو : كتاب جامع الحكمتين ، طهران وپاريس سنة ١٩٥٣ .

[M.G.S. Hodgson هودگسون] الأبيارى

+ « باطوم » ، وتعرف الآن باسم « باطومى » : ثغر فى بلاد ما وراء القوقاز السوفيتية على البحر الأسود ، وهى قصبة جمهورية أجارستان السوفيتية الاشتراكية المستقلة استقلالا ذاتياً ، وقد أقيمت على موقع ثغر رومانى قديم اسمه باتيس . أنشئ فى عهد هادريان ، ثم هجر من بعد إلى القلعة البوزنطية پترا التى أنشئت على موقع تزيخيس تزيرى الحالية إلى الشمال من باطومى .

وقد احتل العرب مدة قصيرة إقليم باطومى (إقليم أجار) الذى كان تابعاً من قبل لمملكة اللاز ، ولكنهم لم يحتفظوا به . وكانت باطوم فى القرن التاسع الميلادى جزءاً من إمارة طاوقلرجى ، ثم أصبحت فى نهاية القرن العاشر جزءاً من مملكة الكرج المتحدة التى ورثت هذه الإمارة . وحكم باطوم منذ سنة ١٠١٠ م عامل (أرستاو) من عمال ملك الكرج . وحدث فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، بعد تفكك مملكة الكرج المتحدة ، أن انتقلت باطوم إلى أيدى أمراء (متاور) گوريه .

وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) احتل العثمانيون فى عهد الأمير كَخابَر گوريلى بلدة باطوم وإقليمها ، ولكنهم لم يحتفظوا بهما ؛ ثم أخذوهما عنوة بعد ذلك بقرن حين انتصروا انتصاراً حاسما على جيوش الكرج وإمريتيا فى صوخويستا . ثم استردت باطوم أولا على يد الأمير روستما گوريلى سنة ١٥٦٤ ، ولكنه سرعان ما فقدها ، ثم استردت مرة أخرى سنة ١٦٠٩ على يد الأمير ماميا گوريلى . وأصبحت باطوم منذ سنة ١٦٢٧ جزءاً من الإمبراطورية العثمانيـــة ؛

وبالفتح التركى بدأ إقليم أجار يدخل فى الإسلام بعد أن كان مسيحياً : وما وافى آخر القرن الثامن عشر حتى كان قد تم إسلامه .

وغدت باطوم فى عهد الأتراك بلدة كبيرة محصنة (بلغ عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة سنة ١٨٠٧ ، وزاد على خمسة آلاف نسمة سنة ١٨٧٧) ، وكانت قبيل ذلك ثغراً ناشطاً فى قاعدة تجارة الرقيق مما وراء القوقاز .

ونزل عن باطوم لروسيا بمقتضى معاهدة سان استفانو ، واحتلها الروس فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ م ، فأعلنت ثغراً حراً حتى سنة ١٨٨٦ . وكان إقليم أجار فى أول الأمر وحدة إدارية تحكم نفسها بنفسها : وفى ١٢ يونية سنة ١٨٨٣ ألحقت بحكومة كوتايس : وانتهى الأمر بها إلى أن أصبحت هى و « أوكروگث » أرتوين فى أول يونية سنة ١٩٠٣ إقليم (أوبلاست) باطوى تحت الإشراف المباشر لحكومة الكرج العامة :

وبدأ نمو باطوى سنة ١٨٨٣ بإنشاء الخط الحديدى باطوى — تفليس — باكو الذى تم سنة ١٩٠٠ بالانتهاء من تركيب خط أنابيب باكو باطوى : ومن ثم أصبحت باطوى أهم ثغر روسى للبترول على البحر الأسود ، واتسعت المدينة اتساعاً يفوق التصور وزاد عدد سكانها بسرعة فبلغ ٨,٦٧١ نسمة سنة ١٨٨٢ ، و ١٢,٠٠٠ نسمة سنة ١٨٨٩ و ٤٥,٣٨٢ نسمة سنة ١٩٢٦ .

وسكان المدينة خليط من عدة أجناس ، وليس المسلمون منهم (الأجار واللاز والأتراك) إلا أقلية بالقياس إلى الروس واليونان والأرمن والكرج ، على أن الإقليم ظل إسلامياً خالصاً : وفى سنة ١٩١١ بلغ مجموع سكان الإقليم ١٧٠,٣٧٧ نسمة ، منهم ٧٠,٩١٨ من الأجار ، و ٥٨,٩١٢ من المسلمين الآخرين (اللاز والترك والكرد ... إلخ).

وفى أبريل سنة ١٩١٨ احتل الترك باطوم ، وخلفهم فى الربيع التالى البريطانيون ، وانسحب هؤلاء منها فى يونية سنة ١٩١٩ : ولما سقطت الجمهورية الكرجية قضت المعاهدة التى أبرمت فى ١٦ مارس سنة ١٩٢١ بين الجمهورية الروسية الاشتراكية الفدرالية السوفيتية وبين تركية برد أقاليم قارص وأردگان إلى تركية، ولكنها تركت باطوم للروس : وأعلن الحكم الروسى فى ١٨ مارس سنة ١٩٢١ ، وفى السادس من يونية من السنة نفسها أقيم الإقليم جمهورية باسم جمهورية أجارستان السوفيتية الاشتراكية وقصبتها باطوى وتبعت لجمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية .

والأجار هم أكبر الجماعات فى باطوى ، وكانوا بعد فى سنة ١٩٢٦ يعدون أصحاب قومية مستقلة عن الكرج ، وكانوا يسجلون فى تعداد خاص بهم ، وقد بلغ عددهم وقتذاك ٧١,٣٩٠ نسمة ، كلهم من المسلمين على المذهب الحنفى ويتحدثون بلهجة گورية مفرداتها متأثرة تأثرا قوياً بالتركية والعربية : وما زالت ثقافتهم المادية ظاهرة واسعة الانتشار ، مثال ذلك « الچادره » التى ترتديها النسوة .

ولما جاء تعداد سنة ١٩٣٩ أصبح الأجار من وقتها يسجلون فى عداد الكرج على اعتبار أنهم جماعة سلالية بسيطة من الأمة الكرجية .

وباطوم الآن ثغر بترولى كبير ، إذهو بداية خط أنابيب باكو (معامل التكرير) ومركز صناعى هام فيه مصانع لإنتاج الغذاء وعدد الآلات . وقد بلغ عدد سكانه ٧٧,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ ، ليس فيهم إلا أقلية من المسلمين .

وجمهورية أجار المستقلة تبلغ مساحتها ٣,٠١٧ كيلومتراً ، بلغ عدد سكانها ٢٣٨,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ ، معظمهم من المسلمين : الأجار واللاز فى وادى چورخ (حوالى ٢٠٠٠ نسمة) والكرد (بلغوا ٣٠٠٠ نسمة من البلو سنة ١٩٢٦ فى الوادى الأعلى لأجاريس تزاگلى) وناقلة من الأخاز (بلغوا ٥٠٠٠ نسمة سنة ١٩٢٦) بالقرب من باطوم .

المصادر :

(١) P-ce Massal'skiy : *Ocherk Batumskoy oblasti Izv. Ross.Imp. Geogr. obshch.* ، سنة ١٨٨٦ (٢) *Sbornik Svedeniy o Kuteisskoy Gubernii* جـ ٣ ، كوتايس سنة ١٨٨٦ (٣) *Bol'shaya Sovetskaya Entziklopediya* ، الطبعة الثانية ، جـ ٤ ، ص ٣٠٩–٣١٢ مادة *Batumi* ؛ جـ ١ ، ص ٣٩٩–٤٠٦ (*Adjarskaya Avtonomnaya Respublica*) (٤) Moeddin Surmanidza : *Sovetskiy Adjaristan* فى *Noviy Vostok* ، الأعداد ١٠ — ٢١ ، سنة ١٩٢٨ (٥) I. Djavakhishvili : *Histoire du peuple Georgien* ، جـ ١ — ٤ : تفليس سنة ١٩٢٨–١٩٤٣ (٦) *XX let Adjarskoy ASSR* ، باطوم سنة ١٩٤١ (٧) V.D. Chanturija : *Ocherki po istorii prosveshchchenija v. Adjarii* ، باطوم سنة ١٩٤٠ (٨) D. Bakradze : *Kratkiy Ocherk Gurii, Chueruek-su i Adjarii* فى *Izvestiya Kavkazskogo Otdela Imp. Russk. Geogr. Obshch.* ، تفليس سنة ١٨٧٤ ، جـ ٢ ، عدد ٥ ؛ (٩) شناسى آلتون داغ : عثمانلى إداره سى وگور جيلر فى *AUDTC* ، فاكولته سى درگيسى ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٧٨–٩٠ .

خورشيد [كلكجاى Ch. Quelquejay]

« الباطِيَة » : صورة جنوبية من الصور السماوية ، وتعرف أيضاً بـ « المعلّف » (القزوينى : طبعة فستنفلد ، ص ٤٠ ؛ Ideler : *Untersuchungen ueber Urspr. u. d. Bed. der Sternnamen* ص ٢٧١) ؛ وانظر أيضاً مادة « نجوم » .

« باع » ويقال أيضاً بَوْع وبُوع وجمعها أبْواع : مقياس طولى يسمى بالتركيه « قولاج » .

« باعَبّاد » : أسرة من المشايخ والعلماء الحضارمة يرتبطون بقبر النبي هود . وكان من أفراد هذه الأسرة : (١) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعبّاد الحضرمى المتوفى سنة ٦٨٧

(١٢٨٨ م) و (٢) محمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) ، وكلاهما دفن فى شبام (الشرْجى : الطبقات ، ص ٧٠ ، ١٣٩) أما عن الكتابين اللذين كتبا فى مناقب هذه الأسرة فانظر المصدر الآتى : The Saiyids of Hadramawt : Serjeant) ، ص ٦ ، ١١) .

خورشيد [لوفگرن O. Lofgren]

« الباعث » : من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين (انظر مادة « الله ») .

+ « باعَلَوى » (والأدق أن يقال « آل با علوى » ؛ [انظر مادة « با »] ، ويقول الشلّى فى كتابه المشرع ، جـ ١ ، ص ٣١ إن « علوى » طائر مشهور ؛ ويجب ألا نخلط بين النسبة «العلوى» [ويقال أيضاً الباعلوى] مع النسبة المألوفة إلى علىّ) : عشيرة كبيرة ذات جاه من سادات وصوفية جنوبى جزيرة العرب ، يعيش معظمهم بحضرموت فى بلدة تريم (انظر هذه المادة) أو بقربها ويدفنون فى مقبرة زَنْبَل ، ويقال إن الأصل الشريف لسادات با علوى قد حققه فى القرن السادس المحدّث على بن محمد بن أحمد بن جديد المتوفى سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م ؛ « تاريخ ثغر عدن» جـ ٢ ، ص ١٥٧ ؛ المشرع ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣) مستعيناً بشهود من الثقات ، ومن الكتب الخاصة التى صنفت عن سادة جنوبى جزيرة العرب : الجوهر الشفّاف لعبد الرحمن بن محمد الخطيب المتوفى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) ؛ « البرْقة المُشيكة » لعلى بن أبى بكر السقّاف (انظر هذه المادة) ؛ و «غُرَر البهاء الضوئى» لمحمد بن على خرّد (انظر ما يلى ، رقم ١٠) ؛ و « الترياق الواف » لعمر بن محمد بن أحمد باشيبان (انظر ما يلى ، رقم ٩) ؛ و « المنْهل الصافى» لعبد الله بن عبد الرحمن با هارون ، ومن هذه المصادر وكتب السير العامة جمع محمد بن أبو بكر الشلّى المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) أكثر من ٢٨٠ سيرة فى كتابه « المشرع الروىّ فى مناقب السادة آل أبى علوىّ » (مصر سنة ١٣١٩ هـ ؛ وانظر مادة « الشلى ») . أما الدراسة القيمة لفستنفلد (Wuestenfeld : Die Cufiten in Sued Arabien ، سنة ١٨٨٣) التى اعتمدت على كتاب خلاصة الأثر للمحبّى فلا تشمل إلا القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ولكنها تزودنا بأشجار نسب نافعة لفروع مختلفة من سادات با علوى (ويجب أن نلازم جانب الحذر فى الركون إلى التفصيلات الواردة بها) ، ونجد مادة كثيرة فى كتاب « تاريخ الشعراء الحضرميين» لعبد الله بن محمد بن حامد السقاف (سنة ١٣٥٣/ ١٣٥٥) ، وقد اكتفى هذا الكتاب بتسجيل أبرز أفراد الأرومة الرئيسية لهذه العشيرة ، ويمكن الرجوع فى شأن فروعها : عيدروس ، وبا فقيه ، وبلفقيه ، والحُفْرى ، والحُبْشى ، والحدّاد ، والسقاف ، والشلّى إلى الأجزاء الخاصة بكل فرع :

١ — الجد الأكبر : علوى بن عبد (عبيد) الله ابن أحمد بن عيسى المهاجر بن على العُرَيْضى بن جعفر ابن الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب . ويرجع فى شأن هذا العلوى الأكبر وأخويه بَصْرى وجديد (جُدَيْد) إلى مادة « أحمد بن عيسى المهاجر (سيرته فى كتاب المشرع ، جـ ١ ، ص ٣٠) .

٢ — على بن علوى بن محمد بن علوى (رقم ١) المعروف بخالع قَسَم (قرية شرقى تريم) ، وكان أول فرد فى هذا البيت نزل بتريم سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ، وتوفى بها سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٣ ؛ انظر المشرع ، حـ ٢ ، ص ٢٣٠ ؛ وانظر Wuestenfeld : *Cufiten* ، ص ٤) .

٣ — محمد بن على (رقم ٢) المعروف بصاحب مرباط ، وقد استقر بهذا الثغر البحرى المشهور (= ظَفَار القديمة) وتوفى بها بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م ؛ انظر المشرع ، حـ ١ ، ص ١٩٨) ، والجلو من خفيده الأكبر أحمد بن عبد الرحمن بن علوى الفقيه (المشرع ، حـ ٢ ، ص ٦٢) أسرتا با فقيه والحدّاد .

٤ — محمد بن على بن محمد (رقم ٣) الملقب بالأستاذ الأعظم والفقيه المقدّم (٥٧٤ — ٦٥٣ هـ = ١١٧٨ — ١٢٥٥ م) وقد كان من الشخصيات الكبرى فى التصوف بجنوبى جزيرة العرب وصاحب طريقة علوية خاصة ، وخالط الصوفى سفيان اليمنى اللحجى (تاريخ ثغر عدن ، حـ ٢ ، ص ٩٣) حين زار هذا الصوفى حضرموت واستنزل المطر بعد أن طال الجدب ، ولم ينسب إلى محمد أى أثر فيما عدا رسالتين بعث بهما إلى سفيان وإلى سعد الدين بن على الزعفرانى المتوفى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) .

وتأثر عن طريق عبد الله الصالح بن على المغربى وعبد الرحمن المُقعَد بن محمد الحضرمى بأقوال أبى مدين شعيب بن الحسين التلمسانى ، وكان أول من أدخل « التحكيم » الصوفى فى حضرموت (انظر Wuestenfeld : *Cufiten* ص ٥) ؛ وقد تتبع الشلى (المشرع ، حـ ٢ ، ص ٢٦٠) « الطريقة » الروحية لبا علوى هى و « طريقة الآباء » (أى النسب) التى ذكرناها آنفاً خمسة أبناء : علوى (الأصغر) ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعلى ، وأحمد (جد فرع بل فقيه [انظر هذه المادة] وسيرته فى المشرع حـ ٢ ، ص ٢ — ١١) .

٥ — علوى بن محمد (رقم ٤) المتوفى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) وابنه عبد الله با علوى (٦٣٨ — ٧٣١ هـ = ١٢٤٠ — ١٣٣٠) ، وكلاهما صوفى مشهور ويتقدمان فرع با علوى إن شئت الدقة ؛ ومن شاء تفصيلات عن حياتهما فليرجع إلى سيرتهما الكاملة فى المشرع (حـ ٢ ، ص ٢١١ ، وخاصة ص ١٨٤ وما بعدها) .

٦ — محمد بن على بن علوى (رقم ٥) ولد سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) فى تريم وتوفى بها سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٤ م) ؛ وقد أدى محمد فريضة الحج ثم استقر بالقرب من مكان قبر يعرف باسم

« يتبحّر » ومن ثم لقبه « مولى الدويلة » أى مولى البلد القديم (أى يبحر) . وابنه عبد الرحمن السقاف (٧٣٩ — ٨١٩ هـ) جد الفرعين الهامين السقاف وعيدروس (انظر هاتين المادتين ؛ كتاب المشرع جـ ١ ، ص ١٩٩ وما بعدها ؛ السقاف : التاريخ ، جـ ١ ، ص ٧١) ؛

٧ — عمر بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن محمد (رقم ٤) الملقب « صاحب الحمراء » ؛ ولد سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) فى تريم ، وتوفى سنة ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) فى تعز . وزار مكة وعدن والحج ثم استقر فى قرية الحمراء . وقد نظم عمر الشعر وكتب رسائل صغرى ، وله علاوة على ذلك كتاب « فتح الله الرحيم الرحمن فى مناقب عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن (أى العيدروس : انظر هذه المادة ؛ وانظر المشرع ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ ؛ السقاف : التاريخ ، جـ ١ ، ص ٨٦) .

٨ — أحمد بن عبد الله بن علوى بن حسن ابن أحمد بن محمد بن حسن بن على بن محمد (رقم ٤) الملقب « شَنْبَل » ، وقد توفى سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) ؛ وصنف أحمد كتاباً فى التاريخ هو « تاريخ شَنْبَل » (انظر عن هذا الكتاب : Serjeant : *Materials* ، ص ٢٩١ ؛ المشرع ، جـ ٢ ، ص ٦٧) ؛

٩ — عمر بن محمد بن أبو بكر باشيبان بن محمد أسد الله بن حسن بن على بن محمد (رقم ٤) وقد عاش من سنة ٨٨١ إلى سنة ٩٤٤ هـ (١٤٧٦ — ١٥٣٧ م) وصنف كتاب « ترياق القلوب الوافى بذكر حكايات السادة الأشراف » (انظر ما سبق وانظر كتاب Brockelmann ، جـ ٢ ، ص ٤٠١ ؛ Serjeant : *Materials* ، ص ٥٨٣) ويشمل سير ٣٥٥ من السادة الباعلويين (المشرع ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ انظر جـ ١ ، ص ٣ ؛ Wuestenfeld : *Cufiten* ، ص ٤٨) ؛

١٠ — محمد بن على بن علوى بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوى (رقم ٥) الملقب « خَرِد » ، ولد سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) وتوفى سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣ م) ، وقد صنف الرسائل « فى الحديث » و « النفحات » فى التصوف » ، و « غرر البهاء الضوئى فى مناقب السادة بنى علوى » (وفى رواية « بنى بصْرى وجديد وعلوى » ؛ انظر ما سبق ، وانظر كتاب المشرع ، جـ ١ ، ص ١٩٦ ؛ السقاف : التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ؛ Serjeant : *Materials* ، ص ٥٨٢) .

١١ — سالم بن أحمد بن شَيْخان بن على ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله عبود ابن على بن محمد (رقم ٦) ، ولد سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) وتوفى سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م) بمكة ، وقد أدخله فى طريق السالكين أحمد الشناوى المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) ؛ وكتب سالم عدة كتب سجلها ابنه أبو بكر فى رسالة ضمنها الشلى سيرته (المشرع ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ — ١١٠) ، ومن هذه الكتب « بُلْغة المريد وبغية المستفيد » وهو شرح على الجزئين الرابع والخامس

من « الجواهر الخمس » لمحمد غوث الله بن خطير الدين (بروكلمان ، حـ ٢ ، ص ٤١٨) ؛ « السفر المستور للدراية فى الدر المنثور للولاية » ؛ « مصباح السر اللامع بمفتاح الجفْر الجامع » ؛ « غرر البيان عن عمر الزمان » ؛ « البرهان المعروف فى موازين الحروف » ... إلخ (بروكلمان ، حـ ٢ ، ص ٤٠٧ ؛ قسم ٢ ، ص ٥٦٥ ؛ Wuestenfeld : *Cufiten* ، ص ٧٧ ؛ وانظر عن ابنه أبى بكر المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ الموافقة سنة ١٦٧٤ م : كتاب المشرع ، حـ ٢ ، ص ٢٦ ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦) .

١٢ — عقيل بن عمر عمران بن عبد الله ابن على بن عمر بن سالم بن محمد بن عمر بن على ابن أحمد بن محمد (رقم ٤) أبو المواهب ، ولد سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٣ م) فى الرباط (قرب ظفار الحَبوضى) وتوفى سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م) فى ظفار ودفن فى مسقط رأسه . ومن آثاره : « العقيدة » (وقد شرحها أحمد بن محمد القشاشى وعلى بن عمر باعمر) ؛ « فتح الكريم الغافر فى شرح حلية المسافر » (وهو شرح على قصيدة لسعيد ابن عمر بل حاف ؛ انظر سيرته فى الشرع ، حـ ٢ ، ص ٢٠٣ ؛ Wüstenfeld : *Cufiten* ، ص ٥١ ؛ وانظر بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٥٣٣) .

١٣ — محمد بن زين بن سُمَيْط علوى ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد سميط ، ولد فى تريم سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٩ م) وشخص إلى شبام سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٣ م) وتوفى بها سنة ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) وكتب كتابين فى مناقب شيخيْه عبد الله بن علوى الحدّاد المتوفى سنة ١١٣٢ هـ (١٧٢٠م) وأحمد بن زين الحبشى المتوفى سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ م) عنوانهما : « غاية القصد والمراد » (بومباى سنة ١٨٨٥ م) ؛ و « قرة العين . و « بهجة الفؤاد » اختصار للكتاب الأول ؛ و « لب اللباب » اختصار لمجمع الأحباب . وله إلى ذلك ديوان (انظر السقاف : التاريخ ، حـ ٢ ، ص ١٢٧ — ١٣٥ ؛ Serjeant : *Materials* ، ص ٥٨٢ ؛ Brockelmann ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦) .

١٤ — ومن أفراد العشيرة المحدثين :

ا — عبد الله بن حسين بن طاهر بن محمد الجاوى المتوفى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) ؛ وله كتاب « سلّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق » (وعليه شرح عنوانه « مرقاة صعود التصديق » لمحمد نووى الجاوى (وكتب أخرى) انظر سركيس ، ص ٥١٨ ؛ بروكلمان ، قسم ٣ ، ص ٨٢٠ (٨١٤)) .

ب — عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر (حوالى سنة ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٥ م) : مفتى حضرموت ، وقد صنف « بغية المسترشدين فى تلخيص فتاوى بعض الأئمة المتأخرين » ؛ و « غاية تلخيص المراد فى فتاوى ابن زياد » (مصر سنة ١٣٠٣ هـ ؛ وانظر سركيس ، ص ٥١٧ ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٨١٧) .

حـ — فضل بن علوى بن محمد بن سهل ، مولى الدويلة المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) ،

وقد صنف « سبيل الأذكار والاعتبار » (على هامش الحدّاد : النصائح الدينية) ، « عقد الفرائد من نصوص العلماء الأماجد » (انظر سركيس ، ص ٥١٧ ، بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦) .

د — أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الملقب بابن شهاب (١٢٦٢ — ١٣٤١ هـ = ١٨٤٦ — ١٩٢٣ م) ويرجع إلى سركيس (ص ١٤٠) ، وقد ذكر له عناوين تسعة كتب طبعت فى الهند مابين سنتى ١٣٠٥ و ١٣٣١ هـ .

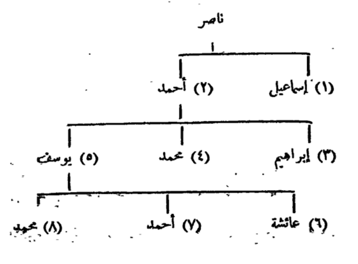
هـ — محمد بن عقيل بن على بن يعقوب (١٢٧٩ — ١٣٥٠ هـ = ١٨٦٢ — ١٩٣١ م) ، وقد صنف « العَطْب الجميل » ، وطبع سنة ١٣٤٢ هـ (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٨٢٢) .

المصادر :

(١) R.R. Serjeant ; *The Sayyids of Hadramawt*، لنـــدن سنة ١٩٥٧ . (٢) الـكـاتب نفسه : *Materials for South Arabian History* فى *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* ، جـ ١٣ ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٢٨١-٣٠٧ ، ٥٨١ — ٦٠١ والكتب التى ذكرت آنفاً .

[O. Lofgren لوفگرن] خورشيد

+ « الباعُوني » : وهذه النسبة إما إلى قرية باعون (أو باعونة) فى حَوْران وإما إلى قرية تحمل الاسم نفسه قرب الموصل ؛ وهى تقترن عادة بأسرة بعينها انحدرت من ناصر بن خليفة بن فرج الناصرى الباعونى الشافعى الذى بدأ حياته نساجا فى القرية الأولى وغادرها حوالى سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) ليستقر فى الناصرة (السخاوى : الضوء اللامع ، القاهرة سنة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م ، جـ٢ ، ص ٢٣٢) . والجدول التالى يبين سلالة ناصر :



(١) لا يعرف عنه إلا القليل فيما عدا أنه أصبح صوفيا وناب فى قضاء الناصرة ، واشتغل بالتجارة وكانت له وجاهة (المصدر المذكور ، ص ٣٠٨) .

(٢) ولد فى الناصرة حوالى سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) وأصبح « خطيب » الجامع الأموى بدمشق وقاضيا ، ثم خطيبا للمسجد الأقصى ببيت المقدس ثم غدا قاضيا لمصر مدة شهرين . وقد كتب أحمد فى التفسير ، ونظم قصيدة فى العقائد اسمها « العقيدة » ؛ وكان أحمد واعظا يؤثر فى النفوس وإن كان نصيبه من الفقه قليلا . وانظر بروكلمان فى شأن « تخميسه » لقصيدة ابن رُزَيْق (حوالى سنة ٤٢٠هـ/١٢٠٩م ؛ بروكلمان ، جـ١ ، ص ٨٢ ، قسم ١ ، ص ١٣٣) وأظهر وهو قاض كفاية إدارية ونزاهة ، وقد أبى أن يعطى السلطان برقوقا سلفة من أموال الأوقاف ، وأدى ذلك إلى إذلاله إلى حين وحبسه ؛ وتوفى بدمشق سنة ٨١٦هـ (١٤١٣م ؛ انظر ابن العماد : الشذرات ، جـ٧ ، ص ١١٨ ؛ الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص ٢٣١ ؛ ابن تغرى بردى ، جـ٦ ، ص ٢٦٧ ، ٦٠٣ ، ٣١٤ ، ٤٣٩) .

(٣) ولد فى صفد سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) ودرس فى دمشق والقاهرة ؛ وناب عن أبيه فى قضاء دمشق حيث غدا خطيبا للجامع الأموى ، وغدا أيضا خطيبا للمسجد الأقصى وناظرا للحرمين فى بيت المقدس وأظهر فى نظارته هذه كفاية كبيرة . وقد تجلت براعته الأدبية واقتداره فى رسالة أنشأها عاطلة من النقط وضمنها ألفية ابن مالك . وذاعت شهرته وعظمت حتى لقب : « شيخ الأدب فى الديار الشامية » ؛ وكان من بين تلاميذه الذين لا يحصى عددهم الشوكانى صاحب السير ؛ وتوفى سنة ٨٧٠هـ (١٤٦٤ — ١٤٦٥م ؛ انظر الشذرات ، جـ٧ ، ص ٣٠٩ ؛ الضوء اللامع ، جـ١ ، ص ٢٦ ؛ السيوطى : نظم العقيان فى أعيان الأعيان ، طبعة حتى ، نيويورك سنة ١٩٢٧ ، ص ١٣ ؛ ابن تغرى بردى ، جـ٧ ، ص ٨٠٨) .

(٤) ولد فى دمشق سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وأصبح خطيباً للجامع الأموى وأقيم « ناظراً [رعا لأوقاف] ؛ الأسرى والأسوار » ؛ وتشمل آثاره (انظر عنها بروكلمان ، جـ ٢ ، ص ٤١ ؛ قسم ٢ ، ص ٣٨) تلخيصاً منظوما لتاريخ الإسلام حتى عهد برسباى (المقتطف ، سنة ١٩٠٨) . وقضى سنيه الأخيرة فى الصلاة والتفكر ، وتوفى بدمشق سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م ؛ انظر الشذرات ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ ؛ الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ١١٤ ؛ عُلَيْمى : الأنس الجليل ، القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢) .

(٥) ولد فى بيت المقدس سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) ودرس فى دمشق وحبرون والرملة والقاهرة ، وتولى قضاء صفد وطرابلس وحلب ودمشق ؛ وفى دمشق أعاد يوسف تنظيم إدارة بيمارستان نور الدين ، ووسع أوقافه وأضاف أقساماً جديدة للبناء نسبت إليه (الضوء اللامع ،

ج ١٠ ، ص ٢٩٨) . وكان إنتاجه الأدبى (ويدخل فيه نظمه لمنهاج النووى) قليلا ولو أنه كان ينظم وينثر فى سهولة عظيمة . وعاش يوسف حياة زهد وورع ، وتوفى بدمشق سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م ؛ انظر الشذرات ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ ؛ نظم العقيان ، ص ١٧٨ ؛ ابن تغرى بردى ، ج ٧ ، ص ٢٢٣ ، ٨٥٦ ، ٦٠٨) .

(٦) ولدت فى دمشق ، ونشأت نشأة الطفل الذى ينبغ قبل الأوان ، فحفظت القرآن وهى فى سن الثامنة ؛ وقد اكتملت فيها الملكات الأدبية والنزعات الصوفية المأثورة عن أسرتها ، وورثت إلى ذلك استقلالا فى الفكر والرأى بدا فى مصاحبتها للرجال من معاصريها على قدم المساواة ؛ ومنحت فى القاهرة إجازات تؤهلها للتدريس والفتوى ؛ وكان لها صديق كبير هو أبو الثناء محمود بن آجا : آخر « صاحب دواوين الإنشاء » لعهد المماليك ، وقد مدحته برائية استشهد بها الغزّى فى كتابه « الكواكب السائرة » (طبعة جبور ، بيروت سنة ١٩٤٥ ، ج ١ ، ص ٣٠٤) ؛ ولها مراسلات بالشعر مع العالم المصرى عبد الرحيم العباسى (انظر فى شأن مختارات منها الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٢٨٨) ولقيت عائشة السلطان الغورى فى حلب سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) .

ولعل أشهر آثارها هى « البديعية » فى مدح الرسول وعنوانها « الفتح المبين فى مدح الأمين » (بروكلمان ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ ، رقم ١) . وقد كتبت عليها شرحا ، وبذلك اتبعت السنة التى كان أول من استنها صفى الدين الحلى (انظر هذه المادة) ولو أنها كانت فيما يرجح متأثرة تأثراً مباشراً بابن حجة ؛ وقد قرأ عبد الغنى النابلسى (انظر هذه المادة) وأعجب بنسخة خطية من كتابها « الفتح المبين » وإن كان إعجابه بها لا يخلو من النقد ، ولاشك أنه استلهمها فى كتابة بديعيته « بسمات الأزهار » ... إلخ ودأب فى شرحه البديعية (« نفحات الأسحار » ، القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ = ١٨٨١ م) على المقارنة بين أبياتها والأبيات المقابلة لها من « الفتح المبين » . وقد نشرت « الفتح المبين » وشرح عائشة لها على هامش خزينة الأدب لابن حجة (القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ = ١٩١٥ م ، ص ٣١٠ — ٤٦٧) . وتشمل آثار عائشة الأصيلة أيضاً : « كتاب الملك الشريفة والآثار المنيفة » و « الفتح الحنفى » وكلاهما فى موضوعات صوفية (الكواكب ، ج ١ ، ص ٢٨٨) ؛ أما كتابها « مولد النبى » (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٣٨١ ، رقم ١ ع) فبعضه نثر وبعضه شعر ، وقد نشر فى القاهرة سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) ، وسنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م ؛ انظر سركيس : المعجم ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٣١٩) .

وقد نظمت عائشة أيضاً « المعجزات والخصائص النبوية » للسيوطى (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ١٨١ ، س ٢٩ ج) واختصرت رسالة الهروى الصوفى المسماة « منازل السائرين » فى أرجوزة عنوانها « الإشارات الخفية فى المنازل العلية »

(حاجى خليفة ، جـ ١ ، ص ٩٦) ؛ واختصرت فى أرجوزة أخرى «القول البديع فى الصلاة على الحبيب» للسخاوى (حاجى خليفة ، جـ ٢ ١٣٦٢) ؛ وتزوجت عائشة وكان لها على الأقل ابن واحـــد ؛ وتوفيت بدمشق سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م ؛ انظر الشذرات ، جـ ٨ ، ص ١١١ ؛ الزركلى : الأعلام ، القاهرة سنة ١٩٢٧ ، جـ ٢ ، ص ٤٥٨) .

(٧) و(٨) لم يبرّزا تبريزاً خاصاً وإن كان كلاهما قد نظم شيئاً من الشعر ، وغلب على شعر الثانى طريقة الملخصات الشعرية لعهود السلاطين المماليك . وتوفى الأول سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٥ م) والثانى سنة ٩١٦هـ (١٥١٠ م ؛ انظر الشذرات ، جـ ٨ ، ص ٤٨ ؛ الكواكب ، جـ ١ ، ص ٧٣ ، ١٤٧ ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٦٦ ؛ قسم ٢ ، ص ٥٣ فيما يختص بآثار محمد) .

وبوفاة ثامن هذه السلالة خرج فرع ناصر من صفحات التاريخ ، إذ لم ترد أية إشارة إليه فى كتاب خلاصة الأثر للمحبى .

[W.A.S. Khalidi خورشيد خالدى]

«باغ» : كلمة فارسية معناها بستان : و«باغ زاغان» أى حديقة الغربان ناحية من نواحى هرَاة : ونحن نعرف «باغ لاله زار» فى طهران ومعناها حديقة الخزامى ، كما نعرف حدائق «باغ نَوْ» و «باغ شَيْخ» و «باغ تخت» بشيراز . والحديقة التى يقطعها ممران متقاطعان يقسمانها أقساماً أربعة تعرف باسم «چهار باغ» . و «باغ سياوشان» و «باغ شيرين» و «باغ شهريار» و «باغ أردشير» هى أسماء ألحان موسيقية . وأصبح معنى كلمة باغ فى التركية الكرم . (وانظر مادة «بوستان») .

المصادر :

(١) A. de Biberetein Kazimirski : *Menoutchehri* ، باريس سنة ١٨٨٧ ، ص ٢٩١ ، ص ٣٠٩ ، تعليق ٣ ، ص ٣٥٠ ، تعليق ٤ ، ٥ .

(٢) Edw. G. Browne : *A year Amongst the Persians* ، ص ٩٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

[Cl. Huart هوار]

«باغچه سراى» ومعناها بالتركية «قصر الحديقة» وتنطق فى الروسية «باخچى سراى» : مدينة تترية بإقليم طوروس فى شبه جزيرة القرم على مسيرة عشرين ميلا من سمفروپول Simfropol عاصمة الناحية ، وتبعد عن الشاطىء بمقدار عشرين ميلا أيضاً : وهذه المدينة فى وادى چيرك صو الضيق ، ويرسمه پالاس Pallas چوروك صو Dschuruk Su ومعناه الماء الآسن . ويجرى وادى سلاچك ناحية الشرق تجاه القلعة الجبلية المعروفة الآن بـ«چُفت قلعه» أى قلعة اليهود وهى أقدم محلة فى جوار باغچه سراى ، وكانت أهم موطن لليهود القرائين فى القرم إبان العهد التترى . وظل هؤلاء يستعملون الاسم القديم «قيرق يير» حتى القرن التاسع عشر

الميلادى ؛ وذكر أبوالفدا هذه القلعة لأول مرة فى كتابه تقويم البلدان (طبعة رينو Reinaud ، ص ٢١٤) على أنها موطن أللان (آص) ورسم اسمها هكذا « قِرقِرى » ولكن قوله بأن معناه أربعون رجلا يقتضى أن يكون الرسم هكذا « قيرق أر » ويفسر آخرون الاسم بقولهم إنه « قيرق أورْ » أى القبور الأربعون ، ولكنا لانجد على السكة سوى « قيرْق يِر » أى الأماكن الأربعون . ويظن سميرنوف Smirnow أن الاسم اشتقاق تركى شائع من الكلمة اليونانية : كلياكرا . وقد أنشأ حاجى كَراى مؤسس أسرة كَراى حاضرته عند قيرْق ير حوالى عام ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) وهذه السنة هى تاريخ أول سكة ضربها فى قيرق ير ؛ وقبره فى وادى سلاجِق . أما أقدم محلة ، وهى المعروفة الآن بـ « إسكى يورت » ففى وادى چيرك صو على مسيرة ثلثى الميل غربى المدينة الجديدة ، وهناك قبور معظم خانية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ثم أصبح القصر الذى أخذت باغچه سراى اسمها منه سرة المدينة ، أما قيرق ير وإسكى يورت فقد خلتا من السكان ؛ وورد فى نقش عربى على الباب الكبير لهذا القصر أن منكَلى كَراى هو الذى شيده عام ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤ م) ؛ وكانت باغچه سراى على نقيض قيرق ير مكشوفة بل إن القصر نفسه لم يكن محاطاً بما يحصنه . ووصف المبعوث البولندى برونيفسكى Broniewski باغچه سراى عام ١٥٧٨ م فقال إنها بليدة بها قصر للخانية (جمع خان) ومسجد مبنيّان من الحجر أخذت أحجارهما من مبان مسيحية . وتتصل بها بليدة سلاجك فى الوادى المعروف بالاسم نفسه ، و بنيت خانقاه للدراويش من أطلال المبانى الرومية . ولم تعرف المدينة فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) باسم قيرق ير إلا على السكة ؛ أما الاسم باغچه سراى فكان ظهوره فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ؛ وكانت باغچه سراى المكان الوحيد فى بلاد القرم الذى تضرب فيه السكة بعد عهد إسلام كَراى الثالث (سنة ١٦٤٤ — ١٦٥٤ م) ؛

وفى ٢٨ (١٧) يونيو من عام ١٧٣٦ م غزا الروس بقيادة مونّيخ Münnich باغچه سراى وسلبوها وأحرقوا جزءاً منها وخربوا الحى الذى يضم القصر والمسجد الجامع ودار الكتب التى أسسها سليم كَراى الأول الذى حكم أربع مرات (١٦٧١ — ١٦٧٨ ؛ ١٦٨٤ — ١٦٩١ ؛ ١٦٩٣ — ١٦٩٩ ؛ ١٧٠٢ — ١٧٠٤ م) ودار البعثة اليسوعية ومكتبتها . وكان بالمدينة إذ ذاك ألفا بيت يملك ثلثها النصارى من الروم ، وكانت لهم فيها كنيسة ، وقد أعيد بناء الحى الذى خربه الروس فى عهد سلامت كَراى الثانى (١٧٤٠ — ١٧٤٣ م) . وشيد فى عام ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ — ١٧٤١ م) مسجد تجاه القصر

زوده السلطان محمود الأول بالكتب من الآستانة .
وبنى الخان عام ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) فى القصر بهواً يستقبل فيه الناس ، وذكر كليمان N.E. Kleemann الذى زار باغچه سراى عام ١٧٦٩ م أن بالمدينة فيما عدا القصر والمسجد دار السكة الخانية إلى يمين القصر ، وقصر القنصل الفرنسى الذى كان أجمل مبانى المدينة بعد قصر الخان . وكانت المساكن لا تكوّن شوارع ممتدة بل كانت متناثرة وعلى ذلك فقد شغلت المدينة بالنسبة لسكانها حيزاً أكبر مما ينبغى .

ولما دخلت القرم فى حوزة الروس عام ١٧٨٣ م رمم پوتمكين Potemkin القصر عام ١٧٨٤ م استعداداً لزيارة القيصرة كاترين الثانية ، ويقول پالاس Pallas إن المدينة كان بها فى ذلك الوقت ٣١ مسجداً مبنياً بالحجر وكنيسة للروم وأخرى للأرمن وبيعتان وحمامان و ١٦ خاناً و ١٥٦٦ بيتاً و ٣١٦٦ من الذكور و ٢٦١٠ من الإناث . ورممت الحكومة الروسية القصر بعد ذلك وأعادت إليه سالف بهائه ورونقه ليكون نموذجاً للعمارة الشرقية . ولم يبق من مبانى خانية قبيلة القطيع الذهبى سوى باغچه سراى ، وهو لذلك الأثر الوحيد لهذا الفن فى جنوبى الروسيا ويعرف بقصر الحمراء التترى ، وخلد پوشكين Pushkin اسم هذا القصر فى الشعر الرومى بقصيدته المسماة « نافورة باغچه سراى » . ومحفوظات قصر باغچه سراى وثائق على جانب كبير من الأهمية اكتشفها سميرنوف فى سمفروپول وهى فى ١٢٤ مجلداً تضم كل ما بقى من التخريب الذى حاق بالمدينة عام ١٧٣٦ ، وقد حفظت بالمكتبة القيصرية فى مدينة سانت بطرسبرغ . ولم يستغل المؤرخون مادة هذه المحفوظات تمام الاستغلال بعد .

ومدينة باغچه سراى مركز صناعى ثقافى للتتر . وقد أصدر إسماعيل ميرزا غاسپرالى (بالروسية غاسپرنسكى) منذ عام ١٨٨٣ جريدة « ترجمان » باللغتين التترية والروسية ، وهى جريدة لها خطرها ، وأسس هذا الرجل أيضاً داراً للطباعة يصدر عنها كثير من الكتب التترية كل عام .

المصادر :

كتب الرحـــلات : (١) Broniewski (Broniovius) : *Russia seu Moscowia itemque Tartaria* ، كولونيا سنة ١٥٩٥م ، ليدن ١٦٣٠ ، والترجمة الروسية الواردة فى *Zapiski Odesskago obshchestna Istorii i Drevnostei* ، جـ ٦ ، ص ٣٣٣ ومابعدها (٢) Nikolaus Ernest Kleemann: *Reisen* ليپسك سنة ١٧٧٣ ؛ الترجمة الفرنسية ، نيوشاتل سنة ١٧٨٠ (٣) Pallas : *Bemerkungen aus einer Riese in die suedlichen Statthalterschaften des Russischen Rreiches in den Jahren* 1793 *und* 1794 ، المجلد الثانى ، ليپسك سنة ١٨٠١ ، ص ٢٦ — ٣٧ ؛

وقد جمع بورزنكــو ودومبروفسكى (A. Borzenko, F. Dombrovski) النقوش التركية والعربية لباغچه سراى وما جاورها وذلك فى الأعوام من ١٨٣٦ إلى ١٨٤٧ ونشراها بعد

ذلك فى *Zapiski Obshchestva Istorii i Drevnostei* ؛ جـ ٢ ، ص ٤٨٩ وما بعدها .

ونشر دومبروفسكى Dombrovski أيضاً وصفاً لباغچه سراى فى *Ocherki Bachchisaraja* - أودسا عام ١٨٤٨ .

ولدينا رواية شاهد عيان للفتح الروسى الذى وقع عام ١٧٣٦ وهو الكابتن مانشتاين Mannstein فى *Mémoires historiques politiques et militaires sur la Russie* ، الطبعة الجديدة ، باريس عام ١٨٦٠ م ، جـ ١ ؛ ص ١٨٣ وما بعدها .

وأوفى المراجع عن تاريخ أسرة گراى هو W.Smirnow : *Krimskoje chanstvo* سانت بطرسبرغ عام ١٨٨٧ إلى القرن الثامن عشر ، وأودسا عام ١٨٨٩ إلى القرن الثامن عشر .

ووصف رتوفسكى O.Retovski السكة وصفاً مفصلا فى *Die Muenzen der Girei* ، موسكو سنة ١٩٠٥ ؛ وانظر أيضاً W.H. Valentine : *Modern Coins of the Muhammedans* ، لندن سنة ١٩١١ ، ص ٩٦ — ٩٩ .

أما عن المحفوظات التى أسلفنا الإشارة إليها فانظر مقال K. Inostrantzew فى *Zapiski Vost. otd. Arch obshchestva* ، المجلد الثامن عشر ، ص١٨ .

[بارتولد W. Barthold]

+ وكان المقصود بلغة هذه المجلة أن تكون وسطاً بين اللهجات التركية المختلفة ، وبذلك تدعم التعاون بين أولئك الذين يتحدثون بهذه اللهجات .

وفى الحق إن لغة المجلة كان يغلب عليها اللغة العثمانية G. Buriel : *Die Sprache Isma'il Bey Gaspyralys* ، رسالة جامعية ، هامبورغ سنة ١٩٥٠ مكتوبة بالآلة الكاتبة ؛ G. von Mende : *Der nationale Kampf der Russlantuerken* برلين سنة ١٩٣٦ ، الفهرس ؛ جعفر سيدحامد : غاسبرالى إسماعيل بك ، إستانبول سنة ١٩٣٤) ؛ وفى السنة التالية أقام غاسبرالى فى باغچه سراى مدرسة نموذجية أصبحت حتى سنة ١٩٠٥ نموذجاً لنحو خمسمائة مدرسة ابتدائية إسلامية فى روسيا .

وأصبحت باغچه سراى مرة أخرى مركزاً إداريا فى عهد استقلال القرم (١٩١٨—١٩٢٠) ، على أنها لم تحظ بأية شهرة سياسية أثناء الاحتلال الألمانى من سنة ١٩٤١ — ١٩٤٤ حتى انتزعها الروس من الألمان فى أبريل سنة ١٩٤٤ ؛ وقد خرّب قصر الخانات ، على أنه رمم الآن (جزء منه ؟) وأصبح متحفاً شرقياً ، كما أصبح منذ سنة ١٩٥٠ تذكاراً يخلد ذكر الجنرال الروسى سفوروف الذى كان يتخذ منه مقراً عسكرياً له . ونتج عن إعادة إسكان تتر القرم بالقوة (١٩٤٤—١٩٤٥) أن فقدت باغچه سراى فقدانا تاما صبغتها الأصلية ، ولم يعد الإحصاء الحالى لسكانها والعناصر التى يتكونون منها يذكر فى *Bol'shaya Sovyetskaya Encyclopediya*) ، جـ ٤ ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٣٣) وكذلك لا نجد فى هذا المصدر تفصيلات عن الظروف الأخرى السائدة فى المدينة الآن .

المصادر :

(١) V. Bodaninskij: Archeologicheskoye i Etnografi-
ficheskoye Znachenniye Tatar v Krimu (أى الأهمية
الأثرية والسلالية لتتر القرم)سمفروپول سنة ١٩٣٠
(٢) Brockhaus-Efron : Encycloped. Slovar ،
جـ ١/٣ (=٥) سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩١ ،
ص ٢١٤ — ٢١٥ (٣) Encyclopaedia Judaica ،
جـ ٣ ، برلين سنة ١٩٢٩ ، العمد ٩٣٧—٩٣٨ .

وانظر عن الرحلات (٤) M. Guthrie :
... A Tour performed ... 1795-1796 through the
... Crimea لندن سنة ١٨٠٢ (٥) E. D. Clarke :
Travels in Various Countries جـ ١ ؛ روسيا
وبلاد التتر وتركية ... ، لندن سنة ١٨١٠ — ١٨٢٣
(٦) L. d'Asfeld : Voyage en Crimée ... Haslem ،
پاريس سنة ١٨٢٧ (٧) M. Holderness: Notes relating
... to ... the Crim Tatars ، لندن سنة ١٨٢١ ،
و ... New Russia. Journey ... to the Crimea ،
الطبعة الثانية ، لندن سنة ١٨٢٧ (٨) J. B. Telfer :
... The Crimea ، فى مجلدين ، الطبعة الثانية ،
لندن سنة ١٨٧٧ .

وانظر عن چفت‌قلعه : (٩) A. Herkavy : Die
alt-juedischen Denkmaeler auf der Krim ، سنة ١٨٧١
(١٠) Zapiski Odessk. Ob. va Ist. i. Drevn ، جـ ١٢
(١١) V. D. Smirnov : Krymskoye Khanstvo ... ،
فى مجلدين ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٨٧ ،
أودسا ، سنة ١٨٨٩ (١٢) جعفر سيد حامد : Krym
وارسو ، سنة ١٩٣٠ (١٣) B. Spuler : Die Krim ،
برلين سنة ١٩٤٤ (١٤) وانظر أيضاً مادتى
« گراى » و « القريم » .

خورشيد (سبولر B. Spuler)

+ « بافضل » : (انظر مادة « فضل ، با »)

+ « بافقيه » : (انظر مادة « فقيه ، با »)

+ « الباقر » : لقب الإمام محمد بن على
(انظر هذه المادة) .

+ « باقَر گَنج » : كانت من قبل إقليما فى
پاكستان الشرقية مقرها باريسال (وباريسال
نفسها هى الآن إقليم يشمل باقرگنج) ، وتقوم
باقرگنج بين خط عرض ٢١° ٥٤َ شمالا ، وخط
طول ٩١° ٢َ شرقاً ، ومساحتها ٤٠٩١ ميلا مربعاً
منها ٥١ ميلا مربعا تغطيها المياه ؛ وكان عدد سكانها
سنة ١٩٥١ : ٣,٦٤٢,١٨٥ نسمة منهم
٢,٨٩٧,٧٦٩ مسلمون . وكانت هذه المنطقة معروفة
باسم باكْلَة (إسماعيلپور) ، وتؤلف « سركاراً »
فى عهد المغل قبل أن يحتلها آغا باقر ، وكان شخصا
بارزاً فى بلاط المغل فى دكا يدين بالولاء لنواب
مرشد آباد ومن أصحاب الأراضى فى بزُرْگُمِيدپور
سنة ١١٥٤هـ (١٧٤١م) عندما أفلح فى إخماد
فتنة قام بها أصحاب الأراضى الهندوس المحليين ،
واتخذ مقراً له مدينة سوق زاهرة أطلق عليها اسم

باقرگنج (سوق باقر) ، على مسيرة ١٣ ميلا جنوبى شرق باريسال ؛ وتوفى آغا باقر سنة ١١٦٧هـ (١٧٥٣م) فآلت أملاكه كلها إلى راجا بَلَبْه راىء صاحب بِكْرَمْپور وهى ديوان (انظر هذه المادة) للنائب ناظم الدكّاوى ؛ وقد غزا الا ماغْ » ، وهى قبيلة بورمية تعيش على السلب والنهب ، المنطقةَ بضعَ مرات خلال القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ؛ وتوغل المراطها فى باقرگنج سنة ١١٦٢هـ (١٧٤٧ — ١٧٤٩) ولكنهم ردوا على أعقابهم بمعاونة المستعمرين البرتغاليين. وكانت المنطقة غنية بالزراعة فزودت مرشد آباد بالأرز أثناء القحط المروع الذى حدث سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧٠م) وكانت مشهورة أيضاً ببساتين الفاكهة فيها ؛ وفى سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٨ — ١٨٢٩ م) زار المنطقة كرامت على جَوْنپورى ، وهو من مريدى سيد أحمد بريلوى (انظر هذه المادة) وأعلن الجهاد على الفرنجة (أى الأوربيين) هو والحاجى شريعت الله وابنه دودوميا ، على أن هذه الحركة انهارت بموت دودوميا سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢م) ؛ ويتحدث معظم السكان نوعاً من النخالية ، معروفة باسم المسلمانى ، وتغلب عليها الألفاظ العربية والفارسية .

والإقليم عرضة لفيضانات وإعصارات شديدة ، وهو علاوة على ذلك مشهور بظاهرة جوية غريبة تعرف باسم « مدافع باريسال » ، وهى أصوات تشبه قصف المدافع وتحدث فى فترات منتظمة ، ولا تعليل حتى الآن لحدوث هذه الظاهرة

المصادر :

(١) *Imperial Gazetteer of India* ، جـ ٦ ؛ (سنة ١٩٠٨) ، ص ١٦٧ وما بعدها (٢) *Backergunge*: A.H. Beveridge ، كلكتة، سنة ١٨٧٦ (٣) *Bengal District Gazeteer (Bakarganj)* ، كلكتة سنة ١٩١٨ ، ص ١٦ — ٢٧ ، ٣٢ — ٣٣ ، و ١٢٤ (٤) *Statistical* : W. W. Hunter *Account of Bengal* ، كلكتة سنة ١٨٧٥ (٥) *Settlement Reports of the Dakhin Shahbazpur and Tushkhati Government Estates* ، كلكتة سنة ١٨٩٦ — و ١٨٩٨ (٦) سيد محمد طيفور : *Glimpses of Old Dhaka* ، دكّا ، سنة ١٩٥٢ ، ص ١٣١—١٣٢ و ١٤٧ (٧) أحمد حسن دانى : *Dhaka* ، دكّا ، سنة ١٩٥٧ (الفهرس) .

صبحى [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

« باقلمون » : (انظر مادة « أبو قلمون »)

« الباقِلّانى » : أبو بكر بن على بن الطيب: مؤلف عربى وعالم من علماء الكلام ، قرأ على أبى العباس بن مجاهد الطائى البصرى تلميذ أبى الحسن الأشعرى . وتوفى لسبع بقين من ذى القعدة سنة ٤٠٣ (٦ من يونية سنة ١٠١٣) ، وكانت وفاته ببغداد ، واشتهر الباقلانى بما كتبه فى الجدل والمناظرة ، وقد مزج

علم الكلام بآراء جديدة أخذها عن الفلسفة اليونانية أو ربما أخذها عن عقائد الكنيسة الشرقية : مثل ذلك : قوله فى الذرة والخلاء وأن العرض لا يقوم بعرض وأن العرض لا يبقى وحدتين من الزمن .
ولم يبق من مصنفاته إلا « كتاب فى إعجاز القرآن » ، طبع فى القـاهرة سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) .
ويروى السيوطى فى كتابه « الإتقان » (طبعة القاهرة سنة ١٢٧٨هـ ، جـ٢ ، ص ١٤٤) نقلا عن ابن العربى أن كتاب الباقلانى هو أحسن ما كتب فى موضوعه . وذكر ابن حزم فى كتابه المسمى الفصل أن الباقلانى صنف كذلك كتاب « الاستبصار فى القرآن » وكتابا فى مذاهب القرامطة .

المصادر :

(١) ابن خلكان ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٩٩هـ ، رقم ٨٥٠ (٢) A. F. Mehren : فى *Travaux de la IVème Session du Kongrès International des orient.* ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٧٦ ، جـ٢ ، وطبع كذلك فى ليدن سنة ١٨٧٩ ، ص ٢٢٨ (٣) M. Schreiner : فى *Actes du VIIIème congrès international des orient. tenu en* 1889 *à Stockholm et à Christiania* ، طبع فى ليدن سنة ١٨٩١ ، ص ١٠٨ .

[بروكلمان B. Crockelmann]

+ الباقلانى : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب ابن محمد بن جعفر بن القاسم ، وابن الباقلانى فى معظم المصادر ، ولكن الإستعمال الشائع يكتفى بالباقلانى ، وعلى ذلك ابن خلكان : متكلم أشعرى وفقيه مالكى ، ويقال إنه كان له الشأن الأكبر فى تقعيد المذهب الأشعرى وإشاعته .

ولا يعرف تاريخ مولده ، أما وفاته فقد وقعت فى ٢٣ ذى القعدة سنة ٤٠٣ (٥ يونيه سنة ١٠١٣م) ؛ ولد الباقلانى فى البصرة ، والظاهر أنه قضى معظم سنى بلوغه فى بغداد ، وذكر أنه زار بغداد وبلاط الروم ، وتولى ردحا من الزمن القضاء فى خارج بغداد ؛ ودرس أصول الدين على تلاميذ الأشعرى ، ويقال إنه اجتذب إلى دروسه الكثيرين ؛ وتروى حكايات مختلفة لبيان براعته فى الجدل . ولقد كان الباقلانى قاضيا وكاتباً ومجادلا ومحاضرا ، وهذه النواحى هى قوام حياته التى تعتمد معرفتنا بها على مصادر أقرب إلى النقصان .

وقد زودنا القاضى عياض بثبت بآثاره (أضاف إليها أصحاب الفهارس ثلاثة عناوين) والمعروف أن ستة كتب من كتبه الاثنين والخمسين وصلت إلينا وهى : « إعجاز القرآن » وقد طبع عدة مرات ويعد من الكتب العمدة فى هذا الموضوع ؛ و « التمهيد » وهو أقدم ما لدينا من مثل على الرسالة تكتب فى المناظرة الكلامية ؛ و « الإنصاف » وهو جزءان : رواية فى العقيدة السنية مع توضيحات مختصرة ، ومناقشة تفصيلية لعدم خلق القرآن ، والقدر ، ورؤية الله ، والشفاعة ؛ و « المناقب » (غير كامل) وهو دفاع عن موقف مذهب السنة حيال الإمامة (الخلافة) ؛ و « الانتصار » وهو يعنى أول ما يعنى بسلامة النص القرآنى ، وموضوع

« البيان » (غير كامل) هو الإعجاز البيانى المثبت لدعوة النبوة .

ولا تمكننا دراسة هذه الآثار من أن نحدد بالدقة فضل الباقلانى فى تطوير الكلام على مذهب الأشعرى ، ذلك أننا لانعلم العلم الكافى ما فعله فى ذلك معاصروه وأسلافه مثل ابن فورك وأبى إسحاق الإسفرايينى والأشعرى نفسه ؛ ومن ثم فإن من الواضح الآن أن كثيراً مما يكون قد نسب إلى الباقلانى وجد من قبل فى مصنف الأشعرى «كتاب اللُمع » . وقد قال ابن تيمية فى الباقلانى إنه خير متكلمى الأشاعرة ، لايدانيه سابق ولا لاحق (الشذرات ، جـ٣ ، ص١٦٩) ، ولكن هذا المديح ليس خالصا من الهوى ؛ أما ماقرره ابن خلدون (المقدمة ، جـ ٣ ، ص ٤٠) وما أكده ماكدونالد (*Development of muslim Theology*: Macdonald ص ٢٠٠-٢٠١) فالظاهر أنه لا مبرر له ؛ ذلك أن الباقلانى لم يستحدث قطعا مذهب الذرة ولا مذهب الأعراض . وثمة شاهد على أنه كان يتصف ببعض الأصالة فى مناقشته للبيان المعجز ؛ على أن المزايا الكبرى لكتبه كانت فيما يظهر تردّ إلى التصنيف الذى يقوم على الحرص والدأب ؛ أما بحوثه فيما وراء الطبيعة فلم تكن عميقة ، ولكنه كان يعى فى وضوح صحة الأحاديث وإمكان الإعجاز البيانى . ولا شك أنه فعل الكثير فى سبيل نشر المذهب الأشعرى ، وقد ذكره الكتاب المتأخرون مراراً .

المصادر :

ا - سيرته : ا - الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ٥ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٣ (٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، فى طبعة القاهرة للتمهيد ، ص ٢٤٢ - ٢٥٩ (٣) السمعانى ، ص ٦١ ب - ٦٢ ا (٤) ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ، دمشق سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، ص ٢١٧ - ٢٢٦ (٥) ابن خلكان ، رقم ٥٨٠ (٦) ابن فرحون : كتاب الديباج ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ (٧) ابن العماد : الشذرات ، ا ، ص ٤٠٣ (جـ٣ ، ص ١٦٨ - ١٧٠)

ب - كتبه الباقية : (١) كتاب التمهيد ، بروكلمان ، قسم ١ ، ص٣٤٩ (واقرأ : عاطف ١٢٢٢) ، طبعة الخضيرى وأبى ريدة ، القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ ، وهذه الطبعة تعتمد على مخطوط پاريس فحسب ، وتغفل عدة فصول هامة موجودة فى المخطوطين المحفوظين فى إستانبول (٢) الإنصاف ، طبعة الشيخ الكوثرى ، القاهرة سنة ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م (٣) إعجاز القرآن ، انظر المصدر المذكور عن مخطوطاته وطبعاته (٤) مناقب الأئمة ، دمشق ، الظاهرية ، رقم ٦٦ تاريخ (٥) البيان عن الفرق ... إلخ توبنگن ، M I ، جـ٦ ، ص ٩٣ (٦) الانتصار للقرآن ، قره مصطفى باشا ، إستانبول ؛ وانظر طبعة القاهرة لكتاب التمهيد ، ص ٢٥٨ ، تعليق ٦ ؛ وثمة ترجمة إنكليزية مع تعليقات للأجزاء من الإعجاز التى تتناول الشعر ، Grunebaum .

A Tenth-Century Document of Arab Literary Theory and Criticism ، شيكاغو ، ص ١٩٥٠

مصادر عامة : (١) Tritton : *Muslim Theology*، ص١٧٧ — ١٨٢ (٢) Anawati et Gardet : *Introduction à la théologie musulmane* ، ص ١٥٤ — ١٥٦ (٣) R. J. Mc Carthy : *The Theology of Al'Ash'ari* ، إشارات فى مواضع مختلفة ، وهو مفيد فى الدراسة المقارنة ، وثمة دراسة مستفيضة للباقلانى تعد للطبع .

[مكارثى R.J. McCarthy]

«الباقى »: من أسماء الله الحسنى (انظر مادة « الله »)

+ « باقى بالله » ، خواجه أبو المؤيد رضى الدين ، ويعرف أيضا بعبد الباقى أو محمد باقى بن عبد السلام أويسى نقشبندى : ولد باقى بكابل فى ٥ ذى الحجة سنة ٩٧١ (١٦ ديسمبر سنة ١٥٦٣) وتوفى بدلهى يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٠١٢ (٢ يولية سنة ١٦٠٣) ؛ وتلقى تعليمه الأول على صادق حلوائى ، وصحب حلوائى إلى سمرقند لمتابعة دروسه فيها ، وأثناء إقامته فيها نزع إلى التصوف ؛ واستجاب لدعوة أصدقائه الذين يشغلون مناصب رفيعة فى الهند فشخص إلى هذه البلاد ، ولم يلتحق بالجيش الإمبراطورى كما كان المقصود ، بل بدأ يبحث عن السالكين والصوفية ؛ وأقام ردحا قصيرا من الزمن بالهند ثم عاد إلى ماوراء النهر للدخول فى سلك الطريقة النقشبندية على يد الخواجه محمد أمكنگى الذى كان من أئمة الصوفية فى زمنه . وعاد إلى الهند مرة أخرى سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) وقر رأيه على الاستقرار فى دلهى . ولم يلبث نفوذه أن انتشر وقبل أحمد سرْ هِنْدى (انظر هذه المادة) وعبد الحق دهلوى (انظر هذه المادة) أن يتتلمذا عليه .

وباقى صاحب الكتب الآتية : (١) « سلسلة الأحرار » وهى مجموعة من رباعياته شرحها أحمد سرهندى (*Oriental College Magazine* ، مجلد ٨، جـ٤، ص٤١) (٢) « كليات » ، وهى مجموعة من أشعاره تشمل مثنويا نقل جزء منه فى « زبدة المقامات » (ص ٦٦ ؛ انظر المخطوط المحفوظ فى I.O.D.P. رقم ١٠٩٥) ؛ وقد نشرت مجموعة من رسائله (I. O. D. P. ، ١٠٥٨ h) بعنوان « مكتوبات شريف حضرت خواجه باقى بالله دهلوى » (لاهور سنة ١٩٢٣) ؛ وينسب إليه أيضا تفسير للقرآن ، ولكن ما من مخطوط من هذا القبيل له وجود فيما يظهر .

المصادر :

(١) محمد هاشم كِشمى : زبدة المقامات ، لكهنو سنة١٣٠٧ = ١٨٩٠ (٢) Garcin de Tassy : *Mémoire sur ... la réligion Musulmane de l'Inde* ، باريس سنة ١٨٦٩ ، هذه المادة (٣) بدر الدين سرهندى : حضرات القدس (لايزال مخطوطا)، الترجمة الأردية، لاهور سنة ١٩٢٣ (٤) داراشكوه : سفينة الأولياء ، ص ٨٥ (٤) غلام سَرْوَر لاهورى : خزينة الأصفياء ، كاونپور سنة ١٣٣٣هـ = ١٩١٤م ،

جـ١ ؛ ص ٦٠٥-٦٠٧ (٥) صادق كشميرى : كلمات صادقين ، رقم ١٢٠ (٦) محمودغوثى : گلزار أبرار ، رقم ٥٢٠ (٧) محمد بقا : رياض الأولياء ، مخطوط (٨) محمد حسين : أنوار العارفين ، لكهنو سنة ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦م ، ص ٤٣٠ (٩) An Oriental Biographical Dictionary : T.W. Beale بإشراف محمد باقى (١٠) عزيز حسن بقائى : حيات باقيه ، دلهى سنة ١٣٢٣ = ١٩٠٥ م ، جـ ٥ ، ص ١٢ (١١) محمد حسنى مُجَدَّدى : حالات مشايخ نقشبندية مجدديه ، لاهــور من غير تاريخ ، ص١٣١ (١٢) محمد أحمد أختر : تذكره أولياهند ، دلهى سنة ١٩٥٠ ، جـ٣ ، ص ٩٠ (١٣) محمد حبيب الله أكبر آبادى : ذكر جامى أوليا دلهى (مخطوط بالمكتبة الآصفيّة) (١٤) بشير الدين أحمد : واقعات دارحكومت دهلى ، دهلى سنة ١٣٣٧هـ = ١٩١٩ م ، ص ٥١٣ — ٥١٦ (١٥) عبد الحى : نزهة الخواطر ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥ م جـ٥ ، ص١٩٦ — ٢٠٠ (١٦) فقير محمد : حدائق الحنفية ، الطبعة الثانية ، لكهنو سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦م ص ٣٩٨ — ٣٩٩ (١٧) سيد أحمد : يادگار دهلى ، دهلى سنة١٩٠٣ ، ص ١٧٧ — ١٧٩ (٨) على أكبر حسينى : مجمع الأولياء (مخطوط) (١٩) ولى حسن : تذكره أوليا هند وپاكستان ، كراتشى من غير تاريخ ، ص ١٢٦ — ١٤٥ (٢٠) محمد إكرام : روض كوثر كاراتشى ، من غير تاريخ ص١٢٦ — ١٤٥ (٢١) خاليق أحمد نظامى : حيات شيخ عبد الحق محدّث دهلوى ، دهلى سنة ١٩٥٣ ، ص ١٣٦ — ١٤٢ (٢٢) رحمن على : تذكره علماء هند (الطبعة الثانية) لكهنو سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م ، ص ١٠٦ — ١٠٧ (٢٣) (شاه) ولى الله : أنفاس العارفين ، دلهى ، سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٧ ، ص ١٨ — ١٩ ، وفى مواضع مختلفة .

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

+ « باقى خانلى » عباس قلى أغا ، وقد اشتهر أكثر من ذلك بالصيغة الروسية للاسم وهى باقيخانوف ، واسمه المستعار الذى يوقع به كتاباته هو قُدْسى : مؤرخ وشاعر وفيلسوف آذربيجانى ، وهو ابن مَسَمَد خان حاكم باكو الذى أطاح به عن عرشه أخوه محمد قلى خان ، ولد فى ١٠ يونية سنة ١٧٩٤ فى قرية أمير حاجيان فى خانية باكو ، وتوفى سنة ١٨٤٧ فى قوبا . وتلقى عباس دراسة مستوعبة بالفارسية والعربية ، وفى سنة ١٨٢٠ عين ضابطا مترجما فى تفليس بمركز قيادة الجنرال إرمولوف Ermolov القائد العام للجيوش الروسية فى القوقاز ، وهناك تعلم الروسية وبفضلها أصبح على معرفة جيدة بالأدب الغربى ، ولم يلبث باقى خانلى أن خرج فى رحلة طويلة أدّت به إلى شيروان وأرمينية وداغستان وبلاد الكرج ، وتركية ، وبلاد فارس ، وفى الحربين اللتين نشبتا بين الروس والترك وبين الروس والفرس كان عباس ضابطا أركان حرب فى مركز قيادة الجنرال پاسكيفتچ Paskievich ذلك أنه كان من الأنصار المؤمنين بالتقارب مع روسيا . وفى سنة ١٨٣٣ خرج فى رحلة أخرى زار فيها

شمالى القوقاز والروسيا ودول البلطيق وبولندة .
وانقطع للأدب منذ سنة ١٨٣٤ ونشر عدداً كبيراً من آثاره بالآذرية والفارسية والعربية ، وأهم آثاره : « گلستان إرم » (١٨٤١) ويتتبع فيه تاريخ داغستان وشيروان من أقدم الأزمنة حتى معاهدة گلستان ، وفى سنة ١٩٢٦ نشرت جمعية دراسة آذربيجان فى باكو ترجمة روسية لهذا الكتاب القيم مع مقدمة بقلم سسويف Sisoev وسيرة للكاتب بقلم باخرنى ، وقد ظهرت النسخة الآذرية منه سنة ١٩٥١ فى باكو (طبعة أكاديمية العلوم بآذربيجان *SSR*) .

وآثاره الأخرى هى : « رياض القُدْس » بالآذرية ، وهو ترجمة لأهم أولياء الإسلام ؛ و« قانون قدسى » وهو فى نحو اللغة الفارسية ؛ و« كشف الغرائب » وهو بالفارسية ، ويشمل وصفا لاكتشاف أمريكا ؛ و« تهذيب الأخلاق » بالفارسية ، وهو رسالة فى الأخلاق والفلسفة الأخلاقية مستقاة من الكتّاب العرب واليونانيين والأوربيين ؛ و« عين الميزان » ، وهى رسالة فى الكلام والمنطق بالعربية ؛ و« أسرار الملكوت » ، بالفارسية والعربية ، وهى رسالة فى علم الفلك نشرت فى تفليس ؛ « ونصيحتنامه » بالفارسية ، وهى مجموعة من المبادئ الأخلاقية .

وله أخيراً عدة قصائد بالعربية والآذرية والفارسية ، بعضها نشر بجريدة « فيوضات » بباكو (عدد ٢٨ الصادر سنة ١٩٠٧) ، وترجمة بالآذرية لخرافات كريلوف .

المصادر :

(١) جيحون بك حاجى بكلى : *Un Historien Azerbaidjanian au début du XVIIIe siècle Abbas Kouli Agha Bakhikhanoff* فى *Jour. As.* ، ٢٠٧ ، يولية — سبتمبر سنة ١٩٢٥ (٢) *Bulletin de la classe historico-philosophique de l'Académie de Sciences de St. Pétersbourg* ج٢ ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٤٥ .

خورشيد [بنگسن A. Bennigsen]

« باقى » محمود عبد الباقى : أكبر الشعراء الغنائيين العثمانيين الترك ، ولد بالآستانة سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦ — ١٥٢٧ م) وكان أبوه مؤذنا فى جامع المحمدية ، اشتغل أولا بصناعة السروج ثم انصرف عنها إلى دراسة الفقه رغبة منه فى الالتحاق بسلك القضاء ، وفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) رفع إلى السلطان سليمان بعد عودته من بلاد فارس قصيدة يهنئه بها فألحقه ببطانته حيث حظى برضا سليم الثانى ومراد الثالث ، وولى القضاء فى مكة والآستانة ، ثم عين ثلاث مرات « قاضى عسكر » للأناضول والروملى ، وتوفى لسبع بقين من رمضان سنة ١٠٠٨ هـ (٧ من نوفمبر سنة ١٦٠٠ م) .
ويشتهر باقى بصفاء أسلوبه وحماسة عبارته ، ولكنه لم يكن أكثر شعراء الترك من المدرسة الفارسية مغالاة ، تلك المدرسة التى سادت الشعر التركى حتى القرن التاسع عشر .

المصادر :

(١) J. von Hammer : *Baki's des groessten tuerkischen Lyrikers Diwan* فينا سنة ١٨٢٥ ، ويشتمل هذا الكتاب على أقل من نصف الديوان مترجما إلى الألمانية (٢) الكاتب نفسه *Geschichte der osmanischen Dichtkunst* جـ ٢ ، ص ٣٦٠ (٣) E.J.W. Gibb : *A history of ottoman poetry* جـ ٣ : ص ٣٦٠ (٤) ديوان باقى ، الغزليات ، نشرة R. Dvorak المجلد الأول عام ١٩٠٨ (٥) R. Dvorak : *Baki als Dichter* فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch* جـ ٤٢ ، سنة ١٨٨٨ ، ص ٥٦٠ وما بعدها .

[إيوار Cl. Huart]

+ باقى ، محمود عبد الباقى : شاعر تركى ، ولد فى إستانبول من أسرة متواضعة سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦ م) ، وكان أبوه محمد مؤذنا فى جامع الفاتح ، وعمل باقى صبيا لسروجى ، ثم بدأ دراساته المنتظمة فى مدرسة حيث واتاه الحظ فتتلمذ على بعض أئمة العلماء فى زمانه ، كما كان فيها من زملائه كثير من الطلاب النابغين ومنهم المؤرخ سعد الدين ، وأفاد باقى كثيرا من هذه الظروف التى تستحث على الدرس ، كما أفاد من تقدير الشاعر القديم ذاتى وتشجيعه ، وكان لذاتى جانوت أصبح ضربا من المنتدى لرجال الأدب ، وفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) عاد السلطان سليمان من حملته على بلاد فارس ، فرفع إليه الشاعر الشاب قصيدة . ومهد هذا له النفوذ إلى البلاط وإلى دوائر الطبقات العليا فى عاصمة البلاد ، وأثار باقى حسد خير أصدقائه بفضل حياته الدراسية السريعة الناجحة وما نال من حظوة لدى السلطان الذى كان يبعث إليه بقصائد من نظمه ليقوّمها باقى ويسأله أن يعارضها (يكتب لها نظائر) وسرعان ما وجد نفسه متورطا فى دسائس البلاط ، وقد تأثر تأثراً بالغا بوفاة السلطان سليمان الذى كان باقى يكنّ له أصدق المشاعر وكتب فى رثائه مرثية مشهورة تعد خريدة ما نظم .

وخمل شأن باقى إلى حين ، ثم مضى يرتقى فى سلك « العلماء » ، ويرجع بعض الفضل فى ذلك إلى الحماية التى أظله بها صوقوللى ، ونال الحظوة لدى السلطان سليم الثانى خليفة مراد الثالث . وقضى باقى مدة قاضيا لمكة ثم للمدينة ثم عاد إلى إستانبول حيث أقيم قاضيا لها بعد فترات من انقطاع كان فيها موضع غضب المسئولين ، ثم قاضى عسكر الأناضول ثم الروملى ، وهنالك اعتزل دون أن يتولى منصب شيخ الإسلام وهى أمنيته التى طالما راودته . وأقامه السلطان الجديد محمد الثالث قاضى عسكر الروملى مرة أخرى مقدراً بذلك خدمته الطويلة وشهرته الكبيرة التى أكسبته لقب « سلطان شعراء » زمانه .

وهذا الشاعر الذى أخذت تعلو به السن ويزداد طموحه كلما لاحت فرصة لبلوغه غرضه فى تولى أرفع منصب فى السلك الذى ينتمى إليه ، قد اشترك فى مؤامرات البلاط المريرة . وأيد الصدر الأعظم خادم حسن باشا كل التأييد إسناد

منصب شيخ الإسلام إلى باقى ، ولكن السلطان آثر بذلك مؤدّبه هو خوجه سعد الدين . وتوفى باقى سنة ١٠٠٨ هـ (١٦٠٠ م) فحزن عليه الخاص والعام وشيعت جنازته تشييعاً رسمياً وأمّ شيخ الإسلام المصلين عليه .

وكان باقى فى منصبه الرسمى جاداً وقوراً قد رزق فى العدالة بصرا ثاقبا ، أما فى حياته الخاصة فقد كان رجل دنيا ، مرحا ، محبا للحياة ، لطيف المعشر ، حاد الذكاء ، مغرما بالملح ، وسرعة البديهة وتبادل السخرية حتى مع أصدقائه . وقد أكسبته هذه الخلائق كثيراً من الأعداء والمنافسين ، ولكنها كفلت له أيضا كثيراً من الأصدقاء والحماة ذوى الجاه ، ومن ثم مهدت له الطريق إلى سرعة الترقى فى حياته العملية .

وأهم آثار باقى — بصرف النظر عن رسائل قليلة له معظمها فى المسائل الدينية — هو ديوانه . وقد خالف باقى أغلب الشعراء القدامى فلم ينظم مثنويات . وتجلت فى قصائد باقى بأجلى بيان الحياة السعيدة الرخية للطبقات العليا فى استانبول أيام القرن السادس عشر ، والمناظر الطبيعية المختلفة الألوان ، ومشاهد منتجعات اللهو الجياشة بالحياة فى العاصمة وما حولها . أما فى غزلياته التى يصوغها فى دقة الجوهرى الصناع فينصرف دائما إلى موضوع محبب إلى الشعراء أصحاب الدواوين ، وهو أن كل شىء فى هذا العالم السريع التقلب الذى يشبه الحلم لا يلبث أن يزول ، وقد كتب الدمار على كل ما فى الطبيعة من آيات الجمال والشباب والسعادة والجاه العريض ، ولهذا فلتقبل على الحب والشراب وامرح ما استطعت : « لا تجعل هذه الفرصة تفلت منك فإن مسرات هذه الحياة الدنيا عمرها كعمر الورود » . ولم يكن مزاج باقى منصرفاً كفضولى إلى الحماسة الدينية ، وأغانيه لا تقبل التأويل الصوفى ، وإن كان يستعمل فى كثير من الأحيان المصطلحات الصوفية . وباقى هو سيد القالب الشعرى غير منازع ، ذلك أن بلوغه الكمال فى النظم وتدقيقه فى اختيار الألفاظ إلى حد الوسوسة وبراعته فى استخدام المؤثرات الصوتية فى الشعر قد أكسب شعره موسيقية محببة جعلت معاصريه وخلفاءه يعترفون بأنه أعظم شعراء الغزل فى الأدب التركى . وقد وجدت تركية إستانبول فى باقى خير ما يعبر عنها بلغة الشعر القديم . ولم تنقص شهرته وسلطانه العظيمان قط ، وقد مهد أسلوبه الصافى المتدفق الطريق ليحيا وندم . أما فى النثر فقد عزف باقى عن اللغة التقليدية الفخمة الحافلة بالمحسنات ، وأبدع بعضا من خير النماذج للأسلوب الطبيعى المتوازن الخالى من المحسنات .

المصادر :

(١) تذكرات عهدى وعاشق چلبى ، وقنالى زاده حسن چلبى ، والجزء الخاص بالسير من كتاب عالى : كنه الأخبار ، هذه المادة (٢) پچوى : تاريخ ، فى مواضع مختلفة (٣) كاتب چلبى : فذلكه ، فى مواضع مختلفة (٤) نعيما : تاريخ ، فى مواضع مختلفة (٥) Hammer Purgstall : *Gesch. d. Osm. Dichtkunst* ج ٢ ، ص ٣٦٠ (٦)

الكاتب نفسه : Baki's des groessten tuerkischen Lyrikers ، ڤيناسنة ١٨٢٥ (٧) Gibb : Ottoman Poetry ، Diwan
ج٣، ص ١٣٣ (٨) R. Dvorak : Baki's Diwan, في مجلدين ، ليدن سنة ١٩٠٨—١٩١١ Ghazalijjat
(٩) J. Rypka : Baki als Ghazeldichter ، پراغ سنة ١٩٢٦ (١٠) الكاتب : نفسه aus Sieben Ghazele
Baki's Diwan uebersetzt und erklaert في AIUON, N.S.
سنة ١٩٤٠ ، ص ١٣٧ — ١٤٨ (١١) م .
فؤاد كوپريلى : ديوان أدبياتى أناطوليجيسى ،
إستانبول سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٥٩—٣٢٠ (١٢) الكاتب
نفسه فى إسلام أنسيكلوپيدياسى ، هذه المادة ،
مع سيرة نقدية (١٣) سعد الدين نزهت أرغون:
باقى ديوانى ، إستانبول سنة ١٩٣٥ (١٤) الكاتب
نفسه : تورك شاعرلرى ، إستانبول سنة ١٩٣٦ ،
ج ٢ ، ص ٧١٤ — ٧٩٧ (١٥) A. Bombaci :
Storia della letteratura turca ، ميلان سنة ١٩٥٦،
ص ٣٣٧ — ٣٤٦ .

خورشيد [فاخر إز Fahir Iz]

+ « باكثير »: (انظر مادة « كثيرى ») .

« باكُسايا » : اسم موضع ومركز إدارى فى العراق . ويتألف أستان بازيان خسرو شرقى دجلة من باكُسايا وبادرايا والمراكز الثلاثة على قناة النهروان الكبيرة (انظر Streck : Babylonien nach d. arab. geogr. ، ج١ ص ١٥) . ولا تزال باكسايا باقية إلى اليوم شأنها فى ذلك شأن بادرايا ، وقد اعتاد جغرافيو العرب ذكر المدينتين معا . وتعرف مدينة باكسايا الآن باسم بكسية أو بكسا ، وتقوم فى الجنوب الشرقى من بادرايا ، على خط طول ٤٦° ٢٥َ شرقى گرينوتش وهى قريبة كل القرب من الحدود الفارسية (انظر Steiler : Hand-atlas لوحة رقم ٥٩ ، سنة ١٩١٠) .

وفى « كسايا » ، كما أومأ إلى هذا G. Hofmann هوفمان ، ينطوى اسم شعب من الشعوب ، وهو المعروف عند السريان باسم « كُسّاى » ، وعلى هذا تكون كلمة « باكسايا » بمعنى موطن هذا الشعب واسمها اليونانى كوسّايوى ، وذكر هذا الشعب فى النقوش المسمارية باسم « كَشّو » . ويتفق هذا التفسير تمام الاتفاق مع موضع باكسايا الذى هو على مقربة من « زغروس » موطن هذا الشعب فى الزمن القديم .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه فى مواضع مختلفة (٢) ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٧٧ (٣) C. Hoffmann: Auzuege aus syrischen Akten persischer Martyrer ليبسك سنة ١٨٨٠ ص ٦١ ، ٩١ (٤) Noeldeke فى Zeitschr d. Deutsch. Morgenl. Ges. ، ج ٢٨ ، ص ١٠١ (٥) الكاتب نفسه: Geschichte der Perser u. Araber zur Zeit der Sasaniden سنة ١٨٧٩ ، ص ٢٣٩ (٦) G. Westphal : Untersuch ueber die Quellen u. die Glaubwuerdigkeit der Petriarchenchroniken Mari ibn Sulaiman etc. سنة ١٩٠١ وهى رسالة قدمت إلى جامعة ستراسبورغ ، ص

(٧) ١٢١ Le Strange : *The lands of the Eastern Caliphate* ، كمبرج سنة ١٩٠٥، ص ٦٣ ، ٨٠ .

[شترك Streck]

« باكو » : وتعرف عند جغرافيي العرب باسم « باكُه » أو « باكوه » أو « باكويه » وهي أهم الثغور على شاطئ بحر قزوين . وأهل باكو اليوم يذهبون في تفسير هذا الاسم مذهبا ربما كان يتمشى مع اشتقاق معروف شائع هو أن : « باكو » معناها مهب الريح . وهذا التفسير يظهر أنه أحدث عهدا من تلك الأسطورة التي تقول إن هذه المدينة أسسها كسرى أنو شروان . والرأي القائل بأن اضطرام النار باستمرار في منابع نفط تلك المدينة كان ذا أثر في عبادة الفرس للنار رأي لا يعتمد على أي مصدر تاريخي ، فإن عبادة النار إنما دخلت هذه الناحية في القرن الثامن عشر على يد الهنود ومجوس الفرس الذين هاجروا إلى الهند عند الفتح الإسلامي لفارس . وأول من وصف منابع النفط هم جغرافيو العرب .

وقد أفاض في ذلك المسعودي في كتابه « مروج الذهب » (جـ٢ ، ص ٢٥ — ٢٦) وياقوت في كتابه « معجم البلدان » ، (انظر مادة « باكويه »). وفي تلك المدينة نبعان كبيران أحدهما يسيل بالنفط الأبيض أو الأصفر ، ويقول المسعودي إنه — فيما يعرف — لا مثيل له في العالم ، والآخر يسيل بالنفط الأسود أو الأخضر . ويسيل من كل عين في اليوم ألف درهم . وقدر الباكوي في القرن التاسع الهجري الموافق الخامس عشر الميلادي كمية النفط المستخرجة في اليوم بمقدار ٢٠٠ حمل بغل . وجاء في كتاب « دربند نامه » طبعة كاظم بك ، (ص ١٣٦ — ١٣٧) أن منابع النفط ومستودعات الملح في باكو كانت موقوفة على أهل دربند ، ثم وقفت بعد ذلك على السادة الأشراف كما جاء في نقش يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٠٣هـ (١٥٠٤ — ١٥٥٩م). وأول من ذكر باكو على أنها فرضة هو المقدسي ، (طبعة ده غويه ، ص ٣٧٦ ، س ٦) وبالرغم من حسن موقع هذه الفرضة فإنه لم تكن لها أهمية تماثل أهمية دربند التي كانت في ذلك العهد ثاني مدينة عظيمة في القوقاز . وليس تحت أيدينا في الواقع أية معلومات عن تاريخ باكو : فالطبري لم يذكرها مطلقا ولم يذكرها أيضا ابن الأثير

ويقال إن الروس تقدموا حتى بلغوا منابع النفط حوالى سنة ٣٠١هـ (٩١٣ — ٩١٤م) ثم أصبحت باكو بعد ذلك تابعة لمملكة شروان شاه وذكرت في القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي على أنها كانت مقر هذا الأمير . وكان الأمراء الشروانشاهية يميلون أكثر من ذلك إلى السكنى في ذلك الوقت وبعده في « شماخي » : وجاء في نقش أن المسجد الجامع في مدينة باكو بني سنة ٤٧١ هـ (١١٧٨ — ١١٧٩ م) ويظهر أن هذه المدينة أصبح لها أهمية كبرى كمركز تجاري في عهد المغول وبعدهم حتى أن بحر قزوين كان يطلق عليه منذ ذلك العهد اسم بحر باكو . على أن مصادر ذلك الوقت لا تمدنا إلا بمعلومات شحيحة عن هذه المدينة ، بل إنا نجد معلومات

أوفى مما جاء فى تلك المصادر عند حمد الله قزوينى (القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر الميلادى) وكذلك فى مصنفات عبد الرشيد الباكوى (القرن التاسع الهجرى = الخامس عشر الميلادى) ، وجاء فى كتاب حمد الله أنه لم يكن فى باكو لعهده إلا قرية وحصن على رابية يشرف عليها وكان يسكنه رئيس للرهبان « بزرگ كشيشان » يسمى «مارجاثيا» (ولعله أجاثياس ؟) .

أما الباكوى فقد ذكر قلعتين إحداهما عالية تكاد تكون قد دمرت فى عهده ، أما الثانية فكانت على شاطئ البحر ، وكانت تشتهر بمناعتها الفريدة حتى أن المغول لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ؛ وكان مستوى البحر فى ذلك الوقت مرتفعا ارتفاعا محسوسا عن ذى قبل حتى أن المياه غمرت جزءا كبيراً من المدينة ، وأصبح الإقليم المحيط بمدينة باكو قاعا بلقعا وظل على ذلك إلى الوقت الحاضر ، أما بساتين أهل هذه المدينة فقد غرست فى مكان بعيد ؛ ويجلب الأهالى حوائجهم من شروان أو من موغان ؛ وتنتج مدينة باكو الحرير عدا النفط والملح ؛ ويرجع تاريخ قصر شروان شاه إلى القرن التاسع الهجرى الموافق الخامس عشر الميلادى وكذلك الضريحين القريبين منه كما جاء فى نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٨٦٩ هـ (١٤٦٤ — ١٤٦٥ م) ؛ وهذا القصر يستعمل الآن مستودعا من مستودعات الجيش وإن كان قد تخرب الجانب الأكبر منه ، وفى سنة ١٩٠١ اكتشفت صدفة مقبرة قديمة على أحد قبورها شاهد تاريخه رجب سنة ٨١٨هـ (سبتمبر — أكتوبر سنة ١٤١٥) ، كما اكتشفت أحجار بعض القبور وليس عليها تاريخ ، ولكن يستدل من شكل الكتابات التى عليها أنها أقدم من هذا التاريخ .

وفى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠١ م) حاصر الشاه إسماعيل مؤسس دولة الفرس الجديدة مدينة باكو وفتحها ثم استولى على كنوز شروان شاه ، وفى سنة ١٥٨٣م سلمت المدينة للجيش التركى بقيادة عثمان باشا وظلت فى حوزتهم إلى سنة ١٦٠٦ م ، وبعد أن استعاد الفرس المدينة رمم الشاه عباس الأول بناء أسوارها كما جاء فى نقش يرجع تاريخه إلى سنة ١٠١٧هـ (١٦٠٨ — ١٦٠٩م) ؛ وفى يولية سنة ١٧٢٣ سلمت باكو للقائد الروسى متجوشكين Matjuschkin بعد مقاومة لم تدم طويلا ، ثم ردت إلى الفرس سنة ١٧٣٥م ، وكان أمراء باكو فى الواقع مستقلين منذ أن توفى نادر شاه فى سنة ١٧٤٧م .

وفى خلال الحرب التى نشبت بين الفرس والروس بالقوقاز فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كان حسين قلى خان أمير باكو ينحاز مرة إلى الفرس وأخرى إلى الروس ؛ فبين ٨ و ٢٠ فبراير من سنة ١٨٠٦م سلم هذا الأمير مفاتيح المدينة إلى القائد الروسى الأمير زتزيانوف Tzitzianow ولكن هذا القائد قتل غيلة عند مقابلته له وحمل رأسه إلى تبريز ، وفى خريف ذلك العام نفسه تقدم القائد بلجاكوف Bulgakow نحو باكو ففر الأمير إلى فارس وسلمت المدينة من غير مقاومة

بين ٣ و١٥ أكتوبر وألحقت نهائيا بالإمبراطورية الروسية .

واستغلال منابع النفط فى باكو كان وقفا على حكامها القدماء الذين كانوا يربحون منها ٤٠,٠٠٠ روبلا فى السنة كما جاء فى رواية الرحالة كملان Gmelin أما فى عهد الروس فقد أصبحت هذه المنابع من أملاك التاج ، ومنذ سنة ١٨٧٢ م أصبح استغلالها حرا وبيعت بالمزاد العلنى ، وازداد استخراج النفط منذ ذلك الوقت وسارت المدينة خطى سريعة فى طريق الرقى وبخاصة بعد اتصالها بطريق السكك الحديدية بمدينة باطوم على البحر الأسود وبداخل الروسيا ، وجاء فى معجم رتر (Ritter : *Geographisch Statistisches Lexicon* ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٨٦٤م) أن مدينة باكو يبلغ عدد سكانها ١٠,٠٠٠ نسمة فقط ، أما الدليل الرسمى الذى نشر فى تفليس سنة ١٨٨٨م فقد جاء به أن عدد سكانها ٤٥,٦٧٩ نسمة ، وباكو مدينة كبيرة حديثة يزيد عدد سكانها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة .

المصادر :

(ا) مصادر عامة :

(١) G. le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* طبعة كمبردج ، سنة ١٩٠٥ ، ص ١٨٠ — ١٨١ (٢) E. Weidenbaum : *Putevoditel po Kawkasu* ، طبعة تفليس سنة ١٨٨٨ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .

(ب) مصادر عن تقدم الروس :

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ٢٠ — ٢١ وقد أورد Ch. Schefer نص كتاب حمد الله قزوينى المسمى « سياست نامه » فى ترجمته لكتاب الباكوى فى *Notices et extraits* ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ — ٥١٠ .

(حـ) مصادر عن المقبرة القديمة :

(١) W. Barthold فى *Izvjestija Imp. Archeolischeskoj Kommissii* ، جـ ١٦ ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٥ ، ص ١١٦ — ١١٧

(د) مصادر تاريخية منذ القرن الثانى عشر :

(١) B. Dorn : *Beitraege zur Geschichte der Kaukasischen Laender und Voelker nach morgenlaendischen Quellen* جـ ١ ، ص ٦٦ — ٦٧ ، جـ ٢ ، ص ٤٩ — ٥٠ ، ٩٤ ، ١٠٩ — ١١٠ (٢) J. v. Hammer : *Geschichte des Osmanischen Reiches* الطبعة الثانية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ .

[بارتولد W. Barthold]

+ « باكو » : مدينة وإقليم على الشاطىء الغربى لبحر الخزر (بحر قزوين) ، فى شبه جزيرة آبشاران ، وقد شاع أن الاسم مشتق من اللفظ الفارسى « بادكوبه » بمعنى الذى لوّحته الريح ، وهو أمر يناسب الظروف المحلية ، ولكن هذا الاشتقاق ليس محققاً ، وقد ظهرت الصيغة باكو بالفعل فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى ، انظر حدود العالم) ، وثمة نطق صحيح قديم أيضا هو باكويه (أبو دلف ، الباكوى) ، وهناك

صيغ أخرى تجدها عند جغرافيي العرب (باكُوه ، باكُه) .

وتاريخ باكو المبكر غامض ، وإن كانت الناحية قد ذكرت قديماً فيما يبدو (انظر J. Marquart : *Eranshahr* ، ص ٩٧) ؛ ولعلها هي نفس كَنْكَرَه أو كَيْتَرَة التي ذكرها بطلميوس (*Geographia* ، طبعة C. Mueller ؛ مجلد ١ ، ج٢ ، ص ٩٢٩) ؛ والظاهر أن باكو لم تذكر في أخبار فتوح المسلمين المبكرة ، ولم يذكرها أيضاً ابن خرداذبه (القرن الثالث الهجرى = التاسع الميلادى) ؛ ولكنها برزت للعيان بعد ذلك إلى حد ما وعرفت باسمها للجغرافيين المسلمين الذين عاشوا في القرن العاشر ، ذكرها أبو دلف في كتابه «الرسالة الثانية» (انظر V. Minorsky في *Oriens* ، ج ٥ ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٢٥) ؛ ويزعم أبو دلف أنه بلغ باكويه ، كما يسميها ، من الجنوب ووجد هناك ينبوعاً من النفط كانت «قبالته» ألف درهم في اليوم ، وكانت تجاوره بئر أخرى تنتج النفط الأبيض الذى كان يتدفق ليل نهار بلا انقطاع ، وكان « ضمانه » ألف درهم أيضاً ؛ وتكررت هذه التفصيلات في عدة أخبار متأخرة عن ذلك كثيراً ، وخاصة أخبار ياقوت (ج١ ، ص ٤٧٧) والقزوينى (آثار البلاد ، ص ٣٨٩) ؛ وقد ذكر المسعودى باكو بضع مرات في الوقت نفسه تقريباً الذى ذكرها فيه أبو دلف ، ويروى المسعودى خبر غزوة روسية على ساحل بحر الخزر (بحر قزوين) حوالى سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ - ٩١٤م) انتهى الغزاة فيها إلى « ساحل النفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكُه » (المروج ، ج ٢ ، ص ٢١) ؛ ويتحدث المسعودى أيضاً عن باكو بوصفها مكاناً كانت تختلف إليه السفن من جيل (جيلان) والديلم إلخ على بحر الخزر ، إن لم تكن تختلف أيضاً من أتل (انظر هذه المادة) قصبة الخزر على نهر الفولجا (المصدر المذكور ، ص ٢٥) ؛ ويعود فيتحدث عن باكو في التنبيه وهو مصنف كتبه في وقت متأخر عن ذلك سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ونفطها الأبيض وبراكينها (آطامها) (المكتبة الجغرافية العربية ، ج٨ ، ص ٦٠) .

ويعرف حدود العالم (كتب سنة ٣٧٢هـ = ٩٨٢م ، ولكنه انتفع بالمصادر المتقدمة عن ذلك) باكو بوصفها قصبة أو بلدة على ساحل البحر قرب الجبال ، وكان جميع النفط في بلاد الديلمان يأتى من هناك (حدود العالم ، ص ١٤٥ ؛ وانظر ص ٤١١ ؛ وكان الديلم يستخدمونه ضربا من قاذفات اللهب) ؛ وقيل في فقرة أخرى (المصدر المذكور ، ص ٧٧) إن مياه نهرى الكرّ والرسّ تتدفق بين موقان وباكو لتتحد ببحر الخزر (بحر قزوين) ، ولعله عنى بذلك الأقاليم أكثر مما عنى المدن ؛ وكانت باكو تقوم شمالى نهر الرسّ ، ومن ثم جرى القول بإدخالها في شروان ؛ ولكن باكو ، في قول المقدسى (ص ٣٧٦ ، سنة ٣٧٥ هـ = ٩٨٩م) الذى هو أول من ذكر ميناءها الرائع فيما يظهر - تتميز عن شروان ، وكلاهما يدخل في أرّان التى يجعلها المقدسى أكبر رقعة بكثير مما يقول معظم كتاب المسلمين (المصدر المذكور ، ص ٥١ ، ٣٧٤) ؛ ويذكر

الإصطخرى باكو حوالى سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١م) ويعرف بالفعل نفطها (ص ١٩٠) وأحسن وصف لباكو فى القرون الوسطى هو الذى كتبه عبد الرشيد ابن صالح الباكوى وهو واحد من أهلها، كتبه سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٢م)، بعد غزوات تيمور فى هذه الناحية بقليل؛ وقد شيدت المدينة بالحجارة، وعلى الصخور حقا، وهى وقريبة جدا من البحر، وكان البحر حين كتب عبد الرشيد وصفه أطاح بجزء من الجدران وبلغ إلى جوار المسجد الجامع، وكان الهواء حسنا، ولكن المدينة كانت تفتقر إلى الماء، ومن ثم كان الإقليم غير خصيب واقتضى الأمر جلب المؤن من شروان وموقان، وإن كانت هناك حدائق على مسافة من المدينة تنتج التين والعنب والرمان، وكان الأهالى يختلفون إليها صيفاً؛ وكان فى المدينة حصنان أحسن تشييدهما، قاوم الأكبر منهما، وهو فى الجانب المواجه للبحر، هجمات التتر، ولو أن الآخر، وكان عالياً جداً، قد دمر جزء منه خلال الحصارات التى ضربت عليها؛ وكانت الرياح العاصفة تعصف ليل نهار فى الشتاء، وقد بلغت أحيانا من العنف إما جعلها تكتسح الناس والحيوانات وتلقى بهم فى البحر؛ وكانت فى باكو آبار نفط تستخرج منها يومياً أكثر من حمولة ٢٠٠ بغل، وكان بها إنتاج فرعى يتخذ شكل مادة صفراء صلبة تستخدم وقوداً فى المنازل الخاصة والحمامات، وعلى مسيرة فرسخ من المدينة كان ثمة مصدر دائم من النار، قيل إنه منجم كبريت، كانت تقوم بقربه قرية يسكنها النصارى، الذين كانوا يصنعون الجير ويبيعونه، وكان بباكو أيضاً مناجم للملح كان يصدر إنتاجها منه إلى البلاد الأخرى، وبالقرب منها كانت تقوم جزيرة يذهب إليها الناس لصيد سمك القرش، وكانت جلوده إذا أحسن إعدادها تملأ بالنفط ثم تحمّل على السفن لتمضى به إلى البلاد المختلفة؛ وكانت بها أيضاً تجارة كبيرة فى الحرير؛ وفى بعض السنوات كانت تشاهد نار عظيمة تنبعث من البحر، يراها المرء على مسيرة يوم؛ وكان أهلها من السنيّة.

أما من الناحية السياسية فيبدو أن باكو كانت فى معظم الأوقات خاضعة للشروانشاهية، وإنما دالت دولة الشروانشاهية سنة ٩٥٧هـ (١٥٥٠م) عندما احتل شروانَ الشاهُ طهماسب الصفوى؛ وأصبحت باكو آخر الأمر من أملاك الروس سنة ١٨٠٦، بعد تقلبات كانت خلالها تابعة للأتراك العثمانيين فترة وجيزة (١٨٥٣ — ١٦٠٦)

المصادر:

(١) V. Minorsky : *Abu Dulaf Mis'ar b.* *al-Muhalhil's Travels in Iran* (ويشتمل على النص العربى، وترجمة رسالته الثانية، القاهرة، سنة ١٩٥٥، ص٣٥، وانظر ص ٧٢) (٢) الباكوى: تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمة De Guignes : *Notices et extraits*، جـ٢، ص ٥٠٩ — ٥١٠ (٣) Le Strange، ص ١٨٠ — ١٨١ .

[دنلوب D.M. Dunlop صبحى

كانت باكو تحت السيادة الروسية بطيئة النموجداً فى أول الأمر ، ولم يكن يسكنها سنة ١٨٠٧ إلا ٥٠٠٠ نسمة يحتشدون فى القلعة القديمة .

وأصبحت النفاطات ، وكان يحتكر استغلالها سادة باكو السابقون، من أملاك التاج ، وقد جرى أول حفر للآبار سنة ١٨٤٢ فى شبه جزيرة آبشاران ؛ وفى سنة ١٨٧٢ أصبح الاستغلال حراً، وكانت النفاطات تباع بالمزاد .

وتشهد هذه الفترة بداية النمو السريع للمدينة ، وقد ساعد على هذا النمو مد خط الأنابيب الذى يصل باكو بحقول النفط فى شبه جزيرة آبشاران سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ ؛ وفى سنة ١٨٨٣ اتصلت المدينة بالسكة الحديد بما وراء جبال القوقاز وبداخل روسيا ؛ وتم مد خط الأنابيب فى نهاية الأمر سنة ١٩٠٧ وربط بين باكو وباطوم على البحر الأسود، ولم يكن فى باكو سنة ١٨٥٩ إلا ١٣,٠٠٠ نسمة ، ولكن « التسابق على النفط » سنة ١٨٧٩ رفع عدد السكان إلى ١١٢,٠٠٠ نسمة؛وفى عشية الثورة كان عدد سكان باكو — التى تنتج ٩٥ ٪ من نفط روسيا كلها — ٣٠٠,٠٠٠ نسمة .

وأثناء الثورة بلغت باكو مرتبة قصبة آذربيجان المستقلة (٣١ يولية سنة ١٩١٨ إلى ٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠) ثم استولى عليها الجيش الأحمر فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠ ، وأصبحت منذ ذلك الحين قصبة جمهورية آذربيجان الاشتراكية السوفيتية ، وظلت المدينة تنمو فى ظل النظام السوفييتى ؛ وفى سنة ١٩٣٩ كانت خامس مدينة فى الاتحاد السوفييتى ويسكنها ٨٠٩.٣٠٠ نسمة (كان نحو ثلثهم من الروس والثلث من الأرمن) ؛ وهى اليوم مدينة صناعية حديثة عظيمة ومركز لصناعة النفط ، وباكو أيضاً مركز جامعى له شأنه ، ومقر جامعة الحكومة وأكاديمية العلوم بآذربيجان .

صبحى [بنگسن A. Bennigsen]

+ « بالا »: (بالفارسية : ارتفاع أو مرتفع)

١ — استعمل هذا المصطلح فى الخدمة المدنية العثمانية السابقة من سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦م) للدلالة على درجة فى الوظائف يتبعها المستشار وغيره من كبار الموظفين ؛ وكان يخاطب فى المراسلات الرسمية بلقب « عطوفتلو أفندم حضرتلرى » (ومن شاء مزيدا من التفصيل فليرجع إلى هذه المادة فى إسلام أنسيكلوپيدياسى بقلم م.ج . بايصون ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ وما بعدها) .

المصادر :

وردت فى المادة التى كتبها بايصون وأشرنا إليه آنفا .

[تيشنر Fr. Taeschner]

٢ — كانت بالا فى الأصل اسم قضاء فى ولاية أنقرة وسنجقها (الأناضول الوسطى) مركزها قرية قره على ؛ وهى الآن اسم حاضرة القضاء الجديدة ، على خط عرض ٣٩° ٣٥َ شمالا وخط طول ٣٣° ٤َ شرقا ، وتبعد ٤٨ كيلومترا جنوبى شرق أنقرة على حافة تلال تدعى قارتال داغى بين واديين تخططهما

روافد نهر قيزيل إيرماق (حاليس) فى نقطة يتشعب عندها الطريق القادم من أنقرة فى اتجاهين أحدهما يسير إلى قرشهر وقيصرى والآخر يسير إلى أقسراى وقونية ؛ ومعظم سكان القضاء من اليوروق ومن المهاجرين من القوقاز والبلقان .

المصادر :

(١) على جواد : جغرافيا لغاتى ، ص ١٤٩ (٢) قاموس الأعلام ، جـ٢ ، ص ١٢٠٦ (٣) سالنامه : أنقره ، سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م (٤) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، جـ٢ ، ص ٢٦٣ بقلم بسيم دارقوت .

خورشيد [تيشنر Fr. Taeschner]

+ « بالاحصار » ، (القلعة العالية) ؛ وفى اللغة الدراجة بالى حصار (قلعة الشهد) : قرية فى الأناضول الوسطى فى قضاء سيورى حصار ، بولاية إسكيشهر ، على مسيرة ١٤ كيلو متراً جنوبى سيورى حصار ، ولم يكن يسكنها سنة ١٩٣٥ إلا ٣٦٣ نسمة ؛ وبجوارها خرائب پرستوس ومعبد رومانى لسيبيل (Cybele)

المصادر :

(١) Ch. Texier : *Asie Mineure* ، ص ٤٧٣— ٤٧٩ (٢) G. Perrot : *Souvenirs d'un voyage en Asie Mineure* ، ص ١٩٨ وما بعدها (٣) إسلام أنسكلوپيدياسى ، جـ٢ ، ص ٢٦٨ (بقلم بسيم دارقوت).

صبحى [تيشنر Fr. Taeschner]

+ « بالاحصار » : مصطلح عام يطلق فى پاكستان وأفغانستان على الحصون المشيدة على الربى الأثرية ، وكثيراً ما تشرف على منظر شامل عريض للمنازل التى حولها ، سواء كانت بلدة أم مدينة أم قرية ، ومن أشهرها الحصن الذى فى پيشاور (پاكستان) والحصن الذى فى كابل قصبة أفغانستان .

والحصن الذى فى پيشاور قديم ممعن فى القدم ، وهو يقع على المشارف الشمالية للمدينة الحالية ومساحته ٤٤,٠٠٠ ياردة مربعة ، وله جدران مزدوجة السمك وأبراج قوية ؛ وكان بابُر أول من شيده فى موقعه الحالى سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) أثناء غاراته على الهند ماراً بطريق ممر خيبر ، وكان يستخدم محطة لأباطرة المغل فى طريقهم إلى كابل وعودتهم منها ؛ حيث كان يقوم حصن أخر يحمل الاسم نفسه ، على أنه حدث بعد أن شيد بابر الحصن بقليل أن دمرته القبائل الأفغانية الآبدة المجاورة ، إذ كانوا يرون أنه يهدد حريتهم التى طال عليها الزمن ، على أن همايون أعاد بناءه سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) بإشراف پهلوان دوست الملاحظ العام للأراضى وعين سكندر خان أوزبك قائداً له ؛ وفى السنة نفسها هاجمه الأفغان الدلزاكى ولكن سكندر خان ردهم على أعقابهم ، وفى سنة ٩٩٤هـ (١٥٨٦ م) كان على عهد أكبر مشهداً لنيران عظيمة أتت على كمية ضخمة من السلع ؛ وظل فى حوزة المغل حتى سنة ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ م) ، وهنالك استولى عليه الأفغان تحت إمرة أيمال خان ،

ولم تلبث القوات الإمبراطورية أن طردتهم وأعيد تزويد الحصن بحامية .

واستولى عليه نادر شاه أفشار (انظر هذه المادة) سنة ١١٥١ هـ (١٧٣٨م) ولكنه توفى سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م) فأصبح السدوزائى تحت إمرة أحمد شاه درّانى (انظر هذه المادة) هم سادته ، وجعل ابنه تيمور شاه من الحصن سكناً له، واستولى السيخ على پيشاور سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) فجردوا الحصن من أدوات الدفاع وباعوا أنقاضه، على أن هرى‌سنغ نَلْوَه قائد السيخ أدرك ما للحصن من أهمية حربية فأعاد بناءه سنة ١٨٣٤ من اللبن وسماه سُمير گره ، واحتل البريطانيون پيشاور سنة ١٨٤٨ وأقاموا معقلا مكانه ، وتقيم فيه الآن حامية من القوات الپاكستانية

المصادر :

(١) *Memoir of Babur* ، الترجمة الإنكليزية Leyden and Erskine ، لندن سنة ١٨٣١، جـ١، ص ٢٥٤ ؛ جـ ٢ ، ص ١١١ ، ١٥٨ — ١٦٠ (٢) W. Erskine : *Historry of India under Babur and Humayun* ، لندن سنة ١٨٥٤ ، جـ٢ ، ص ٤٢٠ — ٤٢١ (٣) أكبر نامه ، الترجمة الإنكليزية بقلم Blochmann ، جـ١ ، ص ٦٠٨ ؛ جـ ٣ ، ص ٥٢٨ ، ٧٢٥ — ٧٣٣ ، ٧٥٠ ، ٨٠٠ ، ٨٠٢ ، ٨١٢ ، ٨٥٠ ، ٨٦٧ ، ٩٥٦ — ٩٥٧ ، و ٩٨٤ (٤) نظام الدين أحمد : طبقات أكبرى ، الترجمة الإنكليزية : B. De ، كلكتة سنة ١٩٣٦ ، جـ٢ ، ص ١٣٠ و ٦٠٢ (٥) البداعونى : منتخب التواريخ ، الترجمـــة الإنكليزية ، كلكتة سنة ١٩٢٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦ (٦) گوپال داس : تأريخ پيشاور (بلغة الأردو) ، لاهور حوالى سنة ١٨٧٠ ، ص ١٣٣،٥٣ (٧) *Gazetteer of the Peshawar District* ، لاهور ، ١٨٩٧—١٨٩٨ ، ص٥٦— ٥٧ ، ٣٦٤—٣٦٥ (٨) S. M. Jafar : *Peshawar Past and Present* ، پيشاور، ١٩٤٦ ، ص ٩٥ — ١٠٢ .

صبحى [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

«بالاغات» أى فوق الممرات ، والغات الممر : كلمة لها مدلولات عديدة فى جغرافية الهند، ويقصد بها الرحالة الغربيون المتقدمون هضبة الدّكن وراء سلسلة جبال سهيادرى المعروفة الآن بجبال غات الغربية ، ويستعملها المسلمون للدلالة على ذلك الجزء من فتوحاتهم فى أقصى الجنوب مثل بالاغات — أو هضبة — بجاپور فى مقابل «پاين غات» أى الأرض المنخفضة ، ومعناها عند أهل « برار » الأرض المرتفعة فوق ممر «أجَنْتَه» ، وعند أهل حيدر آباد الهضبة التى تحيط بها الجبال فى غربى هذه الإمارة ،

وفى عام ١٨٦٧ أطلق هذا الاسم على إقليم أنشئ حديثا فى الولايات الوسطى يضم جزءاً من هضبة « ساتپرا » ومساحة هذا الإقليم ٣١٣٢ ميلا مربعاً ، وبلغ عدد سكانه ٣٢٥,٣٧١ نسمة فى عام ١٩٠١ :

وأطلق هذا الاسم أيضاً على الحاضرة « برهه » ولو أنها تقع فى الوادى .

وبالاغات اليوم إقليم من مهديا پراديش مساحته ٣,٦١٤ ميلا مربعاً وبلغ عدد سكانه سنة ١٩٥١ : ٦٩٣,٣٧٩ نسمة .

المصادر :

(١) *Imperial Gazetteer of India* (٢) C.E. Low : *Balaghat District* 1907

[J.S. Cotton كتن]

« بالا هنگ » أو پالهنگ : كلمة فارسية معناها سير من الجلد أو حبل أو زمام ، وتطلق على الحبل الذي يضعه الدرويش حول عنقه ويعلق فى طرفه غالبا نجمة من العقيق ذات أضلاع كثيرة فى حجم الريال وتسمى « تسليم تاش » وكانت تعطى لصغار الدراويش عندما يتمون عهد التحصيل ، ويعلق بعض الدراويش — وبخاصة البكتاشية (انظر مادة بكتاش) — فى هذا الحبل علبة أحجار شفافة شهباء على شكل الزيتون . وهذه الأحجار توجد فى بلاد الجزيرة وتسمى « در النجف » . ويقال إن اليشب الذى تصنع منه هذه الأحجار يوجد بجوار الحاج بكتاش .

المصادر :

(١) Th. Ippen : *Skutari und die nordalbanische Küstenebene* ، طبعة سراييفو سنة ١٩٠٧ ، ص٧٨ (٢) John Porter Brown : *The Dervishes or Oriental Spiritualism* ، طبعة H. A. Rose ، لندن سنة ١٩٢٧ ، ص ٢١٤ .

[Franz Babinger بابنگر]

« بالس » : مدينة شمالى الشام على الفرات عند تحول النهر من مجراه الجنوبى إلى الشرق، وهى على خط عرض ٣٥° ٣٩َ شمالا وخط طول ٣٨° ١٢َ شرقى گرينوتش، واسمها بالآرامية בּיתבּלשׁ ويرسمه المؤلفون اليونانيون والرومان القدامى برباليسّوس Barbalissos : ويظهر أن أكزنوفون Xenophon هو أقدم من ذكر هذه المدينة، فقد ذكر قصراً وملعباً فى هذا الموضع لـ « بليسيس » Belesys حاكم سورية، ويضع بطلميوس برباريسوس فى موقعها الصحيح، وتذكرها لوحة پوتنگريانا *Tabula Peutingeriana* على أنها محطة على طريق الفرات ؛ وجاء فى *Notitia Digentiatum* حوالى عام ٤٢٥م أنها من بلاد الفرات الكبيرة وكان فيها حامية لفرسان الدلماشيين والإيليريين وأنها كانت تابعة لدوق سورية . ويقول ستيفان Stephan البوزنطى قبل عهد يوستنيانوس إنها قلعة مسورة، أما فروقوفيوس فيستدل منه على أن كسرى الثانى أنوشروان لابد وأن يكون قد خرّب المدينة فى غاراته على الشام عام ٥٤٠م، ثم أعاد يوستنيانوس بناء الحصون .

وعرف العرب المدينة باسم « بالس » فقد فتحها المسلمون تحت إمرة أبى عبيدة من غير قتال ، بيد أن غالب سكانها هجروها . وكانت المدينة فى عهد عمر وعثمان حصناً من الحصون المشيدة على التخوم لحماية البلاد من الروم، وأدخلها هارون فى جند العواصم التى منها قورُس والجُومَة ومَنْبِج وأنطاكية وتوزين وبالس ورصافة هشام . ولما امتدت التخوم حتى اقتربت من آسية الصغرى

أصبحت بالس تابعة لكورة قنسرين وهى واحدة من كور الشام الست . وفى عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) حدث فيها زلزال أثر أيضاً فى الرَقَّة وحرّان ورأس العين والرها وحمص ودمشق وساحل الشام ومنخفض قيليقية : وفى عام ٢٥٩ هـ (٨٨٢ — ٨٨٣ م) دخلت بالس فى حوزة أحمد بن طولون : وفى عام ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) أصبحت قاعدة حربية للخليفة المعتضد فى حملته على قيليقية . وأخذت بالس فى الاضمحلال بعد عهد سيف الدولة الحمدانى (٣٣٣ — ٣٥٦ هـ = ٩٤٤ — ٩٦٧ م) وقلت زيارة القوافل لها عن ذى قبل : ويصفها الإصطخرى عام ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) بأنها بليدة صغيرة ، وياقوت عام ٦٢١ هـ (١٢٢٤م) بأنها قرية لم تزل . وفى أيام الحروب الصليبية حوالى عام ١١١١ م دخلت بالس مدة وجيزة فى حوزة الفرنجة تحت إمرة تنكرد صاحب أنطاكية . وزارها بنيامين التطيلى عام ١١٦٣ م والحق إن قوله بأن بالس هى مدينة بلعام بن باعورا ما هو إلا ترديد للرواية اليهودية للأسطورة التى حاكها العرب عن بالعة فى البلقاء . وبالس عند العرب هى مدينة بالس ابن روم بن يكان بن سام بن نوح : وهم بذلك قد احتفظوا بتاريخ المدينة قبل الإسلام .

ويقول ابن شداد إن بالس كانت تابعة للملك الظاهر غازى الأيوبى صاحب حلب المتوفى عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) ثم انتقلت بعده إلى الملك العادل أبى بكر أخى صلاح الدين ، وقد أقام فيها مئذنة نقش عليها اسمه ثم أقطعها ابنه الملك الحافظ . ويؤكد ياقوت — وتبعه فى ذلك صاحب المراصد والقزوينى — أن الفرات الذى كانت المدينة على شاطئه أخذ يتراجع عنها تدريجاً حتى أنه كان فى عهده يبعد عنها بمقدار أربعة أميال ، ولكن المسافة بين النهر والمدينة فى أيامنا ميلان فقط تقريباً ، ويظهر أن النهر يعاود الاقتراب من المدينة : وتحول اتجاه الفرات لابد وأن يكون قد سارع باضمحلال بالس : ولم يرد عن بالس شىء جديد بعد ياقوت فإن أبا الفداء يعيد كلام من سبقوه : ولقد تم خراب المدينة على يد جنود جنكيز خان .

وبالس على الطريق الكبير الممتد من بغداد أو الموصل ماراً بالرقَّة إلى بلاد الشام ، وهى المدينة الأولى على هذا الطريق ، ونظراً لهذا الموقع الفريد يتخذها الجغرافيون قاعدة عند وصفهم لحدود الشام : وهى كذلك على الخط الفاصل بين مناخين مختلفين تمام الاختلاف ، ففى هذا الموضع ننتقل من مناخ هضبة حلب الجاف إلى مناخ الجزيرة المعتدل ، كما أن النبات والحيوان يتغيران هنا تغيراً كاملا : وتوصف بالس بأنها ثغر الشام على الفرات ، وبالرغم من حسن موقعها لم تستطع المدينة استعادة مكانتها مما أصابها من غارات المغول .

واسم بالس الآن « إسكى مسكين » تبعاً للقاعدة الحربية ومحطة البريد الحديثة التى فى جوارها . وأطلالها البالغة مساحتها خمسة أفدنة على رأس فى الشاطئ الأعلى ممتد فى وادى الفرات ، وتستطيع أن تميز الأسوار المحيطة بها ، ومنها ثلاثة أبواب على الطرق الموصلة إلى حلب وحمص ودمشق وبغداد .

ويفصلها عن الأرض المناوحة للساحل الحافلة بالتلال غور سحيق ، وعلى هذا المرتفع خرائب حصن يوستنيانوس ومنها مقر الوالى الرومانى والبرج المنيع ، وليس من شك فى أن هذا الحصن القديم قد استعمل طوال العهد الإسلامى ، وأرض المدينة مملوءة بكسر الأوانى الفخارية مما يدل على أنه قد ازدهرت فيها صناعة الخزف ، وتقوم فى وسط المدينة مئذنة ثمانية الأضلاع وهى التى جدد بناءها الملك العادل أبو بكر كما يتضح من الكتابات المنقوشة عليها ، وقد اختفى منها اسم الأمير الذى أشرف على التجديد كما زال التاريخ ، ويطلق المهندس على نفسه اسم عبد الله ، ولا يزال بجنوبى المدينة بقايا ضريح مجهول لولى يعود تاريخ بنائه إلى القرون الوسطى ، وبه قبران .

المصادر :

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، طبعة ده غويه ص ١٥٠ وما بعدها (٢) ابن خرداذبه : طبعة ده غويه ، ص ٧٥ ، ٩٨ (٣) ابن الفقيه : طبعة ده غويه ص ٩٢ ، ١١١ (٤) قدامة : طبعة ده غويه ، ص ٢٢٨ (٥) الطبرى ، جـ ٣ ص ٥٢ ، ١٤٤٤٠ ، ٢٠٢٨ ، ٢٢٠٠ (٦) الإصطخرى : طبعة ده غويه ، ص ١٣ ومابعدها ص ٢٧ ، ٦٢ (٧) ابن حوقل ، طبعة ده غويه ص ١٧ ، ١٩ ، ٣٤ ، ١١٩ (٨) المقدسى : طبعة ده غويه ص ٥٤ ، ١٥٤ وما بعدها (٩) ياقوت ، جـ١ ، ص ٤٧٧ وما بعدها (١٠) ابن شداد : الأعلاق ، سانت بطرسبرغ ، المتحف الأسيوى ، رقم ١٦٢ فى Rosen : *Notices sommaires* ، ورقة ٦٤ ب فى أعلاها (١١) كمال الدين فى *Rev. de l'Orient. Latin* ، جـ١٥ ، ص ٢٢٣ (١٢) Ritter : *Erdkunde* ، ١٠ (١٣) Chesney : *Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris* لندن سنة ١٨٥٠ م (١٤) V. Chapot : *La Frontière de l'Euphrate* ، باريس سنة ١٩٠٧ (١٥) G. le Strange : *Palestine under the Moslems* لندن سنة ١٨٩٠ م ، ص ٤١٧ (١٦) الكاتب نفسه : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج سنة ١٩٠٥ ، ص١٠٧ (١٧) E. Herzfeld-M. van Berchen : فى *Sarra-Herzfeld Archaeologische Reise im Euphrat-Und Tigrisgbiet* ، برلين سنة ١٩١٠ — ١٩١١ م ، الفصلان الأول والثالث .

[هزرفلد Ernst Herzfeld]

+ بالس : مدينة سابقة فى شمالى الشام ، كانت فى الوقت نفسه ميناء على الضفة الغربية لنهر الفرات ومحطة لها شأنها على مسيرة مائة كيلومتر من حلب ، وفى مدخل الجزيرة على الطريق من أنطاكية والبحر المتوسط المؤدى إلى بغداد والعراق ماراً بالرقّة ، وكان ازدهار المدينة التجارى والزراعى يرجع بلا شك إلى موقعها عند تقاطع طرق نهرية وبرية وفى واد دفىء كانت وسائل الرى فيه تساعد على تنمية الزراعة .

وقد عرفت قديما بالاسمين الآرامى واليونانى بيت بلس وبرباليسّوس Barbalissos ، وقد أشير إليها فى *Table de Peutengir* وفى *Notitia Dignitatum* ،

وبعد التقسيم الإدارى لولاية سورية الذى حدث حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى ، وأصبحت بالس بمقتضاه تابعة لولاية الفرات الكبرى *Augusta Euphratensis* ، أدت المدينة دور الثغر (مدينة على الحدود) واستمرت فى العهد البوزنطى ، وهنالك نهبها الفرس بضع مرات ؛ ولحق ببالس التلف أثناء حملة كسرى الثانى أنو شروان ، وأعيد بناؤها بفضل جهود يوستنيانوس ، وقديما جعلها كتاب سير القديسين مكان استشهاد باخوس Bacchus ؛ وهو قديس مشهور من قديسى المنطقة قيل إن آثاره لا تزال محفوظة هناك .

واحتلها العرب بمقتضى معاهدة أبرمت مع أبى عبيدة بعد الاستيلاء على حلب . وهجرها فى ذلك الوقت بعض عناصر السكان ؛ وأصبحت بالس فى العهد الأموى جزءاً من جند قِنَّسْرين ثم ضمت من بعد فى عهد الرشيد إلى العواصم (انظر هذه المادة) ؛ وظلت تحتفظ بأهميتها الحربية زمنا طويلا فى جوار الأقاليم البوزنطية ، واهتم بأمرها القائد المشهور مسلمة بن عبد الملك إلى حد أنه شق ترعة وحسّن إنتاج الأرض ، وقد مكّن لنفسه هناك . وظلت بالس من أملاك أحفاده ، ونزل بالمدينة سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) زلزال أثر فى شمالى الشام بأسره ؛ ثم شاركت بالس مدن المنطقة فى مصيرها ، وتخلصت من سيطرة الخليفة ودخلت فى محيط الأسرة الطولونية ثم الحمدانية إلى أن مد السلاجقة بدورهم سلطانهم إلى المنطقة ؛ ويرجع تاريخ اضمحلالهم الاقتصادى — فى رواية ابن حوقل ،

الذى كان مع ذلك لا يزال يذكر محصولاتها الوافرة من الحبوب — إلى نهاية عهد سيف الدولة الحمدانى فيما يظهر ، ولكن المعلومات الوجيزة التى ذكرها الجغرافيون يجب ألا تنسينا أمارات الازدهار التى تشهد بها البقايا الأثرية حتى العهد الأيوبى ؛ وفى زمن الحروب الصليبية كانت بالس بخاصة نهبا لغزوات غير حاسمة قام بها الفرنجة ، ثم استمرت من من بعد فى الانتقال من يد حاكم مسلم إلى يد حاكم مسلم آخر من الحكام المختلفين ، ويمكننا أن نذكر منهم فى نهاية عهد الأيوبيين الملك الظاهر غازى والملك العادل أبى بكر (الذى يبدو أنه استولى عليها على الأقل منذ سنة ٦٠٧ = ١٢١٠—١٢١١ م ، وهو التاريخ المنقوش على المئذنة التى شيدها) وفى هذا الوقت يبدو أن بعض الدلالات المختلفة تشير إلى أن سكان بالس كان معظمهم من الشيعة ، ذلك أنه كانت تقوم فيها بعض « المشاهد » يقدسها الناس تخليداً لذكرى على والحسين ، ودمرت المنطقة بعدئذ نتيجة للخراب الذى أنزله بها الغزو المغولى حتى أنها لم تظهر فى التنظيم الإدارى للشام فى عهد المماليك .

وخرائب بالس فى الوقت الحاضر على مسيرة خمسة كيلومترات من قرية مسكين الحديثة الصغيرة على هضبة تطل على وادى الفرات الذى يجرى على مسافة غير قليلة من موقعها ، ولا يزال من الممكن التعرف على الحمى المحصن ، بأبوابه الضخمة وآثار منزل قاضى قضاة الرومان وهو مشيد بالآجر ويرجع بلا شك إلى عهد يوستنيانوس

وموقع المسجد الجامع تدل عليه المئذنة الجميلة المثمنة المشيدة بالأجر والمقامة على قاعدة مثمنة الشكل تحمل أربع مجموعات من النقوش الزخرفية ؛ أما الربى المختلفة التى توجد فيها كسر من الأوانى الخزفية فلم يجر التنقيب فيها بانتظام قط ، ولكن جرت بعض الاستكشافات التجريبية حوالى سنة ١٩٢٥ فأسفرت عن وجود بعض الزخارف المصنوعة من الجص المنحوت المثيرة للاهتمام مع نقوش ترجع إلى سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وسنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ — ١٠٧٧ م) .

المصادر :

(١) Pauly-Wissowa ، انظر Barbalissos (٢) R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie ، باريس سنة ١٩٢٧ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ (٣) A. Musil : The Middle Euphrates نيويورك سنة ١٩٢٧ ، ص ٣١٤—٣٢٠ (٤) Cl. Cahen : La Syrie du Nord ، باريس سنة ١٩٤٠ ، الفهرس (٥) M. Canard : Histoire de la dynastie des Hamdanides جـ ١ ، الجزائر سنة ١٩٥١ ، ص ٨٨ ، ٢٢٦ (٦) E. Herzfeld & F. Sarre : Archaeologische Reise im Euphrat-und Tigrisgebiet برلين سنة ١٩١٠—١٩١١ (مع مقال عن النقوش بقلم M. van Berchem) ، جـ ١ ، ص ٢—٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ — ١٢٩ (٧) G. Salles فى Memoires du IIIe Congrès int. d'art et d'arch. iraniens ، لينينغراد سنة ١٩٣٥ ، ص ٢٢١—٢٢٦ (٨) Répertoire chr. d'épigraphie arabe رقم ٢٦٧٨ و ٢٧١٢ و ٣٨٢٨ (٩) J. and D. Sourdel : Annales arch. de Syrie جـ ٣ ، ١٩٥٣ ، ص ١٠٣ — ١٠٥ (١٠) G. Le Strange : Palestine under the Moslems ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٤١٧ (١١) البلاذرى : فتوح ، ص ١٥٠—١٥١ (١٤) المكتبة الجغرافية العربية ، الفهارس (١٣) الطبرى ، جـ٣ ، ص ٥٢ ، و ١٤٤٠ ، ٢٠٢٨ ، ٢٢٠٠ (١٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٤٧٧ وما بعدها (١٤) ابن العديم ، الزبدة ، طبعة الدهان ، جـ١ ، ٢ ، الفهرس (١٥) ابن شداد : Description d'Alep (طبعة Sourdel) الفهرس (١٦) الهروى : كتاب الزيارات ، طبعة Sourdel-Thomine ص ٦١ .

صبحى [سوردل — تومين J. Sourdel-Thomine]

« بالِش » : وحدة نقدية عند المغول كانت مستعملة فى عهـــد جنكيزخان ، ويظهر أنه لما انقسمت دولة المغول إلى عدة ولايات مستقلة ، بطل استعمال هذا اللفظ واقتصر تداوله على بلاد الصين حيث كان الأهالى هناك فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يتخذون البالش وحدة للعد ؛ وقد جمع كاترمير (Quatremère Histoire des Mongols de la Perse par Rashid-al-Din ص ٣٢٠ وما بعدها) المصادر الشرقية المختلفة الخاصة بهذه العملة ، وإن كان من الصعب التوفيق بين ما جاء فى قراءاتها المختلفة ، والذى يمكن إضافته إلى المعلومات التى ذكرها هذا العالم مستقى أكثره من كتاب الجوزجانى المسمى « طبقات ناصرى »

(ترجمة راڤرتى de Raverty ص ١١٠) ، ويساوى البالش ، وفقا لما ورد فى هذا الكتاب ، ستين درهما وثلثا ؛ وجاء فى كتاب « تأريخ وصّاف » (طبعة حجرية فى بومباى عام ١٢٦٩ = ١٨٥٣ م ؛ ص ٢٢) أن البالش الذهب والفضة يزنان خمسمائة مثقال أى $2\frac{1}{8}$ كيلو جرام ، ولهذا القول أهمية خاصة ، فهو يتفق وما جاء فى كتاب الجوينى : ويساوى البالش الذهب وفقا لما جاء فى كتاب وصاف ٢٠٠٠ ديناو ، بينما يساوى البالش الفضى ٢٠٠ دينار ، والبالش الورقى عشرة دنانير ؛ وجاء فى موضع آخر من كتاب وصاف (ص ٥٠٦) عند حديثه عن سفارة عام ٦٩٧ — ٧٠٤ هـ (١٢٩٧ / ١٢٩٨ — ١٣٠٤ / ١٣٠٥) أن البالش الورقى لا يساوى إلا ستة دنانير (انظر فيما يختص بهذه السفارة كتاب d'Ohsson : *Histoire des Mongols* جـ٤ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٣ ، Elliot : *History of India* جـ٣ ، ص ٤٥ — ٤٦) .

ومن الواضح أن كلمة دينار لا يقصد بها العملة الذهبية المسماة بهذا الاسم وإنما يقصد بها العملة الفضية التى تزن ثلاثة مثاقيل أى ١٢,٧٥ جرام . وقد لاحظ رشيد الدين هذا الأمر أيضا (انظر عن هذا الموضوع d'Ohsson : *Histoire des Mongols* جـ٤ ، ص ٤٦٤) .

[بارتولد W. Barthold]

+ بالش (ومعناها بالفارسية « وسادة ») ، وفى التركية ياصدق : وحدة نقدية مغولية من وحدات القرن الثالث عشر ، كانت تستخدم فى الجزء الشرقى من الإمبراطورية بخاصة ، على أن الإيلخانية (انظر هذه المادة) فى إيران كثيرا ما يذكرونها ؛ وقد ظهرت فى الصين فى وقت متأخر يرجع إلى القرن الرابع عشر ؛ وكانت بالش تسك بالذهب والفضة ، وجاء فى رواية الجوينى (سلسلة گب التذكارية ، جـ١ ، ص ١٦) ووصّاف (طبعة حجرية ببومباى ، ص ٢٢) أن البالش كانت تساوى ٤٠٠ مثقال (وفقا لما يقول W. Hinz : *Islamische Masse und Gewichte* ليدن ، ١٩٥٥ ، ص ١ — ٨ ، على أساس من الملاحظات النقدية إن البالش تساوى : ٤,٣ جراماً ؛ ويقول الجوينى ، ترجمة J.A. Boyle ، جـ١ ، ص ٢٢ ، فى الموضع المذكور ، إن البالش تساوى ٥٠ مثقالاً لا ٥٠٠ مثقال) ؛ وتزن البالش وفقا لهذا التقدير ٢,١٥ كيلوجراماً ، وهذا يتفق مع رواية غريبة ذكرها وليام الربريكى (William of Rubruquis ، طبعة Rockhill ، ص ١٥٦) إذ يقول إن بالشاً من الفضة تساوى عشرة ماركات (كولونيا) أى ٢,٣٣٨ كيلو جراماً .

ويقدر هينز W. Hinz القيمة الذهبية للبالش (وهو يحسب جراما من الذهب بسعر ٢,٨٨ ماركاً ذهبياً) بما يساوى ٦,١٩٢ ماركاً ذهبياً ؛ وإذا نحن اعتبرنا القيمة النسبية للذهب إلى الفضة (بحسب ما يرى أحمد زكى وليدى طوغان : مغوللر دورنيده أنا طولينك إقتصادى وضعيتى فى تورك حقوق واقتصاد تاريخى مجموعه سى ، جـ ١ ، ١٩٣١ ، ص ١ — ٤٢ ب) ١٢ إلى واحد (انظر أيضا

B. Spuler : *Die Mongolen in Iran*، سنة ١٩٥٥، ص ٥٥٦ التى تطابق ص ٣٠٣) فإن القطعة الفضية الواحدة من البالش تساوى ٥١٦ ماركاً ذهبيا .

ويقول الجوينى (المصدر المذكور) إن البالش الفضة تساوى ٧٥ ديناراً ركنياً ذا الثلثى المعيار (وقد نسب هذا الدينار إلى ركن الدولة البويهى سنة ٩٣٤ — ٩٧٦) ؛ ومن ثم تكون قيمة مثل هذا الدينار ٦,٨٨ ماركاً ألمانياً .

وثمة أقوال أخرى عن المدة نفسها لا تتفق حقا مع ما يقول الجوينى ، ولكن قد يرجع بعض السبب فى هذا إلى تذبذب القيمة ؛ ويقول الجوزجانى (تاريخ ناصرى ، ترجمة Raverty ، ص ١١١٠) إن البالش كانت تساوى ½ ٦٠ درهماً ؛ ويقدر وصاف (مصنفه المطبوع على الحجر فى بومباى ، ص ٢٢) ، إن البالش الذهب كانت تساوى ٢٠٠٠ دينار ، وإن البالش الفضة كانت تساوى ٢٠٠ دينار (وهذه نسبتها إلى الذهب ١٠ : ١ للذهب فى ذلك الوقت) ؛ وكانت الورقة المالية ذات البالش الواحدة (چاو) تساوى ١٠ دنانير أو فى رواية وصاف (ص ٥٠٦) ٦ دنانير فقط (وهذا دليل على سرعة هبوط قيمة الچاو) ؛ ويظن بارتولد W. Barthold أن المقصود هنا هو الدينار الفضى الذى يساوى ثلاثة مثاقيل (انظر أيضا D'Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ ٤ ، ص ٤٦٤) .

المصادر :

(١) رشيد الدين ، طبعة Quatremère ، جـ١ : ص ٣٢٠ ، الحاشية ١٢٠ (تصنيف لمجموعة من الأجزاء الوثيقة الصلة بالموضوع ، وإن كان قد نظر إليها من وجهة نظر مخطئة تذهب إلى أن البالش لا يدل على قدر معين من النقود بل على « قدر كبير » من المال) ، (٢) B. Spuler : *Die Mongolen in Iran* ، الطبعة الثانية ، برلين سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٠٤ ، مع تعليقات (٣) W. Barthold & W. Hinz : *Die pers. Inschrift ... zu Ani* فى *ZDMG* ، ص ١٠١ (سنة ١٩٥١) و٢٤١ — ٢٦٩ (٤) W. Hinz فى *Islam* ، جـ٣٢ (سنة ١٩٥٩) (تعليق على ترجمة Boyle للجوينى) ؛ (٥) أما فيما يختص بالباصدق فانظر P. Pelliot فى *Toung-Pas* ، رقم ٢٧ (سنة ١٩٣٠) ، ص ١٩٠ — ١٩٢ ؛ المصدر المذكور ، ص ٣٢ (سنة ١٩٣٦) ، ص ٨٠ (٦) الكاتب نفسه : *Notes sur ... la Horde d'Or* ، باريس سنة ١٩٥٠ ، ص ٨ .

صبحى [سپولر B. Spuler]

+ « بالِش » ، بلش ، وبالأسپانية Vélez : اسم مكان من أصل بربرى نصادفه على ساحل الريف ، وفى مواضع شتى من شبه جزيرة أيبريا بصيغ هى بالِش (وبَالش) وبلش ؛ ويذكر البكرى ثغر بالش ، بعد ثغرى بادس وبوقُية أمام صخرة بالش Penon de Vélez de la Gomera على ساحل

الريف ؛ ونجد بالش أخرى من غير تحقيق على جانب الوادى الكبير بعد أن يترك قرطبة متجها إلى تدمير ومرسية ؛ ويطلق الإدريسى الاسم بالش على بحيرة مرسية Mar Menor de Murcia وهى بحيرة كبيرة تتكون من المياه التى تأتى بها شتى الأنهار السريعة ، وتقع على مسيرة ٥٧ ميلا من ألقنت ومن الممكن للسفن الإبحار فيها ؛ وبالش التى أدخلها هذا الجغرافى فى إقليم بجانة (Pechina) هى والمرية وباجة وبرشانة هى بالش رويبو Vélez-Rubio ، وهى على مسيرة ١٠٥ كيلو مترات من المرية و٤٢ كيلو متراً من لورقة فى وادى لنتين Guadalentin ، وهو رافد من روافد نهر سانگرونيرا Sangronera وقد وجدت مقبرة من مقابر ما قبل التاريخ وصور على الصخر وعدد كبير من قطع النقود والأدوات الفنية والنقوش الرومانية بين خرائب حصونها ؛ وكانت بالش جزءاً من كورة تدمير وشاركت ابن حفصون (انظر هذه المادة) فى فتنته على الأمير عبد الله ، وقد أخضعها من بعد عبد الرحمن الثالث سنة ٣١٣ هـ (٩٢٥ م) ، ولما استولى إينفانت Infante (ألفونسو العاشر الحكيم بعد) على لورقة أصبحت بالش تعين حدود غرناطة ؛ وقد استولى عليها ألفونسو يانييز فاخاردو سنة ١٤٣٧ ، ولكنها عادت إلى أصحاب غرناطة سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م) ، وأقام فيها الزغل أبو عبد الله محمد الثانى عشر النصرى ، واستولى عليها آخر الأمر فرديناند الثالث سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨ م) ونزل عن سيادته عليها إلى بدرو فاخاردو Pedro Fajardo أول مركيز لمدينتى بالش الرويبو ، والبيضاء ، وعلى مسيرة ٥,٥ كيلو مترات من بالش رويبو Vélez-Rubio نجد بالش البيضاء Vélez-Blanco ، وهى مدينة يسكنها نحو ١٠,٠٠٠ نسمة ، وتنتمى إلى مركيزية بالش نفسها ؛ وعلى أطلال الحصن الرومانى والقصبة المراكشية التى تقوم على التل الذى يعلو مدينتى بالش أقام بدرو فاخاردو حصنا رائعاً ضخماً يتسم بالفخامة والإحكام ولا يزال هيكله محفوظاً .

وثمة بالش أخرى ، هى بالش ابن عبد الله فى ولاية غرناطة (إقليم موتريل Motril) على الضفة اليسرى لوادى ألفيو على جانب تل صغير يسمى القلعة الصغيرة el-Castillo ، ويقطنها نحو ٥٠٠٠ نسمة .

ونجد أخيراً فى ولاية مالقة ، على مسيرة ٣٤ كيلو متراً من الحاضرة و٣ كيلو مترات من البحر ، وعلى الضفة اليسرى لنهر بالش Benamargosa مدينة بالش — مالقة ، ويسكنها نحو ٣٠,٠٠٠ نسمة ، على أننا لا نعرف إلا القليل جداً عن تاريخها فى العهد الإسلامى . وقد قام ألفونسو المحارب Alfonso el Batallador بحملة اخترق بها الأندلس سنة ٥١٩ هـ (١١٢٦ م) حتى بلغ غرناطة واجتاز جبل الثلج وتقدم حتى بالش — مالقة ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها .

وحدث سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) أن كان الأمير عبد الله يحاصر بلداً من هذه البلدان المعروفة ببالش ولا نعرف أيها ، وإذا بعدد من المشاة والفرسان من

الجيش الأموى ينتقل إلى صفوف الثوار ، فقد أغراهم ابن حفصون بزيادة أعطياتهم . ويشير دوزى إلى هذا الحادث دون أن يذكر مصدره ويخلط بين بلج (الآن Vilches) وبالش (Vélez) ويجعل موقعها فى بالش روبيو Vélez-Rubio ؛ وقد انتقل اسم هذا المكان (بالش) إلى أمريكا اللاتينية ونجده فى شتى الأماكن بكولومبيا وأورغواى والأرجنتين ؛ والاسم أيضا لقب شائع بعض الشيء فى أسبانيا .

المصادر :

(١) الإدريسى ، ص ١٧٥ ، ١٩٤ من النص؛ وص ٢٠٩ و٢٣٥ من الترجمة (٢) البكرى، ص ٩٠ (٣) المقرى : *Analectes* ، جـ ١ ، ص ١٠٣ ، ٨٤٣ (٤) ابن عذارى: البيان ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ (٥) الحلل الموشية ، ص ٧٨ من النص ؛ ص ١١٤ من الترجمة بقلم Huici (٦) F. Palanques : *Hist. de Vélez-Rubio*

[صبحى [ميراندا A.Huici Miranda]

« بالطه جى » أى حامل « البلطة » : اسم أطلق فى نظام البلاط العثمانى القديم على فرقة من حراس القصر تتألف من أربعمائة رجل برأسهم القيزلر أغاسى ؛ وهم يقومون بصفة خاصة بحراسة أمراء البيت المالك وأميراته فضلا عن حراستهم للحريم السلطانى ، ويضعون فوق رءوسهم قلنسوة من الصوف مدببة الطرف فى لون الظباء يقال لها « كلاه » ويعسكرون فى إسكى سراى .

وأفراد هذه الفرقة يصحبون الحرم إبان الحرب ويسيرون إلى جانب العربات المقلة له ويضربون خيامهم حول أخبيته ؛ وسلاحهم هو « البلطة » ، ومن ثم جاء اسمهم ؛

أما قائدهم فيلقب بـ « بالطه جيار كخياسى » وهو يحمل أوامر السلطان إلى الصدر الأعظم ، ويساعد الوعاظ فى النزول من المنبر فى المولد النبوى .

والزلفلى بالطه جى فرقة قوامها مائة وعشرون رجلا يلحقون بخدمة أمناء القصر « خاص أوطه لى » ويأتمرون بأمر السلحدار أغا . وقلنسوتهم قمتها أقل ارتفاعاً من قلنسوة البالطه جى وتتميز عنها بشريطين من الصوف المنسوج يتدليان فوق خدودهم (زلف) ، ومن ثم كانت تسميتهم .

وإنا لنجد فى قباء باب سيلورى بالآستانة عصا ضخمة كان يلوح بها فى الفضاء دلى بهلوان ، وهو من أفراد فرقة البالطه جى التى كانت تعسكر فى إسكى سراى .

المصادر :

(١) Mouradgea d'Ohsson : *Tableau général de l'empire ottoman* ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ؛ (٢) Cl. Huart : *Helete Szemle* ، جـ ٧ ، ص ٣٠ ، جـ ١ ، ١٩٠٠ م ، ص ٩٥ .

[إيوار Cl. Huart]

+ « بالطه جى » ، اسم أطلق على الرجال الذين كانت تتكون منهم شتى الفصائل فى حرس القصر

السلطانى أيام الحكم العثمانى حتى مستهل القرن التاسع عشر. وكان المصطلح يستخدم بديلا عن مرادفه اللفظ الفارسى تبردار، وكلا اللفظين معناهما لغة «حامل الفأس»، ومن ثم «قاطع الخشب» و«ممهد الطريق» و«حامل الرمح الذى ينتهى ببلطة».

والظاهر وأن البالطة جية الذين كانت فرقتهم تجند من الـ «عجمى أوغلان» (انظر هذه المادة)، كانوا فى الأصل يستخدمون فى الجيش فى قطع الأشجار وتمهيد الطرق وردم المستنقعات، بل إن بعضهم كان حتى قبل غزو القسطنطينية يعين حراساً للقصور السلطانية فى أدرنة، ثم أقيمت فى إستانبول السراى «القديمة» و«السراى الجديدة» وغلطة سراى وسراى إبراهيم باشا على التعاقب، فأنشئت فصائل أخرى من البالطه جية لكل منها؛ وجميع رجال هذه الفصائل كانوا يلحقون بأوجاق الإنكشارية بعد خدمة قليلة، فيما عدا حراس السراى الجديدة التى عرفت من بعد بطوپ قاپى سراى، بينما كان حراس طوپ قاپى سراى ينعمون بميزة الدخول فى سلاح السپاهية أو بلوكات السلاحدار (انظر مادة «سلاحدار بلوك») التابعة لسلاح الفرسان القائم، وكان رجال هذه الفصيلة الممتازة يعرفون باسم زلفلى بالطه جيلر أى البالطه جيه المعصوبى الأعين، ويرجع ذلك إلى سبب غريب، ذلك أن واجباتهم كانت تقتضيهم حمل الخشب اللازم لتدفئة الحريم السلطانى إلى هذه المنطقة المحرمة، وكانوا فى قيامهم بهذا الواجب يضعون عصابات مصنوعة من القماش أو المخرمات الذهبية تتدلى على جانبى وجوههم من قلنسواتهم الطويلة المدببة (واللفظ الفارسى زلف معناه «خصلة الشعر») حتى لا يلمحوا عن غير قصد سيدات هذا الحريم، وكذلك كانوا يرتدون سترات خاصة مزودة ببنيقات واسعة غاية الوسع منتصبة أشد الانتصاب.

وأغلقت سنة ١٦٧٥ سراى غلطة وسراى إبراهيم باشا فألغيت فصائل البالطه جيه التى كانت ملحقة بهما؛ وما وافى هذا الوقت أيضا حتى كان تجنيد البالطه جية بمعرفة الدوشرمة قد توقف أيضا أو كاد، ومن ثم كانت الفصائل الباقية يجند معظمها من أهل الأناضول المسلمين الأحرار المولد، ولو أن أقارب خدم القصور كانوا يلحقون أيضا بخدمة هذه الفصائل. وقد ألغى مصطفى الثالث الـ «زلفلى بالطه جية» ولكن عبد الحميد الأول أحياها، وظلت قائمة حتى أعاد محمود الثانى تنظيم الخدمة فى القصور بوجه عام؛ وكان البالطه جيه يعملون تحت إمرة كاخيا (كتخدا) مسئول أمام وصيف السلطان الأول (السلاحدار أغا) وقد تميز اثنا عشر قالقه من قالقوات الزلفلى بالطه جية بمعرفة القراءة والكتابة، وقد نيطت بهم بعض الواجبات الخاصة، فكانوا يخرجون عرش السلطان ويقفون وراءه عند اعتلائه العرش وفى العيدين (انظر مادة «بيرام»)؛ ويحرسون لواء النبى (سنجق شريف) ويقرأون القرآن تحته فى الحملات العسكرية، ويتولون مسئولية متعلقات سيدات الحريم كل سنة عندما كن ينتقلن صحبة السلطان إلى أحد أكشاك الصيف، وكانوا منذ القرن السابع عشر يقيمون لخدم مسجد

السلطان أحمد « الشربات » وماء الورد والبخور فى الاحتفال السنوى بمولد النبى (مولود) .وعلاوة على ما تقدم كان لكل ضابط كبير من ضباط القصر بالطه جى أو أكثر من الزلفلى بالطه جية يقوم بخدمته ؛ وكان ثمة وظيفتان مهمتان فى القصر يشغلهما قالفوات الفرقة هما : كبير طهاة القوش خانه (المطبخ الإمبراطورى) ووكيله .

وكان بالطه جية السراى القديمة — التى كانت منذ أواخر القرن الخامس عشر مقر أمهات السلاطين — مسئولين حتى القرن السابع عشر أمام القاپى أغاسى (انظر هذه المادة) ثم أمام القيزلر أغاسى (انظر هذه المادة) من بعد ، الذى كان يعين منهم من يحصلون على قسط كاف من التعليم فى مدارس بايزيد أمناء للسر أو كتبة لأوقاف مكة والمدينة، على حين قد يخدم غيرهم من كبار أفراد هذه الفرقة والدة السلطان وغيرها من الأميرات رؤساء لمعدّى القهوة (قهوجى باشى) .

وكان بعض من تولى منصب الصدر الأعظم من البالطه جية السابقين ،ولعل من أشهرهم بالطه جى محمد پاشا ، الذى هزم بطرس الأكبر على نهر پروث سنة ١٧١١ ونوشهرلى إبراهيم پاشا آخر وزراء أحمد پاشا .

المصادر :

(١) قوچى بك : رسالة (إستانبول سنة ١٣٠٣ م) ، ص ٢٦ (٢) d'Ohsson : *Tableau de l'Empire Ottoman* جـ ٧ ، ص ٣٠ — ٣٣ (٣) طيار زاده أحمد عطا : تاريخ عطا ، جـ ١ ، ص ٢٩٠—٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥—٣٠٧ (٤) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، هذه المادة بقلم أوزون چارشيلى (٥) Gibb and Bowen : *Islamic Society and the West*, جـ١ ، الفهرس .

[H. Bowen بوون] صبحى

« بالطه ليمانى » : اسم جون على شاطئ البوسفور من الجانب الأوربى بين « بوياجى كوى » و« روم إيلى حصارى » ، وسمى بذلك نسبة إلى « بالطه أوغلى سليمان بك » أول أمير للأسطول العثمانى وهو الذى عبأ عمارة بحرية كانت تتألف من ٤٢٠ سفينة ساهمت فى حصار القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) وكان هذا الجزء من الشاطئ يسمى فى الزمن القديم «فيداليا » Phidalia . وما زال يرى فيه القصر القديم الذى كان يملكه رشيد پاشا والذى وقعت فيه المعاهدة التجارية بين تركية وفرنسا سنة ١٨٣٨ م ومعاهدة الدول الخمس سنة ١٨٤١ م والاتفاق الخاص بإمارات الدانوب سنة ١٨٤٩ م .

المصادر :

(١) على جواد : جغرافيه لغاتى ، ص ١٥٠ (٢) Hammer-Purgstall : *Constantinopel und der Bosporus* جـ٢ ، ص ٢٢٧ (٣) الكاتب نفسه : *Histoire de l'Empire Ottoman* ، ص ٤٠١، ٥١٩ (٤) Emile Isambert : *Itinéraire de l'Orient* (*Guide Jouane*) الطبعة الثانية ، سنة ١٨٧٣م ، ص ٥٩٥ .

[Cl. Huart هوار]

+ بالطه ليمانى : على الساحل الأوربى للبوسفور بين بوياجى كوبى ورومِ إيلى حصارى ، وتستمد اسمها من بالطه أوغلى سليمان بگ قائد الأسطول العثمانى أيام فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، وهى فى الواقع فيداليا Phaidalia القديمة وكانت تعرف أيضا باسم گينايكون ليمان (Portus Mulierum) . ويشير إليها گيليوس Gyllius فى منتصف القرن السادس عشر بقوله : *« ... Sinum Phidaliae, et portum mulierum ...»* التى كان يسميها اليونانيون سارانتاكوپا Sarantacopa نسبة إلى الجسر الخشبى القائم هناك عبر المستنقعات *«... quem Graeci nostrae aetatis appelant Sarantacopam ... ita nuncupatus a porte ligneo ... quo paludes transeuntur cannis plenae»* : وكانت بالطه ليمانى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منتجعاً مشهوراً بين الطبقات الثرية فى إستانبول ؛ وقد وقعت عدة معاهدات دولية فى بالطه ليمانى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وهى : الاتفاق الإنجليزى التركى المبرم فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٨ ، الذى منح إنكلترة مزايا تجارية كبيرة ونص فى بند على جعلها الدولة الأكثر رعاية، وكذلك نص على إلغاء الاحتكارات التجارية فى جميع الأقاليم التى تحت السيادة العثمانية ، ومعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة (٣ أغسطس سنة ١٨٣٩) بين بلجيكا والباب العالى ، والمعاهدة الروسية التركية التى وقعت فى أول مايو سنة ١٨٤٩ وعدلت اللائحة الأساسية الصادرة سنة سنة ١٨٣١ فيما يختص بإمارتى الدانوب الأفلاق والبغدان .

المصادر :

(١) Pauly-Wissowa ، جـ٥ ، شتوتگارت سنة ١٨٩٧ ، انظر مادة Bosporos ، العمود ٧٤٨ (٢) P. Gyllius : *De Bosporo Thracio Libri III* لوگدونى، سنة ١٥٦١، الكتاب ٢، الفصل ١٣، ص ١٢١ ، ١٢٤ (٣) J. von Hammer-Purgstall : *Constaninopolis und der Bosporus* ، جـ ٢ ، پشت ، سنة ١٨٢٢ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٩ (٤) Hammer-Purgstall : جـ١ ، ص ٥٢٨ ، ٦٧٠ (٥) G.F. de Martens : *Nouveau Recueil de Traité* ، گوتنگن سنة ١٨١٧ — ١٨٤٢ ، جـ١٥ ، ص ٦٩٥ — ٧٠٢ ؛ جـ ١٦ ، ص ٩٥٨ — ٩٦٤ و *Nouveau Recueil Général de Traité* ، گوتنگن سنة ١٨٤٣ — ١٨٧٥ ، جـ ١٤ ، ص ٢٧٨ وما بعدها (٦) أرشيو قلاووزى ، جـ١ ، إستانبول، سنة ١٩٣٨ ، ص ٥٨ (٧) إسلام أنسيكلوپيدياسى مادة بوغاز إيچى م ؛ طيب گوله باگين تارخچه بوغاز إيچى ؛

[V.J. Parry پارى] صبحى

« بال عَنْبَر » : (أنظر مادة « تميم ») .

+ « بالغ » : (أنظر مادة « بلوغ ») .

+ « بالقروش » : (انظر مادة « بازرقروش ») .

« بالق » : أو باليق أو بالغ : كلمة تركية مغولية معناها مدينة . وهى تستعمل كثيراً فى الأسماء المركبة للبلدان — مثل « بيش باليق » أى المدن الخمس ، وهى اليوم عبارة عن خرائب بالقرب من مدينة كوچان فى التركستان الصينية ؛ و« خان باليق » ، أى مدينة الخان ، هو الاسم التركى المغولى الذى يطلق على پيكين ، وقد استعمل هذا الاسم أيضا كثير من الرحالة الأوربيين فى العصور الوسطى ؛ و« إيلى باليق » ، وهى على نهر إيلى وتعرف اليوم باسم إيليسك — كما تستعمل أيضا فى غير ذلك من البلدان . . .

وقد ذكر اسم مدينة « بيش باليق » فى النقوش الأورخونية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادى، ويستخلص من ذلك أن كلمة « باليق » بمعنى مدينة من أقدم الكلمات التركية، وأن كلمة « باليق» بمعنى سمكة شائعة أيضا فى جميع اللهجات التركية .

[بارتولد W. Barthold]

+ « بالق بن صافون » : (انظر مادة « عوج ابن عناق ») .

« پالنپور » : ولاية إسلامية بالهند تدخل فى وكالة ولاية الهند الغربية ، والمنطقة التى تضمها هذه الوكالة تشمل ما كان يعرف بـ « كاتهياوار » كما تشمل أيضا وكالتى كوتش Cutch وپالنپور .

وقد دل إنشاء هذه الولاية فى أكتوبر من عام ١٩٢٤ على انتهاء سلطان حكومة بومباى السياسى وبدء الصلات المباشرة بحكومة الهند . وكانت وكالة پالنپور القديمة وحاضرتها پالنپور عدة ولايات فى كجرات (انظر هذه المادة) بين خط عرض ٢٣° ٢٥َ شمالا ، وخطى طول ٧١° ١٦َ و٧١° ٤٦َ شرقا ، ويحدها من الشمال الولايتان الراجپوتيتان أديپور وسروهى ومن الشرق وكالة « ماهى كانتها » ، ومن الجنوب ولاية بروده وكاتهياوار ومن الغرب « رَنّ » Rann وكوتش .

وغزا البطهان اللُّهانيون ولاية پالنپور حوالى نهاية القرن السادس عشر ، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالجالوري . وإنا لنجد مختصرا لتاريخ هذه الولاية فى عهد أباطرة المغل فى *Gazetteer of Bombay* (جـ٥ ، ص ٣١٨ — ٣٢٤) وفى كتاب « مرآت أحمدى » (*Ethé* ، رقم ٣٥٩٩ ، ورقة رقم ٧٤١) . ويرجع تاريخ العلاقات الإنكليزية بپالنپور إلى عام ١٨٠٩م عندما تدخل الإنكليز فى أمورها، وكان من شأن هذا التدخل أن اتخذت التدابير المؤدية إلى أداء الجزية إلى گايكور باروده (Aitchison جـ٦ ، ص ٨٩) . وقوى شأن الإنكليز بالمعاهدة التى أبرمت فى ٢٨ نوفمبر من عام ١٨١٧ م (المصدر المذكور ، ص ٩١) . وفى عام ١٨٤٨ م ألغى تعين مندوب من قبل الگايكور وظل الإنكليز يشرفون على شئون الدولة المالية حتى عام ١٨٧٤ ثم نيط ذلك بحاكم پالنپور .

وظل البطهان اللُّهانيون يحكمون پالنپور ؛ ويبلغ عدد سكان هذه الولاية ٢٤٦ر١٧٩ نسمة يتكلم ٢٤٥٠٠٠ منهم اللغة الكجراتية ؛ أما من جهة الدين فإن الهندوس يبلغون ٢٢٢٧١٤ نسمة والمسلمين ٢٨٦٩٠ والباينية ١٢٥٤٢ .

المصادر :

(١) C.U. Aitchison : *Treaties, Engagements and Sanads* ، المجلد السادس عام ١٩٠٩ (٢) *Census of India* ، المجلد العاشر : *The Western States Agency* ، ١٩٣٣ (٣) *Gazetteer of the Bombay Presidency* ، المجلد الخامس ، عام ١٨٨٠ (٤) *Imperial Gazetteer of India* ، مادة پالنپور (٥) على محمد خان : مرآت أحمدى ، مكتبة وزارة الهند ، فهرس Ethé ، رقم ٣٥٩٧ — ٣٥٩٩ (٦) *Selections from the Records of the Bombay Government* ، رقم ٢٥ ، سنة ١٨٥٦ .

[C. Collin Davies كولن ديڤيز]

+ « بالى » : دولة من دول التجارة الإسلامية فى جنوبى إثيوبيا ، وهى شرقى بحيرة « أواسا » و« گناله دوريا » ، وكانت تمتد شرقى « وبى شابلَّه » قرب خط طول ٤٠° شرقاً فى شقة من الأرض ضيقة تمتد شمالى وبى شابله حتى طرف منخفضات الدناقل ، وتحدد السكة الحديدية الحد الشمالى على وجه التقريب ، ويبدو أن بالى ذكرت أول ما ذكرت فى أناشيد النصر التى قيلت تكريما له عامده صيون ، ملك إثيوبيا ، سنة ١٣١٢—١٣٤٢ (I. Guidi : *Rendlin* ، سنة ١٨٨٩ ، رقما ٨ ، ٩) حيث وصفت بالى بأنها جزء من أملاك الملك ؛ وفى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى وصف العُمَرى بالى بأن المسافر يقطعها طولا فى عشرين يوما وعرضا فى ستة أيام ، وأنه كان يحكمها ملك تابع لملك الحبشة تحت إمرته جيش قوامه ٤٠,٠٠٠ فارس . ويكرر المقريزى بعد قرن رواية العمرى عما فى ذلك بقوله بأن أهل بالى كانوا على المذهب الحنفى ، وظلت الدولة تابعة للحبشة حتى سنة ١٥٤٢ تقريبا ، وهنالك أعلن حاكمها عباس استقلاله عن گالاوْديوُس ملك الحبشة .

المصادر :

(١) العمرى : مسالك الأبصار ، ترجمة Gaudefroy-Demombynes ، سنة ١٩٢٧ ، ص ٢ ، ١٨ (٢) المقريزى ، طبعة Rinck ليدن سنة ١٧٩٠ ، ص ١٥ (٣) Perruchon : *Les Chroniques de Zar'a Ya'eqob et de Ba'eda Maryam* ، باريس ، سنة ١٨٩٣ (٤) Conzelman : *Le Chronique de Galawdewos* ، باريس سنة ١٨٩٥ .

صبحى (هانتنگفورد G.W.B. Huntingford)

+ « بالى » : (انظر مادة « جاوة ») .

« الباليار » : وتسمى باليونانية « باليارس » وباللاتينية Baliares وهذا فى رأى الثقات أصح من تسميتها Baleares ، ويقال عادة ، وإن كان

هذا القول غير صحيح ، إن اسمها مشتق من اليونانية بالّين بمعنى قذف ؛ وذلك لأن سكانها القدماء كانوا مهرة فى الرشق بالمقلاع فاستخدموا لهذا فى جيش الرومان وفى حروب رومة وقرطاجنة ؛ والباليار ، التى كان يطلق عليها باللاتينية أيضا اسم Gymnesiae insulae أى جزائر الملعب لأن فرسانها كانوا عراة تقريبا ، هى مجموعة من الجزائر فى غرب البحر المتوسط ؛ وفى معنى أضيق يطلق اسم الباليار على الجزيرتين الرئيسيتين الكائنتين فى الشمال الشرقى وهما : جزيرة « ملورقة » Mallorca أى الجزيرة الكبيرة وقد سميت منذ عهد فروقفيوس Procopius باسم مايوريقا أو مايورقا Majorica ، Majorca ، وجزيرة منورقا Menorca أى الجزيرة الصغرى وتكتب أيضا Minorica, Minorca ؛ كما يشمل مدلول الاسم أيضا ثلاث جزائر أصغر من هاتين هى : جزيرة « كبريرا » Cabrera وتكتب كذلك Capraria ومعناها جزيرة الماعز ؛ وجزيرة « كنجيرا » Conejera وتكتب أيضا Cunicularia ومعناها جزيرة الأرانب ، وكلتا الجزيرتين جنوبى جزيرة « ميورقة » ، أما الجزيرة الثالثة فهى جزيرة « دراجونيرا » Dragonera (أو Triquadra) وهى موجودة فى الغرب ؛

ويطلق اسم الباليار بمعنى أوسع فيشمل أيضا مجموعة الجزائر التى تسمى پتيوز Pityuses أو îles des pins أى جزائر الصنوبر الكائنة فى الجنوب الغربى ، وهى : يابسة « Ibiza » (أو Ebusus وبالفينيقية אישם) و « فورمنترا » Formentera (Ophiusa) . ويراد هذا المعنى الواسع عندما يتحدثون اليوم عن مديرية جزر الباليار Provincia de las Islas Baleares أو عندما كانوا فى وقت مضى يتحدثون عن مملكة ملورقة Reino de Mallorca التى كان يحكمها فرع الأخ الأصغر من أسرة أرغون Aragon بين سنة ١٢٧٦م وسنة ١٣٤٣ م .

أما العرب فكانوا يسمون هذه الجزائر جزائر شرقى الأندلس أو الجزائر الشرقية . أما اسم جزائر البالياره الذى ورد فى دائرة المعارف للبستانى (جـ ٤ ، ص ١٤٩) وفى قاموس الأعلام لسامى بك (سنة ١٢١٨) ، وكذلك اسم جزائر الباليار الذى ورد فى قاموس الجغرافية القديمة لأحمد زكى بك (بولاق سنة ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩م ، ص ٣٠) فكل هذه الأسماء إنما هى أسماء حديثة ؛ والجزائر الكبيرة يسميها العرب ميورقة أو ميرقة ، ومنورقة أو منرقة ، وكثيراً ما كان يحدث اللبس بين هذه الأسماء ، وإبيزة أو يابسة ؛

وخضعت جزائر الباليار فى العصور القديمة لحكم الفينيقيين ويونان رودس وأهل قرطاجنة ، ثم فتحها سنة ١٢٢ قبل الميلاد كيكليوس متلوس بالياريكوس Q. Caecilius Metellus Baliaricus وأنشأ فى جزيرة ميورقة مدينتى پلماوپولنشيا Pollentia و Palma ؛ أما مدينة ماگو Mago أو ماهون Mahon ومدينة جامو «Jamo» (Jamna أو Ciudadela) فى جزيرة منورقة فليس من شك فى أنهما أنشئتا فى عهد قرطاجنة . وفى سنة

٤٦٥م خضعت جزائر الباليار لحكم الفندال في عهد گيسريش Geiserich . وفي سنة ٥٣٤ م ضمتها جيوش القائد بلزاريوس Belisarius إلى أملاك الدولة الرومانية الشرقية . ولم تخضع الباليار مطلقا لحكم القوط الغربيين .

وفي سنة ٧٠٧ – ٧٠٨م يقال إن عبد الله بن موسى بن نصير نهبها وفتحها (؟) ؛ وفي سنة ٧٩٧ – ٧٩٨م أغار عليها العرب مرة إثر أخرى ، ولكنها تخلصت من غاراتهم بفضل شرلمان سنة ٧٩٩م ؛ وبعد هذا بوقت قصير أغار عليها العرب من جديد وكان يشد أزرهم في هذا النورمان الذين انضموا إليهم ؛ ولكنها لم تخضع لحكم العرب بصفة مستمرة إلا بعد أن فتحها عصام الخولاني سنة ٢٩٠هـ (٩٠٣م) وضمها إلى أملاك بني أمية في الأندلس .

وفي سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤ – ١٠١٥م) سقطت جزائر الباليار في يد أبي الجيش مجاهد الموفق العامري الداني وكانت مملكته غربي جزائر الباليار على الشاطئ المواجه لها ؛ وخلف هذا الملك ابنه على إقبال الدولة وظل في الحكم من سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤ – ١٠٤٥م) إلى سنة ٤٦٨هـ (١٠٧٦م) وهنالك خلعه حموه المقتدر من بني هود ملك سرقسطة وضم دانية إلى أملاكه ؛ واستقلت الباليار في عهد المرتضى عبد الله (٤٦٨–٤٨٦هـ=١٠٧٥–١٠٩٣م) ومباشر بن سليمان من سنة ٤٨٤ –٥٠٩هـ (١٠٩١ – ١١١٥م) وأبي ربيع سليمان . وفي السنة التي تولى فيها هذا الملك الأخير أي سنة ٥٠٩هـ (١١١٥م) فتح المرابطون جزر الباليار وظل يحكمها من قبلهم ابن أبي بكر إلى سنة ٥٢٠هـ (١١٣١م) ثم حكمها بنو غانية –وهم أمراء من المرابطين مستقلون (٥٢٥ هـ – ٥٩٩ هـ = ١١٣١ – ١٢٠٢ م) ، نذكر منهم محمد بن على ابن غانية الذي حكمها من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٤٦هـ (١١٣١ – ١١٥١م) وابنه أبا إبراهيم إسحق بن محمد الذي حكمها من سنة ٥٤٦ إلى سنة ٥٨١هـ (١١٥١ – ١١٨٥م) .

وتعاقب على حكم جزائر الباليار حكام من الموحدين من سنة ٦٠١ إلى سنة ٦٢٧ هـ (١٢٠٤– ١٢٢٩م) ؛ وظلوا يحكمونها إلى أن فتحها نهائياً جاك Jacques أو جيمس الأول أو جايم ملك أرغون سنة ١٢٢٨ م والسنين التالية لها ؛ ومن سنة ٦٣٠ إلى سنة ٦٨٥هـ (١٢٣٢ – ١٢٨٦) ظل الحاكم أبو عثمان سعيد ابن الحاكم القرشي واليا على منورقة من قبل ملك أرغون ، وكان يلقب بالمشارف وكانت سلطته عليها بالاسم فقط ، وظلت كذلك إلى أن أجلى العرب جميعهم عنها ، وأشهر أهل ميورقة هو المؤرخ الحميدي (انظر هذه المادة ؛ وانظر مادة ميورقة) .

المصادر :

(١) Alvaro Campaner y Fuertes : *Bosquejo historico de la dominacion islamica en las Islas Baleare*، طبعة بالماسنة ١٨٨٨ (٢) الكاتب نفسه : *Numismatica Balaer*، بالما سنة ١٨٧٩

(٣) Codera : *Decadencia y desaparicion de las*

Almoravides en Espana ، مرقسطة سنة ١٨٩٩ (*Collection des Estudios arabes* جـ ٣) ص ١٦٧ — ١٧٨ . (٤) الكاتب نفسه : *Estudios criticos de Historia arabe espanola* ، مرقسطة سنة ١٩٠٣ = *Coleccion de Estudios arabes* ، المجلد السابع ، ص ٢٤٩ — ٣٠٠ وخاصة ما فيه من نقد وتعليقات على كتاب *Bosquejo* الذى صنفه Campaner (٥) Alfred Bel : *Les Benou Ghânya, derniers représentants de l'Empire almoravide* ، طبعة باريس سنة ١٩٠٣ (٦) Luigi Salvadore d'Austria : *Voci di origine arabe nella lingua della Balearii* (٧) Francisco Hernandez Sanz : *Compendio de geografia é historia de la isla de Menorca* طبعة ماهون سنة ١٩٠٨ .

[تسيبولد C.T. Seybold]

« بالیكسرى » أو بالیكسر : مدينة فى تركية آسية ، وهى عاصمة سنجق قره سى التابع لإقليم خداوندگار . ويبلغ عدد سكان هذه المدينة ١٣,١١٨ نسمة ، منهم ٩,٨٧٥ مسلما و ١٢٦٦ من الروم الأرثوذكس و ١٩٤١ من الأرمن الغريغوريين . وتقوم هذه المدينة على سفح يیلان طاغ ويرويها مجرى دافق من الماء يجف فى الصيف ، وعند ذلك يجلب الأهالى ما يحتاجونه من الماء من بتلاق .

وكانت باليكسرى العاصمة القديمة لأمراء قره سى ، واستولى عليها عجلان زاده عام ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) فى عهد السلطان أورخان . ويقام فى هذه المدينة سوق أسبوعية ومعرض فى كل عام. ويصنع بها القماش السميك المعروف باسم « عبا » (انظر هذه المادة) وبهذه المدينة ٩١ مسجداً بعضها قديم العهد وبرج ساعة قديم كما أن بها رباطا للبيرامية وقبرا للشيخ لطف الله أحد أتباع هذه الطريقة مع بعض المنشآت الدينية الأخرى الخاصة به . ويضم القضاء الذى عاصمته باليكسرى خمس نواح و ٣٢٨ قرية ويبلغ عدد سكانه ٩٠,٠٠٠ نسمة .

وأهم محصولات هذا الإقليم : الأفيون والقطن والفاكهة والحبوب والشمام اللذيذ المعروف باسم « حسن بك » كما يشتهر بعسل النحل .

المصادر :

(١) على جواد : جغرافيه لغاتى ، ص ١٥١ . (٢) سالنامه ، عام ١٣٢٥هـ ، ص ٧٧٢ . (٣) Cuinet : *Turquie d'Asie* ، جـ ٤ ، ص ٢٦٢ .

[إيوار C. Huart]

+ باليكسرى ، باليكسر : مدينة شمالى غرب آسية الصغرى ، فى المنطقة التى كانت تعرف فى الأزمنة القديمة باسم ميسيا Mysia ، والاسم باليكسرى مشتق من اللفظ اليونانى « پالايوكاسترون » ؛ ويشير العمرى فى مصنفه مسالك الأبصار إلى هذا المكان باسم « أكيرا » (باليونانية « أوخيرا ») وهو اسم شائع أيام أسرة كومنين) ؛ والمعتقد أن هادريانوتيرا الرومانية Roman Hadrianuthera كانت تقع فى هذا الإقليم نفسه ؛ وكانت باليكسرى من حواضر إمارة قره سى (انظر هذه المادة) التى

ظهرت حينما انتزع الترك هذه المنطقة من البوزنطيين حوالى سنة ٦٩٩—٧٠٠هـ (١٣٠٠م) وقد وصف ابن بطوطة باليكسرى، وكان قد جاب أرجاء آسية الصغرى حوالى سنة ٧٣٠ — ٧٣١هـ (١٣٣٠ م) ، بأنها مدينة عامرة ؛ وسرعان ما ابتلعت الدولة العثمانية إمارة قرەسى ، وهذا الابتلاع بدأ حوالى سنة ٧٣٥ — ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) ويلوح أنه تم شيئاً فشيئاً فى عهد أورخان غازى ؛ وظلت قره سى مدة طويلة أيام العثمانيين، سنجقاً فى إيالة الأناضول، حتى ضمت فى عهد محمود الثانى إلى ولاية خداوندگار ؛ وهى الآن ولاية مستقلة مركزها الإدارى باليكسرى .

وباليكسرى على سفح بيلان طاغ (جبل الثعبان) فى مواجهة سهل خصيب اشتهر بإنتاجه للحبوب والخضروات والفاكهة ؛ وقدر عدد سكانها سنة ١٩٤٥ بأنه أقل قليلا من ٣٤,٠٠٠ نسمة .

المصادر :

(١) W. Tomaschek : *Zur Historischen Topographie von Kleinasein im Mittelalter* فى *SB. Ak. d. W. Wien, Ph-Hist. Classe*، جـ١٢٤، سنة ١٨٩١، ص٩٥ — ٩٦ (٢) F. Taeschner : *Das anatolische Wegenetz nach osmanischen Quellen* جـ ١ ، ليبسك سنة ١٩٢٦ ، ، ص ١٧٥ (٣) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ٤ ، باريس سنة ١٨٩٤ ، ص ٢٦٢ — ٢٦٧ (٤) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery et Sanguinetti ، جـ ٢٢ ، باريس سنة ١٩١٤ ، ص ٣١٦ — ٣١٧ (٥) F. Taeschner : *Al-Umari's Bericht ueber Anatolien* ليبسك سنة ١٩٢٩ ، ص ٤٣ (٦) على جواد : جغرافيا لغاتى ، جـ١ ، إستانبول سنة ١٣١٣ هـ ، ص ١٥١ (٧) ق ەصو ، ١٧ ، ١٨ نجى يوزييللرده باليكسر شهرحياتى (باليكسر خلق أوى يانيلرندن، رقم ١٤) إستانبول سنة ١٩٣٧ . (٨) J. Mordtmann : *Uber das tuerkische Furstengeschlecht der Karasi* فى *SB. Ak. d. W. Berlin, Ph.-Hist. Classe Gruter Halfband* ، برلين سنة ١٩١١ ، ص ٢ — ٧ (٩) أحمد توحيد : باليكسرنده قره سى أوغللرى فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى ، جـ٩ ، ١٣٢٧هـ ، ص ٥٦٤- وما بعدها (١٠) أرشيو قلاووزى ، جـ١ ، إستانبول سنة ١٩٣٨ ، ص ٥٨ (١١) إسلام أنسيلكوپيدياسى ، مادة « باليكسر » بقلم بسيم دارقوت .

[صبحى] پارى V. J. Parry]

+ « بال يمز » : اسم أطلق على مدفع من عيار كبير ، ونحن نصادف هذا المصطلح عند الإخباريين العثمانيين وفى غير ذلك من الكتب ، ولا نزال نجده بصفة عارضة فى المصادر المتأخرة بعض الشىء حتى القرن التاسع عشر ؛ وقد استحدث مدفع البال يمز أول ما استحدث فى الجيش العثمانى أيام السلطان مراد الثانى . واستخدم محمد الفاتح — الذى نهض بحملات عسكرية منتظمة على نطاق واسع — هذا المدفع وعول عليه كثيراً . وقد حمل أوربان الترانسلڤانى صانع المدافع المشهور ، على أن يصنع له

مدفعا خاصا من مدافع الحصار على طراز البال يمز لاختراق أسوار القسطنطينية . وقد تيسرت الأصول الفنية فى صب المدافع للعثمانيين عن طريق المتخصصين الأوربيين وخاصة الألمان . ووصف كريتوبولص مدّاح محمد الفاتح اليونانى صناعة مدفع البال يمز فى شىء من التفصيل :

وكانت المدافع فى ذلك الوقت لا تستخدم إلا فى الحصار ، ومن ثم جرى الترك على صب مدافعهم فى المكان الذى يحتاجون فيه إليها ، وقلما نجد أية إشارة إلى نقل مدافع سبق صبها . وأغلب الظن أن اسم « بال يمز » — أى الذى لا يأكل الشهد — هو تحريف شائع فيه تندّر بالمصطلح الألمانى « Faule Metze » (وهو المدفع المشهور لسنة ١٤١١ الذى استطاع هو والـ « Faule Grete » أن يقلب مجرى الحرب كله كما كانت عليه فى تلك الأيام). وقد جاءت الكلمة للعثمانيين مصطلحا عن طريق صناع المدافع الألمان الكثيرين الذين كانوا ملحقين بخدمة الأتراك . وانتقل هذا المصطلح أيضاً من الترك إلى لغات شتى بأوربا الجنوبية الشرقية . أما اللقب المستعار « بال يمز » الذى أطلق فى بعض الأحيان على قادة الجيش العثمانى ، فهو اشتقاق ثان من اسم هذا المدفع .

المصادر

(١) H.J. Kissling فى *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells* جـ ١٠١ ، سنة ١٩٥١ ، ص ٣٣٣ — ٣٤٠ حيث نجد مصادر أخرى (٢) انظر أيضا مادتى « مراد » و « طوب »

خورشيد [كسلنگ H.J. Kissling]

« باليوس » : من الكلمة اللاتينية baiulus ومعناها وصى ، ويقال بايلو : لقب ممثل جمهورية البندقية لدى الباب العالى . وحدث بعد أن استولى الترك على القسطنطينية أن قتل الوصى گيرولامو مينوتو Girolamo Minotto عند استيلاء الترك على غلطة . وقد دارت المفاوضات بعد ذلك بين الباب العالى وجمهورية البندقية لإعادة الصلات فيما بينهما وإرسال وصى جديد يكون له نفس حقوق وواجبات الوصى كما كانت أيام الدولة الرومانية الشرقية . وكان بارتلميو مارشيلو Bartolomeo Marcello أول ممثل أرسلته البندقية على هذا الأساس عام ١٤٥٤م . وكان هذا الممثل السياسى يستبدل مرة فى كل سنتين ، ولكن الأمر كان يقتضيه أن يظل فى مركزه حتى يصل خلفه ومن ثم ظل فعلا فى منصبه ثلاث سنوات .

وجاء فى نصوص الامتيازات التى تجددت عند اعتلاء السلطان سليمان العرش سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) أنه لا يجوز سجن هذا الوصى بسبب الدَّيْن ، وكان من أعماله الحكم فى قضايا الميراث الخاصة بمواطنيه ، كما كان يعطى التجار البنادقة الترخيص اللازم الذى لا يمكنهم بدونه التجوال فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية .

المصادر :

(١) Belin : *Relations diplomatiques de Venise*. فى المجلة الأسيوية ، المجموعة السابعة ، جـ ٨ ، سنة ١٨٧٦ ، ص ٣٩٠ ، ٤١٤ (٢) N. Jorga :

Geschichte des osmaniashen Reiches جـ ٢ ، ص ٣٦ ، ٤٥ .

[Cl. Huart إيوار]

+ باليوس ، باليوز (وبَيْلوس في الأصل) : الاسم التركى الذى كان يطلق على السفير البندقى لدى الباب العالى ، وفى الإيطالية بايلو . وقد حمل سفراء البندقية فى بوزنطة هذا اللقب منذ سنة ١٠٨٢ ؛ وكان ثمة بايلوات آخرون فى صيداء وفى لاجانزو / باياس قرب الإسكندرونة . وقد أوفد البنادقة ، عقب فتح القسطنطينية مباشرة ، بايلو من قبلهم هو بارتولوميو مارشيللو Bartolomes Marcello ؛ ووقعت فى ١٨ أبريل سنة ١٤٥٤ معاهدة تجارية مع الباب العالى جددت الإتفاق الذى كان قائما بالفعل مع العثمانيين منذ سنة ١٤٠٨ ؛ وبمقتضى هذه المعاهدة الجديدة كان للبندقية الحق فى أن تقيم لدى الباب العالى بايلو من قبلها يكون مقره بيره وله سلطة إصدار تراخيص المرور للتجار البنادقة ، وأن يمارسوا فيما يتصل بهؤلاء التجار بعض الوظائف القانونية ؛ وكان ممثلو البندقية يتخذون الآستانة مقراً لهم فى زمن الحرب ، وظل هذا معمولا به حتى سقوط الجمهورية سنة ١٧٩٧ ؛ وكان تولهم لمناصبهم يستمر أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثلاث سنوات من حيث المبدأ ؛ وكان هناك علاوة على ذلك سفراء خاصون لدى الباب العالى كانوا يحملون أيضاً الاسم بايلو ؛ وكان البايلوات ، فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، يقومون بدور له شأن سياسياً ؛ وقد زج بعضهم فى السجن فى أيام التوتر أو الحرب (وبصفة عامة فى يدى قوله) وكانت التقارير « relazioni » التى يقدمونها لسادتهم « Signoria » شاهداً على حدة ذهنهم ؛ وقد نشرت هذه التقارير فى سلسلتين :

(١) E. Albèri : *Relazioni degli Ambasciatori Veneti al Senato* ، السلسلة ٣ : turchia ، فى ثلاثة مجلدات ، فلورنسة سنة ١٨٤٠ — ١٨٥٥ ؛ (٢) G. Berchet, N. Barozzi : *Le Relazioni degli Stati Europei lette al Senato dagli Ambasciatori Veneti nel secolo decimosettimo* ، السلسلة ٥ : Turchia ، البندقية سنة ١٨٦٦ ، ١٨٧٢ .

قائمة بالبايلوات : انظر (١) Barozzi and Berchet ، المصدر المذكور جـ١ ، ص ٩ وما بعدها (٢) B. Spuler : *Die europaeische Diplomatie in Konstantinopel* ، جـ ٤٠ ، فى *Jahrbuecher fuer Geschichte Osteuropas* ، جـ ١ (سنة ١٩٣٦) ، ص ٢٢٩ — ٢٤٧ (مع إشارات إضافية)

وبتعميم معنى الوكيل الدبلوماسى أو القنصلى الأوربى نصادف هذا اللفظ أيضاً فى بعض اللهجات العربية وفى اللغة السواحلية .

المصادر :

(١) W. Andreas : *Staatskunst und Diplomatie der Venezianer im Spiegel ihrer Gesandtenberichte* ، ليبسك ، سنة ١٩٤٣ (٢) H. Kretschmayr : *Geschichte von Venedig* ، ٣ مجلدات ، ڤينا ، سنة ١٩٠٥ — ١٩٣٤ (٣) M.L. Shay : *The Ottoman Empire from 1720 to 1734 as revealed*

in despatches of the Venetian Baili (*Illinois Studies in the Social Sciences, vol. XXVII No.* 3) أربانا ، إلينوى سنة ١٩٤٤ ؛ وانظر أيضاً المصنفات المعتمدة فى التاريخ العثمانى ، وانظر بالإضافة إلى ذلك : م . جاويد بايصون ، هذه المادة فى إسلام أنسيكلوپيدياسى ص ٢٩١ — ٢٩٥

صبحى [سپولر B. Spuler]

+ « بامَخْرَمة » : (انظر مادة « مخرمة ، با »)

+ « بامَذْحِج » : (انظر مادة « السويّنى ، سعد بن على »)

« باميان » وودت معرّفة فى كثير من الكتب العربية : مدينة شمالى السلسلة الرئيسية لجبال هندوكش فى واد جبلى يرتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٤٨٠ قدما ، ويمر بها طريق من أهم الطرق التى تصل البلاد التى يرويها نهر جيحون بنهر السند ، وهى لذلك مركز تجارى هام ، وكانت أيضاً قلعة حصينة فى القرون الوسطى .

والباميان تلحق من الوجهة السياسية بكابل وغزنة أكثر مما تلحق ببلاد نهر جيحون ، بالرغم من أن الوادى الذى هى فيه من وديان هذا النهر وأنه يفصلها عن كابل ممرات جبلية مرتفعة مثل ممرى خُلْم وقُنْدُز . وكان ممر « آق رباط » فى شمالها يفصل فى القرن التاسع عشر ناحية كابل عن قندز ، وهو يفصل الآن كاپايستان نفسها عن التركستان الأفغانية .

وفى القرن السابع الميلادى وصف الرحالة الصينى هيان چوانغ Hüan Chuang المدينة والوادى الذى هى فيه (*Mémoires sur les contrées occidentales* ترجمها Stan-Julien ، جـ١ ، ص ٢٦ وما بعدها ، *Histoire de la vie de Hiouen-Thsang* ، ص ٢٨ وما بعدها) . وقد كتبت المدينة فى كتاب ماركار باسم فان — ين — نا (*Eranshahr* : Marquart ، ص ٢١٥ وما بعدها) . بينما يذهب ده گروت وشليگل de Groot & G. Schlegel إلى أنها كانت تنطق قديما « بام — ين — نا » . ويقول ماركار إن اسمها فى لغة إيران الوسطى القديمة هو « باميكان » . وفى هذا الوقت لم تكن الكورة تابعة لإقليم نهر جيحون (توهولو = طخارستان ، انظر مادة « آمودريا ») بالرغم من أن الحروف الأبجدية واللغة نفسها إلى حد كبير ونظام الحكومة والسكة ، كانت جميعاً واحدة فى المدينة والإقليم .

وتتفق أقدم المصادر العربية والرحالة هيان چوانغ فى أن أهلها كانوا يعتنقون الديانة البوذية التى كانت منتشرة انتشاراً واسعاً فى ذلك الوقت فى جميع البلاد شمالى هندوكش وجنوبها . وكان بها فى عهد هذا الرحالة عشرة معابد يقوم عليها أكثر من ألف راهب . والصنمان العظيمان اللذان نقرا فى الجبل شمال الوادى كانا موجودين أيام هيان چوانغ . وقد وصفهما العرب فقالوا إنه ليس لهما فى الدنيا نظير (انظر ياقوت ، جـ١ ، ص ٤٨١) والصنم الأكبر لرجل ، ويزعم الرحالة المتأخرون أن طوله ١٢٠ قدماً ، أما الأصغر ، ويبعد عن

الأول ٢٠٠ باردة ، فيمثل امرأة ؛ وعرف الصنمان فى القرون الوسطى باسم « سرخبد » و « خنكبد » أى الصنم الأحمر والصنم الأبيض ؛ وقد شوهتهما قنابل المدافع فى العصور الحديثة ، ويقال إن ذلك حدث بأمر الإمبراطور الهندى أورنگ زيب ؛ ومع كل فقد نسبت المدينة إليهما وأطلق عليها اسم « بد باميان » فى عهد متأخر يرجع إلى القرن التاسع عشر كما جاء فى رواية عبد الكريم البخارى (طبعة شفر ، ص ٤ وما بعدها) والرحالة الإنكليزى موركرفت (Himalaxan Provinces : Moorcroft ج٢ ، ص ٣٨٧) ؛ ولم يبق الآن من النقوش [١] التى ذكرها ياقوت إلا أثر ضئيل . وقد أورد برنز Burnes وغيره صورة للصنمين فى حالتهما الراهنة فى كتابه Travels into Bukhara (لندن سنة ١٨٣٩ ، ج ٢ ، ص ١٥٩)

وكان لايزال بباميان فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) معبد عظيم لبوذا به عدد من الأصنام أيضاً ، وفى عام ٢٥٦هـ (٨٧٠م) خرب يعقوب الصفّارى هذا المعبد وحملت الأصنام إلى بغداد فى ربيع الثانى من عام ٢٥٧ (٢٦ فبراير — ٢٦ مارس من عام ٨٧١؛ انظر المقارنة التى عقدها بارتولد بين رواية الطبرى ، ج٣ ، ص ١٨٥١ ورواية الفهرست ص ٣٤٦ فى .Oriental. Stud Noldeke- Festschrift ، ج١ ، ص ١٨٧)

والمدينة نفسها فوق جبل ، ويصفها الرحالة هيان چوانغ والمقدسى (ص ٣٠٣) من بعده بأنها مدينة صغيرة ، ويذهب الإصطخرى (طبعة ده غويه ، ص ٢٨٠) إلى أنها نصف بلخ فى المساحة ، بينما يزعم اليعقوبى (طبعة ده غويه ، ص ٢٩٩) وياقوت أن بالباميان قلعة حصينة . ومهما يكن الأمر فإن المدينة لم تكن محاطة بسور ؛ وهناك باب بغزنة ، وهو الباب الشمالى فيما يظهر ، يعرف بباب باميان (المقدسى ، ص ٣٠٤) ؛ وإذن فقد كانت باميان على شىء من الأهمية فى ذلك الوقت ، ولكن تجارتها لم تكن ناشطة بالقياس إلى ما كانت عليه فى العصور المتأخرة، وشاهد ذلك البيان الذى أورده ابن خرداذبه (طبعة ده غويه ، ص ٣٧٢) عن خراجها والمبلغ الضئيل المحصل بمقتضاها ، وهو يبلغ فى روايته خمسة آلاف درهم .

ويلقب أمير باميان بلقب « شير » (ويكتب « شار » أيضاً) وقد زعم اليعقوبى خطأً أن معناه الأسد (ص ٢٨٩) ، وحقيقة الأمر أن معناه « الملك » وهو مشتق من اللفظ الفارسى القديم « خششريه » (Eranshahr : Marquart)

ويقول اليعقوبى فى مؤلفه « كتاب البلدان » إن أمراء الباميان اعتنقوا الإسلام فى أيام العباسيين فى خلافة المنصور ، بينما يزعم فى تاريخه (طبعة هوتسما ، ج٢ ، ص ٤٧٩) أنهم اعتنقوه فى خلافة المهدى ، والحق إن علاقات العباسيين بالبلاد التى فى شمالى هندوكش وجنوبها ليست واضحة تمام

---

(١) روى ياقوت أن بالمدينة (بيت ذاهب فى الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله على وجه الأرض يتتابه النحار) .

الوضوح . فاليعقوبي يقول إن الباميان كانت تابعة لطخارستان ، أي للبلاد التي في إقليم جيحون ، وربما كانت رواية الطبري (جـ٢ ، ص ١٦٣٠ ، س ١) بأن أعجميا من باميان حكم « ختّل » في شمال نهر جيحون حوالي عام ١١٩هـ (٧٣٧م) تؤيد ماذهب إليه اليعقوبي . ونجد الإصطخري من جهة أخرى (ص ٢٧٧) يقول إن عمل الباميان يضم البلاد التي في جنوبي هندوكش بما فيها فروان وكابل وغزنة . وجاء في وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ٧١٨م ونشرت في المصادر الصينية أن أمير الباميان وأمراء البلاد الممتدة إلى نهر السند كانوا من أتباع الأمير التركي « يبغو » الطخارستاني . ويظهر أن باميان كانت تحكمها في هذه الفترة أسرة من أصل هيطلي . وكانت هذه الأسرة لا تزال تحكم في الربع الأول من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) كما كانت لا تزال على البوذية . (*Documents sur les Toukiue* : E. Chavannes) *Turcs occidentaux*) : سانت بطرسبرغ ، عام ١٩٠٣م ، ص ٢٠١ ، ٢٩١) .

وولي أعضاء أسرة الباميان — شأن كثير من أمراء آسية الوسطى — مناصب ذات خطر ببلاط بغداد في أواخر عهد العباسيين . ويذكر الطبري (جـ٣ ، ص ١٣٣٥) أن أميرا من الباميان ولي على اليمن في ربيع الثاني من عام ٢٢٩ (٢٨ ديسمبر ٨٤٣ — ٢٥ يناير ٨٤٤) .

ويظهر أن الأسر الوطنية قد تغلب عليها الغزنويون آخر الأمر . وشاهد ذلك أن فرعا من أسرة الغوريين حكم الباميان نصف قرن (٥٥٠ — ٦٠٩هـ = ١١٤٤ — ١٢١٢ / ١٢١٣م) وكانت المدينة وقتئذ حاضرة مملكة تضم كل طخارستان وبعض النواحي في شمال نهر جيحون وتمتد شمالا بشرق حتى تصل إلى حدود كاشغر . ودخلت هذه المملكة — شأن بلاد الغوريين الأخرى — في دولة محمد شاه الخوارزمي في بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . ومنحت الباميان وغزنة وغيرهما إلى جلال الدين أكبر أولاد خوارزمشاه (النسوي ، طبعة هوداس ، الأصل ص ٢٥ ؛ والترجمة ص ٤٤) . ومعنى ذلك أن الباميان انفصلت ثانية عن طخارستان وضمت إلى الأقاليم التي في جنوبي هندوكش ، ثم خرب المغول المدينة بعيد ذلك عام ٦١٨هـ (١٢٢١م) وسقط « متكن » Mütügen حفيد جنكيز خان أثناء حصار المدينة فأخذ هذا بثأر حفيده ودمر المدينة تدميراً وأفنى أهلها . ومن ثم سميت « موبالق » أي المدينة المشؤومة ، ويروي رشيد الدين أنها سميت « موقورغان » أي القلعة المشؤومة . وكانت المدينة مهجورة أيام الجويني المؤرخ وبذلك تكون قد ظلت على هذه الحال أربعين عاما .

ومن الواضح أن المدينة التي بنيت فوق تل وخربها جنكيزخان هي عين الأطلال المعروفة الآن بـ « گلگلة » . وهذه الأطلال فوق تل في الجنوب وتواجه الصخرة التي تقر فيها الصنمان .

وباميان الحديثة على مسيرة بضعة أميال غربي أطلال المدينة القديمة ، وليس لها الآن شأن سياسي

يذكر . ويقتصر الرحالة المحدثون في وصفها على أنها قرية كبيرة . وكانت باميان في القرون القليلة الأخيرة تضم دائماً إلى كابل وغزنة . وقد ألحقت — شأن هذين البلدين — بدولة المغول حتى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ثم ألحقت بعد ذلك بمملكة أفغانستان الحديثة النشأة : ويقول عبد الكريم البخارى (طبعة شفر ، ص ٤ وما بعدها) إن مائة ألف روبية كانت تجبى سنويا من الباميان لحكام أفغانستان في بداية القرن التاسع عشر : وذهب الرحالة الهندى « منشى موهان لال » إلى أن ما يحصل من الرسوم الجمركية وحدها بلغ سبعين ألف روبية (*Journal of a Tour through the Pangab.* ، ١٨٣٥ م ، ص ٣٧) . ويقول هذا الرحالة أيضاً إن أهل الباميان يتكلمون لغتين ، الفارسية والپشتو .

وسكان الوادى هم في الغالب من جنس « الهزاره » :

المصادر :

(١) الفقرات التي جمعها ماركار J. Marquart مما كتبه العرب والصينيون في *Eranshahr* برلين سنة ١٩٠١ م ، انظر الفهرس (٢) L. Strange : *The Lands of the Eastern caliphate* . كمبردج عام ١٩٠٥ ، ص ٤١٨ ويجب ألا يؤخذ ما ورد في هذا الكتاب على عواهنه ، لأن مارواه المقدسى ، ص٣٠٣ ومابعدها عن غزنة طبق خطأ على الباميان (٣) أما عن تاريخ الغوريين في باميان فانظر : طبقات ناصرى ، طبعة Nassau Lees ، ص ١٠١ وما بعدها ، والترجمة التي قام بها Raverty ، ص ٤٢١ وما بعدها .

أما فيما يختص بفتح المغول للمدينة فانظر (١) الجوينى : تاريخ جهان گشاى في كتاب Schefer : *Chrestomathie Persane* ، ص ١٤٢ وما بعدها (٢) رشيد الدين : جامع التواريخ في Berezin : *Trudi. vost. otd. Imp. Russk. Archeol. Obshch.* ج ١٥ من النص ، ص ١١٦ (٢) d'Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ١ ، ص٢٩٤ ومابعدها (٣) Minaiew : *Sviedieniya o stranach po vierchovyam Amu-Daryi* ، سانت بطرسبرغ ، عام ١٨٧٩ ، انظر الفهرس . وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب ملاحظات الرحالة المحدثين .

[بارتولد W. Barthold]

* وباميان في الوقت الحاضر مركز يتصل بكابل وقندز بطرق تسير فيها السيارات ؛ ومعظم أهل الوادى من أرومة الهزاره ؛ ولكن توجد أيضاً قرى من التاجيك ، ويتحدث الأهالى لغتين ، الفارسية والپشتو (الأفغانية) ولكن الفارسية هى الأكثر شيوعاً ؛ وتقع المحلة الحديثة تحت الصخرة الشاهقة مباشرة التي نحت فيها الصنمان العظيمان ، ويقع حصن گلگله الخرب على مسيرة ميلين إلى الجنوب الشرقى ، وهو على مرتفع جنوبى الوادى ، وقد سلم بوجه عام بأن هذه هى المدينة التي أقيمت على تل والتي دمرها جنگيز خان ولعلها أيضاً الحصن المنيع الذى ذكره ياقوت واليعقوبى ، ولكنه ليس من الواضح هل كانت أيضاً هى موقع

المدينة الملكية التي ذكرها هيان چوانغ ، ذلك أن هذا الحاج يقول إنها تقع على الصخور الشاهقة جنوبي غرب الصنمين ولم يرد ذكر آثار في هذه الناحية .

المصادر :

ناقش المركز الجغرافى A. Foucher : *La Vieille Route de l'Inde* ، باريس ١٩٤٢ ؛ وقد وصفت النصب التذكارية البوذية J. Hackin et A. Y. Godard فى *Les Antiquités Bouddhiques de Bamiyan* باريس ١٩٢٨ ؛ و J. Hackin et J. Cari: *Nouvelles Rercherches à Bamiyan* ، باريس ١٩٣٣ ؛ ويجب مقارنة آراء Hackin فيما يتعلق بالتواريخ بما ذكره B. Rowland : *Wall Paintings in India, Central Asia and Ceylon* ، بوسطن سنة ١٩٣٨ ، وبخاصة حين صحح ما ذكره Bachhofer : *Art Bulletin* ، سنة ١٩٣٨ ، ص ٢٣٠ وما بعدها ، ويضمن Hackin مصنفه المذكور ، ١٩٢٨ ، معظم تقارير الرحالة الصينيين والأوربيين ، ومع ذلك فلا غنى عن Marquart (المصدر المذكور) و Chavannes (المصدر المذكور) ؛ وقد ناقش اتصالات الهياطلة : R. Chrishman : *Les Chionits Hepthalites* ، باريس ١٩٤٨ ؛ وانظر فيما يتصل بالتاريخ المتأخر Barthold : *Turkestan* الطبعة الثانية ، لندن ١٩٢٨ ؛ وانظر فى شأن الغوريين بباميان طبقات ناصرى (طبعة Nassau Lees) ، الورقة ١٠١ وما بعدها ؛ المصدر نفسه ، ترجمة Raverty ، الورقة ١٤٢ وما بعدها ؛ وانظر فيما يتعلق بالغزوة المغولية نص الجوينى (تأريخ جهان كشاى) فى Schefer : *Chrestomathie Persane* ، جـ ٢ ، الورقة ١٤٢ وما بعدها ؛ و d'Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ ١ ، الورقة ٢٩٤ وما بعدها .

صبحى [بارتولد وأولتشن Barthold - Allchin]

« بان » : (كلمة موجودة فى اللغتين العربية والفارسية ، وهى مأخوذة من الكلمة الهندية بهن Behen) . يذكر أبو حنيفة وديسقوريدس Dioscorides أن شجرة البان تشبه شجرة الكشت أى التمر هندى الشرقى ، فهى شجرة عالية باسقة ، خشبها لين وافر وأفرعها خضراء مرنة . وجاء فى كتب القدماء أن هذه الشجرة كانت منتشرة بصفة خاصة فى بلاد العرب السعيدة . وهى اليوم عين الشجرة المعروفة باسم Moringa aptera كما ذكر سكنبرگ Sickenberg. ومنطقة هذا النوع من الشجر تمتد من مصر العليا حتى بلاد الهند . ويستخرج من بذور هذه الشجرة أحسن أنواع الزيوت النباتية ، وكانت هذه البذور مشهورة فى الأزمان القديمة ، وكانت معروفة عند الرومان باسم glans unguentaria وعند الروم باسم بالانوس ميرپسيكى كما جاء فى كتاب ديسقوريدس . أما ثمر هذه الشجرة فأخضر اللون فاتحه على شكل الفولة ، ويسميه العرب « حب البان » أو « جوز البان » أو « فستق البان » .

وجرت العادة بأن تدق بذور هذا الشجر فى هاون ثم تنخل وتعصر ، وكان العرب فى العصور الوسطى يستخدمون الزيت المتحصل من

هذه البذور فى الطب علاجا ناجعا لشفاء كثير من الأمراض الجلدية مثل القروح والبرص . وإذا أخذ مثقال (٦ جرامات) من بذور هذا الشجر وخلط بماء العسل فإنها تكون مسهلا ومقيئا . وإذا خلط زيت هذه البذور بالماء والخل فإنه يشفى أمراض القلب التى تعترى الخيل مثل مرض القلاب . وإلى جانب هذه الوصفات الطبية فإن زيت البان يستعمل بصفة خاصة فى ترطيب الشعر

المصادر :

(١) موفق ، طبعة Seligmann ، جا : ص ٤٤ (٢) Achundow فى *Hist. Stud. aus d. pharmakol. Inst. zu Dorpat* ج٣ : ص ١٦٥ ، ٣٤٩ (٣) ابن البيطار : طبعة لكليرك Leclerc ، رقم ٢٢٦ ، ٩٣٢ (٤) ابن العوام ، ترجمة Clément-Mullet ، ج ٢ ، القسم الثانى ، ص ١٤٥ ؛

[J. Hell هل]

+ بان ، (فى العربية والفارسية) ، وهى شجرة Moringa optera Gaertn ، وكان ديوسقوريدس Dioscorides يعرف بوجودها فى بلاد العرب والبلاد الأخرى المجاورة ، ويقول جالينوس Galen ، فى حديثه عن دواء يحصلون عليه من هذه الشجرة ، إنه مستورد من العرب ؛ ويقول أبو حنيفة إن ثمرة هذه الشجرة — وتسمى « شوع » — كانت سلعة مطلوبة أشد الطلب وكانت تشترى ويدفع ثمنها مقدماً حتى قبل أن تنضج ، وكان خشبها بسبب خفته يستخدم أوتاداً للخيام ، ولطولها شجرة البان وقوامها الممشوق ، ونعومة خشبها شبَّه شعراء العرب المرأة الرشيقة الطويلة القامة بغصن البان .

وكانت الثمار التى عرفت عند اليونان باسم بالانوس ميرپسيكى والرومان باسم glans unguentaria تستخدم فى أغراض طبية شتى ، وبخاصة الزيت النقى المستخرج من بذورها ، فقد كان يتخذ علاجاً لبعض الأمراض الجلدية ؛ وكان عصير ثمرتها يمزج بالخل والماء ويعطى للجياد علاجاً لخفقان القلب ؛ وعلاوة على استخدام زيت البان فى الطب فإنه كثيراً ما كان يستخدم فى صناعة العطور .

المصادر :

(١) أبو حنيفة الدينورى : (Lewin) *The Book of Plants* ، رقم ٧٥ (٢) Achundow فى *Hist. Stud. aus d. pharmakol Inst. zu Dorpat* ج ٣ ، ص ١٦٥ و ٣٤٩ (٣) داود الأنطاكى : تذكرة ، القاهرة سنة ١٣٢٤هـ ، ج ١ ، ص ٦١ (٤) الغافقى (Meyerhof-Sobhy) ، رقم ١١٨ (٥) ابن العوام : فلاحة (ترجمة — Clément Mullet) ، ج ٢ / ب ، ص ١٤٥ (٦) ابن البيطار : الجامع ، بولاق سنة ١٢٩١هـ ، ص ٧٩ (٧) القزوينى ، Wüstenfeld ، ج ١ ، ص ٢٤٩ (٨) الكندى : كيمياء العطر (ترجمة Garbers) ، ص ٥٩ وما بعدها ، ١٨٠ وما بعدها (٩) Loew : *Die Flora der Juden* ، ج ٢ ، ص ١٢٤ و ٥٢٩ ؛ ج ٤ ، ص ٥٢٥ (١٠) النويرى : نهاية الأرب ، ج ١١ ، ص ١٥ ؛ ج ١٢ ، ص ٧٨ وما بعدها

(انظر Wiedemann فى *Arch. f. d. Gesch. d. Naturw. u. d. Techns* ؛ جـ٤، ص٤١٩ وما بعدها) ؛ (١١) تحفة الأحباب : (Renaud-Colin) رقم ٣٨٢ ؛

صبحى [كوپف L. Kopf]

+ « بانات » : (انظر مادة « طمشوار »)

+ « بانت سعاد » : هى العبارة التى استهلت بها قصيدة نظمها كعب بن زهير (انظر هذه المادة) فى مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ونذكر فى إيجاز الأسباب التى أدت إلى نظم هذه القصيدة فيما يلى : لما فتحت مكة سنة ٨ للهجرة حذّر بُجَيْر ، وكان قد أسلم ، أخاه كعباً بالمصير الذى لقيه بعض الشعراء هناك ، واستحثه على القدوم إلى المدينة أو التماس ملجأ فى غيرها . وأجابه كعب بأبيات ينكر على أخيه إسلامه . وهدد الرسول كعباً فقدم آخر الأمر إلى المدينة يائساً وقدم نفسه بين يدى النبى الذى كان وقتذاك جالساً فى المسجد بعد صلاة الصبح يحيط به صحابته ؛ ونجح كعب فى نوال العفو من النبى ، واعترافاً بجميل النبى تلا كعب جهرة قصيدته المشهورة التى أشار فيها بكرم المحسن إليه ؛ وسر النبى أعظم السرور بالقصيدة وخلع على الشاعر « بردته » ؛ ومن ثم أطلق على القصيدة فى كثير من الأحوال « قصيدة البردة » .

والقصيدة فى ٥٨ بيتاً ، وفيها نفس الخصائص العامة التى نجدها فى مألوف قصائد الشعراء الجاهليين . وقد كتبت شروح عدة على هذه القصيدة ، ونشرت القصيدة أول ما نشرت على يد لتّ Lette فى ليدن سنة ١٧٤٠ ، ثم نشرها فريتاغ Freytag مع ترجمة لاتينية فى هال Halle سنة ١٨٢٣ ، كما نشرها نولدكه (Th. Noeldeke فى كتابه *Delectus Veterum Carminum Arabicorum* ، برلين سنة ١٨٩٠ ، ص ١١٠ وما بعدها) . ونشرها باسيه Basset مع ترجمة فرنسية وشرحين (الجزائر سنة ١٩١٠) ؛ ونجد ترجمة إنكليزية لها فى كتاب نيكلسون (Nickolson : *Translations of Eastern Poetry and Prose* كمبردج سنة ١٩٢٢) . وثمة أيضاً ترجمة إيطالية لها بقلم گابريلى (G. Gabrieli ، فلورنسة سنة ١٩٠١) ، وترجمة ألمانية بقلم ريشر (O. Rescher ، إستانبول سنة ١٩٥٠) .

وقد ألهمت قصيدة كعب شاعراً آخر فنظم فى مدح الرسول قصيدة مشهورة أخرى هى « قصيدة البردة » ، وهذا الشاعر هو البوصيرى (انظر هذه المادة) .

المصادر :

(١) ابن هشام ، ص ٦٧ وما بعدها ، ٨٨٧ — ٨٩٣ (= A. Guillaume : *The Life of Mohammad* ، أوكسفورد ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٥٩٧ وما بعدها ، وترجمة Weil ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ وما بعدها) ؛ (٢) ابن قتيبة : الشعر ، طبعة ده غويه ؛ وطبعة أحمد محمد شاكر القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ ، ص ١٠٤ — ١٠٧ ؛ (٣) الأغانى ، جـ ١٥ ، ص ١٤٧ — ١٥١ . (٤) ابن حجر :

الإصابة ، مادة كعب بن زهير . (٥) W. Muir : Life of Mohammad ، الطبعة الثانية ، ص ٤٣٦—٤٣٧ . (٦) Caetani : Annali ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ : (٧) G. Gabrieli : Al-Burdatân ، فلورنسة سنة ١٩٠١ . (٨) معجم سركيس ، عمود ١٥٦٢ (٩) Brockelmann ، ج ١ ، ص ٣٢ — ٣٣ ؛ قسم ١ ، ص ٦٨ — ٧٠ حيث ذكرت طبقات أخرى وترجمات وشروح .

[خورشيد عنايت الله Sh. Inayatullah]

« باندا » : اسم مدينة وإقليم فى « بُنْدِلْخَنْد » بالولايات المتحدة بالهند : وتبلغ مساحة الناحية ٣٠٦٠ ميلا مربعاً أو ٧٩٢٥ كيلومتراً مربعاً ، وبلغ عدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٩٠١ : ٦٣١٠٥٨ نسمة سدسهم مسلمون : أما المدينة فهى على نهر « كن » ويبلغ عدد سكانها ٢٢٥٦٥ نسمة : وفى بداية القرن التاسع عشر كانت « باندا » مقر « شمشير بهادر » حفيد المراطها باجى رآو من زوجة مسلمة . وقد غادر هذه المدينة آخر حكامها (النواب) على أثر الفتنة التى نشبت سنة ١٨٥٧ م . وأجرت الحكومة البريطانية على أسرته معاشاً .

المصادر :

(١) District Gazetteer of the United Provinces ، ج ٢١ ، طبعة الله آباد ، سنة ١٩٠٩

[كوتون J.S. Cotton]

+باندا : مدينة فى أوتار پراديش (الهند) على خط عرض ٢٥° ٢٨َ شمالا ، وخط طول ٨٠° ٢٠َ شرقاً ؛ وهى مقر الإقليم الذى يعرف بالاسم نفسه ، وقد بلغ عدد سكانها ٣٠,٣٢٧ نسمة سنة ١٩٥١ ، ولم تكن للمدينة أهمية تذكر إلا أنها لفتت الأنظار أثناء فتنة الجنود المسلمين الملتحقين بخدمة الإنكليز سنة ١٨٥٧ حين قاوم حاكمها الأخير نواب على بهادر الثانى، الإنكليز مقاومة عنيفة ، على أن المدينة استسلمت آخر الأمر فى أبريل سنة ١٨٥٨ ، وكانت مجرد قرية حتى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ولكنها سرعان ما اتسعت عندما جعل منها شمشير بهادر — الذى يقال إنه الابن الطبيعى للپيشوا باجى رآو الأول (١١٣٩ — ١١٥٣ هـ = ١٧٢٦ — ١٧٤٠ م) ؛ من إحدى محظياته التى دخلت فى الإسلام — قصبة الأملاك التى أنعم بها الپيشوا عليه ، وقد حارب شمشير بهادر فى جانب المراطها فى وقعة پانيپت الثالثة سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) ، وأصيب بجرح بالغ وتوفى بعدئذ فى بهرتپور ؛ وقد أخضع ابنه على بهادر الأول كثيراً من الأماكن فى بندلخند بمعاونة سندهيا گواليور ، وخلفه ابنه ذو الفقار بهادر الذى عقد اتفاقاً مع البريطانيين سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) وأنعم عليه بلقب نواب وثبت فى ولايته على « جاگير » باندا ؛ وباندا مدينة سيئة البنيان ، وفيها عدد كبير جداً من أماكن العبادة ، إسلامية وهندوسية ، وقد بنى المتبجلىّ الجامع ، وهو أكبر

ما فى المدينة ، النوابُ الأخير على بهادر الثانى ، وكان نصيراً للعلم وامتدحه الشاعر الهندى ميرزا غالب بالأوردية والفارسية .

المصادر :

(١) *Imp. Gaz. of Ind.* ، مادة Banda (٢) غلام رسول مهر : *Ké Mudjahid* 1857 ، لاهور سنة ١٩٥٧ ، ص١٦٨—١٧١ (٣) *District Gagz. of the United Provinces* ، باندا ، جـ ٢١ ، الله آباد ، سنة ١٩٠٩ .

صبحى [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

« بانكيپور » : الضاحية الغربية لمدينة « پتنه » على الشاطئ الأيمن لنهر الگنگ ، وهى على خط عرض ٢٥° ٣٧َ شمالا ، وخط طول ٨٥° ٨َ شرقى گرينوتش . والمكتبة العامة الموجودة فى هذه الضاحية فيها أحسن المجموعات من المخطوطات العربية والفارسية التى توجد فى الهند ، ويبلغ عددها نحو ٦٠٠٠ مخطوط . وهذه المكتبة أنشأها مولوى محمد بخش خان المتوفى سنة ١٨٧٦ م ، وكان شديد الميل إلى جمع المخطوطات النادرة .

المصادر :

(١) فهرست المخطوطات العربية والفارسية الموجودة بمكتبة بانكيپور الشرقية : *Catalogue of the Arabic and Persian manuscripts in the Oriental Public Library of Bankipore* طبعة كلكته ، سنة ١٩٠٨ ومابعدها .

+ بانكيپور : الضاحية الغربية لمدينة پتنه التى تعرف بعظيم آباد عند المؤرخين المسلمين ، وهى على خط عرض ٢٥° ٣٧َ شمالا ، وخط طول ٨٥° ٨َ شرقاً ، على الضفة اليمنى لنهر الگنگ . وأعظم معالم بانكيپور هى الصومعة أو مستودع الغلال الذى بناه من الآجر على شكل خلية النحل وارّن هيستنگز Warren Hastings بعد القحط المروع الذى حل بالبلاد سنة ١٧٦٩ — ١٧٧٠ ؛ والمدينة مشهورة فى الدوائر الشرقية بمجموعتها القيمة من المخطوطات العربية والفارسية وبعضها نادر كل الندرة ؛ ومكتبة بانكيپور ، وتسمى فى وثائق الأمانة « مكتبة پتنه الشرقية العامة » ، وتعرف أيضاً باسم « مكتبة خدابخش » ، تشمل كتباً نفيسة فى الأدب الإسلامى ، وكان منشئها مولوى خدابخش المتوفى سنة ١٩٠٨ ، رجلا صناعته المحاماة من أهل چهپرا (بهار) كرس حياته بأسرها لجمع المخطوطات النادرة من مراكز الثقافة القديمة مثل القاهرة ودمشق وبيروت وأماكن أخرى فى بلاد العرب ومصر وفارس ، وكان اللورد كرزون Lord Curzon حاكم عام الهند (١٨٩٩ — ١٩٠٥) هو الذى كلف سير إدوارد دنيسون روس Sir Edward Denison Ross بإعادة تنظيم المكتبة وبإعداد فهرس منهجى لها ؛ وقد نشر حتى الآن ٣١ مجلداً تصف نحو ٤٠٠٠ مخطوط من مجموع يزيد على ٦٠٠٠ مخطوط ، وذلك بفضل التعاون المستمر الذى يتسم بالصبر ، بين

سر إدوارد دنيسون روس وعبد المقتدر وعظيم الدين أحمد وعبد الحميد ومسعود عالم ندوى .

المصادر :

(١) V.C. Scott O'Connor : *An Eastern Library* ، گلاسگو سنة ١٩٢٠ (٢) *Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Pablic Library at Bonkipur* ، كلكتة ، سنة ١٩٠٨ — ١٩٣٩ (٣) *Imperial Gazetteer of India* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٨ ، جـ ٦ ، ص ٣٨٢—٣٨٣ .

صبحى [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

« بانِيَاس » : وهى بانياس Paneas القديمة ، وقد اشتق اسمها من پانيون Paneion وهى مغارة كرست للإله پان Pan على المنبع الأصلى لنهر الأردن على سفح جبل حرمون Hermon ، وسميت بعد ذلك قيصرية فيليبى Caesara Phlippi ، ولكن غلب عليها — كما هى العادة — الاسم القديم : وذكرت المغارة والمدينة وما جاورهما باسم بانياس لأول مرة فى العهد اليونانى المتأخر (الهلينستى) ولكن الراجح أن لهذا المكان اسما آخر فى العهد القديم . وقد شيد هيرود الأكبر معبداً جميلا لأغسطس فى جوار المغارة ، وزاد ابنه فيليب فى مساحة المدينة ونهض بها وأطلق عليها قيصرية Caesarea تعظيماً لذكرى أغسطس : وكان بها فى القرن الرابع أسقفية : أما فى العهد الإسلامى فقد سكن مدينة بانياس بنو قيس خاصة ، ويقول اليعقوبى إنها كانت قصبة الجولان ، ويضم إليها المقدسى المدينة التى فى الغور على الحدود بين لحولة والجبال فى إقليم دمشق ويصفها بأنها مدينة كثيرة الخيرات وأنها بمثابة سوق للدمشق وأن سكانها فى أيامه أخذوا فى الزيادة لأن أهل الثغور رحلوا إليها بعد فتح طرسوس عام ٩٦٣ م : وفى عام ١١٢٦ م كانت هذه المدينة إحدى قواعد الإسماعيلية عندما سلمها الأتابك طغتكين صاحب دمشق إلى بهرام : وكانت بانياس وقلعة الصُّبَيْبَة المرتفعة القائمة على طنف صخرة فى عهد الصليبيين مركزاً لكثير من الحروب .

وفى عام ١١٣٠ م سلمها الإسماعيلية إلى الفرنجة الذين أقطعوها للفارس رنييه بروس Renier Brus : ولكن سرعان ما استعادها شمس الملوك أتابك دمشق عام ١١٣٢ م ثم سلمت إلى زنكى ، ولكن الفرنجة اتحدوا مع الدمشقيين واستعادوها وأقطعوها مرة أخرى إلى بروس وأصبحت مقر أسقفية للمرة الثانية : وبعد محاولة فاشلة غزا نور الدين المدينة عام ١١٥٧ م ولكنه لم يستطع انتزاع قلعة الصبيبة من أيدى الصليبيين ، بيد أنه أرغم على تسليم المدينة عند اقتراب بلدوين الثالث مع جيشه : وفى عام ١١٦٤ تمكن نور الدين من احتلال المدينة والقلعة : ومنذ ذلك الحين ذهبت جميع محاولات الفرنجة لاسترداد المدينة أدراج الرياح (مثل محاولتهم عام ١١٧٤ م) :

ووهب صلاح الدين بانياس لابنه الأفضل ، ثم استولى عليها بعد ذلك المعظم (١٢١٨ — ١٢٢٧ م) الذى أقطعها أخاه العزيز عثمان ، فلما توفى العزيز

أصبحت من نصيب ابنه السعيد . وأعاد عثمان والسعيد الحصون التى خربها المعظم كما يتضح من النقوش التى لا تزال باقية حتى الآن . وبعد ذلك بزمن خرب المغول قلعة الصبيبة إلا أن بيبرس أعاد بناءها عند فتحه مدينة بانياس عام ١٢٦٠ م .

ويصف الدمشقى مدينة بانياس حوالى عام ١٣٠٠ م بأنها مدينة قديمة حصينة ، ويذكر — مثل أبى الفداء — قلعة الصبيبة المجاورة لها . وفى القرن الخامس عشر الميلادى قال الظاهرى إنها مدينة جميلة ولم ينس أن يذكر الأرز الذى يزرع فيها ويصدر منها ؛ ويستدل من الآثار الباقية فيها على ما بناه الفرنجة وما أضافه العرب .

المصادر :

(١) Robinson : *Palaestina* ، جـ ٣ ، ص٦٢٦—٦٣٠ ؛ (٢) الكاتب نفسه : *Neuere biblische Forschungen* ، ص ٥١٩ — ٥٣٨ ؛ (٣) Guérin : *Galilée* ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ ومابعدها ؛ (٤) *Palestine Exploration Fund Memoirs* ، جـ١ ، ص ١٠٩ وما بعدها . (٥) Max v. Berchem : *Le chateau de Bânias et ses inscriptions* فى المجلة الأسيوية ، جـ ١٢ سنة ١٨٨٨ م ، ص ٤٤٠ وما بعدها (٦) اليعقوبى : المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، جـ ٧ ، ص ٣٢٦ (٧) المقدسى : المكتبة الجغرافية العربية ، جـ٣ ، ص ٥٤ ، ص ١٥٤ ، ص ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٩٠ وما بعدها . (٨) الدمشقى : طبعة مهرن ، ص ٢٠٠ . (٩) أبو الفدا : طبعة رينو وده سلان ، ص ٢٤٩ . (١٠) R. Hartmann : *Die Geogr. Nachrichten in Khalil Al-Ẓahiris Zubda* ، ص ٥٥ (١١) ابن الأثير : طبعة تورنبرغ ، جـ ٥ ، ص ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٨١ وما بعدها ، جـ ١١ ، ص ٣٦ ، ٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٦٩ ، جـ ١٢ ، ص ٦٣ . (١٢) المقريزى : السلوك ، ترجمة كاترمير Quatremère ، جـ١ ، ص ١٤١ ؛

[بول Fr. Buhl]

+ بانياس : وهى بلانيه Balanea القديمة ، التى كان يطلق عليها أيضاً اسم ليوكاس Leucas ؛ وقد بذلت المحاولات مرارا لإثبات أنها عين بلدة تعرف باسم « أپولونيا » Apollonia التى لم تقم قط فى هذا الموقع (R. Dussaud) . وبانياس اليوم بلدة صغيرة على ساحل الشام على مسيرة خمسين كيلومتراً جنوبى اللاذقية ؛ وهذه المستعمرة الفينيقية القديمة ، التى أصبحت مدينة يونانية تضرب السكة الخاصة بها ، وغدت فيما بعد مقرا لأسقفية ، أدخلت فى جند حمص أيام الفتح العربى ، على أن ثغرها الصغير ظل مشهدا للنشاط ، وبخاصة أيام الحروب الصليبية وهو الثغر الذى يحميه حصن وتسيطر عليه قلعة مرقب (انظر هذه المادة) المنيفة التى تقوم على طنفه الصخرى ، وكانت ولنية Valenia ، التى احتلها الفرنجة سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) ، وتدعم مركزها بالاستيلاء على مرقب سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) من أهم إقطاعات إمارة أنطاكية ، فى الطرف الأقصى لكونتية طرابلس ، وظلت ، بعد أن عهد بها مع مرقب إلى الإسبتارية سنة ٥٧٢ هـ

(١١٨٦ م) قاعدة من أواخر قواعد المقاومة للغزو الإسلامى ، وقد دمرتها الهجمات التى تعرضت لها ، وبخاصة هجمات صلاح الدين حتى تم غزوها على يد قلاوون سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) بل تدمرت تدميراً تاماً حتى أنها فقدت تماماً شأنها الإدارى لحساب مرقب ، ولم يسترع انتباه جغرافيى العرب إلا موقعها وحدائقها ؛ والمدينة الحالية ليس فيها حتى الآثار التى يمكن أن تتحدث عن رخائها القديم

المصادر :

(١) R. Dussaud : *Topographie de la Syrie* ، باريس سنة ١٩٢٧ ، وبخاصة ص ١٢٧ — ١٢٩ (٢) Pauly-Wissowa ، انظر مادة *Balanaia* (٣) Cl. Cahen : *La Syrie du Nord* ، باريس سنة ١٩٤٠ ، الفهرس (انظر مادة Boulounias) ؛ (٤) J. Weulersse : *Les Pays des Alaouites* ، تور ، سنة ١٩٤٠ ، الفهرس (انظر مادة Banyas) ؛ (٥) G. Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، لندن سنة ١٨٩٠ ، وبخاصة ص ٤٢٤ و ٥٠٤ ؛ (٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣٣ (٧) المكتبة الجغرافية العربية ، الفهارس (٨) ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٣٣٤ (وقد ذكر بالفعل بانياس) ؛ (٩) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧٢٩ ؛ جـ ٤ ، ص ٥٠٠ (١٠) أبو الفدا : تقويم ، ص ٢٥٥ ؛ (١١) الدمشقى ، طبعة Mehren ، ص ٢٠٩ .

صبحى [سوردل تومين J. Sourdel-Thomine]

« پانيپت » : مدينة وتحصيل فى إقليم كَرْنال بالپنجاب (انظر هذه المادة) ، وقد تحدد فى ثلاث مناسبات مختلفة مصير بلاد الهند فى سهل پانيپت : الأولى عام ١٥٢٦ وذلك عندما هزم بابر (انظر هذه المادة) وبرلاس التركى إبراهيمَ لودى ؛ والثانية عام ١٥٥٦ عندما قضى أكبر (انظر هذه المادة) على قوات هيمو ، أما آخر مرة فكانت عام ١٧٦١ وذلك عندما قضى أحمد شمس درانى (انظر هذه المادة) على المراطهاء والعوامل الرئيسية التى سببت هذه الحوادث ترجع إلى موقع هذا الإقليم الجغرافى مضافاً إلى ذلك انحلال الأمور فى الداخل وضعف وسائل الدفاع على الحدود . ونجد أن طريق الغزاة من ناحية الأفغان يمر بممرات خيبر وكرّم وتوچى وگومال إلى سهول الپنجاب ، وهذه الممرات أضعف الجهات مقاومة ؛ ولم يكن نهر السند يوما ما حائلا دون التقدم نحو هذا الإقليم ؛ ولما كانت صحراوات راجپوتانا تحمى هذا الإقليم من ناحية الجنوب فقد اضطرت الجيوش المغيرة أن تنفذ إلى وديان نهر الگنگ وجمنه عن طريق الممر الضيق بين الحد الشمالى الشرقى للصحراء وسفح جبال هملايا ؛

وكان الرأى السائد لعهد طويل ، أن انتصار بابر على إبراهيم لودى سنة ١٥٢٦ يعزى إلى اعتماده الكبير على فرق المدفعية . ومصدر هذا الخطأ الترجمة غير الدقيقة لكلمة « عربة » . فإن بابر قد استخدم حقيقة سبعمائة عربة ولكن من الخطأ أن نعتبرها عربات لجر المدافع لأن

الكلمة لا تدل إلا على معنى العربة فحسب . وليس هناك من النصوص أو الشواهد ما يدل على أنه كان لبابر مثل هذا العدد الكبير من المدافع بحيث تحتاج إلى سبعمائة عربة لنقلها . والذى نستدل عليه من سيرة بابر التى كتبها بنفسه أنه كان عنده مدفعين فقط ، وأن بابر نفسه تجعل هذا الانتصار راجعاً إلى رماة النبال : وتعود أهمية الحرب الأولى التى حدثت فى پانيپت إلى أنها حددت مصير أسرة لودى . وأعظم من ذلك تلك المقاومة التى بدت من جانب الراجپوتيين عند قهانوه فى العام التالى .

وللحرب الثانية التى حدثت فى پانيپت سنة ١٥٥٦ والتى هزم فيها أكبر هيمو أهمية كبرى فى تاريخ الهند ، لأنه لم تكن هناك إمبراطورية مغولية قبل عهد أكبر ، ولكن كانت هناك محاولات لإنشاء هذه الإمبراطورية .

وبعد أن هزم أحمد شمس درانى المراطها فى سنة ١٧٦١ لم يحاول التمكين لنفسه فى بلاد الهند بل رجع إلى أفغانستان . ولم تكن هزيمة المراطها فى تلك الموقعة إلا شيئاً موقتاً لأنهم سرعان مااستعادوا قوتهم وأصبحوا مرة أخرى سنة ١٧٧١ خطراً يهدد السلام فى الهند : وترجع أهمية هذه الحرب إلى أنها يسرت السبيل لتضخم النفوذ البريطانى فى تلك البلاد .

المصادر :

(١) A.S. Beveridge : بابر نامه ، ج ٢ ، سنة ١٩٢١ ؛ (٢) H. Beveridge : أكبرنامه ج ٢ ، ص ٥٨ وما بعدها ؛ (٣) على محمد خان : مرآة أحمدى ، Ethé ، رقم ٣٥٩٨ ، ورقة رقم ٥٨٣ وما بعدها) ؛ (٤) نگارنامه هند ، أورم سنة ١٨٩٦ . انظر كذلك Asiatic Researches ج٣ ؛ Elliot and Dowson ج ٨ ، ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ؛ (٥) *Selections from the Peshwa's Daftar, Letters and Dispatches relating to the Battle of Panipat 1747-1761* طبعة عام ١٩٣٠ .

[C. Collin Davies كولن ديفز]

+ « الباه » : من المصطلحات التى تطلق فى العربية على الجماع ؛ والفقه يستعمل أصلا « الوطء » : والباه ، من حيث المبدأ ، حرام (مثله فى ذلك مثل ممارسة صلات جنسية أقل درجة) إذا كان الطرفان غير متزوجين أو لا يربطهما رباط الملكية كالمولى وأمته : فإذا لم يكن الأمر كذلك فإن القانون الجنائى يتدخل للمعاقبة على « الزنا » بالموت على الأغلب (انظر مادة « حد الزناء » ومادة « مُحْصَن ») ، وهذا من حيث النظر على الأقل : على أنه جاء فى حديث مشهور أن الوطء إذا بوشر بما يتفق مع الشرع هو صدقة عند الله : ويرى الفقه أن معظم الممارسات الجنسية حلال للزوجين ، وربما كان ذلك مقيداً بقيد واحد هو « الوطء فى دبرها » .

والباه من حيث النظر مباح فى جميع الأوقات إلا فى ظروف بذاتها تتصل بالشعائر الدينية ، ذلك أنه غير مباح فى وقت الصيام فى رمضان

أو أثناء الإحرام فى الحج ؛ ومع ذلك فقد جاء فى الآية ٢٣١ من سورة البقرة : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ... » ، ولم يقترن نهى القرآن (سورة البقرة ، الآية ٢٣٠) عن إتيان النساء فى المحيض بفرض عقوبة ، على الأقل فى هذه الدنيا .

ولم يمنع الفقه رؤية الشريكة عريانة ، إلا أن النبى يلتزم الحشمة الشديدة فى الوطء بهذا الخصوص وغيره . أما شرعية الوسائل التى تتخذ لمنع الحمل فانظر عنها مادة « عزل » . ولا يضع الفقه أى قيد على الاتصال بشريكة لم تصل إلى سن البلوغ ما دامت العملية الجنسية مستطاعة من الناحية الجسدية . ولم تتفق المذاهب فى مسألة هل يحق للزوجة أن تطلب مباشرة الحقوق الزوجية ، فمذهب مالك أباح للزوجة المهجورة من زوجها أن تطلب الطلاق . على أن الزوج يستطيع دائماً أن يطالب زوجته بأن تكون طوع أمره فى ذلك لأن الوطء هو جوهر النكاح (انظر هذه المادة) ، والفقه فى هذا يتفق واشتقاق الكلمة اللغوى لأن النكاح معناه الزواج والجماع .

المصادر :

(١) انظر مصادر مادة « عزل » . (٢) وانظر أيضاً : D. Pesle : *La femme Musulmane* .

[G.H. Bousquet بوسكويه] خورشيد

+ « باهُرْمُز » : (انظر مادة « هرمز ، با »)

« باهلة » : يطلق على قبيلة معن البدوية فى شمالى الجزيرة العربية عادة « بنى باهلة » نسبة إلى « باهلة » بنت صعب التى بنى بها ابن زوجها « معن » . وكانت مراعيهم فى القديم جنوبى اليمامة ، ويقال إنهم ظلوا هناك إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين . ثم نجدهم بعد ذلك يحتلون بئر الحُفَيْر على مسيرة أربعة أميال من البصرة ، وهذه البئر على جانب من الأهمية لوقوعها فى طريق الحجاج .

وكانت قبيلة باهلة سيئة السمعة حتى أن النسبة إليها وهى « باهلى » تعتبر من ألفاظ الهجاء .

المصادر :

(١) F. Wüstenfeld : *Register zu den genealogischen Tabbellen* ، ص ١٠٤ . (٢) O. Blau : *Die Wanderungen der sabaischen Stamme* فى *Zeitschr. Deutschen. Morgenl Gesell.* ، جـ ٢٢ ، ص ٦٧٠ (٣) O. Blau : *Arabian in sechsten Jahrhundert* جـ ٢٣ ، ص ٥٨٤ . (٤) L. Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، جـ ١ ، ٤٩ (٥) ديوان الفرزدق ، طبعة Boucher-Hell رقم ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٤٧٦ ، ٦٣٢ .

[هل J. Hell]

+ « الباهلى » ، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى : من علماء العرب فى اللغة والأدب ، كان من تلاميذ الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، وعلى هذا فهو من مدرسة البصرة . عاش أولا فى بغداد ثم انتقل منها إلى إصفهان ثم استقر آخر الأمر ببغداد وتوفى بها سنة ٢٣١ هـ (٨٥٥ م) . وقد سار فى تصانيفه بصفة عامة على نهج من تقدمه وكتب مثلهم كتاباً فى الشجر والنبات والإبل والحبوب والنخيل والخيل والطير والجراد ، وكان أول من تناول الجراد . وعالج فى مصنفاته الأمثال وأسماء الأعلام وأخطاء اللسان عند العامة . ولا شك أنه لو وصلت إلينا مصنفاته لأفدنا منها ووجدنا فيها ملاحظات قيمة ، ولكنها ضاعت .

المصادر :

(١) *Die grammatischen Schulen* : G. Flügel *der Araber* ، طبعة ليبسك سنة ١٨٦٢ ص ٨١ .
(٢) كتاب الفهرست طبعة فلوگل ، جـ ١ ، ص ٥٦
(٣) *Zeitschrift der Deutschen Morgenl. Gesellsch.* ، جـ ١٢ ، ص ٥٩٥ .

[J. Hell هل]

+ « الباهلى الحسين » : (انظر مادة « الحسين الخليع ») .

+ « الباهلى » عبد الرحمن بن ربيعة ، أى أنه من قبيلة باهلة : قائد عربى عرف بذى النور (الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٦٦٣) أو ذى النون نسبة إلى سفه كما قال ابن الأثير (الكامل ، طبعة القاهرة ، سنة ١٣٠٣ هـ ، جـ ٣ ، ص ٥٠) . وقد قاد عبد الرحمن طليعة جيش سُرَاقة بن عمرو الذى وجهه عمر إلى دربند (باب الأبواب) سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م ؛ انظر الطبرى : الموضع المذكور) وأهم حادثة رويت عما فعله المسلمون الذين كانوا حينذاك أصحاب السلطان فى القوقاز للمرة الأولى ، هو اللقاء الذى تم بين عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى والقائد الفارسى بدربند ، وتقدمه خضوعه للقائد العربى (الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٦٦٣ — ٢٦٦٤ ، وانظر ص ٢٦٦٧ ، ٢٦٦٩ — ٢٦٧١) . وقد ذكر الطبرى العهد الذى منحه هو « لأهل أرمينية والأرمن » وشهد به عبد الرحمن وأخوه سلمان بن ربيعة الباهلى (ابن عبد البر : الاستيعاب ، ص ٤٠٠ ؛ انظر الطبرى جـ ١ ، ص ٢٦٦٥ — ٢٦٦٦) وتوفى سراقة فى السنة نفسها فخلفه فى القيادة العليا عبد الرحمن ، وتلقى عبد الرحمن أوامر من عمر بالمضى فى زحفه قدماً إلى الخزر ، فسار مخترقاً الممرات التى فى الطرف الشرقى لجبال القوقاز حتى بَلَنْجَر ، ويظهر أن هذه المدينة قد أغير عليها مراراً فى السنوات القليلة التالية (الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٦٦٧ — ٢٦٦٨ ، ٢٨٩٠) . وعاد عبد الرحمن سنة ٣٢ هـ (٦٥٢ م) إلى بلاد الخزر وحاصر بلنجر (الطبرى ، جـ ١ ،

ص ٢٨٨٩ وما بعدها ؛ وانظر أيضاً ، ص ٢٦٦٨ وما بعدها) : ووقعت بين الطرفين المتقاتلين اشتباكات عنيفة استطاع الخزر أثناءها أن يخترقوا صفوف المسلمين وانضمت إليهم قواتهم الأخرى، وقتل عبد الرحمن وهو يحاول لم شعث رجاله ، وحمل أخوه سلمان العلم وحاول أن يخرج ببقية جيشه من باب الأبواب : ويقال إن الخزر قد احتفظوا بجثمان عبد الرحمن وتوسلوا به فى صلاتهم للاستسقاء (الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٦٦٩ ، ٢٨٩٠) : وهزيمة عبد الرحمن وموته علامة النهاية للحرب الأولى بين العرب والخزر : وتقول بعض المصادر (البلاذرى : فتوح ، ص ٢٠٤ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، طبعة فستنفلد ، ص ٢٢١) إن سلمان بن ربيعة الباهلى هو القائد العربى الذى قتل فى بلنجر .

المصادر :

(١) D.M. Dunlop : *The History of the Jewish Khazars* ، برينستون سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٧—٥٧ .

[D.M. Dunlope دنلوب] خورشيد

+ «بزاهنگ» : (انظر مادة « شبه جزيرة الملايو ») .

+ «باورد» : (انظر مادة « أبيورد ») .

«باوَنْد» : اسم أسرة إيرانية حكمت فى طبرستان من سنة ٤٥ هـ (٦٦٥ م) إلى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) ؛ وجدّ هذه الأسرة هو باو بن شاپور ابن كيوس الذى عاصر خسرو پرويز ، وعينه خسرو فى منصب « إسپهبد » أو « سپاذبتيه » أى رئيس الجيش . وأسرة باوند تشمل ثلاثة فروع : أولها من ١٣ أميرا حكموا من سنة ٤٥ هـ إلى سنة ٣٩٧ هـ (٦٦٥ — ١٠٠٦ م) ؛ والثانى من ثمانية أمراء حكموا من سنة ٤٦٦ هـ إلى سنة ٦٠٦ هـ (١٠٧٣ — ١٢١٠ م) ؛ وكان الثالث أيضاً من ثمانية أمراء حكموا من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٧٥٠ هـ (١٢٣٧ — ١٣٤٩ م) .

المصادر :

(١) تاريخ منجم باشى ، المجلد الثانى ، ص ٤٠١ وما بعدها (٢) Fr. Justi : *Iranisches Namenbuch* ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ : (٣) Edw. G. Browne : *History of Tabaristan* تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن إسفنديار ، نشر فى سلسلة گب التذكارية ، المجلد الثانى ، ص ١٨ وما بعدها :

[Cl. Huart إيوار]

«باويان» : قرية كردية من خمسة أو ستة أكواخ ، على مسيرة نصف ميل إنكليزى من قرية « حِنّص » التى تزيد عنها فى عدد السكان ، وقرية « باويان » فى مقاطعة الكرد المازورية ،

بين ناحية « نَوْكُرْ » فى جبل مقلوب بالقرب من الموصل وناحية عمادية المشهورة بالنقوش السريانية التى توجد على الصخور الموجودة فى خانق « خازير » القريب منها . وهذه النقوش زارها لأول مرة « رووبه » M. Rouet القنصل الفرنسى الذى خلف « ده بوتّا » de Botta ، ثم زارها المستر روس Mr. Ross وهو تاجر إنكليزى فى الموصل وصديق للسير هنرى لايارد Sir Henry Layard ، ومستر روس هذا هو غير م. د. روس M.D. Ross المشهور ، وقد ذكر لنا لايارد نتائج زيارة روس فى كتابه المسمى (Niniveh and its remains ، حـ ٢ ، ص ١٤٢) . وقد نقل هذه النقوش بعد ذلك « پلاس » V. Place الذى كشف « خُرْسآباد » ثم السير هنرى لايارد . وتوفى المستر بل Mr. Bell أحد الذين كانوا يرافقون لايارد فى تلك المنطقة سنة ١٨٥١ أثناء استحمامه . ولم تؤخذ صور شمسية لهذه النقوش بعد ، كما أنه لم تنقل صورة منها بضغط الورق عليها . والنقش الذى عمل فى عهد سنحريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق. م.) يشتمل على « تاريخ باويان» الذى يذكر أن سنحريب أحضر إلى موطنهم بعد ٤١٨ سنة صور آلهة مدينة « إيكلاتى » التى أنشأها « مردكنادنهى » الأكادى (بابليون) فى عهد « تجلات بلصر الأول » وهذا النقش يشتمل على مسألة هامة فى التاريخ الأشورى .

المصادر :

(١) H. Layard : Niniveh and its remains ، حـ ٢ ، ص ١٤٢ . (٢) الكاتب نفسه : Niniveh and Babylon ، ص ٢٠٧ وما بعدها . (٣) V. Place : Ninive et l'Assyrie (٤) Pagnon : L'inscription de Bavian ، طبعة باريس سنة ١٨٧٩ — ١٨٨٠ . (٥) G. Hoffmann : Syrische Akten Persischer Maertyer ، انظر الفهرس ، مادة Bavian و Hinnis (٦) C.F. Lehmann-Haupt : Zwei Hauptprobleme der alt. orient. Chronologie سنة ١٨٧٨ . (٧) P. Schnabel : Studien zur babylon-assyr. Chronologie نشرت فى Mitteilungen der Vorderasiat Ges. ، سنة ١٩٠٨ ، حـ ١ .

[هرزفلد E. Herzfeld]

« باى » : كلمة تركية ، أو إذا شئت الدقة صفة معناها غنى ، وقد ظهرت بهذا المعنى فى أقدم آثار اللغة التركية وهى النقوش الأورخونية . وقد تكون اسما بمعنى مالك للأرض أو العقار . [ما فى آسية الوسطى فكثيراً ما كانت تضاف إلى أسماء الأعلام إشارة إلى أنهم من السراة لا من العامة . وأقدم النصوص التى ظهرت فيها بهذا المعنى قصة « محمود باى » وزير الأمير گورخان زعيم القره خطاى الواردة فى تاريخ « جهان گشاى » للجوينى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى ؛ انظر d'Ohsson : Histoires des Mongols ، حـ ١ ، ص ١٦٨ ؛ W. Barthold : Turkestan ، حـ ١ ، النص ، ص ١١٣ ، حـ ٢ ، ص ٧٤ وما بعدها) .

[بارتولد W. Barthold]

+ « باى » : (انظر مادة « باك ») .

+ « باى » (بك) : الاسم الذى أطلق على حاكم بلاد تونس حتى ٢٦ يولية سنة ١٩٥٧ ، وهنالك خلع الباى الأمين الحاكم التاسع عشر من الأسرة الحسينية وأعلنت الجمهورية فى هذه البلاد .

والكشف عن أصل هذا اللقب يقتضينا أن نرتد إلى نهاية القرن السادس عشر : ففى ذلك الوقت أنشأ الباى عثمان منصب الباى (بگ فى التركية) دون أن يرجع للباب العالى الذى كان هو من أتباعه ؛ وخول حامل اللقب التأمر على القبائل وحفظ الأمن العام وجباية الضرائب : ولم يلبث الباى الذى تزود بكل هذه السلطات الواسعة ، أن أصبح أهم شخص فى البلاد . وكان هذا هو اللقب الذى تلقب به أغا الجنود حسين بن على رأس الأسرة الحسينية عندما تلقى من بعد براءة تعيينه باياً على تونس فى ١٠ يولية سنة ١٧٠٥ .

ولم تنظم ولاية العرش إلا متأخراً بمقتضى الميثاق الذى جاء فى الدستور التونسى الصادر فى ٢٦ أبريل سنة ١٨٦١ ، إذ نصت المادة الأولى منه على أن ولاية العرش وراثية فى أمراء الأسرة الحسينية بترتيب سنهم وبمقتضى الأحكام السارية فى المملكة . وكان هذا فى الواقع تقعيدا لحكم عرفى التزم به فى وراثة عرش تونس من أول قيام هذه الأسرة الحاكمة فيما عدا حالتين استثنائيتين .

وكانت تولية السلطان العرش تقترن بحفلتين : الحفلة الأولى خاصة يشترك فيها أكابر المملكة والأخصاء ، والثانية عامة تسهم فيها جماهير الرعية العريضة ، وهاتان الحفلتان تعيدان إلى أذهاننا : « البيعة الخاصة » و « البيعة العامة » : ونشأ من بسط الحماية على تونس أن أصبح ممثل فرنسا فى بلاد تونس يشترك فى حفلة تنصيب الباى ويخلع على الباى الجديد (البراءة الشريفة) باسم الدولة الحاميـــــة .

وقد نصت المادتان الثالثة والرابعة من المرسوم الصادر فى ١٦ أبريل سنة ١٨٦١ على أن الباى هو رئيس الدولة ، وهو فى الوقت نفسه رأس الأسرة الحاكمة ، وله السلطة الكاملة على أمرئه وأميرات أسرته ، ولا يجوز لأى منهم أن يتصرف فى شخصه أو فى ملكه إلا بموافقة سابقة من الباى : وهو يباشر سلطانه الأبوى عليهم ، ومن واجبه أن يمنحهم هذه المزية . ويدين أمراء الأسرة له بحق الطاعة ، طاعة البنوة للأبوة .

وقد كانت الألقاب التى يحملها الباى تشمل عدداً من العبارات تدل على مهامه السلطانية : فقد كان لقبه فى الوثائق الرسمية : « سيدنا ومولانا ...... ، باشا باى ، صاحب المملكة التونسية » . وهذا الأسلوب القديم فى الألقاب الذى يرجع بعضه إلى الحفصيين ويرجع بعضه إلى منتصف القرن الثامن عشر ، قد زاد عليه لقب جديد هو « المشير » الذى خلعه عليه الباب العالى حوالى سنة ١٨٣٩ ، على أن ثلاثة

بابات فحسب هم الذين لقبوا به . ولم يلقب الباى بأية ألقاب خاصة على خلاف ما جرى عليه الحفصيون .

ويجب أن نذكر من الشعائر الخاصة بالسلطنة كسوة التشريفة التى كان يرتديها الباى فى المحافل الرسمية علاوة على العرش الذى كان خاصاً بالأسرة . وكان يزيد فى هذه الشعائر المادية تقبيل يديه المفروض على رعاياه ، وغير ذلك من شعائر السلطنة . وكان للباى مخصصاته ، وحرس شرف ، وعلم ؛ وله حق منح النياشين (نشان الدم ، عهد الأمان ، نشان الافتخار) والرتب العسكرية الشرفية . وأخيراً ، فإنه كان يقام كل خميس « حفل الخاتم » ذلك أن الباى يضع فيه خاتمه على القرارات الحكومية فى صورة مرسوم ، وبذلك يعطيها قوة التنفيذ .

وكان ولى العهد يحمل لقب «باى الأمحال» ، أى المعسكر ، وقد جاء هذا اللقب من أن ولى العهد كان عليه واجب هو أن يخرج مرتين كل سنة على رأس حملة حربية إلى جنوبى السلطنة وشمالها ليدعم سلطان الحكومة المركزية ويرهب القبائل التى قد تأبى أداء الضرائب . وكان باى المعسكر هو رأس الجيش بحكم هذه الوظيفة ، ولكن هذا المنصب ألغى بقيام الحماية .

خورشيد [سامران Ch. Samaran]

+« بايبورد » (بايبورت) : وقد عرفها البوزنطيون أيام يوستنيانوس باسم « بايبردون » . وهى تقوم على نهر چورخ على مسيرة حوالى ١٠٠ كيلومتر من الشمال الغربى لأرضروم ، وقد اجتاح الأتراك السلاجقة هذا الإقليم فى سنة ٤٤٦ — ٤٤٧ هـ (١٠٥٤ — ١٠٥٥ م) . وانضوت بايبورد تحت حكم الأتراك بعد معركة ملازكرد سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) ، حيناً تحت حكم بنى سلتق فى أرضروم وحيناً تحت حكم الدانشمندية فى سيواس . ولو أن البوزنطيين الذين كانوا لايزالون يحتلون طرابزون ، قد انتزعوا المدينة حقاً مدة من الزمن فى عهد ألكسيوس كومنينوس . وفى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ازدهرت بايبورد تحت النفوذ السياسى لسلاطين الروم السلاجقة ثم تحت نفوذ الإيلخانية المغول فى بلاد فارس ، وذلك بسبب التجارة الناشطة التى كانت تتدفق على يد النصارى (أى البنادقة والجنويين) والتجار المسلمين عبر الطريق المؤدى من طرابزون إلى أرضروم ومنها شرقاً إلى تبريز . وسيطر الجلائرية ثم تركمان الآق قويونلى على المدينة من منتصف القرن الرابع عشر تقريباً حتى نهاية القرن الخامس عشر . وسقطت بايبورد فى يد العثمانيين سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) أثناء حملة چالدران التى شنوها على الدولة الصفوية الجديدة فى بلاد فارس . واستتب الحكم العثمانى فى بايبورد وأرباضها سنة ٩٤٠ — ٩٤٢ هـ (١٥٣٣ — ١٥٣٦ م) ، وهنالك أقام السلطان سليمان إيالة أرضروم على أساس وطيد

واحتل الروس المدينة سنة ١٨٢٩ ، ودمر الجانب الأكبر من قلعة بايبورد أثناء القتال الذى نشب وقتذاك . وكذلك هزمت الجيوش الروسية العثمانيين فى وقعة بايبورد (يولية سنة ١٩١٦) أثناء هجوم وجه إلى أرزنجان . وكانت بايبورد فى عهد العثمانيين قضاء بسنجق أرضروم فى الإيالة التى تحمل هذا الاسم ، ولكنها تدخل الآن فى الولاية التركية الحالية : ولاية «گوموشخانه» : وقدر عدد سكانها سنة ١٩٣٥ بعشرة آلاف وثلثمائة وتسع وثلاثين نسمة ، أما عدد سكان القضاء كله فقد بلغ وفق هذا التقدير ٦٤،٨٣١ نفساً ؛ ويشتهر إقليم بايبورد بالحبوب والصوف والجلود الخام ... إلخ .

المصادر :

(١) حمد الله مستوفى : نزهة القلوب ، ص ٩٦ . (٢) العمرى : مسالك الأبصار ، طبعة تيشنر Taeschner ، ليبسك سنة ١٩٢٩ ، ص ٢٠ . (٣) حاجى خليفة : جهانما ، إستانبول سنة ١١٤٥هـ (١٧٣٢ م) ، ص ٤٢٤ . (٤) أوليا چلبى : سياحتنامه ، جـ ٢ ، إستانبول ، سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٣٤٤ — ٣٤٦ . (٥) عبد الرحيم شريف : أرضروم تاريخى ، إستانبول ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٢٤١ . (٦) ل. برقان : عثمانلى دورنده آق قويونلى حكملرى اوزون حسن بكه عايد قانونلر فى تاريخ وثيقه لرى ، جـ ١ ، رقم ٢ (أغسطس سنة ١٩٤١) ص ٩٥ ؛ (٧) Hammer Purgstall جـ ٢، ص٤٢٠ (٨) J. Laurent : *Byzance et les Turcs Seldjoucide* ، باريس سنة ١٩١٤ ، ص ٢٢ (٩) W. Heyd : *Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age* ، جـ ٢ ، ليبسك سنة ١٩٢٣ ؛ ص ١٢٠ (١٠) G. I. Bratianu : *Recherches sur le Commerce génois dans la Mer Noire au XIIIe siècle* ، باريس سنة ١٩٢٩ ، ص ١٧٨ (١١) E.Honigmann : *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches von 363 bis 1071* ، بروكسل سنة ١٩٣٥ ، ص ٥٤ ، ١٨١ (١٢) W.E.D. Allen & P. Muratoff : *Caucasian Battlefields* ، كمبردج سنة ١٩٥٣ ، ص ٥٦٥ (الفهرس) (١٣) V.Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ١ ، باريس سنة ١٨٩٠ ، ص٢٢١ — ٢٢٤ (١٤) Pauly-Wissowa مادتا *Gymnias* و *Baiberdon* (١٥) على جواد : تاريخ وجغرافيا لغاتى ، لوحة ١ ، إستانبول سنة ١٣١٣ هـ ، ص ١٥٢ ؛ (١٦) إسلام أنسيكلوپيدياسى مادة بايبورد بقلم بسيم دارقوت وعثمان طوران . (١٧) أما من شاء دليلا عاماً لكتب الرحلات الغربية الأحدث من ذلك فى هذه المنطقة فلينظر أيضاً الدلائل الجغرافية الواردة فى مادتى « أرمينية» و « أرضروم » .

[V.J. Parry پارى] خورشيد

«بايدو»: أمير مغولى (إيلخان) من أمراء فارس، وهو حفيد هولاكو مؤسس دولة المغول. ولم يحكم هذا الأمير إلا شهوراً قلائل.

وكان بايدو قد خلع الأمير كيخاتو وأعدمه خنقاً فى يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة سنة ٦٩٤هـ (٢١ أبريل سنة ١٢٩٥): على أنه قتل هو نفسه فى يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة من السنة نفسها (٥ أكتوبر) بعد أن تغلب عليه خصمه غازان؛

كان بايدو صغير السن خامل الذكر، وكان ابن عمه كيخاتو قد أهانه، ومع هذا فقد دعاه أمراء الدولة إلى تولى العرش: ولكى يبرروا خلع سلفه وقتله قالوا إن كيخاتو عاش عيشة لا تليق بمقام الجالس على العرش وإنه كثيراً ما خالف القانون الذى فرضه جنكيزخان ويسمى «ياسا»، ولهذا فقد استحق الحرمان من الحقوق التى كان يستمتع بها. وكانت هذه هى نفس الأسباب التى أبداها بايدو ليبرر بها عصيانه عندما زحف فيما بعد الأمير غازان من خراسان وطلب تسليم قتلة عمه كيخاتو: وعقد اتفاق بين الخصمين أول الأمر ولكن الحرب نشبت بينهما فيما بعد، وانتصر فيها غازان من غير سفك للدماء بفضل مقدرة قائد جيشه «نوروز»: وتفرق أصحاب بايدو وتخلوا عنه فقبض عليه أثناء فراره وسجن فى نقجوان بأرمينية: وتروى المصادر المسيحية والمصادر الإسلامية على السواء أنه أثناء حكمه القصير كان شديد الحدب على النصارى ورهبانهم ولهذا أسخط عليه المسلمين. (انظر الفصل الذى كتبه عنه D'Ohsson فى كتابه *Histoire des Mongols*، جـ ٤: ص ١١٥ — ١١٦).

[بارتولد W. Barthold]

«بايزيد»: بلدة فى آسية الصغرى، وحاضرة سنجق فى ولاية أرزن الروم (أرضروم)، وهى فى سفح جبل أراراط على مسيرة ١٦٤ كيلو متراً من أرزن الروم وتبعد ٢٦ كيلومتراً عن الحدود الفارسية. وقد بلغ عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة تقريباً أغلبهم من الأرمن: وأنشأ هذه البلدة السلطان بايزيد الأول ليتخذ منها مركزاً لكشف حركات تيمور، وهى قلعة قديمة ترجع إلى ذلك العصر، وفى داخلها مسجد جميل بناه بهلول باشا. وفى سنة ١٨٠٥م سجن فى هذه القلعة مدة ستة أشهر «أميديه جوبير» Amédée Jaubert الذى كان أوفده نابليون فى مهمة سرية (انظر *Voyage en Arménie*، ص ٢٩ وما بعدها).

وبلدة بايزيد تشرف على الطريق الواصل إلى آذربيجان، وقد استولى عليها الروس سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٧٧، وهاجر أهلها فى المرة الأولى إلى أريوان وألكسندروپول (مدينة الإسكندر)، فأصبحت البلدة خراباً بلقعاً.

وهذه المدينة حاضرة قضاء يشتمل على ١١٠ قرية منها ٧٨ تتبع المدينة التى تعتبر مركز الناحية. ويبلغ عدد سكان القضاء ٧٧٨٥ نسمة وهو مشهور بصناعة سجاد كردستان وبمراعيه الخصبة وبتربية الماشية.

المصادر :

(١) على جواد : جغرافيا لغاتى : ص ١٥٣
(٢) سالنامه ، طبعة سنة ١٣٢٥ ، ص ٨٦٠ (٣) سامى بك : قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٤ (٤) V. Cuinet : *Turquie d'Asie* جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

[إيوار Cl. Huart]

+ بايزيد (دوغى بايزيد) : بلدة صغيرة تابعة للجمهورية التركية ، تقوم على مسافة صغيرة إلى الجنوب من جبل أرارات (أغرى طاغ) ملاصقة لحد الجمهورية مع إيران . وقيل إن هذه البلدة نسبت إلى السلطان العثمانى بايزيد الأول (٧٩١ — ٨٠٥هـ = ١٣٨٩ — ١٤٠٣م) الذى حصن الموقع فى زعم هذه الرواية وجعله مركزاً لمراقبة تيمور . وثمة تعليل أحدث لاسمها يجعله مأخوذاً فى الواقع من اسم أمير من الأسرة الجلائرية هو بايزيد ابن السلطان أحمد (٧٨٤ — ٨١٣هـ = ١٣٨٢ — ١٤١٠م) .

وقد احتل العثمانيون البلدة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) ولكنهم لم يسيطروا على إقليمها تمام السيطرة إلا بعد الحملات على بلاد فارس التى شنها السلطان سليمان سنة ٩٤٠ — ٩٤٢هـ (١٥٣٣ — ١٥٣٦م) وسنة ٩٥٥ — ٩٥٦هـ (١٥٤٨ — ١٥٤٩م) وسنة ٩٦٠ — ٩٦٢هـ (١٥٥٣ — ١٥٥٥م) . وكانت بايزيد هى وأرباضها تحت الحكم العثمانى سنجقا تبع فى وقت من الأوقات لإيالة وان وتبع فى أكثر الأوقات لإيالة أرضروم . وقد احتل الروس البلدة أثناء حروبهم مع الترك العثمانيين ، وكان ذلك فى السنوات ١٨٢٨ ، ١٨٥٤ ، ١٨٧٧ ، ثم فى سنة ١٩١٤ . وتدخل بايزيد الآن فى ولاية أغرى التركية ، وقد قدر عدد سكانها سنة ١٩٣٥ بما يبلغ ١٨٦٠ نسمة ، أما الرقم النسبى للقضاء كله فقدر بما يزيد على ٢٠,٠٠٠ نسمة لاغير ، معظمهم من أصل تركى أو كردى : ومن أهم أوجه النشاط الاقتصادى فى هذه المنطقة تربية الأغنام والماشية وإنتاج الصوف والجلود الخام والجلود المدبوغة ونسج السجاجيد .

المصادر :

(١) حاجى خليفة : جهاننما ، إستانبول سنة ١١٤٥هـ = ١٧٣٢م ، ص ٤١٧ (٢) أولياچلبى : سياحتنامه ، جـ ٤ ، إستانبول سنة ١٣١٤هـ ، ص ١٧٧ (٣) سامى بك : قاموس الأعلام ، إستانبول سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٤ (٤) على جواد : تاريخ وجغرافيا لغاتى ، لوحة ١ ، إستانبول ، سنة ١٣١٣ هـ ، ص ١٥٣ (٥) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ١ ، باريس سنة ١٨٩٠ ، ص ٢٢٧ — ٢٣٣ (٦) W.E.D. Allen & P. Muratoff : *Caucasian Battlefields* ، كمبردج سنة ١٩٥٣ ، ص ٥٦٥ ، الفهرس (٧) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بايزيد بقلم بسيم دارقوت (٨) وتشمل كتب الرحلات الغربية الأحدث من ذلك إشارات متفرقة إلى البلدة ومركزها ويمكننا أن نتخذ دليلا عاماً لذلك فى الإشارات إلى المصادر الواردة فى هذه الدائرة ، مادتى « أرمينية » و« أرضروم » .

[V.J. Parry خورشيد [پارى

«بايزيد» الأول (وهو النطق التركي للاسم العربي أبويزيد) ويلقب «يلدرم» أي الصاعقة: سلطان العثمانيين. وهو ابن مراد الأول خدواندگار وخلفه: تزوج من ابنة أمير گرميان فقدمت مدينة كوتاهية بائنة لها كما قدمت ثلاث محلات أخرى. وخلف بايزيد أباه على العرش بعد مقتله في وقعة قوصوه عام ٧٩١هـ (١٣٧٩م). وقد أمر بايزيد بقتل أخيه الوحيد يعقوب لأنه خشي من تعلق الشعب به. وأصبحت هذه الجريمة سنة جرى عليها سلاطين آل عثمان حتى عهد الإصلاح. وأتم بايزيد فتح بلاد الصرب وأبرم مع الأمير إيتين Etienne ابن لازار Lazar محالفة كان من شروطها أن يخضع هذا الأمير لسلطان العثمانيين. وقد نصب بايزيد على عرش القسطنطينية يوحنا السابع أحد أبناء أندرونيقوس الرابع Andronicus محل الإمبراطور يوحنا پاليولوغس الخامس Palaelogus ثم عزله بعد ذلك ونصب مكانه ابن يوحنا الخامس ويسمى مانويل الثاني عام ١٣٩٠ مشاركاً في الملك. وغزا الجنود اليونانيون الاحتياطيون الذين جهزهم مانويل «آلا شهر» (فيلادلفيا) التي أبى حاكمها التسليم. وقد خضع له أمير آيدين، وألحقت إمارات صاروخان ومنتشه بالإمبراطورية العثمانية. أما علاء الدين — وهو من أسرة قرهمان — فقد تخلى عن أق شهر ونكده وآق سراي عام ٧٩٣هـ (١٣٩١م). وأرسل بايزيد عدة حملات خربت جزيرة خيوس Chios وإيبيه Eubée وأتيكا. ثم حاصر القسطنطينية سبعة أعوام وكان يوحنا پاليولوغس قد أسرع في تحصينها، وتمكن مانويل من الدخول إليها خفية.

وأخضع بايزيد أمير قرهمان الثائر وألحق مدينتي قونية ولارنده بالدولة العثمانية. وفضل أهالي توقات وسيواس وقيصرية أن يسلموا بلادهم إلى بايزيد على أن يستولى عليها ابن القاضي برهان الدين عام ٧٩٥هـ (١٣٩٢م). ولما فر كوتورم بايزيد أمير سنوب — وهو من أسرة بني إسفنديار — وقع جميع ولاية قره قسطموني في يدي بايزيد.

وانزعج سيگسموند Sigismond ملك المجر من ذلك التقدم الذي أحرزه بايزيد عند حدود أملاكه فأعلن عليه الحرب بعد أن استمال إليه ملوك أوربا ومن بينهم شارل السادس ملك فرنسا الذي أرسل إليه فرقة من الجند تحت إمرة الكونت نيڤير Comte de Nevers ابن الدوق بورغوني Bourgogne الذي عرف بعد ذلك باسم «جان سان پير» Jean-Sans-Peur أي جان الذي لا يهاب، وانضم إلى هذه الحملة كبير رهبان التيوتون، وفردريك كونت هوهنزلرن، وفيليبرت Philibert أمير نايّاك Naillac وكذلك كبير فرسان جزيرة رودس

وحاصر هؤلاء الحلفاء نيقة ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة عند أسوارها عام ٧٩٨هـ (١٣٩٦م) وبعد هذا الانتصار أغار العثمانيون على سرميا Syrmie وستيريا Styrie والبوسنة، وزادت أملاكهم في آسية باستيلائهم على كرغرى ودوريگي وبهسنى وملطية وكماخ، كما استولوا في أوربا على نگي شهر وترحاله، ووصل العثمانيون في غزواتهم إلى أثينا كما وصلوا إلى الپيلوپونيز.

وبينما كان بايزيد ينعم انتصاراته عند بروسه ، إذا بتيمور يستولى على أرزنجان وسيواس . فحول ذلك الأمر نظر بايزيد عن القسطنطينية . وكان يفكر فى فتحها ، وذهب لملاقاة هذا المغير الجديد الذى انضم إليه الأمراء الذين جردهم العثمانيون من ممتلكاتهم . وأدى حصار تيمور لأنقرة إلى أن يذهب بايزيد حتى أسوار تلك المدينة : وهناك نشبت الحرب بين الفريقين فى سهل چبوق آباد فى الشمال الشرقى من المدينة . وفى تلك الحرب انضمت الجنود الاحتياطية المجندة من ولايات صاروخان ، ومنتشه ، وگرميان القديمة إلى العدو إذ وجدوا أنفسهم بين سادتهم القدماء ؛ أما الصربيون فقد حافظوا على ولائهم للعثمانيين . وحارب بايزيد إلى أن أرخى الليل سدوله تحيط به جنوده من الإنكشارية الذين قتل أكثرهم فى تلك الموقعة . ثم حاول الهرب ولكن جواده كبا به فوقع أسيراً فى يد العدو وذلك فى التاسع عشر من ذى الحجة عام ٨٠٤هـ (٢٠ يولية سنة ١٤٠٢م) : وعامل تيمور أسيره بالحسنى ؛ ولكن بايزيد حاول الفرار من أسره ، فلم يسع تيمور إلا تقييده أثناء الليل بالأغلال ووضعه أثناء السفر فى قفص يجره جوادان : وكلمة قفص هى التى أوجدت الاعتقاد بأن بايزيد سجن فى قفص من الحديد ، وقد أيد هذا عبارة غامضة لابن عربشاه كما أيدته كلمة « كوييويكليون » التى أوردها فرانتزس Phrantzes فى كتابه (جـ ١ ، ص ٢٦) .

واصطحب تيمورُ بايزيدَ فى عودته إلى سمرقند بعد استيلائه على مدينة أزمير من فرسان جزيرة رودس . وتوفى بايزيد بداء النقرس فى مدينة آق شهر فى الرابع عشر من شعبان سنة ٨٠٥هـ (٨ من مارس سنة ١٤٠٣م) .

ودفنه فى بروسة ابنه موسى . وقضى بوفاته على الإمبراطورية العثمانية ولم تقم لها قائمة إلا بعد ذلك بعشرة أعوام . وذلك بفضل همة السلطان محمد الأول .

المصادر :

(١) Hammer - Purgstall : *Histoire de l'empire ottoman* ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ – ٣٥٦ ، جـ ٢ ، ص ١ – ١٢٠ (٢) Jouannin et Van Gaver : *Turquie* ، ص ٣٨–٤٦ (٣) N. Jorga : *Geschichte des osmanischen Reiches* ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ – ٣٢٣ (٤) A. Müller : *Der Islam im Morgen und Abendland* ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢–٣٠٨ (٥) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ١٢٥ – ٢٠٨ .

[إيوار Cl. Huart]

+ بايزيد ، الأول : الملقب بيلدرم أى الصاعقة : سلطان عثمانى حكم من ١٩ جمادى الآخرة سنة ٧٩١هـ إلى ١٣ شعبان سنة ٨٠٥ (١٥ يونية سنة ١٣٨٩ إلى ٨ مارس سنة ١٤٠٣) ، ولد سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) لمراد الأول من زوجه گول چيچك خاتون ؛ وأقيم حوالى سنة ٧٨٣هـ (١٣٨١م) والياً لولاية أخذت من أسرة گرميان فى ثوب بائنة قدمتها له زوجه سلطان خاتون ؛ واستقر بايزيد فى كوتاهية ، وأصبح مسؤولا عن مصالح العثمانيين فى الشرق ، وبرز فى القتال فاشتهر بأنه

جندى مندفع متهور (ومن ثم لقبه) فى وقعة إفرنك — يازيسى ضد القرەمانية (القرەمان أوغلى) سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) . وقد نشأ الزعم بأنه أصبح أيضاً أول والٍ على أماسية (كمال پاشا زاده) من أن بعض الأراضى التى إلى غربها انضوت تحت سلطان العثمانيين حين أيّد العثمانيون سليمان الجاندارى فى قسطمونى على أبيه سنة ٧٨٦ — ٧٩٠هـ (١٣٨٤ — ١٣٨٨م) وأيدوا أحمد أمير أماسية الذى قبل الحماية العثمانية على قاضى برهان الدين (بزم ورزم ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٨) .

ولما جُرح السلطان مراد الأول جرحاً مميتاً فى سهل قوصوه يوم ١٥ يونية سنة ١٣٨٩م ، طلب السلطان من پاشواته أن يبايعوا ابنه الأكبر النابه سلطاناً (دستورنامه ، ص ٨٧ ؛ تواريخ لايعلم مؤلفها ، ص ٢٧) فأجابوا طلبه ، وسرعان ما قتل أخوه الوحيد الباقى (كان أخواه الآخران وهما ساوجى وإبراهيم قد توفيا من قبل) خشية الفتنة ، وكذلك قتل لازار الأمير الصربى فى ميدان القتال .

وبادر السلطان الجديد إلى الشخوص إلى بروسة قصبته (Stanojevich ، ص ٤١٧) ذلك أن الأمراء التابعين فى الأناضول كانوا قد انتقضوا عليه واستولى زعيمهم قره مان أوغلى علاء الدين على بكشهرى وتقدم حتى بلغ إسكيشهر ، واستردّ گرميان أوغلى يعقوب الثانى البلاد التى دفعها ، واستولى قاضى برهان الدين على قرشهرى (بزم ورزم ، ص ٣٨٧) . وتوصل بايزيد إلى اتفاق مع الصربيين ووعده هؤلاء بتزويجه من ابنة لازار أوليڤرا (دسپنا) ومده بقوة احتياطية تحت إمرة ستيفان لازاريڤچ . وظل ستيفان وفياً لبايزيد بحكم الضغط المستمر الواقع عليه من المجر ، وصحبه فى حملاته . على أن ڤوك برانكوڤچ Vuc Brankovich فى الصرب العليا (پريشتينه وسكوپليه وغيرهما) قاوم العثمانيين الذين كانوا يحاولون احتلال مدن التعدين فى أملاكه . واستمر پاشا يگيت فى قتال ڤوك ثم استولى من بعد على سكوپليه (أسكوب سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩١م) ، واتخذها قاعدة تركية مستقرة لحملاته على البوسنة وألبانيا .

وقضى بايزيد شتاء عام ٧٩٢هـ (١٣٨٩ — ١٣٩٠م) فى الاستيلاء على فيلادلفيا (آلاشهر) وضم الإمارات التركية فى غربى الأناضول وهى آيدين ، وصاروخان ، ومنتشه ، وحميد ، وگرميان. وكان يصحبه فى هذه الحملات سليمان الجاندارى ومانويل پاليولوغس . وفى جمادى الآخرة سنة ٧٩٢ (مايو سنة ١٣٩٠) كان بايزيد فى قره حصار (أفيون) يتجهز للمسير لقتال قرەمان أوغلى ، واستردّ بكشهرى وضرب الحصار على قونية . وكان سليمان فى ذلك الوقت قد عاد إلى قسطمونى وتحالف مع قاضى برهان الدين على بايزيد ليعاونا قرەمان أوغلى . والظاهر أن هذا الخطر جعل بايزيد يعدل عن حصار قونية ويبرم معاهدة مع قرەمان أوغلى نزل فيها عن جميع الإقليم الواقع إلى الغرب من نهر چارشمبه . وفى العام التالى (٧٩٣هـ = ١٣٩١م) هاجم بايزيد سليمان ولكن برهان الدين تحداه انتصاراً لحليفه

وفى ربيع سنة ٧٩٣هـ (١٣٩٢م) تجهز بايزيد على نطاق واسع لقتال سليمان . وقد جاء فى تقرير بندقى تاريخه ١٢ جمادى الأولى سنة ٧٩٤ (٦أبريل سنة ١٣٩٢) أن مانويل پاليولوغس —وهو الأمير التابع لبايزيد —كان على وشك الاشتراك فى الحملة البحرية على سينوب (Silberschmidt ، ص ٧٧) ؛ وانتهت هذه الحملة بضم أملاك سليمان (إلا سينوب) وموته . وهنالك احتل بايزيدعثمانجق على الرغم من احتجاجات قاضى برهان الدين وتهديداته . على أن قاضى برهان الدين هاجمبايزيد آخر الأمر عند چورملى (چورم) وأجبره على الارتداد ، واستطاع مغيرو برهان الدين أنيتوغلوا حتى بلغوا أنقرة وسيورى حصار : ولما وجد أمير أماسية أن جنود برهان الدين تحاصره سلم القلعة إلى العثمانيين سنة ٧٩٤هـ(١٣٩٢م).وأقبلبايزيد فى السنة التالية ودخل المدينة . أما الأسر المحلية مثل تاج الدين أوغللرى (فى وادى چارشمبه) وطاشان أوغللرى (فى إقليم مرزيفون) وأمير بافره فقد اعترفوا بسلطان بايزيد : وأخذ برهان الدين يناوش الجيش العثمانى فى تراجعه (بزم ورزم ، ص ٤١٨ — ٤٢٠)

وهنالك وجد بايزيد الأمور أكثر خطراً فى الغرب ، فقد زاد من سيطرته على بوزنطة بعد انتصاره عند قوصوه : وكان التأييد الذى بذله ليوحنا السابع قد ثبت أول الأمر العرش له (٢٧ ربيع الثانى سنة ٧٩٢= ١٤ أبريل سنة ١٣٩٠) ثم ليوحنا الخامس وابنه الإمبراطور مانويل (٨ شوال سنة ٧٩٣= ١٧ سبتمبر سنة ١٣٩١) الذى أظهر ولاءه للسلطان بصحبته له فى حملاته فى الأناضول (Johannes VII : Fr. Doelger ص ٢٧ — ٢٨)

ولما شغلت شئون الأناضول بايزيد فاستبقته فى الشرق ، استطاع الأوج بكية (انظر هذه المادة) التابعون له أن يكبحوا بغاراتهم جماح أعدائه على الحدود الغربية ، فأخضع پاشا يكيت ڤوك ، وغزا أورنوس (انظر هذه المادة) كتروس (چتروز) وودنه وتقدم إلى تسالى ؛ وأغار فيروز بك على الأفلاق ، وكان شاهين ناشطاً فى ألبانيا . على أن ميركيا سل باتران Mircea cel Batran حاول أن يسترد سيلسترة وهاجم بنجاح الآقينجى فى قارن أووا سى حين كان بايزيد فى الأناضول . على أن بايزيد— إذ رأى نشاط البنادقة فى المورة وألبانيا وبوزنطة ومحاولات المجر بسط نفوذهم فى الأفلاق وبلغاريا الدانوبية — قرر أن يركز جهوده فى البلقان ، فاستولى أول ما استولى على ترنوڤو فى ٧ رمضان سنة ٧٩٥ هـ (١٧ يولية سنة ١٣٩٣) . وكانت هذه المدينة تحت سيطرة العثمانيين منذ سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) ، ولم يجد القيصر شيشمان بداً من الانتقال إلى نيقبة قبيلاً للعثمانيين : وفى شتاء سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ — ١٣٩٤ م) استقدم بايزيد جميع أمراء البلقان وأمراء الأسرة الپاليولوغية إلى سرس وحاول هناك أن يقوى أواصر تبعيتهم له ، وكان يريد بصفة خاصة من تيودور پاليولوغس أن يسلم المدن الكبرى بالمورة فى مواجهة البندقية . ودب اليأس فى قلبى تيودور ومانويل الپاليولوغيين فانقلبا على بايزيد والتمسا العون فى الغرب وخاصة لدى البندقية . والظاهر أن بايزيد قد عاود آنئذ

غزو سلانيك (نشرى ، ص ٨٨ ، وهو يذكر أن تاريخ ذلك كان ١٩ جمادى الآخرة سنة ٧٩٦ = ٢١ أبريل سنة ١٣٩٤ م ؛ وكانت هذه المدينة قد أخذت مرة سنة ٧٨٩ هـ = ١٣٨٧ م ثم فقدت فيما يرجح سنة ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) ، وغزا بايزيد أيضاً تساليا ، وكونتية سالونى ، ونيوپاترای ، ودخل أورنوس المورة ، ولكن تيودور كان قد سلم أرغوس إلى البنادقة يوم ٢٧ مايو سنة ١٣٩٤ م (J. Loenertz فى *REB* ، جـ ١ ، ص ١٧١ — ١٨٥) ؛ وقام فيلق عثمانى آخر بوضع جنوبى ألبانيا تحت الحكم العثمانى المباشر ، وضغط شاهين على أملاك البنادقة على سواحل ألبانيا (انظر مادة « أرناؤطلق ») ؛ وبدأ بايزيد أيضاً يضرب الحصار على القسطنطينية سنة ٧٩٦ هـ (ربيع سنة ١٣٩٤) وهو الحصار الذى دام سبع سنوات ؛ وفى سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٥ م) غزا المجر وهاجم فى طريقه قلاع سلانكامن وتيتل وبسكرك وطمشوار وقرشوه وكرانسبش ومهديا (انظر *Actes du X. Congrès Int. d'Et. Byz.* ، ص ٢٣٠) ؛ وقد هزم بايزيد مركيا على نهر أرگيش فى الأفلاق يوم ٢٦ رجب سنة ٧٩٧ هـ (١٧ مايو سنة ١٣٩٥) ثم أجلس ڤلاد على عرش الأفلاق . ثم عبر بايزيد الدانوب إلى نيقبة واعتقل شيشمان وقتله فى ١٣ شعبان سنة ٧٩٧ (يونية سنة ١٣٩٥) .

وأدت هذه الفتوح الجريئة آخر الأمر إلى عقد تحالف بين المجر والبندقية وشن حرب صليبية فى أوربا على العثمانيين ، ذلك أن بايزيد كان يبذل سنة ٧٠٩ هـ (١٣٩٦ م) جهداً فائقاً للاستيلاء على القسطنطينية ، وإذا بالصليبيين بقيادة سگسموند قد أقبلوا لضرب الحصار على نيقبة . وهرع بايزيد إليهم وأنزل هزيمة ماحقة بالصليبيين فى ٢١ ذى الحجة سنة ٧٩٨ هـ (٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٦) وانتزع ودّين من ستراتسمير آخر أمراء البلغار المستقلين . وهنالك أصبح مصير البلقان والقسطنطينية فى يد بايزيد . واضطر مانويل أن يوافق على أن يوطن فى العاصمة الإمبراطورية جالية تركية لها قاض . واستولى أورنوس على أرغوس وأثينا سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ م) ، ثم عاد السلطان إلى الأناضول بالنظر إلى الحركات العدائية التى أبداها قره مان أوغلى إبان محنة نيقبة ، وهزم قره مان أوغلى وقتله فى آقچاى وضم أملاكه بما فيها قونية سنة ٨٠٠ هـ (خريف سنة ١٣٩٧ م) . وفى السنة التالية ضم أيضاً إقليم جانيق وأملاك برهان الدين (انظر هذه المادة) ، ولم يرع حلفه مع مصر على تيمور أى تيمورلنك (انظر هذه المادة) وغزا ألبستان وملطية وبهسنى ، وكختا ودوريگى .

وقد هجم المارشال بوكيكو Boucicaut على السواحل التركية وجلب قوة صغيرة إلى القسطنطينية ، إلا أن هذا الذى فعله لم يفلح فى إنقاذ المدينة (٨٠٠ هـ = صيف سنة ١٣٩٩ م) ؛ ولذلك مضى مانويل الثانى إلى أوربا مسترپداً من العون فى ١٠ ربيع الثانى سنة ٨٠٢ هـ (١٠ ديسمبر سنة ١٣٩٩) ؛ وفى الخريف من عام ١٣٩٩ ظهر تيمور مرة أخرى فى شرقى الأناضول ، وانتش

الآمال فى الغرب كما كانت فى غزوته الأولى لشرقى آسية الصغرى سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٤ م) . ومنذ سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م) ادعى تيمور السيادة على جميع حكام الأناضول بوصفه ممثلا للجنكيزخانية ، أما بايزيد فادعى أنه وريث السلاجقة فى الأناضول. وتردد تيمور قبل أن يهاجم سلطان الغزاة ، وآوى حكام الأناضول الذين طردهم بايزيد ، وردّ بايزيد بأن حمى قرا يوسف وأحمد جلائر ، وضاق تيمور بذلك فاستولى على سيواس ونهبها سنة ٨٠٢ هـ (أغسطس سنة ١٤٠٠م) وردّ بايزيد باعتقال أمير أرزنجان ويدعى مطاحّارتن ، وكان فى حماية تيمور (٨٠٣ هـ = ١٤٠١م) . ثم اشتبك تيمور وبايزيد آخر الأمر فى چبوق أوواسى بالقرب من أنقرة فى ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٠٤هـ (٢٨ يولية سنة ١٤٠٢م) . وهزم تيمور بايزيدَ وأسره، وتوفى بايزيد فى الأسر بأقشهر فى ١٣ شعبان سنة ٨٠٥ هـ (٨مارس سنة١٤٠٣م). وتداعت أركان الإمبراطورية التى أقامها بايزيد على عجل، أما أمراء الأناضول الذين استعادوا أملاكهم سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) فقد اعترفوا بسيادة تيمور ، وكذلك فعل الأمراء العثمانيون الذين اقتسموا بقية البلاد فيما بينهم ، ولم يعاود العثمانيون الهجوم فى الشرق إلا بمجىء محمد الفاتح .

وبايزيد مسئول عن إقامة أول إمبراطورية عثمانية مركزية تعتمد على نظام « القول » وعن المناهج الإدارية التقليدية التى بلغت أوج كمالها فى ظل الدول الإسلامية التركية فى الشرق الأوسط ، وتأخذ عليه الرواية الشائعة أنه صاحب بدع فى الأمور المالية والإدارية والأخلاقية .

المصادر :

(١) انظر عن الإخباريين العثمانيين (أحمدى وشكر الله ، وأوروج ، وأنورى ، وعاشق پاشا زاده ، وروحى ، ونشرى ، وكتاب « التواريخ » المجهول المؤلف ، وهشت بهشت ، وكمال پاشا زاده) Fr. Babinger : *Gesch. des Osm. Reich.*
(٢) ابن حجر العسقلانى : إنباء الغُمْر ، ومنه مختارات فى أنقره أونيڤرسيته سى ديل وتاريخ جغرافيا فاكولته سى درگيسى ، مجلد ٦ ، رقم ٣ — ٥ ؛ (٣) تاريخى تقويملر ، طبعة طوران ، أنقرة سنة ١٩٥٤ ؛ (٤) عزيز أستراباذى : بزم ورزم ، طبعة فؤاد كوپريلى ، إستانبول سنة١٩٢٨ (٥) J. Schiltberger : *The Bondage and Travels* ترجمة Telfer ، لندن سنة ١٨٧٩ ؛ (٦) S.Stanojevich: *Die Biographie Stefan Lazarevich's von Konstantin* فى *Archiv. f. Slav. Phil* ، جـ ١٨ ، ص ٤٠٩ — ٤٢٨ . (٧) P. Wittek : *Das Fuestentum Mentesche* ، إستانبول سنة ١٩٣٤ . (٨) M. Silberschmidt : *Das Orientalische Problem ....* ، ليبسك — برلين سنة ١٩٢٣ . (٩) F. Dolger : *Johannes VII* فى *Byzantinische Zeitschrift* ، جـ ١ ، ص ٢١ — ٣٦ . (١٠) R. J. Loenertz : *Pour l'histoire du Peloponèse au XIV siècle* فى *REB* ، جـ ١ ، ص ١٥٢— ١٩٦ . (١١) A. S. Atiya : *The Crusade of Nicopolis* ، لندن سنة ١٩٣٤ . (١٢) M.M.

La Campagne de Timur : Alexandrescu-Dersca *en Anatolie* ، بوخارست سنة ١٩٤٢ ، (١٣) م؛ خليل إينانج فى إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بايزيد الأول ؛

خورشيد (خليل إينالجق Halil Inalcik)

« بايزيد » الثانى ، ابن محمد الثانى : سلطان عثمانى ، كان والياً على أماسية عندما توفى أبوه . وقد توطد عرشه بفضل الفتنة التى قام بها الإنكشارية فأحبطوا دسائس الصدر الأعظم « نشانى محمد » الذى كان يناصر أخاه الأصغر « جم » . وكافأهم بايزيد على ذلك عند اعتلائه العرش فى ٢١ من ربيع الأول عام ٨٨٦ هـ (٢٠ مايو عام ١٤٨١ م) ومنحهم منحة أضحت تقليداً جرى عليه خلفاؤه .

واستولى جم على بروسة ، غير أنه هزم عند « يكى شهر » فى ٢٦ ربيع الثانى (٢٠ يونية) ففر إلى قونية ثم إلى الشام فمصر . وأدى بعد ذلك فريضة الحج ، ثم حاول أن يجرب حظه من جديد فعاود الهجوم وتقدم من حلب إلى قونية ثم اتجه إلى أنقرة وفيها خذله جنوده ، فالتجأ إلى فرسان جزيرة رودس . وعمد بايزيد إلى البابا إسكندر السادس (بورگيا) وأغراه بأن يخلصه من أخيه التعس . وقد دفنه بعد موته فى ٢٩ جمادى الآخرة عام ٩٠٠ هـ (٢٤ فبراير عام ١٤٩٥ م) بمقبرة مراد الثانى فى بروسة .

وفى ١٠ سبتمبر عام ١٤٨١ م اضطر خير الدين الذى كان يدافع عن أترانتو فى إيطاليا إلى التسليم . وتوالت الحملات على البوسنة ودلماشيا والمجر ، وأخضعت الهرسك إخضاعاً تاماً . وكان بايزيد يقود الحملة على البغدان بنفسه ، فاستولى على « كيليا » وأق كرمان بمساعدة تتر القرم فى جمادى الآخرة عام ٨٨٩ (يوليه ١٤٨٤ م) .

أما فى آسية فقد أمّر على الجيش هرسك أحمد باشا ووجهه إلى تأديب مماليك مصر ولكنه هزم ، وخسر بايزيد أذنة (آطنه) وطرسوس عام ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) ، واستعيدت هاتان البلدتان بعد ذلك بسنتين ، ثم فقدتا فى الموقعة التى حدثت فى ٨ رمضان عام ٨٩٣ (١٧ أغسطس سنة ١٤٨٨) بين العثمانيين والمصريين عند « آغا چايرى » . ولم يعقد الصلح بين الطرفين إلا فى عام ١٤٩١ م .

وتخلى بايزيد عن حصار بلغراد لتوالى انتصار المجر ، ثم وجه همه إلى ألبانيا فخرب ستريا Styria وكارنثيا Carinthia وكارنيولا Carniola . وهزم الترك بالقرب من ويلاخ Villach وقتل قائدهم ميخال أوغلى على باشا . وحاق الانكسار بالمجر بعد ذلك عند « أبدره » Abdera (٩ سبتمبر سنة ١٤٩٣ م) .

وتخلى أسطول البنادقة عن « آين بختى » (Naupactus, Lipanto) فاضطرت إلى التسليم فى ٢٦ أغسطس عام ١٤٩٩ م ، وأصبحت دار الصنعة العثمانية للبلاد المجاورة .

وفى العام التالى غزا السلطان مودونى Modoni وناڤارينو وكورون Coron ولكنه فشل فى الاستيلاء على نوپليا Nauplia ؛ وتحالف البنادقة والبابا والمجر واجتاحوا بحر الأرخبيل بمساعدة الأسطولين الفرنسى والأسپانى وهددوا الجزائر وسقطت سانتا موره (Leucadia) فى يد الحلفاء غير أنها أعيدت إلى العثمانيين عندما عقد الصلح فى ١٤ ديسمبر عام ١٥٠٢ م .

وقامت الفتن الداخلية فى وجه بايزيد إلى جانب مشاغله فى الخارج . وسبب ذلك أن ابنه سليما استاء من من أن والده قد عقد البيعة لأخيه أحمد فترك منصبه فى آسية وحارب أباه بمساعدة الإنكشارية عند كورله Corlu إلا أن الدائرة دارت عليه فى ٨ جمادى الأولى عام ٩١٧ هـ (٣ أغسطس عام ١٥١١ م) فاحتمى بحميه خان القرم ؛ ونال الحظوة مرة أخرى فى السنة التالية وذهب إلى الآستانة ثم تمكن بفضل الجيش من إجبار والده على التنازل له فى صفر سنة ٩١٨ هـ (٢٥ أبريل سنة ١٥١٢) .

وأراد بايزيد أن يعتكف فى مسقط رأسه دموتيقه Demotika بيد أن المنية عاجلته بعد ذلك بثلاثة أيام فى أيه Aye بالقرب من حفصة فى ١٠ ربيع الأول (٢٦ مايو) .

وكان هذا السلطان متصوفاً مخلصاً لمذهب الصوفية ، ومن ثم لقب بالولى ؛ وقد بنى مسجداً بالآستانة ودفن فيه وألحق به عمارة بها مأوى ومطبخ لإطعام الفقراء . وبنى أيضاً مسجداً آخر بأدرنة وعدة تكايا للدراويش فى العاصمة والأقاليم ، وشيد جسورا على نهرى قيزيل إيرماق وسقاريا .

المصادر :

(١) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ٢ ، ص ٢ — ٢١٥ . (٢) گلشن معارف ، جـ ١ ، ص ٥٢٧ — ٥٣٦ . (٣) روضة الأبرار ، ص٣٨٨ — ٤٩٨ (٤) Hammer-Purgstall : *Histoire de l'Empire Ottoman* ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧—٣٧٤ ؛ (٥) Jouannin et van Gaver : *Turquie* ، ص ٩٣ — ١٠٦ (٦) N. Jorga : *Geschichte des Osmanihcen Reiches* ، جـ ٢ ، ص ٢٣١—٣١٥ (٧) الحاج إسماعيل إيوان سرايلى : حديقة الجوامع ، جـ ١ ، ص ١٤ .

[إيوار Cl. Huart]

+ بايزيد ، الثانى : سلطان عثمانى (٨٨٦— ٩١٨هـ= ١٤٨١ — ١٥١٢م) ، ولد فى أرجح الظن فى شوال أو ذى القعدة سنة ٨٥١هـ (ديسمبر سنة ١٤٤٧م) أو فى يناير سنة ١٤٤٨م (على أن بعض المصادر يجعل تاريخ مولده سنة ٨٥٦أو٨٥٧هـ = ١٤٥٢ أو ١٤٥٣م) ؛ وكان بايزيد فى حياة أبيه محمد الفاتح والياً على ولاية أماسية ، واشترك فى الحرب مع أوزون حسن زعيم التركمان الآق قويونلى ، وشهد وقعة أوطلوق بلى سنة ٨٧٨هـ (١٤٧٣م) . ولما توفى محمد الفاتح سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١م) نشب صراع حول العرش بين بايزيد وأخيه الأصغر جم الذى كان وقتذاك والياً على قره مان. واتخذ مقره

فى قونية . وقد تحققت ولاية بايزيد للعرش بفضل تأييد الإنكشارية وتأييد حزب قوى من أكابر موظفى الباب العالى . وهزم جم فى موقعة بالقرب من يكى‌شهر فى ربيع الثانى سنة ٨٨٦هـ (يونية سنة ١٤٨١) فانسحب إلى الشام ثم إلى مصر . وهنالك أخذ يجمع الجنود الجدد بموافقة السلطان المملوكى قايتباى وشن على قونية وأنقرة حملة عقيماً ، ثم يئس من النجاح فالتجأ إلى رودس فى جمادى الآخرة سنة ٨٨٧ (يولية سنة ١٤٨٢) مع فرسان القديس يوحنا الذين نقلوه إلى فرنسا فى سبتمبر من السنة نفسها . ومن وقتها حتى وفاة هذا الأمير المنكود فى فبراير سنة ١٤٩٥ ، لم يكن بد من أن يواجه العثمانيون خطرا ملحا من قيام حلف من الدول المسيحية يستغل جم أداة له وقد يقيض له غزو الإمبراطورية . ولم يكن فى استطاعة بايزيد وجم حى أن يخاطر برى قواته فى حملة كبرى لا يستطيع أن يعوض خسائرها سواء كان ذلك فى الشرق أو فى الغرب .

وقد أخضعت الهرسك إخضاعاً تاماً للسيطرة العثمانية سنة ٨٨٨هـ (١٤٨٣م) ، ووقعت قلعة كليا على مصب الدانوب وأق كرمان على مصب الدنيستر فى يد بايزيد أثناء الحملة على البغدان فى صيف سنة ٨٨٩هـ (١٤٨٤م) ، وهذا الظفر عظيم الأهمية لأنه شدد من قبضة العثمانيين على الطريق البرى إلى القرم حيث كان خان التتر يحكم تابعا للسلطان . وتمخضت الحوادث عن نتيجة أقل توفيقاً بالنسبة للعثمانيين وذلك فى حربهم ما بين سنتى ٨٩٠ — ٨٩٦هـ (١٤٨٥ — ١٤٩١م) مع مماليك مصر والشام التى خاضوها لتحديد من من الطرفين المتنافسين سوف يمارس السلطان السياسى على قيليقية والأراضى المتبطحة المجاورة على طول حد طوروس . وقد منى العثمانيون بعدة نكسات فى ميدان القتال أشدها جميعاً ما نزل بهم فى وقعة أغا چايرى بالقرب من أذنه (آطنه) فى رمضان سنة ٨٩٣ (أغسطس سنة ١٤٨٨م) . وقد عقد صلح بين الطرفين فى سنة ٨٩٦هـ (١٤٩١م) كان مؤذناً فى الواقع بفشل العثمانيين فى السيطرة الفعلية على قيليقية . ويجب أن نلاحظ إلى ذلك أن بايزيد لم يكن مطلق اليد فى استخدام كل موارده فى هذه الحرب وجم أسير فى يد المسيحيين ، ومن ثم فقد آثر أن يشن حرباً محدودة الأهداف . زد على ذلك أن الموقف على حد طوروس سنة ٨٩٦هـ (١٤٩١م) لم يكن بحال أكثر مواتاة للمماليك مما كان قبل ذلك بست سنين ، على الرغم من انتصاراتهم .

واندلعت نيران الحرب المتصلة عنيفة كل العنف بين الغازى المسلم وأمراء الحدود النصارى على طول الدانوب وحدود البوسنة ما بين سنتى ٨٩٧ — ٩٠٠هـ (١٤٩٢ — ١٤٩٥م) . فقد شن المحاربون العثمانيون غارات كثيفة عبر الدانوب والساڤا على دوقيات ستيريا وكارنيولا وكارنثيا النمسوية ونزلت بهم الهزيمة قرب ويلاچ سنة ٨٨٧هـ (١٤٩٢م) على أيدى أبادو — أو كادوا — القوات الكرواتية عند أدبينا سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٣م) . وعقد صلح مع المجر مدته ثلاث سنوات أنهى العداوات سنة ٩٠٠هـ

(١٤٩٥م) . وهنالك نشب الصراع بين الإمبراطورية العثمانية وبولندة . وكان العثمانيون وتتر القرم يقيمون ما يشبه الحاجز خرم البولنديين من منفذ إلى البحر الأسود . وبدأت بولندة سنة ٩٠٢هـ(١٤٩٧م) حملة الغرض منها تحطيم الحاجز بالاستيلاء على كليا وآق كرمان وإنزال البغدان إلى درجة التبعية لبولندة ؛ على أن القوات البغدانية تعاونة البكوات العثمانيين على طول نهر الدانوب الأدنى قاوموا مقاومة موفقة ، ورُدّ البولنديون أمام قلعة سوكيافا ونزلت بهم الهزيمة وهم يتقهقرون من بعد عند قوزمين فى بوكوفينا (أكتوبر سنة ١٤٩٧م) . وهنالك خرّب الغزاة العثمانيون من أراضى الدانوب — معززين بإمدادات من فرسان البغدان والتتار — الجزء الأكبر من پودوليا وغاليسيا فى صيف سنة ١٤٩٨ ؛ ثم قاموا بغارة ثانية تجاه غاليسيا فى أواخر الصيف من هذا العام ، إلا أن هذه الغارة انتهت بكارثة إبان عواصف ثلجية جائحة هبت على جبال الكربات ؛ ومع ذلك فقد عقدت بولندة صلحاً مع البغدان فى أبريل سنة ١٤٩٩ ، ولم يلبث هذا الاتفاق أن أعقبه تجديد للصلح السابق بين العثمانيين والبولنديين .

وسعى بايزيد ، بعد النكسات التى نزلت به فى حربه مع المماليك ، إلى تزويد جنوده بأسلحة أكثر كفاية وقدرة على الهجوم أفعل مما تيسر له منها قبلا ، وأن ينشئ قوة من المدفعية أسرع حركة وأكمل تجهيزاً ؛ وبذل فى الوقت نفسه الجهود لزيادة حجم الأسطول العثمانى وقوته ، فأنشأ عدة سفن حربية فى ثغور بحر إيجه وبحر أدرياس . وكانت نذر قيام حرب جديدة ماثلة تمتحن فيها قيمة هذه الأسلحة والزيادة الكبيرة التى لحقت بأسطول السلطان . وقد وقع الاحتكاك على طول الحدود من أحواز البنادقة على سواحل المورة وألبانيا ودلماشيا ، حيث كان الغزاة العثمانيون يواجهون مرتزقة اليونان وإقريطش وألبانيا فى خدمة السينيورا ، كما تكررت الحوادث فى البحر ؛ فحمل ذلك بايزيد على أن يشن حربا على البندقية سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩م) ، وقد تأثر قراره هذا بأن بعض وجوه الباب العالى ظلوا منذ وفاة جم سنة ١٤٩٥ يستحثون السلطان على اتخاذ سياسة أكثر عدواناً تجاه المسيحيين ؛ وسقطت ليپانتو فى يد العثمانيين فى المحرم سنة ٩٠٥ (أغسطس سنة ١٤٩٩) بعد أن فقد كل أمل فى نجدتها من البحر لأن الأسطول البندقى كان قد أجبر على الالتجاء فى ظل من مدافع زنته . وفى هذه الأثناء قام محاربو الحدود البوسنويون بغارة كبيرة على فريولى ثم تزودوا بمدد بعد سقوط ليپانتو فخربوا أراضى البندقية حتى ڤيستريا ومودون وڤورون وناڤارينو فى المورة فسلمت للعثمانيين سنة ٩٠٦هـ (١٥٠٠م) وكذلك كان شأن دورانزو على ساحل بحر أدرياس سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) . ورأت البندقية أن الصراع أبهظ مما تحتمل فسعت إلى الصلح سنة ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) ونزلت فى الاتفاق النهائى الذى عقد سنة ٩٠٩هـ (١٥٠٣) عن كل مطلب لها فى ليپانتو ، ومودون ، وڤورون ، وناڤارينو ، ودورانزو . وأحس بايزيد بالرضا كل الرضا عما أسفرت عنه هذه الحرب التى

حققت له مكاسب إقليمية مكينة فى المورة وعلى ساحل بحر أدرياس ، وحققت له فوق ذلك توكيداً بأن العثمانيين أخذوا يصبحون قوة عتيدة فى البحر .

وشهدت السنوات من ٩٠٩ إلى ٩١٨هـ (١٥٠٣ —١٥١٢م) استفحال أزمة كبرى فى الشرق . ذلك أن إسماعيل رأس الطريقة الصوفية المعروفة بالصفوية كان قد استن فى سنة ٩٠٤ — ٩٠٥هـ (١٤٩٩) منهجاً من الفتوح لم يلبث أن جعله سيد بلاد فارس . وكان الصفوية قد أخذوا يقومون منذ وقت طويل بدعوة شيعية ناشطة بين قبائل التركمان فى آسية الصغرى . ونجحت هذه الدعوة نجاحاً كان من شأنه أن جيوش نظام الحكم الجديد فى بلاد فارس كان قوامها محاربين مجندين من هذه القبائل . وكان من حق العثمانيين — وهم من أهل السنة — أن ينظروا بعين الفزع إلى تفشى الآراء الشيعية فى الأراضى الخاضعة لسيطرتهم ، ثم إنه كان إلى جانب ذلك خطر سياسى كبير يتهددهم ، ذلك أنه إذا سمح للصفوية أن تمد نفوذها إلى ماوراء ذلك فإنها تصبح خليقة بأن تنقل ولاء مناطق كبيرة فى آسية الصغرى من العثمانيين إلى الفرس . وكان ثمة تهديد آخر نشأ من أن المعتقدات الشيعية ازدهرت فى تلك الأقاليم القائمة على طول حدود طوروس التى كانت موضع نزاع بين العثمانيين والمماليك ، فإذا تدخل العثمانيون فيها مناوئين لأتباع الصفوية فقد يدفع ذلك المماليك ، مع سنيتهم ، إلى التحالف مع الدولة الشيعية الجديدة فى بلاد فارس ؟

وأحس بايزيد بهذا الخطر فأمر سنة ٩٠٧ — ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) بترحيل كثير من العناصر الشيعية من آسية الصغرى إلى البلاد التى فتحها حديثاً فى المورة . وعزز أيضاً حاميات الحد الشرقى حين وجد أن الشاه إسماعيل — الذى كان فى حرب سنة ٩١٣ هـ (١٥٠٧ — ١٥٠٨ م) مع علاء الدولة أمير ألبستان — قد احتل دياربكر ومناطق كبيرة من كردستان . وقد اتضح مبلغ ما وصل إليه الموقف من تأزم حين شبت نيران فتنة شيعية كبيرة فى تكه سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م) ، وهو إقليم فى آسية الصغرى اشتهر منذ مدة طويلة بأنه مركز الأفكار الدينية المتزندقة . وقد نهب المفتتنون كوتاهية ، وتقدموا صوب بروسة ، ولكنهم ارتدوا حين واجهتهم قوات أكبر منهم ، ونزلت بهم هزيمة منكرة بين قيصرى وسيواس فى صيف سنة ٩١٧هـ (١٥١١م) . وفى هذا القتال هلك الصدر الأعظم العثمانى على باشا وزعيم المتمردين شاه قولى .

وفى هذه الأثناء أصبحت الإمبراطورية العثمانية على شفا الفتنة الأهلية . ذلك أن السنة التى قضت بأن يأمر كل سلطان جديد عقب ولايته العرش بقتل جميع إخوته وأولادهم الذكور قد فرضت على أبناء السلطان الذى تعلو به السن عبئاً مخيفاً بأن يتأهبوا لصراع مسلح عند وفاة أبيهم أو حتى قبل وفاته . ومن ثم نشبت الحرب بين بايزيد وجم سنة ٨٨٦ — ٨٨٧هـ (١٤٨١ — ١٤٨٢م) ، وهكذا وقع دور الصراع الجديد على أحمد الذى كان والياً على أماسية ، وعلى سليم الذى كان موكلا

بولاية طرابزون القاصية : أما قورقود أكبر الأبناء الثلاثة الباقين من ولد بايزيد فكان لايحظى إلا بتأييد قليل لدى الباب العالى، ولم يكن له إلا شأن ضئيل فى الحوادث التى كانت تجرى آنذاك ؛ أما سليم فقد أخر سنة ٩١٦هـ (١٥١١م) من طرابزون إلى كفه فى القرم ؛ وحظى بتأييد خان التتار وتحرك بقواته فعبر الدانوب وطالب أباه بحكم ولاية فى البلقان : وتحرج بايزيد من أن يشن حرباً على ابنه من صلبه وانشغل باله بفتنة شاه قولى فى آسية الصغرى فاستجاب لرغبات سليم ومنحه رسمياً ولاية سمندريه الكبيرة القائمة على الحدود ؛ ولما بلغت سليماً الأنباء بأن الصدر الأعظم على پاشا — الذى كان يناصر قضية أحمد — قد أنفذ فى كتيبة قوية من الإنكشارية ليقضى على تلك الفتنة الشيعية ، أثار ذلك فى نفس سليم الشكوك إذ خشى أن يعمد على پاشا —إذا نزلت الهزيمة بشاه قولى— إلى القيام بسعى جرىء لإقامة أحمد على العرش ؛ وعندها سار سليم إلى أدرنة حيث كان يقيم أبوه ؛ وانسحب بايزيد فى اتجاه إستانبول ، ولكنه ثبت فى أوغراش دره سى قرب چورلو لايتزحزح ؛ وكان الإنكشارية ميالين لسليم إلا أنهم ظلوا موالين لبايزيد ، وهناك استطاع الإنكشارية فى ٨ جمادى الأولى سنة ٩١٧ (٣ أغسطس سنة ١٥١١) بفضل براعتهم وحسن تنظيمهم أن يهزموا فرسان التتار التابعين لسليم هزيمة منكرة ، وفر الأمير نفسه من ميدان القتال ملتمساً الملجأ فى القرم .

وتقدم أحمد ، بعد هزيمة شاه قولى ، صوب استانبول آملا أن يعبر المضايق ويؤمن العرش لنفسه . إلا أن الاضطرابات التى وقعت بين صفوف الإنكشارية بالعاصمة فى جمادى الأولى سنة ٩١٧ هـ (أغسطس سنة ١٥١١) ملأت بالخوف نفوس المناصرين لأحمد فى الباب العالى ؛ وأدرك أحمد أن الإنكشارية قد أعلنوا بذلك تأييدهم لسليم وعزمهم على ألا يقبلوا أحمد سلطاناً ، فاستعمل القوة المسلحة لإخضاع الجزء الأكبر من آسية الوسطى الغربية لسلطانه ، وهو فعل يبلغ مبلغ الانتقاض الصريح على أبيه . وكان من شأن ذلك أن وافق بايزيد على استدعاء سليم من كفه وأن ترد إليه ولاية سمندرية . ومع ذلك فقد كان الباب العالى يخالجه خوف متزايد من أن أحمد قد يعقد حلفاً مع نظام الحكم الشيعى فى بلاد فارس . وهذا الخوف، مقترناً بطلب الإنكشارية أن يقودهم سليم فى الحملة على أحمد التى لم يكن منها بد فى ذلك الوقت ، قد سارعا ببلوغ الأحداث إلى خاتمة . وقد اضطر بايزيد إلى النزول عن العرش لابنه سليم فى صفر سنة ٩١٨ (أبريل سنة ١٥١٢) . واختار السلطان الشيخ أن يلجأ إلى دموتيقه ، إلا أن المنية أدركته وهو راحل إليها فى ١٠ ربيع الأول سنة ٩١٨ (٢٦ مايو سنة ١٥١٢) .

المصادر :

(١) التواريخ الإخبارية العثمانية أى *Die Altosmanischen Anonymen Chroniken* ، طبعة F. Giese ، برسلاو سنة ١٩٢٢ (انظر أيضاً : *Abh. K. M.* ، جـ ١٧ ، رقم ١ ، ليبسك سنة ١٩٢٥)

(٢) عاشق پاشا زاده : تاريخ ، طبعة F. Giese : ليپسك سنة ١٩٢٩ ه (٣) نشرى : جهانما ، طبعة أونات وقوعن ، أنقرة سنة ١٩٤٩؛ وطبعة تيشنر ، جـ ١ ، ٢ ، ليپسك سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٥ (٤) إدريس البدليسى : هشت بهشت (٥) ابن كمال (أى كمال پاشا زاده) : تواريخ آل عثمان ، دفتر ٧ ، طبعة شرف الدين طوران ، أنقرة سنة ١٩٥٤ (ترانسكرپسيون ، طبعة شرف الدين طوران ، أنقرة سنة ١٩٥٧ : المصدر نفسه ، جـ ٢٢ ، والفهرس مادة بايزيد) (٦) عالى : كنه الأخبار (٧) سعد الدين: تاج التواريخ ، إستانبول ، سنة ١٢٧٩ — ١٢٨٠هـ (٨) وانظر بصفة عامة عن المؤرخين العثمانيين الذين وصفوا عهد بايزيد الثانى Die Geschichtschreiber der Osmanen : F. Babinger und ihre Werke ، ليپسك سنة ١٩٢٧ (٩) وانظر المصادر الغربية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر مثل Historia Turchesca : Donado da Lezze (1300-1314) ، طبعة I. Ursu ، بوخارست سنة ١٩٠٩ (١٠) I Cinque : G.A. Menavino Libri della Legge, Religioni, et Vita de' Turchie البندقية سنة ١٥٤٨ ، فلورنسة سنة ١٥٥١ (١١) Historiarum Sui Temporis Libri : P. Giovio ، جـ ٤٥ ، فلورنسة سنة ١٥٥٠ — ١٥٥٢ ، باريس سنة ١٥٥٨ — ١٥٦٠ (١٢) T. Spandugino : Petit Traicté de l'Origine des Turqz ، طبعة C. Schefer ، باريس سنة ١٨٩٦ (وانظر أيضاً C. Sathas : Documents Inédits Relatifs à l'Histoire de la Grèce au Moyen Age ، جـ ٩ ، باريس سنة ١٨٩٠) (١٣) J. Leunclavius : Annales Sultanorum Othmanidairum ، فرانكفورت على الماين سنة ١٥٩١ (١٤) E. Alberi : La Relazioni degli Ambasciatori Veneti al Senato ، السلسلة الثالثة ، جـ ٣ ، فلورنسة سنة ١٨٥٥ : Relazioni de Andrea Gritti [1503] (١٥) M. Sanuto : I Diarii ، طبعة Barozzi, Berchet, Fulin, Stefani ، البندقية سنة ١٨٧٩—١٩٠٣ (١٦) وانظر التواريخ العمدة الحديثة عن الإمبراطورية العثمانية : Hammer-Purgstall ، جـ ٢ ، پشت سنة ١٨٢٨ ، ص ٢٥٠ — ٣٧٥ (١٧) J.W. Zinkeisen ، جـ ٢ ، گوتا سنة ١٨٥٤ ، ص ٤٧٣ — ٥٦٦ (١٨) N. Jorga ، جـ ٢ ، گوتا سنة ١٩٠٩ ، ص ٢٣١ — ٣١٤ (١٩) ا: خليل أوزون چارشيلى : عثمانلى تاريخى ، جـ ٢ ، أنقرة سنة ١٩٤٩ ، ص١٥٥ — ٢٤٢ (٢٠) والوثائق التى ترجع إلى عهد بايزيد الثانى نجدها فى F. Kraelitz : Osmanische Urkunden in tuerkischer Sprache aus der Zweiten Haelfte de 15. Jahrhunderts, SBAK Wien, Phil. Hist. Kl. ، مجلد ١٩٧ ، جـ٣ ، ڤيناسنة ١٩٢١ (٢١) P. Lemerie & Wittek : Recherches sur l'histoire et le Statut des monastères Athonites sous la domination turque فى Archives d'Histoire du Droit Oriental ، جـ ٣ ، ڤيترين سنة ١٩٤٨ ، ص ٤٢٠ — ٤٣٢ (٢٢) G. Elezovich : Turski Spomenici (Srqska Akademja) ، السلسلة

الأولى جـ ١) جا ١/ ، بلغراد سنة ١٩٤٠ ، ص ١٨٧ — ٥٥٥ (الأرقام من ٥٦ — ١٥١) ، جـ ٢/١ ، بلغراد سنة ١٩٥٢ ، ص ٥٨ — ١٠٨ (٢٣) وانظر أيضاً A. Bombaci : *Il «Liber Graecus», un cartolario veneziano comprendente inediti documenti ottomanni in greco* (1481-1504) فى *Westoestliche Abhandlungen* : طبعة F. Meier ، فيسبادن سنة ١٩٥٤ ، ص ٢٨٨ — ٣٠٣ ؛ (٢٤) وثمة معلومات أخرى متيسرة فى H.A. von Burscki : *Kemal Re'is : ein Beitrag zur Geschichte der tuerkischen Flotte* ، بون سنة ١٩٢٨ (٢٥) V. Chorovich : *Der Friedensvertrag zwischen dem Sultan Bayazid II and dem Koenig Ladislaus* فى *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesells* ، جـ ٩٠ (= *Neue Folge* ، جـ ١٥ ، ليبسك سنة ١٩٣٦) ص ٥٢ — ٥٩. (٢٦) S. N. Fisher : *Civil Strife in the Ottoman Empire* 1481-1503 فى *The Journal of Modern History* ، جـ ١٣ ، شيكاغو سنة ١٩٤١ ، ص ٤٤٨ — ٤٦٦ ، وانظر أيضاً *The Foreign Relations of Turkey* 1481-1512 (دراسات جامعة إلينوى فى العلوم الاجتماعية جـ ٣٠ ، رقم ١) أوربانا ، إلينوى سنة ١٩٤٨ (٢٧) G. Vajda : *Un Bulletin de Victoire de Bayazid II* فى *Jour. As.* ، جـ ٢٣٦ ، باريس ١٩٤٨ ، ص ٨٧ — ١٠٢ (٢٨) F. Babinger : *Vier Bauvorschlaege Leonardo da Vinci's an Sultan Bayazid II* (1502-1503) فى *Nachr. Akad. Wiss. Goettingen, Phil. Hist., Kl.* ، سنة ١٩٥٢ ، ص ١ — ٢٠ ، وانظر أيضاً *Zwei diplomatische Zweischenspiele im deutsch-osmanischen Staatsverkehr und Bajezid II* (1497 und 1504) فى *Westoestliche Abhandlungen* ، طبعة F. Meier ، فيسبادن سنة ١٩٥٤ ، ص ٣١٥ — ٣٣٠ (٢٩) *The New Cambridge Modern History* ، جـ ١ (*The Renaissance*, 1493-1520) كمبردج سنة ١٩٥٧ ، الفصل ١٤ ، ص ٣٩٥ — ٤١٠ (٣٠) O. Gorka : *Niezany Zywot Bajezida II ... Une biographie inconnue de Bayazid II comme source historique pour l'expédition vers la Mer Noire et pour les invasions turques aux temps de Jean Albert*) فى *Kwartalnik Historyczny* ، جـ ٥٢/ ٣ ، لفوف سنة ١٩٣٨ ، ص ٣٧٥ — ٤٢٧ (٣١) طيب گوك بلگين : كوروين ماتياس فى بايزيد الثانى مكتوبلرى ترجمه لرى و ١٥٠٣ (٩٠٩) عثمانلى مجار معاهده سنك توركچه متنى فى بلتن ، جـ ٢٢ ، أنقره سنة ١٩٥٨ (٣٢) وانظر أيضاً : إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بايزيد الثانى بقلم أوزون چارشيلى (٣٣) ثم انظر مصادر مادتى «جم» و«سليم الأول» (حتى عام ١٥١٢) فى هذه الدائرة .

[V.J. Parry = پارى] خورشيد

«بايزيد» : أنصارى پير روشن : وهو ابن الشيخ عبد الله من زوجته بنين ، ولد فى جالندهر فى البنجاب حوالى عام ٩٣١هـ ١٥٢٥م ، من أبوين

أفغانيين ، ولما هزم بابر إبراهيم لودى وقضى على الدولة الأفغانية انتقلا إلى كانيكُرام فى الإقليم الجبلى القريب من قندهار ، وبايزيد من نسل الولى سراج الدين أنصارى ، وظهر شغفه المبكر بالدين والتصوف ، ويقال إنه تمسك فى شبابه بقواعد الإسلام على مذهب أهل السنة ، ولكنه أخذ بمذهب وحدة الوجود تدريجاً حتى قال فى نهاية الأمر بأنه لاموجود غير الله ، وكان قليل الاهتمام بالسير على قواعد الشرع ، وقد أعلن أنه البير الكامل ووعد بالخلاص جميع الذين يؤمنون به ، وقام بدعوة ناشطة كان لها أثر واضح عند الأفغان ؛

ويظهر من فقرة فى الـ « دبستان » (ص ٣٨٧) الذى ترجمه ليدن Leyden ترجمة غير صحيحة أنه فى عام ٩٤٤هـ (١٥٨٥م) أرسل إلى أكبر خبر وفاة بايزيد ، ولكننا إذا أخذنا بما قاله نظام الدين أحمد (انظر Elliot-Dowson ، جـ ٥ ، ص ٤٥٠) نرى أن بايزيد توفى عام ١٥٨١م أو قبله لأنه يقول فى حديثه عن السنة الواحدة والثلاثين من حكم أكبر إن بايزيد ذهب إلى جهنم وإن ابنه جلال الدين ، وكان فى الرابعة عشرة من عمره ، مثل بين يدى أكبر فى عام ٩٨٩هـ ، وكان جلال الدين هذا خامس أبناء بايزيد وخلفه فى دعوته ، ورحب به أكبر ولكنه سرعان ما هجر معسكره ، وأصبح زعيماً من زعماء الدين ، ومعكراً للأمن حتى قتل بين عامى ١٦٠٠ — ١٦٠١م ، فخلفه ابن أخيه أحد داد الذى قتل بدوره بين عامى ١٦٢٥ — ١٦٢٦م .

ويقول « آخوند درويزه » إن بايزيد كان كافراً من قطاع الطرق وقد هزمه مرتين رجل يدعى محسن خان غازى الذى ربما كان خادماً لأخ غير شقيق لأكبر اسمه ميرزا محمد حكيم ، ولكننا يجب أن نأخذ قول آخوند بالحيطة لأنه كان من المعارضين المتعصبين لتعاليم بايزيد الدينية وهو كذلك مصدر متأخر بعض الشىء ، فقد صنف كتابه عام ١٠٢١هـ (١٦١٢م) فإذا كان بايزيد ولد بعد عام ٩٠٠هـ ببضع سنين — كما يقول — ما استطاع أن يتعرف إليه شخصياً ، أما إذا أخذنا بما ورد فى الـ « دبستان » فإن بايزيد يكون قد اشتهر عام ٩٤٩هـ (١٥٤٢) .

وقد خلف بايزيد كتاباً ضمنه تعاليمه عنوانه « حال نامه » كما صنف أيضاً « خير البيان » إلى غير ذلك من المؤلفات ، ولكن واحداً منها لم يصل إلينا ، ونرى فيما أورده خصمه الكبير آخوند درويزه —واسمه الحقيقى عبد الكريم — أن أهم تعاليم بايزيد هى أن كل الموجودات مظاهر لله أعلاها البير أو الأنبياء ، والمحك الوحيد للخير والشر فى طاعة البير ، وكل من يعصيه فى شرعته يقتل ، والقرآن والحديث لايفسران بحروفهما وإنما يفسران تفسيراً صوفياً لايصدر إلا عن البير الذى يعتبر لذلك مصدر كل معرفة سامية .

المصادر :

(١) آخوند درويزه : مخزن الإسلام (فهرس إتيه Ethé للمخطوطات الفارسية فى مكتبة وزارة الهند ، رقم ٢٦٣٢ — ٢٦٣٨) (٢) دبستان ،

جـ ٢ ، ص ٣٨٠ ، طبعة كلكتة (٣) مآثر الأمراء جـ ٢ ، ص ٢٤٢ (المكتبة الهندية) (٤) Leyden : *On the Roshenian Sect and its Founder Bayezid Ansari, Asiatic Researches* ، جـ ١١ ، ص ٣٦٣ وما بعدها (٥) Graf Noer : *Kaiser Akbar* ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ وما بعدها ؛ ويوجد بمكتبة المتحف البريطانى مخطوط (فهرس المخطوطات الشرقية لريو ، جـ ١ ، ص ٢٨) يظهر أنه النسخة الفارسية لمصنف آخوند درويزه بلغة البشتو الذى وصفه ليدن Leyden ويعرف بـ « تذكرة الأبرار » وورد ذكر بايزيد فى هذا الكتاب فى صفحة ١١٤ وما بعدها .

[H. Beveridge بيفردج]

+ بايزيد (أو بازيد كما نقش على خاتمه ، تذكرة الأبرار ، ورقة ٨٨ أ) أنصارى « پير رَوْشان (أو رَوْشَن) » ، بن عبد الله قاضى بن شيخ محمد : منشئ حركة دينية وقومية للأفغان ، وقد لقبه مؤرخو المغل وغيرهم « پير تاريك » نقلا عن حاجى ملاّ محمد الذى غلب عليه اسم « ملاّ زنگى » وهو شيخ آخوند درويزه أشد خصوم البير . إذ كان هذا الشيخ هو أول من لقّبه بذلك (تذكرة ، ورقة ٩٢) : ويرد بايزيد نسبه إلى (أبى) أيوب الأنصارى (جده الواحد والعشرين) صاحب رسول الله المشهور عن طريق الشيخ سراج الدين (جده الخامس) وكانت أمه أيْمَنَة (ويقال لها أيضاً به بن وبيبن : وكانت أمه أمنة (ويقال لها أيضاً به بن وبيبن : مآثر الأمراء ، جـ ٢ ، ص٢٤٣) ابنة عم غير شقيق

لأبيه ، وهى ابنة الحاج أبى بكر الجَلَنْدَهرى ، نسبة إلى مدينة جلندهر التى ولد فيها بايزيد حوالى سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) أى قبل عامين من إنشاء بابُر لإمبراطوريته فى الهند ؛ وشخص أبوه إلى كانيگُرام (وزيرستان) مسقط رأسه قبل أن يتم ابنه الأربعين يوماً ؛ وقد روع أهل بايزيد تمكن سيطرة المغل ففروا حوالى سنة ٩٣٦هـ (١٥٢١م) إلى بهار ثم مضوا مع قافلة إلى كانى گُرام ؛ وهنالك أحس عبد الله بكراهية لأمنة فطلقها ، وكانت له زوجة أخرى وعدة أولاد منها ؛ وكانت سن بايزيد وقتذاك سبع سنوات تقريباً ، ووجد حياته العائلية المقبلة تعيسة كل التعاسة فنمت فى قلبه شيئاً فشيئاً وحشة بينه وبين والديه وأخيه غير الشقيق . وقد اضطربت حياته الدراسية الباكرة ، ذلك أنه طلب للعناية بشئون أسرته وبالتجارة ، ولكنه كان ينصرف إلى دراساته كلما أمكن ذلك ، ولو أنه كان دائماً لاينكب إلا على ما يتصل بمسائل العبادة ؛ وكان يقبل فى نشاط على معرفة العبادات وغيرها من الواجبات الدينية معرفة تفصيلية والمواظبة على أداء هذه الواجبات ؛ على أنه ألفى نفسه ألعوبة تتقاذفه النوازع فى كل اتجاه ، ذلك أن والده لم يكن ليسمح له بأداء الحج أو المضى إلى أى مكان لمتابعة دراسته ، أو يبيح له أن يكون مريداً لشيخ من شيوخ الصوفية .

ولما قارب بايزيد السادسة عشرة صحبه والده معه فى سفرة من أسفاره للتجارة ، ثم سافر بايزيد فى عدة أسفار غيرها . ولاشك أنه لقى فى سفرة

منها (كما جاء فى التذكرة ، ورقة ٨٢ب) الملحد (الإسماعيلى) سليمان الذى نستطيع أن نشاهد فيما نشاهد أثره فى توكيد بايزيد بشدة على القول بـ «البير الكامل» ، واللجوء الكثير إلى «التأويل» مثال ذلك التأويل فى الأركان الخمسة — كالغسل وغيره — وفى بعض أقوال الحروفية (انظر : حال ، ص ٢١٦ وما بعدها ، ٩١ وما بعدها ، ٢٥٧). وتشير التذكرة أيضاً إلى مصاحبة بايزيد لليوجية الذين تعلم منهم القول بتقمص الأرواح والحلول (أفتار). ولم يذكر هذا صراحة فى كتاب «حال نامه» ، ولكنه إذا كان هو هو «الواجد الذى جمّع الشلوك» كما يعتقد بعض أنصارية جلندهر (انظر : أونكار نامه : واجدجى دهشلوك ، لاهور ، من غير تاريخ) فإنه يكون قد أبدى معرفة كبيرة بالمأثورات الشعبية الهندوكية ، وتكون بعض أبيات لمحرر «الحال» (ص ٥٠٢) قد استوحت حقاً فيما يبدو «الشلوك» مباشرة أو عن طريق «خير البيان».

وهذه الجهود التى بذلها قد تمشى معها جنباً إلى جنب اكتشافه بأنه هو نفسه «البير الكامل» ، فقد رأى فى حلم من أحلام منامه أنه لقى الخضر وشرب من يده ماء الحياة (حال ، ص ٥٤) ، وقد مجّد أتباعه هذه المناسبة من بعد بصوم هذا اليوم. وكان بايزيد أيضاً يسمع أصواتاً من عالم المجهول ويتلقى الوحى من الله ويرقى درجة درجة فى سلم الصعود الروحى (انظر مادة «الروشنية») ، وانشغل أيضاً بـ «الذكر الخفى» وبالاسم الأعظم ، ولما دخل فى سن الواحدة والأربعين سمع هاتفاً يقول له إن عليه بعدُ أن يترك أداء فرائض الوضوء وأن يهجر صلاة المؤمنين ويصلى صلاة الأنبياء (حال ، ص ٩٤). وهنالك رأى أن سائر الناس كفار أو منافقون ، وأخذ يصوم الصيام الأربعينى (چلّه).

وعندئذ حان الوقت لدعوة الآخرين : لقد كان بايزيد ماضيا إلى الهند فى قافلة ، ولكنه عاد من قندهار إلى موطنه ، وأنشأ صومعة له تحت الأرض ، وجعل زوجته وعدداً قليلا من الآخرين يؤدون صيام الأربعين ؛ ثم تلقى الأمر بأن يجاهر بدعوته. وبدأ الناس يسمونه «ميان روشان» تحقيقاً لأحلام رآها هو وآخرون ، ولقى بايزيد مقاومة كبيرة اشترك فيها بنصيب كبير أبوه وتلاميذه. وقد أنكروا عليه حتى تفسير التنزيل وغير ذلك مع قلة معرفته به ، ولو أنهم أعجبوا بذكائه الخارق ومنطقه القاطع فى المناظرات. وكذلك أنكروا دعوته بأنه المهدى وأنه يوحى إليه ، ولو أنه كان يصبح أميل إلى المسالمة قليلا. وبدأ مريدوه يزيد عددهم زيادة عظيمة ، وأقام بعضهم خلفاء ليتابعوا رسالته. وكانوا يصطدمون بالمشايخ المحليين أينما ذهبوا ، وكان هؤلاء المشايخ يؤلبون الرأى العام على طريقة بايزيد.

تعاليمه : يمكن أن نلخص المبدأ الجوهرى لبايزيد كما يأتى : (انظر الصراط ، جـ ١) : معرفة الله فرض عين : وهذه المعرفة إذا تجردت من الطاعة والعبادة والصدقات والأعمال الصالحة لا يمكن أن يقبلها الله ، ولا يمكن تحقيقها إلا عن طريق

مرشد روحى كامل (پير كامل) ، وهذا الپير هو رجل « الشريعة » و« الطريقة » و« الحقيقة » و« المعرفة» و« القُرْبَة » و« الوَصْلة » و« الوَحْدة » و« السُكونة » (= السكينة فى الصراط ، ص ١١٠) ؛ وهو كاشف حقائق الأسرار الإلهية وهو الذى يتمثل فيه « التَخَلّق بأخلاق الله » أى أن روحه تكتسب الصفات الإلهية (المصدر المذكور ، ص ٢٥) ؛ والبحث عن الپير وطاعته فرض على الجميع ، وطاعته طاعة لرسول الله ومن ثم طاعة لله : وهذا الپير الكامل هو بايزيد نفسه الذى أخبر بذلك فى أحلامه وفى يقظته ، والذين يخلصون له الطاعة سوف يقودهم فى درجات التوحيد التى أسلفنا ذكرها (الصراط ، ص ٢٤) ؛

ويشدد بصفة خاصة على «توبة» الداخل فى الطريقة ، واعتكافه فى الصوامع ، وصيام الأربعين مرة كل سنة ، وذكر اسم الله بينه وبين نفسه ، والتفكّر ، وما إلى ذلك من رياضيات الزهاد ، فإذا انتهى المريدون إلى الدرجة الأخيرة فى صعودهم الطريق أصبح من المفروض أنهم يرون أنهم تحللوا من الفرائض التى أوجبتها « الشريعة » (تذكرة ، ص ١٨٨ ا) .

والراجح أن ماجاء فى « دبستان » (ص ٢٥١ ، انظر « نظر» ٢) على أنه مبادئه هو القواعد التى وضعها للحرب فى المدة التى كان يحارب فيها المغل والقبائل الأفغانية الأخرى المعادية له .

ما أداه من رسالته خارج بلده : بدأ بايزيد رسالته فى قرية على مسيرة يوم من كانيكرام ، ولقى معارضة عنيفة ، ففر عائداً إلى بلده ، حيث وجد أيضاً معارضة قوية له زادت إلى حد يقرب من إقصائه عن مجتمعه ؛ ولكنه اصطنع الملاينة فأنقذ ذلك موقفه إلى حين ؛ وكان « داع » من دعاته قد مهد الطريق لدعوته بين الداوَرِيّة (أوالداوْرِيّة) بوادى توچى فى شمال وزيرستان ، فشخص بايزيد إلى هناك ، بل لقد فعل بعض الكرامات ؛ ثم إن داعياً بارعاً آخر من دعاته عبّد له آنئذ السبيل ، ومضى به شوطاً أبعد ، وفى الوقت المناسب ظهر بين البنگش ، ثم شق طريقه صعداً واستمال الأوركزائية والتيراهية والآفريدية ؛ وانتقل بعد إلى أرض سَرَبَن من پشاور فضم إلى طريقته عدداً من أفراد قبائل الخليل ، ومهمند ، والداودزائية والگيانية واليوسفزائية ، والتوئية ،والصافية ؛ وبلغت شكاوى الناس منه كابل فاشتد عليه الوالى الشاب للولاية وأخو أكبر ميرزا محمد حكيم (ولد سنة ٩٦١هـ = ١٥٥٤م ، وتوفى سنة ٩٩٠هـ = ١٥٨٣م) واضطر أكبر أن يخضع للمساءلة فى تحقيق أمام قاضى خان قاضى كابل . وأجاب بايزيد فى التحقيق إجابات بارعة وسمح له أن يعود إلى پشاور ، وهنالك استأنف دعوته بين المهمندزية وتأثر بإخلاصهم وولائهم لدعوته أبلغ التأثر حتى أن أبناءه تزوجوا نساء منهم وتزوجت ابنته رجلا من بينهم . واستطاع داع من دعاته أن يهدى كاسيّة قندهار إلى عقيدته وخاصة الشنوارية والمهمندزية وبعض بريچ وصافية قندهار .

وقضى الداعى بينهم بضع سنوات ثم ظهر بين

السندية والبلوچية وجعل سيّدپور القريبة من حيدرآباد السند قاعدةلنشاطه : وحقق الپير ووكلاؤه الذين سمح لهم بالعمل باسمه فحسب لاباسمهم ، نجاحاً أولياً عجيباً فى كل مكان بالرغم من المعارضة العنيفة التى أثارها المشايخ والعلماء وغيرهم من المنافسين ، إلا فى تيراه إذ لم يظهر فيها على مايبدو منافسون من هذا القبيل : وفى هذه المرحلة أرسل بايزيد دعاته (من كلاً دهر فى هشتنگر ، انظر مخزن ، ص ١٥٤ب) إلى الحكام والنبلاء والعلماء فى البلاد المجاورة يدعوهم إلى قبول دعوته . وقد أرسل واحدا من هؤلاء إلى الإمبراطور أكبر ، وآخر إلى ميرزا سليمان أمير بذخشان . وأرسل إلى الهند وبلخ وبخارى : وتلقى سيد على الترمذى مرشد آخوند واحداً من هؤلاء أيضاً (تذكرة ، ص ٩١ ب) .

حربه مع المُغل : رأى بعض ذوى البصيرة النافذة من أهل زمانه سلطان بايزيد ينمو فتنبأوا بأنه على وشك أن يمتشق الحسام ويتسبب فى إراقة الدماء (حال ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٧) . وقد روى السبب المباشر لمغامراته فى القتال على هذا النحو فى حالنامه (ص ٤٧١ وما بعدها) : كانت قافلة عائدة إلى الهند فى طريقها إلى كابل ، فأناخت قرب قرية تسكنها جماعة من غلاة المتعصبين من أتباعه . وقد أخرجهم عن وعيهم الإهمال الجسيم الذى أبداه أفراد القافلة لأمور العالم الآخر فنهب القرويون متاع القافلة وحطموه ، فأثار ذلك عليهم غضب السلطات فى كابل أشد الغضب ، وذبّح القرويون وحمل أطفالهم أسرى . وكتب بايزيد احتجاجاً على ذلك فأمر معصوم خان والى پشاور باعتقاله ، ولكنه فر إلى تل فى إقليم اليوسفزائى ، وضرب عليه الحصار هناك واستطاع أن يخترق الحصار بنجاح متخذاً طريقه إلى خيبر وتيراه ، وقد سمى بايزيد هذه الساحة التى كانت مشهد أول قتال له ، آغازپور . واستمرت الحرب طوال السنتين ونصف السنة الباقيتين من عمره حتى أدركته المنية سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢–١٥٧٣م) . ولم يسق كتاب «حالنامه» تفصيلات هذه الحرب ، بل ساقها ملاّ درويزه ، فقد روى درويزه أن بايزيد هزم آخر الأمر عند تُرّاغه على يد محسن خان غازى الذى قاد حملة على بايزيد من جلال آباد . وفر الپير على قدميه إلى التلال وقاسى من آلام الإرهاق والعطش ثم توفى أخيراً فى «كلاپانى» ولكنه دفن فى «هَشْتْنَگر» (تذكرة ، ص ٩٣ب) . وقد عثر ببعض الگُجار ينبشون قبره بليل ، فبادر ابنه وخليفته شيخ عمر بنقل الناووس الذى قبر فيه وأبقاه أمامه فى سيره حتى وقع فى نهر السند فى غمار معركة من المعارك وقعت سنة ٩٨٩هـ (١٥٨١م) . ويقال إنه عثر عليه من بعد ودفن فى بهطّاپور (حالنامه ، ص ١٥٦) .

آثاره فى الكتابة وغير ذلك من مناحى الثقافة : كتب بايزيد كتاباً يجمع بين الترجمة الذاتية والدعوة ، ورسائل كثيرة ، ليبيّن عقائد الطريقة التى أنشأها . وليس بين أيدينا إلا رسالتان من هذه الرسائل . وكانت طريقته فى هاتين الرسالتين أن يستشهد بآية أو آيات من القرآن ثم يضيف إليها المادة

المناسبة لها من الحديث (وقد كشف فى ذلك أنه ليس بالحكم الذى يميز بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة أو فى غير ذلك من مسائل الحديث)، ثم يكمل ذلك بأقوال مشايخ الدين. وتتكرر هذه المادة فى كثير من الأحيان من رسالة إلى رسالة، ومن الأحاديث التى أدارها أحاديث سماها «أحاديث قدسى» وبعضها كان موجها إليه: وهو يذكر أيضاً ما قالت له هواتف السماء سواء بالعربية أو بالفارسية (انظر مثلا: حالنامه، ص ٨٨، ١١٣، ١١٧، ١٢٥)؛ وعربيته، من الناحية الأدبية، سقيمة مخالفة للنحو حتى مع التسليم بأن مخطوطات آثاره التى انتهت إلينا ليست إلا نسخاً متأخرة: وكان أكبر خصومه ومعاصريه: ملا دوريزه (تذكرة، ص ٨٩ ب)، وقد وجد درويزه فى «خير البيان» كلمات عربية مرصوصة من غير إدراك للتركيب (بلا إدراك تركيب): وهذه الآثار قد قرأها هو وشرحها لأفراد أسرته (حالنامه: ص ٦٨٩). وقد اكتسب كتاب «خير البيان» و«مقصود المؤمنين» خاصة عندهم ما يشبه القداسة، وقد ادعى بايزيد أن الكتاب الأول منهما قد أوحى به إليه. وحدث فى مناسبة من المناسبات أن لجّ اليوسفزائية فى مطاردة ابنه عمر ليلا فأوقف عمر جنوده وانتظر حتى استنقذ الكتاب وكان قد نسى فى مكان ما على الطريق (حالنامه، ص ٤٩٨). ويقال إن كتاب «مقصود المؤمنين» أنقذ حياة ابن آخر لبايزيد هو جلال الدين، ذلك أنه كان يحمله فكان له درعاً تلقى عنه وخزات السيوف وطعنات الخناجر.

وقد سمع درويش هاتفا من الغيب يهيب به أن يعود إلى منزله وأن ينصرف إلى دراسة هذين الكتابين (حالنامه، ص ٣٩٠) وما إلى ذلك. ويتبين لنا مما بقى من نثره باللغة الأفغانية أنه كان فيما يظهر يكتب بالسجع على غرار النماذج العربية والفارسية حتى ولو اقتضاه ذلك التضحية بقواعد لغة البشتو؛ وقد أملت عليه طبيعة الموضوعات التى يتناولها — وهى الدين والتصوف والأخلاق — أن يكثر من استعمال المصطلحات العربية والفارسية المألوفة مقترنة بكلمات من اللهجتين اليوسفزائية والقندهارية فى لغة البشتو (انظر *Urdu Encyclopaedia of Islam*، مادة بايزيد أنصارى) ويمكن أن نتتبع من آثاره ما يأتى:

(١) خير البيان: فى أربعين فصلا، فكل فصل بيان (حالنامه، ص ٤٣١)؛ وجاء فى كتاب «تذكره» أن بعض فقراته كانت بالعربية والفارسية وبعضها بالأفغانى والهندى (ولكن انظر: دبستان، ص ٢٥١، س ١٢) ولو أن كل أقسامه «ليست موزونة ولا متناسقة» (ناموزون ونا موافق) بل إن الا «آخوند» يؤكد أن جزءاً من «خير البيان» هو من عمل ملاّ أرزانى خوشگى الكسورى خليفة البير. ولما سأل بايزيد مريدوه وهو على فراش الموت عن آخر مايوصى به وجه التفاتهم إلى «خير البيان» وقال إنه سجل فيه ما فاض عليه من وحى (حالنامه، ص ٤٨٣): ويقال إن هذا الكتاب يحاول أن يؤكد القول بوحدة الوجود (مآثر الأمراء جـ ٢، ص ٢٤٣). ولانعرف أن نسخة قد بقيت

من خير البيان إلا نسخة واحدة نسخت سنة ١٠٦١هـ (١٦٥١م ، ص ١٦٧ وما بعدها) وقد أرسل هذه النسخة شخص إلى سير دنيسون روس ويقال الآن إنه لايمكن تتبع أثرها . وقد نشر الأستاذ مورگنشتيرن Morgenstierne من أوسلو بعض مختارات منها مع ترجمة هذه المختارات إلى اللغة الإنكليزية فى *Indian Antiquity* .

(٢) **مقصود المؤمنين** : وهو بالعربية ، ولانعرف منه إلا نسختين ، واحدة فى حوزتى (وبين سطورها ترجمة فارسية) وقد نسخت سنة ١٢٢٤هـ(١٨٠٩ م) ، والأخرى فى المكتبة الآصفية ، وقد نسخت بعد ذلك بستين (انظر الفهرس ، جـ١ ، ٣٩٠/٨٦ ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٩٩١) . وهذا الكتيب الخاص بالطريقة الروشنية ألفه بايزيد نزولا على رجاء ابنه الأكبر عمر (ويخاطبه أحياناً فى هذا الكتاب «يابنى العزيز!») لنفع المؤمنين يقرءونه ويتذكرونه ويعملون به . وهو ٢١ قسماً: الثلاثة عشر الأولى فيها ما يزيد عن نصف الكتاب ، وتتناول موضوعات من قبيل الوعيد ، والعقل ، والعقيدة ، والخوف ، والأمل ، والروح ، والشيطان ، والقلب ، والنفس ، وهذه الدنيا ، والآخرة ، والثقة بالله ، والتوبة . وتتناول الثمانية الأقسام الأخيرة الدرجات (انظر ماسبق) من «الشريعة» إلى «السكونة» .

(٣) **صراط التوحيد**: وهو بالعربية والفارسية ، وهذه الرسالة التى يتناول جزء منها سيرة ذاتية تبدأ بوصف درجات تطوره الروحى حتى اكتشف فى نفسه البير الكامل وتنتهى برسالة وجهت بصفة خاصة إلى الملوك والأمراء . وتشمل الرسالة تحذيراً للأمراء . وتصف الدرجات المختلفة النظامية فى صعود نفس الإنسان الذى لايتأتى إلا بإرشاد البير الكامل . وهو يحضهم على التماس التوبة على يد مثل هذا البير (الصراط ، ص ٧١ ، ١٨٤ وما بعدها) : ويخبر بايزيد أولئك الذين مارسوا الرياضات الروحية تحت إرشاده أو أولئك المريدين من مريديه الذين نعموا بالرضى الإلهى بقدر طاقتهم ، ذلك أن الطاقة لاغنى عنها فى «الصعود» .

وقد ذكر فى خاتمة الرسالة أنها ألفت سنة ٩٧٨هـ (١٥٧٠ — ١٥٧١م) وأن من درسها وعمل بها عرف علم التوحيد : وأرسل المؤلف نسخة منها على يد رسول خاص إلى الإمبراطور أكبر فسرّ بتلقيها (حالنامه ، ص ٤٦٨) ونشرها م.ا. شكور فى پشاور سنة ١٩٥٢ : ومتن النسخة يعتمد على أصل يعتوره شيء من النقص فى أوله .

(٤) **فخر** (؟ ، وقد جاء فى المخطوط فخر أولحر) **الطالبين** (حالنامه ، ص ٤٦٨) وهى رسالة أرسلها بايزيد إلى ميرزا سليمان صاحب بدخشان فى الوقت الذى أرسل فيه آثاره إلى أمراء مختلفين . ولا نعرف لهذه الرسالة نسخة بقيت .

(٥) **حالنامه** (بالفارسية) : وهى سيرة ذاتية لبايزيد أعيد تحريرها وأضيف إليها على يد على محمد «مخلص» بن أبى بكر قندهارى من مواطنى (خانى آزاد) أبناء بايزيد وخليفته على الطريقة .

وثمة نسخة غير مؤرخة من حالنامه (ص ٥٢٦ ومابعدها) فى عليگره (مكتبة سبحان الله الشرقية، رقم ٩٢٠ — ٣٧). وقد أخذت منها نسخة جامعة البنجاب حديثاً (٧٤٥، ٢، ص ٢٠) والإشارات الواردة فى هذه المادة تنتمى إلى هذه النسخة. ولانعرف أن ثمة نسخة أخرى بقيت من هذا الأثر، ولكن الكونت نور Noer (ترجمة بيڤردج، جـ٢ ص ١٤٨) يشير إلى بعض «قطع موجودة» منها.

وقد خدم أبو بكر أبو على محمد جلال الدين صبياً، ثم قاد من بعد الجنود تحت إمرة أحد داد، ثم قدم إلى الهند بعد ذلك أيضاً مع أفراد أسرة بايزيد عندما نزحوا إلى الهند. وقد خدم علىّ محمد حفيدُ بايزيد رشيد خان فى الدكن، واستقر فى رشيد آباد وهى قرية فى شمس آباد مادو (حالنامه: ص ٧١٤؛ مآثر الأمراء، جـ ٢، ص ٢٥٠) قرب آگرا (*Gazetteer of Jullundur District*، ص ١٩).

ويذكر محرر نص «حالنامه» بايزيد فى المقدمة أن هذا النص كان قد تحرف بمرور الزمن وأن الأمر اقتضى أن يذيّل بالمغامرات الحربية لأبنائه وأحفاده. وقد أكمل المحرر ذلك نزولا على رجاء بعض الأصدقاء معتمداً على مصادر مكتوبة ومصادر شفوية: أما الرواية فى هذا النص التى أكملت حتى اعتلاء أورنگزيب العرش، فلها ميزة أدبية كبيرة بالرغم من الاستطرادات الطويلة التى دخلت فى تضاعيفها نثراً ونظماً (وهى فى كثير من الأحيان من تأليفه) والتى تتناول مبادئ الطريقة والحوادث الصغيرة التى وقعت للمؤمنين به: ويسوق القسم الأول من الرسالة بياناً كاملامفصلا لحياة بايزيد، وهو يشمل تواريخ أقل كثيراً: كما أن بعض هذه التواريخ إذا قورنت بتواريخ الجزء المتأخر بدت معرضة للشك، ولكن رواية حياة بايزيد تفتقر إلى التفصيل فيما يتعلق بحربه مع المغل التى خاضها فى الستين ونصف السنة الأخيرة من حياته: وتنتهى هذه الرواية نهاية مقتضبة: ولكنه يزودنا ببيان مستفيض مستوف حتى آخر وقت بأحفاد البير ذكوراً وإناثاً وأشجار أنسابهم.

وتزعم «حالنامه» (ص ٤٥٣) أن بايزيد له أفضال محددة على النهضة الثقافية للشعب الأفغانى. فقد كان — فى قول هذه الرسالة — أول من أنشأ «القصائد» و«الغزليات» و«الرباعيات» و«القطع» و«المثنويات» بلغة البشتو، فى حين أن الذين من قبله لم ينظموا إلا بيتاً أو بيتين: على أن فى هذا القول مبالغة، ذلك أننا نعلم بوجود قصائد وما إلى ذلك قبل ظهوره بوقت طويل: ومع ذلك فقد يكون صحيحاً أن أولاد بايزيد ومريديه قد ائتسوا به فنظموا عدة دواوين بلغة البشتو حافلة بالحقائق الشامخة والأفكار الجيدة: وقد سار غيرهم من الأفغان الذين لم يدخلوا فى الطريقة على هذا المنوال، وبذلك وجد الحافز إلى المزيد من استخدام لغة البشتو وسيلة أدبية.

وكان للبير أيضاً مآثر على النهوض بموسيقى البلاد، فقد أضاف حاجى محمد، وهو خليفة مير فضل الله ولى (الحروفى؟ المتوفى سنة ٧٩٦هـ

= ١٣٩٣) بعض الأوتار إلى الرباب ؛ وبإرشاداته أنتج الموسيقيون الأفغان ألحاناً جديدة ، راقصة فى أغلبها ، ولكن العازفين لم يستطيعوا عزفها بالإيقاع المضبوط ، ولذلك حسّن بايزيد إيقاعها واستطاع الموسيقيون بإرشاده أن يلحنوا الأغنية الصوفية « سرود سلوك » وغيرها من الألحان المطربة والمقامات الستة الآتية :

ن:آ: س.أ.ر:ى (دهنسارى ؟) پنج پرده ؛ چهار پرده ، س پرده (خمسة وأربعة وثلاثة ألحان) وألحان المسيرات الحربية (فى ساحة القتال) ؛ ومقام شهادت (مقام يحمل معنى الاستشهاد).

وقد أظهر بايزيد — حتى وهو بعد طفل — حساسية شديدة للموسيقى وكان يرقص من نشوة الوجد حين تغنى الألحان (حالنامه ، ص ٢٣) . وأثبت كثير من أبنائه وأحفاده أنهم موسيقيون من ذوى الخبرة ، وقد استخدم واحد منهم ، وهو أحد داد ، موسيقيين يتناوبون على عزف الموسيقى بالنهار والليل للترويح عنه (حالنامه ، ص ٥٨١ ؛ وانظر أيضاً ص ٦٧٢ ، ٦٨٠ وغير ذلك من الصفحات)

وينسب إلى الپير أيضاً أنه هو الذى أشاع الخط الأفغانى .

وقد أبادت الحروب الداخلية والخارجية أتباع الطريقة ، وأنهكتهم معارضة العلماء العنيفة ، وغلب عليهم من بعد التشتت فى شتى أنحاء الهند ، فكادوا يختفون ؛ ويقال إن تعاليم هذه الطريقة لايعتنقها اليوم إلا « السلالة المباشرة لمنشئ الطريقة فى تيراه وكوهات وبعض بطهان البنگش والأوركزائى» Gazetteer of the Peshawar District 1897-1898) ، ص ٦٠ ؛ وانظر J. Leyden : Asiatic Researches ، ج ١١ ، ص ٣٦٣) .

المصادر :

(١) المصادر الآتية مهمة بصرف النظر عن كتب التاريخ الخاصة بالمغل ، وأهمها : مآثر الأمراء ج ٢ ، ص ٢٤٢ (المكتبة الهندية) . (٢) على محمد بن أبى بكر قندهارى : حالنامه پير دستگير (مخطوط فى مكتبة جامعة الپنجاب) (٣) بايزيد أنصارى : مقصود المؤمنين ، مخطوط خاص بى (٤) الكاتب نفسه : صراط التوحيد : طبعة محمد عبد الشكور ، سنة ١٩٥٢ (٤) آخوند درويزه : مخزن الإسلام ، مخطوط خاص بى ، ورقة ٨ ب ، ١٥١ب ، وانظر أيضاً The Cat. of Persian MSS in the Library of the India Office الأرقام ٢٦٣٢—٢٦٣٨ (٥) الكاتب نفسه : تذكرة الأبرار والأشرار ، بالفارسية ، مخطوط بمكتبة جامعة الپنجاب ، ورقة رقم ٨٢ وما بعدها ، سنة ١٠٢١هـ (انظر أيضاً فهرس ريو ، ج ١ ، ص ٢٨ ، القسم الشرقى ، رقم ٢٢٢) (٦) J. Leyden : On the Roshenian Sect and its Founder, Bayzid Ansari فى Asiatic Researches ، ج ١١ ، ص ٣٦٣ ومابعدها (٧) Graf Noer : Kaiser Akbar ، ج ٢ ، ص ١٨٠ (الترجمة الإنكليزية بقلم بيفردج ، كلكتة ، سنة ١٨٩٠ ، ج ٢ ، ص ١٣٨) (٨) G. Morgenstiene : Notes on an old Pashto Manuscript containing the Khair-ul-Bayân of

New Indian Antiquary فى *Bayazid Ansari* بومباى ، ج ٢ ، رقم ٨ (نوفمبر سنة ١٩٣٩) ، ص ٥٦٦ وما بعدها (٩) معارف ، وهى مجلة أوردية تنشر فى أعظمگره : المجموعة التاسعة ، رقم ٦ (سنة ١٩٢٧) ، ص ٤٣٠ (١٠) سيد عبد الجبار شاه ستانوى : عبرة لأولى الأبصار ، بالأوردية ، ص ٤٥ وما بعدها (بخط الكاتب) (١١) انظر أيضاً مادة « روشنية »

[محمد شافى Muhammed Shafi]

+ « بايزيد البسطامى » : (انظر مادة « أبويزيد البسطامى») .

« بايْسُنْغُر » : اسم أمير من أمراء الأق قويونلى فى بلاد فارس ، وهو ابن السلطان يعقوب وخلفه ، حكم مدة قصيرة من سنة ٨٩٦هـ إلى سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٠ — ١٤٩٢م) ثم خلعه ابن عمه رُسْتَم .

[بارتولد W. Barthold]

+ « بايْسُنْغُر » : الابن الثانى للسلطان محمود صاحب سمرقند وحفيد السلطان أبى سعيد (انظر هذه المادة) ؛ ولد عام ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ — ١٤٧٨م) وقتل فى العاشر من المحرم عام ٩٠٥هـ (١٧ أغسطس عام ١٤٩٣م) .

وكان أميراً لبخارى فى حياة أبيه ، فلما توفى هذا فى ربيع الآخر من عام ٩٠٠هـ (٣٠ ديسمبر من عام ١٤٩٤ — ٢٧ من يناير ١٤٩٥م) استدعى بايسنغر إلى سمرقند ثم خلعه أخوه السلطان على ، ولكن إلى أمد وجيز (٩٠١هـ = ١٤٩٥ — ١٤٩٦م) وفى أواخر ربيع الأول من ٩٠٣هـ (نوفمبر ١٤٩٧م) خلعه نهائياً ابن عمه بابر ؛ فذهب إلى حصار حيث استطاع أن يهزم أخاه مسعودا ، واستعاد حكم البلاد بمساعدة الأمير خسروشاه ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى غدر به خسروشاه فقتل .

ويصف بابر غريمه بايسنغر بأنه كان أميراً شجاعاً عادلا ، وقد اشتهر كذلك بقرض الشعر باللغة الفارسية متخذاً اسم « عادل » ، وذاعت غزلياته فى سمرقند حتى لايكاد يخلو منها بيت (بابرنامه ، طبعة Beveridge ، ورقة رقم ٦٨، ب)

[بارتولد W. Barthold]

+ « بايْسُنْغُر » غياث الدين ، ابن شاهرخ وحفيد تيمور ، عينه أبوه عام ٨٢٠هـ (١٤١٧م) قاضياً للقضاة فى البلاط ، ولما توفى قره يوسف سنة ٨٢٣هـ (١٤٢٠م) استولى على تبريز ؛ ثم نصب حاكماً لأستراباذ فى صفر من عام ٨٣٥هـ (أكتوبر ١٤٣١م) ولكنه لم يرتق العرش بتاتاً : وتنبأ له المنجمون بأنه لن يعيش أكثر من أربعين سنة ، فانغمس فى الملذات ، وتوفى فى هراة يوم السبت السابع من جمادى الأولى عام ٨٣٧هـ الموافق ١٩ من ديسمبر من عام ١٤٣٣م بالغاً من العمر ستاً وثلاثين سنة ، ودفن فى ضريح الأميرة گوهر شاد .

وكان بايسنغر غياث الدين من رجال الفن والمشجعين عليه ، شغوفاً بالرسم والزخرفة ، وقد اشتغل بنسخ المخطوطات فى المكتبة التى أسسها أربعون نساخاً من تلاميذ مير على منشئ الخط المعروف باسم «نستعليق» ، وكان له أثر ظاهر فى تطور فن التصوير أيام بنى تيمور فى فارس ، وفى عام ٨٢٩هـ (١٤٢٥ — ١٤٢٦م) أمر بكتابة نسخة مصححة من شاهنامة الفردوسى مع مقدمة لها ، وهى أطول النسختين اللتين وصلتا إلينا .

المصادر :

(١) *Calligraphes et miniaturistes* : Cl. Huart ص٩٧ ، ٢٠٨ ، ٣٢٤، ٣٣٦ (٢) G. Mohl : فى ترجمته لشاهنامة الفردوسى ، *Livre des Shâhnâma* جـ١ ، ص ٢٥ ، تعليق ١ (٣) ميرخواند فى روضة الصفا ، جـ٦ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ (٤) خواندمير : حبيب السير ، جـ٣ القسم الثالث ص ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ (٥) Geiger-Kuhn : *Grundr. der iran. Philol* جـ٢ ، ص ١٤٠—١٤٤ ، ٢٠٥ وما بعدها (انظر الفهرس) .

[إيوار Cl. Huart]

+ «بايْقَرا» : أمير من بيت تيمور وهو حفيده ، كان فى الثانية عشرة من عمره عندما توفى جده فى شعبان سنة ٨٠٧هـ (فبراير سنة ١٤٠٥م) ، ولهذا يقال إنه ولد حوالى سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٢ — — ١٣٩٣م) . وتوفى أبوه عمر شيخ قبل وفاة جده تيمور . ويقول دولتشاه (طبعة براون ، ص ٣٧٤) إن بايقرا كان فى حسن يوسف وشجاعة رستم ، وإنه كان أميراً على بلخ زمناً ما .

وفى سنة ٨١٧هـ (١٤١٤م) أقطعه شاهرخ حكم لورستان وهمدان ونهاوند وبُروجِرد : وفى العام التالى انقض بايقرا على أخيه إسكندر واستولى على شيراز ، ولكن شاهرخ تغلب عليه ثم صفح عنه وأرسله إلى الأمير قيدو فى قندهار وگرمسير : على أنه أثار هناك أيضاً فتنة أخرى فقبض عليه قيدو سنة ٨١٩هـ (١٤١٦—١٤١٧م) . وعفا عنه شاهرخ مرة أخرى وأذن له بالسفر إلى الهند ،ولم يسمع عنه بعد ذلك شىء .

ولاتتفق رواية دولتشاه مع هذا الذى ذكرناه نقلا عن حافظ أبرو . فدولتشاه يقول فى كتابه الذى أشرنا إليه آنفاً ، إن بايقرا ذهب باختياره من مكْران إلى شاهرخ فأوفده هذا إلى سمرقند ، وهناك حرض عليه ألغ بك : أو —كما تقول رواية أخرى— بعض حاشية الأمير شاهرخ فى هراة، فقتل. وتذكر بعض الروايات أيضاً أن سنة ٨١٩هـ هى السنة التى قتل فيها الأمير بايقرا .

ويروى بابر (طبعة بيڤردج Beveridge ، ص١٦٣ب) أن اسم بايقرا سمى به أيضاً حفيد لهذا الأمير ، هو الأخ الأكبر للسلطان حسين . وكان بايقرا الثانى هذا حاكماً لبلخ زمناً ما .

المصادر :

(١) وصلت إلينا المعلومات التى ذكرها حافظ أبرو عن حوادث السنوات الأولى للقرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) فى كتاب

« مطلع السعدين » لعبد الرازق السمرقندى . (٢) وانظر خلاصة ذلك فى Quatremère : *Notices et Extraits* ، جـ ١٤ الفصل الأول (عن حوادث ٨٠٧—٨٢٠هـ) ؛ (٣) وانظر ما كتبه W. Barthold بارتولد : (*Sbornik statei vcenikov al-Muzaffariya* (*bar. Rozena* طبعة سانت بطرسبرج ، ١٨٩٧ ، ص ٢٥ — ٢٦ ، وذلك عن النص الأصلى لكتاب حافظ أبرو الذى ورد فى مخطوط بمكتبة بودليانا بأوكسفورد Elliot ، ص ٤٢٢ ؛ وانظر أيضاً L. Bouvat : *L'Empire mongole* المرحلة الثانية ، باريس سنة ١٩٢٧ (*Histoire du Monde* بقلم Cavaignac) ص ١٦٢ — ١٨٠ .

[W. Barthold بارتولد]

+ « بايلو » : (انظر مادة « باليوس ») .

+ « باينلر » : من قبائل الأوغوز التركمانية . أما الأق قويونلى مؤسسو الأسرة الحاكمة الذين تسموا بهذا الاسم نفسه ، فعشيرة من هذه القبيلة ، ويسمى بعض المؤرخين أسرة الأق قويونلى « باينلر خان أوغلانلرى » أو « آل باينلريه » ، ويسمون دولة الأق قويونلى « دولت باينلريه » . ومن الجائز أن يكون الباينلر قد اشتركوا فى غزو السلاجقة الأناضول . وقد نسب إليهم كثير من أماكن تركية الوسطى والغربية فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ، ولاشك أن معظم هؤلاء كانوا ينتسبون إلى الباينلر الذين اشتركوا فى غزو الأناضول

ونحن نجد باينلر بين التركمان فى الشام أيام القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، وقد كان لعشيرة الأق قويونلى من هذه القبيلة نشاط سياسى فى إقليم دياربكر فى هذا القرن نفسه . وأهم عشيرة باينلرية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) كانت تنزل إقليم طرسوس وكانت تشتغل بالزراعة ؛ وكان ثمة عشائر باينلرية أخرى فى إقليمى طرابلس وحلب بالشام ، وفى يكى إيل جنوبى سيواس ؛ وقد طلبت الحكومة العثمانية من باينلر حلب أن يسهموا فى الحملة على النمسا سنة ١٦٩٠ . وكانت عشيرة باينلرية تعيش فى إقليم أستراباذ بين التركمان الگوكلن ؛ ويعتقد أعضاء من الأسرة الأق قويونلية الحاكمة أنهم انحدروا من باينلر جد قبيلة باينلر ، واستخدموا شارتها على سكتهم وآثارهم ومراسيمهم ؛ وقد استعمل باينلر أيضاً فى الماضى اسماً لأشخاص فى تركية وإيران .

المصادر :

(١) فاروق سومر : پچنك ويوره گيرلر فى ديل وتاريخ جغرافيا فاكولته سى درگيسى ، جـ ١١ /٢ — ٤ ، ص ٣١٧ — ٣٢٢ .

خورشيد [فاروق سومر Faruk Sümer]

+ « البَبَّغاء » ، و « البَبْغاء » أيضاً : الطائر المعروف ، وهذه الصيغة تقال للذكر والأنثى .

وتدل على المفرد أو الجمع . ويقول الجاحظ إن اسمه مشتق من صيحة هذا الطائر . وترد صيغة الاسم إلى أصل رومانى ، مثال ذلك أنها فى لغة پروڤنسال « پپغاى » ، وفى الأسپانية « پگايو » وفى الفرنسية القديمة « پپگاى » (و « پگان » فى رومان ده لاروز) .

وفى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كانت العراق فحسب هى التى تعرف تلك الأنواع من البغاوات التى كان موطنها الأرخبيل الهندى . وقد ذكر الدّميرى علاوة على البغاوات الخضر والحمر ، نوعاً أبيض على رأسه ذؤابة . ويصف الشعراء أحياناً هذا الطائر الجميل . وقد لوحظ سكوت منافسيهم فى الأندلس عن ذلك حتى القرن الخامس الهجرى على الأقل (الحادى عشر الميلادى).

المصادر :

(١) الجاحظ : الحيوان ، الطبعة الثانية ، ج٣، ص ٥١٦ ، ج ٧ ، ص ١٧٠ (٢) الدميرى : حياة الحيوان ، القاهرة من غير تاريخ ج ١ ، ص ١٦٦ (٣) H. Pérès : *La Poesie andalouse, en arabe classique* ، الطبعة الثانية ، باريس سنة ١٩٥٣ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٦ .

خورشيد [بلاشير R. Blachère]

+ « البيغاء » : اللقب الذى اشتهر به الشاعر العربى وكاتب الرسائل أبو الفرج عبد الواحد ابن نصر ، وكان مولده سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م) ووفاته سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م) . أما نسبة «المخزومى» التى جعلت له فتتضمن أصلا عربياً موهوماً.

كان البيغاء من أهل نصيبين ، والظاهر أنه ربط نفسه بحاشية الأمير سيف الدولة الحمدانى حين استقر أمر سيف فى حلب ، وكان ذلك من ثم بعد سنة ٣٣٣هـ (٩٤٤م) . وقد مدح البيغاء هذا الأمير ، ونبه شأنه فى الوسط الأدبى الذى قام فى هذه المدينة . وكان شاعرنا معجباً أشد الإعجاب بالمتنبى (انظر هذه المادة) ، وقد لقى المتنبى ثانية فى بغداد . وأقام البيغاء مدة قصيرة فى الموصل ، ثم استقر ببغداد حيث توفى آخر الأمر .

ويقول ابن النديم إن آثار البيغاء الشعرية فى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كانت تضم ديوناً من ثلثمائة صفحة ، لانعرف منه إلا المختارات التى انتقاها الثعالبى . وقد استشهد الثعالبى أيضاً بفقرات طويلة هامة من رسائل البيغاء .

وينتمى البيغاء المدّاح إلى المدرسة القديمة النزاعة إلى التجديد كما يمثلها البحترى والمتنبى . على أن البيغاء فى مراثيه وخمرياته لايخلو من سحر خاص متميز . ثم هو قد اشتهر خاصة ببراعة رسائله وغناها بالنثر الموزون الحافل بالإيقاع . وقد كان أستاذاً فى نوعه وفى زمنه .

المصادر :

(١) الفهرست ، ص ١٦٩ (٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١١، ص ١١ (٣) ابن خلكان ، القاهرة سنة ١٣١٠هـ ، ج ١ ، ص

٢٩٨ (٤) السمعانى : الأنساب ، ورقة ٦٤ب (٥) البديعى : الصبح المنبى عن حيثيات المتنبى ، القاهرة سنة ١٣٠٨هـ على هامش شرح العكبرى على ديوان المتنبى ،ص٧٣ وما بعدها (٦) الثعالبى : يتيمة الدهر ، دمشق سنة ١٩٠٣ ، جـ١ ، ص ١١ وما بعدها ، ١٧٣ — ٢٠٤ ، ٢٢٠ ؛ جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، ٢٩١ (٧) R. Blachère : *Un poète arabe du IVe S. H. : Al Motanabbi IXe S.* ،باريس سنة ١٩٣٥ ، ص ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٥٥ (٨) Zaki Mubarak : *La Prose arabe au IVe S:H.* ،باريس سنة ١٩٣١ ، ص ١٢٩ وما بعدها (٩) الكاتب نفسه : النثر الفنى ، القاهرة سنة ١٩٣٤ ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ — ٢٩٦ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٢٦ — ٢٤٢ (١٠) أما عن بقية المصادر فانظر بروكلمان جـ١ ، ص ٩٠ ؛ قسم ١ ،ص ١٤٥ (١١) M. Canard : *Recueil de textes relatifs à l'émir Saif al-Daula* ، الجزائر — باريس سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ ، تعليق ١

خورشيد [بلاشير R. Blachère]

« بيشتر » (١) : قلعة متهدمة فى جبال الأندلس يقول الغزيرى وكوندى Casiri et Conde إنه حدث خلط بينها وبين بربشترو من أعمال أرجون(٢) Barbastro d'Aragon وكذلك بينها وبين وشقة Huisca فى أقصى الشمال الشرقى من مقاطعة غرناطة Granada ، ثم جاء دوزى Dozy فظن أنها هى نفس الخرائب القديمة المعروفة باسم (Municipium (Singilia Barba Singiliensis Barbstrense) انظر Dozy : *Recherches* جـ ١ ، ص ٣٢٣—٣٢٧ ؛ *Histoire des Musulmans* ، جـ ٢ ، ص ١٩٥) . وتعرف اليوم باسم قسطيلة el Castillon(٣) وهى بالقرب من ثنية Teba غربى أنتقيرة(٤) Antequera فى وادى المرس(٥) الأعلى Guadalhorce

أما سيمونيه Simonet فيبحث عنها بحق هى وإستبانيز كلدرون Estenbnez Caldèron بين أنتقيرة وأردال وكزارابونيلا Ardales, Casarabonela فى *Las Mesas de Villaverde* على بعد فرسخ ونصف فى الشمال الشرقى من مدينة كرّاتراكا Carratraca الحالية وعلى ارتفاع صخب المنال فوق قمة عند وادى المرس الأوسط . وفى سنة ٢٦٧هـ (٨٨٠— ٨٨١م) كانت هذه الصخرة الحصن المنيع الذى احتمى به الثائر عمر بن حفصون (انظر هذه المادة).

المصادر :

(١) انظر بصفة خاصة Simonet : *Historia de los Mozárabes de Espana* ، ص ١٧٣ وما بعدها (٢) انظر أيضاً التعليق الذى علق به ده كاسترو de Castro فى ترجمته لكتاب Dozy : *Historia de los Musulmanes Espanoles* جـ ٢ ،سنة ١٨٧٧ ، ص ٤٣١ — ٤٣٦ .

[تسيبولد C.F. Seybold]

تعليقات على مادة « بيشتر »

(١) بُبَشْتَر — بضم ففتح فسكون ففتح فراء أخيرة — مدينة بالأندلس قريبة من قرطبة ، وقد تشبع الباء الثانية فيقال : بباشتر ، وكانت فى عهد العرب من

أعمال رية التى كانت منها مالقة ، أما الآن فهى من أعمال إقليم قرطبة ، وفى الإدريسى أنها قلعة فى غاية الامتناع والتحصين والصعود إليها على طريق صعب .

أما مدينة بَرْبُشْتَر بفتح فسكون فضم فسكون ففتح وراء أخيرة — وهى التى كثيراً ما خلطت بها مدينة بيشتر لما بينهما من القرابة اللفظية القريبة ، فهى فى شرق الأندلس لا فى جنوبها إذ هى إحدى مدن إقليم وشقة بالتقسيم الإدارى الحالى ، وعلى ٥٠ كيلو متراً من مدينة وشقة قاعدة ذلك الإقليم . وفى التاريخ أن بربشتر صارت للإفرنج سنة ٤٥٢ هجرية (سنة ١٠٦٠ للميلاد) ولكن لم يلبث المسلمون أن استردوها بعد أربع سنين فى إمارة أحمد بن سليمان بن هود ، وإليها ينسب المقرئ أبو القاسم خلف بن يوسف البربشترى وغيره من جلة العلماء .

(٢) أرجون هو التعريب الصحيح لكلمة Aragon إذ يطابق لفظها مطابقة تامة ، وقد ورد فى نفح الطيب تارة بهذا الرسم بعينه وطوراً بالإبدال من الجيم غيناً هكذا : أرغون ، على أن المراكشى فى كتابه المعجب فى تلخيص أخبار المغرب حذف من هذا الرسم الأخير واوه ، إذ قال : « وجزيرة الأندلس يملك جهاتها الأربع أربعة ملوك من الروم ، وإحدى هذه الجهات تسمى : « أرغن » ، وقد جرى ابن خلدون على هذا الرسم فى الفصل الذى عقده من تاريخه لسيرة ملوك شمالى الأندلس .

ويحسن فى حالة تفضيل كلمة أرجون على أختيها أرغون وأرغن ألا يخلط بينها — وهى قطر كبير فى شمالى أسبانيا — وبين أرجونة التى هى مدينة من مدن إقليم جيان Jaen فى جنوبها واسمها بالإفرنجية Arjona لا Aragon .

غير أنه دفعاً للالتباس بين كلمات أرجون وأرغون وأرغن وأرجونة يحسن الرجوع إلى الاسم الذى ظل العرب يطلقونه على بلاد أرجون مدة ثمانية قرون ألا وهو الثغر الأعلى ، وما كانت تسميتهم إياها بالثغر لأنها متصلة بالبحر كما يتبادر إلى الخاطر أول وهلة ، وإنما لقربها من أرض العدو وتعرضها لغاراته تعرض الثغور للهجمات من ناحية البحر ، والثغر فى اللغة مأخوذ من الثغرة ، وهى الفرجة فى الحائط .

وكتب التاريخ والجغرافيا العربية حافلة بذلك الاسم دلالة على الأقاليم التى تضمها الآن مقاطعة أرجن ، ومن ذلك قول المقرى فى نفح الطيب : « أما شرقى الأندلس ففيه من القواعد مرسية ودانية والسهلة والثغر الأعلى » إلخ .

(٣) يلوح لى أن مؤلف المادة مخطئ فى رسم Castillon بحرف i بعد t اسماً لمدينة فى آحد الأقاليم الجنوبية من أسبانيا ، إذ الصواب أن المدينة التى غربى أنتقيرة وعلى مقربة من بلدة تبة هى قسطيلة المسماة فى اللغة الأسبانية Puelba de Cazdila لا قسطيلية التى هى اسم مدينة فى شمالى إفريقية .

وفى شرقى أسبانيا على نحر البحر المتوسط بين ثغرى بُرّيانه Burriana - بضم الباء وراء مشددة - وبنشكله Beniscola مدينة تدعى Castellon de la Plana تحرف بعد بلا يحرف i ، وهى غير Cazdila لاختلاف موقعهما وتباين المراد منهما ولأن اسمها المعرب ما برح موضع الشك والتضارب فبعضهم يسميها قشتليون وهذا غير صحيح لأن قشتليون حصن من أعمال شنترية بداخل الأرض فى غربى الأندلس إلى جنوب ، بينا هى على البحر فى شرقه كما ذكر ، والبعض الآخر يسميها رابطة كشطالى ولكن رابطة كشطالى إنما هى المسماة عند الفرنج Castillo de Chivert التى ترى أطلالها الدارسة على مقربة من Alcala de Chivert الثغر الواقع فى الشمال الشرقى من ثغر Castellon : فمما تقدم يستنتج أن المراد فى المادة هو Cazdila لا Castellon ولا Castillon التى هى اسم مدينة فى فرنسا لا فى أسبانيا .

(٤) أنتِقَيرة — بكسر التاء وفتح القاف وياء ساكنة — حصن بين مالقة وغرناطة منها كما جاء فى معجم ياقوت يحيى بن محمد بن يحيى الأنصارى الأنتقيرى ، وتعد الآن من مدن إقليم مالقة ، وهى على ٤٠ كيلو متراً من الشمال الشرقى لثغر مالقة واسمها اللطينى القديم هو Antecaria ، وقد أعاد العرب بناءها على أطلال بلدة قديمة وجعلوها موقعاً من مواقعهم الحصينة .

(٥) وادى المرس ، والمُرس — بضم الحاء — هو القمح المهروس ، معناه وادى القمح أو الحنطة إذا صح ما ذكره العلامة ففيان دى سان مارتن فى موسوعته الجغرافية من أن كلمة Guadalhorce مؤلفة من كلمتين عربيتين الأولى وادى والثانية هرس بالمعنى المتقدم .

« محمد مسعود »

« بُتّ » : (انظر مادة « بُدّ »)

+ « البَتّانى » (١) أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان البتّانى الحرّانى الصابئ المعروف عند الغربيين فى العصور الوسطى باسم Albategni أو Albatenius : من أكبر علماء الفلك عند العرب ، ولد قبل عام ٢٤٤هـ (٨٥٨م) ، ويرجح كثيراً أن مولده كان فى حران أو ماجاورها ، ولسنا نعرف أصل النسبة « بتّانى » على التحقيق ، وكانت أسرته قبلا من الصابئة ، ولذلك عرف بالصابئ مع أنه كان مسلماً . وصرف معظم حياته فى الرَّقّة على الضفة اليسرى لنهر الفرات حيث استقرت عدة أسر حرانية . ووقف نفسه على رصد الأفلاك من عام ٢٦٤هـ (٨٧٧م) واستمر على ذلك فى دأب بقية حياته . وذهب إلى بغداد فى عمل له ومات فى عودته منها عند قصر الجِصّ الذى لايبعد كثيراً عن دجلة

ناحية الشرق بقليل على مقربة من سامرا ، وكان ذلك عام ٣١٧هـ (٩٢٩ م) .

ونصانيف البتانى هى :

(١) «كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك» أى مطالع نقط البروج التى ليست فى وقت معلوم واحدة من الأوتاد الأربعة (انظر مادة «تنجيم») ويتناول هذا الكتاب الحل الرياضى للمسألة التنجيمية لاتجاه الراصد .

(٢) «رسالة فى تحقيق أقدار الاتصالات» أى الحلول المضبوطة بحساب المثلثات للمسألة التنجيمية Projectio radiorum عندما تكون النجوم المقصودة لها خط عرض أى خارج فلك البروج (انظر مادة «تنجيم») .

(٣) شرح المقالات الأربع لبطلميوس .

(٤) الزيج ، وهو أهم تصانيفه ، ولم يصل إلينا غيره ، وبه نتائج رصود البتانى ، وقد كان له أثر كبير ، لا فى علم الفلك عند العرب فحسب ، بل فيه وفى حساب المثلثات الكرّى عامة فى أوروبا خلال العصور الوسطى وأول عصر النهضة ، وقد ترجمه إلى اللاتينية روبرتوس رتننسس Robertus Retinensis أو كتننسس Ketenensis المتوفى فى عبلونة من أعمال أسپانيا بعد عام ١١٤٣م ، وضاعت هذه الترجمة ؛ كما نقله إلى اللغة نفسها أفلاطون تيباستينوس Plato Tibastinus فى النصف الأول للقرن الثانى عشر الميلادى ، وقد نشر المتن من غير الجداول الرياضية فى نورنبرغ عام ١٥٣٧ م ، وفى بولونيا عام ١٦٤٥م ، وأمر ألفونس العاشر صاحب قشتالة (١٢٥٢ — ١٢٨٢م) بأن يترجم هذا الزيج من العربية إلى الأسپانية رأساً ، ولهذه الترجمة مخطوط غير كامل فى پاريس .

وهناك ثلاث رسائل لاقيمة لها فى التنجيم بقيت منها نسخة لاتينية فى عدة مخطوطات ، وقد وضع عليها اسم المؤلف هكذا : Bethem أو Boetem أو Bereni أو Bareni ، وهى منسوبة خطأ للبتانى .

وحدد البتانى فى كثير من الدقة ميل الدائرة الكسوفية ، وطول السنة المدارية والفصول ، والمدار الحقيقى والمتوسط للشمس ، كما أصحح مذهب بطلميوس القائل بثبات الأوج الشمسى مقيماً الدليل على تبعيته لحركة المبادرة الاعتدالية ، واستنتج من ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيراً بطيئاً على مر الأجيال . وقد أثبت — على عكس ما ذهب إليه بطلميوس — تغير القطر الزاوى الظاهرى للشمس واحتمال حدوث الكسوف الحلقى . وصحح البتانى جملة من حركات القمر والكواكب السيارة . واستنبط نظرية جديدة تشف عن شىء كثير من الحذق وسعة الحيلة لبيان الأحوال التى يرى بها القمر عند ولادته . وضبط تقدير بطلميوس لحركة المبادرة الاعتدالية . وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنثورن Dunthorne سنة ١٧٤٩ فى تحديد تسارع القمر فى حركته خلال قرن من الزمان . وأعطى حلولا رائعة بوساطة المسقط التقريبى لمسائل فى حساب المثلثات الكرى ، وقد عرف هذه الحلول

رجيو منتانوس المشهور Regiomontanus (١٤٣٦ — ١٤٧٦) وسار على مناهجها .

المصادر :

(١) Albatenii : ... Opus astronomicum Arabice editum, Latine versum, adnotationibus instructum a C. A. Nallino, 1899 - 1907 Mediolani Insubrum, فى ثلاثة مجلدات .

[نالّينو C.A. Nallino]

تعليق على مادة « البتانى »

(١) الوضع الصحيح لهذا الاسم هو : أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان الحرانى الصابئ المعروف بالبتانى ، لا الحرانى البتانى كما ذكر مؤلف المادة ، وفى كتاب القاضى صاعد الأندلسى : أنه أبو جعفر محمد بن سنان بن جابر : قال القفطى فى كتابه «أخبار العلماء» : هو أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين فى علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم وصناعة الأحكام . وقد أجمع علماء الفرنجة المحققون على أنه كان أسمى مكانة من بطلميوس الفالوذى إذ احتوت مصنفاته شتات الحقائق الفلكية أكثر مما احتوته منها مصنفات الفلكى الإغريقى . ولهذا عده لالند Lalande الفلكى الفرنسى الكبير المتوفى سنة ١٨٠٧ من الفلكيين العشرين المبرزين الذين أنجبتهم الإنسانية منذ خلق الله الخلق حتى الآن .

أما كتاب الزيج — وهو الرابع من مصنفاته التى سردها مؤلف المادة — فقد اشتهر بالصابئ فحسب ، وقد ضمنه نتائج أرصاد للكواكب الثابتة لسنة ٢٩٩ هجرية ضمن ما قام به من الأعمال الفلكية المختلفة التى تتابعت من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٣٠٦ أى مدة ٤٢ سنة

وفى مكتبة الفاتيكان نسخة من هذا الزيج . وقد طبعه العلامة نالينو فى العقد الأول من هذا القرن عن نسخة محفوظة فى مكتبة الإسكوريال بالأندلس وترجم مراراً إلى اللغة اللاطينية وكذا إلى الأسبانية .

وكان البتانى يرصد فى الرقّة على الضفة اليسرى من الفرات وموقعها على الدرجة السادسة والثلاثين من العرض الشمالى : وقد ذكر مؤلف المادة أنه وهو مقيم بتلك البلدة حدد بالدقة ميل « دائرة فلك البروج » يريد بهذه الدائرة ما اصطلح الفلكيون على تسميته بالدائرة الكسوفية .

والواقع أن البتانى حدد هذا الميل بـ ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة وهذا قصارى ما كان يبلغ إليه محقق من الدقة فى زمن لم تكن الآلات الفلكية قد عرفت أو اخترعت وفيه كل الفخر له ، لأن العلامة الفلكى لالند الآنف الذكر قام بحساب ذلك الميل بعد ألف سنة تقريباً من وفاة البتانى فوجد أنه ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة و ٤١ ثانية أى بزيادة هذا الفرق من الثوانى لأنه أضاف إلى تقدير البتانى ٤٤ ثانية

للانكسار ثم طرح منها ثلاث ثوان للاختلاف الأفقى ولم يكن البتانى قد عمل لهما حساباً .

والبتانى هو أول من كشف السمت azimuth والنظير nadir وحدد نقطتيهما من السماء، كما أنه أول من أبدل أوتار القسى بالجيوب فى قياس المثلثات والزوايا .

« محمد مسعود »

« بَتْجَان » : من جزائر الملوكا Moluccas ، جزيرة بركانية خصبة تبلغ مساحتها ٥٠ ميلا مربعاً وهى مركز سلطنة بتجان . ويبلغ ارتفاع الجبل الذى بها نحو ١٥٠٠ متر ، وسلطنة بتجان هى وسلطنتا ترنات Ternate وتيدور Tidore كانت تابعة فى حكمها للمقيمية الهولندية فى ترنات .

ولما كانت جزيرة بتجان مشهورة بالتوابل وخاصة القرنفل فقدجذبت إليها التجار الأجانب منذ عهد متقدم . واعتنق أهلها الإسلام منذ القرن الخامس عشر على يد التجار الجاويين المسلمين الذين وفدوا إليها . واستقرالبرتغاليون فى وقت متأخر (حوالى عام١٥٢٤م) والأسبان والهولنديون (حوالى عام ١٦٠٩) فى هذه الجزيرة يشتغلون بتجارة التوابل كما كانوا حلفاء لأمرها ، وقد تزوجوا من نساء هذه الجزيرة وأنجبوا منهن أطفالا كما أنهم نشروا المسيحية فيها . ولايزال جزء من سكان هذه الجزيرة معتنقاً المسيحية، وقد سكنوا العاصمة لبوهه Lobuha وبلغ عددهم ٣٥٠ نسمة تقريباً . ولايزيد عدد السكان المسلمين ، وهم خليط ، عن ثلاثة آلاف نسمة ، وهم يقطنون بعض القرى على شاطئ البحر ؛ أما داخل الجزيرة فمغطى بالغابات وغير مأهول بالسكان .

وتشتمل سلطنة بتجان على هذه الجزيرة وعدة جزائر أخرى مجاورة صغيرة وغير مسكونة . وامتد نفوذ هذه السلطنة قبل مجيء الأوربيين وخلال القرن الأول الذى أعقب مجيئهم حتى بلغ سرام Ceram ولكنه كان دائماً أضعف من نفوذ سلطنة ترنات أو تيدور .

وكانت تجارة التوابل عماد تلك السلطنة ، وقد أصاب الضعف سلطنة بتجان فيما بعد، أى عندما أجبر الهولنديون أمراء جزائر الملوكا فى القرن السابع عشر على التخلى عن زراعة التوابل نظير تعويض يدفعونه إليهم . وخضعت سلطنة بتجان تماماً للهولنديين منذ عام ١٧٨٠؛ ولم ينجح الأوربيون فى استغلال هذه الجزيرة فى العهد الأخير، وأهم حاصلاتها الآن : التمر هندى وجوز الهند .

المصادر :

(١) Wallace : *Malay Archipelago*
(٢) J. Bleeker : *Reis door de Molukken en den Molukschen Archipel* بتافيا سنة ١٨٥٦
(٣) Bokemayer : *Die Molukken* ، ليبسك سنة ١٨٨٨
(٤) K. Martin : *Reisen in din Molukken* ، الجزء الجيولوجى طبع فى ليدن عام ١٩٠٣
(٥) W. Kukenthal : *Im Malayischen Archipel* ، فرانكفورت سنة ١٨٩٦
(٦) الكاتب نفسه : *Ergebnisse einer zoolog. Forschungsreise in den Molukken und in Borneo* عام ١٨٩٧
(٧) *Tijdschrift v. h. Batav. Genootschap*

v. Kunsten en Wetenschappen ، جـ ٥، ص٣٢٣ ؛ Natuurkundig Tijdschrift (٨) ص٤٠١ ، جـ ١٤ ، Ned. Indie ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ ؛ جـ ٦ ، ص ١٦٣ ، ٣٦٥ ، ٥٣٨ ؛ جـ ٨ ، ص ١٩١ ؛ جـ ١٢ ، ص ٣٢٤ ، ٤٨٢ ؛ جـ ٢٣ ، ص ٣٣٦ ؛ جـ ٢٦ ، ص ١١٧ (٩) Indische Gids ، جـ ٢ (١٠) Tijdschrift van Nederlandsch Indie ، سنة ١٨٨١ (١١) Yaarboek van het Mijnwezen in Ned. Indie ، عام ١٨٩٥ ، ص ١١٥ — ١١٨ .

[نيوهويس A.W. Nieuwenhuis]

+ بتجان : جزيرة صغيرة بإندونيسيا (انظر هذه المادة) قرب خط الاستواء ، على خط طول ١٢٧° شرقاً ، وهى من أقدم السلطنات وقواعد الدعوة الإسلامية : وفقدت الجزيرة أهميتها بوصفها جزيرة توابل حوالى سنة ١٦٥٠ حين دمرت أشجارها بناء على معاهدة بين السلطان وشركة الهند الشرقية الهولندية .

خورشيد [بِرگ C.C. Berg]

+ « البُتْر » : الاسم الذى أطلق على إحدى جماعتين من القبائل التى يتكون منها البربر (انظر هذه المادة) ، الجماعة الأخرى اسمها « البرانس » (انظر هذه المادة) .

وأهم جماعات البتر : اللواتة ، والنفوسة ، والنَفْزَاوة ، وبنو فاتن ، والمكناسة : وكانت منازلهم الأولى فى إقليم السهب والهضبة الذى يمتد من النيل حتى جنوبى تونس ، ومن ثم فإنهم كانوا أصلا من البربر الليبيين : على أنه حدث منذ عهد قديم جداً ، أن انتقلت عدة أقوام من هؤلاء (مكناسة ، وبنو فاتن وجزء من اللواتة) إلى الغرب ، إلى بلاد الجزائر فى المناطق المحيطة بأوراس وتيهرت وتلمسان ، وإلى بلاد مراكش فى حوض ملوية والإقليم الصحراوى بين سجلماسة وفيجيج وتوات وحوض سبو ، ثم إن كثيراً من العناصر أوغلوا فى الأندلس خارجين من غربى المغرب : وقد بذلت محاولة لتصوير البتر بأنهم خير من يمثل البربر البدو والجمالين : وربما كان هذا هو سبيلهم الأول فى الحياة ، ولاشك أن ذلك كان السبب فى أن مؤرخى العرب قد نسبوا لهذه الجماعة أقواما لهم عادات بدوية خالصة مثل الهوّارة والزّناتة : ومع ذلك فالظاهر أن النفوسة والنفزاوة وفريقاً من اللواتة كانوا قد استقروا فى زمن متقدم بعض التقدم بجبال ليبيا ، وربما حدث هذا وقت الفتح العربى . أما أولئك الذين انتقلوا إلى بلاد الجزائر ومراكش ، فإنهم سرعان ما استقروا بل أنشئوا عدداً من البلدان الصغيرة .

ولايزال الجزء الأكبر من الأسماء القبلية التى تتسمى بها هذه الجماعة شائعاً ، ولكن الاسم الذى يجمعها قد اختفى ، وهو الجمع العربى (!) للصفة « الأبتَر » وهو اللقب المزعوم للمادغيس وهو أيضاً الاسم الذى يعترف هؤلاء الأقوام بأنه جدهم المشترك ، ومعنى الكلمة « المبتور الذيل أو الذى لاعقب له » ، والمعنى الأخير لايكاد يناسب جداً ينتسب إليه

قوم . أما المعنى الأول فعجيب ، على أن الجد الذى نسبت إليه الجماعة الأخرى وهو برنس يحمل اسماً يطابق الكلمة العربية برنس بمعنى الرداء المعروف (وهى كلمة قديمة أخذت من الكلمة اليونانية بيروس) ، ومن ثم فإن البرانس قد يكون مدلولها هو « لابسو البرانس أى الأردية الضافية » فى مقابل البتر التى قد يكون مدلولها هو « لابسو الأردية القصيرة» . والحق إننا نجد فى اللهجة العربية التى يتحدث بها القوم فى شمالى غرب مراكش صفة هى «جرطيط» (ربما من الأصل قرط) بمعنى «الأبتر الذيل » ، وتطلق خاصة على الجلابة القصيرة كل القصر التى يرتديها أهل الجبال (W. Marçais : *Textes de Tanger* ، ص٤٣٩) .

أما عن التسميات السلالية الأخرى المشتقة من خصائص اللباس فانظر اللقب الذى يتلقب به الصنهاجة وهو « الملثمون » ، وانظر كذلك اللقب الذى روى إطلاقه على بربر المصمودة (انظر هذه المادة) وهو « شُلوح » (انظر Gaudefroy Demombynes : *Mélanges* ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، ص ٣٠٥) .

المصادر :

(١) ابن خلدون : البربر = *Histoire des Berbères* ، الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ، ٢٢٦ (٢) E. F. Gautier : *Les Siècles obscurs du Maghreb* ، باريس سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٠٤— ٢١١ .

[G.S. Colin خورشيد [كولان

+ «بَتْرون» : (انظر مادة «بترون») .

+ « بَتْرونَة » : (انظر مادة «ريالة»)

«بَتْچكى » : كلمة فى لغة الترك الشرقية معناها «كاتب» مشتقة من الفعل «بيتمك» بمعنى يكتب . قال شراتورى Shiratori فى أصل اشتقاقها إنها مأخوذة من الكلمة الصينية پيت «pit» ومعناها « فرشة الألوان » (انظر *Sinologische Beitraege zur Geschichte der Tuerkvoelker* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٢ جـ ٢ ، ص ١٦) . وقد أبدى مثل هذا الرأى أخيراً رادلوف W.Radloff (انظر *Alttuerkische Studien* فى *Bulletin de l'Acad.* ، سنة ١٩١١ ، ص ٣١٩) . وقد تعلم كثير من شعوب آسية الوسطى فن الكتابة متأثرين بالصينيين شأنهم فى هذا شأن سكان اليابان وأهل كوريا . ويضيف شراتورى إلى النتائج اللغوية التى تؤيد هذه الحقيقة ، الكلمة المجرية « بتى » betii . والوثائق الصينية التى كشفها هذا المؤلف تظهر أن آسية الوسطى كانت تعرف منذ عهد أسرة توپافاى (٣٨٦ — ٥٥٨م) كلمة بى — ته (ويرجح أنها كانت بمعنى « بتك » أى الكتابة) وكذلك وظيفة أبى — ته — چن (ويرجح أنها بمعنى بتكچى) . وكلمة « بتمك » بمعنى يكتب و« بتك» بمعنى الكتابة ظهرتا قبل ذلك فى النقوش الأورخونية . أما لقب بتكچى فيقول رادلف إنه ظهر للمرة الأولى

فى « قوداتقوبيليك »(انظر *Woerterbuch* : جـ ٤ ، ص ١٣٤٦ كلمة *pidikchi*) : تم أخذ المغول بعد ذلك هذا اللقب نفسه وأطلقوه فى القرن الثالث عشر الميلادى على مؤدبيهم الذين يسمون الـ « أويغور » . وفى المصادر التاريخية ووثائق عهد المغول نجد كلمة « بتكوچى » مستعملة أيضاً إلى جانب كلمة « بتكچى »

[بارتولد W. Barthold]

« بتدّين »، وهى اختصار لبيت الدين : بلدة بلبنان يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نسمة ، وبالقرب منها دير القمر ويفصلها عنه واد عميق ،

وحوالى عام ١٨١٢م بدأ الأمير بشير شهاب (انظر هذه المادة) يبنى بها قصراً أحاطه بالحدائق والأفنية البديعة التنسيق ، وكانت مصيف حاكم لبنان ، وبالبلدة علاوة على هذا القصر قصور أخرى كان يعيش فى أحداها مدة من الزمن قائمقام قضاء الشوف .

ويضم القصر مبانى الحكومة وبيوت الموظفين وبعض الحوانيت والفنادق ،

وألحقت بتدين بناحية دير القمر لأغراض إدارية . ومع أن هذه الناحية فى وسط قضاء الشوف إلا أنها ليست جزءاً منه ، وكان يديرها حاكم لبنان مباشرة ،

المصادر :

(١) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٧ ، ص ٦٧٩ وما بعدها (٢) von Oppenheim : *Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf* ، جـ ١ ، ص ٢٦ وما بعدها (٣) دليل لبنان، طبع فى بعبدا عام ١٩٠٦ ، ص ٧٠٤ ،

[هارتمان R. Hartmann]

+ بتدّين (اختصار لبيت الدين وهى مشتقة من السريانية : بيت دينا) : مكان يسكنه ٨٠٠ نسمة على ارتفاع ٨٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويبعد عن بيروت ٤٥ كيلومتراً . وينمو على الشرفات المحيطة به العنب والزيتون بخاصة ، ويتكون من بتدين ودير القمر مركز إدارى مارونى فى إقليم الشوف الدرزى ، والفضل فى قيام بتدين هو أن الأمير بشير الثانى شهاب (انظر هذه المادة ؛ سنة ١٧٨٨ — ١٨٤٠) اختارها مقراً له سنة ١٨٠٧ وجلب إليها الماء من عين الصفا بوساطة قنطرة بين سنتى ١٨١٢ و ١٨١٥ ، ومن ثم قام عدد من المبانى الإدارية فى القرية ، كما شيد قصرا اشتهر بالطرز الشرقية المتمازجة التى اتبعت فى بنائه ، وهو من تخطيط مهندس إيطالى وتنفيذ عمال من الشآميين . وقد أقيم على منحدر صخرى يشرف على خانق عميق ، وقد أصبح هذا القصر منذ سنة ١٨١٤ منتجعاً للشاعرين نيقولاس التركى ، ولامارتين الذى زاره سنة ١٨٣٢ وترك وصفاً طويلا له ،

وبانتهاء الاحتلال المصرى تقوضت أركان القصر وخرّب حريق شديد هذه الأطلال سنة ١٩١٢ ، وقد رمم جزء منه سنة ١٩٤٠ ؛ وفى سنة ١٩٤٨ نقلت رفات الأمير بشير الأكبر من بتدين إلى

إستانبول . وبتدين اليوم هى المقر الصيفى لرئيس جمهورية لبنان .

المصادر :

(١) ا. فريحة : أسماء المدن والقرى اللبنانية ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٠ (٢) *Voyage* : Lamartine *en Orient* ، طبعة هاشيت سنة ١٩٠٣ ، جـ ١ ، ص١٩١ وما بعدها (٣) *Topographie* : Dussand *Historique de la Syrie* ، ص ٥٠٧ (٤) *Une Histoire du Liban au temps* : M. Chebli *des émirs* ، الفهرس .

خورشيد [إليسيف N. Elisséeff]

+ « بتليس » : (انظر مادة « بدليس ») .

« پتّنى » : إقليم فى الجنوب الأقصى لمملكة سيام على الشاطئ الشرقى لشبه جزيرة ملقا ، يحده من الجنوب الأقصى الدولتان الملاويتان اللتان كانتا واقعتين تحت الحماية الإنكليزية وهما «كيلنتن» و« كداه» Kélantan and Kédah . وينقسم الإقليم كله إلى سبع ولايات صغيرة ملاوية يحكم كلاً منها زعيم وطنى يعاونه موظف سيامى . وقد أبقى على النظم الملاوية الإدارية ، ويعيش المندوب السامى السيامى فى حاضرة الناحية المعروفة أيضاً باسم پتّنى ، ومشورته مسموعة لدى زعماء الولايات السبع .

وأهل الإقليم مسلمون : وبالإقليم مساجد جامعة ومساجد أخرى تعرف بـ « سُراو » Surau يقوم بشئونها خدَمُها .

وهناك محاكم فى جميع الولايات . وتتبع الشريعة الإسلامية فى المسائل التى تتعلق بالأسرة، بينما يطبق القانون السيامى فى المسائل الأخرى .

وپتّنى صقع تكثر فيه الجبال وليس فيه سوى سهل ضيق يمتد على طول الساحل : وتبلغ مساحته ١٣,٠٠٠ كيلو متر ويقدر عدد سكانه بـ ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، معظمهم من المسلمين والبقية الباقية من السياميين والصينيين : وبالإقليم طرق قليلة : والخط الحديدى الذى يصل سكة حديد سيام الجنوبية بالخطوط الإنكليزية فى ملقا يسير على مسافة قصيرة من الجزء الساحلى لپتّنى .

والزراعة متأخرة فى الإقليم . ولا يزرع الأرز إلا فى ضواحيها وضواحى « نَوَنْك تِشك » وأهلها يعيشون من صيد السمك وهم يملحونه بملح، مستخرج من الناحية نفسها .

أما من حيث الصناعة فإن مقدار القصدير الذى يستخرج من مناجم پتّنى فى زيادة مطردة .

وتصدر پتّنى السمك المجفف والملح والماشية والفيلة والقصدير . وتتصل ببانكوك وسنغافورة ببواخر صغيرة .

ويبلغ دخلها خمسة وأربعين ألفاً من الجنيهات يخصص ثلثه للحكام الملاويين دخلا خاصاً لهم ولعائلاتهم ، وثلث آخر للشئون الإدارية ، أما الثلث الباقى فيرصد لأغراض أخرى وإن كانت العادة قد جرت بإنفاقه أيضاً فى الشئون الإدارية .

وفي عام ١٣٢٣ذكر «فرا أدوريگوالبردنوني» Fra Odorigo of Pordenone مكاناً في هذه المنطقة يعرف باسم «پتن» Paten وزعم أنه عين «ثلاماسين»؛ ومن المشكوك فيه أن تكون إشارة أدوريگو قصد بها پتني .

والحق إن اسم پتني لم يرد صراحة إلا في القرن السادس عشر عندما بدأ البرتغاليون يفدون عليها للتجارة .

وكان هذا الإقليم تابعاً لسيام منذ عدة قرون ، وآية ذلك أن السياميين تقدموا جنوبي «تاي» Thai ووصلوا إلى «لجور» Ligor حوالي عام ١٢٨٤ ، ونستدل على هذا من الكتابة السكهوتائية التي وجدت على الساحل شمالي پتني بقليل ؛ وفي عام ١٣٥٠م أصبحت شبه جزيرة الملايو كلهاخاضعة للحكم السيامي ، وقد فتحت پتني فيما بين عامي ١٢٨٤ و١٣٥٠م .

وورد في «ناگركرتاگما» عام ١٣١٥ أن مملكة «مجاپيت» اليابانية غزت «جيره» — جيرنگ الحديثة — وهي إحدى الولايات السبع بما فيها حاضرتها التي على البحر شرقي مدينة پتني بقليل .

وبدأ البرتغاليون يتجرون في پتني بُعَيد فتح مدينة ملقا عام ١٥١١ ، واستقر فيها عدد كبير منهم ، وحوالي عام ١٦٠٠م ظهر فيها الهولنديون والإنكليز ، وكان الإقليم في ذلك الوقت مركزاً تجارياً زاهراً ومحطة بين ملقا والصين ، ومكاناً لتبادل البضائع الواردة من الصين من ناحية ، ومن أهم ثغور أرخبيل الهند الشرقية من ناحية أخرى . ثم بدأ الفتور في هذا النشاط يدب في أوصال پتني عام ١٦٢٠ ففقدت أهميتها وهجرها الأوربيون .

ولانعرف على التحقيق متى اعتنق هذا الإقليم الدين الإسلامي ، والذي نعرفه أنه كان بلاداً إسلامية حوالي عام ١٦٠٠م ، والملكة التي حكمته في هذا الوقت خلفت زوجها قبل ذلك بخمسة عشر عاماً ، إلا أنه من المرجح أن پتني كانت تدين بالإسلام قبل أن يزورها منديز پنتو Mendez Pinto (١٥٣٤ — ١٥٤٠) .

وتزعم الروايات الوطنية أن فاتح پتني «چاوسري بنگسا» ابن ملك سيام اعتنق الإسلام ولقب نفسه بالسلطان أحمد شاه ، ثم حمل أهلها على اعتناقه ، ويقال أيضاً إنه أعلن الولاء لملقا ، وهذا يجعلنا نظن أن ملقا هي التي حملت پتني على الإسلام ، إذ لايخفى أنها كانت في القرن الخامس عشر الدولة السائدة في شبه جزيرة الملايو .

المصادر :

(١) G. P. Rouffaer : *Oudste ontdekkin-gstochten tot* 1497 في *Encyclopaedie van Nederlandsch-Indie* ، مادة پتني توشتن ، جـ ٤ ، ص ٣٨٠ ، وبها مصادر (٢) P. A. Tiele ; *De Europeers in den Maleischen Archipel* في *Bijdragen Kon Instituut* ، المجموعة الرابعة جـ ٣ ، ص ٣٥ ، ٦٦ ؛ جـ ٤ ص ٣٠١ ؛ جـ ٦ ، ص ١٧٨ وما بعدها ؛ جـ ٨ ، ص ٧٧ ؛ المجموعة الخامسة ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها ؛ جـ ٢ ،

ص ٢٤١ وما بعدها (٣) Begin ende Voortgangh van de Oost-Indische Compagnie ، أمستردام عام ١٦٤٦ م ، جـ ١ ، ص ٧ (٤) Peter Floris : ناشر Hakluyt Society, Moreland ، المجموعة الرابعة والسبعون ، لندن سنة ١٩٣٤م (٥) T. J. Newbold : British Settlements in Malacca ، لندن سنة ١٨٣٩ ، جـ ٢ ، ص ٦٧ وما بعدها (٦) Nagarakrtagama طبعة Krom ، لاهاى ١٩١٩م. ص ٥١ (٧) F. Mendez Pinto : Wonderlijke Reize أمستردام عام ١٦٥٣ (٨) A. W. Graham: Siam ، لندن سنة ١٩١٢ .

[R.A. Kern كرن]

+ «البتول» : (انظر مادتى « فاطمة » و « مريم ») .

«بَتْرون» أو البترون ، ويقال الآن البترون ، ويفضل جغرافيو العرب كتابتها من غير أداة التعريف فيقولون « بترون » ، وهى بوتريس Botrys القديمة : حصن صغير فى الشام على شاطئ البحر بين جبيل وطرابلس ، واكتسب هذا الإقليم فى عهد مماليك مصر أهمية من جراء نيابته عن مدينة طرابلس ، وقد عاق تقدم هذا الإقليم عدم وجود فرضة له ، وكذلك قربه من قمم جبال لبنان العالية . وكانت بترون فى أوائل القرن التاسع عشر مدينة صغيرة ، ولكن بعد إنشاء متصرفية لبنان المستقلة غدت هذه المدينة عاصمة إقليم له نفس الاسم . واتسعت هذه المدينة بمضى الزمن ، وبلغ عدد سكانها ٦٠٠ نسمة منهم بعض الأسر المسلمة .

المصادر :

(١) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ (٢) الإدريسى : الشام ، طبعة گلدميستر Gildemeister ص ١٧ (٣) H. Lammens : Le Liban, notes archéologiques, historiques, ethnographiques et géographiques ، بالعربية جـ ١ ، ص ١١٧—١١٨ (٤) Ritter : Erdkunde ، جـ ١٧ ، ص ٥٨٤ — ٥٨٨ (٥) Renan : Mission de Phénicie ، ص ٢٤٩ (٦) E. G. Rey : Familles d'Outremer ، جـ ٢٥٧ — ٢٥٩ (٧) الدمشقى : Cosmographie ، ص ٢١٣ .

[H. Lammens لامنس]

+ بترون أو بثرون ، وهى بوستريس Bostrys عند اليونان والرومان ، وبوترون Boutron عند الصليبيين : بليدة على ساحل لبنان ، تبعد ٥٦ كيلومتراً شمالى بيروت ، وقد شهدت بثرون مسيرات جميع جيوش الغزو ، فهى تشرف بحكم موقعها على الطريق من بيروت إلى طرابلس إلى الجنوب من رأس شقّة الوعر (Theouprosôpon) . وجاء فى رواية أوردها يوسفوس (Josephus : Antiq. ، جـ ٨ ، ص ٣ ، ٥٢) أن الذى أنشأها فيما يظهر هو إيثوبآل ملك صور . والحق إن أصلها أقدم من ذلك كثيراً ، إذ هى مذكورة فى رسائل تل العمارنة ، أى فى القرن الخامس عشر

قبل الميلاد (باعتبارها تابعة لبيبلوس أى جُبَيْل). وكانت فى وقت من الأوقات مأوى للقرصان الذين تصدى لهم أنطيوخس الثانى مغاس؛ ونستدل من بقايا مدرج متراى الأرجاء أن المدينة اشتهرت من قبل بكرومها؛ وكانت بلاشك ذات شأن أيام الرومان. وقد خربت — شأن جميع المدن الساحلية — نتيجة لزلزال وموجة فيضان وقعا فى ١٦ يولية سنة ٥٥١م.

وكانت بترون أيام الحروب الصليبية مقر أسقفية تابعة لكونتية طرابلس، وكانت ثغراً يتمتع فيه البيزيون بعدد من الامتيازات. وظلت أسرة داجو البروفنسالية D'Agout سادة هذه المدينة مدة طويلة من الزمن؛ وقد قضى الداويّة على هذا الملك نتيجة لمشاحنة بين الفرنجة وقعت سنة ١٢٧١. واستولى السلطان قلاوون على بترون دون مشقة سنة ١٢٨٩م؛ وألحقت البلدة فى عهد مماليك مصر بنيابة طرابلس؛ وأصاب بترون فى القرن التاسع عشر بعض الازدهار بفضل صيد الإسفنج بها الذى لايشتغل به الآن مع ذلك إلا قليل من السفن. ويبلغ عدد سكان بترون فى الوقت الحاضر حوالى ٣٠٠٠ نسمة، معظمهم من الموارنة.

المصادر:

(١) ياقوت، جـ١، ص ٤٩٤ (طبعة بيروت جـ١، ص ٣٣٨) (٢) الإدريسى: الشام، طبعة كلدميستر، ص ١٧؛ طبعة جوبير، ص ٣٥٦ (٣) Du Cagne: Les Familles d'Outre-Mer، ص ٢٥٧—٢٥٩ (٤) G. Le Strange: Palestine under the Moslems، ص ٣٥١ — ٣٥٢ (٥) W. Heyd: Histoire du Commerce au Levant، جـ١، ص ٣٢١ (٦) Lammens: La Syrie، جـ٢، ص ٣٨ (٧) Dussaud: Topographie Historique de la Syrie، ص ٧١ (٨) Grousset: Histoire de Croisades، جـ٣، ص ٦٨٨، ٧٤٥ (٩) عادل إسماعيل: Histoire du Liban du XVIIe siècle à nos jours، جـ١، ص ٣٣، ١١٤.

[إليسيّف N. Elisséeff]

«البَثَنِيّة»: يطابق هذا الاسم كلمة «بشن» الواردة فى العهد القديم، ويقول العرب فى التفسير اللغوى لكلمة «البثنة» إنها الأرض الرخوة الخصبة، على أن البثنية من الناحية التاريخية لا تطابق مملكة بشن التى ورد ذكرها فى العهد القديم: تلك المملكة التى كانت تشغل النصف الشمالى كله من البلاد التى كانت شرقى الأردن؛ ويطلق اسم البثنية قبل كل شىء على إقليم بتنية Batanée الذى كان فى العهد اليونانى الرومانى الجزء الأوسط فحسب من المملكة المعروفة بهذا الاسم، وكانوا يفرقون بين مقاطعة غولانيتس Gaulanitis، ومقاطعة تراخونيتس Trachonitis ومقاطعة أورانيتس Auranitis ومقاطعة بتنية، وذكر العرب أيضاً اسم جوان وحوران مع البثنية.

ومما يؤيد أن بتنية والبثنية شىء واحد، دليل هو أن أوسيبيوس Eusebius ذكر أذرعات Adraa

(انظر هذه المادة)، وقيل إنها بلدة من بلاد بثنية بينما بعدها العرب من بلاد البثنية. وعندما توغل العرب في هذه الربوع سنة ١٣هـ كانت أذرعات حاضرة كورة البثنية، إذ أقطع صاحب أذرعات المسلمين خراج أرض هذه الناحية، واحتفظ العرب بهذا النظام في هذه الناحية. كما فعلوا في نواح أخرى، وذلك لأن المؤرخين والجغرافيين يذكرون دائماً أذرعات باعتبارها حاضرة البثنية، وتعيين حدود البثنية بالدقة في عهد المسلمين ليس أسهل علينا من تعيينها في عهد اليونان. وليس هناك مجال للشك في أنه كان في وسطها النُقْرة وكثبان الجَمَّال الكائنة في جنوبها الشرقي، وذكر كذلك أن «تَبِنّا» (تبِنّا) من بلاد البثنية، وهذا يجعل السهل الموجود شرقي «اللجاء» من أرضها، وقيل إنها تحد من الجنوب الشرقي بحَوران وعاصمتها بصرى (انظر هذه المادة) ومن الشمال الغربي بالجَيْدور وفي غربها الجَيْدان التي تمتد على طول الأردن الأعلى وبحذاء بحيرة طبرية، ويتبع العرب في وصفهم هذا ماذكره الكتاب في العهد اليوناني مع جعلهم أسماء بعض هذه الكور أوسع مدلولا، فنجد الكثير منهم يطلق اسم «البثنية وحوران» على النصف الشمالي من الإقليم القائم شرقي الأردن، بينما يجعل غيرهم — كياقوت مثلا — حوران من الإتساع بحيث تشمل الكور الأخرى والكورة الجنوبية حتى اليرموك، أما البثنية اليوم فتدل على السفح الشمالي الغربي فحسب لجبال الدروز والسهل المنبسط ناحية الشمال من هذه الجبال، وكانت في الأصل تسمى «بُثَنية» وهي غير البَثْنية.

وقد عني جغرافيو العرب عناية خاصة بالإشارة إلى خصب أرض البثنية وحوران خصوبة نادرة، وتقول الأساطير إنها كانت مملكة أيوب.

المصادر:

(١) الإصطخري: المكتبة الجغرافية العربية، جـ ١، ص ١٣، ٦٥، ٦٧ (٢) ابن حوقل: المصدر المذكور، جـ ٢، ص ١٢٤ (٣) المقدسي: المصدر المذكور، جـ ٣، ص ١٥٤، ١٦٠، ١٩٠ (٤) ابن الفقيه: المصدر المذكور، جـ ٥، ص ١٠٥ (٥) اليعقوبي: المصدر المذكور، جـ ٧، ص ٣٢٦ (٦) المسعودي: المصدر المذكور، جـ ٨ ص ٢٨٦ (٧) البكري: معجم البلدان، طبعة فستنفلد، ص ١٣٨ (٨) ياقوت: معجم البلدان، طبعة فستنفلد، جـ ١، ص ٤٩٣؛ جـ ٢، ص ١٥٩ (٩) البلاذري: طبعة ده غويه، ص ١٢٦ (١٠) الطبري: التاريخ، طبعة ده غويه، جـ ١، ص ٢١٥٤؛ جـ ٣، ص ٢٢٥٧، ٥٢ (١١) Schürer: *Geschichte des juedischen Volkes z. Teit Jesus Christi* الطبعة الثالثة، جـ ١، ص ٤٢٥ وما بعدها (١٢) Buhl: *Geographie des alten Palaestina* ص ٨٣ (١٣) Wetzstein: *Reisebericht ueber Hauran und die Trachone*، سنة ١٨٦٠، ص ٨٣ وما بعدها (١٤) Schumakher: *Zeitschr. d. deutschen Palaestina-Vereins* جـ ٢٠، ص ٦٧ — ٧٠ (١٥) Noeldeke: في *Zeitschr. der deutschen Morgenl. Ges.* جـ ٢٩، ص ٤٣١.

[بول Fr. Buhl]

البَثَنيّة : كورة فى سورية قصبتها أذرعات (انظر هذه المادة) . ويحدها من الشرق جبل الدروز ، ومن الشمال سهل اللجاء والجيدور ، ومن الغرب جولان. ومن الجنوب تلال الجمل ، والحدود هنا غير دقيقة. وتسمى البثنية أيضاً «النقرة» ومن ثم فهى تطابق بثنية القديمة التى تذكر مقرونة بتراخونيتس وأورانيتس وغولانيتس بوصفها جزءاً من مملكة بشن القديمة التى أشارت إليها التوراة .

والإقليم خصب، كما يدل اسمه المشتق من «بثنة» تعنى الأرض السهلة لاحجر فيها ، وكانت البثنية منذ الأزمان القديمة كثيفة السكان ، والنصوص وآكام الدفن الكثيرة القائمة شاهد على ذلك ، وقد اشتهرت منذ ذلك بأنها «هرى الشام» . ويقول جغرافيو العرب إن المنطقة كانت خلال القرون الوسطى مرقطة بالقرى ، وهى تقوم على الطريق الرئيسى للمواصلات الذى يربط دمشق بالأردن. وهو طريق عام يدين بالفضل الكبير لبريد المماليك ولقوافل الحجيج الشامية .

وقد فتحها العرب سنة ١٣هـ (٦٣٥م) فأصبحت مثل حوران أرض خراج . ثم ألحقت من بعد بجند دمشق وإن كانت أكثر التصاقاً فى المألوف بإقليم حوران . وقد عانت البثنية فى عصر الحروب الصليبية من غارات الفرنجة . ثم تأثرت أيام الحكم العثمانى بعاملين هامين : غزو عنازة البدوية الذى أعقبه غزو روالة الذى أصابها بعهد من الاضطراب واختلال حبل الأمن دام حتى نهاية القرن التاسع عشر ؛ ونزول قوم تل حوران بأرضها بعد أن طردهم الدروز من منازلهم . ولكن الدروز قد بدءوا منذ القرن السابع عشر يتسللون إلى حوران ، حيث انضم إليهم سنة ١٨٦١ بعض عناصر من لبنان .

ويجب أن تميز بين البثنية وبين سهل صغير قائم إلى الشمال الشرقى لجبل الدروز عرف قديماً باسم ساكيا Saccea وعرف فى أيام العرب بأرض البثنية . وقد ترجم هذا المصطلح بما يدل على « بطيحة البثنية » ، ولكن ثمة اسما محلياً هو « بثينة» تجعل المرء يذهب إلى أن هذه المنطقة قد جنح إلى اعتبارها « البثنية الصغيرة » .

المصادر :

(١) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٢٦ (الترجمة ص ١٧٤) (٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٦ (٣) الطبرى . الفهرس ، وانظر فهارس المكتبة الجغرافية العربية (٤) الهروى : كتاب الزيارات ، طبعة Sourdel-Thomine - دمشق سنة ١٩٥٣ ، ص ١٧ (الترجمة ، دمشق سنة ١٩٥٧ ، ص ٤٤ وتعليق ٤) (٥) ياقوت ، جـ ١ ؛ ص ٤٩٣ (٦) *Palestine*: G. Le Strange *under the Moslems* ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٣٤ (٧) A.S. Marmardji : *Textes géographiques arabes sur la Palestine* ، باريس سنة ١٩٥١ ، وخاصة ص ١٥ (٨) M. Gaudefroy-Demombynes : *La Syrie à l'époque des Mamelouks* ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ٤٦ (٩) F. M. Abel : *Géographie de la Palestine* ، باريس سنة ١٩٢٣

— ١٩٣٨ ، وبخاصة جـ ٢ ، ص ١٥٥ (١٠) *Topographie historique de la Syrie* : R. Dussaud باريس سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٣٢ — ٣٢٧ (١١) *Les parlers arabes du Hôrân* : J. Cantineau باريس سنة ١٩٤٦ ، ص ٥ وما بعدها (١٢) *Les Cultes du Hauran à l'époque* : D. Sourdel *romain* ، باريس سنة ١٩٥٢ ، ص ٢ (١٣) *Histoire des Croisades* : R. Grousset ، باريس سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ . الفهرس ، مادة درعات .

خورشيد [سوردل D. Sourdel]

+ « بُثَيْنَة » : صاحبة جميل (انظر هذه المادة)

+ « بج » (بچ) : الاسم العثمانى لمدينة ڤينا ؛ وقد أخذ الأتراك — مثل الصربيين والكروات — هذه الكلمة عن المجرية ومعناها فى هذه اللغة « الضاحية أو الربض » (بالمجرية كولڤاروس ؛ ومن ثم شرحها أوليا چلبى فقال « گولواره » ، جـ ٧ ، ص ٢٥١) . والراجح أن هذه الكلمة فى المجرية ترجع إلى أصل بجاناكى قومانى (وربما كان أصلها أوارى) هو بج (Gombocz-Melich : *Magyar Etymologiai Szotár* ، بودابشت ، هذه المادة) ولا نجد فى الكتب الجغرافية العثمانية أو فى التقارير الديبلوماسية إلا معلومات شحيحة وسطحية (ترجمة Hammer-Purgstall لأبى بكر بن بهرام فى *Archiv. f. Geographie, Historie, staats und Kriegskunst* ، سنة ١٨٢٢ ، ص ٢٨ وما بعدها ؛ وانظر أيضاً Hammer - Purgstall ، جـ ٨ ، ص ٢١٥ : Fr. Kraelitz : *Bericht ueber den Zug des Grossbotschaftlers Ibrahim Pascha nach Wien im Jahre 1719* فى *Sitzungsberichte der Akademie der Wissenschaften zu Wien* : سنة ١٩٠٧) ولو أن ڤينا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت الهدف الأكبر لحملتين كبيرتين تحت إمرة سليمان القانونى والصدر الأعظم قره مصطفى باشا (انظر Sturminger : *Bibliographie und Ikonographie der beiden Tuerkenbelagerungen Wiens 1529 und 1683* : ڤينا سنة ١٩٥٥ ؛ وثمة تعليق على هذا فى *Wiener Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes* ، ص ٥٢ ؛ R. Kreutel : *Kara Mustafa vor Wien* ، گراتز سنة ١٩٥٥) . وأوليا چلبى فى هذا استثناء طريف ، ذلك أنه يزعم أنه زار ڤينا (انظر *WZKM* ، ٥١ ، ص ١٨٨ وما بعدها) فى حاشية السفير قره محمد باشا ؛ وقد اشتمل وصفه المستفيض للمدينة (سياحتنامه ، جـ ٧ ، ص ٢٤٧ — ٣٢٩ ؛ الترجمة : R. Kreutel : *Im Reiche des Goldenen Apfels* ، گراتز سنة ١٩٥٧) على كثير من السخافات ، كما اشتمل على كثير من الملاحظات الصحيحة . وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر (فى التنظيمات) حل الاسم ويانة (نقلا من ڤينا) محل بج فى الكتابة العثمانية ، وهو اليوم الصيغة المألوفة .

خورشيد [كريتل R.F. Kreutel]

« بجابور » أوڤجاياپوره أى مدينة النصر : مدينة وإقليم فى الهند كان تابعاً فى الإدارة لبومباى ، وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٤٧٣٩ كيلو متراً مربعاً ،

وكان سكانه سنة ١٩٠١ : ٧٣٥،٤٣٥ نسمة منهم ١١٪ فقط مسلمون . والجزء الأكبر من هذا الإقليم هضبة قاحلة يكثر فيها الجفاف ، ومعظم السكان يتكلمون اللغة الكنارية ، وهم تابعون في جملتهم إلى فرقة « لنگايت » .

أما مدينة بجاپور فهي عاصمة الإقليم منذ عام ١٨٨٥ ، وكانت تسمى قبل ذلك « كلادگى » وبلغ عدد سكانها ٢٣٨١١ نسمة عام ١٩٠١ ، وكانت هذه المدينة عاصمة ممتلكات أسرة عادل شاه الذين استقلوا عام ١٤٩٠ . وقد استولى أورنگزيب على هذه المدينة عام ١٦٨٦ ، وإلى اليوم لا يزال كثير من القصور الجميلة والمساجد والمقابر وغير ذلك من الآثار الموجودة في تلك المدينة محتفظة بكيانها ، وكذلك أسوار المدينة التي تحيط بجزء كبير منها .

ونذكر بصفة خاصة من بين هذه الآثار روضة إبراهيم عادل شاه المتوفى عام ١٦٢٦ ، و « گول گمباز » محمد عادل شاه المتوفى عام ١٦٧٣ ، وقد قامت الحكومة الإنكليزية بكثير من الإصلاحات الدقيقة بقصد تجديد تلك الآثار وإرجاعها إلى حالتها الأولى .

المصادر :

(١) Guide to Bijapur : H. Cousens ، بومباى سنة ١٩٠٥ (٢) Bombay Gazetteer ج ٢٣ (٣) Architecture: J.Ferguson and P. Meadows Taylor at Beejapoor . لندن سنة ١٨٨٦ .

[كوتون J.S. Cotton]

« بجاق » : الاسم التركي للسهب الذي يكون الجزء الجنوبي من إقليم بسارابيا الرومي ، وهو على مقربة من إقليم أكرمان ، ويطلق هذا الاسم كذلك على إقليم بسارابيا بأجمعه ؛ وفي عهد بايزيد الثاني خضع هذا الإقليم لسلطان الترك عام ٨٨٩هـ (١٤٨٤م) وظل في حوزتهم حتى صلح بوخارست عام ١٨١٢م ؛ وبمقتضاه ألحقت بسارابيا نهائياً بالروسيا بعد أن احتلتها عدة مرات خلال حروبها مع تركية ، ويمكن الرجوع إلى مقال كاگوز فيما يختص بالعناصر التركية التترية من السكان .

+ بجاق : هو بسارابيا الجنوبية (كان اسم بسارابيا يدل من قبل على بجاق فحسب) ؛ وبجاق في التركية (بجغاق في تركية القومان الذين استقروا هنا قبل ذلك) معناها « الركن » .

وكانت هذه المنطقة ، منذ سنة ٦٣٨هـ (١٢٤١م) جزءاً من إمبراطورية القطيع الذهبي (انظر مادة « الباتوئية ») فلما اضمحلت هذه الإمبراطورية ، شغل هذه المنطقة إلى حين أمير (ڤويڤود) الأفلاق حوالى سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) ثم أمير البغدان حوالى سنة ٨٠٢هـ (١٤٠٠م) . ونشأ من الإجراء المشترك الذي اتخذه العثمانيون وتتر القرم أن انضوت تحت الحكم العثماني المباشر أق كرمان وكيلى أولا سنة ٨٨٩هـ (١٤٨٤م) ثم بجاق بأسرها سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م ؛ انظر مادة « بغدان ») . وكانت بجاق هي سنجق أق كرمان (انظر هذه المادة) وتمتد حدوده من صولقوچه على بطنه مارة بگراديشته إلى كيلى ؛ وقد عهد خان القرم ، الذي اشترك مع سليمان الأول في حملة سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) ، إلى إسكان قبائل النوغاى في بجاق (المنصورية

والأوراقية، والقسابية، والممابية، والأورمحمدية ؛ والطتموز ، والبيلنجك والجسامبويلوق . انظر السبع السيّار ، ص ١٠٦) وبذلك عزز انسكان التتار الأولين ؛ وقد ذكر أولياچلبي سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٧م) في كتابه (جـ ٥ ، ص ١٠٦) أن هؤلاء التتر كانوا مائتي قرية وكانوا على ثراء عريض. وكانت القرى القائمة تجاه بِنْدَر تشمل بعض التتار أوكانت كلها من الوالاچ ، أما قرى إسماعيل فكانت كلها من التتار ؛ وكانت بندر وأق كرمان حوالى سنة ٩٧٨هـ (١٥٧٠م) مركزين لسناجق تحت ولاية بكلربكى أوزو (انظر هذه المادة) الذى كان مقره في أق كرمان أو سلستره . أما تتر بجاق فكانوا تحت ولاية يالى أغاسى أقامه خان القرم ، ثم أصبحوا تحت ولاية الوريث الثانى لخانية نور الدين الذى كان مقره فى خان قشله سى جنوبى بندر .

وقد برز بك النوغاى قان تيمور فى الصراعات مع القازاق (القوزاق) وپولندة سنة ١٦٢٠ ، وقد أعانه العثمانيون على خان القرم وأقاموه بكلربكى أوزو فى محاولة منهم لانتزاع السيطرة على تتر النوغاى من الخان ؛ وفيما بين سنتى ١١١١، ١١١٣هـ (١٦٩٩ — ١٧٠١م) خرج نوغاى بجاق وقلرهم ستة آلاف أسرة عن طاعة الخان وطلبوا أن يكونوا رعايا العثمانيين . ولم يشجعهم الباب العالى فى هذه المناسبة ، وأجبر دولت گراى ما بين ٧٠٠ ، ٨٠٠ أسرة على الانتقال إلى القرم (السبع السيّار ، ص ٢٦٢ — ٢٦٦) .

وفى سنة ١١٨٤هـ (١٧٧٠م) غزا الروس بجاق بصفة مؤقتة . وبعدها بدأ الترك انگاگوز المسيحيون الأورثوذكس والبلغار فى الهجرة من دبروجه (انظر هذه المادة) إلى بجاق ؛ ونزل الباب العالى بتقتضى معاهدة بوخارست المعقودة فى ٢٨ يونية ١٨١٢ ، عن بجاق إلى روسيا ، وهاجر معظم التتار إلى دبروجة وبلغاريا والأناضول .

المصادر :

(١) N. Jorga : *Hist. des Roumains* ، فى عشرة مجلدات، بوخارست سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ (٢) الكاتب نفسه : *Studii istorice auspra Chiliei shi Cetatii-Albe* ، بوخارست سنة ١٨٩٩ (٣) محمد رضا : السبع السيار فى أخبار ملوك التاتار ، طبعة كاظم بيك ، قازان سنة ١٨٣٢ (٤) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بجاق، بقلم أورل ديكى خورشيد [خليل إينالجق Halil Inalcik]

« بجاناك » : شعب من أصل تركى يرجع إلى القرون الوسطى ، وقد رسم اسمه فى صور مختلفة : (بجناك ، پچناك وباليونانية « پاتكسينا كيتاى » وباللاتينية Patzinacae , Patzinacitae ، Pecenaci , Pincenakiti , Piecinigi إلخ ، ثم Bessi و Bysseni ، ويسمون فى لغة المجر Besenyoe إلخ) . وليس من شك اليوم فى أن هذا الشعب كان فرعاً من الجنس التركى ، كما أن رشيد الدين (فى القرن الثالث عشر ، انظر مادة « غازان ») وكذلك محمود كاشغرى المتوفى سنة ١٠٧٣ قالا

إنهم من قبائل الغز (انظر هذه المادة). ويضع هذا الكاتب الأخير فى كتابه «ديوان لغات الترك» (جـ١، ص ٢٧؛ K Cs. A؛ جـ١، ص ٣٦) البجاناك بين مجموعة الشعوب التركية الشمالية التى ينتسب إليها أيضاً القفجاق والأوغوز وغيرهما، ويقول فى تحديد جنسهم «إنهم أقرب الناس إلى الروميين «Rhoméens»، وعلى هذا فهم قوم الترك الذين استوطنوا أقصى الغرب.

وتدل جميع الظواهر على أن البجاناك افترقوا قديماً عن إخوانهم منذ كانوا فى مهدهم البدائى بالتركستان، ويقال إن إقليم «أمبا — أورال — ڤولجا Emba—Oural—Wolga» كان أقدم موطن لهم، ويروى البكرى والگرديزى أن عرضه كان مسيرة ثلاثين يوماً وطوله كان كذلك. ونزلوا هناك بالقرب من الخزر فى الجنوب الغربى والأوغوز فى الجنوب الشرقى، ويظهر أن نزولهم فى تلك الربوع كان فى عصر متقدم بعض الشيء. وكانوا يتاجرون مع الفرس وأهل خوارزم.

على أنه منذ سنة ٨٦٠ تقريباً بدأ الأوغوز يتقدمون نحو الغرب ويدفعون أمامهم البجاناك من إقليم الأورال.

وحوالى نهاية القرن التاسع اتفق الأوغوز (الأوزن؛ أوكسوا باليونانية) والخزر فيما بينهم وطردوا الجانب الأكبر من البجاناك من موطنهم القديم حتى أن ابن فضلان لم يجد منهم فى تلك البقاع حوالى سنة ٩٢٢ إلا العدد القليل، وجاء فى كتاب «De. administrando imperio» (ص ١٦٦) إن الذين بقوا فى تلك البلاد من البجاناك ظلوا فيها باختيارهم.

وعندما فر البجاناك أمام الأوغوز اصطدموا فى طريقهم بالمجر القدماء فساقوهم أمامهم إلى «هنغاريا» واحتلوا بلادهم، احتلوا أولا الإقليم بين الطونة والدنيبر ثم وصلوا بعد ذلك إلى نهر الدانوب.

وسجل قسطنطين پورفيروگنيتوس Constantin Porphyrogennetos الذى كتب حوالى سنة ٩٥٠م تاريخ هذه الحادثة إذ يقول «إنها وقعت منذ خمسين عاماً»؛ ولكن المؤرخ رجينو Regino المتوفى سنة ٩١٥ يقول إن التاريخ الصحيح الذى حدثت فيه هو سنة ٨٨٩م. وانتهى الأمر إلى أن امتد شعب البجاناك من روسيا الجنوبية إلى الكربات الشرقية مخترقاً بساراپيا والبغدان.

وكان البجاناك رجال حرب ذوى بطش وقوة، ولهذا كانوا مصدر خطر دائم على البلاد المجاورة لهم. ولسنا نستطيع إلا أن نجمل هنا القول فى العلاقات التى اتصلت بينهم وبين الروسيا وهنغاريا وبوزنطة، ففى خلال القرن العاشر والقرن الحادى عشر خرجوا من الكربات الشرقية وهاجموا هنغاريا عدة مرات، وعلى العكس من هذا نجدهم قد استقروا أحياناً فى بعض مقاطعاتها من غير حرب (انظر خريطة تبين أماكنهم فى هنغاريا فى: Nemeth: *Die Inschriften des Schatzes von Nagy — Szent — Miklos*، الملحق الأول). وكانت جالياتهم لاتزال تستمتع فى القرن الثالث عشر ببعض الامتيازات السياسية فى هنغاريا ثم قضى عليها القومان.

وكانت العلاقات بين روسيا والبجاناك سلمية فى أول الأمر، إذ كانوا يبيعون الروس الخيل والبقر والماشية كما جاء كتاب *De administrando imperio* (ص ٦٩) ، وكانوا أحياناً يحالفون الروس ضد بوزنطة وبلغاريا ، كما حدث فى عهد إيجور Igor سنة ٩٤١م. ومع هذا فكثيراً ما شنوا الغارة على بلادهم، فقد حاصروا كييف Kiew سنة ٩٦٨م، وفى سنة ٩٧١م ذبحوا الدوق الكبير سواتوسلاف Swjatoslaw عند انسحابه من بلاد البلغار ، واضطر الروس إزاء هذا إلى تشييد حصون عديدة ليدفعوا عنهم غارات البجاناك ، فاستطاعوا بهذا صد آخر غارة شنوها على بلادهم سنة ١٠٣٤م. وأخذ الأوغوز يتقدمون فى زحفهم (١٠٦٥م) ويسوقون أمامهم البجاناك فى اتجاه الدانوب ثم انثنوا بعد هذا إلى شبه جزيرة البلقان .

وأوصى الكاتب الإمبراطورى البوزنطى فى كتابه المسمى *De administrando imperio* (ص ٦٨) بمسالمة البجاناك ، والواقع هو أنه قد عُقد معهم حلف ، ولكنهم انضموا إلى الروس فى مهاجمة بوزنطة منذ سنة ٩٧٠م. واتصلت الحرب بين البجاناك وبوزنطة منذ ذلك التاريخ إلى أن هزمهم ألكسيس الأول بالقرب من مصب نهر مارتزه سنة ١٠٩١م ، وفى نفس هذا المكان هزمهم مرة أخرى يوحنا الثانى هزيمة منكرة سنة ١١٢٢م. وانضم فريق ممن بقى من البجاناك إلى جيوش بوزنطة ، أما الفريق الآخر فقد سكن بلاد البلقان وخاصة بلغاريا . ويعتبر الگاگوز Cagauzes (انظر هذه المادة) فى بعض الأحيان البقية الباقية من البجاناك ، ولكن اللغة الحالية التى يتكلمونها لاتسمح بتأييد هذا الرأى . وعلى أية حال فإن أسماء كثير من الأماكن فى بلاد البلقان تذكرنا بالبجاناك القدماء .

وإذا علمنا أن البجاناك كانوا من الرحل سهل علينا أن نعرف أن النظام القبلى كان له بينهم شأن كبير . ويروى قسطنطين پورفيروگنّيتوس أن البجاناك انقسموا إلى ثمان قبائل كل أربع منها على شاطئ من شاطئ الدنيبر . وكان بينهم كثير من الغرانلدوقات ، وانقسمت هذه القبائل إلى أربعين عشيرة كان على رأس كل منها أمير من صغار الأمراء، ويقول نيمث Németh إن أسماء القبائل كانت تتألف على وجه خاص من أسماء الخيول وأسماء الزعماء ، فمثلا اسم « سوروكول بلك » وهو باليونانية « إيورو كاليا » معناه القبيلة ذات الخيول الشهباء ، والقبائل الثلاث التى امتازت بشجاعتها ونبلها هى التى يسميها پورفيروگنّيتوس باسم كنگر (باليونانية كگَر) . وأشهر أسماء الأمراء من غير منازع هو اسم « قورقود » (انظر هذه المادة) أمير قبيلة يولاه ، وفى عهد كدرينوس Kadrenos (ج ٢ ، ص ٥٨١ — ٥٨٢) كان يوجد ثلاث عشرة قبيلة من البجاناك ورث كل منها الاسم الذى كان يسمى به جد القبيلة ورئيسها الأكبر .

ولسنا نعرف عن دين البجاناك إلا الشىء القليل . فالبكرى يقول إنهم كانوا فى قديم الزمان من المجوس عبدة النار ، ولكن هناك دلائل أخرى

تدل على أنه كان بينهم عدد كبير من المسلمين فى أوائل القرن العاشر الميلادى .

أما فيما يتعلق بلغة البجاناك فقد قررت أنّا كومنينا Anna Comnena فى القرن الثانى عشر الميلادى أن لغتهم هى نفس اللغة القومانية (انظر مادة « قفجاق ») ، والآثار القليلة الباقية من تلك اللغة تكاد تنحصر حتى اليوم فى الأسماء التى ذكرها قسطنطين پورفيروگنيتوس وهى أسماء قبائل وأمراء وحصون البجاناك .

على أنه حدث سنة ١٩٣١ أن نجح نمث Németh فى حل نقوش كنز « ناگى سزنت مكلوس » Nagy Szent—Miklos ، ورأى فى وضوح أن الأوانى الذهبية والفضية التى وجدت فى ذلك الكنز كانت ملكاً لأمير البجاناك المسمى « بوتاؤول جپان » الذى عاش حوالى سنة ٩٠٠ — ٩٢٠م ، ووجد أيضاً هناك آثاراً لغوية جديدة للغة البجاناك استخلص منها وثاقة القرابة بين تلك اللغة ولغة القومان فى بلاد المجر (هنغاريا) والنقوش القومانية .

أما الخط المستعمل فى النقوش التى أشرنا إليها ، فيمكن تسميته بالخط البجاناكى الرونى وهو من نوع الخط التركى المسمى « كوك » ويصور لنا وثاقة الصلة بينه وبين الخط المجرى الرونى .

وأخيراً نستطيع — اعتماداً إلى وجود حوضين للتعميد فى كنز « ناگى سزنت مكلوس » — أن نفترض أن أميرين من أمراء البجاناك اعتنقوا النصرانية . ولسنا نعرف عن البجاناك غير هذا إلا النزر اليسير ، ومع ذلك انظر فهرس المواد فى كتاب ديتريش K. Dieterich المذكور فى المصادر .

المصادر :

(١) إن أقدم المصادر العربية الخاصة بالبجاناك مثل ابن رستة والبكرى وكذلك المصادر الفارسية مثل گرديزى تعتمد جميعاً على الجيهانى (فى القرن العاشر) وكذلك على مصدر آخر يرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الحادى عشر ، وهى لاتتحدث جميعاً إلا عن الموطن القديم لهذا الشعب ، أما ما ذكره المسعودى فيشتمل كذلك على العهد اللاحق لإخراج البجاناك من إقليم القلجا ، وقد نقد هذه الروايات بنوعيها وعلق عليها بارتولد وماركار : J. Marquart, W. Barthold (٢) ن ، عاصم وم ، عارف : عثمانلى تاريخى ، الآستانة سنة ١٣٢٥هـ ، جـ ١ ، ص ٧٥ وما بعدها (٣) سامى بك : قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٣٠٦ (٤) Constantin Porphyrogennetos : طبعة بون سنة ١٨٤٠ ، جـ ٣ انظر الفهرس التاريخى *Index Historicus* « الفصل ٣٧ بتمامه خاص بالبجاناك » (٥) P. Golubovskiy : *Pecěněgi, torki i polovci de nashestviya tatar.* : كييف سنة ١٨٨٤ (٦) K. Krambacher : *Geschichte der byzantinischen Litteratur* سنة ١٨٩٧ ، ص ١١٠٥ (٧) *Enciklopediceski Slovar, Brokhaus-Efron* ، جـ ١٣ ، ص ٥٣٨ وما بعدها ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٩٨ (٨) J. Marquart : *Osteuropaische und ostasiatische Streifzuege* ، ليبسك ، سنة ١٩٠٣ ، انظر الفهرس (٩) *Révai Nagy Lexikona* ، بودابشت سنة ١٩١١ ، جـ ٣ ، انظر مادة *Besenyök* (١٠)

K. Dieterich: Byzantinische Quellen zur Laender und Voelkerkunde، عام ١٩١٢، الفصل الثاني وبخاصة ص ٥١ — ٥٨ ، ١٤٧ و١٨٦
(١١) G. Oberhummer: Die Tuerken und das Osmanische Reich، ليبسك وبرلين سنة ١٩١٧ ، انظر الفهرس (١٢) Z. Gombocz: Ueber den Volksnamen Turan ، بودابشت سنة ١٩١٨ ص ٢٠٩ — ٢١٥ (١٣) W. Bang: Ueber den Volksnamen besenyoe ، الموضع المذكور ص ٤٣٦ — ٤٣٧ (١٤) G. Fehér: Die Petschenegen und die ungarischen Hunnenagen ، في K Cs. A.، جـ ١ ، ص ١٢٣ — ٢٤٠ (١٥) Gy. Czebe: Turco byzantische Miszellen في K. Cs. A. جـ ١ ، ص ١٠٩ — ٢١٩ (يهاجم فروض Fehér ويؤيد هذا التفسير اللغوى الذى ذهب إليه Németh ويحلل من جديد الفصل الذى كتبه Porphyrogennetos عن البجاناك) (١٦) W. Barthold: أورطة آسيا تورك تاريخنه حقندة درسلر إستانبول سنة ١٩٢٧ ص ٢٣ و ص ٩٢ وما بعدها (١٧) J. Németh: Zur Kenntnis der Petschenegen في K. Cs. A. جـ ١ ، ص ٢١٩ — ٢٢٥ (١٨) الكاتب نفسه: Die petschenegischen Stammesnamen في Ungarische Jahrbuecher جـ ١٠ ، عام ١٩٣٠ ، ص ٢٧ — ٣٤ (١٩) الكاتب نفسه: Die Inschriften des Schatzes von Nagy-Szent-Miklos بودابشت — ليبسك سنة ١٩٣٠ ، ص ٣٦ ، ٤٥ — ٥٩ (٢٠) حسين نامق: بجاناكلر، إستانبول سنة ١٩٣٣.

[فهيم بجراكتريفتش Fihim Bajraktarevic]

« بجانكر »: (انظر مادة « فجايانگر »).

« بَجَاوَة » : (انظر مادة « بجه »).

« بِجايَة » (وبلغة القبائل، بُغَيْثْ): مدينة بالجزائر على شاطئ البحر تابعة لإقليم قسنطينة ، وهي على خط طول ٥° ٩َ شرقي گرينوتش، وخط عرض ٣٦° ٤٩َ شمالا . وبلغ عدد سكانها وفقاً لتعداد سنة ١٩٠٦ : ٥٥٢٨ نسمة .

وقد بنيت هذه المدينة على هيئة مدرج فوق المنحدرات السفلية لجبل گوراية (٦٦٠ متراً) وهي تطل على خليج تحميه من الرياح العاصفة عدة طنوف عالية من الصخور ، ومناخ هذه المدينة معتدل جداً في الصيف ، ويكثر سقوط المطر الغزير في تلك المنطقة ، ولهذا تكثر المزروعات مثل أشجار الزيتون والصفصاف والشوير وغير ذلك .

ولانعرف إلا القليل عن تاريخ بجاية خلال القرون الثلاثة الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي، بل إننا لانعرف أيضاً العهد الذى اختفت فيه المدينة الرومانية سالداى Saldae التي كانت تشغل المكان الذى قامت عليه مدينة بجاية الحالية . ويظهر مع ذلك أن الملاحين لم ينقطعوا عن التردد على هذه الفرضة، وأن ضاحية من الضواحي ظلت باقية على سفح جبل گوراية ؛ وقد ذكر البكرى (كتاب المسالك والممالك ، ترجمة ده سلان ص ١٩٢) بجاية فقال

إنها مدينة قديمة جداً يسكنها الأندلسيون ولها ميناء جيد ومشى جميل ؛ وذكر ابن خلدون (تاريخ البربر ، ترجمة ده سلان ، جـ ٢ ، ص ٥١) أنه كان فى تلك البقعة مدينة تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أوبقاية كما ينطقها أهالى تلك المنطقة، وتعرف فى لغة أهل القبائل باسم بگيث:

ولم يكن لبجاية شأن هام فى تاريخ البربر إلا فى عهد بنى حماد (انظر هذه المادة) وذلك عندما رأى سلاطين القلعة أنهم مهددون بغزوات العرب الهلاليين فعزموا على الانتقال على مقربة من الشاطئ . ففى عام ٤٥٣هـ (١٠٦٢ — ١٠٦٣) استولى الناصربن علناس رابع سلاطين بنى حماد على جبل بجاية وابتنى هناك مدينة سماها الناصرية ، ولكن الأهالى ظلوا يطلقون عليها اسم بجاية، واجتذب إليها عدداً كبيراً من السكان ، إذ كان يعفى جميع السكان الجدد من الضرائب ؛ وتذهب الروايات أيضاً إلى أنه كان يجبر الأهالى على بناء المساكن كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة أن يجلب معه حجراً أو يدفع قطعة من الذهب . واستقر هو نفسه فى تلك المدينة عام ٤٦١هـ وابتنى بها قصراً أسماه قصر اللؤلؤ ، كما ابتنى رصيفاً ممتداً فى البحر ، وداراً لصناعة السفن وقناطر معلقة لجلب المياه ، وسوراً حول المدينة به أبراج . ونقل ولده وخليفته المنصور عاصمة ملكه من القلعة إلى بجاية وذلك عام ٤٨٣هـ (١٠٩٠ — ١٠٩١ م) وشيد هناك قصر أميمون وابتنى مسجداً تزينه مئذنة ارتفاعها ستون قدماً وواجهة بها ١٧ رواقاً ذا عمد كما جلب إليها المياه من جبل توجة بوساطة القناطر المعلقة ؛ وغدت بجاية بذلك من أهم مدن المغرب وكانت هذه المدينة مقسمة إلى ٢١ حياً وتضم ٧٢ مسجداً ؛ وقد أشاد الرحالة بغناها وعظمتها وبنشاطها التجارى ؛ وذكر الإدريسى فى كتابه أن بجاية هى عاصمة بنى حماد وأن السفن كانت ترسو بها والقوافل تفد عليها وأنها بمثابة مخزن للبضائع . وسكانها أغنياء يحترفون عدة فنون ومهن لانجدها بوجه عام فى غيرها من البلدان ، كما انتعشت التجارة فيها ؛ وتجار هذه المدينة على صلات بتجار إفريقية الغربية وتجار الصحراء والشرق ، كما نجد بها كثيراً من مختلف البضائع ؛ ويوجد حول هذه المدينة السهول الخصبة التى يزرع فيها القمح والشعير والفاكهة بكميات كبيرة ؛ وقد بنيت فى تلك المدينة الأبنية الضخمة وكذلك السفن والمراكب لأن الجبال والأودية المجاورة تكثر فيها الأخشاب كما أنها تنتج الراتينج والقطران الجيد النوع ، ولذلك تشيد فيها سفن الحرب والسفن التجارية الكبيرة . ويشتغل السكان باستغلال مناجم الحديد التى تغل منه كميات كبيرة ، وعلى الجملة فالمدينة مركز صناعى هام كما أنها ملتقى للمواصلات (الإدريسى ، ترجمة دوغوية ودوزى ص١٠٤):

ولم يكن العلم فى تلك المدينة بأقل شأناً من التجارة والصناعة . فقد ذكر الغبريني المؤرخ ، وهو من أهل بجاية ، تراجم ١٠٤ أشخاص اشتهروا إما بالعلم أو بالتقوى عاشوا فى بجاية خلال القرن السابع الهجرى . ويمكننا أن نذكر من بينهم الفقهاء

الآتية أسماؤهم : عمارة بن يحيى الحسنى ، وعبدالحق ابن ربيع ، وعبد العزيز بن عمر القيسى .

ومن بين المؤرخين : عبدالله بن محمد بن عبادة ، ومحمد بن الحسن بن ميمون ، وأحمد بن عيسى الغُمْرى . وأبا الحسن بن أبى نور ، وناصر فتح ابن عبد الله .

ونذكر من الأطباء : أحمد بن خالد ، ومحمد ابن أحمد الأموى، وأبا العباس أحمد — وأصله من فارس استوطن بجاية بعد أن زار الصين والهند وأرمينية — وتقى الدين، وهو من أهل الموصل ، وعبد الحق بن إبراهيم بن سبيم وغيرهم ... والشاعر ابن فقون الذى نظم أخبار رحلته فى مراكش بالشعر ، ومنافسته الشاعرة عائشة ابنة الفقيه الحسينى . ونذكر أيضاً ابن تومرت الذى استوطن بجاية فى عهد عبدالعزيز ، وسيدي أبا مدين الذى درس فى بجاية عدة سنوات (انظر مادتى « ابن تومرت » و « أبو مدين »). وظلت بجاية رافلة فى حلل السعادة حتى عهد دولة بنى بنى حماد .

واستمرت فى رخائها فى عهد الموحدين . وفى عام ٥٤٦هـ (١١٥٢م) استولى عبد المؤمن على هذه المدينة وخلع السلطان يحيى عن العرش ونصب مكانه أحد أبنائه . وأصبحت بجاية من ذلك الوقت عاصمة إقليم وكلت إدارته إلى أمير من أمراء الأسرة الحاكمة . وفى عام ١١٨٣ احتل تلك المدينة ابن غانية (انظر مادة « المرابطين ») وقد استعاد الموحدون فتح تلك المدينة بعد ذلك بقليل ، واستولى عليها الحفصيون (انظر هذه المادة) بعدُ عندما أعلن أبوزكريا الأول استقلاله فى الشرق عام ٦٢٩هـ (١٢٩٨م) . وجرى أبو زكريا على سنة الموحدين فأسند حكومة هذه المدينة إلى ولده الأكبر . وكان تاريخ بجاية خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر وفى القرنين اللذين أتيا بعده كثير الحوادث والانقلابات . فقد تمكن الأمراء الحفصيون فى عدة ظروف (١٢٨٤ — ١٣٠٩ ، ١٣١٠ — ١٣١٨ ، ١٣٦٤ — ١٣٦٨) من التحرر من سلطان تونس وجعلوا من بجاية عاصمة لولاية مستقلة تشمل الجزء الأكبر من إقليم قسنطينة المعروف الآن . كما أنهم صدوا هجمات بنى عبد الواد أصحاب تلمسان والمرينيين أصحاب فاس (انظر مواد : « عبد الواد » ، « بنو زيان » و « بنو مرين ») . وقد حاصر بنو عبد الواد بجاية فى الأعوام ١٣١٠ ، ١٣١٦ ، ١٣١٨ — ١٣١٩ ولكن دون أن يظفروا بطائل ، ولكنى يبلغوا مرامهم وحاصروا المدينة حصاراً تاماً استقروا فى تمزردك فى وادى السُومّم . وكان المرينيون أسعد منهم حظاً إذ استولوا على المدينة فدخلها أبوالحسن دون قتال عام ١٣٤٧ ، وظل سلطان المرينيين قائماً بها حتى عام ١٣٦١ ، وفى تلك السنة استعاد الحفصيون سلطانهم فى تلك المدينة وأصبحت بجاية عاصمة ولاية تحت إمارة أحد أولاد سلطان تونس ، وكانت بذلك — كما كانت الحال فى قسنطينة — عثابة معاش خاص لأمراء البيت المالك ، ولكن حسن الوفاق لم يكن قائماً بين حكام قسنطينة وبجاية فقد خضبت حروبهم المتوالية أرض الجزائر بالدم خلال القرن الخامس عشر وطيلة السنوات الأولى من القرن السادس عشر .

واستمرت بجاية على الرغم من هذه الحوادث تحتل مركزاً هاماً فى الحياة الاقتصادية لإفريقية الشمالية: فقد وطد بنو حماد منذ أول الأمر صلاتهم الودية بالممالك المسيحية وخاصة برومة والجمهوريات الإيطالية ، وعقد الناصر محالفة مع أهل بيزة خوّل لهم فيها حق المتاجرة فى بلاده . واتبع الموحدون نفس تلك السياسة فجددوا المحالفة التى عقدها الناصر مع أهل بيزة وأعطوا مثل هذه الامتيازات لأهل جنوة ولأهل مرسيليا ، وكان أهل قطلونية Catalans والبروفنساليون Provençals والبنادقة يترددون كثيراً على ميناء بجاية ، ويعرف فى المؤلفات الغربية باسم Bugia أو Buria أو Bugea أو Buzana . وكان للتجار النصارى فنادق خاصة بهم فى تلك المدينة ، وكانوا يشترون منها الصوف والزيت والجلود والشمع ، غير أن الحال تغيرت عن ذلك فى أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر عقب عودة القرصنة إلى الظهور ، تلك القرصنة التى لم يقض عليها قضاء تاماً ؛ وقد اشتهر من هؤلاء القرصان بعض أهل بجاية وكانوا يلقون الرعب فى قلوب الملاحين المسيحيين .

ولما اعتزم الأسپان الاستيلاء على بعض الأماكن الهامة على شاطئ بلاد البربر ، فكروا فى انتزاع بجاية من أيدى المسلمين ، فاستولى پدرو ناڤارو Pedro Navarro على هذه المدينة فى شهر فبراير من عام ١٥٠٩م ، وجدد الأسپان حصونها ، أما المدينة نفسها فنهبت وخرب قصر بنى حماد الذى كان لايزال قائماً ، وأغار القرصان التركى أوروج (انظر هذه المادة) على بجاية عام ١٥١٣م ، ولكن الأسپان أفلحوا فى مقاومته واحتفظوا بالمدينة حتى عام ١٥٥٥م غير أن سلطانهم فيها كان مزعزعاً .

وظل أهل القبائل يحاصرون هذه المدينة دون انقطاع فى حين لم تزود حاميتها من الأسپان بالمعونة الكافية من الرجال والزاد والذخائر ، وكانت أسوار هذه المدينة قد تخربت عند ما جاء بكلر بك صالح رئيس لمحاصرتها ، فلم تمض ستة أيام حتى تم له النصر وأجبر الدون ألونسو ده پيرالتا D. Alonso de Peralta حاكم المدينة على التسليم فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٥٥٥م ، وعندما رجع هذا الحاكم إلى أسپانيا حوكم أمام مجلس عسكرى وحكم عليه بالموت فقطع رأسه .

واحتفظ الترك بسلطانهم فى هذه المدينة مدة ١٨٨ سنة ووضعوا هناك حامية ولكنهم لم يتمكنوا قط من استمالة القبائل المجاورة أو إعادة تلك المدينة إلى سالف مجدها ، ولم يكن فى هذه المدينة فى القرن الثامن عشر إلا خمسمائة أوستمائة نسمة عدا حاميتها ويبلغ عددها ١٦٠ جندياً من الإنكشارية .

ولما استولى الفرنسيون على الجزائر عام ١٨٣٠م طردت القبائل العساكر الترك واستولوا هم على المدينة . ورأت الحكومة الفرنسية بادئ الأمر أن تولى والياً أو زعيماً على تلك المدينة من أهلها ، ولكنها عادت فقررت الاستيلاء عليها ، وربما كان ذلك خوفاً من أن تحتلها دولة أخرى ، فأعدوا حملة فى طولون على رأسها القائد ترزل Trezel فوصلت إلى هذه

المدينة فى ١٩ من سبتمبر عام ١٨٣٣م ، وبعد قتال عنيف فيا بين ٣٠ سبتمبر و١٢ أكتوبر استولى ترزل على المدينة ، وظل مركز الفرنسيين فى بجاية مدة طويلة متحرجاً بسبب مناوشات أهل القبائل حتى أنهم فكروا فى مناسبات مختلفة فى التخلى عن هذه المدينة إذ شعروا أن احتلالهم لها غير مجد ، ولم يستتب لهم الأمر فيها إلا بعد غزو أهل القبائل عام ١٨٤٧ — ١٨٥٧ ، ومنذ ذلك الوقت أخذ الفرنسيون فى تحسين وادى السومّم واستغلال المناجم العديدة الموجودة فى ذلك الإقليم ، وإنشاء الطرق ، ومد السكك الحديدية التى تربط بجاية بأهل القبائل الكبرى من جهة ، وبسهول سطيف المرتفعة وبجارا من جهة أخرى ، وهذه العوامل كلها جعلت المدينة ترفل فى حلل الرخاء كما أنها أعطت ميناءها قيمة تجارية هامة .

المصادر :

(١) Féraud : *Histoire de Bougie* ، قسطنطينة سنة١٨٦٩ (٢) Cherbonneau : تعليقات ومقتطفات من كتاب « عنوان الدراية فى مشايخ بجاية » ، نشرهاهذا الكتاب فى *Rev. Algerienne et Coloniale* ، يونيه عام ١٨٥٩ (٣) *Aïcha poetesse de Bougie* فى *Rev. Africaine* ج ٤ ، عام ١٨٩٨ ، ص ٣٤ (٤) Doumas : *La Kabylie* ، باريس ١٨٤٦ ص ٤٣ — ٩٦ (٥) الغبريني : عنوان الدراية ، الجزائر عام ١٩١١ .

[G. Yver إيفر]

+ بجاية : مدينة بحرية جزائرية على مسيرة حوالى ١٧٥ كيلومتراً من مدينة الجزائر ، وقد شيدت فوق أدنى منحدرات جبل گورابة ، ولذلك فهى تشرف على جون واسع الجنبات آمن كل الأمن . ولاشك أن السفن الرومانية والقرطاجنية كانت ترسو قبالة سالداى Saldae المدينة القديمة . وكانت المدينة فى مستهل التاريخ الميلادى جزءاً من أملاك جوبا ملك شرشال . وقد أقام الإمبراطور أغسطس مستعمرة هناك أسكن فيها قدماء المحاربين . وثمة نقش يرجع إلى القرن الثانى الميلادى يشيد بسالداى ويقول إنها « مدينة رائعة » . ومع ذلك فلم يكن لهذه المدينة أى شأن هام حتى حل العهد الإسلامى ، فالبكرى يشير إليها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) منوها بأنها مدينة قديمة جداً ومشتى بهيج يعمره الأندلسيون . ومن وقتها كان فيها عدد كبير من الأندلسيين إلى جوار العنصر البربرى وهو قبيلة بجاية التى نسبت إليها المدينة .

وقد وقع الحادث الذى أشهر بجاية على صفحات التاريخ سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ، ومحصله أن منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) شهد الفرقة بين بنى زيرى أصحاب القيروان والخليفة الفاطمى فى القاهرة ، وكانت معقبات ذلك : الغزوة الهلالية أى وصول العرب البدو الذين أوفدوا من مصر للاستيلاء على هذه المملكة المتنقضة ، وكان الرد على هذا الانتقاض رهيبا ، ذلك أن هؤلاء البدو نهبوا ريف إفريقية وأخلى بعض بعض المدن الداخلية المنهوبة . وقد انتهزت مملكة بنى حماد أول الأمر هذه الفرصة التى أتيحت لها من

وجود هذه الأراضي الحالية ، وكانت نهاية القرن الحادي عشر الميلادي هي العصر الذهبي لقلعتهم ؛ وفي الوقت نفسه لم يتوان العرب في الانتشار غرباً وهددوا تهديداً خطيراً قلعة بني حماد . واستقر رأي هؤلاء على البحث عن قصبة أقل انكشافاً للعدو ؛ وكما أن بني زيري تركوا القيروان واتجهوا إلى المدينة الساحلية المهديّة ، كذلك انسحب سادة القلعة إلى الساحل : وفي سنة ١٠٦٧م احتل الناصر الحمادي أرض بجاية وأقام قصبته في بجاية وكان يريد أن يسميها الناصرية : وكان الناصر يقضي بعض وقته في القلعة ، إلا أنه قدّم عليه التوسع في قصبته الجديدة وانطلق يجتذب الناس إلى الاستقرار فيها وأقام بها قصر اللؤلؤ ؛ وترك ابنه المنصور (٤٨٣ — ٤٩٨هـ = ١٠٩٠ — ١١٠٤م) بدوره القلعة ، وكان قد جمّلها مع ذلك بعمائر جديدة ، ثم هجرها إلى غير رجعة وأقام في بجاية بجنده وحاشيته . وفيها بنى المسجد الجامع وغرس الحدائق وأقام قصر الكوكب ، وزود المدينة بالمياه تحملها قنطرة معلقة من جبل توجة ؛ وقد اشتهرت بجاية بأنها مقسمة إلى واحد وعشرين حيا وأن بها اثنين وسبعين مسجداً ، ولاشك أن في هذا مبالغة ، على أنه من المحقق أن منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) كان هو العصر الذهبي لبجاية . وقد ورثت العاصمة الثانية لبني حماد العاصمة الأولى من أول الأمر ، ذلك أنها رحبت بصفوة المفكرين ، وسراة الطبقة الوسطى ، وحكماء وفناني القلعة التي هوت عن عرشها ؛ وكانت الحياة في بجاية رخية خالية من التشدد والصرامة ، أما الزي المترف الذي كان يرتديه مواطنوها ، من عمائمهم الملفوفة في رشاقة إلى نعالهم المثبتة بأربطة ذهبية ، فقد أذهلت ابن تومرت الزعيم المقبل للموحدين الذي أقام حوالي سنة ١١١٨م فترة من الزمن في بجاية وبذل محاولة لإصلاح أخلاق المدينة وعاداتها .

وتماثل زيارة ابن تومرت هذه الزيارة التي قام بها الصوفي الأندلسي الكبير سيدي بومدين ، ولاشك أن تدريسه بها أثناء هذه الإقامة كاف للدلالة على أهمية بجاية من حيث هي مركز للدراسات الدينية .

وبفضل ثغر بجاية قامت العلاقات التجارية والثقافية بالبلاد القائمة فيما وراء البحار ، ومن ثم أصبحت بجاية قاعدة تشع منها حضارة شرقي بلاد البربر وفنه إلى أوربا المسيحية وخاصة صقلية وإيطاليا ؛

وكانت بجاية في نظر الإدريسي جغرافي الملك روجر الثاني كبرى المدائن وعين الدولة الحمادية ، وكل الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأن قصور پالرمو الملكية قد استوحت قصور بجاية التي وصفها في إعجاب شديد الشاعر الصقلي ابن حمديس ؛ ولدينا أيضاً الخطاب الذي كتبه البابا غريغوري السابع في لهجة تفيض بالود إلى الناصر « ملك موريتانيا وولاية سطيف » (Mas Latrie : *Traité de paix et de commerce* ، ص ٢٢ — ٢٣) ؛

وليس في بجاية إلا بقايا قليلة جداً من ماضيها بوصفها من الحواضر الكبرى ؛ على أننا نستطيع أن نتحقق في شيء من اليقين من بعض مواقع القصور التي شيدها بنو حماد ؛ ولاشك أن قصر أميمون كان يقوم غير بعيد من قبر سيدي التواتي ؛ وقد

حلت قلعة يزال محل قصر الكوكب . وكان قصر اللؤلؤ يقوم فى موقع ثكنات البريجة . ويمكن أن تنسب بعض الصهاريج وجزءا من أسوار المدينة (الواجهة الشرقية حيث يدعم السور البالغ أربعة أمتار فى السمك أبراج مدلاة) إلى حكام القرن الثانى عشر الميلادى ، ويمكننا أن ننسب إليهم أيضاً بابا يعرف بالباب العربى وهو ذلك العقد الكبير الذى تستطيع السفن أن تدخل منه إلى الميناء الداخلى .

ولاريب فى أن مدينة بنى حماد أكثر امتداداً فى الخارج إلى حد مذكور من المدينة الحديثة ، وخاصة فى القطاع التلى حيث تقوم هضبة الأطلال ؛ وقد انتهت إلينا أسماء سبعة أبواب أو ثمانية ، ويمكن أن نحدد بعضها : باب أمسيون إلى الشرق ، على الطريق المؤدى إلى وادى النسانيس ؛ وباب البنود على موقع باب فوكه ؛ وباب اللوز فى الموقع نفسه ولكنه دون باب البنود . وكان يمتد خارج المدينة على ضفتى السومم بستانان مشهوران غرسا فى القرن الثانى عشر وأصلحا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وهما بستان البديع على الضفة الغربية وبستان الرفيع على الضفة الشرقية .

وقد فتح بجاية سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٢م) عبد المؤمن فأسر آخر سلاطين بنى حماد إلى صقلية وأصبحت المدينة السلطانية القديمة قصبة الولاية الموحدية التابعة لمراكش . ولاشك أن سقوطها كان أليم الوقع على مواطنيها . ومن المظنون أن الموحدين لم يستطيعوا أن يجتذبوا قلوبهم ، ومما يغرى المرء بأن ينسب هذا النفور من السادة الجدد سبق اختيار بنى غانية لبجاية حين نزلوا بها فى منتصف القرن الثانى عشر محاولين أن يعيدوا إمبراطورية المرابطين .

وقد كانت بجاية فى نظر بنى غانية مجرد قاعدة لحملاتهم . ولم يتوان الموحدون فى العودة إلى فتحها وظلت تحت حكمهم بعدُ حتى سقطت أسرة عبد المؤمن . ومن وقتها أصبحت بجاية هى والإقليم المحيط بها جزءاً من مملكة الحفصيين فى تونس . والظاهر أن موقع هذه الولاية النائى يفسر شأنها فى بلاد البربر من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلاديين . وكانت هذه الولاية البعيدة عن قصبة المملكة قد جرت التقاليد بأن تسند إلى ولى العهد ، وسار جيش بجاية على الرغم من هذا البعد فى أكثر من مناسبة إلى تونس لتأييد مطالب ولى للعرش حريص على أن يعتليه بلا إبطاء . وكانت بجاية بحكم موقعها ثغراً من الثغور (مدن الحدود) مثار أطماع سلاطين عبد الواد أصحاب تلمسان الذين حاولوا عدة مرات فتحها فلم يفوزوا بطائل .

وظلت بجاية فى الوقت نفسه مدينة تجارية غنية كان البنادقة والبيزيون والجنويون وأهل مرسيليا والقطالونيون يستوردون إليها البضائع المصنوعة فى أوربا ويصدرون منها المنتجات المحلية وخاصة مربى قشر البرتقال ، والشمع والشب والرصاص والراتينج ، وكان يضاف إلى أرباح التجارة غنائم تكون فى بعض الأحيان أكبر وهى مصادرة مراكب العدو . وقد جاء فى كتاب مشهور لابن خلدون (= تاريخ البربر *Hist. des Berbères* ، ج ١ ، ص ٦١٩ ، الترجمة

ج ٣ ، ص ١١٧) أن القرصنة كانت منذ سنة ٦٧١هـ (١٣٦٠م) تمارس وفقاً لطريقة مجربة جيداً وتؤدى إلى نتائج مشهودة .

والهجمة التى شنها على المدينة بدرو صاحب نبارة (نافار) واستيلاؤه عليها سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) كانت كلها من قبيل الانتقام . وهنالك أصبحت بجاية مدينة أسبانية ، وظلت على ذلك حتى سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م) . وقد لقى سادتها الجدد خلال هذه السنوات الخمس والأربعين أياماً شدادا وهم معسكرين على ساحل « أرض الكفار » لاتربطهم صلة بالأرض المناوحة للساحل ، تهددهم قبائل الجبال البربرية ويروعهم ذكر قرصان بلاد البربر الذين كانوا يحاصرون الساحل . ولم يجد دون لويس دوپرالتا بداً من تسليم المنطقة بعد أن دافع عنها دفاع الأبطال ، وكانت قد أصبحت خراباً يباباً .

وخضعت بجاية لسلطان الأتراك فى الجزائر الذين كانوا يضمرون الشك ، فأبقى هؤلاء فى أيديهم ممارسة مصادرة سفن العدو والإفادة من غنائمها ، فلم تستطع المدينة الانتعاش . وظل الإقليم مقيماً على بعض شأنه بفضل « الكرسته » أى استغلال الخشب لبناء السفن وهى صناعة كان سادة هذه « النيابة » يشرفون عليها متوسلين بزعيم دينى محلى من أسرة أمكران . ولكن المدينة لم تغنم إلا القليل من هذا النشاط ، فقد كتب الرحالة پيسونل Peysonnel يقول : « كل شىء فى بجاية يتهاوى خرابا لأن الأتراك لايصلحون شيئاً » . ولما دخل الجنود الفرنسيون بقيادة الجنرال ترزل المدينة سنة ١٨٣٣ ، وجدوا أنها لم تكن سوى مدينة حزينة يسكنها ألفان فحسب من السكان يحرسهم مائة وخمسون إنكشارياً » .

المصادر :

(١) ابن حوقل ، طبعة ده غويه فى المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٢ ، ص ٥١ ؛ ترجمة ده سلان فى *Jour. As.* ، سنة ١٨٣٢ ، جا ، ص ١٨٢ (٢) البكرى فى وصف شمالى إفريقية *Description d'Afrique du Nord* ، الجزائر ، سنة ١٩١١ ، ص ٢٢ ؛ ترجمة ده سلان ، سنة ١٩١٣ ، ص ١٦٦ (٣) ابن الأثير ج ١٠ ، ص ٣١ ؛ ج ١١ ، ص ١٠٣ ؛ ترجمة فانيان ، ص ٤٧٦ ، ٥٧٢ (٤) ابن خلدون *Histoire des Berbères* ، ج ١ ، ص ٢٢٦ — ٢٣١ الترجمة ، ج ٢ ، ص ٥١ — ٥٨ (٥) الإدريسى : المغرب ، ص ٩٠ — ٩١ ؛ الترجمة ص ١٠٥ (٦) الزركشى : تاريخ الدولتين ، تونس سنة ١٢٨٦هـ ؛ ترجمة فانيان فى مواضع مختلفة (٧) Leo Africanus ، طبعة شيفر ، جا ، ص ١٦٢ ؛ طبعة Epaulard ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ (٨) الغبرينى : عنوان الدراية ، طبعة بن شنب ، الجزائر سنة ١٩١٠ (٩) Mas Latrie : *Traités de paix et de commerce* ، فى مواضع مختلفة (١٠) de Beylié : *Kalaa de Béni Hammad* ، پاريس سنة ١٩٠٩ ، ص ٩٤ (١١) Brunschvig : *La Berbérie orientale sous les Hafsides* فى مجلدين ، پاريس سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٧ ، ج ١ ، ص ٣٧٧ وفى مواضع مختلفة (١٢) Féraud : *Histoire des villes de la province de Constantine* فى *Recueil des la Société archéol. de*

Constantine 1869 ، جـ ١٣ (١٣) G. Marçais : *Les poteries et faïences de Bougie* ، قسنطينة سنة ١٩١٨ (١٤) الكاتب نفسه : *Les Arabes en Berbérie* ، فى مواضع مختلفة .

خورشيد [مارسيه G. Marçais]

«بَجَّانة» : مدينة قديمة مهمة فى الجنوب الشرقى من الأندلس شمالى المَرِيَّة (انظر هذه المادة) التى كانت تسمى فى الأصل «مرية بجانة» ولا يفصلها عنها إلا عشرة كيلومترات . كانت بجانة حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى قاعدة ما يشبه جمهورية بحرية أقامها رجال بحر أندلسيون كان لهم أيضا مستعمرة على شاطئ الجزائر فى تنس (انظر هذه المادة) وكانت هذه المدينة عدة أحياء تفصل البساتين بعضها عن بعض ، ثم أصبحت حاضرة كورة سميت باسمها . ولكن سرعان ما احتلت مكانها مدينة المرية المجاورة لها ، وهاجر إليها سكان بجانة واستقروا فيها .

المصادر :

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، طبعة دوزى وده غويه ص ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ من النص العربى وص ٢٠٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ من الترجمة (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة رينو وده سلان Reinaud et de Slane ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ — ٢٥٤ (٣) ياقوت : معجم البلدان طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (٤) ابن عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، طبعة أسبانيا ، رقم ٣٧ (٥) Simonet : *Description del reino de Granada* ، غرناطة سنة ١٨٧٢ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ص ١٤٥ .

[ليفى پروفنسال Lévi-Provençal]

+ بجانة ، وبالأسبانية Pechina : بلدة أسبانية قديمة لاتعدو اليوم بلدة ريفية ، ومجرى وادى بجانة Rio Andara الذى يهبط من مقسم ماء جبل الثلج مخترقاً بجانة ويصب مياهه فى البحر دونها بستين كيلومتراً وربع الكيلو متر ، بالقرب من مرقب «مرية بجانة» وهى موقع البلدة التى أصبحت باسمها الوحيد المريّة (بالأسبانية Almeria) أنشط وأزهر ثغر فى الأندلس على البحر المتوسط . وقد درجت جماعات البحارة الذين استقروا بين ألقنت وأغيلاس على المضى شتاء إلى الساحل الإفريقى والعودة فى الربيع إلى شبه الجزيرة محملين بأحمال ثقيلة . وقد استقر بعضهم فى الثغور الإفريقية وأنشئوا فى الوقت نفسه تنس الجديدة سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) .

وكانت مقاطعة بجانة آنئذ يحتلها عرب اليمن الذين كان عبد الرحمن الثانى قد ناط بهم إقامة رباط لحماية الساحل من هجوم محتمل يشنه المجوس (انظر هذه المادة) ، وكافأهم على ذلك بمنحهم وادى بجانة الخصيب . وقد تفاهم البحارة الأندلسيون العائدون من تنس مع هؤلاء العرب لإقامة ما يشبه جمهورية بحرية وجعلوا بجانة قصبة دولة صغيرة . وقد أقام العرب مسجداً كبيراً فيها

وأقام البحارة الأسوار ، فأدى ذلك بسرعة مقترناً بنشاط أسطولها التجارى إلى ازدياد حجمها ورخائها . وقضت بجانة سبعة وثلاثين عاماً فى حالة تشبه الاستقلال كان يهددها خلالها حلف ألبيرة العربى ، ثم ضمت عام ٣١٠هـ (٩٢٢م) إلى المجتمع الأموى .

واحتفظت بجانة برخائها فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى جعل عبد الرحمن الثالث المرية سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) قصبة الإقليم ونفذ تخطيطات مدنية هامة فيها . وقلت أهمية بجانة أكثر فى عهد الحكم الثانى ، وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) لم تعد أكثر من قرية وضيعة ، على حين أصبحت المرية قصبة مملكة من ممالك ملوك الطوائف .

المصادر :

(١) البكرى : *Descr. de l'Afr. Sept.* ، المتن ص ٨١ ؛ الترجمة الفرنسية ص ١٦٣ (٢) الإدريسى : المتن ، ص ٢٠٠ ؛ الترجمة الفرنسية ص ٢٤٥ (٣) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (٤) Simonet : *Descripcion del reino de Granada* ، ص١٣٦—١٣٧ (٥) Lévi Provençal : *Péninsule ibérique* ، ص ٤٥ — ٤٨ (٦) الكاتب نفسه : *Hist. Esp. Mus.* ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ وما بعدها (٧) Lévi-Provençal & E. Garcia Gómez : *Una Crónica anónima de Abd el Rahman III Al-Nâsir.* ، مدريد — غرناطة ، سنة ١٩٥٠ ، فصل ٤٤ .

خورشيد [ميراندا A. Huici Miranda]

« بجرمى » ويقال بقيرمى وبكيرمى : بلاد فى أواسط السودان جنوبى بحيرة تشاد ، وقد ظل الأوربيون يجهلونها مدة طويلة من الزمن إلى أن قام أحدهم ، وهو « دنهام » Denham ، بزيارة الجزء الشمالى منها عام ١٨٢٤م ، وفى ٥ مارس من عام ١٨٥٢م خرج بارث Barth من برنو فوصل إلى « ماسنيا » Massenya ، وجمع فى رحلته هذه التى انتهت فى ٢٢ أغسطس من العام نفسه معلومات تاريخية هامة عن بجرمى . وفى عام ١٨٨٢م سار ناشتگال Kachtigal بمحاذاة نهر « شارى » حتى « بينغنية » Bainaghenné ولكنه لم يستطع أن ينفذ إلى داخل البلاد لاضطراب الأحوال فيها .

ويمكننا أن نضيف إلى تقارير هؤلاء الرحالة ما قام به المستكشفون القادمون من إقليم الكنغو أمثال ميستر Maistre وجنتيل Gentil الذى زار مسانيا عام ١٨٩٧م . وقد قام الضباط والموظفون الفرنسيون الذين نيط بهم إدارة أقاليم بحيرة تشاد بإكمال وتصحيح هذه التقارير جميعاً منذ عام ١٩٠٠م :

وتضم الدولة الوطنية التى أطلق عليها اسم بجرمى بعض دويلات أخرى تابعة لها إلى جانب بجرمى بعينها ، مثل إقليم بونه وإقليم كيردى على الضفة اليمنى لنهر شارى وهو يمتد حتى خط عرض ١٠ شمالا ، وإقليم دگانه Degana بالقرب من بحر الغزال وإقليم « دكاكريه » Dekakiré الجبلى فى الشرق ، وإقليم خزام و « بد جبته » بالقرب من واداى ، وتبلغ مساحة بجرمى وتوابعها وفقاً لإحصاء

عام ١٩٠٣ حوالى ٣٠٠٠٠ ميل مربع وقد بلغت ٤٠٠٠٠ ميل مربع فى أحدث الإحصاءات التى قام بها الكولونيل « لارگو » Largeau (*L'occupation du Wadaï* فى *Revue de Paris* ، عدد أول يناير سنة ١٩١٠ ، ص ٢٩) .

وبجرمى عينها سهل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٥٠ ميلا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٥٠ ميلا ، ومساحته حوالى ثمانية آلاف ميل . وهذا السهل الذى يبلغ ارتفاعه حوالى ألف قدم يأخذ فى الانحدار تدريجاً نحو الشمال الغربى تجاه بحيرة تشاد ، أما جزؤه الشمالى الشرقى فينحدر نحو بحر الغزال . والسهل مستو فى بعض أجزائه حتى أن الماء لا يجرى فيه بل تتكون منه المستنقعات ، وهناك بعض المرتفعات المتفرقة حول هذه البلاد : ففى الشمال تلال « نگورة » Ngourra التى تفصل بجرمى عن حوض نهر « فترى » Fittri وإلى الشرق ترتفع جبال « غيرى » Ghéré التى لا نعرف عنها إلا القليل . والجزء الأكبر من المياه يفيض نحو بحيرة تشاد بوساطة نهر شارى الذى يحد بجرمى إلى مسافة ١٧٠ ميلا وبحر إرگگ ، ويسميه بارث باتشيكام Batschikam ، أى نهر أوراق الشجر ، وهو فى الواقع فرع من نهر شارى ينفصل عنه عند « ميلتو » Miltu ويصب فيه ثانية عند بُسگمان Buguman . ويتراوح اتساع نهر شارى بين ٢٠٠ ، ٥٠٠ ياردة ولذلك فهو صالح للملاحة دواما . أما النهر الأخير فلا يصلح للملاحة لأنه ضيق تملؤه النباتات . وكلا النهرين تنتابه تغيرات كبيرة فى منسوبه تبعاً لاختلاف الفصول . وهناك فصلان : فصل الأمطار ويستمر عادة أربعة أشهر ، وفصل الجفاف ويستمر ثمانية أشهر ، ويمتد أحياناً فيضر الزراعة ضرراً بليغاً .

وبجرمى بلاد خصبة نسبياً إذا استثنينا الجفاف الذى يطرأ عليها فى بعض الأحيان . ويزرع فيها السرغو والدخن ، وهما الغذاء الدائم لأهلها ، كما يزرع فيها الفول ونبات آخر يفضله الأهالى سماه بارث « جوجو » . أما الأرز فينبت فى المستنقعات إبان فصل الأمطار ، والقمح نادر فى هذه البلاد ، ويقول بارث إنه يحتفظ به للسلطان .

والمراعى كثيرة تصلح لتربية الماشية . أما من جهة الأشجار والشجيرات ففيها تمر الهند واللوز والقطن والنيلة وشجر الدهن . وتكثف الغابات كلما اتجهنا ناحية خط الاستواء .

والحيوانات كثيرة فى بجرمى . ففيها يعيش الفيل والزرافة والفهد والتيتل وفرس النهر والخرتيت والتمساح ، وتتكاثر كلها على ضفاف الأنهار أو فى جوارها .

أما الحشرات فعديدة نخص بالذكر منها النمل العادى والنمل الأبيض الذى هو مصدر خطر على المحاصيل بل وعلى الإنسان .

وسكان بجرمى الذين يبلغون مليوناً ونصف مليون فى رواية بارث ، ومليوناً فقط فى رواية ناشتگال ، آخذون فى النقصان لأن الحروب المستمرة تفتك بهم . وقد قدر عددهم فى تعداد عمل سنة ١٩٠٤م بـ ٤٢٠,٠٠٠ نسمة ، ويذهب اللفتننت كولونل

لا رجو إلى أن هذا العدد يجب أن ينخفض إلى ٨٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٦,٠٠٠ فى بجرمى عينها أى بواقع ٣,٠ إلى ٩,٠ من النسمة للميل المربع .

وأهلها يختلفون فى العنصر اختلافاً كبيراً ، إذ هم يتألفون من :

١ — الباجرمين : وهم قوم نشئوا من اختلاط السكان الأصليين بالفاتحين الأجانب .

٢ — الكنورى : الذين استقروا بالولايات فى مختلف البقاع .

٣ — العرب : من أصيلة وسلمات وحزّام وأولاد موسى وشوه وهم متناثرون فى أنحاء البلاد ويعيشون فى القرى التى هى مقصورة عليهم تقريباً .

٤ — الفلبة وجلهم من الرعاة ويكثرون فى الجنوب .

٥ — قبائل السود التى تشمل قبيلة الكابرى على الضفة اليمنى لنهر لگون وقبيلة سارة فى الحوض الأوسط لنهر داركوى وقبيلة تمُّوك Tummok و «نيلم» وغيرهما . وكل هذه القبائل تتباين فى مقدار قرابتها للبجارمة وإن كانت تتكلم لغة مخالفة ، وهم جميعاً عباد أوثان .

والبجارمة يتميزون من بقية أقوام إفريقية بكمال تركيبهم الجسمانى . وقد لاحظ الرحالة امشاق قامتهم واعتدال قسماتهم ولين أطرافهم ؛ واشتهر نساؤهم بالجمال .

وهم يتكلمون لغة تعرف بـ « باجرمًا » ، ويقول بارث إنها تنتسب إلى اللغة التى يتكلم بها فى « كوكه »

وكان البجارمة يعبدون الأوثان أول الأمر ثم اعتنقوا الإسلام منذ ثلاثمائة سنة على يد الفلبة ، غير أنهم احتفظوا بالكثير من طقوسهم الوثنية ؛ وأخذ الإسلام ينتشر بفضلهم ناحية الجنوب حاملا مبادئ الحضارة إلى تلك البلاد التى يعيش أهلها على الفطرة .

وعلى الرغم من هذا كله فإن حظهم من الثقافة مازال ضئيلا ؛ ويقول بارث إنه ليس بينهم من يعرف الكتابة ؛ والذين يذهبون منهم إلى مكة للحج هم وحدهم الذين يعرفون شيئاً عن اللغة العربية ؛ والبجرميون أكثر مهارة فى الصناعة من جيرانهم ؛ فهم أصحاب حرف ممتازون كالصباغين والنساجين ؛ وأسرى البجرميين الذين جلبهم السلطان « سبون » إلى وادای ، هم الذين أدخلوا صناعة النسيج فى هذه البلاد ؛ وكانت تجارة الرقيق هى أهم حرفة يحترفها البجرميين حتى نهاية القرن التاسع عشر ؛ وليس هناك شك فى أن هذه التجارة وصعوبة المواصلات بين بجرمى وبين إفريقية الشمالية واستمرار الحروب فيها كل ذلك قد عاق تقدم البلاد .

وكانت أهم مدينة فى بجرمى أيام بارث هى حاضرتها ماسنيا ؛ وقد بنيت هذه المدينة شمال نهر إر گنگ وأحيطت بأسوار محيطها سبعة أميال . أما بيوتها فهى أكواخ من الطين فيما عدا قصر السلطان ومسجداً بنى من الحجر ؛ وخرب أهل وادای جزءاً منها عام ١٨٧٠ م وهجرها

أهلها عقب غزوة «رباح». وهي الآن تلي في المرتبة بـگـمان التي على الضفة اليسرى لنهر شارى وتبعد ٦٠ ميلا ناحية الغرب. وعلى مسيرة ١٥٠ ميلا من شرق مسانيا في سفح «غيرى» نجد مدينة «كنگه» التي تزعم الروايات الوطنية أنها منشأ الأسرة الحاكمة.

وحكومة بجرمى ملكية مستبدة، السلطان حاكمها المطلق، والأهالي يقدمون له فرائض الاحترام التي تنطوي على الذلة. وإذا مثلوا في حضرته وجب عليهم أن يكونوا حاسرى الرءوس وأن يعفروا جباههم بالتراب، ولا يسمح بالجلوس على البسط إلا لنفر قليل من وجوه القوم. والملكة الوالدة والابن الأكبر هما وحدهما من دون أقربائه يتمتعان ببعض النفوذ. وتسمل إحدى عيني كل واحد من إخوته الذكور حتى يصبحوا غير أهل للحكم. وكبار رجال الدولة من أبناء السفاح، أما الباقي فيختارون من بين العبيد. وأقوى رجال الحكم هو «فتشا» أي رأس الجيش، وهناك موظفون يناط بهم الإشراف على الغابات والمراعي وإدارة الأقاليم الهامة.

ويتكون دخل السلطان من الضرائب التي يجبيها من السكان المسلمين ومن الجزية التي يفرضها على القبائل الوثنية. والمسلمون يقدمون له الحبوب والماشية والمنسوجات القطنية، أما الوثنيون فيمدونه بالعبيد الذين كانوا في عهدى بارث وناشتگال عماد ثروته، وما زالوا إلى الآن المصدر الحقيقي لها.

وأنشئت دولة بجرمى في القرن العاشر الهجري الموافق القرن السادس عشر الميلادي على يد أولئك المغامرين الذين أتوا من الشرق، وربما يكونون قد وفدوا من «فترى». وهزم هؤلاء المغامرون الـ «بلاله» ثم اندمجوا فيهم وتمكنوا بوساطتهم من بسط سلطانهم على القلبة وعلى جماعات العرب المستقرة في هذا الإقليم. وفرض الفاتحون الجزية على هؤلاء جميعاً، ثم اعتنقوا دينهم وزعموا — شأن معظم من أسسوا دولا بالسودان — أنهم عرب وأنهم قدموا من اليمن.

وتقول الروايات الوطنية إن زعيم الفاتحين «دوگنگه» هو الذي أسس مدينة مسانيا وغزا الممالك الصغيرة الأربع التي انقسمت إليها الأراضي التي يرويها نهر باتشيكام، وزاد خلفاؤه في رقعة أملاكهم ناحيتي الشرق والجنوب. واعتنق أحدهم الإسلام وتسمى بعبد الله. وكان هذا الملك معاصراً لعبد الكريم مؤسس مملكة واداى. وتقلب أربعون أميراً على عرش بجرمى في الفترة التي تبدأ بهذا الوقت وتنتهي بعهد عبد القادر الذي استقبل بارث في رحلته إلى مسانيا. وقوي نفوذ أمراء بجرمى في القرنين السابع عشر والثامن عشر على حساب عباد الأوثان، ونمت ثروتهم بفضل تجارة الرقيق.

وأعقب هذا الرخاء فترة اضمحلال . ودب الخراب فى بجرمى من جراء النضال الذى شب بينها وبين سابون سلطان واداى المتوفى عام ١٨١٥ م . وتفصيل الأمر أن قائد جيش السلطان عبد الرحمن غدر بمولاه ، فقتل السلطان وأسر كثيراً من البجرميين . ودب الخلاف عقب موته بين أولاده ، وزادت دسائس قائد الجيش المسمى « رويلى » Rueli الحالة سوءاً فعادت واداى إلى التدخل فى شئون بجرمى . واعتلى عثمان بُرْ گُسْمَنْدَه أكبر أبناء عبد الرحمن العرش آخر الأمر ، غير أنه اضطر إلى أن يدين بالولاء لسلطان واداى ولأن يؤدى له الجزية .

وهدأت الأحوال عدة سنين ثم عادت العداوة إلى الظهور عقب وفاة سابون . فهجم سلطان واداى وحليفه شيخ برنو على بجرمى وأطلقا فيها يد التخريب ، غير أن عثمان استطاع أن يثبت أمام جميع أعدائه . وكان عثمان هذا حاكما مقتدرا لا يرعى ديناً ولا قانوناً ، يسلب أصدقاءه واعداءه على السواء ولا يحجم عن الزواج بأخته .

أما ابنه عبد القادر فقد حاول أن يعيش فى سلام مع جيرانه هؤلاء . وقصر همه على شن الغارات على القبائل الوثنية . إلا أن أهل واداى عادوا إلى سالف عهدهم فغزوا بجرمى ثانية (١٨٦٠ — ١٨٧٧ م) فى عهد أبى سكّين وفتحوا ماسنيا وطردوا أبا سكين وأقاموا مكانه واحداً من أبناء عمومته . واستعاد هذا الأمير العرش ثانية عام ١٨٨٢ م ، وظل يحكم حتى وفاته عام ١٨٩٤م . وألقى على عاتق خلفه « گـوْرَنْـگ » صد غارات ذلكم العدو الجديد « رباح » الذى وطد سلطانه فى برنو وأصبح بذلك قادراً على تهديد سلامة بجرمى فى كل وقت .

ودخلت بجرمى فى منطقة النفوذ الفرنسى بمقتضى المعاهدة التى أبرمت بين الفرنسيين والألمان فى ٤ من فبراير عام ١٨٩٤ م ، وقبل گورنگ من غير تردد الاعتراف بالحماية الفرنسية ووقع اتفاقاً بهذا المعنى مع المستكشف جنتيل عام ١٨٠٧ م . وأثار هذا الاتفاق حنق رباح على گورنگ فهاجمه . ولما لم يستطع گورنگ دفع هذا الهجوم عمد إلى ماسانيا وأشعل فيها النار بنفسه . وهزم برتونيه Bretonnet الذى أرسل لنجدته وذبح عند « تگباو » Tagbao فى ١٧ من يولية عام ١٨٩٩ م . ولكن قوات القائد « لامى » Lamy تمكنت من هزيمة رباح وقتله عند « كسورى » فى ٢٢ من أبريل عام ١٩٠٠ م ، وبذلك عادت السكينة إلى هذه البلاد التى أنهكتها الحروب .

ودخلت بجرمى فى نطاق اقليم تشاد الحربى ، وقام بإدارتها وطنيون تحت إشراف السلطات الفرنسية من بعد .

المصادر :

(١) Barth : *Reisen* ، جـ٣ ، فصل ١١ — ١٥

(٢) Nachtigal : *Sahara und Sudan* ، برلين سنة ١٨٨١ م ، مجلد ٢ ، ص ٤٣٩ — ٧٢٩

(٣) E. Gentil : *La Chute de l'empire de Rabah* ، باريس سنة ١٩٠٢

(٤) شيخ وتونسي : رحلة إلى وادای ، ترجمة Perron جـ ٥ ، جـ ٦

(٥) Escayrac de Lauture : *Mémoire sur le Soudan* ، باريس سنة ١٨٥٥ م ، ص ٧٣ وما بعدها

(٦) A. Fourneau : *Deux années dans la région du Tchad* ، فى *Bulletin du Comité de l'Afrique française* ، عام ١٩٠٤ ، الوثائق ، ص ١٢١ وما بعدها

(٧) Avon : *Monographies Centre-Africaine* ، المجلة السابقة ، الوثائق ص ٣٠٠ وما بعدها ، ص ٣٤٠ وما بعدها

(٨) Barth : *Sammlung und Bearbeitung central-africanischer Vokabularien* ، گوتا ، سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٤ م

(٩) Gaden : *Essai de grammaire de la langue baguirmienne* ، باريس سنة ١٩٠٤ .

[إيفر G. Yver]

+ بجرمى : اسم دولة زنجية مسلمة فى القرن الخامس عشر ، قامت على الضفة اليمنى لنهر شارى جنوبى شرق بحيرة تشاد ، وكانت قصبتها فى عهد بارث (سنة ١٨٥٢) مسّانيا ، وكانت تدور فى فلك باجرمى بعض الأقاليم التابعة ، وتقوم بين خطى عرض ١٠° و ١٢° شمالا ، وخطى طول ١٥° ، ١٨° شرقاً . وهذا الاسم التاريخى لا يستعمل بعدُ رسميا اليوم ، ولم يبق قيد الوجود إلا إقليم مسّانيا ، أما الأقاليم التابعة الأخرى فقد ضمت إلى إقليم بوسّو أو إقليم ملْفى .

والأقاليم التى كانت تحمل يوماً الاسم بجرمى كانت سهلا فسيح الجنبات ارتفاعه ١٠٠٠ قدم ، ينحدر برفق بعيدا صوب بحيرة تشاد . وإنما تقطع مستوى امتداد التربة الرسوبية كثبان قاحلة ، كما تقطعه فى الشرق بمقاطعة دكاكيرة صخور قائمة برأسها . وهذه الأقاليم تقع على أطراف منطقتى الساحل والبطائح السودانية . وتنقسم السنة موسمين : موسم الجفاف وهو بارد فى الشتاء حار جداً فى الربيع والخريف ، والموسم الآخر هو موسم الصيف وهو حار رطب . ويدور معدل سقوط المطر حول ٧٠٠ مليمتر (٢٨ بوصة) ولكن البخر شديد . ونهر شارى هو النهر الوحيد الدائم ، أما النهران الآخران ، (وهما بحر أرگوك وبحر نرّه) فلا يجريان إلا من شهر أغسطس إلى شهر ديسمبر .

ويقوم اقتصاد بجرمى على الزراعة وتربية الماشية ، والمحصول الأكبر هو الدخن (الدخن الديسى والأذرة النيلية) الذى هو قوام غذائهم ، والأذرة التى تزرع حول الواحات محصول مكمل فى الفترات التى تتخلل محصول الدخن . ويزرع علاوة على ذلك البسلة والمانيوق والويكه والسمسم ، ويزرع أيضاً الفول السودانى . وقد أدخلت زراعة القطن فى الجزء الجنوبى الشرقى من بجرمى على طول نهر شارى . والمراعى ، وإن كانت متوسطة الجودة فإنها تجعل تربية الماشية والأغنام والماعز ممكنة .

والسكان عناصر متباينة كل التباين ، فمن زنوج (البجرميين البرنويين والسارة والماسا) إلى عرب (اليسيَّةوالدكاكرية وأولاد موسى) والفلانى والفلانى البوروورو . وقد بلغ مجموع عدد سكان بجرمى سنة ١٩٥٦ : ٧٠٫٥٠٠ نسمة بمعدل ٦٫٤ للميل الواحد .

ويعيش الزنوج المستقرون (فيما عدا الماسا وهم رعاة ماشية) على زراعة المحاصيل وجمع الأقوات والصيد : ويقطن الفلانى البدو حتى لوگون وبحيرة تشاد ، كما يظعن الفلانى البوروورو حتى ناحيتى أنى ومُسورو . أما العرب شبه البدو فيتنقلون بين قراهم ، حيث يزرعون الأرض فى الفصل الممطر ، وبين ضفاف نهر شارى حيث يلجأون فى نهاية فصل الجفاف .

وقد دخل هؤلاء الأقوام فى الإسلام منذ ثلاثمائة وخمسين عاماً متأثرين ببعوث التجار الفلانى والهوسا فيما عدا الماسا والساره الذين ظلوا يؤمنون بحيوية المادة . على أن الإسلام لم يتغلغل فى نفوس هؤلاء الأقوام .

وكانت حالة دولة بجرمى التى أنشئت فى القرن السادس عشر على درجة كبيرة من الرخاء فى أول الأمر ، على أنها بدأت فى الاضمحلال فى بداية القرن التاسع عشر نتيجة للحروب التى نشبت بينها وبين واداى . وفى سنة ١٨٧٠ استولى سلطان واداى على مسانيا وطرد السلطان أبا سكين . وخلف گورنگ أبا سكين ، إلا أن رباح (انظر مادة «برنو») هدد گورنگ فوضع هذا نفسه تحت الحماية الفرنسية (١٨٩٧) ، وأدى هذا أول الأمر إلى انتقام رباح انتقاماً فظيعاً من بجرمى ، وهنالك هزم رباح وقتل عند كوسَّرى فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٠ أثناء الحملة التى شنتها الإدارة الفرنسية آخر الأمر لتهدئة الأمور . واحتفظ بالسلطان تغطية للظاهر ، ولكن سلطته قصرت على مقاطعة مسَّانيا . وكانت مسانيا العاصمة ، مدينة مهمة فى زمن بارث تحيط بها أسوار محيطها سبعة أميال . وقد دمر جزء من هذه المدينة سنة ١٨٧٠ ثم هجرت أيام غزوة رباح . وأعيد بناؤها إلى الجنوب الغربى مسافة ٢٠ كيلو متراً (½ ١٢ ميلا) . ومع ذلك فهى لا تعلو قرية كبيرة عدد سكانها ١٧٠٠ نسمة . والحق إن جميع الإقليم يقوم بعيداً عن التيارات الرئيسية للتجارة . ولا يحمل من الإنتاج المحلى ، وهو الفول السودانى والزبد والجلود ، إلى أسواق بُنْگر وبكُورو وفورت لامى إلا نسبة ضئيلة .

المصادر :

علاوة على ما ذكر قبلا انظر (١) G.Nachtigal: *Sahara und Sudan* ; (٢) Lt. - Col. Largeau فى *L'Occupation du Wadai* ، *Revue de Paris* عدد أول يناير سنة ١٩١٠ ؛ (٣) Ferrandi : *La Colonie du Tchad* ، باريس ـ نانسى سنة ١٩٣٠ ؛ (٤) L. Massignon : *Annuaire du Monde Musulmans* ، الطبعة الرابعة ، ص ٣٦٠ .

[كاپو راى R. Capot-Rey] خورشيد

« بَجْكم » أمير الأمراء : كان بجكم من المماليك الأتراك الخصيان ، اتصل أول الأمر بمرداويج بن زيار أمير جيلان (گيلان) ثم هجره لأنه احتقر أبناء جلدته . وفى عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) قتل مرداويج ، وكان بجكم على رأس الذين قتلوه ففر خشية الانتقام وقصد الخليفة فنصّبه أمير الأمراء محمد بن رائق قائداً للفرق التابعة له . ولذلك لقب بالرائقى . وفى عام ٣٢٥هـ (٩٣٦ – ٩٣٧م) هزم مرتين جيش الثائر أبى عبد الله البريدى ، ولكن الآية انعكست عندما طلب البريدى العون من بنى بُوَيه ، فقد أجبر بجكم على الفرار وارتد إلى واسط ، وأخذ يحتال على تنصيب نفسه أميراً للأمراء . وكان الوزير أبو على بن مُقْلَة يعمل على إسقاط ابن رائق فتفاوض مع بجكم ، وبلغ ذلك أمير الأمراء فزج بابن مقلة فى السجن ولم يلبث أن مات فيه . وعندئذ أراد ابن رائق أن يتغلب على البريدى خصمه القديم ، ولكن بجكم كان قد تغلب على البريدى واضطر هذا إلى أن ينحاز إليه ، وذهبت كل جهود ابن رائق أدراج الرياح . وفى ذى القعدة من عام ٣٢٦هـ (سبتمبر من عام ٩٣٨) دخل بجكم العاصمة ونصبه الخليفة أميراً للأمراء مكان ابن رائق ، وكانت مهمته الأولى أن يرغم الحمدانيين على الوفاء بوعودهم ، ذلك أنهم رفضوا أداء الجزية ، بيد أن بجكم لم يكد يذهب إلى الموصل لمحاربة حسن الحمدانى حتى ظهر ابن رائق فجأة فى بغداد على رأس ألفى مقاتل واضطر بجكم إلى عقد الصلح مع حسن عام ٣٢٧هـ (٩٣٨م) والعودة إلى العاصمة ، وسرعان ما وصلا إلى اتفاق سلمى أخذ ابن رائق بمقتضاه حكم حرّان والرها وقنسرين ونواحى الفرات الأعلى والحصون التى على التخوم . وبذلك لم يبق أمام بجكم سوى بنى بُوَيه . ولهذا أرسل البريدى جيشاً لمهاجمة السوس ، فلم يستطع معز الدولة البويهى الدفاع عنها فتقدم أخوه ركن الدولة لمساعدته وسار نحو واسط واحتل شطراً من المدينة . ووصل بجكم بجيشه فاضطر ركن الدولة إلى الانسحاب . وبينما كان بجكم والبريدى يضعان خطة مشتركة لنجاح الحرب بدأ الأخير فى الدس بغية الانفراد بالسلطان فصرف عن منصبه ، وتوفى الخليفة الراضى بعد ذلك بقليل ، فخلفه المتقى الذى ثبّت بجكم فى منصب أمير الأمراء ، وأرسل هذا جيشاً لمحاربة البريدى ، ولكن قائده هزم فرأى بجكم أن يقود الجيش بنفسه ، وقبل أن يصل إلى ميدان القتال كان البريدى قد هزم شر هزيمة . وبعد ذلك بأمد وجيز فاجأ جماعة من الكرد بجكم وقتلوه فى رجب من عام ٣٢٩ (أبريل ٩٤١م)

وامتدح المؤرخون من المشارقة بجكم لا لكفايته فى شئون الحرب فحسب بل لمواهبه فى نواحى الحياة الأخرى .

المصادر :

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ ، ص ٢٢٥ وما بعدها (٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٤٣٢ وما بعدها (٣) أبو الفداء : طبعة ريسكه ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ وما بعدها (٤) Weil

Gesch. d. Chalifen، جـ٢، ص ٦٦٤ وما بعدها(٥)
Müller : Der Islam in Morgen-und Abendland،
جـ ١ ، ص ٥٦٦

[تسترشتين K. V. Zetterstéen]

+ بَجْكَم ، (أبو الحسين) والأصح أن يقال «باچكام» (وهى كلمة إيرانية انتقلت إلى التركية ومعناها ذيل حصان أو ذيل ياك ، انظر Benvenstine فى Jour. As ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٨٣) : اسم أمير تركى كان فى أول أمره غلاماً فى خدمة ما كان ، ثم خدم من بعد ديمليا آخر هو مرداويج أمير جيلان وطبرستان والجبال . ولما ضاق غلمان مرداويج بمشاحناته قتلوا مولاهم سنة ٣٢٣هـ (٩٣٥م) ، وترأس عليهم بجكم وهرب معهم ؛ وقدم خدماته للحسن بن هارون الوالى العابر للجبال الذى أقامه ابن مقلة ، ثم اتجه إلى بغداد منتظراً أن يُلحق بجيش الخليفة. على أن سؤله رفض لغيرة حزس الحُجَرى ؛ وهنالك ألحقه بخدمته هو وأتراكَه ابنُ رائق الذى كان وقتذاك والياً على واسط والبصرة ، ومن ثم لقب ببجكم الرائقى ؛ وأصبح قائداً لعصبة من الغلمان وغيرهم من الترك والديلم الذين أقبلوا من الجبال تلبية لدعوته

وفى نهاية سنة ٣٢٤هـ (أوائل نوفمبر سنة ٩٣٦) أقام الخليفةُ الراضى ابنَ رائق أميراً للأمراء ، وأصبح بجكم كبير نوّابه فى نضاله لحرس الخليفة غير النظاميين وهم الساجية والحجرية ، ولوالى الأهواز (خوزستان) الطموح أبى عبد الله البريدى. إذ بلغ ابنُ رائق بغداد حتى بدأ يتخذ تدابير صارمة ضد الساجية ؛ وفى أوائل سنة ٣٢٥هـ (نهاية نوفمبر سنة ٩٣٦) كان ابن رائق قد شخص إلى واسط صحبة الخليفة ، واستطاع بمعونة بجكم أن يتخلص من الحجرية الذين كانوا فى ركاب الخليفة، ثم عاد بجكم وابن رائق إلى بغداد حيث أقيم بجكم رئيساً للشرطة ووالياً على الأقاليم الشرقية فى فبراير سنة ٩٣٧م . ولم يستطع ابن رائق أن يتفاهم مع البريدى الذى كان يهدف إلى الاستيلاء على العراق الأدنى ثم يحل محل أمير الأمراء ، ومن ثم استقر الرأى على أن يشهر عليه القتال . صحيح أن ابن رائق نزلت به الهزيمة ولم يتمكن من منع البريدى من دخول البصرة، إلا أن بجكم أحرز نجاحاً أكبر ، ذلك أنه أحرز نصرين مؤزرين على جنود البريدى الذين كانوا يفوقون جنوده عدداً بكثير ، واستولى على خوزستان بأسرها واضطر البريدى إلى الفرار إلى البصرة ؛ وهنالك استدعاه ابن رائق فانضم بجكم إلى ابن رائق فى جهة البصرة حيث أوشك الاثنان أن يقعا فى الأسر . على أن البريدى كان قد مضى إلى فارس ليستعين بعلىّ (عماد الدولة) البويهى ، فأنفذ علىّ هذا أخاه أحمد (معز الدولة) ليستعيد خوزستان ؛ ووافق بجكم نزولا على طلب ابن رائق — على أن يعود إليها طالما أن السلطة الكاملة سوف تمنح له فى تأمُّره عليها ؛ ومع ذلك فقد انقلب الحظ واضطر إلى التقهقر أمام البويهى والعودة إلى واسط ، أما ابن رائق فقد مضى إلى بغداد ليدبر المال الذى طلبه بجكم ليدفع منه أعطيات الجند (سنة ٣٢٦هـ = أوائل سنة ٩٣٨م) .

وبقى بجكم فى واسط دون أن يحاول أن يسترد خوزستان من البويهيى نزولا على رغبة ابن رائق.

ومن وقتها أصبحت فكرة بجكم أن ينقض على ابن رائق ويحل محله. وكان تطور الأمور قد أقلق بال ابن رائق فتراضى وشيكاً مع البريدى. وأراد بجكم أن ينتزع البريدى من ابن رائق ويضمن تأييده، فوعده بأنه ما إن يصبح مسيطراً على قصبة البلاد حتى يعطيه ولاية واسط التى كان البريدى قبيل ذلك قد حاول أن يستردها بالقوة من بجكم. وعقد الاثنان الاتفاق على ذلك. ثم إن الوزير السابق ابن مقلة أراد أن ينتقم لنفسه من ابن رائق الذى كان قد استصفى ممتلكاته، فأخذ يراسل بجكم ويشجعه على ما اعتزم ورشحه للخليفة الراضى خلفا لابن رائق. وأخذ الراضى بآراء ابن مقلة وشجع بجكم فى السر، كما يتبين من خبر رواه المؤرخ الصولى وكان موضع ثقة الخليفة وبجكم (ص ٤٢ — ٤٤؛ الترجمة، ص ٨٩ — ٩٠) ولو أنه رغم ذلك قد سلم ابن مقلة لابن رائق. وكان بجكم قد سار بجنده إلى بغداد بحجة أنه قدم للمطالبة بأعطيات الجنود، وفى ذى القعدة من سنة ٣٢٦هـ (سبتمبر سنة ٩٣٨) دخل بغداد بالرغم من جهود ابن رائق الذى حاول أن يوقفه عند نهر ديالى بطمه بمياه قناة النهروان وتدمير الجسر. وبينما كان ابن رائق فى بغداد يحاول النجاة بالركون إلى أذيال الفرار إذا بالخليفة يعين من فوره بجكم أميراً للأمراء.

وكان لابد لبجكم أمير الأمراء أن يصطدم بأمير الموصل الحمدانى حسن بن عبد الله الذى كان لا يؤدى التزاماته المالية. وفى أوائل سنة ٣٢٧هـ (أكتوبر — نوفمبر سنة ٩٣٨) سار بجكم مع الخليفة لقتاله ودخل الموصل بعد أن حطم مقاومة الحمدانى أسفل هذه المدينة، ولكنه لم يستطع أن يأسر حسناً، فقد فر إلى الجزيرة وراح بجكم يتعقبه بلا طائل. وكان جنود بجكم يناوشون بلا انقطاع فى الموصل. وكما كان ابن رائق يستغل هذه الظروف ليحدث فتنة مفاجئة فى بغداد، كان بجكم يتفاوض مع الأمير الحمدانى وكذلك مع ابن رائق. وعقد معاهدة فى نهاية سنة ٩٣٨م مع الحمدانى الذى أبدى استعداده أن يؤدى مبلغاً أولياً من المال باعتباره جزءاً من الجزية. واتفق ابن رائق أن يترك بغداد وأن ينال تعويضاً عن ذلك الولاية على طريق الفرات، وديار مضر، وجند قنسرين، والعواصم (انظر هذه المادة). وترك ابن رائق بغداد فى ٢٨ يناير سنة ٩٣٩م، وعاد الخليفة وبجكم إلى قصبة البلاد فى أوائل فبراير سنة ٩٣٩.

وهنالك كان لابد لبجكم أن يتجنب خطر البويهيين الذين بسطوا سلطانهم على العراق الأسفل، وقد أدى ذلك إلى تفاهم أوثق، وإن كان عابراً، بين بجكم والبريدى. ومنح البريدى ولاية واسط وقام بحملة ناجحة على البويهين فى خوزستان، ثم حصل على منصب الوزير وبقى فى واسط، وإنما كان يمارس سلطاته فى بغداد نائب عنه. وفى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠) تزوج بجكم من إحدى بناته. ولم يتخذ

الأمير البويهى عن أطماعه وحصل على تأييد أخ آخر من إخوته هو حسن (ركن الدولة) أمير الجبال. وسار حسن هذا بجنده إلى واسط وأقام معسكراً على الضفة اليسرى لنهر دجلة قبالة المدينة، ولو أنه اضطر إلى التقهقر حين أعلن دخول بجكم والخليفة. ومع ذلك فإن الجيش الذى سيره بجكم إلى حسن فى الجبال قد نزلت به الهزيمة.

على أن الوقت لم يطل على التراضى بين بجكم والبريدى، إذ دب الشقاق بينهما: ذلك أن البريدى لم يكن يخفى عزمه على نوال منصب «أمير الأمراء» كما كان حريصاً كل الحرص على عدم تأييد الحملة التى أنفذها بجكم إلى الجبال. وفى نهاية سنة ٣٢٨هـ (أغسطس سنة ٩٤٠) أزاحه بجكم عن منصب الوزير وصمم على أن ينفذ حملة على واسط؛ وظل بجكم مدة من الزمن قلقاً بسبب مسلك البريدى، وتخلى فى يولية عن الخطة التى كان قد دبرها لقتال الأمير البويهى فى الجبال وعاد إلى بغداد. وهنالك سار إلى واسط ودخل المدينة التى هجرها البريدى. وظل بجكم هناك حتى أدركته المنية. وكان هناك عندما توفى الخليفة الراضى فى ربيع الأول سنة ٣٢٩ (ديسمبر سنة ٩٤٠). وقد ثبته الخليفة المتقى فى منصب «أمير الأمراء». وفى أبريل سنة ٩٤١ ترك بجكم واسط نزولا على سؤل نوابه الذين كانوا يقاتلون قوات البريدى فى إقليم المذار جنوبى شرق واسط، وكانوا قد أصيبوا بنكسة. وكانت فى نية بجكم أن يلحق بهم، ولكنه ما إن بلغ بإذ بين جماعته الأنباء بأن البريدى قد هزم. واستقر رأيه على الرجوع ولكنه لقى فى رجوعه. وهو يصطاد عصابة من قطاع الطرق الأكراد اشتبك معها فى القتال. وقد تلقى طعنة رمح من كردى ناله من الخلف وتوفى فى ٢١ رجب سنة ٣٢٩ (٢١ أبريل سنة ٩٤١).

وكان بجكم المملوك التركى قد تلقى تدريبه على يدى ماكان، وكان يدين بالفضل دائماً لهذا المعلم. وكان بجكم يعرف العربية وإن كان يتردد فى التحدث بها خشية الوقوع فى الخطأ، ولذلك كان يستخدم ترجماناً. على أنه كان محترماً بين رجال الأدب، ويسر بصحبة رجال من أمثال الصولى والطبيب سنان بن ثابت الذى ترك لنا عنه ذكريات لا تقدر بثمن، وقد أجرى عليه بجكم معاشات سخية. وكان بجكم مولعاً بالسلطان محباً للمال. لذلك لم يكن يتردد فى الالتجاء إلى الخديعة والحيلة والإفساد والتعذيب لبلوغ أغراضه. وكان فى بعض الأحيان قاسياً، وإن كانت شجاعته تفوق الخيال، وكان أكثر استقامة فى خلقه من ابن رائق. ومن ثم آثره الخليفة الراضى على ابن رائق. وكان حفيا بخير رعاياه واستمال قلوب أهل واسط. ولو أن أهل بغداد كانوا أقل تقديراً له من هؤلاء.

وقد أقام بجكم «دار ضيافة» فى واسط فى وقت نزل بها القحط، كما أقام مستشفى فى بغداد، وأعطى القرامطة مبالغ كثيرة من المال لإصلاح الحجر الأسود فى مكة، فلم يأت هذا بنتيجة. وأمر بإعادة بناء مسجد براثا نزولا على طلب الشيعة، وكان قد دمر بأمر المقتدر. وبعد أن أقام فى البلاد

الإيرانية وهو يحتفظ بسنة إحياء الأعياد الإيرانية مثل سذق والنوروز . أما عن السكة التى ضربت على صورته فانظر المسعودى (مروج الذهب ، جـ ٨ ، ص ٣٤١) :

المصادر :

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٨ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٥ ، ٤٣٣ ؛ جـ ٩ ، ص ٢٩ — ٣١ (٢) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ، انظر الفهرس . لترجمة كانار ، فى مجلدين سنة ١٩٤٦—١٩٥٠ (٣) مسكويه : تجارب الأمم ، طبعة أتدروز ومارگوليوث ، جـ ١ ، ص ٣٣١ — ٣٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ — ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ — ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ — ٣٧٩ ، ٣٨٢ — ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ — ٣٩٦ ، ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤١١ — ٤١٦ ، ٤١٧ — ٤٢٠ ، جـ ٢ ، ص ٩ — ١١ (٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٣ ، ٣٦ (٥) ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٢٥ (طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ، جـ ٨ ، ص ١٠٣) (٦) ياقوت ، جـ١ ، ص ٥٣٢ ؛ جـ ٢ ، ص ٢١٣ ؛ جـ ٤ ، ص ٨٤٩ (٧) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٤٣٢ وما بعدها (٨) أبو الفداء ، طبعة Reiske جـ ٢ ، ص ٤٠٠ وما بعدها (٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٠١ (١٠) Defrémery : *Memoire sur les Emirs Al-Omera* ، ص ١٢٩ ، ١٣٣ — ١٥٥ (١١) Weil : *Ghalifen* جـ ٢ ، ص ٦٦٤ (١٢) Mueller : *Der Jslam im Morgen-und Abendland* ، جـ١ ، ص ٥٦٦ (١٣) Mez : *Renaissance* ص ٢٥ — ٢٦ والفهرس (١٤) H. Bowen : *The life and Times of Ali ibn Isa* ، كمبردج سنة ١٩٢٨ (١٥) M.Canard : *Hrstoire de la dynastie des Hamdanides* ، جـ ١ ، ص ٤١٦ — ٤٢١ (١٦) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ ٣ ، القاهرة ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ — ٤٨ .

خورشيد [كانار M. Canard]

+ « البجلى » الحسن بن على بن وَرْسَنْد : مؤسس فرقة البجلية الموجودة بين البربر فى مراكش . وذكر البكرى أن البجلى ابتدأ حياته تلك قبل وصول أبى عبد الله الشيعى (انظر هذه المادة) إلى إفريقية (قبل عام ٢٨٠هـ = ٨٩٣م) . وكان البجلى من أهل نَفْطة ، والتف حوله أتباع كثيرون من بنى لماس . أما مذهبه فهو شبيه بمذهب الروافض ، إلا أنه يقول إن الإمامة لاتكون إلا فى نسل الحسن . وهذا ما يذكره البكرى وابن حزم وهو يناقض ما ذكره ابن حوقل (طبعة دهغويه ص ٦٥) الذى يؤكد أن البجلى كان موسوى المذهب أعنى أنه كان يقول بإمامة موسى بن جعفر من نسل الحسين .

وقد حارب عبد الله بن ياسين فيما بعد البجلية وقضى عليهم .

المصادر :

(١) ابن حزم : الملل والنحل ، جـ ٤ ، ص ١٨٣ (٢) البكرى : كتاب المسالك والممالك ، طبعة ده سلان ، ص ١٦١ (٣) Friedlander : *Journal of the American orient. soc.* جـ٢٩ ، ص

[هيئة التحرير]

+ «بَجِمْزَى» أو بگمزى : كانت فى أيام الخلافة العباسية قرية فى شمالى شرق بغداد على مسيرة فرسخين (نحو ثمانية أميال) من بعقوبا، التى فيها الخليفة المكتفى بأمر الله بجيوش السلطان السلجوقى محمود الثانى التى كان يقودها ألپ قش كون خر سنة ٥٥٦هـ (١١٥٤م) وأجبرها على الفرار .

المصادر :

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٩٧ ، ٧٠٦ (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ جـ ١١ ، ص ١٢٩ (٣) Houtsma : *Recueil des textes relat. a l'hist. des Seldjouc.* جـ ٢ ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

«بِجْنَوْر» أو بِجْنُر : مدينة ومركز بروهيلخند فى الولايات المتحدة بالهند . ومساحة المركز ١٧٩١ ميلا مربعاً ويبلغ عدد سكانه وفقاً لتعداد عام ١٩٠١ : ٧٧٩٩٥١ نسمة منهم ٣٥ ٪ من المسلمين . أما المدينة فبلغ عدد سكانها وفقاً لهذا التعداد ١٧,٥٨٣ نسمة ، وهى قليلة الأهمية بعكس المركز الذى له شأن كبير فى تاريخ الروهيلا .

ويضم المركز مدينة «نجيب آباد» التى أسست حوالى عام ١٧٥٠م على يد نجيب الدولة أبى «زابته خان» وزير دهلى فيما بعد .

وكان أحد أحفاد زابته خان الملقب بنوّاب نجيب آباد من أقوى أعداء الإنكليز فى العصيان الذى حدث عام ١٨٥٧م . وتوفى هذا النواب فى السجن آخر الأمر وصودرت ممتلكاته وقوض قصره .

المصادر :

Bijnor Gazetteer ، الله آباد عام ١٩٠٨ .

[T. S. Cotton كوتون]

+ بجنور (بِجْنُر) : مدينة ومركز فى قسم روهيلخند بالولاية الهندية أوتارپراديش . ومساحة المركز ١,٨٦٧ ميلا مربعاً وعدد سكانه ٩٨٤,١٩٦ نسمة، ٣٦٪ منهم مسلمون . ويبلغ سكان المدينة فى تعداد سنة ١٩٥١ : ٣٠,٦٤٦ نسمة .

ونحن لانعرف إلا القليل عن تاريخ المركز المتقدم . وقد خرّبه تيمور سنة ١٣٩٩م . وكان فى عهد أكبر جزءاً من «سركار» سَنْبَهل فى «صوبة» دهلى . ولما اضمحل سلطان المغل غشيه الروهيلا تحت إمرة على محمد . وكان يضم مدينة نجيب‌آباد التى أنشأها حوالى سنة ١٧٥٠ نجيب الدولة الذى أصبح وزيراً لدهلى وكان ابنه الزعيم الروهيلى زابته خان . ولما هزم الروهيلا سنة ١٧٧٤ ضمت بجنور إلى أوده . ونزل عنها للبريطانيين سنة ١٨٠١ . وأثناء العصيانات التى قامت سنة ١٨٥٧ كان محمود خان—وهو من حفدة زابته خان—من أقوى خصوم البريطانيين .

المصادر :

(١) H. R. Nevill : *Bijnor Gazetteer* ، الله آباد سنة ١٩٠٨ .

خورشيد [كولن ديفيز C. Collin Davies]

+ «بُجْنُورْد» :

١ — بلدة فى خراسان تقوم عند السفح الشمالى لجبل آلاداغ ، على خط طول ٥٧° ١٧َ شرقى گرينويتش وخط عرض ٣٧° ٢٩َ شمالا ، وارتفاعها عن سطح البحر ٦٩٨ متراً .

وليس لدينا معلومات عن البلدة قبل أيام الصفويين ، حين أسكن الشاه عباس الأول قبيلة شادلو الكردية فى هذه المنطقة . وليس من المحقق هل كانت بجنورد تعرف بيوزَنْجِرد قبل هذا الوقت ، على أن أطلال القلعة القديمة وغيرها من المبانى تدل على أن هذه البلدة قديمة .

٢ — مركز قصبته بجنورد . وقد قدّر عدد سكان «الشهرستان» بحوالى ١٥٠,٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٥٠ ، وهم من التركمان والأكراد والفرس

المصادر :

(١) P.Sykes : *Ten Thousand miles in Persia* ، لندن سنة ١٩٠٢ ، ص ٢١ (٢) رزمارا ، طبعته لفرهنگ جغرافياى إيران ، جـ ٩ ، طهران سنة ١٩٥١ ، ص ٤٩ (٣) مسعود كيهان : جغرافياى مفصل إيران ، جـ ٢ ، طهران سنة ١٩٣٣ ، ص ١٨٧ .

خورشيد [فراى R. N. Frye]

«بجه» يطلق اسم بِجَة أو بُجَة — وعلى الأصح أن تُنطق بِكَه أو بُكَه — على مجموعة من القبائل الحامية التى تعيش بين النيل والبحر الأحمر ، وقد امتد نفوذها فى يوم من الأيام من القاهرة فى الشمال إلى حدود الحبشة . ونجد اسم بكه فى الآثار التى يرجع تاريخها إلى أيام الجاهلية أى بين ٣٠٠ و ٥٠٠ م فى نقوش أيزاناس Aizanas (E. Littmann-D. Krencker : *Inscriptions Dorbericht der Deutschen Aksum — expedition* برلين سنة ١٩٠٦ ، ص ٦ وما بعدها) كما نجد فى النص اليونانى «عبارة ملك بوگايتون» وهى تطابق «ملك البكه» (D.H. Müller : *Erigraphische Denkmaeler* فى *Denkschr. Ak. Wiss. phil. hist. Kl.* جـ ٤٣ ، ڤينا سنة ١٨٩٤ ، ص ١٦) وكلاهما فى هذا المقام لقب لأمير أكسوم . واسم بجه ، عند جغرافيى العرب ، يشير إلى ما يعرف الآن بقبائل البضويه أو البجويه ومنه سميت لغتهم باسم «توبضويه» (Leo Reinisch: *Woerterbusch der Bedauye-Sprach* ڤينا عام ١٧٩٥) .

وكثيراً ما خلط بين قبائل البجه والبلمّيس Blemmyes ، ولكن من المؤكد أن البلميس ليسوا من مجموعة تلك القبائل ، فالاسم القديم بلميس لم يتحور إلى بجه وإنما تحور إلى بليون Baliyūn الذى قال ده غويه (الإدريسى ، ص ٢٦ ، تعليق ٣) إنه عين بلميس .

واعتبر المسلمون البجه فى صدر الإسلام قبائل همجية وثنية غير جديرة بالتحالف معها ، ولم تبدأ مفاوضاتهم معها إلا فى أوائل القرن الثانى للهجرة عندما عقد معها عبد الله بن الحبحاب اتفاقاً تجدد فى أيام المأمون . واجتذبت أراضيهم العرب بما فى

تربتها من عروق الذهب الغنية (العلاّقى) والجواهر (الزمرد). وسكنت ربيعة وجهينة ولاسيا الأولى منهما أراضى البجه، ولكنهما اختلطتا بالسكان الأصليين تدريجاً، وعرف منذ القدم اسما طبقتين من البجه: فالمقريزى يقول إن الحدارب هم الطبقة الحاكمة فى الأمة والزنافج أو الرنافج هم نوع من العبيد، ويروى ابن بطوطة (جـ ١، ص ١١٠) أن ملك عيذاب كان يسمى بـ «الحدربى» وقيل إن الأمر كان على العكس، ودخل الحدارب فى الإسلام مبكرين والمرجح أنهم اعتنقوا الدين الجديد من الوثنية رأساً لا من المسيحية كما تقول بعض المصادر، ونضيف إلى ماقاله ڤولرز Vollers تفصيلا (انظر مادة «عبابدة») عن إسلامهم أن بناتهم كن لايرثن (ابن بطوطة، جـ ١، ص ١١٠) ولما كانت أحكام الشريعة فى هذه الناحية مخالفة للعرف القديم فإنه لم يكن من الممكن تطبيقها؛ وبالرغم من غلبة الدم العربى عليهم فإن قبائل البجه احتفظوا بشخصيتهم إلى اليوم، وأهم فروعهم العبابدة (انظر هذه المادة) والبشارين (انظر هذه المادة).

المصادر:

تذكر إلى جانب ماورد من المصادر فى مادتى «العبابدة» و«البشارين» المراجع الآتية:

(١) Schweinfurth: «*Bega-Graeber*» فى *Verhandlungen der Berliner Gesellschaft fuer Anthropologie, Ethnologie und Urgeschichte*، ١٨٩٩، ص ٥٣٨ ومابعدها (٢) W. Münzinger: *Sitten und Recht der Bogos*، ونترتور سنة ١٨٥٩ (٣) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ١٩٤ وما بعدها (٤) الإدريسى، طبعة ده غويه ودوزى، ص ٢١ وما بعدها، ٢٦ وما بعدها (٥) ابن بطوطة، الفهرس، مادة «بجاه» (٦) على مبارك: الخطط الجديدة، جـ ٩، ص ٨ وما بعدها.

[Ch. Becker بيكر]

+ بِجَه (والصيغة العربية المألوفة: بُجَه): قبائل بدوية تعيش بين النيل والبحر الأحمر من الطريق الواصل بين قنا والقصير حتى الزاوية الحادثة من العطبرة والتلال القائمة على الحد الأريترى السودانى. وأهم قبائل البجه الحديثة هى: العَبابْدَة (انظر هذه المادة) والبِشارين (انظر هذه المادة) والأمَرّار، والهَدَنْدُوَة، وبنو عامر. ويتكلم العبابدة الآن العربية. أما الآخرون (فيما عدا شُعب بنى عامر التى تتحدث بلغة التِكْرَه) فيتكلمون بالتوبضوية، وهى لغة حامية. ومعظم معاش البجه من قطعانهم من الإبل، والماشية، والأغنام، والماعز، ولما كانت المراعى متفرقة فإنهم يظعنون عادة فى جماعات صغيرة جداً. وأصول البجه غامضة، ولكن الجماعات التى تتكلم بالحامية تعيش فى هذا الإقليم منذ الأزمان القديمة؛ وقد أنكر بيكر Becker القول بأنهم هم البِلِمِّيس الذين عاشوا فى الجاهلية (انظر صدر هذه المادة).

الصلات بين البجه ومصر الإسلامية: واجه عبد الله بن سعد بعض البجه فى عودته من النوبة سنة ٣١هـ (٦٥١ - ٦٥٢) ولكنه رأى أن شأنهم

السياسى تافه لايؤبه له ؛ وقد نظمت المعاهدة الأولى التى عقدت بين البجه والعرب على يد عبيد الله بن الحبحاب فى عهد الخليفة هشام ، تجارة البجه مع مصر وأمّنت المسلمين من غاراتهم . وأوغل العرب فى منازل البجه بحثاً عن الزمرد الذى كان يستخرج من صحراء قفط ، والذهب الذى كان يوجد فى وادى العلاقى (انظر هذه المادة) .

وكانت القبيلة البجوية الشمالية الغالبة هى الحدارب الذين جرت الروايات على القول بأنهم انحدروا من مهاجرين قدموا من حضرموت أيام الجاهلية . وكان هؤلاء مفرقى الكلمة ، ولكن ثمة إشارات عارضة تدل على وجود زعيم أكبر لهم كان يعيش فى قرية تسمى « هجر » وكانت هناك أيضاً طبقة أحقر وأكثر عددا هم الزنافج وكانوا رعاة. وقد أدت هجرة المسلمين إلى إسلام الحدارب إسلاماً ظاهرياً والتصاهر بينهم وبين العرب . وانتهت غارات البجه على مصر العليا إلى إنفاذ حملة إسلامية هزمت زعيمهم « كانون » وفرضت عليهم معاهدة سنة ٢١٦هـ (٨٣١) ؛ وقد اعترفوا بسلطان الخليفة وألزموا باحترام المساجد القائمة فى أرض البجه وأن يمر التجار والحجاج المسلمون فى هذه الأرض آمنين ، وأن يسمح لجباة الزكاة بالدخول إليها . وجاء فى أحكام أخرى من المعاهدة ما يمنع إقامة حلف بين البجه ونصارى النوبة . واستتبع ذلك غارات أخرى والإمساك عن أداء الجزية المفروضة من مناجم الذهب . وأنفذت حملة من الفرسان بالبحر هزمت جمّالة البجه ، ومضى زعيمهم إلى سامراء ليقدم خضوعه شخصياً للخليفة المتوكل . على أن البجه سرعان ما عمدوا إلى الإغارة على الفسطاط نفسها . وقام البجه بهجمة شديدة العنف ، إلا أن قوة حشدها عبد الرحمن العمرى استطاعت أن توقف فرقة مغيرة من البجه وتقتل زعيمها . وتمكن عبد الرحمن بمعاونة ربيعة وجهينة أن يفرض سلطـانه على مراكز المناجم حوالى سنة ٢٥٥هـ (٨٦٨ — ٨٦٩) ، ولما توفى عبد الرحمن أقبل بنو ربيعة الذين تصاهروا مع الحدارب وسيطروا على المنطقة . ويصف المسعودى زعيم ربيعة سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ — ٩٤٤م) بأنه صاحب المناجم ، وكان يقود ثلثمائة من جمّالة العرب وثلاثين ألفاً من جمالة البجه . والراجح أن القيمة كانت فى هذا الصدد أدل من الأعداد . وظهرت عيذاب (انظر هذه المادة) فى منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) فزاد ذلك فى شأن الحدارب الذين كان الطريق من النيل إلى الثغر يعبر منازلهم . وكان زعيم عرفه ابن بطوطة باسم الحدربى له حصة فى مكوس عيذاب . والمعلومات عن البجه الجنوبيين مشتتة ؛ ويذكر اليعقوبى ست « ممالك » من البجه . ويذكر الأسوانى البجه الآخرين بأنهم مجتمع متفرق وثنى ، لكل جماعة فيه « كاهنها » الذى يهديها فى أمر مرعاها وغاراتها .

انهيار الحدارب وتكون القبائل : ما وافى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حتى كانت مناجم الذهب قد هجرت وعيذاب آخذة

فى الانحدار . وقد تفسر هذه العوامل الاقتصادية اختفاء الحدارب الذين كانوا فيما يبلو قد هاجروا جنوباً ، وربما أصبحوا طبقة البَلَو الحاكمة التى سيطرت على نجة المناطق المتاوحة للساحل من سواكن إلى مصوع . وكان انتشار القبائل العربية مصعدة مع النيل وقيام سلطنة الفنج الإسلامية حوالى سنة ٩١٠هـ (١٥٠٤م) قد أديا فى النهاية إلى إسلام البجه بعامة وإن كان الإسلام لم يتغلغل فى نفوسهم . وهذا باد فى اصطناعهم للأنساب العربية . وبعض هذه الأنساب (مثل نسبة البشارين والأمَرار والعبابدة إلى خالد بن الوليد أو الزبير بن العوّام) تدخل صراحة فى باب الأساطير . وثمة بعض آخر من هذه الأنساب ، مثل زعم الهدندوه بأنهم انحدروا من نسب مغاير لهذا وذلك بردهم أرومتهم إلى لاجىء حجازى مجهول فر من العثمانيين ، قد يكون فيه أثر صحيح من تطور القبيلة . وشهد عصر الفنج ظهور القبائل الحديثة وانتشارها . وقد اعترف بسلطان الفنج أقصى الجماعات جنوباً من البجه ، وهم بنو عامر ، وكانوا لَـمّة تسيطر عليها طبقة من أصل سودانى عربى هى التَّبْتاب حلت محل البلو حوالى نهاية القرن السادس عشر. وشهد القرن الثامن عشر انتشار الأمَرار غرباً وسَوْق الهدندوة إلى قاش وعطبرة (انظر أيضاً مادتى « العبابدة » و« البشارين ») وفى هذه الأثناء كانت سواكن أهم ثغر فى الإقليم وقد ربطها بالنيل السودانى عدة طرق تعبر بلاد البجه . وكانت سواكن منذ سنة ١٥١٧ من أملاك العثمانيين ولكن ما وانى مستهل القرن التاسع عشر حتّى كان يسيطر على الثغر الحدارب وهم جماعة من البجه ، والراجح أنهم كانوا يتميزون عن حدارب القرون الوسطى ، ولكنهم كانوا مثلهم فى ارتباط نسبهم بحضرموت . وكانت تحكمهم العشائر الخمس الأرْتَيْقَة .

من الفتح المصرى حتّى الوقت الحاضر : لم يؤثر الفتح المصرى للسودان النيلى (١٨٢١ – ١٨٢٢م) مباشرة على البجه : وقد فشلت الغارات التى شنت على التاكه (إقليم قاش) بغية جباية الجزية فى إخضاع الهدندوة إخضاعاً مكيناً ، على أنه أقيم مركز إدارى فى كسلا سنة ١٨٤٠ أصبح مركزاً تجارياً ومقراً لطريقة الختمية الهامة . وكان الأمَرار يجبون المكلوس على طريق التجارة من سواكن إلى بلاد البربر ، وكانوا مثل الهدندوة يعملون فى نقل التجارة : صحيح أن السيطرة الإدارية كانت ناقصة ، إلا أن هذا الوقت كان أيام سلام وتقدم اقتصادى : وقد كان للأرتيقة الصدارة فى تطوير الزراعة فى الوادى الذى كان بنو عامر يزرعونه على قلة . وبذلت محاولات لزراعة القطن زراعة تجارية فى دلتا بركة ودلتا قاش . على أن الأمن والرخاء اللذين كانا آخذين فى النماء قد زلزل أركانهما المهدية : ولم يثر هذا رد فعل لدى البجه حتى وصول عثمان بن أبى بكر دقنة سنة ١٨٨٣ ، ولا يدين عثمان بنجاحه إلى نسبه البجوى بمقدار ما يدين للتأييد الذى بذله له رأس طريقة أهلية محلية أحست بمنافسة الختمية التى كانت تظاهرها الحكومة

وقد قطع عثمان الطريق الواصل من سواكن إلى بلاد البربر ، واستولى على المراكز الحكومية فى أرض البجه وهدد سواكن نفسها . وكان أتباعه ، وأقوامهم المدندوة والأمرار ، يتأرجحون فى تأييدهم له ، وقد كان الاستيلاء على قاعدته فى طوكر سنة ١٨٩١ على يد قوة إنكليزية مصرية شاهداً على بداية تدهور سلطان المهدية بين البجه . وعاد السلام والتطور فى ظل الوفاق الذى عقد سنة ١٨٩٩ ، وأعيد بناء التنظيم القبلى ، واستقر الأمن استقراراً ، وأقيمت المدارس والمستشفيات فى البلاد ، وزادت الصلات بين البجه والعالم الخارجى بفضل التطورات الاقتصادية ، مثل إنشاء بورسودان ، ومد السكك الحديدية التى تصل الساحل بكسلا بوادى النيل ، وإنتاج القطن تجارياً فى دالى قاش وبركه . على أن الأسلوب القديم فى الحياة كان بطىء التغير ، وظل إدماج البجه الكامل فى الدولة السودانية مشكلة تواجه الجمهورية الجديدة .

المصادر :

نذكر هنا المراجع الرئيسية فحسب ؛ وأهم مصادر القرون الوسطى هو (١) المقريزى : كتاب المواعظ ، طبعة ڤيت ، القاهرة سنة ١٩٢٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ — ٢٨٠ وهو يضم بين دفتيه أخبار القرن العاشر الهجرى لابن سُلَيْم الأسوانى وغير ذلك من المواد . وتعليقات ڤيت تزودنا بمادة قيمة من المصادر (٢) أما المصادر الأوربية الحديثة حتى سنة ١٩٣٧ فقد سجلها R.L. Hill فى Bibliography of the Anglo - Egyptian Sudan ، لندن سنة ١٩٣٩ . ويجب أن نضيف إلى هذه المصادر (٣) O.G.S. Crawford : The Fung Kingdom of Sennar ، گلوستر سنة ١٩٥١ (٤) A. Paul : A History of the Beja Tribes ، كمبردج سنة ١٩٥٤ . ونزيد على ذلك المقالات الآتية التى نشرت فى Sudan Notes and Records (٥) D. C. Cumming : A. History of Cassala and the Provinces of Taka ، جـ ١/٢٠ ، سنة ١٩٣٧ ، ص ١ — ٤٦ ؛ جـ ١/٢٣ ، سنة ١٩٤٠ ، ص ١—٥٤ جـ ٢/٢٣ ، ص ٢٢٥—٢٧١ (٦) W. T. Clark : Manners, Customs and Beliefs of the Northern Beja ، جـ ١/٢١ ، سنة ١٩٣٨ ، ص ١—٣٠ (٧) S.F. Nadel : Notes on Beni Amer Society ، جـ ١/٢٦ ، سنة ١٩٤٥ ، ص ٥١ — ٩٤ . (٨) A. Paul : Notes on the Beni Amer ، جـ ٢/٣١ ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٢٢٣—٢٤٥ (٩) أما المجموعة التى أعدها المرحوم Sir Douglas Newbold بعنوان History and Archaeology of the Beja Tribes of the Eastern Sudan ، وهى الآن فى معهد Griffith بالمتحف الأشمولى بأوكسفورد ، فتضم مادة قبلية وغيرها (١٠) وثمة وثائق وافرة عن البجه أيام المهديين فى المحفوظات المهدية التى فى حوزة وزارة الداخلية بالخرطوم .

[P.M. Holt هولت] خورشيد

« بَجَوْر »: صقع جبلى على الحدود الشمالية الشرقية للهند ، وتقدر مساحته بخمسة آلاف ميل إنكليزى مربع تقريباً (١٢٨٠٠ك.م) ، ويبلغ عدد سكانه ١٠٠ ألف نسمة تقريباً . ويسكن بجور عدة قبائل مختلفة من البطهان أو الأفغان وهم يعترفون اسمياً بسلطان خان نوگاى .

المصادر :

(١) *Imperial Gazetteer of India*
[كوتون J.S. Cotton]

« پچوى » إبراهيم : مؤرخ عثمانى ولد سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) فى بلدة « ففكرشن » Fünfkirchen ومعناها الكنائس الخمس ، (تكتب بالمجرية Pécs ، وبالتركية پچوى ، وعلى هذا فحقيقتها پچويلى) وإليها ينسب لقبه الذى معناه « رجل الكنائس الخمس » (انظر مادة « پچوى » : تأريخ ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ ؛ جـ ٢ ، ص ٤٣٣ ؛ J. v. Hammer فى *G.O.R.* جـ ٤ ص ٥ ، الهامش)؛

وكان أجداد پچوى من أصحاب الإقطاعات فى البوسنة والمجر ، على أنه لم يذكر لنا اسم أبيه (تأريخ ، جـ ١ ص ٨٧) . وعلى أية حال فإن أباه كان يقيم فى ففكرشن وكانت أمه من نسل أسرة « صوقوللى » Sokolovich .

ولسنا نعرف عن پچوى فى باكورة حياته إلا أنه كان يتيماً فى الرابعة عشرة من سنه حين ذهب إلى بيت عمه فرهاد پاشا والى أوفن ثم كفله بعد ذلك قريب من أقربائه يسمى لالا محمد پاشا وظل فى كنفه خمسة عشر عاماً (تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣) ؛ وفى سنة ١٠٠٢هـ (١٥٩٣م) دخل فى خدمة الجيش ، واشترك فى حروب سنان پاشا فى بلاد المجر ، وحضر حصار غران Gran (انظر تأريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ، ١٨٠) وموقعة إگر Eger وحصار وارادين Petrovaradin ، وقضى السنوات التى تلت ذلك على وجه خاص فى ركاب لالا محمد پاشا الذى أصبح صدراً أعظم منذ سنة ١٠١٣هـ (١٦٠٤م) ؛ وقد ذكر پچوى بالتفصيل فى تاريخه المناصب المختلفة التى شغلها بعد ذلك : فبعد أن توفى لالا محمد پاشا سنة ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) أرسله خلفه إلى بلاد الأناضول ليصف بعض سناجقه ، فشغل منصب دفتردار مدينة « توقات » زمناً قصيراً ، وبعد ذلك عهد إليه بالمنصب نفسه فى الروملى ثم أسند إليه منصب دفتردار الأناضول .

وقضى پچوى بقية عمره فى موطنه الأصلى ، كان أولا متصرف شتول ڤيسنبرغ Stuhlweissenburg ثم دفترداراً لمدينة طمشوار Tmesvar . واعتزل الخدمة سنة ١٠٥١هـ (١٦٤١م) وعاد إلى أوفن وقضى فيها أو فى بلدته الأصلية بقية حياته منصرفاً إلى كتابة تاريخه . ولسنا نعرف تاريخ وفاته على وجه الدقة وإن كان الأرجح أنه توفى حوالى سنة ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) .

وإبراهيم پچوى الذى أظهر منذ صباه ميلا كبيراً إلى التاريخ ، هو صاحب كتاب يعتبر من

أحسن المصادر العثمانية عن تاريخ السنوات من ٩٢٦ — ١٠٤٩هـ (١٥٢٠—١٦٣٩م) . وهو يعتمد فى تأريخ الحوادث السابقة على الروايات القديمة التى رواها مؤرخون عثمانيون ، كما يعتمد أيضاً على مؤرخى المجر مثل استقانفى N.V. Istvaneffy وهلتاى K. Heltai ، ويسرد پچوى الحوادث التى حدثت فى عهده باعتباره شاهد عيان أو راوية لما سمع . وكتابه مكتوب فى لغة سهلة واضحة ، ولدينا منه عدة مخطوطات (زد على المخطوطات فى بابنكر Babinger : G.O.W. ، ص ١٩٤ ، مخطوطين آخرين بمكتبة الجامعة فى أوپسالا ، انظر فهرس Zettersteen ، ص ٣٣١ ، ومخطوطاً بمكتبة حافظ أحمد برودس رقم ٤٤٦) . على أنه لايوجد إلى الآن طبعة مصححة لهذا الكتاب . وفى الكتاب أجزاء مختلفة كتبها المصنف دون أن يعيد النظر فيها ، وهى ترجع إلى تواريخ مختلفة ، وربما كانت قد أكملت فيما بعد . وكتاب تأريخ پچوى يشتمل على تاريخ الحوادث من قيام سليمان القانونى إلى وفاة مراد الرابع سنة ١٠٤٩هـ ، وقد طبع فى استانبول فى جزءين (١٠ + ٥٠٤ صفحة ، و٧ + ٤٨٧ صفحة ، طبعة سنة ١٢٨٣هـ ؛ وانظر Journal Asiatique ، سنة ١٨٦٨ ؛ جـ ١ ؛ ص ٤٧١ ، ٤٨٤ وكذلك ماكتبه كرايلتس F.V. Kraelitz فى Isl. ، جـ ٨ ، ص ٢٥٩) .

المصادر :

(١) F. v. Kraelitz : Isl. جـ ٨ ، ١٩١٨ ، ص ٢٥٢ وما بعدها (٢) انظر أيضاً المصادر المذكورة فى Babinger : G.O.W. ، ص ١٩٥ .

[بابنكر F. Babinger]

« بَجِيلَة » : قبيلة عربية من البدو الذين نزحوا من جنوبى بلاد العرب وتقدموا نحو الشمال واحتلوا الجزء الأوسط من جبال السراة بالقرب من الطائف بعد أن أجلوا عنه قبيلة بنى ثائر وهم السكان الأصليون لتلك المنطقة . وقد أضعفت هذه القبيلة الحروب التى شنتها على القبائل المجاورة وكذلك المنازعات الداخلية التى شبت بين بطونها المختلفة ، وكانت نتيجة ذلك أن انشعبت قبيلة بجيلة عدة شعب اندمجت فى القبائل العربية الأخرى منذ الجاهلية ، ومع ذلك فقد ظل قسم من هذه القبيلة محتفظاً باسمها القديم وأشاد بذكره الفرزدق فى قصائده التى أنشأها فى عهد الدولة الأموية .

المصادر :

(١) F. Wüstenfeld : *Register zu den genealogischen Tabellen* ، ص ١٠١ وما بعدها (٢) كتاب الأغانى ، جـ ١٣ ، ص ٤ — ٥ (٣) O. Blau : *Die Wanderungen der sabaeischen Voelkerstamme im zweiten Jahrh* فى *Zeitschr.d. Deutsch. Morgenl, Gesellsch* ، جـ ٢٢ ، ص ٦٦٧ (٤) ديوان الفرزدق ، طبعة بوشيه وهل Boucher et Hell رقم ٢٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٦٤٤ .

[هل J. Hell]

+ بجيلة : قبيلة عربية تعد هي وخَثْعَم من أنمار . والنسبة إليها : البَجَلي . ويقال أحياناً إن بجيلة امرأة ، ولكن موضعها من نسبة القبيلة غامض (انظر F. Wüstenfeld : *Register zu den genealogischen Tabellen* ، ص ١٠١ — ١٠٣ ؛ وانظر أيضاً *Die Chroniken der Stadt Mekka* ، ليبسك سنة ١٨٥٨ ، ج ٢ ، ص ١٣٤) . ويذهب بعض علماء الأنساب إلى أن بجيلة كانت قبيلة يمنية ؛ ويقول آخرون إن أنمار هو ابن نزار بن مَعَدّ بن عدنان (ابن حَجَر : أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ، مادة « جرير بن عبد الله » ؛ ابن دُرَيْد ، طبعة فستنفلد ، ص ١٠١) ؛ ويراود القبيلة أحياناً بعض هذه الحيرة في نسبها (المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ ، ص ١٤٣) . وقد اشتركت بجيلة هي وخثعم وبكر وعبد القيس في الغارة على العراق أيام سابور الأول ما بين سنتي ٣١٠ ٣٧٩م تقريباً ، ولكن سابور كر عليهم فأنزل بهم خسائر فادحة . ونحن نجدهم أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) في جزء من سلسلة جبال السراة على مسافة إلى الجنوب من مكة . وتفرق شمل القبيلة نتيجة للثارات بين عشائرها (مثل أحْمَس ، وزيد بن الغوث ، وعُرَيْنة) وبين القبائل المجاورة لها ، والتمس كثير من شعبها « الجوار » احماء من القبائل القوية (المُفَضَّليات ، طبعة C. J. Lyall ، ج ١ ، ص ١١٥) . وفي أخريات حياة النبي قدم عليه جرير بن عبد الله البجلي في مائة وخمسين رجلا من قومه ليعلنوا إسلامهم ، وقد أنفذوا لتحطيم صنم ذي الخَلَصَة في تَبالَة ، وكانت تعبده بجيلة وخثعم . وقد قام جرير بمهام مختلفة في كفاية ، وكان في عهدي أبي بكر وعمر قائداً عسكرياً ذا شأن . والظاهر أنه كان هو ورجال بجيلة الذين يتبعونه حلفاء مستقلين للخليفة مدة من الزمن ، وكانوا بمقتضى عهد عاهدهم عليه عمر يحصلون على ربع ما يفتح من البلاد ؛ والمظنون أن المقصود بذلك أراضي السواد (البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٥٣ ، ص ٢٦٧) ولكنهم أقنعوا بعد ذلك بثلاث سنوات بالنزول عن هذه الأراضي وأن يكون لهم عوضاً عنها عطاء . وقد أمر عمر بطوناً من بجيلة كانت في جوار قبائل أخرى أن يلحقوا أنفسهم بجرير (المفضليات، الموضع المذكور؛ وانظر أيضاً أسد الغابة، الموضع المذكور). ويروى في ذلك الوقت أن عَرْفَجَة بن هرثمة من بني بارق ، وهو بطن من الأزد ، كان سيد بجيلة ولو أنه كان حليفها فحسب . وكان خالد بن عبد الله القسري القائد البارز في العصر الأموي المتأخر من بجيلة ، وإن كان خصومه يجادلون في هذا (I. Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، ج ١ ، ص ٢٠٥) .

المصادر :

علاوة على المصادر المذكورة في صلب المادة انظر (١) Caussin de Perçeval : *Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme* ، باريس سنة ١٨٤٧ (٢) الأغاني ، الطبعة الأولى ، ج ١٣ ، ص ٤ (٣) *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells.* ، ج ٢٢ ، ص ٦٦٧ (٤) الفرزدق :

الديوان ، طبعة Boucher & Hell ، رقم ٨٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٦٤٤ .

خورشيد [مونكومرى وات W. Montgomery Watt]

« البُحْتُرِى » أبو عُبادة الوليد بن عُبيد : شاعر عربى ومن أصحاب الدواوين وأعلام القرن الثالث الهجرى (٢٠٤-٢٨٤هـ تقريباً) ونسبته « البُحْتُرِى » تدل على أنه من بطن بُحْتُر من قبيلة طيئ التى كثيراً ما فاخر بمحامدها . وكانت ولادته فى مَنْبِج ، وفى رواية أخرى فى قرية بالقرب منها اسمها زَرْدَفْنَة . وهو يصف منبج حين يتحدث عنها بأنها وطنه ، وكانت له فيها ضياع ورثها فيما يظهر ابنه ثابتاً الذى عاصر الإصطخرى . أما المرأة التى أكثر من ذكرها فى غزله فاسمها علْوَة ابنة زُرَيقة ، وهى من بُطْيَاس قرب حلب ، وقد ذكرها فى قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان فى غير المقدمة الغزلية لتلك القصيدة (الديوان ، جـ ١ ، ص٤٤) . وقال فيها إنها « خلته وهوى فؤاده » وإنه خلفها وراءه فى الشام . وفى قصيدة أخرى هجاها وأفحش فى هجائها (جـ ٢ ، ص ١٠٩) ، وليس من شك إذن فى وجودها التاريخى على عكس الأخريات فيما يرجح اللاتى ذكرهن فى غزله . وتصل الروايات الوثيقة فيما يظهر بينه وبين شاعر طائى آخر من الفحول هو أبوتمام ، ولوأن الأخبار التى تروبها عن لقائهما متباينة . ويقال إن أبا تمام بعثه بوصية منه إلى أهل معرة النعمان منوها بأنه مداح فاستخدموه نظير أربعين ألف درهم ، وهذا إذا صح دل على أن شعر هذه الفترة لم يرد فى الديوان الذى ورد فيه ذكر قرية النعمان فى الحديث عن ابن ثوابة (جـ ١ ، ص ١١٧) الذى لاشك أن الشاعر قد لقيه من بعد .

ويظهر من أشعاره الأولى الواردة فى الديوان أنه مدح كثيراً من الأسر الطائية الوجيهة مثل بنى حُميد الثلاثة : أبى نهشل (الأغانى ، جـ ٩ ، ص ١٠٢) وأبى مسلم ، وأبى جعفر — ومن الصعب أن نقول إن أبا جعفر هو عين الرجل الذى قتله بابك سنة ٢١٤هـ — ومثل أسرة أبى سعيد محمد بن يوسف المتوفى سنة ٢٣٦ والذى يقال إن البحترى لقى أبا تمام فى بيته ، وربما كانت القصيدة التى عزى فيها أبا سعيد فى وفاة المعتصم أولى قصائد الديوان (جـ ١ ص ١٦٩ ؛ الراجح أن ذلك كان عام ٢٢٧هـ) . وأول من استظل به البحترى هو الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ، وقد مدحه فى عهد الخليفة الواثق (جـ ٢ ، ص ١٩٤) كما مدح بيت عبد الله بن طاهر الذى نُصب ابنه محمد أميراً على بغداد عام ٢٣٧هـ ، وربما كانت القصيدة التى قالها فيه قد أنشئت بعد ذلك بأمد وجيز تهنئة له بهذا المنصب (جـ ٢ ، ص ١٢٥) ، ومدح البحترى أيضاً ولدين آخرين من أولاد ابن طاهر هما سليمان وعبيد الله ، كما مدح بعض أقارب لهم أبعد من ذلك .

ويظهر أن البحترى أصبح شاعر البلاط لأول مرة فى عهد المتوكل عندما نال الحظوة لدى الفتح ابن خاقان الذى أهدى إليه ديوان الحماسة . وقد قال فى المتوكل والفتح كثيراً من قصائده ولو أن

صلته بالفتح كانت تنصرم فى بعض الأحيان . وعندما عهد الخليفة المتوكل بولاية العهد لأبنائه الثلاثة على التعاقب عام ٢٣٥هـ أخذت مدائح البحترى تتحدث عن الأحداث التى وقعت فى حكمه : مثل فتنة أرمينية عام ٢٣٧هـ . وانتقال الخليفة موقتاً إلى دمشق سنة ٢٤٣هـ، وعودته للاحتفال بعيد النوروز، وبنائه للمتوكلية من عام ٢٤٥ — ٢٤٦هـ . وقد أورد المسعودى رواية للبحترى ذكر فيها شهوده لمقتل سيديه ، والحق إنه اعترف فى مرثيته للمتوكل (جـ ١ ، ص ٢٨) بأنه حضر مصرعهما ، ويعتذر عن عدم دفاعه عن سيديه بأنه كان أعزل لا سيف معه ، وأنه دافع عنهما باليدين قدر استطاعته ، وظل يعتبر القتيلين أهم أوليائه (جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، جـ ١ ،ص ١١٢) . ورجع الشاعر بعد هذا الحادث إلى منبج ولكنه سرعان ماعاد بقصيدة يمدح بها المنتصر . وظل شاعر البلاط فى عهد المستعين والمعتز والمهتدى والمعتمد على التوالى ،ويبدو أنه كان أثيراً عند المعتز الذى خصه بعدة قصائد بل توسط له عند ابنه عبد الله بن المعتز . والظاهر أن البحترى كانت قواه قد وهنت قبل خاتمة حكم المعتمد .

واتصال البحترى بالبلاط العباسى جعله يتصل بجميع أعلام الرجال فى الدولة ، وغالب الأسماء التى أوردها فى ديوانه غير معروفة لنا ، ومن الأعلام الذين ذكرهم الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، والحسن بن مخلد ، وسليمان بن وهب ، وإسماعيل ابن بلبل وغيرهم من القواد والعمال مثل إبراهيم وأحمد ولدى المدبر ، وأحمد بن طولون ، ومالك ابن طوق ، وأخيه محمد ، ومن الوزراء أمثال ابن ثوابة ، وأبى نوح ، وعيسى بن إبراهيم وغيرهم . ومن رجال البلاط على بن المنجم ، وابن حمدون ، والمبرد النحوى.وابن خرداذبه الجغرافى ،وأبو العيناء الأديب ، ولذلك فإن ديوانه تكملة قيمة لإخبارى هذا العصر ، وهو يضيف إلى ذلك الكثير من التفصيلات ، فأحياناً يذكر الأسماء الكاملة للشخصيات ، وأحياناً يسجل حوادث أغفلها المؤرخون فيما يظهر .

وتشمل القصائد التى قيلت فى الخلفاء إشارات عدة إلى المنافسات التى كانت قائمة بين العباسيين والعلويين من جانب وبينهم وبين الأمويين من جانب آخر . ولم يترحم على أيام بنى أمية إلا فى مناسبة واحدة سلم فيها عامل من المسلمين إلى النصارى فعذبوه . أما فى موضوع حق العم فى ولاية الأمر فقد كان البحترى يفضل العباس ويذكر قيامه بالسقاية التى يفسرها الشاعر تفسيرا مصيبا كل الصواب فيقول إنها حق الاستسقاء (جـ ١ ، ص ٢١ — ٢٣) كما يذكر خدمات الموالى من الفرس للإسلام ومساواتهم للعرب ، ووصف خدمات العباسيين للعلويين وصفا نهج فيه نهج المنصور (جـ ١ ، ص ٦٣) . ويكلف البحترى بوصف القصور ،مثل قصر الزو والقصور التى شيدها المتوكل ، وجوسق المعتز وقصر المعتمد المعروفين بالمعشوق والمشوق ، وأطلال إيوان كسرى التى زارها صحبة ابنه أبى الغوث ،

وله فيها قصيدة رائعة (جـ١ : ص١٠٨) كما وصف الأسطول (جـ١ : ص٢٥٧) والعيون التي شيدتها أم المعتز لسقاية الحجيج (جـ٢ ، ص ١٤٦) وحروب الموفق وقواده فى ثورة الزنج .

وكان البحترى ، شأن الغالبية من أهل طبقته ، يلتمس بالشعر العون على خراجه (جـ١، ص ١٠٦، ١٢٧، ١٨٩) أومساعدته فيما يتصل بضياعه (جـ١ ، ص ١٥٠؛جـ٢ ، ص ١٥٢) أو يشكو العمال الذين يحاولون اغتصاب أملاكه (جـ ٢ ، ص ١٥٣) أو يشكو قلة أعطياته (جـ٢ ، ص٢٥٧) أوإخلاف ما وُعد به (جـ١ ، ص ٢٢٢) . ونحن نراه فى الأغانى يتوسل للحصول على المال بطريقة فريدة : هى إغراء إخوانه بشراء عبد له اسمه نسيم ثم يشكو فراقه بحرارة حتى يعاد إليه ، ويدل على هذا مجموعة من القصائد مدح بها إبراهيم بن المدبر (جـ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨١) .

ويقال إن البحترى عندما أدركته الوفاة أوصى بأن تحرق أهاجيه . ويرى صاحب الأغانى أن ذلك ذهب بخير شعره ، ومع هذا فقد بقى منها عدد ليس بالقليل يتضح منه أنه اتبع الطريقة الشائعة فى الحصول على الصلات ، وهى تهديد الذين يرفضون مدائحه بالهجاء حتى أننا نجد فى ديوانه أشخاصاً مدحهم وهجاهم ، ولكنه كان يصدر فى أحوال أخرى عن بواعث غير انتظار الهبة ، مثال ذلك مدحه لابن طولون فإنه لم يكن لاعتبارات شخصية فحسب ، وإنما كان لبواعث سياسية أيضاً . وقد هجا من لداته الشعراء على بن الجهم (جـ٢ ، ص ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٧) والحسن بن رجاء (جـ٢ ، ص ١٠٧) بينما كان حسن الصلة بالشاعر دِعْبِل (جـ٢ ، ص ١٧٧) . وهاجم النحاة فى إحدى قصائده (جـ٢ ، ص ١٣٢) وهجا النصارى فى أكثر من موضع (جـ٢ ، ص٩٦ ، ١١٢) ؛

والنقاد يضعون البحترى مع أبى تمام والمتنبى كثالث الفحول الثلاثة فى العهد العباسى . وقد خاض هؤلاء النقاد فى موضوع الموازنة بين البحترى وأبى تمام . ويقول شاعرنا إن جيده أقل من جيد أبى تمام ورديئه أحسن من رديئه . ويخصص المسعودى عدة صفحات من كتابه للبحث فى هذا الموضوع ، كما فصل الكلام فيه الحسن بن بشر الآمدى فى كتاب عنوانه «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» وهو يتهم بتحيزه الظاهر للبحترى . أما النقاد الغربيون فهم على الأرجح يرون أن البحترى أقل تألقاً من المتنبى وأكثر شاعرية من أبى تمام بكثير .

وينسب صاحب الفهرست للبحترى غير ديوانه كتاب معانى الشعراء وكتاب الحماسة ومنه مخطوط فى ليدن نسخ ونشر عام ١٩٠٩م (انظر مادة «حماسة») وطبع الديوان فى الآستانة عام ١٣٠٠هـ اعتماداً فيما يظهر على مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ٤٢٤هـ ، وهذه النسخة مرتبة بأسماء الأشخاص والأسر الذين قيل الشعر فيهم ، ولو أن هذا الترتيب لم يكن مرعياً على الدوام . وفى مكتبة فينا نسخة مشابهة لهذه (فهرس ، جـ١ ، ص ٤٣٦). ورتب الصولى القصائد على حروف المعجم ، ويوجد جزء من هذه النسخة فى مكتبة ميونخ

(رقم ٥٠٨) ويقال إن على بن حمزة الإصفهانى رتب القصائد على الموضوعات ترتيباً بارعاً (ياقوت معجم الأدباء، جـ ٥، ص ٢٠٠؛ الفهرست، ص ١٦٥) : ويسمى الديوان أحياناً باسم «سلاسل الذهب» وقد طبعت فقرات من شرح أبى العلاء لهذا الديوان، وهو الشرح المعروف بـ «عبث الوليد» فى المقتبس : ويذكر أبو العلاء فى رسائله التى نشرت بأوكسفورد (ص ٩٠) وصفاً عجيباً هو أن البحترى كانت له قلما ديك،

المصادر :

(١) الأغانى : جـ ١٨، ص ١٦٧ — ١٧٥

(٢) ابن خلكان : ترجمة ده سلان، جـ ٣، ص ٦٥٧ — ٦٦٦.

[مرگوليوث A.S. Margoliouth]

+ البحترى، أبو عُبادة الوليد بن عبيد (الله) : شاعر عربى من أصحاب الدواوين ومن أعيان القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى : ٢٠٦ — ٢٨٤هـ = ٨٢١ — ٨٩٧)، ولد فى منبج، ويروى أنه ولد فى القرية المجاورة «حَرْدَفْنَة»، لأسرة تنتمى إلى بُحْتُر وهى بطن من طيئ؛ ولم يقطع البحترى صلته قط تماماً ببلده حيث شاء الحظ، الذى اجتمع فى حياته العملية الطويلة كلها شاعراً للبلاط، على أن يتيح له الحصول على ملك خاص به، بل هو قد استغل أيضاً أصله القبلى فى إنشاء صلات تعود عليه بالفائدة.

وقد خص البحترى باكورة شعره الذى نظمه بين عامى ٢٢٣ — ٢٢٦هـ (٨٣٧ — ٨٤٠م) بمدح قبيلته، والتمس مولى يستظل به فوجده فى شخص القائد الطائى أبى سعيد يوسف بن محمد المعروف بالثَغْرى (انظر هذه المادة)، وقد لقى فى دار الثغرى لأول مرة الشاعر أبا تمام الذى كان يزعم هو أيضاً أنه من طيئ : وقد اجتذبت موهبة الشاب هذا الشاعر فأوصى به أول الأمر فيما يظهر أعيان معرة النعمان وزكّاه لهم شاعراً مدّاحاً فجعلوا له راتباً قدره أربعة آلاف درهم، ولكن لم ينته إلينا أى شعر له من هذه الفترة.

ومهما يكن من شىء فإن البحترى لم يتوان عن اللحاق بأبى تمام فى حاشية مولاه مالك بن طوق والى الجزيرة، ثم تبعه إلى بغداد حيث استطاع بفضل حضوره دروس أشهر العلماء، وخاصة ابن الأعرابى، ومجاهدته فى التخلق بأخلاق عاصمة البلاد، أن يهيئ نفسه لمدح أكابر الشخصيات آملا أن يتقرب بذلك إلى الخليفة.

على أنه لم ينل فى هذا السبيل إلا أقل النجاح مع ابن الزيات، فاستعاض عن خيبته معه باللحاق بأسرة من قبيله هى أسرة بنى حُمَيْد، وكان بعض أفرادها قد استقر فى بغداد، وأهدى بعض قصائده إلى زعيمهم أبى نَهْشَل، ثم غادر العراق فى الوقت الذى غادره فيه أبو تمام سنة ٢٣٠هـ (٨٤٤) ليعود إلى الثغرى الذى كان وقتذاك فى الموصل.

ولم يحزن البحترى على وفاة أبى تمام سنة ٢٣١هـ (٨٤٥م) على خلاف كل التوقعات،

مع أن أبا تمام كان هو أول من شجعه وأول من دربه على قول الشعر . وكان هذا هو أول مثل على جحوده ووصوليته اللذين أكدهما بالدليل الوافر من بعد .

وما إن تولى المتوكل الخلافة حتى عاد البحتري إلى بغداد ، واستطاع بفضل وساطة ابن المنجّم الحميدة أن ينال الحظوة لدى الفتح بن خاقان ، وقد قدمه الفتح إلى المتوكل ، والراجح أن ذلك كان سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م) ؛ ومن ثم بدأت تنتظر البحتري حياة مشرقة شاعراً للبلاط .

وقد شاب صلة البحتري بالفتح فتور عابر بفعل التحاسد الذى لم يكن منه بد ، ومع ذلك كان البحتري ينعم دائماً برعاية الفتح الذى أهدى إليه البحتري ديوانه «الحماسة» وعدداً من مدائحه . ومدح البحتري أيضاً عدة شخصيات كبيرة فى الدولة ، ولكنه خص الخليفة بمعظم شعره : وكان فى حياته على علاقة وثيقة به ، ينعم بعطفه ، ويؤيد سياسة الحكومة حتى إن تعارضت مع آرائه الشخصية التى كان يشوبها هوى مع الشيعة ، ويجاهر بفضائل العباسيين وحقوقهم : وكان شعره فى هذه الفترة يتضمن كثيراً من الإشارات إلى الحوادث السياسية مثل التمرد الذى وقع فى دمشق سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) والفتنة التى نشبت فى أرمينية سنة ٢٣٧ هـ (٨٥١م) وفتنة حمص سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) ، وزيارة الخليفة دمشق سنة ٢٤٤هـ (٨٥٨م) ، وبناء المتوكلية ما بين سنتى ٢٤٥ — ٢٤٦ هـ (٨٥٩ — ٨٦٠م) وغير ذلك من الحوادث .

وكانت مقدمات قصائده فى النسيب موجهة حتى ذلك الحين إلى امرأة تقليدية موهومة هى هند ، وهنالك ظهرت فى أشعاره امرأة حقيقية هى عَلْوَة بنت زُرَيْقة التى كانت تعيش فى حلب وكانت لها دار ريفية بهذه الكورة فى بطياس ؛ ولاشك أنه جرى على لقائها فى أسفاره إلى الشام ، ذلك أن إقامته فى العراق لم تكن دائمة بحال ، ومن الجائز أنه كان يكن لها هوى عظيماً ، ولو أنه سخر منها فى قصيدة فيها شىء من الفحش .

وعلى الرغم من اهتمامه لاغتيال المتوكل والفتح سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م) كما أخبر المسعودى عنه ، فإنه رأى من الأحرص أن يعتكف فى منبج ، ولكنه سرعان ما ظهر بعد ذلك بقصيدة فى مدح المنتصر ، ثم وجه مدائحه بعدُ إلى الوزير أحمد بن الخصيب ، وقد وقع بالصدفة فى زمن متأخر عن هذا أن البحتري لم يتردد فى تحريض المستعين على هذا الوزير : وذاق البحتري حلاوة الشهرة مرة أخرى فى ظل المعتز ، وقد مدحه بجملة من قصائده بدت فيها أصداء الاضطراب الذى كان يروى ثرى ولايات الدولة بالدم ، على أن ذلك لم يمنعه بحال من الترحيب بالمهتدى كأن شيئاً من ذلك لم يحدث ، ولم يعقه من أن يصبح إلى حين شاعر التى بغية التسرية عن الخليفة الجديد .

وأفلت شهرة البحتري فى عهد المعتمد ، فقد أثارت سياسة هذا الخليفة المالية فى نفسه بعض القلق على ثروته ، وكانت آخر قصيدة قالها فى مدح

خليفة هى تلك التى مدح بها المعتضد سنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م) .

وهنالك ترك البحترى العراق ، وأصبح شاعر البلاط مرة أخرى فى ظل خمارويه بن طولون ، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أدركته المنية بعد مرض طويل سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) .

وقد اقتصر البحترى — أو كاد — فى بلغ حياته الشعرية على نظم القصائد فى التفاخر أو فى وصف تجواله فى الصحراء ، وثمة مثل مشهور على ذلك هو القصيدة المشهورة التى قالها فى الذئب (جـ ٢ ، ص ١١٠) ، على أنه ما إن أصبح شاعر البلاط حتى غدا المديح هو القالب الغالب على شعره . وبهذا احترم البحترى القالب الثلاثى للقصيدة ، وربما لم يشذ عن ذلك إلا فى نهاية حياته ، وراح يرسم صورة تقليدية لرعاته المختلفين . على أن مدحه تسمو به فى توفيق أوصاف رائعة (وبخاصة فى وصفه الإيوان) وهنا يقف البحترى نسيج وحده لا يبارى بفضل تذوقه المرهف للخيال الشعرى والتفصيلات الطللية التى يسوقها : ولم يخص البحترى قصيدة كاملة بوصف قصر هو إيوان كسرى إلا متأخراً (انظر عبد القادر المغربى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٧٧ — ٨٨ ، ٢٤١ — ٢٥٢ ، ٤٢٧ — ٤٣٦ ، ٥٧٧ — ٥٨٥) . والأفكار التى يبسطها البحترى فى مجموعها خالية من الابتكار ، إلا أن مزيته الفريدة هى أسلوبه الذى يتميز بمفرداته البسيطة وتعبيره الموسيقى الفخم ، وقد وضعه هذا الأسلوب فوق شعراء البلاط الآخرين الذين كتب عليه أن ينافسهم أول الأمر .

وتفوق البحترى أيضاً فى الرثاء، ولكنه قلما كان يوفق فى الهجاء ، ذلك أن الهجاء عنده كان لا يعدو أن يكون حصيلة للمدح ، وهو فى الأغلب الأعم موجه إلى راع سابق مرجو لم يحقق آماله : وثمة واقعة جاءت فى قصة من القصص هى أنه أوصى ابنه وهو على فراش الموت بأن يعدم جميع أهاجيه . وقصائد المناسبات قليلة فى ديوانه . وكذلك فإن موضوعات الحب لا نجدها إلا فى مقدمات قصائده ، وكانت هذه المقدمات لا تعدو أن تكون نزولا منه على سنة فاشية هى أن يتغنى بمحامد بعض المراهقين .

والنقاد الغربيون الذين كانوا إلى ذلك لا يهتمون بالبحترى إلا اهتماماً قليلا ، يسلكونه فى عداد الشعراء المحدثين من القدماء ، وهذا الوضع يناسبه كل المناسبة : أما النقاد المشارقة فإنهم يجعلونه هو وأبا تمام والمتنبى من أهم شعراء العصر العباسى . والمقارنة بينه وبين أستاذه أبى تمام موضوع من موضوعات المناقشة المحببة بعد أن كان مثاراً للخلاف حتى فى حياة البحترى نفسه . ويرى البحترى ذاته أن جيده أقل من جيد أبى تمام ورديئه أحسن من رديئه . وقد تنوول هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابين يجنح كل منهما إلى تفضيل واحد منهما على الآخر ، وهما : «أخبار أبى تمام» للصولى (القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م) ؛ و «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» للآمدى (القاهرة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م) .

ويشارك البحترى معظم زملائه فى أنه لا يكف عن السؤال ولا يتورع عن أية وسيلة يحصل بها على المال . وهذا الجشع إلى جنى المال أفسد معدنه الخلقى وأدى به إلى المصانعة ليساير بحقارة تذبذب السياسة الدينية للخليفة الذى كان راعيه .

وقد أكسبه نجاحه شاعراً للبلاط عداوات مرة بين منافسيه ، مع أنه كان فيما يظهر على صلات طيبة بالشاعر الشيعى دعبل (انظر هذه المادة) . وطبيعى أن يؤدى به هذا النجاح إلى الاتصال بالشخصيات البارزة فى الدولة من وزراء إلى قواد ، إلى ولاة ، إلى رجال بلاط وكتاب سر ، وعلماء . وأتاحت له صلاته أيضاً أن يتابع كثيراً من الوقائع السياسية التى نسمع صداها فى الديوان ؛ وهذا الأثر له قيمة وثيقية لا تنكر علاوة على قيمته الأدبية (انظر M. Canard : *Les allusions à la guerre byzantine chez les poètes Abu Tammam et Buhturi* فى Vassiliev : *Byzance et les Arabes* جا ، بروكسل سنة ١٩٣٥ ، ص ٣٩٧ — ٤٠٣)، والحق إنه ذيل قصير لأخبار ذلك العهد، فهو يزيد عليها تفصيلات فى كثير من الأحيان، أو يصف آثاراً ، أو يذكر وقائع أغفلها المؤرخون فيما يبدو .

وقد طبع الديوان فى الآستانة سنة ١٨٨٢ ، ثم طبع فى بيروت وفى القاهرة سنة ١٩١١ ، ولكن هذه الطبعات أميل إلى الخطأ والنقصان ، ومن ثم فإننا نرحب كل الترحيب بظهور طبعة جديدة تعتمد على المخطوطات المختلفة وخاصة المخطوط المحفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس ؛ وقد نشر شرح للديوان كتبه أبو العلاء المعرى بعنوان « عبث الوليد » فى دمشق سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

أما كتابه « الحماسة » فلم نعثر إلا على مخطوط واحد منه ، وهو محفوظ فى جامعة ليدن ، ويشهد هذا بعدم نجاح هذا الديوان الشعرى الذى جمعت فيه الأشعار بحسب موضوعاتها لا بحسب أنواعها مثل حماسة أبى تمام . وثمة ثلاث طبعات منه إحداها فى ليدن سنة ١٩٠٩ ، والثانية فى بيروت سنة ١٩١٠ ، والثالثة فى القاهرة سنة ١٩٢٩ .

وينسب للبحترى أثر ثالث هو « معانى الشعر » أو « معانى الشعراء » وهو مفقود .

المصادر :

(١) الأغانى ، جـ ١٨ ، ص ١٦٧ — ١٧٥ ؛ (٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، لندن سنة ١٩٣٩ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ . (٣) المسعودى : مروج الذهب ، الفهرس . (٤) ابن خلكان ، ترجمة ده سلان ، جـ ٣ ، ص ٦٥٧ — ٦٦٦ ؛ (٥) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٩ ، ص ٢٤٨ — ٢٥٨ . (٦) أبو العلاء المعرى : رسالة الغفران ، فى مواضع مختلفة . (٧) Margoliouth : *The Letters of Abu'l-ʿAlā* ، أوكسفورد سنة ١٨٩٨ ، فى مواضع مختلفة . (٨) الحصرى : زهر الآداب ، الفهرس . (٩) الفهرست ، طبعة

القاهرة : ص ٢٣٥ . (١٠) ابن رشيق : العمدة : فى مواضع مختلفة . (١١) *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesells.* ، سنة ١٨٩٣ ، ص ٤١٨ — ٤٣٩ ، ٧١٥ — ٧١٧ . (١٢) ج. كنعان : البحترى ، حماة من غير تاريخ . (١٣) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، القاهرة من غير تاريخ (١٩٣٢ ؟) ، ص ١١٣—١٣٣ . (١٤) محمد صبرى : أبو عبادة البحترى ، القاهرة سنة ١٩٤٦ . (١٥) ع. رستم : طيف الوليد ، أو حياة البحترى ، القاهرة سنة ١٩٤٧ . (١٦) سيد العقل : عبقرية البحترى ، بيروت سنة ١٩٥٣ . (١٧) Brockelmann ، قسم ١ ، ص ١٢٥ . (١٨) وثمة رسالة ممتازة عنوانها *Un poète arabe du IIIe siècle de l'hégire* (*IXe s. de J.C.*) قدمها لنيل الدكتوراه من السوربون سنة ١٩٥٣ صالح الأشتر ، ولم تنشر بعد .

خورشيد [پلا Ch. Pellat]

تعليق على مادة البحتري

+ البحترى : ثانى اثنين رفعا اسم قبيلتهما « طيئ » فى عالم الشعر على كثرة ما أنجبت هذه القبيلة الكبيرة من شعراء سبقوهما بأجيال مثل عامر بن جُوَين وحاتم وغيرهما ، ومن لحقوا بهما بعد ذلك بأجيال منهم الطرماح وغيره . وعرفا فى كتب الأدب « باسم الطائيين » ؛ الأول أبو تمام حبيب بن أوس ، والثانى أبو عُبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد . فكان بعض الكتاب يقولون عن الأول : الطائى الكبير ، وعن الثانى : الطائى الصغير ، تمييزاً لهما .

وعُرف شاعرنا بهذه الكنية « أبو عُبادة » . إلا أن أبا الفرج وياقوتا الحموى وابن الخطيب البغدادىّ قد ذكروا فى كتبهم : الأغانى ، ومعجم الأدباء ، وتاريخ بغداد ، أنه كان يكنى : أبا الحَسن ، وأبا عُبادة ، فأشير عليه فى أيام المتوكل بأن يقتصر على أبى « عبادة » فإنها أشعر ، ففعل . ونقل ابن خلكان فى وفيات الأعيان هذا .

وقد اختلف كثيرون ممن أرّخوا لهذا الشاعر فى الموضع الذى وُلد فيه ، وفى تاريخ ميلاده :

قال بعضهم — ومنهم ياقوت الحموى فى « معجم الأدباء » (١٩ : ٢٤٩) — إن مولده كان فى مدينة « منبج » الواقعة فى الشمال الشرقى من حلب فى شمال الجمهورية السورية ، وكانت تعرف عند الروم باسم « هيرابوليس Heirapolis » . وقال بعض آخر — منهم ياقوت الحموى أيضاً — الذى ذكر فى « معجم البلدان » (٢ : ٢٣٩ ليبزج) إن مولد البحترى كان فى قرية « حَرْدُفْنَة » التى ذكرها فى حرف (الحاء) وضبطها بالعبارة فقال : « بالضم ثم السكون ، وضم الدال ، وسكون الفاء ، وفتح النون ، وهاء » ، وقال إنها « من قرى مَنْبِج من أرض الشام » .

وقال ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » إنه « ولد بمنبج ، وقيل بزردفنه ، وهى قرية من قُراها ، ونشأ وتخرّج بها ، ثم عاد فضبطها

بالعبارة فقال : وَزْرِدَفْنَه ، بفتح الزاى : وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة ، وسكون الفاء ، وفتح النون ، وبعدها هاء ساكنة ، وهى قرية من قرى مَنْبِج بالقُرب منها .

فأما الاختلاف فى تاريخ مولده ، فقد صادفتنا — عند تحقيق ديوانه — روايات مختلفة ، تتقدم فى بعض الروايات سنوات أو تتأخر عن قول الجمهرة من المؤرخين له .

فقد ذكر ياقوت فى « معجم البلدان » أن مولده كان فى سنة ٢٠٠ ﻫ فى أول أيام المأمون وهو بخراسان . ثم قال : « ذكر ذلك أبو غالب همّام بن الفضل بن المهذّب المعرّى فى تاريخ له » . وعقّب فقال : « وقال غير ابن المهذّب : ولد البحترىّ فى سنة ٢٠٥ ﻫ » .

إلا أن ياقوتاً نفسه ذكر فى « معجم الأدباء » أن ولادة البحترى كانت سنة ستّ ومائتين .

وذكر ابن خلكان فى كتاب « وفيات الأعيان » أن ولادته كانت سنة ٢٠٦ ، وقيل سنة ٢٠٥ .

وقد أخذنا فى تحقيقنا لديوان البحترىّ — عندما تصدّينا لتأريخ قصائده — بالقول الذى رجح سنة ٢٠٤ ﻫ تاريخاً لمولده (انظر مقدمتنا لديوان البحترىّ صفحة ٣١ طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٣) وهو التاريخ الذى أخذ به الأستاذ مرگوليوث أيضاً فى مادة « البحترى » فى دائرة المعارف الإسلامية .

أما تاريخ وفاته فقد تأرجح عند هؤلاء المؤرخين بين سنوات ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ ﻫ . وقد أخذنا — كما أخذ الأستاذ مرگوليوث أيضاً — بالتاريخ الوسط . مات بالسكتة — كما يذكر ياقوت — فى موطنه « منبج » سنة ٢٨٤ بعد أن عاش فترة طويلة فى العراق ، وقد بلغ الثمانين من عمره .

وقد عاش طفولته وصباه متنقلا بين منبج وحلب ، حيث عرف فى حلب صاحبته « عَلْوَة » التى ردّد ذكرها فى شعره مرات كثيرة ، وظل يحن إليها لأنها كانت أول غرامه ، ويحن إلى دارها التى كانت فى وسط حلب ، فقد قال ياقوت وهو يذكر حلب فى « معجم البلدان » (٢ : ٣٠٧ ليبزج) : « وفى وسط البلد دار عَلْوة صاحبة البحترى » .

ثم أخذ يضرب منذ عام ٢٢٠ ﻫ فى البادية يأخذ عن أهلها . وقد عثرنا على قصيدة له لم يسبق نشرها من ٤٥ بيتاً أشار أبو العلاء المعرّى فى كتابه « عبث الوليد » إلى ثلاثة أبيات منها هى الأول والثالث والتاسع . وقد أشار البحترى فى الأبيات : الثالث والرابع والخامس إلى سنّه — وقتذاك — وإلى عزمه على السير فى مناكب الأرض (القصيدة ٤٢٥ ، صفحة ١٠٨١ ، دار المعارف) :

وقائلةٍ ، والدمع يصبغ خدّهـا:
رويدك يابن الستَ عَشْرَة كم تسرى!

فقلت : أحقُّ الناس بالعزم والسُّرى
خلاب المعالى صاحب الستِّ والعشرِ
مُقام الفتى فى الحىِّ حيّــا مسلَّماً
معانى مُقَامُ ذلة بالفتى يَزْرِى

وخلال تشريقه وتغريبه راكباً أعجاز الكواكب على حد تعبيره فى القصيدة ٢٨ (صفحات ٧٨ — ٨٢ طبعة دار المعارف) ينتهى به المطاف إلى رحبة مالك بن طوق التغلبى مادحاً له . وهذه الرحبة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات . ونجده يذكر لنا فى البيت العاشر من هذه القصيدة سنَّه وقتذاك فيقول :

عشرون قصَّرها الصبا ، وأطالها
ولعُ العتاب بِهائم لم يُعْتَبِ

أى أن هذه القصيدة مما نظم الشاعر عام ٢٢٤ ﻫ

وقد مدح مالك بن طوق بقصيدة أخرى لم يسبق نشرها فى الطبعات السابقة للديوان ، بلغت أبياتها ٤٦ بيتاً ، أثبتناها فى طبعتنا برقم ٨٠٦ (الديوان ٢١٢٧ — ٢١٣٢) : وتاريخها هو تاريخ أختها .

وفى عام ٢٢٥ نراه يمدح أحمد بن إبراهيم الأزدىّ بقصيدتين لم يسبق نشرهما أيضاً : القصيدة ٧٩٩ (صفحة ٢١١٠ — ٢١١٣) من ٣٢ بيتاً ، والقصيدة ٩٠١ (صفحة ٢٣٧٠ — ٢٣٧٢) من ١٧ بيتاً .

ونرجح أنه قطع فى هذه الرحلة ست سنوات ألهمته كثيراً من الصور ، وحركت شاعريته ، وصقلت لغته . وفى هذه الحقبة نظم قصيدته الداليّة المشهورة فى « الذئب » (القصيدة ٢٨٩ ، ص ٧٤٠) التى رجحنا أنه قالها حوالى عام ٢٢٦ﻫ. وقد جعلت قوة سبك هذه القصيدة بعض الناس يشكُّون فى أنها من شعره . فقد ذكر كشاجم ذلك فى كتابه « المصايد والمطارد » (١٠٧ — ١٠٨) حيث يقول : « ... وقد شُكَّ فيها أنها له لقربها من ألفاظ الأوائل ومعانيهم » . وجاء فى الديوان فى تقديم القصيدة أن أبا الغوث — وهو ابن البحترىّ — قال لأبيه : إن الناس يقولون هذه القصيدة لأبى تمام . فقال : « يابنىّ ! قد ضرط أبوك أحسن من هذه القصيدة » . كما نظم أيضاً قصيدته الرائية التى رثى فيها قومه (القصيدة ٤٠٨ صفحة ١٠٢٩) . وقصيدته الدالية رقم ٢٤٧ (صفحة ٥٩٠) التى يفخر فيها بأسرته ويذكر أسماء أجداده .

حتى إذا كانت سنة ٢٢٧ وجدنا البحترىّ قد تعرّف إلى أبى جعفر القُمّىّ فمدحه ، وأشار فى مدحه له أنه ينوى أن يشدَّ الرحال إلى رجل من قبيلته كان يرابط على الثغور غازياً ومدافعاً هو القائد العربى الطائىّ الصامتىّ ؛ من بنى الصامت بطن من طيئ : أبو سعيد محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن ، من أهل مرو ، وكان يعرف باسم « الثغرى » نسبة إلى ملازمته للثغور ، وكان من قوّاد حُمَيد الطُوسىّ فى حربه مع بابك الخُرَّمى، ثم صار بعد مصرع حُمَيد من قادة الجيوش عند المعتصم ، وكانت أول هزيمة لأصحاب بابك

على يده سنة ٢٢٠ هـ . فقد قال البحترىُّ لأبى جعفر القُمّيّ وهو يمدحه (القصيدة ٦٧٤ فى البيت ٤١ منها صفحة ١٧٥٠ طبعة دار المعارف بتحقيقنا) :

إنى أريد أبا سعيد والعدى بينى وبين سحابه المتهلل

مُضَرِ الجزيرةِ كلّها ، وربيعة الـ خابور توعدنى ، وأزْدُ الموصلِ

والتقى الشاعر الطائى الثانى بهذا القائد الطائى الذى مدحه من قبله الشاعر الطائى الأول أبو تمام . وكان هذا اللقاء سنة ٢٢٧هـ فى السنة التى مات فيها الخليفة العباسى المعتصم بن الرشيد فعزّى أبا سعيد فيه بالقصيدة رقم ٣٤٨ (الديوان ٨٨٢) وأشار فى هذه القصيدة إلى الخليفة الجديد الواثق ابن المعتصم ، كما أشار إلى موقف لأبى سعيد أحبط فيه مؤامرة دبّرها العباس بن المأمون مع بعض قواد المعتصم من الأتراك ، فحفظ بالقضاء على هذه المؤامرة الخلافة للواثق .

وظلت صلة البحترى بأبى سعيد يمدحه بالقصيدة بعد القصيدة ذاكراً أمجاده ، مشيداً ببطولته ، مسجلا الوقائع والمعارك التى خاضها هذا الرجل ، حتى لتعد قصائده وقصائد أبى تمام فى هذا البطل المصدر العربى الوحيد حيث أغفلت كتب التاريخ العربى تسجيل هذه الأحداث مع خطورتها ، على حين سجلها مؤرخو الروم . وقد ذكر ڤازيليڤ فى كتابه « العرب والروم » الشىء الكثير من معارك هذا البطل . ولما مات أبو سعيد سنة ٢٣٦ فجأة فى عهد المتوكل رثاه البحترى . وكان قد مدح ابنه يوسف بن محمد بعدد من القصائد أيضـــاً .

وفى هذه الحقبة من سنوات ٢٢٨ ــ ٢٣٣ هـ كانت صلاته قد توطدت بأسرة حُمَيْد الطوسى وهم طائيون مثله ، كما اتصل بأسرة الحسن بن سهل ، وبخاصة ابنه إبراهيم بن الحسن الذى قال فيه أكثر من عشر قصائد ؛ منها ثلاث عاتبه فيها ، وهو الذى اشترى منه غلامه « نسيم » .

كما اتصل بأمير البحر أحمد بن دينار بن عبد الله بالقصيدة رقم ٣٨٧ (ديوانه ٩٨٠) وبالمقطوعة ٤٠٦ (الديوان ١٠٢٥) التى سماه فيها أمير البحر . أما قصيدته الأولى فقد سجل فيها موقعة بحرية غزا فيها ابن دينار بلاد الروم ، ولم تذكر لنا كتب المؤرخين العرب شيئاً عن هذه الموقعة التى يرى بعض مؤرخى الإفرنج مثل ماريوس كانار أنها كانت فى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ . وقد تناول الدكتور زكى المحاسنى ذكر هذه الموقعة فى كتابه « شعر الحرب فى أدب العرب » .

وقال أبو هلال العسكرى فى « ديوان المعانى » (٢ : ٦٣) : « ولم يصف أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال فى المراكب إلا البحترى » . وذكر أن الصولى قال : سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية

فى وصف إيوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته فى البركة « ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها » ، واعتذاراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها ؛ وقصيدته فى دينار بن عبد الله التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبلها أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكر » ووصف حرب المراكب فى البحر — لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف إذا أضيف إلى هذا صفاء ملحه ورقة تشبيهه .

وقد ذكر فيها ألفاظ «الأسطول» و «النوتى » ، و « العلاة » وقد أراد بها البرج الذى يعتليه ربان السفينة ، و « الاشتيام » ، وهو رئيس المركب ، وهذه اللفظة قال عنها المعرى إنها كلمة لم يذكرها المتقدمون من أهل اللغة ، فإذا سئل من ركب البحر عنها قال : البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب « الاشتيام » ، فإن كانت الكلمة عربية فهى الافتعال من شام البرق لأن رئيس المركب يكون عالماً بشئون البروق والرياح ويعرف من ذلك ما لا يعرفه سواه ؛ وذكرها الطبرى فى تاريخه (أخبار سنة ٢٥١) فقال : « دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج فى كل سفينة اشتيام » . وورد بحاشية « أمالى المرتضى »(١ : ٩٤ الحلبى): والاشتيام : رئيس المركب ؛ كلمة نبطية . وقال الدكتور زكى المحاسنى إن الكلمة فى أصلها رومية .

وارتفع بصر البحترى إلى ما فوق مستوى هؤلاء الرجال ، وعبر أفقهم إلى ما بعد هذا الأفق حيث كان يطمح فى الوصول إلى بلاط الخلافة منذ أن ولى الواثق أمورها فى سنة ٢٢٧ ﻫ الذى أشار إليه إشارة تمجيد فى قصيدته التى عزى بها أبا سعيد فى موت المعتصم ؛ ونجده فى بغداد حيث مقر الخلافة العباسية متجهاً ببصره أولا إلى الرجل الأول فى شئون الحكم فى هذه الحقبة : محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان شاعراً أديباً استوزره المعتصم سنة ٢٢٥ ﻫ ثم بقى وزيراً للواثق ، واستبقاه المتوكل فترة حين تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة ٢٣٢ ثم قتله سنة ٢٣٣ : فمدح البحترى ابن الزيات بالقصيدة رقم ٢٥٩ (صفحة ٦٣٢ — ٦٣٨) دار المعارف . وأشار فى البيت العشرين منها إلى الواثق .

وفى بغداد نجد البحترى قد عقد صلة وثيقة بينه وبين أبى نوح عيسى بن إبراهيم بن نوح كاتب الفتح بن خاقان ، وكان يخطب ود أبى نوح هذا ليصل من ذلك إلى الفتح بن خاقان صفى الخليفة المتوكل والذى يشغل المنصب الذى يعرف الآن بوزير شؤون القصر . فمدح أبا نوح بخمس قصائد منها القصيدة التى دعا فيها له وللفتح بالشفاء، وكانا قد مرضا معاً .

ومن ثم اتصل بالوزير الفتح بن خاقان ، وبدأت مدائحه فيه تبلغ حد الروعة حتى بلغت تسعاً وعشرين قصيدة منها قصائد فى العتاب هى أرق ما صاغ شاعر فى هذا الباب .

وألف له كتاب « الحماسة » فزاد فى أبوابه

وفى مختاراته عما ضمه كتاب « الحماسة » الذى ألفه أبو تمام .

ووعده الفتح بن خاقان بأن يقدمه إلى الخليفة المتوكل ، وهو الحلم الذى داعب خياله زمناً طويلا ، ويظهر أن ثمة ظروفاً شغلت الفتح عن الوفاء بهذا الوعد ، فأثر هذا فى نفس البحترى وأثار قلقه — وكان قد وطد صلته فى محيط الفتح بأبى الحسن على بن يحيى المنجم الذى كان يقوم بأمر مكتبة الفتح الضخمة ، وكان نديماً للمتوكل ومن خواصه وجلسائه — فبعث إلى ابن المنجم بقصيدته رقم ٤٦٠ (الديوان ١١٣٢) التى يذكر فيها توحش بغداد لنزيلها ، ويطلب من هذا الرجل أن يذكّر الفتح بن خاقان بوعده ويقول له إنه قد مضى خميس خامس على وعد ابن المنجم فى تذكير الفتح حيث قدم عليه رجالا يراهم أدنى منه مرتبة أدبية .

ويبدو أنه كان يأمل منذ زمن فى أن ينهض بهذا الأمر ابن قبيلته أبو سعيد الثغرى الطائى أو أحد بنى حميد الطائيين فلم يفعل ، ثم عاوده الأمل حين اتصل بابن خاقان فتباطأ وشُغل ، فقال لابن المنجم فى قصيدته :

لم يرعَ لى حقَّ القرابة طىءٌ
فيها، ولا حق الصداقة فارسُ

ويفى الفتح بن خاقان بوعده ، ويقدم الشاعر إلى الخليفة ، ويصبح شاعره الأول ؛ ينتقل معه إلى دمشق حين انتقل إليها فترة ثم يعود معه ، ويسجل أحداث عصره ، وما أنشأ هذا الخليفة من قصور وغير ذلك ، ويشاركه ووزيره الفتح مجالسهما حتى آخر يوم من حياتهما ويحضر اغتيالهما معاً ليلة الخميس الرابع من شوال سنة ٢٤٧ هـ .

وتستولى الفجيعة على الشاعر الذى شهد الحادث وشهد معه نجم سعده يأفل ، فقد كان عهد المتوكل هو عهد الخير على هذا الشاعر ، أنعم عليه الخليفة بالجزيل من الأعطيات ، وأنعم عليه بمثلها وزيره الفتح ، وحسده الشعراء على ما هو فيه من نعماء العيش ورفاهته حتى لقد ذكر الحصرى فى كتابه « زهر الآداب » أن أبا العباس ثعلب كان يقول فى هذه القصيدة : « ماقيلت هاشمية أحسن منها ، وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب » .

وقد رجحنا فى تحقيقنا لهذه القصيدة (ديوان البحترى ١٠٤٥) أن الشاعر نظمها بعد مصرع المتوكل مباشرة أى فى صبيحة الحادث ، فإن إلى جانب التأثر السريع للحادث الذى شهده نجد أبياتاً تنبئ عن أمله فى أن يلى الخلافة المعتز دون المنتصر ، أى يوم ٤ شوال سنة ٢٤٧ هـ . وقد أجمع المؤرخون على أن المنتصر كان شريكاً فى التآمر على قتل أبيه لأن الوزير عبيد الله بن خاقان والفتح بن خاقان كانا يوغران قلب المتوكل على ابنه المنتصر ويرغبانه فى عزله من ولاية العهد ليكون الأمر للمعتز ، وكان المتوكل قد استمع لمشورتهما بأن يقوم المعتز فى يوم جمعة بالصلاة بالناس ، وفى الجمعة التالية حسّنا له أن يصلى هو

بالناس . فاستمال المنتصر إليه قواد الأتراك ودبروا معه مؤامرة تولاها بُغا الشرابى ، فأمر باغر التركى الذى كان يتولى حراسة الخليفة فدخل عليه ورجاله ، وقد أخذ منه الشراب فضربوه بالسيف وكان معه الفتح فألقى بنفسه عليه فقتلوه .

وقد كشف الشاعر عن الرأس المدبر لهذا الحادث ، ولم يخش العاقبة من تصريحه أو تلميحه فقال معرضاً بالمنتصر ولى العهد :

وهل أرتجي أن يطلب الدمَ واترٌ

يدَ الدهر ، والموتور بالدم واترُهْ ؟!

أكان ولى العهد أضمر غدرةً ؟

فمن عجبٍ أن وُلِّىَ العهد غادِرُهْ !

وصرح قبل ذلك بأمله فى أن يكون المعتز خليفة أبيه المتوكل فغاب من كانوا يعملون على ذلك فقال :

ولا نصر « المعتزُّ » من كان يُرتجى

له ، وعزيز القوم مَن عز ناصرُهْ

وقد قلنا فى شرح هذا البيت إن الذى ترجحه أنه لم يقصد بقوله « المعتز » صفة كما يرى بعض الشراح ، وإنما قصد المعتز بن المتوكل ؛ أى أن حزب المعتز لم يجد من يناصره أمام المتآمرين لمصلحة أخيه المنتصر ، فقد قضت المؤامرة على الفتح ، وانتهز المتآمرون فرصة غياب الأمير طاهر ابن عبد الله بن طاهر فى خراسان وكان يميل إلى المعتز .

وتنبه البحترى بعد أن أفاق من الهول إلى ما قال وخشى مغبة تصريحه وتعريضه فخرج حاجاً إلى مكة ، ولم يخرج إلى بلده « مَنْبِج » كما ذكر الأستاذ مرگوليوث معتمداً فيما يبدو على ما ذكره ابن خلكان ، فهو فى القصيدة التى مدح بها المنتصر بعد ذلك حين تُشُفِّعَ له عنده — وهى القصيدة الوحيدة التى قالها فيه لأن المنتصر مات بعد ستة أشهر من مصرع أبيه — يذكر حَجَّه (القصيدة رقم ٣٤٠ ، صفحة ٨٤٨) :

حَجَجْنا البَنِيَّة شُكراً لما

حبانا به الله فى المنتصرْ

والبنية : الكعبة ، وقد أشار المعرى فى لزومياته (١ : ٤٢٤) إلى حج البحترى فى هذه الفترة فراراً من بطش الخليفة الجديد لا أداء لفرض يدعو إليه ، فقال أبو العلاء ساخراً من رجل قام بالحج لوجه غير وجه الله :

حَجَّ من غير تقى صاحبنا

كأخى بحتر عامَ المنتصرْ

ولكنه وجد فى دعوة المنتصر إلى سلوك سياسة جديدة مع آل أبى طالب ما دفعه إلى أن يسجله حسنة للخليفة الجديد ، فقد روى الطبرى وابن الأثير فى تاريخيهما أنه قال لعلى بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد عند ما ولاه المدينة بعد عزل صالح بن وصيف عنها : ياعلى ، إنى أوجِّهك إلى لحمى ودمى ، ومدَّ جلد ساعده ، وقال : إلى هذا وجَّهتك فانظر كيف تكون

للقوم ، وكيف تعاملهم ؛ يعنى آل أبى طالب .
وذكر الصولى ذلك فى « أخبار البحترى »(١٠٠)
ثم قال : إن المنتصر أحب أن يشتهر فعلُه ذلك
ويمُدح به ، فكان أول من فطن له البحترى ...
فوصله وأجزل ، ولم يكن يصل الشعراء إلا قليلا .

هنا ظهرت فرحة البحترى فأشار إلى ذلك
فى قصيدته ، وكم هجا على بن الجهم لأنه كان
يسبّ على بن أبى طالب ، وكان المتوكل يحب
ذلك . وقلنا فى تعليقنا على المقطوعة رقم ٦٠ البائية
(الديوان ١٧٦) — وقد اختلف فى أنه هجا بها
مروان بن أبى حفصة ، وذكرت بعض النسخ أنه
هجا بها على بن الجهم . وتاريخ تلك المقطوعة
يرجع إلى ما بعد مقتل المتوكل أى إلى سنة ٢٤٨
حيث استطاع الشاعر فى عهد المنتصر إلى إظهار
تشيعه ، وكان يكتم ذلك فى عهد المتوكل . وله
قصيدة أخرى رائية هجا بها على بن الجهم لهذا
السبب (المقطوعة ٤١٠ صفحة ١٠٣٨) .

ومات المنتصر عام ٢٤٨هـ ؛ وخلفه المستعين
ابن المعتصم أخو المتوكل فمدحه البحترى ، ولكنه
لم يلبث أن هجاه . وقامت بين المستعين والمعتز ابن
أخيه حروب انتهت بخلع المستعين عام ٢٥٢ ،
لينهض بالأمر المعتز الذى كان الشاعر معه بقلبه
منذ حياة أبيه ، وكان المستعين قد حبسه هو وأخاه
المؤيد مدة حكمه ؛ وظل المعتز فى الخلافة من أوائل
عام ٢٥٢ حتى أواخر رجب عام ٢٥٥ ، والشاعر
فى بلاطه كما كان فى بلاط أبيه ؛ تحس فى مدائحه
له بصدق العاطفة وصفاء الشعور .

ويُخلع المعتز ليبايع لابن عمه المهتدى
محمد بن الواثق بالخلافة فى أوائل شعبان سنة ٢٥٥ ،
وما يكاد يبايع له حتى تحدث شغب ، وتقوم خلال
خلافته التى لم تزد على أحد عشر شهراً وبعض
أيام . أحداث يشير إليها الشاعر فى القصيدة
١٤٣ (الديوان ٣٦٩) التى مدح بها هذا الخليفة .
فأما الشغب الذى حدث فى أعقاب خلع المعتز فهو
وثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر فى
بغداد ، فكانت فتنة قتل فيها وغرق فى دجلة
وجرح آخرون ثم استقام الأمر بعد ذلك ، وأما
الأحداث التى أشار إليها الشاعر فهى قتل عبيدة
العمروسى الشّارى : قتله مساور بن عبد الحميد
الشّارى حين التقى معه به فى جمادى الأولى سنة
٢٥٦ بالكحيل وكانا مختلفى الآراء ، وقيام موسى
ابن بغا أمير الرى بمحاربة مساور الشّارى . ويشير
مرة أخرى فى القصيدة ٢٦٨ (الديوان ٦٧٤) التى
مدحه بها إلى أحداث أخرى وقعت فى العريش
وفلسطين وقيام « مفلح» وهو قائد من قواد «الموالى»
بمطاردة العصاة . وثمة قصيدة ثالثة قالها فيه هى
رقم ٣٤١ (صفحة ٨٥٢) ، وهو يشير فى قصائده
له إلى تقواه .

وتعود الخلافة بعد المهتدى إلى ابن من أبناء
المتوكل هو المعتمد أحمد بن جعفر ، ويظل فى
الخلافة من سنة ٢٥٦ إلى وفاته فى سنة ٢٧٩هـ
أى ثلاثاً وعشرين سنة كان فيها كالمحجور عليه من
أخيه الموفق الذى ولاه المعتمد أمور الناس ليفرغ هو

إلى لذاته ، فقوى أمر الموفق ، كما قوى أمر ابن الموفق الذى تولى الخلافة بعد عمه المعتمد وتسمى باسم « المعتضد »

وقد سجل البحترى أحداث هذا العهد من حروب قام بها الموفق مع الزنج . وامتدت رقعة صلاته برجال الحكم فى عهد المعتمد من وزراء وكتّاب .

وضاقت به الحياة فى بغداد على الرغم مما هو فيه من جاه يغبطه عليه آخرون . ويوغرون عليه الصدور ، وأصبح حنينه إلى وطنه يشتد ويقوى عما كان عليه فى عهد المعتز حين خاطبه بالقصيدة ٥٧٦ (الديوان ١٤٧٩ — ١٤٨٤) وسأله أن يسمح له بزيارة لاتستغرق أكثر من شهرين يطلع فيها على شؤون ضيعته بالشام التى أصبحت فى حكم الضياع كاسمها من إهماله لها فيرمّ خللها ، فحقق له المعتز هذا الرجاء وقدم له من الهدايا ما حُمل على « عشر من البرد » كما قال فى قصيدته رقم ٥٩٥ (صفحة ١٥٣٤ — ١٥٣٨) : ثم زار موطنه الشام مرة أخرى خلال عام ٢٥٦هـ وهناك قال قصيدته ٥٩٣ (الديوان ١٥٢٩) التى هجا بها أحمد بن طولون إرضاء لأحمد بن المدبر أخى إبراهيم بن المدبر ممدوحيه — ولكنه فى عهد المعتمد ، وبخاصة خلال تولى أبى الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد ، نراه يشتد به الضيق ، ويستولى عليه السأم من حياته فى بغداد ، ونحس من خلال إلحاحه على هذا الوزير بأن يسمح له بالرحيل إلى وطنه أنه كان كالمقيد فى حريته ، المحددة إقامته ، فيقول له فى البيت الأخير من القصيدة ٣٦٢ (صفحة ٩٨٦) :

وأعتقتَ الرقاب ، فمُر بعتقى
إلى بلدى ، وأنت به جديرُ !

ويخاطبه أيضاً فى البيت الأخير من القصيدة ٣٦١ (صفحة ٩١٢) بقوله :

وسواى الغداة تُحدى مطايا
ه إلى منبج ، وترحل عِيرُهْ

كل هذا يتردد فى أعماق نفس الشاعر فى زمن استطعنا تحديده بعام ٢٦٩هـ .وكان أحمد بن طولون فى ذلك الوقت فى الشام حيث دخلت فى حوزته سنة ٢٦٤ بلاد الشام والثغور واتسع ملكه حتى انتهى إلى الفرات ، واقتصرت مملكة بنى العباس على العراق والجزيرة الفراتية حتى أنه أغرى الخليفة المعتمد بأن يهرب من سيطرة أخيه الموفق ويذهب إليه ، وهمّ بالفعل،ولكنه أعيد إلى بغداد، فى ذلك الحين كتب البحترى قصيدة إلى أحمد ابن طولون تفيض بالحسرة والندم على هجرته عن وطنه (القصيدة ٣٩ البائية صفحة ١٢٢ — ١٢٦) وفيها يقول :

فأصبحتُ فى بغداد ، لاالظل واسع
ولا العيش غضٌّ فى غضارته رطبُ
أأمدح عمـــال الطساسيج راغباً
إليهم ، ولى بالشام مستمتع رغبُ

وظلت سنتا ٢٦٩ ، ٢٧٠ سنتى الحنين وتحين الفرصة للانطلاق من هذا العذاب النفسى ، ثم

نراه متجهاً نحو إيوان كسرى – وهو على مسافة ٣٠ كيلو متراً من بغداد جنوباً ، ويعرف الآن باسم « طاق كسرى » وتسمى الناحية التى بها « ناحية سلمان باك » باسم الصحابى سلمان الفارسى . وكان الإيوان لم يزل قائماً حتى أيام المكتفى فى حدود سنة ٢٩٠هـ . ويقف البحترى أمام هذا الإيوان وقفة الشاعر صاحب الحس المرهف فيراه ثابتاً على الزمن ، جلداً على الأحداث ، فتنعكس صورة حياته على الإيوان ، وتنعكس صورة الإيوان على نفسه ، وتتألف الصورتان ، وينظر إلى ما فى نفسه من تزعزع . فيتماسك كما يتماسك أمامه هذا القصر على رغم ما مر به من أحداث وأزمان ، ويرى فى أعماق نفسه أنه يجب ألا يقلّ فى تماسكه عن هذا الجماد . وتنطلق انفعالاته النفسية من مكمنها ، فهو يصور أحزانه وآلامه وضيقه بالغربة فى سبيل العيش . ثم يطابق بينه وبين هذا القصر الذى خلا من كل ماكان يجرى فيه من مباهج الحياة متجرداً من بُسط الديباج ومن ستور الدمقس ، فيجد صورة حياته هو وقد رحل عن جاه عريض ومجد طال أمده فى رحاب خلفاء العصر ووزرائه فى بغداد . صورتان متماثلتان : جماد يتماسك على الزمن ، وإنسان كاد أن يتهاوى ، ولكنه يتماسك حين زعزعه الدهر التماساً لتعسه ونكسه .

هذه الصورة هى بذاتها الصورة التى عكسها علينا الشاعر فى صباه فى قصيدته عن « الذئب » (القصيدة رقم ٢٨٩) التى طابق فيها بينه وبين الذئب الذى طرقه جائعاً وهو يضرب فى مجاهل الصحراء . كلاهما يضرب على غير هدى ، وكلاهما جائع ، عوامل الشر وعوامل الخوف تنتاب كلا منهما ، وغريزة حب البقاء تستولى على كل منهما بالصورة التى تتفق مع لون دفاعه .

والقصيدتان صورتان من أروع ما حفظ لنا تراثنا الخالد . وقصيدة الإيوان قد رأى بعض المحققين أن البحترى نظمها عقب مقتل المتوكل مباشرة ، والحقيقة غير ذلك ، فقد أثبتنا أنها نظمت بعد هذا الحادث بثلاث وعشرين سنة ، أى حوالى سنة ٢٧٠هـ ؛ فإن البحترى لم يتجه إلى إيوان كسرى عقب مقتل المتوكل بل اتجه إلى الحجاز فحجّ كما ذكرنا ذلك من قبل .

وقد بنينا تقديرنا لهذا التاريخ على ذكر « الإيوان » فى شعر البحترى فوجدنا أنه وارد فى قصائده التى حددنا لها تاريخاً هو سنة ٢٧١هـ أى بعد مروره بالإيوان مباشرة ، فهو يقول فى مدح ابن ثوابة فى البيت ١٩ من القصيدة رقم ٥٠ (الديوان ١٤٥ طبعتنا) :

قد مدحنا إيوان كسرى وجئنا

تستثيب النعمى من ابن ثوابهْ

ويقول فى القصيدة ٨٦٣ (صفحة ٢٢٩٤ – ٢٢٩٩) :

زورةٌ قُيِّضت لإيوان كسرى

لم يُردها كسرى ولا إيوانهْ

ونراه قد اتصل برجال الحكم الطولونى فمدح من مدح ، وهجا من هجا . ويبدو أن المقام لم يطب له فى وطنه الشام ، فنجده يبعث إلى أبى العباس بن المبرّد بقصيدته الجيمية (القصيدة ١٦٧ صفحة ٤١٥) يمدح فيها أبا الصقر إسماعيل ابن بلبل ، ويسخر من أن الأيام ألجأته إلى أن يخاطب والى منبج بلقب «الأمير» . وقد حددنا سنة ٢٧٥ تاريخاً لهذه القصيدة . ونجد له قصائد أخرى فى أبى الصقر حددنا لها سنة ٢٧٧ تاريخاً لنظمها .

ونرى الصولى يروى لنا فى أخبار البحترى أنه كان يجتمع بالمبرد سنة ٢٧٦ عند عبد الله بن الحسين القطربُلّى بداره بالخلد ، وهى محلة على شاطئ دجلة .

على أننا نجد خبراً يرويه المرزبانى فى «الموشح» (٣٤٢) يقول : «حدثنى أحمد بن محمدبن زياد قال : سألت أبا الغوث عن السبب فى خروج أبيه عن بغداد ، فقال لى : كان أبى قد قال فى قصيدته التى رثى فيها أبا عيسى العلاء بن صاعد أبياتاً وجد بها بعض أعدائه عليه مقالا ، فشنّع عليه أنه ثنوىّ ، ودارت فى الناس . وكانت العامة حينئذ غالبة ببغداد ، فخافهم على نفسه ، فقال لى : قم بنا يابنىّ حتى نطفئ عنا هذه الثائرة بخرجة نلمّ فيها ببلدنا ، ونعود ! قال : فخرجنا ، وأقام فلم يعد» . وهذه الأبيات تضمها قصيدة من حرف القاف لم يسبق نشرها فى طبعات الديوان السابقة وهى القصيدة ٦٠٥ (الديوان ١٥٥٢ — ١٥٥٤) .

ومعروف أن وفاة العلاء بن صاعد كانت سنة ٢٧٢ فى الحبس . وقد حددنا للقصيدة سنة ٢٧٣هـ .

ونحن فى حيرة من هذا الخبر حين نرى أن الرجل رحل إلى بلده ولم يرجع فى الوقت الذى نجد خبر المرزبانى أنه يجتمع مع المبرد سنة ٢٧٦ فى دار القطربلى على شاطئ دجلة . فهل كان الرثاء متأخراً كثيراً عن سنة ٢٧٣هـ التى حددناها تاريخاً له ؟ كما حدث عندما رثى أبا تمام الطائى المتوفى سنة ٢٣١ بأبيات رثى فيها دعبل بن على الخزاعىّ المتوفى سنة ٢٤٦ (المقطوعة ٦٨٥ صفحة ١٧٩٠) وهى مقطوعة لم يسبق نشرها فى الطبعات السابقة ، وردت فى بعض مخطوطات الديوان كما رواها الصولى فى «أخبار أبى تمام» (٢٧٤) وذكرتها مراجع أخرى كالموازنة ووفيات الأعيان والنجوم الزاهرة ومرآة الجنان وهبة الأيام وغير ذلك مما أثبتناه فى تحقيقنا .

ولكننا نجده قبل موته بسنوات أربع — أى فى سنة ٢٨٠ — يمدح رجال خُمارويه بن أحمد بن طولون ، ونجد قصائده فى هذه الفترة قد بدأت تتضاءل ، وبدأ بريقها يخبو ، وصفاؤها يتلاشى ، وبدأ الوهن يسرى من جسده إلى نفسه ، والشيب الغامر يتسرب من شَعره إلى شعره ، والمرارة فى نفسه تملأ كيانه وتزعزع وجدانه . فهو فى قصيدته ١٣٧ (الديوان ٣٥٥) التى قالها فى جعفر بن

عبد الغفار كاتب أحمد بن طولون يقول فى لوعة وحسرة وإحساس بغربة الروح :

أنا بالشام ، موطنى ، غير أنى
بعد عهد العراق فيها غريبُ

ويبدأ شعره يقل : فلم نجد له فى سنة ٢٨٠ إلا هذه القصيدة والقصيدة ٤٦٦ (الديوان ١١٤٤) وهى قصيدة سينية هجا فيها قوماً من أهل بلده .

وفى سنة ٢٨١ نجد قصيدة واحدة هى القصيدة اللامية رقم ٧٢٢ (الديوان ١٨٧٨ — ١٨٨٠) التى مدح بها طغج بن جُف مولى خماروية . وهى قصيدة لم يسبق نشرها فى الطبعات السابقة .

وفى سنة ٢٨٢ نجد مقطوعة من أربعة أبيات هجا بها رجلا من رجال خمارويه يقال له ابن أبى زنبور هى المقطوعة رقم ١٩٩ (صفحة ٤٧٨) ، ثم قصيدة رقم ٤٢٣ (صفحة ١٠٧٧) التى مدح بها إسحاق بن نصير العبادى وكان كاتباً لخمارويه أيضاً .

ثم تسكن القيثارة التى عزفت ستين عاماً ، وهزت مشاعر العروبة لتنطلق أصداؤها فى رحاب الزمان ، ويسكن بعدها بعامين هذا الجسد الذى طوف بالبلاد يحمل هذه القيثارة العذبة .

•

أما ولده فليس اسمه «ثابت» كما ذكر الأستاذ مركوليوث ، ولكنه «يحيى» سماه باسم جده . ويكنى أبا الغوث : ترجم له المرزبانى فى معجم الشعراء ، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد .

وقد ذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان أن للبحترى حفيدين من ولده يحيى هما عبيد الله ، وأخوه أبو عبادة اللذان مدحهما المتنبى فى قصائده ، وكانا رئيسين فى زمانهما . وقد ضم ديوان المتنبى القصيدتين : واحدة من قافية الدال . والأخرى من قافية الكاف .

•

أما ما ذكره أبو الفرج مما رواه جحظة عن أن البحترى ألقى قصيدة فى حضرة المتوكل فضجر منه لأنه كان من أبغض الناس إنشاداً يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول : ما لكم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله — هذه الصورة المشوهة لهذا الرجل لانشك فى أنها صادرة عن نفس تحمل للرجل حقداً . ولو صحت لما حظى عند سبعة خلفاء ونائب خليفة وطائفة كبيرة من وزراء وكتاب وقواد هذه الحظوة التى نالها حتى كان من ندماء المتوكل — الذى قيل إنه ضجر منه — ولاتعدو حادثة تحريض المتوكل للصيمرى على هجوه فى مجلسه عن أن يكون هذراً من ملك مخمور فى جلسة عابثة مع حاشية منافقة تريد التقريب إلى قلب الملك فى ساعة خماره لتشفى غلا كامناً فى نفوسها نحو الشاعر المقرب إلى هذا الملك ، وهى حاسدة له .

وحسبنا أن نذكر أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد هاجم البحترى لأنه أحس فى قصيدة وجهها البحترى إلى أبى العباس أحمد بن محمد ابن بسطام الذى كان يجتمع عنده الشاعران — تعريضاً به فاندفع يهاجم البحترى ورد عليه البحترى بقصيدة ، وقد كشفنا عن الأيدى الخفية وراء هذه المعركة فى الكلمة التى ختمنا بها شعر البحترى فى الجزء الرابع من ديوانه (٢٤٦٥–٢٤٩٣) فانكشف أن أصابع ابن الرومى كانت تؤجج نار هذه المعركة.

*

هذا هو الشاعر الذى قال ابن الأثير فى كتابه «المثل السائر» وهو يتحدث عنه : «وسئل أبو الطيب المتنبى عنه ، وعن أبى تمام ، وعن نفسه ، فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأغرب بقوله هذا عن متانة علمه : فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قرابة إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية».

وقال الثعالبى فى كتابه «برد الأكباد» إن أبا القاسم الإسكافى قال : «استظهارى على البلاغة بثلاثة : القرآن ، وكلام الجاحظ ، وشعر البحترى». وذكر فى كتابه «ثمار القلوب» أنه يضرب به المثل فيقال : «طبع البحترى» لأن الإجماع واقع على أنه فى الشعر أطبع المحدثين والمولدين ، وأن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة . ويقال : إن شعره كتابة معقودة بالقوافى .

على أن ديوانه لم يظفر — على قوة شاعريته — بما ظفر به ديوان أبى تمام عند الأقدمين من كثرة الجمع والشرح والتعليق ، ولكن ياقوتا الحموى قد قال فى ترجمته لأبى جعفر محمد بن إسحاق الزوزنى البحاثى المتوفى سنة ٤٦٣هـ بغزنة (من مدن أفغانستان الآن) : «ولم أر من تصانيف البحاثى هذا شيئاً إلا شرح ديوان البحترى ، ولعَمْرى إن هذا شىء ابتكره ، فإنى ما رأيت هذا الديوان مشروحاً ، ولا تعرَّض له أحد من أهل العلم ، ولا سمعت أحداً قال : إنى رأيت ديوان أبى عبادة البحترى مشروحاً ، وتأملته فرأيته قد مُلئ علماً ، وحُشى فهماً ، وذلك أن شروح الدواوين المعروفة كأبى تمام والمتنبى وغيرهما تساعدت القرائح عليها وترافدت الهمم إليها ، وما أدرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدة إلا أن يكون كتاب عبث الوليد للمعرى ، وكتاب الموازنة للآمدى لاغير» .

وذكر ياقوت أيضاً فى ترجمة الآمدى من بين مؤلفاته بعد ذكر كتاب «الموازنة» أن له كتاباً عنوانه «معانى شعر البحترى» ، وكذلك ذكر هذا ابن النديم فى الفهرست والسيوطى فى بغية الوعاة .

وقال ياقوت مرة ثالثة فى ترجمة أبى حكيم عبد الله بن إبراهيم الخَبْرِىّ — نسبة إلى «الخَبْر» من قرى شيراز بفارس — والمتوفى سنة ٤٧٦هـ إنه شرح الحماسة وديوان البحترى وعدة دواوين أخرى . وذكر ذلك السيوطى وابن مكتوم أيضاً .

وقال مرة رابعة فى ترجمة على بن زيد البيهقى المتوفى سنة ٥٦٥هـ أن له «كتاب شرح شعر البحترى وأبى تمام» مجلد .

ولكننا لم نظفر بشىء من شروح الآمدى والبحاثى والخبرى وابن زيد البيهقى .

أما كتاب «عبث الوليد» الذى وضعه أبو العلاء المعرى ، فليس شرحاً وافياً لكل قصائد الديوان ، ولكنه اختار بعض القصائد ، واختار أبياتاً من هذا البعض فعلق عليها . وقد أثبت فى تعليقاته ما أصلحه من الغلط الذى وجد فى النسخة التى قرئت عليه وكان مكتوباً فى آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلى : وقال : «ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير مخل» : وكان لكتاب «عبث الوليد» الفضل فى توجيهنا نحو البحث عن شعر البحترى الذى لم ينشر فى طبعات ديوانه السابقة .

وذكر ابن النديم فى كتاب «الفهرست» أن للخالديين أبى بكر وأبى عثمان «كتاب اختيار شعر البحترى» ولانعرف مصير هذا الكتاب . وقد نشر الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى (مجموعة الطرائف الأدبية) سنة ١٩٣٧ لعبد القاهر الجرجانى اختياره من دواوين أبى الطيب المتنبى والبحترى وأبى تمام . وهذا الإختيار يقوم على اختيار بعض أبيات من بعض قصائد هؤلاء الشعراء ، وذكر فيما اختاره من شعر البحترى أبياتاً من قصائده المفقودة التى لم يسبق نشرها فى طبعات ديوانه السابقة .

كذلك وقع لنا اختيار آخر فى كتاب مخطوط اسمه «السفينة» لابن مباركشاه المصرى المتوفى سنة ٨٦٢ ، وقد وردت فى هذا الاختيار أبيات من القصائد المفقودة أيضاً .

وقد انتفعنا بهذين الاختيارين فى التحقيق .

أما الطبعات الثلاث التى سبقت طبعتنا فهى :

الأولى : طبعت بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) فى جزءين ، الأول عدد صفحاته ٢٥٩ ، والثانى عدد صفحاته ٢٦٠. وبلغ عدد قصائدها ٥٦٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٩٨٩ بيتاً .

وقد طبعت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوپريلى بالآستانة برقم ١٢٥٢ وهى بخط على بن عبيد الله الشيرازى . كتبها بمدينة تبريز سنة ٤٢٤ هـ . ولكن هذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ولم تظفر بعناية فى التصحيح فجاءت مليئة بالأخطاء والتصحيف والتحريف ، على الرغم من أن المخطوطة التى نقلت عنها مضبوطة تمام الضبط ، دقيقة خالية إلا فى النادر من التصحيف ، ولم ترتب على حروف المعجم ، ولكنها رتبت بأسماء الأشخاص الذين وجهت إليهم القصائد ، ثم إختلفت بعد ذلك عن مسارها الأول .

الثانية : طبعت فى بيروت فى المطبعة الأدبية سنة ١٩١١ وهى مضبوطة بالشكل الكامل ، وعلق حواشيها الشيخ رشيد عطية ، وهى فى جزءين عدد صفحاتهما ٧٩٩ منقولة عن طبعة الجوائب ،

إلا أن ناشرها تصرف فيها بحذف بعض المقطوعات والأبيات التى رأى أنها منافية للآداب — وقد أخذت عليه ذلك فى حينه مجلة « المقتبس » — وبلغ عدد قصائدها ٥٤٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٥٨٥ بيتاً . وهى كطبعة الجوائب فى ترتيب القصائد ؛ وشرح ناشرها بعض ألفاظها ، ولكنه كان يبعد فى الشرح عن المعنى الذى رمى إليه الشاعر ، أو تغمض عليه أسماء بعض الرجال مثل « سيما الطويل » الذى كان حاكماً على أنطاكية فضبطه «سيماالطويل» كمضاف ومضاف إليه ، وقال إن « سيما : شارة ومخيلة وعلامة » ؛ كما فسر « الخابور » — وهو نهر الخابور — بأنه شجر ؛ وغير ذلك .

الثالثة : طبعت فى القاهرة بمطبعة هندية بالموسكى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١ م) ؛ وجاء فى صفحتها الأولى أنها منقولة عن نسخة مشكولة قديمة كتبت فى سنة ٤٢٤ هـ بخط على بن عبد الله الشيرازى (أى هى المخطوطة التى نشرت على أساسها طبعة الجوائب) ؛ ولكنها تختلف عن تلك الطبعة من حيث ترتيب القصائد ؛ فقد جاء كذلك فى صفحتها الأولى أنها « مرتبة على حروف الهجاء » ، وأنها « قوبلت على نسخة خطية بالكتبخانة الخديوية » ، ولم يذكر رقم هذه المخطوطة التى قوبلت عليها ، وذكر على هذه الصفحة أن الذى وقف على طبعها وضبطها وتصحيحها الشيخ عبد الرحمن البرقوقى . ومن المقدمة التى ألحقت بهذه الطبعة تبين لنا أنها روجعت على مخطوطة محفوظة بدار الكتب برقم (٢٧م) وهى مخطوطة سقيمة مشحونة بالتحريف والتصحيف ؛

ومع ذلك أخلّت هذه الطبعة ببعض المقطوعات التى وردت فى المخطوطتين .

وهذه الطبعة محرفة كذلك وليست مضبوطة بالشكل ولا مذيلة بأقل تفسير ؛ وقد نقصت منها بعض قصائد موجودة فى الطبعتين السابقتين ولكنها زادت عليها بعض قصائد أخرى ؛

وبلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٦١٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١٢٣٠٣ أبيات .

طبعتنا : أما طبعتنا فقد رجعنا فى تحقيقها إلى خمس عشرة نسخة مخطوطة صورناها من باريس ، والآستانة ، وهال (ليبزج) ، وميونخ بألمانيا ، والمدينة المنورة ، والقاهرة ؛ وهذه المخطوطات تختلف بعضها عن بعض فى النقص أو الزيادة فى عدد القصائد وعدد الأبيات ، بل فى ترتيب الأبيات كذلك ، وأحياناً فى مناسبة القصيدة .

وقد اخترنا من هذه المخطوطات واحدة جعلناها أمًّا ، وأخذنا بترتيبها ؛ وهذه النسخة التى اخترناها هى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس برقم ٣٠٨٦ ؛ وهى أقدم مخطوطة وقعت لنا من الطبعة التى رُتِّبت فيها القصائد على حروف المعجم إذ يرجع تاريخها إلى سنة ٦١٠هـ كتبها بمدينة الموصل علىّ بن محمد بن أبى القاسم فى جزءين ، ضاع من آخر الجزء الأول بعض الأوراق التى تضم قصيدة على قافية السين لم يسبق نشرها فأوردت منها ٤٤ بيتاً أكملنا بقيتها من مخطوطتين أخريين حتى بلغت ٨٤ بيتاً إلى جانب أربع قصائد ومقطوعات

من هذه القافية ضاعت من هذه المخطوطة فى الأوراق المفقودة ، ثم يبدأ الجزء الثانى منها بقافية الصاد .

وهذه المخطوطة تشترك مع بعض المخطوطات الأخرى التى رجعنا إليها فى إثبات الكثير من شعر البحترى الذى لم يرد فى مخطوطة كوپريلى وفى طبعات الديوان السابقة : وهو الشعر الذى أشار أبو العلاء المعرى إلى مطالع كثير من قصائده فى كتابه « عبث الوليد » : ولكن هذه المخطوطة تنقص منها عدد من القصائد التى أثبتناها فى طبعتنا عن مخطوطات أخرى تليها فى التاريخ ، كما أن بعض قصائدها كانت تنقص أبياتاً أو كلمات من بعض الأبيات فأكملناها من غيرها .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة الأم ٨٣٥ قصيدة ومقطوعة ، أضفنا إليها من المخطوطات الأخرى ٩٨ قصيدة ومقطوعة . وانفردت هى عن المخطوطات الأخرى بسبع وعشرين ، اشتركت أخت لها فى أربع عشرة منها ؛

وقسمنا المخطوطات الخمس عشرة التى رجعنا إليها إلى أربع مجموعات :

١ — مجموعة رتبت فيها القصائد على الأشخاص ؛ وعلى رأس هذه المجموعة مخطوطة كوپريلى ، تتبعها سبع أخوات .

٢ — مجموعة مرتبة على حروف المعجم ، على رأسها مخطوطة پاريس التى اتخذناها الأم ، وتسير فى ركابها مخطوطة صورناها من ميونخ ولكنها غير كاملة ، ثم مخطوطتان من دار الكتب بالقاهرة تختلفان أحياناً عنها فى ترتيب قصائد كل قافية ، وتتفقان أحياناً .

٣ — مجموعة رتبت قصائدها على أبواب ؛ كل باب فى غرض بعينه كالمديح أو الفخر أو الرثاء ، إلى آخر هذه الأبواب ؛ وهما مخطوطتان إحداهما محفوظة بمكتبة الأستاذ الدكتور محمد صبرى تاريخها سنة ١٠٣٠ تفضل فأعارنيها . ويبلغ عدد قصائدها ٤٥٧ ؛ منها ٣٩ لم ترد فى المخطوطات السابقة ، والأخرى محفوظة بدار الكتب تاريخها ١٢٩٦هـ .

٤ — مجموعة جمعت بين ترتيب نسختى الأبواب فى ترتيبها فى أولها . واختلفت عنها بعد ذلك فى بعض قصائد متفرقة لا ترتبط بقافية أو غرض ، ثم اتبعت فى قسمها الأخير نظام الترتيب على القوافى . وهذه المجموعة تمثلها نسخة وحيدة حديثة محفوظة بمكتبة المستشرقين الألمان بمدينة هال (ليپزج) بألمانيا برقم ١٠٢ ، وعدد أوراقها ٢٢٢ . وكان المستشرق الكبير الأستاذ الدكتور كارل بروكلمان قد كتب إلى فى سنة ١٩٥١ رسالة يذكر لى فيها أنه وجد نسخة فى جمعية المستشرقين الألمان وهى من تركة الأستاذ سوسن Socin ، وأنها حديثة ولا تاريخ لها ولا إشارة إلى أصلها . وقال فى رسالته إنه قابلها على طبعتى الديوان — طبعة الجوائب وطبعة مصر — فوجد فيها كثيراً من الأشعار غير الموجودة فى الطبعتين ، وأنها مرتبة ترتيباً غير ترتيب أصل الطبعتين ؛ وشاء فضله إلا أن يفهرسها لى ذاكراً مطالع القصائد والمقطوعات التى لم ترد فى المطبوع .

وعدد أبيات كل منها . وبعد سنوات تفضل علىّ المستشرق الألمانى الأستاذ الدكتور يوهان فوك Johann W. Fück فبحث عن هذه المخطوطة ثم أرسل إلىّ فيلماً مصوراً لها .

وهذه المخطوطة تضم ٣٤١ قصيدة ومقطوعة ، انفردت بست عشرة قصيدة لم ترد فى المخطوطات الأخرى .

وعلى هذه المجموعات الأربع سرنا فى تحقيقنا للطبعة التى نشرتها «دار المعارف» فى أربعة مجلدات ، والخامس يعدّ للطبع متضمناً بعض ما نسب للشاعر مما لم يرد فى المخطوطات ، ثم الفهارس .

ولقد بلغ عدد القصائد التى تضمها الطبعة التى حققناها ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة تضم ١٥٩٥٠ بيتاً ؛ أى بزيادة ٣٧٢ قصيدة ومقطوعة عن طبعة الجوائب و٣٩٣ عن طبعة بيروت ، و٣٢٣ عن طبعة مصر .

أما من حيث عدد الأبيات فإن الزيادة فى طبعتنا بلغت كالآتى : ٣٩٦١ عن طبعة الآستانة (الجوائب) ، و٤٣٦٥ عن طبعة بيروت ، و٣٦٤٧ عن طبعة مصر .

هذا غير اللحق الذى ضم طائفة كبيرة من الأبيات نسبت للبحترى فى عدد من كتب الأدب ، ولكننا لم نجدها فى مخطوطات الديوان ، فأثبتناها وفاء لواجب الأمانة العلمية ، وإن كنا نشك فى نسبة الكثير منها إلى البحترى .

وكان منهجنا فى تحقيق الديوان منحصراً فيما يلى :

١ — مراجعة نصوص المخطوطات جميعها فى كل بيت من أبيات القصيدة ، ومقابلتها بعضها ببعض ، ثم إثبات ما تتفق عليه أغلبية النسخ إذا كان نص المخطوطة الأم بعيداً عن طبع البحترى .

٢ — إثبات مافات النسخة الأم من أبيات فى مواضعها .

٣ — الإشارة أيضاً إلى الاختلاف فى روايات النسخ .

٤ — تركنا بعض الأبيات التى انفردت بها بعض المخطوطات وتعذر علينا تقويمها أوتبين وجهها الصحيح على حالها ، معقّبين فى الحواشى على ما نرى وجه الصواب فيه حتى لانتحكم فى وجه قد يكون بعيداً عن تقديرنا .

٥ — أضفنا فى نهاية كل قافية ما ورد من قصائد أو مقطوعات فى المخطوطات الأخرى مما لم يرد فى النسخة الأم ، وراعينا فى إثبات ذلك أقدمية كل مخطوطة .

ثم أتبعنا اختلاف الروايات فى الحواشى بشرح الكلمات أو توضيح المعنى إذا وجدنا ما يدعو إلى ذلك ، ثم شرح الحادث التاريخى الذى يشير إليه البيت ، والتعريف بالأعلام والأمم والقبائل والعقائد والمذاهب والملل والنحل وما يتصل بها من مراسم وأزياء ، والأعياد والأيام المشهورة والوقائع والحروب وما يتصل بها من سلاح وأدوات والمواضع من بلدان وأنهار وجبال وآثار وما يشبه ذلك ، ثم ما يتصل بالإنسان فى حياته الاجتماعية من وظائفه ومجالس علمه وأنسه ولهوه وشرابه وزينته ولباسه ، وما يصيبه من آفات وعلل ، ثم كل ما يتصل بالظواهر الطبيعية فى الأرض

والسماء والحيوان والطير والزهر والمعادن والأحجار وما يتعلق بهذا كله . وأشرنا إلى ماضمَّنه البحترىّ شعرَه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعر وحكم وأمثال .

ثم أتبعنا ذلك جميعه بسرد تاريخى لنصوص أبيات البحترى فى كتب الأدب المختلفة حسب أقدمية كل كتاب ليكون من ذلك موكب تاريخى للبيت وروايته على مر العصور .

وقدمنا حواشى القصائد بذكر موضع كل قصيدة من الطبعات الثلاث السابقات وبيان ما فى كل منها من نقص مشيرين إلى المخطوطات التى روتها ، ومعقبين ذلك بالترجمة للشخصية التى وجهت إليها القصيدة .

وحاولنا فى تحقيقنا أن نحدد لكل قصيدة تاريخها ، مستقرين ذلك من واقع الحوادث التى يشير إليها الشاعر ، وقد يتفق أن يذكر حوادث قديمة اشترك فيها الممدوح فى حين أن القصيدة لاترجع إلى تاريخ تلك الحوادث ، فنحاول التعمق فى حياة الممدوح وصلة الشاعر به لنصل إلى التاريخ الحقيقى للقصيدة . وفى أحيان أخرى كنا نجعل ألفاظ الشاعر التى يستعملها ويتردد ورودها على لسانه وتراود خاطره فى حقبة من الزمن أساساً يرتكز عليه تحقيق هذا التاريخ ؛ وبلغ عدد مالم نستطع تحديد تاريخ قاطع له حوالى ٥٠ قصيدة من ٩٣٣ .

أما كتاب « الحماسة » الذى اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضةً لكتاب «الحماسة» الذى ألفه أبو تمام حبيب بن أوس ، رواية أبى العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبى خالد الأحول عن أبيه عن البحترى ؛ كما ورد فى المخطوطة الوحيدة لهذا الكتاب المحفوظة بمكتبة كلية ليدن ، فقد ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ، وابن النديم فى الفهرست وابن خلكان فى وفيات الأعيان .

إلا أن البغدادى عبد القادر بن عمر قد شكّ فى أن للبحترى حماسة فقال فى «خزانة الأدب» (٣ : ٥٩١ بولاق) وهو يذكر الشاهد السادس والخمسين بعد السمائة — وهو بيت اختلف فى نسبته — فقال : « قال العينى : البيت للنابغة الذبيانى ، وقيل للنابغة الجعدى . والأصح أن قائله قيس بن الخطيم ذكره البحترى فى حماسته » . فعقّب البغدادى على ذلك بقوله : « ولم نسمع أن للبحترى حماسة » .

على أننا قد وجدنا البيت الذى قال العينى إنه فى حماسة البحترى منسوب إلى قيس بن الخطيم ، منسوباً فيها — فى الباب السابع والعشرين بعد المائة — إلى عبد الله بن معاوية ، وهو بهذه النسبة أيضاً فى « مجموعة المعانى » التى لم يعرف مؤلفها ، وهى مجموعة انتفعت بمختارات حماسة البحترى فى كثير من أبوابها ، ووجدناها تسير حتى فى ترتيب المختارات على نسق الحماسة .

ولقد نشرت حماسة البحترى لأول مرة بمطبعة بريل فى ليدن بالتصوير على المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة الجامعة فى ليدن (هولاندة) .

وقد وضع لها الأستاذان جاير ومركوليوث فهرسين : واحدا للشعراء ، والآخر للقوافى .

وفى سنة ١٩١٠ نقلها طباعة بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عن الطبعة المصورة الأب لويس شيخو اليسوعى . ولكن هذه الطبعة الجديدة لم تميز بين ما هو مكتوب على جوانب الصفحات بخطوط مغايرة للأصل من عمل من تملكوها فأضافت ذلك إلى متن الحماسة ، كما سقطت منها بعض المقطوعات الواردة فى المتن ، وسقطت أبيات من بعض المقطوعات علاوة على ماشابها من تحريف . ولم يتبين ناشرها أن فى المخطوطة اضطراباً فى ترقيم الأوراق فنشرها على علاتها حتى أن بعض المختارات جاءت فى غير أبوابها ، فأضيفت مثلا أبيات للقتّال الكلابى مضمومة اللام إلى أبيات للعباس بن مُرداس .

ثم ظهرت لها طبعة أخرى سنة ١٩٢٩ نشرت فى مصر عام ١٩٢٩ ، نقلها عن الأصل المصور وعلق عليها بعض حواش الأستاذ كمال مصطفى . ولكنه لم يتبين كذلك الاضطراب فى أوراقها فوقعت طبعته فى العيب الذى شاب طبعة شيخو — ولم يتنبه إليه أحد من قبل — واستدرك ناشر الطبعة المصرية بعض ما سقط من مقطوعات وأبيات فى الطبعة البيروتية ، ولكنه لم يستطع استيفاء ذلك كله ، ولم ينف عنها الدخيل مما على جوانب الأصل المخطوط .

وقد قوّمنا هذا الاضطراب ، وأعدنا ترتيب الصفحات ، ورددنا المختارات إلى أبوابها الأصيلة ، ونفينا عن الحماسة كل غريب أدخل عليها ، وحققنا نسبة الأبيات إلى أصحابها وخرّجناها وأوضحنا غريبها عندما تصدينا لتحقيقها .

وتتميز « حماسة البحترى » عن « حماسة أبى تمام » بالذوق الشاعرى الذى يتميز به البحترى عن غيره من رقة الشعور ، ورهافة الحس ، وصفاء الماء ، وجلاء الرونق ؛ حتى أنه إذا ما رجعنا إلى البيت أو الأبيات التى يختارها من قصيدة وجدنا أنها أجمل وأعذب وأروع ما فى تلك القصيدة .

وهى إلى جانب هذا التميُّز ، تمتاز بكثرة الأبواب وتنوع الأغراض ، وبالعدد الضخم من الشعراء والشواعر أصحاب هذه المختارات ، وعدد المقطوعات التى تضمنتها .

إن حماسة أبى تمام لاتنطوى إلا على أحد عشر باباً تضم حوالى ٨٨٠ حماسية لقرابة ٤٣٠ شاعراً ، فى حين إن حماسة أبى تمام تنطوى على ١٧٤ باباً تضم ١٤٦٠ حماسية لأكثر من ستمائة شاعر . على أننا نجد الشاعرين أحياناً قد اختارا أبياتاً بعينها .

*

أما ما ألفه الأقدمون عن البحترى فقد أحصينا ما ظهر منها ونشر ، وما ذكرته بعض المصادر ولم يعرف مصيره :

١ — كتاب « الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى » لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠هـ . وقد نشرت له طبعات مختلفة فى الآستانة وبيروت والقاهرة حتى قام الأستاذ السيد أحمد صقر فحققه جزءين نشرتهما دار

المعارف سنة ١٩٦١ وسنة ١٩٦٥ ، وبقى قسم لم ينشر .

٢ — وللآمدى كتاب آخر هو « معانى شعر البحترى» الذى أشرنا إليه من قبل ، وهو مفقود .

٣ — كتاب « أخبار البحترى» لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥هـ . وقد حققه الدكتور صالح الأشتر ونشر فى مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٨ .

٤ — وورد قسم تناول فيه الصولى شعر البحترى فى كتابه « أخبار أبى تمام » الذى حققه الأساتذة خليل عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندى ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٧ .

٥ — كتاب « طيف الخيال » الذى ألفه الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، وقمنا بتحقيقه ، ونشرته الإدارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٦٢ بالاشتراك مع دار إحياء الكتب العربية. وقد تناول فى قسم كبير منه ما ذكره البحترى فى شعره عن الطيف .

٦ — كتاب « عبث الوليد » الذى ألفه أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ ، وقام بتصحيحه والتعليق عليه محمد عبد الله المدنى ، ونشر فى دمشق سنة ١٩٣٦ .

وقد قمنا بتحقيقه على ضوء تحقيقنا للديوان والمخطوطات التى ذكرت كثيراً من الشعر المفقود للبحترى الذى أشار إليه أبو العلاء فى تعليقاته .

٧ — كتاب « المختار من شعر المتنبى والبحترى وأبى تمام » الذى وضعه عبد القاهر الجرجانى وحققه الأستاذ عبد العزيز الميمنى ونشره فى مجموعة « الطرائف الأدبية » بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .

٨ — كتاب « السفينة » لابن مباركشاه المصرى المتوفى سنة ٨٦٢ حيث اختار فيه طائفة من شعر البحترى ، منها عدد من مقطوعاته المفقودة ، وهو مخطوط .

٩ — كتاب « اختيار شعر البحترى» للخالديين أبى بكر محمد بن هاشم وأبى عثمان سعيد بن هاشم . ذكره ابن النديم ، وهو مفقود .

١٠ — كتاب « شرح شعر البحترى » لأبى جعفر محمد بن إسحاق الزوزنى البحاثى المتوفى سنة ٤٦٣ . ذكره ياقوت ، وهو مفقود .

١١ — كتاب « شرح شعر البحترى وأبى تمام » الذى ألفه على بن زيد البيهقى المتوفى سنة ٥٦٥هـ ذكره ياقوت ، ولم يعثر عليه .

١٢ — كتاب « سرقات البحترى من أبى تمام » لأحمد بن أبى طاهر . ذكره ابن النديم وياقوت ، وهو مفقود .

١٣ — كتاب « سرقات البحترى من أبى تمام » لأبى الضياء بشر بن يحيى بن على القينى النصيبى . ذكره ابن النديم وياقوت ، وهو مفقود أيضاً .

هذا هو البحترى ، الشاعر الذى عرف بأنه أبرع من وصف الطيف ، وأبدع من وصف الخيل ، والذى فضله معاصروه على أبى تمام كما يقول ياقوت فى ترجمته له .

حسن كامل الصيرفى

« بحث » : معناها لغة التفحص والتفتيش ، واصطلاحاً إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال (انظر كتاب التعريفات مادة « بحث ») . والبحث معناه من حيث العمل المناقشة أو فن المناظرة والجدل ، ويتصل فى المعنى بكلمة « نظر » ، ونجسد فى المسعودى مثالا جيداً على هذا الاستعمال (مروج الذهب ، جـ ٦ ، ص ٣٦٨) فهو يروى أن يحيى بن خالد البرمكى كان ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام وغيرهم من أهل البحث والنظر .

وكان كثير من علماء الشرق وأمرائه مشغوفين بالمناظرة ، فالمسعودى يحدثنا عن مناظراته هو مع اليهود (التنبيه ، ص ١٦٠ وما بعدها) . وكان ابن سينا يجادل فى حضرة علاء الدولة . ولدينا أخبار كثيرة عن المناظرات التى كانت تحدث بين المسلمين والنصارى فى أزمان مختلفة .

[كارّا ده فو Carra De Vaux]

+ بحث ، مصدر الفعل العربى « بـحـث » من معناه الأصلى : « ينقب ، يحفر ، يقلب الأرض (طلبا لشئ) » ، ثم نشأ بعدئذ معنى اللفظ : « يفتش ، يتفحص ، ينظر فى » بالمفهوم العقلى والنظرى ، وأصبح اللفظ « بحث » بهذا المعنى مرادفاً للفظ « نظر » أو يكاد ، والواقع أن بحث ونظر كثيراً ما يردان مقترنين (مثال ذلك : المسعودى ، المروج ، جـ ٦ ، ص ٣٦٨ ؛ أهل البحث والنظر) وكان « كتاب البحث » جزءاً من مجموعة المصنفات المنسوبة إلى جابر بن حيّان ، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجرى (= التاسع الميلادى ؛ انظر Brockelmann ، قسم ١ ، ص ٤٢٩) : ومنذ ذلك الحين وكلمة بحث — وجمعها أبحاث — تظهر فى عناوين عدة مصنفات بمعنى « الدراسة ، الفحص ، التحقيق » (وكذلك فى صيغة مبحث — وجمعها مباحث — وهى لا تدل على موضوع البحث وحده بل على التحقيق نفسه أيضاً) . وكثيراً ما يستخدم اللفظ فى هذه الصيغة فى العربية الحديثة بالمفهوم الإصطلاحى والعلمى « للدراسة » ، مثال ذلك مباحث عربية لبشر فارس (القاهرة ، ١٩٣٩) .

صبحى [گابريلى F. Gabrieli]

+ « بَحْدَل » بن أُنَيْف بن وَلْجة بن قُنافة : من عشيرة بنى حارثة بن جَناب المعروفة أيضاً باسم « اليت » ، وهم أشراف كلب ، وكان بحدل نصرانياً كأكثر رجال قبيلته ، وترجع شهرته إلى أنه أبو ميسون التى أنجبت يزيد بن معاوية .

وكانت عشيرته ، وهى من العرب الرحل ، تعيش إلى الجنوب من تدمر حيث نشّأت ميسون فيما بعد ابنها يزيد ، وقد اجتمع الأمويون فى تلك البقعة أيضاً قبل خلافة [illegible] وقعة مرج راهط .

وكان بحدل الأصل فى هذا المجد العظيم الذى حازته قبيلة كلب طوال عهد الأمويين . أما هو فلم يكن له فى السياسة شأن فعّال ؛ واتهم ابن من أبنائه إبان خلافة يزيد بن معاوية بأنه كان يضمر النصرانية ، ولاشك فى أن بحدل توفى على النصرانية بعد أن شيّخ ؛ والراجح أن ذلك كان قبل وقعة صفين التى قاد فيها أحد أبنائه قضاعة دمشق . وحل محله بعد وفاته أبناؤه وغدوا أهم الشخصيات فى الدولة الأموية ، وأصبح أنصار بنى أمية يعرفون بعد ذلك باسم « البَحْدَلية » .

وقد جرؤ حفيده حسّان ، الوصى على أبناء يزيد ، على أن يمهد السبيل لنفسه بعد وفاة معاوية الثانى لكى يخلفه على العرش .

وكانت تلك السيطرة المسرفة لأسرة بحدل وبنى كلب بعد موقعة مرج راهط من العوامل القوية التى أدت إلى انقسام العرب إلى حزبين : حزب القيسية وحزب اليمنية .

المصادر :

(١) الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٥٧٧ (٢) ابن دريد ، طبعة فستنفلد ، ص ٣١٦ (٣) الحماسة ، طبعة فريتاغ Freytag ص٢٦١ ، ٣١٨–٣١٩ ، ٦٥٩ (٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ (٥) الدينورى ، طبعة كيرگاس Guirgass ، ص ١٨٤ ، ٢٧٥ (٦) المسعودى : التنبيه والإشراف ، طبعة ده غويه ، ص ٣٠٥ (٧) A. Musil : Kusair Amra ، ص ١٥١ .

[لامنس H. Lammens]

+ « بحر » : البحر ضد البر وهو كذلك النهر الدائم الجريان ؛ والمواد التالية تتناول البحار الرئيسية المعروفة عند العرب ؛ على أن من المناسب فى هذا المقام أن نلاحظ أن علم نظام الكون عند المسلمين على أساس التصور الذى يروى عادة منسوباً إلى كعب الأحبار (انظر هذه المادة) يجعل جبل قاف (انظر هذه المادة) ، الذى يحيط بالكرة الأرضية ، محاطاً هو نفسه بسبعة بحار متحدة المركز متشابكة ، وهذه البحار تحمل الأسماء التالية على وجه الترتيب : نيطَس (أوبَيْطَش) ، وقَيْنَس (أوقُبَيْس) ، والأصَمّ ، والساكن ، والمُغَلَّب (أو المظلم) ، والمؤنّس (أو مَرْماس) ، ثم الباقى ؛ ولكن من الراجح أن هذه الأسماء تطابق الحقائق الجغرافية ؛ والحق إن نيطَس (وصيغه المختلفة) هو تحريف فى رسم بُنْطُس (= پنطس باليونانية أى البحر الأسود) ؛ أما قَيْنَس (بصيغه المختلفة) فمشتق من الأقيانوس (= أوكيانوس باليونانية أى المحيط الأطلسى) ؛ وتجد تحقيقاً اجتهادياً للأسماء الأخرى عند أنستاس (P. Anastase - Marie de St. Alie : نشوء اللغة العربية ، القاهرة سنة ١٩٣٨ ، ص ٨٣ — ٨٤ ؛ الجاحظ : رسالة التربيع ، طبعة Pellat ، مادة « بنطس »)

المصادر :

(١) القزوينى : .Cosmog ؛ ص ١٠٤ (٢) الكسائى : قصص الأنبياء ، ليدن ١٩٢٢ — ١٩٢٣ ص ٩ ؛ وانظر أيضاً مصادر مادة «قاف» .

صبحى [هيئة التحرير]

+ «بحر» : (انظر مادة «عروض») .

« البحر الأَبيض » : الاسم العربى لما يعرفه الغربيون بالبحر المتوسط Mediterranean (انظر مادة «بحر الروم» ومادة «بحر المغرب»)

+ « بحر أَدْرِيَاس » : اسم البحر المعروف فى الكتب الجغرافية العربية .

« البحر الأَسود » : ويسمى فى اللغة التركية قره دكيز» ، وكان يسمى فى الجغرافية القديمة والبوزنطية بحر پنطس *Pontus Euxinus* . وأخذ جغرافيو العرب الاسمين اليونانيين *Pontus, Maeotis* پنتس ومايوتيس (أى بحر آزوف) ورسموهما بنطس ومايطس ، ثم نطقهما العرب وكتبوها منذ وقت متقدم نيطش ومانيطش (انظر ماكتبه جوينبول Juynboll على مراصد الاطلاع ، جـ ٤ ، ص ١٩٤) . واستمرت هذه الأسماء المصحفة تستعمل حتى فى آخر ما صنفه الجغرافيون المشارقة . وأطلق العرب على البحر الأسود أسماء أخرى مثل بحر طَرَابِزُنْدَة وبحر القِرِم وبحر الروس (انظر فيما يتعلق ببحر الروس *Mer de Rossa* فى Villeha-rdouin طبعة وايلى Willy ، فصل ٢٢٦) ؛ ويفسر هذه الأسماءاشتغال مسلمى الشرق بالتجارة مع أطرابزندة وسواحل روسيا الجنوبية (انظر ياقوت : معجم البلدان ، طبعة ڤستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٩٩ ؛ الدمشقى : نخبة الدهر ، طبعة مهرن Mehren فى مواضع مختلفة ؛ أبوالفداء : تقويم البلدان ، طبعة رينو Reinaud فى مواضع مختلفة؛ المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ وما بعدها؛ Marquart : *Osteuropaeische u. ostasiatische Streifzuege* ، ص ١٦٢ ، ٣٣٣) . أما فى الفقرات التى يراد فيها باستعمال الاسم «بحر الروم» الذى يدل فى غير هذا الموضع على البحر المتوسط فحسب (انظر الگرديزى فى Marquart ، المصدر المذكور آنفاً ، ص ١٦١ ؛ الدمشقى : كتابه المذكور ، ص ١٣٨ ، س ١٨ ؛ ص ٢٥٩ ، س ٤ وما بعده) «البحر الأسود» فإنه ينبغى تصحيح بحر الروم إلى «بحر الروس» ؛ وقد أطلق اسم بحر الخَزَر أيضاً — وهو فى الأصل اسم بحر قزوين — للدلالة على البحر الأسود (انظر ابن خرداذبه : المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٦ فى مواضع مختلفة ؛ المسعودى : كتاب التنبيه ، المكتبة الجغرافية العربية، جـ ٨ فى مواضع مختلفة) . ويقول المسعودى فى كتابه التنبيه (ص ٦٧) إن الخلط بين الاسمين نشأ من ظن البعض خطأ أن البحرين متصل أحدهما بالآخر . كما توسع فى الوقت نفسه فى اسم مانيطس (مانيطش) فجعل

يشمل البحر الأسود (انظر المسعودى : كتاب التنبيه ، ص ١٣٨ : ١٤٠ ؛ مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ وما بعدها ؛ الدمشقى : كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٣٨ ، س ١٨ ، ص ١٤٣ ، س ١٣ وص ٢٢٨ ، س ١٧) . وربما كان اسم بحر الخزر لم يطلق فى أول الأمر إلا للدلالة على بحر آزوف ثم استعمل خطأ بحيث شمل مدلوله أيضاً البحر الأسود .

وجميع هذه الأسماء التى ذكرناها قضى عليها جميعاً اسم قره دكيز الذى نجده مستعملا لأول مرة فى القرن الثالث عشر ؛ ولاشك فى أنه الاسم الذى أطلقه على البحر الأسود الترك والتتر الذين نزلوا على شواطئه فى جنوبى الروسيا . وقد فهم كتاب الغرب فى ذلك الوقت أن اسم قره دكيز معناه البحر الأعظم (انظر Locus Classicus, Rubruquis ، طبعة برجرون Bergeron ، ص ٢ حيث يقول : فى بحر بنطس الذى يسميه البلغار البحر الأعظم ؛ Vincentius : Haython فى *Mare Majus* ، الفصل الأول ؛ Marco Polo ; Bellovacensis فى Mar Majour & Ghillebert de Lannoy *Mer Mayor* ؛ Bertandon de la Broquière فى *The Crete Sea* ; Clavijo فى Chauser : *Prologue* ، ١ ، ٥) وفهم القليل جداً من هؤلاء الكتاب أن اسم قره دكيز معناه البحر الأسود (انظر Schiltberger الذى ذكره أيضاً باسم البحر الأعظم فى كلامه عن حوادث سنة ١٣٣٨ م فى Yule : *Cathay* الخ ؛ الطبعة الجديدة التى أصدرها كورديه H. Cordier ، جـ ٣ ، لندن ١٩١٤ ، ص ٨١ ؛ وذكر باسم البحر الأسود فى وثيقة تاريخها سنة ١٤٧٣ م فى Berchet : *La Reppublica di Venezia e la Persia* ، البندقية سنة ١٨٦٥ ، ص ١١) .

وقد أطلق عليه العرب اسم البحر الأسود (انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣١ ؛ الدمشقى : كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٢٢٠ . أما البحر الأعظم الذى ورد ذكره عند ابن خرداذبه ، ص ١١٠ فينبغى أن يفسر على أنه شىء آخر) .

أما اليونان فلم يطلقوا عليه إلا اسم ماورى تالاسا *Mavri thalassa* ، ونجد هذا الاسم لأول مرة فى المعاهدة التى عقدت مع البندقية سنة ١٢٦٥ م (انظر : *Fontes Rerum Austr.* جـ ٢ ، ف ١٤ ، ص ٦٢) كما نجده مذكوراً بهذا الاسم فى مصنفات القرن السادس عشر (انظر Leunclavius : *Pandectes Hist. Turc.* ف ١٤٨) .

أما الفرنسيون والإيطاليون فقد أطلقوا عليه اسم *Mer Majour* و *Mare Maggiore* إلى النصف الأول من القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الوقت نجد اسم البحر الأسود فى جميع المصنفات الجغرافية .

والتفسير القديم لاسم «قره دكيز» على أنه «البحر الأعظم» يقول إن كلمة «قره» فى هذا المقام لاشأن لها باللون ، ولكن معناها ــ كما لو كانت مقرونة باسم العلم هو : العظيم أو القوى أو الفظيع ،

وربما كان المراد بهذا الإشارة إلى مخاطر السفر فى ذلك البحر الذى تكثر فيه العواصف والأنواء فى الطقس الردىء ؛

وينبغى ألا تقبل جميع المحاولات الأخرى التى اجتهدت فى تفسير معنى هذا الاسم ، وبخاصة قول أولئك الذين أرادوا أن يجعلوا اسم البحر الأسود مستعملا عند اليونان والبوزنطيين ، أو الرأى الذى ذهب إليه ده سوسير Le. de Saussure فى مقاله القيم الذى كتبه بعنوان « أصل أسماء البحر الأحمر والبحر الأبيض والبحر الأسود (*L'origine des noms de Mer Rouge, Mer Blanche et Mer Noire* » ونشره فى « *Le Globe* » ج ٤٣ ، ص ٣ ، وما بعدها) ، وأراد به أن يرد هذا الاسم إلى طريقة تصور أهل الشرق الأقصى للعالم .

وليس ينبغى لنا أيضاً أن نذكر فى تأييد أن كلمة « قره » فى هذا المقام معناها الأسود تسمية الترك للبحر الأبيض باسم « آق دكيز » أى البحر الأبيض ، يقصدون بذلك المقابلة بين الوصفين ، كما أننا لانستطيع تبرير وجود التسمية « السحر الأسود » فى القرون الوسطى بقولنا إنه كانت توجد فى ذلك الوقت تسمية هى السحر الأبيض .

وقد بقى إلى الأزمنة الحديثة اسم بحر الخزر مصحفاً باسم بحر الحزر على إعتبار أنه اسم لبحر آزوف ، وهذا التصحيف سببه الخطأ فى تنقيط الحروف .

وبعد أن ظل البحر الأسود مغلقاً فى وجه التجارة خلال القرون التى شهدت عهد البوزنطيين أبيح للبنادقة وأهل جنوة فى النصف الأخير من القرون الوسطى أثناء حكم الأسرة الكومنينية والأسرة الباليولوغية ، وبهذا أصبح مفتوحاً للتجارة الأوربية مع الشرق الأدنى والشرق الأقصى .

وأنشأ الفرنجه مستعمرات مستقلة فى الكفة وتانه وأماصره وصامسون ، وغيرها أصغر منها فى سنوب وأطرابزندة ؛ وبعد سقوط القسطنطينية أغلق محمد الفاتح البحر الأسود فى وجه السفن الأجنبية بأن سد المضيقين ، وقضى تدمير أماصرة سنة ١٤٥٩ م وسنوب وأطرابزندة سنة ١٤٦١م والكفة سنة ١٤٧٥ على تجارة الفرنجة قضاء مبرماً ، وأصبح البحر الأسود بحرا تركيا داخلياً (باليونانية « بنطس أكسينوس ») وليس لعلم أن يرفرف على سفينة فيه إلا إذا كان علماً تركياً ؛ وكان تقدم الإمبراطورية الروسية نحو الشاطئ الشمالى للبحر الأسود السبب فى أن فتح للتجارة البحرية الروسية بموجب المادة العاشرة من معاهدة « كوچوك قينارجه » التى عقدت سنة ١٧٧٤م ؛ ثم للتجارة النمساوية بعد ذلك بعشرة أعوام ، أى فى سنة ١٧٨٤م وللتجارة البريطانية سنة ١٨٩٩ : وفى القرن التاسع عشر أبيح دخول البحر الأسود للسفن الأوربية الأخرى ؛ فسمح لسفن فرنسا بذلك فى سنة ١٨٠٢م ثم تبعتها الدول البحرية الصغرى ؛ وعقدت فى سنة ١٨٢٧م آخر معاهدة خاصة بهذا الموضوع ؛ ولم يكن مسموحاً للسفن الحربية الأجنبية حتى زمن قريب بأن تعبر المضيقين للذهاب إلى البحر الأسود .

وانظر مادة « بحر بنطس »

المصادر :

لم يكتب بعد تاريخ الأسماء المختلفة التى أطلقت على البحر الأسود .

(١) والكتاب الرئيسى الذى صنف فى موضوع التجارة فى ختام العصور الوسطى هو W. Heyd : *Histoire du Commerce du Levant* ، ليبسك سنة ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ؛ ونشر مرة أخرى فى سنة ١٩٢٤ م (٢) انظر فيما يختص بالتجارة فى عهد الترك Ch. Peyssonel : *Traité sur le commerce de la Mer Noire* ، باريس سنة ١٧٨٧ (٣) وعن العهد الأخير Hommaire de Hell : *Les Steppes de la Mer Caspienne* ، باريس وستراسبورغ سنة ١٨٤٣ — ١٨٤٥ (٤) P. Hadji Mischef : *La Mer Noire et le Détroits de Constantinople* ، باريس سنة ١٨٩٩ وقد ناقش فيه المؤلف بالتفصيل الحوادث السياسية التى أدت إلى فتح البحر الأسود للسفن فى القرن الثامن عشر (٥) انظر التعليق على الكتاب السابق فى : جودت : تأريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ وجـ ٧ ، ص ٨٤٥ وما بعدها (٦) Noradounghian : *Recueil des traités internationaux de l'Empire Ottoman* ، جـ ١ ، جـ ٢ ، باريس وليبسك سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٠ م وقد أورد المصنف فى هذا الكتاب الوثائق التى تتعلق بالموضوع .

[مورتمان J.H. Mordtmann]

+ « بحر البنات » : هو الاسم الذى أطلقه العرب على جزر الأرخبيل القائمة تجاه الشاطئ الغربى للخليج الفارسى ، ويطلق الإدريسى عليه « بحر الكثر » .

المصادر :

Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٢ ، ص ٣٩٠ ، ٥٨٩ وما بعدها .

+ « بحر بُنْطُس » Pontus Euxinus أو البحر الأسود ، ويصحف الاسم فيطلق عليه بحر نيطس (نيطش) ، وهو تحريف شاع حتى استقر (نفس مجرى الحروف مع اختلاف فى التنقيط والنطق) ؛ ونسبة إلى أسماء الشعوب والمدن المجاورة له أطلق عليه أيضاً اسم بحر الخزر (ابن خرداذبه ، ص ١٠٥ ، وربما التبس اسمه باسم بحر قزوين ، انظر مادة « بحر الخزر ») ، وبحر الروس ، وبحر البُرْغَر أو بحر البُرْغَز (بحر البلغار) وبحر طَرَابزَنْدَة ، وبحر نيطش الأرمنى ، وبحر القسطنطينية ، ودريا ى گُرْزِيان أو بحر الكرج (فى كتاب حدود العالم فحسب) ؛ وإنما ظهر الاسم « البحر الأسود » فى الأزمنة المتأخرة وفى رواية المسعودى (التنبيه ، ص ٦٦ — ٦٧) الذى يكتب سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) : يمتد بحر بنطس من اللازقة (وفى اليونانية لازكى) فى الشرق إلى القسطنطينية ، مسافة ١٣٠٠ ميل ، بعرض ٣٠٠ ميل ، وهو يتصل ببحيرة أو بحر مايطس (بحر آزوف انظر مادة « بحر مايطس ») ؛

ومن الأنهار التي تصب فيه نهر طنايس (الدون) ونهر الدانوب ؛ ومن بحر بنطس يخرج خليج القسطنطينية أي مضيق البوسفور ، وبحر مرمرة والدردنيل وهي تنصب في بحر الروم (أو البحر المتوسط) ، وطول المضيق ٣٥٠ ميلا ؛ ويقول المسعودي في خبر مناظر لذلك كتبه قبل ذلك (المروج ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ — ٢٦٢) إن طول بحر بنطس ١١٠٠ ميل وإن مجرى الدون نحو ٣٠٠ فرسخ ؛ ونجد هذا الخبر العام نفسه في ابن رسته (ص ٨٥ — ٨٦ ، حوالي سنة ٢٩٠هـ = ٩٠٣م) ؛ وقد ظن البعض ، مثل ابن خرداذبه (ص ١٠٣) ، أن بحر بنطس يخرج من بحر الخزر ، وينكر المسعودي هذا (المروج ، جـ ١ ، ص ٢٧٣) ، وإنما يكتفي بالقول إن البحرين متصلان (التنبيه ، ص ٦٧) ؛ وفي رواية مروج الذهب (جـ ٢ ، ص ١٨ وما بعدها) إن الطريق من بحر بنطس إلى بحر الخزر كان يمر بخليج نيطس (مضيق كيرتش) ونهر الدون ونهر الفولجا ، متخذا المسلك بين الدون والفولجا ، أي الطريق الذي يسمى في مكان آخر الطريق الخزري ؛ وقد تصور المسعودي نفسه — الذي يظهر اهتماماً أكبر ببحر بنطس يفوق اهتمام جغرافيي المدرسة البلخية الإصطخرية — وجود اتصال مباشر بين البحر الأسود والمحيط الأطلسي ؛ وقد أخذ بهذا الرأي من بعدُ البيروني (القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ١٠٤) .

وبمرور الزمن ظهرت أسماء أماكن جديدة على بحر بنطس ، مثال ذلك ما وقع بعد غزو السلاجقة آسية الصغرى من قيام المدينتين اليونانيتين القديمتين سنوب (Sinope) وصامسون (Amisus) اللتين ذكرهما أبو الفداء ؛ وكذلك ذكر النويري مدينتي القفجاق سوداق وقرم ، وقد شيدت الأولى في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وأعطت اسمها للبحر فترة من الزمن (بحر سوداق) ؛ أما فيما يختص بالعهد العثماني فانظر مادة « قره دكيز » .

المصادر :

علاوة على المصادر التي وردت في صلب المادة انظر : (١) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ و٤٠١ و٤٩٩ و٧٤٦ (٢) أبو الفداء : التقويم ، ص ١٣ ، جـ ٣٩٢ — ٣٩٣ (٣) النويري : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٨ (٤) حدود العالم ، ص ٣٢ ، و١٨١ — ١٨٣ .

صبحي [دنلوب D.M. Dunlop]

« بحر الخزر » ويسمى بالفارسية « درياى خزران » : يطلق معظم جغرافيي العرب اسم بحر الخزر على بحر قزوين نسبة لشعب الخزر الذين يسكنون هذه البلاد التي كانت في العهد الذي نشطت فيه كتابة المؤلفات الجغرافية العربية — أي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) — تمتد على الشاطئ الجنوبي لبحر الخزر بما فيه مدينة إتل التجارية الهامة القريبة من مصب نهر الفولجا . وليس من شك في أن هذا الاسم كان يطلق فيما ندر (عند ابن خرداذبه ومن أخذ عنه كقدامة والمسعودي) على البحر الأسود بما فيه بحر آزوف (مانيطش) لأن

سلطان الخزر كان يمتد أيضاً على جزء من شبه جزيرة القرم .

ويظهر أن هذه التسمية لم تكن مستعملة فى غير العالم الإسلامى . أما الاسم الروسى القديم Khwalimskoje more ، ويكتب كذلك Khwalisskoje more أو Khwalinskoje more ، فهو على التحقيق ذو صلة باسم « بلاد خوارزم » وإن كان العرب والفرس لايقصدون من اسم بحيرة أو بحر خوارزم إلا بحر آرال .

ويسمى بحر قزوين أيضاً فى المؤلفات الإسلامية بأسماء أخرى تبعاً للأقاليم المختلفة التى تقوم على سواحله ، فهو يسمى « بحر جرجان » وهذا الاسم مرادف للاسم القديم « البحر الهرقانى » mer Hyrcanienne ؛ وبحر آبسكون نسبة للثغر الواقع عند مصب نهر كركان ؛ وبحر طبرستان أو مازندران ، وبحر الديلم ، وبحر جيلان . وسمى هذا البحر أيضاً منذ العهد المغولى باسم بحر شيروان أو بحر باكو . وظهرت هذه التسمية الأخيرة كذلك فى المصادر الأوربية خلال العصور الوسطى هى واسم بحر سراى .

وكثيراً ما يطلق اسم بحر القلزم — وهو الاسم الخاص بالبحر الأحمر — على بحر قزوين . ويسمى هذا البحر أيضاً فى المصادر التركية باسم « بحر الغُزّ » نسبة للقوم الرحل المعروفين الذين انحدر منهم التركمان والعثمانيون ، ويسمى كذلك « آق دكيز » وإن كان هذا الاسم يطلق بصفة خاصة على البحر المتوسط .

المصادر :

(١) G. le Strange : *The lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج سنة ١٩٠٥ ، ص ٢٢ — ٢٣ ، ١٣٦ ، ١٨٠ (٢) J. Marquart : *Osteuropaeische und Ostasiatisege Streifzuege* ليبسك سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٣٥ ، وفى هذا الكتاب ذكر لفقرات المسعودى التى لا تشير إلى بحر آزوف وإنما تشير إلى البحر الأسود (٣) P. Raphaël du Mans : *Estat de la Perse en 1660* نشره شيفر Schefer بباريس عام ١٨٩٠ ، ص١ (٤) *Carta Catalana* فى *Notices et Extraits* مجلد ١٤ ، ج ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ .

[بارتولد W. Barthold]

+ بحر الخزر : التسمية العربية الشائعة لبحر قزوين ، وكان يسمى أيضاً البحر الخزرى ، وكان له إلى ذلك عدد من الأسماء الأخرى هى البحر الخراسانى ، وبحر جرجان ، وبحر طبرستان ، ونحوها ، وهى أسماء محلية كثيراً ما كانت تطلق على البحر كله (انظر المسعودى : المروج ، ج ١ ، ص ٢٦٣) ؛ ويذكر الدمشقى أن الترك فى زمنه (حوالى سنة ٧٢٣هـ = ١٣٢٠م) كانوا يسمونه بحر قُرْزُم أى بحر القُنْدُس (طبعة Mehren ، ص ١٤٧) ؛ ومن ثم فإن بعض الناس فى قول حمد الله مستوفى (نزهة القلوب ، ص ٢٣٩ ؛ الترجمة ص ٢٣١) يخطئون فيسمون بحر الخزر بحرَ القلزم ، وهى تسمية تدل فى وجهها الصحيح على البحر الأحمر (Sea of Clysma) ؛ أما المقدسى

فيشير إلى بحر الخزر بقوله البحيرة وحسب (المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ و ٣٦١) . ولعله يجعلها عين بحر آرال (بحيرة خوارزم) ؛ أما التسمية الشائعة ، وهى بحر الخزر ، فتشير إلى مملكة الخزر التى كانت تحتل فى القرون الوسطى المبكرة شواطئ البحر شمالى بلاد القوقاز حتى مصب نهر أتل (الفولجا) بل أبعد من ذلك شمالا وشرقاً ، ويخصص جغرافيو مدرسة البلخى الجزء الأعظم من رواياتهم عن بحر الخزر لوصف مملكة الخزر .

وفى عهد الخلافة لم تمتد ممتلكات المسلمين على بحر الخزر قط إلى ماوراء القوقاز فى الغرب ، وجرجان فى الشرق ، وتشمل فى رحلة المسافر جنوباً ثم شرقاً من باب الأبواب (انظر هذه المادة) : شروان وآذربيجان بما فى ذلك موقان وجيلان (جيل) وطبرستان (التى سميت من بعد مازندران) وجرجان ؛ وكانت صحراء الأتراك الغز تمتد شمالى نهر آترك الذى كان يمثل حدود جرجان ، ثم وراء ذلك أيضاً ، وربما كانت تقوم فى الجانب الآخر من هضبة الأوست أورست أراضى الخزر .

وكانت الأنهار الرئيسية التى تصب فى بحر الخزرهى نهرجام (جم ، إمبا) ونهر جيِّخ (الأورال) فى الشمال ، وأتل (الفولجا) فى الشمال الغربى ، والمجرى المتحد لنهر الكُرّ والرّس فى الغرب ، بما فى ذلك نهر جرجان ونهر آترك فى الركن الجنوبى الشرقى ، ومن الحقائق المشهودة الجيدة السند فيما يظهر (انظر Le Strange ، ص ٤٥٥ — ٤٥٨) ، أن المجرى الرئيسى لنهر جيحون ظل منذ غزو المغول لخوارزم سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) يصب فى بحر الخزر عدة قرون ، وكان حتى ذلك الحين يصب فى بحر آرال ؛ ومن ثم استأنف النهر مجراه القديم الذى كان معروفاً من أخبار حملات الإسكندر الأكبر ، وقد غير النهر بعض الوقت فى القرن الحادى عشر مجراه مرة أخرى ، وهو الآن يصب فى بحر آرال كما كان يفعل من قبل

وكانت الجزائر المهمة فى البحر ، كما ذكرها ابن حوقل وكتاب حدود العالم ، هى سياهكوه أو سياهكويه ، وقد جرى القول فى الوقت الحاضر بأنها هى منغيشلاق الحالية وجزيرة باب الأبواب التى لا يمكن التعرف عليها الآن على وجه التحقيق (انظر حدود العالم ، ص ١٩٣) ؛ وسيف بحر الخزر منخفض عادة فيما عدا ساحله الجنوبى وجزءاً من ساحله الغربى ، وسلسلة جبال بلخان الكبرى وبلخان الصغرى شرقى كراسنوفودسك ليست مرتفعة جداً ، ومع ذلك فهى من المعالم فى الجانب المتجه نحو اليابسة ، وقد قدر بحر الخزر تقديراً حديثاً فبلغ ٧٦٠ ميلا ، ويقدر المسعودى طوله بثمانمائة ميل وعرضه بستمائة ميل أو أكثر (التنبيه ، ص ٦٠) ، ولكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيراً ؛ ويعرف المسعودى حق المعرفة أن بحر الخزر لا يتصل ببحر مايطس (بحر آزوف) وبحر نيطس (البحر الأسود ؛ مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤) .

وظل الخزر يعملون زمناً طويلا وسطاء بين أهل الشمال وأهل الأراضى الإسلامية ، وثمة أدلة كثيرة على قيام نشاط تجارى فى الناحيتين كان مجراه المائى نهر أتل (الفولجا) وبحر الخزر نفسه ، وبدأت السفن الحربية الروسية آخر الأمر تهبط نهر الأتل مارة ببلاد الخزر إلى بحر الخزر ، ووجود هؤلاء المغيرين كان سمة من سمات تاريخ هذا الجزء من العالم فترة طويلة ترجع إلى ما قبل سنة ٩٠٠م ؛ وقد تسببت غزوات المغول فى قيام أسر إسلامية جديدة فى شمالى بحر الخزر وكذلك فى جنوبه ؛ وقضى التقدم الروسى منذ زمن طويل على سلطان خانات السهوب، ويسيطر الروس اليوم على جزء من سيف البحر أكثر مما كان يسيطر عليه الخزر فى عز سلطانهم .

المصادر :

(١) الاصطخرى ، ص ٢١٧ — ٢٢٧ (٢) ابن حوقل، طبعة ده غويه De Goeje ، ص ٢٧٦ — ٢٨٧؛ وطبعة كرامرز Kramers ، ص ٣٨٦ — ٣٩٨ (٣) المسعودى : التنبيه ، ص ٦٠ — ٦٦ (٤) الإدريسى، طبعة Jaubert ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ — ٣٤٣ (٥) حدود العالم، فهرس (٦) أ. زكى وليدى طوغان : *Ibn Fadlan's Reisebericht, A.K.M.*، جـ ٢٤ ، ص ٣ ، ليبسك سنة ١٩٣٩ (الأحوال شرقى بحر الخزر فى القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) ؛ (٧) D.M. Dunlop : *History of the Jewish Khazars*، پرنستون ١٩٥٤، الفهرس ؛ وانظر فيما يتصل بالغزوات الروسية على سواحل بحر الخزر : (٨) ابن مسكويه: تجارب الأمم (فى H.F. Amedroz و D.S. Margoliouth : *The Eclipse of the Abbasid Caliphate*، النص العربى ، جـ ٢ ، ص ٦٢ — ٦٧ ؛ الترجمة ، جـ ٥ ، الورقة ٦٧ وما بعدها) ؛ (٩) V. Minorsky : *Studies in Caucasian History*، لندن سنة ١٩٣٣، الفهرس (١٠) الكاتب نفسه : *A History of Sharwan and Darband*، كمبريدج سنة ١٩٥٨، الفهرس .

صبحى [دنلوپ D.M. Dunlop]

+ «بحر خوارزم»: (انظر مادة «آرال، بحر»)

«بحر الروم»: الاسم العربى للبحر المتوسط، وهــذا الاسم مشتق من اسم بــلاد الروم أى الإمبراطورية البوزنطية ؛ وكان يطلق على هذا البحر أسماء أخرى مثل «بحر المغرب» (انظر هذه المادة)

أما اسم «أدريا» الذى كان يطلق فى الأصل على البحر الأدرياوى فقط فكان يطلق فى العصور القديمة المتأخرة على جزء من بحر الروم كان يمتد تدريجاً ناحية الشرق : فنجد مثلا أن يوردانس Jordanes يتحدث عن رودس عاصمة جزائر البحر المتوسط . كما أنه يُستدل من لوحة پوتنگريانا *Tabula Peutingeriana* أن البحر الإدرياوى يمتد حتى إقريطش . (انظر Pertsch, Pauly-Wissowa : *Realenzykl.*، جـ ١ ، عمود ٤١٨ ؛ A. Ronconi ؛ *Per l'onomastica antica dei mari*

فى *Studi italiani di filologia classica* جـ ٩ طبعة فلورنسة عام ١٩٣٢ ، ص ٢٧٠ — ٢٨٢) ؛ وفى عهد الإمبراطورية البوزنطية كان اسم « أدرياس » يطلق على البحر المتوسط كله ، (فيما عدا البحر الأسود ؛ *Thesaurus Syriacus* : Payne-Smith ، جـ ١ ، ص ٤٢ ، وقوله هنا خطأ) ؛ وهذا الاسم أخذه الكتاب السريان وحرفوه إلى أدريوس (انظر يعقوب الرهاوى فى المجلة الأسيوية عام ١٨٨٨ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٦ ؛ Nallino فى البتانى ، *Opus astronom.* ، جـ ١ ، ص ١٧١ تعليق رقم ٧ ؛ *Livre de l'ascension de l'esprit* لمؤلفه ابن العبرى ، ترجمة نو Nau ، ص ١١٩ ، تعليق رقم ٢ ؛ Nau: *Le livre des trésors* لمؤلفه Jacques de Bartela فى المجلة الأسيوية عام ١٨٩٦ ص ٣٠٩ — ٣١٢ ؛ *Mose Bar Kefâ* ، مخطوط سريانى رقم ٣١٩ ، ورقة ٨٣ ، ٨٩) .

المصادر :

(١) المسعودى : كتاب التنبيه فى المكتبة الجغرافية العربية ، ص ٥١ (٢) ابن خلدون فى *Notices et Eextraits des Manuscrits de la Bibliothèque du Roi* ، جـ ١٩ ، ص ٩٣ (٣) *The Lands of the Eastern Caliphate* : G. Le Strange ، كمبردج سنة ١٩٠٥ ، ص ١٢٧ ، وانظر أيضاً مادة بحر المغرب .

[هونگمان E. Honigmann]

+ بحر الروم : أى بحر اليونانيين ، أو البحر الرومى أى البحر اليونانى والبحر المتوسط ، وكلا الاسمين كانا يستعملان من تاريخ مبكر للدلالة بخاصة على شرق البحر المتوسط ، حيث كان من المحتمل مصادفة الأساطيل البوزنطية ، ولما اتسعت الفتوح الإسلامية أطلق هذان الاسمان على البحر المتوسط بأسره ، الذى لا يزال يطلق عليه اسم بحر الروم ، وكان البحر المتوسط يسمى أيضاً البحر الشامى أو بحر الشام ، وبحر المغرب .

وكان هذا البحر الذى اختلفت تسميته على هذا النحو يبدأ فيما يقول جغرافيو العرب ، إلى الغرب بكثير من مضيق جبل طارق (الزقاق) وكان خليجاً للبحر المحيط المغربى ؛ وتروى الأساطير أن بحر الروم فى الأصل كان أرضاً جافة حتى ذلك الحين ، إذ شق المضيق بنو دلوكة — وهم من سلالة ملكة تسمى الملكة دلوكة كان يظن أنها حكمت مصر بعد فرعون الخروج (المسعودى : مروج ، جـ ٢ ، ص ٣٩٨) لكى يقيموا حاجزاً بينهم وبين ملك الروم (القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ١٢٣) ، أو أن المضيق قد شق ووصل البحر الرومى بالبحر المحيط على يد الإسكندر الأكبر بناء على طلب الإشبان الأصليين الذين أرادوا أن يفترقوا عن البربر (النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢) ؛ وقد أورد الدمشقى (*Cosmographie* ، طبعة Kramers ، ص ١٣٧) بالفعل رواية مفصلة عن الجسر الحرافى الذى بناه الإسكندر بهذه المناسبة وساق فى روايته بعض الرسوم .

وتبدأ أوصاف بحر الروم بانتظام فى الغرب ثم تتجه صوب الشرق محاذاة الساحل الجنوبى

عادة من سلا – بل من السوس الأقصى – مارة بطنجه وسبتة إلى طرابلس والإسكندرية . ثم تمر بمصبات النيل ثم تتجه شمالا بمحاذاة ساحل الشام إلى أنطاكيه وميناها السويدية ثم إلى الثغور (أى الحدود) ثم تستمر غرباً بمحاذاة ساحل بلاد الروم (آسية الصغرى) إلى القسطنطينية والأرض الصغيرة (أى بلاد اليونان الأم) وبلبونس (البلوبونيز) وقلورية والأنكورده (لمبارديا) وإفرنجه (فرنسا) ، ثم تتجه جنوباً مرة أخرى صوب الأندلس (مثال ذلك ابن حوقل ، طبعة Kramers ص ١٩٠–١٩١) ؛ ومن المفهوم أن المرء كان يمكنه من حيث النظر على الأقل أن يقوم بدورة فى بحر الروم حتى يصل إلى نقطة فى أسپانيا تقابل النقطة التى بدأ منها ، وأن البلاد الواقعة جنوبى البحر بلاد إسلامية ، على حين أن تلك التى فى شماله بلاد نصرانية ؛ وقد اختلفت أبعاد بحر الروم ، فالمسعودى قد ذكر تقديراً هو أن طول البحر ٥٠٠٠ ميل تقريباً وعرضه مابين ٦٠٠ و ٨٠٠ ميل ، ولكنه يعلم بوجود تقدير آخر قيل إنه تقدير الكندى المشهور وتلميذه السرخسى وهو : أن طوله ٦٠٠٠ ميل وعرضه ٤٠٠ ميل (التنبيه ، ص ٥٦ ؛ انظر مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٥٠) ويقدر ابن الفقيه (ص ٧) طول البحر الرومى بألفين وخمسمائة فرسخ من أنطاكية حتى جزائر السعادة (الكناريا) وأن عرضه ٥٠٠ فرسخ ، ونقل عنه هذا المقدسى (ص ١٤) ؛ ويذكر المسعودى فى موضع من مواضع كتابه أن البحارة العمليين خالفوا الفلاسفة الرأى وزادوا فى أبعاد البحر الرومى (مروج الذهب : جـ ١ ، ص ٢٨٢ ؛ وطول البحر الحقيقى هو ٢٤٠٠ ميل وأكبر عرض له حوالى ١٠٠٠ ميل) ؛ وقد قام الفلكى المراكشى بتقدير دقيق تقريباً لطول البحر المتوسط فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى ؛ انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، المقدمة ، ١٧٧)

ويعتبر بحر الروم دائماً بحراً من بحار الكرة الأرضية الرئيسية ، ويقول المقدسى إنه لايعرف إلا بحرين من هذا القبيل : بحراً غربياً هو البحر المتوسط وبحراً شرقياً هو البحر الهندى الذى يسميه البحر الصينى : وهو يقول إن البلخى أضاف إلى هذين البحرين بحراً ثالثاً هو البحر المحيط ، وإن الجيهانى زاد بحراً رابعاً وبحراً خامساً أى بحر الخزر وخليج القسطنطينية ، وهى مشارف البحر الأسود ؛ ويشير المقدسى إلى أن رأيه يتفق مع القرآن (سورة الرحمن ، الآية ١٩ وما بعدها) : «مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لايبغيان» إلخ ؛ ، ويقول المقدسى (ص ١٦) إن «البرزخ» هو الذى بين الفرما (Pelusium) والقلزم (Clysma وعدل إلى السويس) ، وهو يفصل ما بين بحر الروم والبحر الصينى ، وهو يقول إن البعض فسر نصاً قرآنياً آخر (سورة لقمان ، الآية ٢٦) : «ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ...» بأنه يشير إلى البحار الخمسة السابق الإشارة إليها مضافاً إليها «المقلوبة» (البحيرة المقلوبة أى البحر الميت) وبحيرة الخوارزمية (بحر آرال) : وثمة قائمة أخرى أقرب إلى العقل للبحار السبعة هى : البحر الأخضر أو المحيط الشرقى ،

والمحيط الغربي ، والبحر الأعظم أو المحيط الهندي، والبحر المتوسط ، وبحر الخزر ، والبحر الأسود، وبحر آرال (حدود العالم ، ص ٥١ — ٥٣) ؛ وقد اتبع المسعودي في موضع الجيهاني وذكر خمسة بحار هي : المحيط الهندي ، والبحر المتوسط ، وبحر قزوين ، والبحر الأسود ، والبحر المحيط (التنبيه ، ص ٥٠ — ٢٤١) ؛ ويقول في موضع آخر إن معظم الناس يذكرون أربعة بحار (المروج ، جـ ١ ، ص ٢٧١) ؛ والظاهر أن البحر الأسود وبحر قزوين يعدان بحراً واحداً ، ولكن انظر ابن الفقيه (ص ٤—٨) ؛ ومهما كان عدد البحار التي توضع موضع الاعتبار فإن الرأي السائد هو أن النص القرآني « مجمع » ، (سورة الكهف، الآيتان ٥٩و٦٠) كان في برزخ السويس ، وإن كان البعض قد اتجه فكره في هذه المناسبة إلى الزقاق (مضيق جبل طارق) .

وكانت للأجزاء المختلفة من بحر الروم أسماء خاصة ، مثال ذلك بحر تيران (الرازي) ، وجون البنادقين (ابن حوقل) ، أو الخليج البنادقي (الإدريسي) ، وهو في الواقع البحر الإدرياوي بأسره ؛ وخليج القسطنطينية ، وهو مشارف البحر الأسود ؛ وكان البحر الأسود نفسه اسمه نيطس ، وهو اسم مصحف لبُنْطُس ، ولعله بقي في بعض المخطوطات ، وكان بحر آزوف اسمه مايطس (Maeotis) ؛ وقد صدقوا في تصورهم أن بحر بنطس وبحر مايطس كان كل منهما يتصل بالآخر وببحر الروم ، ولكن الشك والخطأ صاحبا المحاولات التي بذلت لشرح الموضعين الخاصين بالبحر الأسود وبحر قزوين (بحر الخزر «انظر هذه المادة») ، ومن باب أولى البحر الأسود وبحر البلطيق (بحر الورنك) أو المحيط القطبي الذي قلما كان لدى العرب عنه معلومات مباشرة ؛ والاتجاه إلى اعتبار البحار السابق ذكرها متصلة ببحر الروم نجده مصوراً في خرائط ابن حوقل .

وقد عرفت جزائر مختلفة من بحر الروم في تاريخ مبكر ؛ وكان أول ما احتل منها قبرس وأرواد ، وهي جزيرة صغيرة أمام ساحل الشام ، وكان احتلالهما في عهد معاوية وقبل وفاته سنة ٦٠هـ (٦٨٠م) وقد هوجمت رودس وإقريطش بل صقلية ، وذكر ابن خرداذبه (ص ١١٢) عدة جزائر أخرى من جزائر البحر المتوسط ؛ ويذكر الجغرافيون الذين نقلوا عن البلخي بعض الجزائر في بحر الروم ؛ ويتحدث المقدسي (ص ١٥) سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥م) عن ثلاث جزائر كبيرة فقط هي صقلية وإقريطش وقبرس ؛ وكان الاصطخري (ص ٧٠) قد ذكر في تاريخ مبكر الجزائر الثلاث نفسها وأضاف إليها جزيرة رابعة هي جبل القلال (انظر ياقوت ، جـ ١ ، ص ٣٩٢) وقد حققها رينو Reinaud (مراصد الاطلاع ، طبعة Juynboll ، جـ ٥ ، ص ٢٧) فقال إنها جزيرة فراكسينيتوم Fraxinetum ، وهي الآن گارد فرينيه Garde-Freinet ، في البر الفرنسي شرقي مارسيليا ، ومنها أخذ العرب يغيرون فيما بين سنتي ٨٩٤ و٩٧٢م تقريباً حتى بلغوا سويسرة

(انظر Lévi-Provençal : *Hist. Esp. Mus.* ، الفصل الخامس) ، وقد أيد هذا التحقيق ابن حوقل (طبعة Kramers ، ص ٣٠٤) الذى ذكر أن المكان « بنواحى إفرنجة بأيدى المجاهدين » ؛ وهو يظهر فى خريطة ابن حوقل بوصفه جزيرة (وهو فى الطبعة الثانية جبل القلال فى جميع المواضع ، انظر أيضاً المواضع ، جـ ١ ، ص ٩٩) تجاه نهر كبير ، من الواضح أنه نهر الرون (وفى نفس الخريطة تظهر جنوة أيضاً على اعتبار أنها جزيرة) ؛ وقد ذكر القزوينى (عجائب المخلوقات ، ص ١٢٤ — ١٢٥) جزائر أخرى فى البحر ؛ وأحسن وصف توفر لنا عنها نجده فى متن الإدريسى وخرائطه (انظر المصادر) .

ومن سمات بحر الروم التى لفتت النظر انعدام المد والجزر النسبى وانحسار الساحل ، وقد لاحظ المسعودى هاتين السمتين (التنبيه ، ص ٧٠ ، ١٣٢) ، والظاهرة الأخيرة لم تثبت فى أفسوس Ephesus ؛ وقد لاحظ المسعودى أيضاً النشاط البركانى لجبل أتنه (جبل البركان ، أطمة صقلية ، فى مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ؛ التنبيه ، ص ٥٩) ؛ وهو يقول أيضاً إن هارون الرشيد كان يريد أن يصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم (البحر الأحمر) ، ولكن يحيى بن خالد البرمكى أثناه عن عزمه إذ بين له أنه إن فعل مر الروم منه وتدخلوا فى الحج إلى مكة (مروج الذهب جـ ٢٥ ، ص ٩٨ — ٩٩) .

وقد احتفظ الروم بسيادة البحر حتى بعد هزائمهم على البر ، إلا أنهم سرعان ما فقدوا هذه السيادة بفعل سلسلة من المعارك البحرية التى كتب فيها النصر للمسلمين ، وكانت أشهرها معركة ذات الصوارى (نشبت أمام ساحل ليقية سنة ٣٤هـ = ٦٥٥م) ؛ ويبدو أن المنشآت البحرية البوزنطية السابقة والبحارة المدربين قد استخدموا آنئذ ضد اليونانيين للسيطرة على شرقى البحر المتوسط لمصلحة العرب ؛ وقد احتفظ العرب بهذه السيطرة معظم الوقت فى عهد الدولة الأموية ومستهل الدولة العباسية ، وهوجمت القسطنطينية أثناء ذلك مراراً ؛ ويبدو أن القوة البحرية اليونانية انتعشت بعض الشىء فى عهد خلافة هارون (انظر ما تقدم) عندما أثرت فى الناس كثيراً السفن الحربية البوزنطية التى حملت بأسرى المسلمين إلى اللامس (فى قيليقية) طلباً للفدية سنة ١٨٩هـ (=٨٠٥م ؛ المسعودى : التنبيه ، ص ١٨٩) ، وفى سنة ٣١١ أو ٣١٢هـ (٩٢٣ أو ٩٢٤م) أبحر أسطول للمسلمين بوحدات من البصرة والشام من طرسوس تحت إمرة «متولى الغزو فى البحر» وقاتل بنجاح فى المياه الشمالية للبحر الرومى ، وبلغ أرض البنادقة واتصل بفصيلة من البلغار عاد بعضهم معه إلى طرسوس (المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ١٦ — ١٧ ؛ ابن الأثير ، فى حوادث سنة ٣١١) ؛ إلا أنه حدث من بعد فى عهد المقتدر (الخليفة من سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٨م إلى ٣٢٠هـ = ٩٣٢م) أن كانت السفن اليونانية تقوم بغزوات منتظمة واسعة النطاق على ساحل

الشام ، وفى عهد خلافته فقد المسلمون السيطرة على شرقى البحر المتوسط (ابن حوقل ، طبعة ده غويه De Goeje ، ص ١٣١ — ١٣٢ ؛ طبعة Kramers ، ص١٩٧) ؛ والظاهر أنه ما إن حلت سنة ٣٤٥ (٩٥٦م ؛ المسعودى : التنبيه ، ص ١٤١) حتى لم يبق للمسلمين أسطول فى هذه الأنحاء.

وقام المسلمون فى وقت متأخر ببعض الشىء بعدد من مغامراتهم المشهورة فى غربى بحر الروم بعد غزوهم للأندلس سنة ٩٢هـ (٧١١م)، وقد سبق أن ذكرنا احتلال العرب لجبل القلال (Fraxinetum) مدة طويلة ، وقد استولى على بارى فى جنوبى إيطاليا سنة ٢٢٦هـ (٨٤٠ — ٨٤١م) عتيق لبنى الأغلب فى شمالى إفريقية وكانوا فى ذلك الوقت فى غاية النشاط كما كانوا دولة مستقلة برأسها سنين طويلة (البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ؛ وقد أخذ عنه ابن الأثير ، فى حوادث هذه السنة) ، وفى سنة ٢٢٨هـ (٨٤٢) حدث أثناء حصار فرضه على مسينى (مسينا) قائد من بنى الأغلب ، أن أهل نابل (بفتح الباء أوضمها = «نابولى») الحماية ، واتحلوا مع المسلمين (ابن الأثير فى حوادث هذه السنة) ؛ وقد هُددت رومة والبندقية بعيد ذلك ، وكان تهديد رومة فى أكثر من مناسبة ؛ وسقطت مالطة سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م؛ ابن خلدون ، جـ ٤ ، ص ٢٠١) ؛ وقد هاجمت جنوة فى وقت متأخر يرجع إلى سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤م) قوة حربية من صقلية واستولت عليها،وكانت الجزيرة فى حوزة الفاطميين فى ذلك الوقت (الذهبى : دول الإسلام ، فى حوادث هذه السنة) ، ومن ثم خف بعدئذ تهديد المسلمين لإيطاليا .

ولم يكن بحر الروم قط بحيرة إسلامية ، ذلك أن العرب حتى فى عز سلطانهم لم يسيطروا قط على شواطئه الشمالية ، وثمة دليل من وقت شارلمان وما بعد ذلك على مشروعات بحرية قام بها المسيحيون ، وزادت هذه أهمية بمرور القرون بالرغم من اضمحلال دولة بوزنطة وتجدد تقدم المسلمين عندما سيطر الأتراك العثمانيون فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) على ساحل بحر الروم وهو الذى يسمونه البحر الأبيض (أق دكيز) من شبه جزيرة البيلوپونيز حتى الجزائر.

المصادر :

(١) الاصطخرى ، ص ٦٨ — ٧١ (٢) ابن حوقل ، طبعة ده غويه De Goeje ، ص ١٢٨ — ١٣٧ ، طبعة Kramers ص ١٩٠ — ٢٠٥ والخرائط المواجهة لصفحتى ٨ و٦٦ وكذلك الخريطة التى فى صفحة ١٩٣ (٣) المقدسى ، ص ١٤ — ١٩ (٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٥ (٥) القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ١٢٣ — ١٢٧ (٦) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٦ (٧) الإدريسى ، ترجمة Jaubert ، جـ١ ، ص٥ — ٦ ؛ جـ٢ ، ص١ — ١٣، ١٦ — ١٩، ٣٥ — ٤٨ ، ٦٨ — ١٣٥ ، ٢٢٦ — ٣٠٤ (وهو أوفى تاريخ حتى الآن ولكنه أقل نفعاً فى الفترة المبكرة) ؛ (٨) وانظر فيما يتصل بخرائط الإدريسى

Mappae Arabicae : K. Miller، شتوتگارت سنة ١٩٢٦، وما بعد ذلك (٩) تاريخ صقلية بقلم مجهول فى Biblioteca Arabo-Sicula : Amari ، النص ، ص ١٦٥—١٧٦ ؛ الترجمة، ص ٧٠ — ٧٤ (١٠) History of the Arabs : P.K. Hitti ، الطبعة السادسة ، پرنستون ، سنة ١٩٥٦ ، الفهرس .

[D.M. Dunlop دنلوپ]

كان البحر المتوسط فى عهد الدولة العثمانية يعرف باسم آق‌دكيز أى البحر الأبيض ، ومن ثم الاسم فى الفارسية بحر سفيد، ودريا سفيد ، ولعل هذا شأن الاسم اليونانى الدارج أسپرا ثالاسا ؛ وفى الاستعمال العثمانى كان الاسم يتضمن بحر إيجه الذى كانت تسمى جزائره جزائر بحر سفيد ، ويظهر أنه قد قصر استعماله على بحر إيجه فى وقت من الأوقات . والاسم الذى يبدو أنه لا توجد له سوابق يونانية أو بوزنطية أو إسلامية ، ليس له أصل محقق ؛ وربما كان قد نشأ بمقابلته بقره‌دكيز أى البحر الأسود القائم فى الجانب الآخر من استانبول ؛ وتوجد خريطة كاملة للبحر المتوسط فى الأطلس الشهير الذى قدمه پيرى رئيس (انظر هذه المادة) إلى السلطان سليمان سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٣م) وثمة أوصاف له أيضاً فى رحلات أوليا چلبى (سياحتنامه ، جـ ١ ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ جـ ٨ ، فى مواضع مختلفة) وفى التاريخ البحرى لحاجى خليفة (تحفة الكبار ، ص ٣ وما بعدها ؛ الترجمة الإنكليزية بقلم J. Mitchell ، ص ٣ وما بعدها) وفى مصنفه جهاننما (ص ٧٦) .

صبحى [هيئة التحرير]

+ «بحر الزنْج» : ويعنى العرب ببحر الزنج الجزء الغربى من المحيط الهندى أو بحر الهند (انظر هذه المادة) الذى يغمر ساحل إفريقية الشرقى من خليج عدن ، أى الخليج البربرى حتى سفالة ومدغشقر : وهما آخر ما كانت تبلغ إليه معلومات العرب الضئيلة ؛ والاسم مشتق من الساحل المجاور الذى يسمى بلاد الزنج أوزنجبار ، وقد أطلق العرب الاسم زنج على زنوج بنتو السود الذين يتميزون كل التميز عن البربر والأحباش ، والاسم زنج قديم جداً، ذلك أن بطلميوس نفسه كان يعرف « زِگِيس (أو « زيگيسا») آكرا» ، وكذلك كان قوزماس إنديكوپلوستس Cosmas Indicopleustes يعرف « توكالومنون إكى زيگيون ؛ على أن قراءة هرزفلد Herzfeld لنقش نرسى الساسانى : «زند فريكشاه» (Paikuli, I ، برلين سنة ١٩٢٤، ص ١١٩) ليست مقبولة الآن (انظر W.B. Henning فى Studies presented to Vladimir Minorsky = Bulletin of the School of Oriental Studies ، المجلد ١٤ ، سنة ١٩٥٢ ، الجزء ٣، ص ٥١٥) ؛ وقد فسّر الاسم نفسه على أنه مأخوذ من الإسم الفارسى زنگ أو زنگى (وفى اللغة الزرداشية البهلوية زنگيك بمعنى الزنجى) ولكن لعله من أصل محلى ؛ واليوم يطلق الاسم على جزيرة زنجبار وعلى رافد من روافد نهر الزمبيزى يحمل اسم زنكه ؛ وملاحظات العرب عن ساحل الزنج وبحر الزنج أكثر من شحيحة ، وبعضها متناقض ، وكان العرب يخشون البحر ويتفادونه ، وإنما عبره الرحالان العربيان المسعودى

وابن بطوطة ، ولكنهما يحدثاننا عن الأرض وأهلها أكثر مما يحدثاننا عن البحر نفسه ؛ وقد ذكرا أحياناً الحيتان وصيدها ؛ ومن الغريب أن اللفظ المستخدم للدلالة على الحوت (وال، أوال) يشبه صيغة الاسم فى لغات شمالى أوربا (سليمان التاجر ، النص العربى ، طبعة Langlès ، ص ٤ ، ١٣٨—١٤١ فى *Relation des Voyages fait par les Arabes et les Persans, etc.*: Reinaud ، باريس سنة ١٩٤٥ ؛ ترجمة G. Ferrand: *Voyages du marchand arabe Solaymân* ، باريس سنة ١٩٢٢ ، ص ٣٠، ١٣٢—١٣٣ ؛ انظر المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٣٤ و ٣٣٤) ؛ ومن الواضح أن العرب وهموا أن الساحل يسير فى اتجاه مخالف تماماً لما عليه الواقع ؛ وقد أعاد توماشك W. Tomaschek رسم الخرائط بحسب ملاحظات العرب (انظر كتابه *Die topographischen Capitel des indischen Seespiegels Mohit* ، ڤينا سنة ١٨٩٩) ؛ وقد جمع مارسل دڤى (L. Marcel Devic فى *Les Pays des Zendjs* ، باريس سنة ١٨٨٣) ملاحظات جغرافيى العرب عن بحر الزنج وبلاد الزنج (انظر أيضاً حدود العالم ، ص ٤٧١ وما بعدها ، T. A. Shumovsky: *Tri neizvestnie Lotsii Akhmada ibn Madzhida, arabskogo Lotsmana Vasko da Gamii* موسكو سنة ١٩٥٧) . والملاحة فى هذا الجزء من المحيط الهندى تنظمها الرياح الموسمية ، ومن ثم العلاقات القديمة بين جنوبى بلاد العرب وشمالى غربى الهند وساحل إفريقية الشرقى ؛ وإذا شئت المزيد من المعلومات فانظر مادتى «بحر الهند» و«زنج» .

صبحى [بيكر ودنلوپ C. Becker — Dunlop]

+ «بحر الظُّلمات» : (انظر مادة «البحر المحيط») .

«بحر العلوم» : واسمه الصحيح أبو العيّاش محمد عبد العلى بن نظام الدين بن قطب الدين سهالى ، ولد عام ١١٤٤هـ (١٧٣١م) فى «فرنگى محل» من أعمال لكهنو . وكان أورنگ زيب قد ولى أباه عليها . وأسرة بحر العلوم من أهل هراة وقد أقطعها «أكبر» قطعا من الأرض . واستوطن جده الأكبر قرية سهال بالقرب من لكهنو . واشتهر جده وأبوه بالفقه وتدريس الدين . وأخذ بحر العلوم العلم على أبيه وعلى خلفه ملاّ كمال الدين ، وانتهى به الأمر إلى أن أخذ يدرس مكان أبيه . وأدت رسالته الجدلية إلى النضال بين الشيعة وأهل السنة فنفاه شجاع الدولة أمير أوده وعاش زمناً ما فى «شاه جهانپور» فى رعاية عبد الله خان حاكم (نواب) هذه الجهة . وبعد مقتل هذا النواب عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) أخذ بحر العلوم يدرس فى رامپور وبهار ، وانتهى به المطاف إلى مدراس حيث توفى الثانى عشر من رجب عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) .

واشتهر المترجم له فى جنوبى الهند باسم «ملك العلماء» وفى شماليها باسم «بحر العلوم» . وكان

أستاذاً مبرزاً وكاتباً مكثراً . وأهم مصنفاته شروح لكتب العرب فى الفقه والمنطق والكلام .

المصادر :

(١) الندوة ، الأعداد من أبريل — يونيه سنة ١٩٠٧ (٢) محمد صديق حسن خان : أبجد العلوم ص ٩٢٧ (٣) حسن بن عبد الله العباسى : آثار الأول ، ص ٢٤ .

[محمد هدايت حسين]

+ بحر العلوم ، لقب التشريف لأبى العيّاش عبد العلى محمد بن نظام الدين محمد بن قطب الدين الأنصارى اللكنوى : عالم هندى جليل من أعيان القرن التاسع عشر ، وهو يرد نسبه إلى خواجه عبد الله أنصارى الهروى المشهور الذى قدم حفيده الشيخ علاء الدين (الجد العاشر لعبد العلى) من هراة إلى الهند ، وتثوى عظامه الآن فى بِرْناوَة بين مُثْرا ودهلى ، وقد استقر الجيل التالى من الأسرة فى سهالى ، وهى بلدة بالقرب من لكهنو ، وانتقلت الأسرة فى عهد أورنگزيب إلى « فَرَنگى محل » بلكهنو (وانظر عنها رحمن على : تذكره ، الطبعة الثانية ، ص ١٦٨ ، مادة « الندوة ») ، وكان جده لأبيه ملاّ قطب الدين المتوفى سنة ١١٠٣هـ (١٦٩١م) وأبوه ملاّ نظام الدين المتوفى سنة ١١٦١هـ (١٧٤٨م ؛ وقد لقيه آزاد فى لكهنو سنة ١١٤٨ هـ = ١٧٣٦م وأثنى عليه كثيراً (انظر كتاب « سبحة المرجان ، بومباى ، سنة ١٣٠٣هـ ، ص ٩٤) من رجال العلم المشاهير ، كما أنهما هما اللذان أقاما مجد الأسرة فى الهند ، وهى أسرة ازدهر فيها العلم جيلا بعد جيل قرونا من الزمان .

ولد عبد العلى فى فرنگى محل سنة ١١٤٤هـ (١٧٣١ — ١٧٣٢م) وأخذ عن أبيه ثم أتم منهج الدراسات الإسلامية المألوف عليه فى سن السابعة عشرة ، ولما توفى أبوه تابع دراساته على ملاّ كمال الدين السهالوى الفتحپورى المتوفى سنة ١١٧٥هـ (١٧٦١م) ، وكان كمال الدين هذا تلميذاً لأبيه (انظر بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٦٢٤) . وبدأ عبد العلى حياته العملية مدرساً ومؤلفاً فى لكهنو ، ولكنه اضطر إلى مغادرة لكهنو بسبب قيام نزاع بين السنة والشيعة ، وانتقل أولا إلى شاه جانپور حيث أقام عشرين سنة ، ثم شخص إلى رامپور (انظر نجم الغنى : أخبار الصناديد ، لكهنو سنة ١٩١٨ م ، جـ ١ ، ص ٥٩٦ ، ٦٠٠) وأقام فيها أربع سنوات ، ثم نزح من بعدها إلى بُهار فى بَرْدَوان من أعمال البنغال ، ثم رحل آخر الأمر إلى مدراس بدعوة من نَواب كَرْناتك (نواب والاجاه محمد على خان المتوفى سنة ١٢١٠هـ = ١٧٩٥م ، وكان فى الأصل نواباً على گُپَموَ بالقرب من لكهنو) . ورحل عبد العلى إلى مدراس وفى صحبته سمائة من رجال العلم ، وقد أظهر له والاجاه الكثير من آيات التبجيل ، وأغدق عليه وعلى أصحابه الهبات ، وشيد « مدرسة » كبيرة له ، وأجرى معاشاً على أصحابه وتلاميذه الذين اجتمعوا هناك من قاصى البلاد ودانيها ، ومضى خلفاء النواب يظهرون له نفس التبجيل حتى نهاية حكم الوالاجاهية

وقيام الحكم البريطانى فى مدراس ، بل إن المنح والهبات الشهرية ظلت تمنح له حتى أثناء هذا الحكم كما ظلت تمنح للمدرسين الآخرين فى مدرسته وطلبتها . ولم يعد عبد العلى قط إلى لكهنو ، وتوفى بمدراس فى الثانى عشر من رجب سنة ١٢٢٥ﻫ (١٣ أغسطس سنة ١٨١٠م) ودفن فى جوار مسجد الوالاجاهية فى هذه المدينة (انظر عن أولاده : ألطاف الرحمن : أحوال ، ص ٦٤ ، وعن تلاميذه النجباء : كتاب حدائق ، فى الموضع المذكور) . وكان الوالاجاه هو الذى منحه لقب «بحر العلوم» (وهذه هى الرواية الشائعة ، ولكن انظر ألطاف الرحمن : أحوال ، ص ٦٥ ، الذى يقول فى هذه الصفحة من كتابه إن شاه ولى الله دهلوى [انظر هذه المادة] هو الذى منحه هذا اللقب) وكذلك لقب «ملك العلماء» . واللقب الأول هو الذى غلب فى شمالى الهند ، أما اللقب الثانى فهو الذى غلب فى جنوبها .

ولم يكتف أبوه بتلقينه العلوم الدينية ، بل تجاوز ذلك إلى تلقينه العلوم الباطنية (انظر ألطاف الرحمن) ، وكان عبد العلى من أتباع مدرسة ابن عربى الصوفية ، واقتضاه الأمر أن يكمل عقيدته فى الحقيقة بدراسة الشروح الواردة فى كتابى ابن عربى «الفصوص» و«الفتوحات» . والحق إن شرح عبد العلى لمثنوى مولوى روم (لكهنو سنة ١٨٧٣ ، فى ثلاث مجلدات) إنما يهدف إلى شرح «الأسرار» التى انطوى عليها هذا المثنوى على ضوء الكتابين اللذين أسلفنا ذكرهما للشيخ ابن عربى (انظر مقدمة المترجم بالعربية لهذا الشرح) . وقد كتب عبد العلى أيضاً قسماً فى شرح الفصوص (أى «الفص النوحى» ، بروكلمان ، قسم ١ ، ص ٧٩٣) . وقد ذكر عبد العلى حتى وهو على فراش الموت أنه كان يدرك حقيقة مذاهب الشيخ (أغصان) .

وقد أشيد بشجاعة المترجم له وكرمه وإنكاره لذاته وتقشفه . وأمضى عبد العلى معظم حياته الطويلة فى التدريس والكتابة ، وأثر فى معاصريه فى الهند أثراً عميقاً ، وفيها امتاز بتعدد جوانب علمه اللوذعى ونقده البارع «ولم ير له ضريب فى الهند من بعد» (نزهة القلوب) . أما ميادين تخصصه فهى : الفقه والأصول من ناحية ، ثم العلوم الفلسفية من ناحية أخرى . وقد كتب عبد العلى كثيراً من الكتب بالعربية وبالفارسية ، وكتب الأولى بعربية فصيحة جيدة . وكانت هذه الكتب — فى الغالب على السنة الشائعة فى عصره — شروحاً وحواشى وحواشى على حواش لكتب المتون المعروفة .

ونذكر فيما يأتى بعضاً آخر من كتبه الأهم :

(أ) فى الفلسفة : «شرح سلّم العيون» (والسلّم كتاب فى المنطق لمحب الله بهارى المتوفى سنة ١١١٠ﻫ = ١٧٠٧م) ، دلهى سنة ١٨٩١ ؛ «التعليقات» (أو المنهيّة) على شرح سلم العلوم (زبيد أحمد ، ٣٦٥) ؛ «الحاشية على الحاشية الزاهدية الجلالية» لكهنو سنة ١٨٧٢ (مجلة الجمعية الأسيوية بالبنغال ، جـ ٧ ، ص ٦٩٥) ؛ «الحاشية على الحاشية الزاهدية القطبية» دلهى سنة ١٢٩٢ﻫ/١٨٧٥م ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٢٩٣ ؛

«الحاشية على الصدْرا» (وهى حاشية على حاشية شرح صدرا الشيرازى على هداية الحكمة للأبهرى) ؛ لكهنو سنة ١٨٤٦ (بروكلمان، قسم ١ ، ص ٨٤٠ ؛ مجلة الجمعية الأسيوية بالبنغال، الموضع المذكور)؛ «تعليقات على الأفق المبين» (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٥٨٠) ؛ «العجالة النافعة» (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٦٢٥ ، س ٤ حيث يجب أن يستبدل الرقم ٣٩٩ بالرقم ٤٩٩) :

(ب) فى العقيدة والكلام : «الحاشية على الحاشية الزاهدية على الأمور العامة (زبيد أحمد ، ٣٣٨)؛ «الحاشية على شرح عقائد الدوانى» (المصدر المذكور) ؛ «شرح مقامات المبادئ» (الموضع المذكور) ؛ «الحاشية على شرح المواقف» (المصدر المذكور ؛ بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٢٩٠) لكهنو سنة ١٨٧٦ .

(جـ) فى أصول الفقه : «فواتح الرحموت» (شرح مُسَلَّم الثبوت لمحب الله بهارى المتوفى سنة ١١١٩ = ١٧٠٧م ؛ انظر بروكلمان، قسم ٢ ، ص ٦٢٤) ؛ «رسالة الأركان الأربعة» فى الفقه ، (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٦٢٥) ؛ «تنوير المنار ، شرح المنار» وهو بالفارسية (بروكلمان، قسم ٢ ، ص ٢٦٤) ؛ «تكملة شرح تحرير» (ذيل لشرح أبيه على ابن هُمام : تحرير فى أصول الدين ؛ زبيد أحمد ، ٢٨٣ ، مجلة الجمعية الأسيوية للبنغال، جـ ٧ ، ص ٦٩٥) ؛ «شرح فقه أكبر» (رحمن على ، الطبعة الثانية ، ١٢٣) .

(د) فى الحديث : «رسالة فى تقسيم الحديث» (زبيد أحمد ، ٢٦٢) .

(هـ) فى الرياضيات : «شرح المجسطى» (زبيد أحمد ، ٣٨٢) .

(و) فى الأخلاق : «رسالة التوحيد الكافية للصوفى المتقى» وهى بالفارسية (رحمن على ، ١٢٣ ؛ قاموس المشاهير ، مادة عبد العلى) .

(ز) فى النحو العربى : «هداية الصرف»

المصادر :

(١) ولى الله فرنگى محل : الأغصان الأربعة للشجرة الطيبة در أحوال علماء فرنگى محل كمالاً ونسباً وعلماً ، مخطوط بالندوة (فى لكهنو ، ص ٥٠ — ٥٣) ولم تتيسّر لى طبعه لكهنو سنة ١٢٩٨هـ = ١٨٨١م (٢) صديق حسن خان : أبجد العلوم ، بهوپال سنة ١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م ، ص ٩٢٧ (٣) فقير محمد جهلمى : حدائق الحنفية ، لكهنو سنة ١٨٩١ ، ص ٤٦٧ (٤) ألطاف الرحمن : أحوال علماء فرنگى محل ، سنة ٩٠٧ ، ص ٦٤ (٥) عبد البارى: آثار الأول ، ص ٢٤ (لم يتيسر لى) (٦) عبد الأول جونپورى : مفيد المفتى ، لكهنو سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م ، ص ١٣٥ (٧) رحمن على : تذكره علماء هند ، الطبعة الثانية ، لكهنو سنة ١٣٣٢هـ = ١٩٣٢م ، ص ١٢٢ (٨) عبد الحى لكنوى (حكيم) : نزهة الخواطر (ارجع إلى الجزء غير المنشور من الكتاب فى مكتبة أسرة المؤلف) (٩) الندوة (مجلة ندوة العلماء ، لكهنو ، أبريل — يونية سنة ١٩٠٧)

(٩) محمد هدايت حسين: The Life and Works of Bahr Al-Ulum، فى مجلة الجمعية الأسيوية بالبنغال J.A.S.B. السلسلة الجديدة، جـ ٧، سنة ١٩١١، ص ٦٩٣ — ٦٩٥ (١٠) بروكلمان، قسم ٢، ص ٦٢٤ (والفهرس) (١١) زبيد أحمد: The Contribution of India to Arabic literature، الله آباد سنة ١٩٤٦، الفهرس.

[محمد شفيع M. Shafi] خورشيد

« بحر الغزال »: رافد من روافد النيل الأبيض واسم مديرية فى السودان المصرى. وقد نشأ بحر الغزال من اتحاد عدة مجار مائية صغيرة تفيض ناحية الشمال والشمال الشرقى من مقاسم الماء بين الكنغو والنيل، ويلتقى به بحر العرب الآتى من دارفور وهو أهم روافده. وبعد اتصال بحر الغزال ببحر الجبل الذى ينبع من بحيرات إفريقية الوسطى يسمى بالبحر الأبيض أو النيل الأبيض. وليس بحر الغزال مجرد نهر ولكنه مجموعة مجار مائية ممتدة ومتداخلة على شكل بحيرة مع انحدار خفيف. وهى تصبح فى موسم الأمطار مستنقعاً لا يمكن النفوذ إليه. وعند انحسار الماء تصير مستنقعا مملوءاً بالسدود الطافية التى تجعل الملاحة متعذرة فى أماكن ومستحيلة فى أخرى.

واكتشف بحر الغزال لأول مرة عام ١٨٥٤ تاجر من الخرطوم اسمه «حبشى»، وفى عام ١٨٥٦م زاره القنصل بتريك Petherick، ووصفه بدقة بعد ذلك شوينفورث Schweinfurth وكانت الملاحة قبل أن يقوم الإنكليز بتطهير مجرى النهر من السدود تنتهى عند مَشْرَع، وهى نقطة الابتداء لكل بعثات الاستكشاف فى الأراضى المجاورة، وتعرف أيضاً على الخرائط بمشرع الرق. ويرى شوينفورث أن الرق إحدى قبائل الدنكا بالقرب من هذا الإقليم.

والمنطقة التى بين خطى عرض ٥° و ١٠° شمالا وخطى طول ٢٥° و ٣٠° شرقاً تعرف ببحر الغزال، ومن ثم نسبت إليه إحدى مديريات السودان المصرى. ويسكن هذه المنطقة زنوج وثنيون هم الشلوك والدنكا، ويتقسمون إلى عدة قبائل صغيرة، ولابد أن يكون هؤلاء الناس قد عاشوا هنا قروناً طوالا لأنهم تكيفوا وفق ظروف الحياة فى هذه المنطقة الكثيرة المستنقعات، وأهم ما يشتغلون به تربية الماشية من ذوات السنام كما يشتغلون بصناعة الحديد الذى يستوردونه. ولما كانت القبائل تنتشر أو ترغم على ترك مساكنها فى المناطق المجاورة فى بحر الغزال فقد أصبح سكان هذا الإقليم متباينين فى الجنس، وذكر سلاطين Slatin (ترجمة ونيگيت Wingate، ص ١٩٤) منهم ما يأتى: كاره وكُنگه وفرتيت وكرَنْش وبابه وتيكه وبنده ونيام وبنكو ومُنْبُتّو وغيرهم. ولكل من هذه القبائل زعيم، وهى تتحارب بشدة فيما بينها، وأهلها جميعاً وثنيون. وغالب الأسماء الجغرافية هناك عربية، ويعود هذا إلى الحملات المثمرة (قوافل التجارة وقنص العبيد) التى قام بها رعاة كردفان ودارفور المستعربون أو ذناقلة النيل من الأزمنة القديمة.

وتاريخ بحر الغزال ليس فى الحقيقة إلا وصفاً لحملات قنص العبيد التى أشرنا إليها ، وللتنازع الشديد القائم بين أشباه العرب والدناقلة .

ولانستطيع أن نبدأ بالحديث عن تاريخه بالمعنى الضيق لهذه الكلمة إلا منذ اشتركت مصر فى مطاردة تجارة الرقيق ووضعت يدها من أجل ذلك على إقليم بحر الغزال ؛ ولما احتل خديو مصر السودان للمرة الأولى فى القرن التاسع عشر كان بحر الغزال تابعاً لمديرية دارفور . وفى عام ١٨٦٠ نجح الزبير ، وهو من أشباه العرب ، فى الحصول على السلطان وقام بحملات طويلة من مكان حصين على طريقة قناص العبيد ، وكانت قصبته تسمى ديم الزبير ، وقد أصبحت فيما بعد أهم مدن بحر الغزال ومقر المدير ؛ وكان الزبير أول من تولى هذا المنصب ، واعترف الخديو بسلطان هذا الرجل عام ١٨٤٣م ؛ وغزا الزبير دارفور من قبل مصر ثم استدعى إلى مصر عام ١٨٧٦ م عندما استفحل نفوذه ، وحرمت عليه العودة إلى السودان عدة سنين ، وخلفه ابنه سليمان فى حكم بحر الغزال ، فنازع السلطات المصرية وشق عصا الطاعة عليها،وبعدوقعة شديدةأسقطهرومولى گسّى الإيطالى Romoli Gessi ثم قتل . وكان گسى باشا هذا أول مدير أوروبى لبحر الغزال . وحل محله عام ١٨٨١ لوپتون بك Lupton الذى اضطر إلى الخضوع للمهدية عام ١٨٨٤م . وقبل ذلك أيضاً عين محمد أحمد المهدى رجلا اسمه حسب الله حاكماً لبحر الغزال . والحق إن سكان الإقليم الوثنيين لم يرغموا لوپتون على الخضوع وإنما الذى اضطره إلى ذلك هم ضباطه وجنوده . وظل بحر الغزال أكثر من عشر سنوات جزءاً من مملكة المهدى وخليفته عبد الله ؛ ولم يعد الأمن إلى السودان إلابعد استعادة فتحه على يد الإنكليز . ونستطيع أن نقدر التقدم الذى وصل إليه تحت الحكم المصرى الإنكليزى من التقارير السنوية عن مصروالسودان ؛ وبحر الغزال —كبقية السودان الشرقى — خاضع للحكم المصرى الإنكليزى (معاهدة ١٩ يناير عام ١٨٩٩م) :

وكان بحر الغزال موضوع مشاكل سياسية استمرت مدة طويلة ، لأن فيه الحدود التى تفصل السودان المصرى عن الكنغو الفرنسية والكنغو البلجيكية . وفى عام ١٨٩٨ نشأت أزمة سياسية بين إنكلترة وفرنسا من جراء حادثة فاشودة ، وقد كادت هذه الحادثة أن تنتهى بالحرب لولا تسليم فرنسا بالمنطقة المتنازع عليها . كما نشأت صعوبات تتعلق بالحدود البلجيكية ولكنها حلت وفقاً لما ورد فى الكتب الزرقاء الأخيرة .

المصادر :

(١) Schweinfurth : *In the Heart of Africa* ، لندن سنة ١٨٧٨م (٢) Slatin Pasha : *Fire & Sword in the Sudan* ، لندن سنة ١٨٩٦ (٣) Lord Cromer : *Modern Egypt* ، (٤) تقارير المندوب السامى والقنصل العام عن شئون مصر والسودان الإدارية والمالية (٥) إبراهيم فوزى باشا: كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر ، القاهرة عام ١٣١٩ هـ وما يليها (٦) راجع كتباً أخرى

لشوينفورث عن بحر الغزال فى قائمة المراجع لكتابه
Veroeffentlichte Briefe, Aufsaetze und Werke
١٨٦٠ — ١٩٠٧ ، برلين
[بيكر C.H. Becker]

+ **بحر الغزال** : (١) رافد من روافد بحر الجبل (النيل الأبيض الأعلى) ، وهو منفذ لمنطقة واسعة النطاق من المستنقعات ؛ وتغذى المستنقعات أنهار عدة (مثال ذلك تُنْسج وجور) تنبع فى قطاع النيل والكونغو، كما يغذيها بحر العرب الذى هو الحد الجنوبى للبدو والبقّارة (انظر هذه المادة) ؛ ومجرى بحر الغزال يمتد ١٤٤ ميلا من مشرع الرق (وثمة صيغ شتى لهجاء الاسم واشتقاقه) حتى يلتقى ببحر الجبل عند بحيرة نو التى يصب فيها من الغرب على خط العرض ٩° ,٢٩َ شمالا.

(٢) الإقليم الذى يتألف من حوض المجارى المائية التى تزود مجرى بحر الغزال فى نهاية الأمر، وهو على هيئة المثلث تقريباً يحده من الشمال بحر العرب ومن الجنوب الغربى قطاع النيل والكونغو، ومن الجنوب الشرقى نهر رول أو نعام؛ والمستنقع الدائم (بالعربية السد) فى المجارى السفلى لهذه الأنهار (كما فى مجرى بحر الغزال وبحر الجبل) يقوم حاجزاً، كما يستدل من اللفظ العربى ، يحول دون وصول النيل إليه ، ويتألف الجزء الغربى من الإقليم من هضبة من الحجر الحديدى بينها وبين السد منطقة من سهل تغمره المياه . والزنوج الوثنيون أهل البلاد ، فى الشمال والشرق ، معظمهم من الدنكا أشباه البدو ويربون الماشية ؛ وتشمل قبائل الهضبة فى جزئها الشمالى (دار فريت) والفاروق وكريش ؛ وأوغل من ذلك جنوباً الأزندة (نيام نيام ؛ وبالعربية نمانم) ، وتقسمهم الآن حدود الكونغو البلجيكى .

(٣) مديرية من مديريات جنوبى جمهورية السودان تقترب من الإقليم الذى ورد ذكره فيما تقدم ، ومساحتها ٨٢,٣٥٠ ميلا مربعاً ويقطنها ٩٩١,٠٢٢ نسمة ، وهى مقسمة إلى أربعة مراكز وقصبتها فى واو ؛ وقد ذكر بوركهارت (Burckhardt: *History of the Region* سنة ١٩١٨) دار فرتيت بوصفها منطقة تغذى تجارة الرقيق فى دار فور ، وقد بدأ التغلغل فى بحر الغزال من النيل بعد حملات سليم قبودان إلى بحر الجبل (١٨٣٩ — ١٨٤٢) وكان التجار ، ومنهم الأوربيون ، يدخلون بحر الغزال من النيل فى العقد السادس من القرن الثامن عشر سعياً وراء العاج ، ولكنهم وجدوا أن هذا مطلب صعب المنال، ومن ثم اتخذوا من الغزو للحصول على الرقيق بديلا مجزياً يعوضهم عن العاج ؛ وقد ساعد تغلغل تجار العاج فى دار فرتيت الجلابة من كردفان ودارفور؛ ونمت تجارة الرقيق بعد سنة ١٨٦٠ عندما باع الأوربيون محطاتهم إلى مساعديهم «العرب» ؛ وهؤلاء الرجال ، ومنهم الصعايدة والأقباط وغيرهم كانوا يأتون من النيل (البحر) ويسمون «البحّارة» ، وكانت لهم حاشية مسلحة ، وهذه الحاشية فى الغالب من الدناقلة الذين كانوا يجندون من الشمال أو جند

الرقيق (البازنقر) ومحطات محصنة (زرائب) ، وكانوا هم السادة أويكادون فى المناطق التى كانوا يحتكرون فيها هذه التجارة .

وكان صاحب الشخصية الأولى فى بحر الغزال الغربى الزبير رحمه منصور السودانى ؛ وقد نصب نفسه تاجراً مستقلا برأسه سنة ١٨٥٨ ، ثم انتقل غرباً إلى بلاد لم يسبق استكشافها ، ووصل فى نهاية الأمر إلى بلاد نيام نيام حيث جند جيشاً خاصاً ، وطرد نيام نيام من بلادهم وفرض سلطانه على دار فرتيت (سنة ١٨٦٥) ، وفى سنة ١٨٦٦ عقد اتفاقاً مع بقّارة الرزيقات فى الشمال ، وبذلك فتح طريق التجارة إلى دارفور ماراً بشكّا ؛ وكان الخديوى إسماعيل فى ذلك الحين يسعى إلى القضاء على تجارة الرقيق وفرض السيطرة المصرية على بحر الجبل أو بحر الغزال ؛ وفى سنة ١٨٦٩ رخصت الإدارة فى الخرطوم بقيام حملة تحت إمرة أفاق من دارفور اسمه محمد البلالى (أو الهلالى) ولكنه منى بالهزيمة على يد الزبير ، وقد زادت هيبة الزبير وزادت أهمية المنفذ الشمالى الغربى الذى كان يسيطر عليه بسبب حملة السير صامويل بيكر Sir Samuel Baker على بحر الجبل (١٨٦٩ — ١٨٧٣) ، وبينما الزبير يقاتل النيام نيام (١٨٧٢) هاجم الرزيقات التجار على طريق شكّا ؛ وقد أدت الأعمال العدائية التى قام بها الزبير ضد الرزيقات إلى وقوع شقاق بينهم وبين مولاهم السلطان إبراهيم الدارفورى ، ومن ثم وضع الزبير الخطط مع السلطات المصرية للهجوم على دارفور ، وقد عين حاكماً على بحر الغزال وشكّا . وفى سنة ١٨٧٤ تم غزو دارفور .

وفى السنة التالية ذهب الزبير إلى القاهرة حيث احتجزه الخديو ، وظل ابنه سليمان فى بحر الغزال حيث كان سلطان المصريين بلا فاعلية ؛ وفى سنة ١٨٧٧ عين الحاكمُ العام غوردون C.G. Gordon سليمانَ حاكماً على بحر الغزال ؛ وقد نشب شجار بينه وبين منافس أدى إلى تمرد سليمان . على أنه منى بالهزيمة وقتل سنة ١٨٧٩ على يد گسى H. Gessi المساعد الإيطالى لغوردون ، الذى خلفه حاكماً على بحر الغزال ، وحاول جاهداً تهدئة المنطقة حتى استدعى سنة ١٨٨٠ ؛ وقد واجه الإنكليزى لوپتون F.M. Lupton خليفة گسى رد المهدية باللجوء إلى الثورة ، واستولى المهدى على الأبيض وكتب له النصر فى شيكان سنة ١٨٨٣ ، ثم قُطعت المساعدة عن لوپتون ، وكان كثير من ضباطه من السودانيين الشماليين الذين هواهم مع المهدى ، وفى أبريل سنة ١٨٨٤ سلم لوپتون مقر قيادة المديرية ديم الزبير إلى قوة من المهدية تحت إمرة كرم الله كرقساوى ؛ ولم تقم إدارة مهدية فعالة ، وسحب كرم الله جيشه إلى دارفور سنة ١٨٨٦ .

وأصبح بحر الغزال بعدئذ هدفاً للتوسع الاستعمارى الأوربى ، ودخلت حملتان من دولة الكونغو الحرة دارفور سنة ١٨٩٤ وقبل شيخ قبيلة الفاروق الحماية الكنغولية ، ومن ثم أنفذ محمود أحمد حاكم دارفور المهدى الخاتم موسى لطرد الأوربيين الذين كانوا قد انسحبوا بالفعل منذ أن

أدخل الاتفاق الفرنسى الكونغولى الذى وقع فى أغسطس سنة ١٨٩٤ بحر الغزال فى منطقة التوسع الفرنسى ؛ وعبرت حملة فرنسية تحت إمرة مارشان J.B. Marchand الإقليم وبلغت النيل الأبيض عند فاشوده فى يولية سنة ١٨٩٨ : بيد أنهم انسحبوا فى ديسمبر على إثر عودة المصريين والإنكليز إلى فتح السودان؛ وقد كان الاتفاق الإنكليزى الفرنسى الذى وقع فى ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ إيذانا بتزول الفرنسيين عن مطالبهم فى بحر الغزال ، وأصبح مقسم الماء بين النيل والكونغو هو الخط الفاصل بين منطقتى النفوذ ؛ وقد خطت الحدود بصفة نهائية سنة ١٩٢٤.

و بدأ إنشاء الإدارة من جديد بوصول حملة تحت إمرة سپاركس W.S. Sparkes إلى مشرع الرق فى ديسمبر سنة ١٩٠٠ ؛ وشهدت السنوات التالية افتتاح المواصلات حيث أزيل السد وشقت الطرق، وأوفدت الدوريات للاستكشاف والتهدئة وأنشئت المراكز الحكومية ، وبدأ نشاط البعثات الكاثوليكية الرومانية فى بحر الغزال الغربى سنة ١٩٠٣ ، وشرع الإنجيليون فى العمل بالمناطق الشرقية سنة ١٩٠٥ ؛ ووضعت البعثات أساسا لمنهج فى التعليم أخذ يخضع للرقابة الحكومية شيئاً فشيئاً منذ سنة ١٩٢٥ ، وحدثت اضطرابات قبلية متفرقة على مدى سنوات طويلة ، وفيما عدا هذا فقد خلا التاريخ الحديث لبحر الغزال من أى حادث.

المصادر :

انظر R.L. Hill : *Bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan* ، لندن ، فيما يختص بالمعلومات حتى سنة ١٩٣٧ ، وانظر *A Biographical-Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan* ، أكسفورد ، ١٩٥١ ، إن شئت مذكرات قصيرة عن أصحاب الشخصيات البارزة ؛ وثمة مقالات عدة ، وبخاصة عن القبائل ، فى *Sudan Notes and Records* ، الخرطوم سنة ١٩١٨ ، وتظهر مصادر تاريخية فى هذه المجلة من ١٩٤٨ ؛ وثمة ترجمة لحياة الزبير فى نعوم شقير : تأريخ السودان ، القاهرة سنة ١٩٠٣ ، ج ٣ ، ص ٦٠—٨٨ ، وعلق عليها M. Thilo : *Ez-Ziber Rahmet Paschas Autobiographie, ein Beitrag zur Geschichte des Sudan* ، بون وليبسك ، سنة ١٩٢١ ؛ وانظر فيما يتصل بالتغلغل البلجيكى L. Lotar : «*La Grande Chronique du Bomu*», *Memoires, Section des Sciences Morales, et Politiques, Institut Royal Colonial Belge* ، بروكسل ؛ وانظر A. Abel : *Traduction de documents arabes concernant le Bahr-el-Ghazal, Bull. de l'Acad. Royale des Sci. coloniales.* ج ٢٥ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٣٨٥ ، ١٤٠٩ ؛ ومن المصنفات العامة المفيدة مصنف M.F. Shukry : *The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan* ، القاهرة ، سنة ١٩٣٨ .

[هولت P.M. Holt]

صبحى

« بحر فارس » : هو الاسم الذى أطلقه الإصطخرى (ص ٦) وابن حوقل (ص ٣٥ — ٤١) على المحيط الهندى ، وفى هذه التسمية شىء

كثير من التوسع يخرجها عن المعنى الصحيح .
وهذا الاسم لايدل فى كتاب المقدسى (ص ١٧) والمسعودى (مروج الذهب جـ ١ ، ص ٢٠٧) إلا على الخليج الفارسى ابتداء من عبادان على مصب نهر دجلة (شط العرب) إلى عمان بما فى ذلك الخليج المسمى باسمها .

وهناك مخاضات خطرة فى مصب شط العرب تسمى « الخشبات » ولهذا أقيم على هذه الخشبات فنار حيث وضع حارس يشعل النار لكى يكشف المدخل أمام السفن . وتوجد هناك مصائد اللؤلؤ فى جزيرة خارك قبالة ثغر جنابة .

وأهم الثغور على الشاطئ الفارسى هى : عبادان، ومهروبان ، وسينيز ، وجنابة ، وسيراف ، وحصن ابن عمارة ، وهرمز ، وتيز (مكران) ، هذا إلى ثغور : بوشهر ، وبندر عباس (كُمْرُون) ولكنه وقد أصبحت من الأهمية بمكان .

وتفصل جبال دُردور « كُسير وعُوَير » الخليج الفارسى عن المحيط الهندى وهى تحطم كثيراً من السفن . وتوجد هناك جزر : أوال ، وخارك وكيش (قيس وكِشْم) واللار (لارك) .

وأهم الثغور على الشاطئ العربى هى : الكويت، والقطيف ، ومسقط .

المصادر :

(١) محمد حسن خان : مرآة البلدان ، جـ ١ ، ص ١٧٦ — ١٩١ . (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ .

[Cl. Huart إيوار]

+ بحر فارس : الخليج الفارسى ، ويجعله المسعودى يشمل خليج عمان ؛ ويطلق الإصطخرى وابن حوقل هذا الاسم على المحيط الهندى (بحر الهند) بأسره ؛ ويميز حدود العالم بين « خليج عراق» ، أى الخليج الفارسى ، وبين خليج پارس ، أى خليج عمان وبحر العرب ؛ ويذكر المسعودى أن عرضه فى أضيق حدوده هو ١٥٠ ميلا ، والحق إن مضيق هرمز يبلغ عرضه نحو ٢٩ ميلا ؛ وكان جغرافيو المسلمين يسمون الأحساء الحديثة البحرين ، وقد أطلقوا الاسم أوال على جزيرة من الجزائر التى تسمى الآن البحرين ، وكانت هِنْدَرابى هى أبْرون ، وكِشْم هى لافْت ، وجزيرة بنى كاوان أو بَرْكَوَان والشيخ شعيب هى « لاوان » و« لان » أو « لار » .

ويروى المسعودى أن رجلا اسمه عبد المسيح بلغ عمره ٣٥٠ سنة ، قال لخالد بن الوليد أنه رأى « النجف» يغطيها البحر وأن السفن كانت تبحر إلى مصب الفرات أسفل الحيرة ؛ ومن الواضح أن المسعودى كان يصدق الحقيقة الجغرافية إن لم يكن يصدق هذه القصة، وقد ذهب معظم العلماء إلى أن الطمى الذى كانت تأتى به الأنهار كان يملأ بحر فارس شيئاً فشيئاً ، والظاهر أن تاريخ عبادان يؤيد هذا ؛ ويتحدث المقدسى وكتاب حدود العالم عن هذا البلد كأنما هو على الساحل، ويقول ناصر خسرو إنه يبعد فرسخين من البحر فى أدنى درجات الجزر ، ويقول ابن بطوطة إنه يبعد عن البحر ثلاثة أميال ، وهو الآن على بعد أكثر من ٣٠

ميلا ؛ ومع ذلك فقد زُعم (G. M. Lees and N. Falcon : *The Geological History of the Mesopotamian Plains, G. J.* ، ١٩٥٢) أنه بالرغم من أن مستوى الأرض قد ارتفع عنده وغيرت الأنهار مجاريها (انظر مواد « دجلة» و« الفرات» و« كارون ») فإن المنطقة القائمة بين كتلة الجبال العربية والجبال الفارسية هى من رواسب تشكل الصخور ، تخفف من فعلها رواسب الطمى ولكنها لاتعوقها ؛ ويترك دجلة والفرات معظم طميهما فى البطائح الممتدة فوق القُرْنة ؛ ولايتأثر بحر فارس تأثراً كبيراً إلا بالطمى الذى يحمله إليه نهر كارون ، وليست هناك أدلة جيولوجية تدل على أن رأس بحر فارس كان قائماً شمالى غرب موقعه الحالى منذ العصر البليوسينى ، بل من المحتمل أنه كان أبعد من ذلك جنوباً بشرق فى الأزمنة التاريخية (انظر أيضاً المراسلات فى *G.J.* سنة ١٩٥٤) .

وقد أضفى مركز بحر فارس عليه أهمية عظيمة ولكنها متفاوتة ، والمعلومات التى نعرفها عن تاريخه معلومات ناقصة غاية النقص ؛ ولاتزال بعض الأخبار المحلية مخطوطة ، ولايزال الأمر يقتضينا أن ندرس قصة التنافس المتبادل بين الطريقين التجاريين اللذين يعبران البحر الأحمر وآسية الوسطى ، وحسبنا فى هذا المقام أن نذكر الوقائع البارزة (ومن شاء مزيداً من التفصيل فليرجع إلى المواد التى أفردت للموانى كل على حدتها) .

وكانت التجارة مزدهرة قبل الفتح العربى ، وكان الفرس من قبل يعملون فى التجارة مع الصين ، وقد جرى التساؤل هل الا « پوسّو » الذين ورد ذكرهم فى السجلات الصينية هم الفرس ، ذلك أن هذا الاسم قد ينصرف أيضاً إلى شعب من الملايو ، على أنه قد ثبت أن الا « پوسّو » هم الفرس من إشارة (تشوتأنغشو ، جـ ٨ ، ص١٩) إلى سفارة لا « پوسّو » سنة ١٠٣ ــ ١٠٤هـ (٧٢٢م) كانت تأتى بالأسود هدية ، ونلاحظ أنه لاوجود للأسد فى الملايو ؛ وقد عطلت التجارة ثورة هوانغ شاو وسلبه لكانتون سنة ٢٦٤ ــ ٢٦٥هـ (٨٧٨م) ؛ ويبدو أن الرحلات من فارس إلى الصين قد انقطعت فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، ولايوجد دليل موثوق به على أن السفن الصينية قدمت إلى بحر فارس قبل رحلات المنكك التى جرت فى مستهل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . وفى باكورة العصر الإسلامى كان الميناء الرئيسى هو سيراف قرب طاهِرِى ؛ ثم اضمحلت سيراف من بعد فى عهد البويهيين المتأخرين وانتقلت السيادة إلى بنى قيصر العرب من قبيلة قَيْس (كيش أو كيس فى الأصل) ، وخضعت بعد ذلك لأتابكة فارس من بنى سُلْغُر ، وفى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) استولى حاكم هرمز ، وهو من أتباع كرمان ، على قيس ؛ ومن ثم دالت دولة بنى قيصر ، وفى العصر التالى تحققت الصدارة لهرمز بلامنازع ، وعلى أثر هجوم قامت به عصابات الجغتاى سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) نقلت القصبة من البر إلى

جزيرة جرون ؛ وهكذا كان الأمر إذ بينا كانت الأهمية التجارية للعراق تضمحل كان المركز التجارى لبحر فارس ينتقل إلى الجنوب .

وكانت أهمية هرمز — التى زارها فيمن زارها من الزوار الكثيرين ، أودوريك البوردنونى Odoric of Pordenone وماركوپولو — معروفة حتى المعرفة فى أوربا أيام القرون الوسطى ؛ وحوالى سنة ٨٩٣ — ٨٩٤ هـ (١٤٨٨ — ١٤٨٩) زارها كوفلها ، عامل ملك البرتغال ، الذى كان يجمع المعلومات عن طرق التجارة فى آسية ؛ ولا ندرى هل وصل تقريره إلى لشبونة (انظر مادة « بحر القلزم ») ؛ وكان البرتغاليون أكثر نجاحاً فى بحر فارس منهم فى البحر الأحمر ، ويرجع بعض ذلك إلى أن بحر فارس كان أقرب إلى قاعدتهم فى الهند ، كما يرجع بعضه إلى أنه لا فارس ولا الدولة العثمانية كانتا تسيطران على سواحلهما سيطرة فعالة ، بل إن البصرة كانت فى كثير من الأحوال تكاد تستقل بأمر نفسها فى ظل شيوخ بنى المنتفق وتلقى ألبوكرك آيات خضوع هرمز سنة ٩١٣هـ (١٥٠٧) ولكن تفور قواده أكرهه على الانسحاب منها ؛ وقد بسط سيطرة فعالة سنة ٩٢١هـ (١٥١٥) عندما قتل الوزير القوى رئيس حامد وشيد حصناً منيعاً ؛ وكان البرتغاليون يستولون بين الحين والحين على البحرين ويتدخلون فى شئون البصرة ؛ واستولى العثمانيون على بغداد سنة ٩٤١هـ (١٥٣٤م) فبدأ النفوذ التركى يتجلى فى الأحساء ، وبخاصة فى القطيف ؛ وشجع عباس الأول أولئك الذين يحتمل أن يكونوا منافسين أقوياء للبرتغاليين ، وشيدت المصانع الإنكليزية والهولاندية فى عهده ؛ وفى سنة ١٠٣١هـ (١٦٢٢م) أكره أسطولا لشركة الهند الشرقية على مساعدته فى الاستيلاء على هرمز ؛ وهنالك شيد الشاه بندر عباس التى عرفها الأوربيون باسم گمبرون Gombroon ، واضمحلت هرمز سريعاً ، وكان البرتغاليون لايزالون يزورون البصرة وظلوا مدة يستحوزون على حصن فى جُلْفَة (رأس الخيمة) ، ولكنهم اختفوا تقريباً من بحر فارس عندما فقدوا معقلهم فى عمان فى منتصف القرن ؛ وفى ذلك الوقت كانت للهولانديين السيادة التجارية التى بدأوا يفقدونها لصالح الإنكليز فى عهد ملوك الصفويين ؛ وسادت الفوضى عهد حسين فاستولى العُمانية على البحرين وكِشْم ، وطردهم منهما نادرشاه ؛ وقد انتهى تدخله فى عمان إلى كارثة سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) ؛ وفى سنة ١١٧٩هـ (١٧٦٦م) استولى زعيم قراصنة بندر ريگ على خارك آخر معقل للهولانديين فى بحر فارس ؛ وحوالى أواخر القرن مكنت أسرتان من العرب هما آل خليفة وآل الصباح لنفسهما فى البحرين والكويت على التوالى ؛ وقد أفاد آل الصباح تجارياً من احتلال الفرس للبصرة سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م) وسنة ١١٩٣هـ (١٧٧٩م) ؛ وقد أقصى نفوذ الفرنسيين — الذين كانوا قد أصبحوا وقتذاك المنافسين الوحيدين للإنكليز — عندما فقدوا جزيرة موريشيوس سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) .

وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيماً أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين ، وكان القرصانان الكبيران هما رحمة بن جابر من الكويت وسلطان بن صقر من القواسم (الجواسم) ؛ وقد استولت هذه القبيلة على ما اصطلح على تسميته بساحل القراصنة . واشتمل أسطول القراصنة على ٦٣ سفينة كبيرة استطاع بها تهديد بوشير التي حلت وقتئذ محل بندر عباس بوصفها الميناء الرئيسي في بحر فارس ، وفي سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) أنفذت الحكومة الهندية قوة ألقت القنابل على رأس الخيمة ودفعت بالقواسم إلى داخل البر ؛ وقد عادوا بعد سنة تقريباً واستأنفوا سلبهم ونهبهم ، وفي سنة ١٢٣٥هـ (١٨١٩م) عادت قوة قوية من بومباى ، تؤازرها فصيلة عمانية ، فاستولت على رأس الخيمة ودمرت الحصون والسفن على طول الساحل ؛ وعندئذ وقّع الشيوخ وشيخ البحرين سنة ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م) معاهدة يقلعون بها عن القرصنة واقتناص الرقيق ؛ وقد أعقبت هذه المعاهدة معاهدات تكميلية ، وفي سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٣م) قبلوا السلام البحرى بصفة دائمة تحت الحماية البريطانية ؛ وكانت أهم دولة أول الأمر إمارة القواسم في رأس الخيمة التي كانت تتصل بها الشارقة (الشرجة) اتصالا وثيقاً بل تتحد معها في بعض الأحيان ؛ وبعد نصف قرن من توقيع المعاهدة الدائمة كان صاحب الشخصية الغالبة على الساحل هو زيد بن خليفة شيخ أبي ظبي من بني ياس ؛ وأصبح ميناء دبي هو أكثر الموانى ازدهاراً من الوجهة التجارية ، وكان تابعاً إلى أقاربهم آل بوفلسة ؛ أما الدول الأخرى فكانت عجمان وأم القُوَيْن ، ثم قَطَر بعد سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) وقد اعترف لكلبا والفُجَيْرة على ساحل خليج عمان فترة وجيزة بأن لكل منهما كياناً مستقلا بذاته ؛ واندمجت كلبا في الشارقة سنة ١٩٥١ ؛ وفي السنوات الحديثة أضفى وجود البترول أوالاشتباه في وجوده في الأرض أو تحت مهد البحر أهمية للحدود التي نادراً ما كانت تخطط بدقة .

المصادر :

إن مصادر « بحر فارس » كثيرة جداً ولا يمكن إيرادها بالتفصيل ؛ ويجب أن نضيف كتاب حدود العالم إلى جغرافيي المسلمين الذين لخص كتبهم le Strange and Schwarz : *Iran* ؛ وانظر فيما يتصل بتاريخ بحر فارس في القرون الوسطى W. Hinz : *Quellenstudien zur Geschichte der Timuriden* في *Zeitschr der Deutsch Morgenl. Gesells* سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٦١-٣٦٣، ٣٧٩ - ٣٨١ ؛ و J. Aubin : *Les Princes d'Ormuz au XVe siècle* في *Jour. As.* ، سنة ١٩٥٣ مع إشارات كثيرة وبعض المختارات من مجمع الأنساب لمحمد شبان كارئي ؛ وقد ورد ذكر أهم الرحالة الأوربيين في A. T. Wilson : *The Persian Gulf* ، أكسفورد سنة ١٩٢٨ ، وهو يلخص ، في غير دقة ، التاريخ الحديث للمنطقة ؛ أما فيما يتصل بالتجارة والملاحة

فانظر G. Ferrand : *L'élément persan dans les textes nautiques arabes, J.A.*, 1924; *Instructions nautiques et routiers arabes et portugais* ؛ هادي حسن : *History of Persian Navigation* ؛ و G.F. Hourani : *Arab Seafaring* ، أما أهم المصادر البرتغالية فهي Barbosa, و Correa و Castanheda و Couto و Barros ورسائل Albuquerque ومصنف *Comentarios* لكاتبه Albuquerque الأصغر و Tome Pires و Teixeira و Faria y Souza (وقد كتب هذان الاثنان الأخيران بالأسبانية) ؛ وانظر فيما يختص بالمصادر الهولاندية : H. Terpstra : *De Opkomst der Westerkwartieren van de Oost-Indische Compagnie* ؛ H. Dunlop : *Bronnen tot de Geschiedenis der Oostindische Compagnie in Perzie* ، وانظر فيما يتصل بصيد اللؤلؤ وأحوال الملاحة الحديثة : A. Villiers : *Sons of Sinbad* ، أما عن الوصف العام في الأزمنة الحديثة فانظر S.B. Miles : *Countries and Tribes of the Persian Gulf* ؛ و Wilson : المصدر المذكور ؛ وانظر فيما يتصل بالتجار الإنكليز الأوائل : Sir W. Foster : *England's Quest of Eastern Trade* ؛ وتجد كثيراً من مواد المصادر في *The English Factories In India* ؛ وفيما يتصل بفترة النفوذ البريطاني هناك مصدران نفيسان أهملا بعض الشيء وهما : *Selections From The Records of the Bombay Government* ، السلسلة الجديدة ، العدد ٢٤ ؛ و *The Annual Report on the Administration of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency* ، وتشمل التقارير المنشورة السنوات ١٨٧٤/ ٥ — ١٩٠٤/٥ ؛ أما التقارير التالية فلم تنشر على الجمهور ؛ وانظر فيما يتصل بالقوانين والمعاهدات : C.U. Aitchison : *A collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and neighbouring countries* ، المجلد ١٢ ، ص ١٣٧ — ١٨٦ ؛ و *Persian Gazette* ، المجلد ١ ، رقم ١ ، الملحق ١٠ ، أكتوبر سنة ١٩٥٣ ؛ وثمة كتب جغرافية أخرى في مادة « العرب ، جزيرة » (انظر مواد رأس الخيمة ، والشارقة ، ودبي ، وأبو ظبي)

صبحي [C. Beckingham بكنگهام]

+ « بَحْرَق » جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي : عالم وصوفي من جنوبي بلاد العرب، ولد سنة ٨٦٩هـ (١٤٦٥م) في سيوون وتوفي سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) بالهند . وقد درس بحرق في عدن وزبيد ثم أقيم قاضياً على الشحر مدة من الزمن ، ثم استقر بعدن ونال الحظوة لدى واليها الأمير مرجان . ولما توفي راعيه سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م) رحل إلى الهند ، وهناك أظله برعايته سلطان كجرات مظفر شاه ، ولكنه اضطر إلى أن يترك بلاط هذا السلطان سريعاً ، وتوفي في أحمد آباد ، ولعله مات مسموماً .

وتناول بحرق في إنتاجه الغزير العلوم الكلامية والعلوم الدنيوية . والظاهر أن كتبه الأصلية هي : « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » (انظر Serjeant : *Materials* ، ص ٥٨٦ ؛ وانظر عن شيخه هذا مادة « عيدروس » رقم ٢) ؛

«حلية البنات والبنين فيما يُحتاج إليه من أمر الدين» ؛ «عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر» ؛ «العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين» ؛ «التبصرة الأحمدية في السيرة النبوية» ؛ «ترتيب السلوك إلى ملك الملوك» (بروكلمان ، جـ ۱ ، ص ٤٤٤) ؛ «العروة الوثيقة» قصيدة (الوثقى) مع شرح «الحديقة الأنيقة» (بروكلمان ، جـ ۲ ، ص ٥٥٥).

مختصرات : «الأسرار النبوية > الأذكار النبوية» أي «حلية الأبرار» (بروكلمان ، جـ ۱ ، ص ۳۹۷) ؛ «ذخيرة الإخوان > كتاب الاستغناء بالقرآن (؟)» ؛ «متعة الأسماع > الإمتاع في أحكام السماع للأدفوى» (بروكلمان ، قسم ۲ ، ص ۲۷)؛ وقد لخص بحرق أيضاً «كتاب الأوائل» للعسكرى (بروكلمان ، قسم ۱ ، ص ١٩٤) وكتاب «المقاصد الحسنة» للشوكانى (بروكلمان ، قسم ۲ ، ص ۳۲) ؛ وكتاب «الترغيب والترهيب» للمنذرى (بروكلمان ، جـ ۱ ، ص ٦٢٧).

وله أيضاً شروح هى : شرح «العقيدة الشافعية» على قصيدة اليافعى المشهورة (بروكلمان جـ ۲ ، ص ۲۲۸) ؛ وشرح «تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب» على «ملحة الإعراب» للحريرى (بروكلمان ، جـ ۱ ، ص ٤٨٩) ؛ وشرح «نشر العلم في شرح لامية العجم» (سركيس ، ص ٥٣٣) ؛ وهذا الشرح هو في الحقيقة اختصار لشرح الصفدى ؛ شرح على «لامية الأفعال» لابن مالك (المصدر المذكور ؛ بروكلمان ، جـ ۱ ، ص ۳۰۰ ، قسم ۱ ، ص ٥٢٦)

وقد تناول بحرق في رسائل صغرى الحساب والفلك والطب ، وقد روى العيدروس السقّاف شواهد من شعره (انظر كتابه المذكور في المصادر) ؛

المصادر :

(۱) بروكلمان ، قسم ۲ ، ص ٥٥٤ (۲) العيدروس : النور السافر ، ص ١٤٣ — ١٥١ (۳) السقاف : تاريخ الشعراء الحضرميين ، جـ ۱ ، ص ۱۲۱ وما بعدها (٤) معجم سركيس ص ٥٣٢ ؛

خورشيد [لوفكرن Loefgren]

«بحر القُلْزُم» : البحر الأحمر ، لم يستعمل العرب الأسماء القديمة التى تطلق على البحر الأحمر فى حين أنهم عرفوا الاسم العبرى لبحر البوص (يام سوف) وأطلقوه خطأ على البحر الأحمر كله ، وهم يطلقون عليه غالباً اسم بحر القلزم نسبة لمدينة القلزم التى كانت معروفة قديماً باسم كليسما Clysma فى أقصى الشمال من هذا البحر بالقرب من مدينة السويس ؛ أما اسم بحر الحجاز فهو شائع الاستعمال ومذكور فى «المحيط» التركى وفى المصورات الجغرافية الحديثة ، على حين أن اسم بحر السويس لا يطلق إلا على خليج السويس ؛ أما خليج العقبة فيسمى خليج أيلة ، وهو يعرف الآن باسم بحر العقبة ؛ وقد طغت الرمال على مدينتى أيلة وقلزم شأنهما فى ذلك شأن جميع الثغور فى الأراضى الجبلية المرتفعة ؛

وتذهب الرواية الإسلامية إلى أن البحر المحيط الذى يحيط بالعالم يتفرع منه بحر كبير فى الشرق وبحر آخر كبير فى الغرب . وهذان البحران يقتربان بعضهما من بعض أشد الاقتراب عند القلزم والفرما (برزخ السويس) . والقسم المتوغل جهة الغرب من البحر الشرقى المعروف أيضاً باسم البحر الصينى أو البحر الهندى هو بحر القلزم . وحد هذا البحر جهة الشمال معلوم ، أما جهة الجنوب فيحده بوغاز باب المندب ، ويعد البعض أيضاً خليج عدن والخليج البربرى (نسبة إلى بربرا) نهاية لبحر القلزم . وقد وصف معظم الجغرافيين البلاد التى على شاطئ هذا البحر ابتداء من باب المندب ، وكان بوغاز باب المندب الضيق باعثاً لقيام أسطورة من الأساطير تذهب إلى أن البحر الأحمر كان فى سالف الأزمان أرضاً خصبة فجاء ملك وقدّ الجبل القائم عند باب المندب بقصد إغراق بلاد العدو بوساطة قناة صغيرة تتصل بالمحيط الهندى، غير أن مياه المحيط بأجمعها اندفعت إلى داخل هذه الأراضى فكونت بذلك بحراً مكان البلاد المزدهرة .

وقد ذكرت المعلومات الآتية فيما يختص باتساع هذا البحر : يقطع المسافر طول هذا البحر فى ثلاثين مرحلة كما يبلغ عرضه فى أوسع نواحيه مسيرة ثلاثة أيام ، أى أن طوله ١٥٠٠ ميل وعرضه ٤٠٠ ميل (يذكر البعض أن عرضه ٩٠ ميلا) والصحيح هو أن طول هذا البحر من السويس حتى باب المندب ٢٢٤٠ كيلو متراً كما يبلغ عرضه فى أوسع نواحيه ٣٥٠ كيلومتراً .

ولبحر القلزم شهرة سيئة عند العرب بسبب الزوابع والصخور التى به (الحواجز المرجانية) وخاصة فى الجزء الشمالى منه . ولهذا السبب تتجنب السفن التجارية السير فيه (انظر مادة « عيذاب») . وكانوا يخشون أيضاً الملاحة عند الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء بسبب اصطفاق الرياح التى تهب من ناحية شعبتيه الشماليتين وخاصة بالقرب من جزائر تيران التى كثيراً ما تعرف فى المصادر العربية باسم تاران ، وهى عند مدخل خليج العقبة وعند جُبال التى هى عين جُبَيلات أو جُبَيلان على مدخل خليج السويس ، وهم يذكرون أن فرعون مصر وجيشه هلكوا فى تلك المنطقة من بحر القلزم ، وتلك هى القصة التى ورد ذكرها كثيراً فى القرآن . ويذكر القلقشندى (ضوء الصبح ، ص ٢٢٥) والعمرى (التعريف ، ص ١٢٣) أن بحر البوص يسمى بركة الغَرَنْدَل وهى عين سُرَنْدَلَة أو أرَنْدَرَة المذكورة فى كتب الحجاج المسيحيين . وبسبب العواصف فى هذا البحر فإن السفن كانت ولاتزال تسير بالقرب من الشاطئ فى النهار فإذا ما أرخى الليل سدوله ألقت مراسيها متزوية بين الحواجز المرجانية . ومع ذلك فقد كانت التجارة مزدهرة منذ عهد قديم فى البحر الأحمر . وفى بداية العهد الإسلامى كانت هناك قناة تربط النيل بالقلزم ، وكانت السفن المحملة بالغلال تجرى ما بين الفسطاط و« الجار» ثغر المدينة . وكانت السفن التى تنقل التجارة ما بين أوربا والهند والتى كانت فى أيدى اليهود تقطع برزخ السويس ثم تتابع السير

فى البحر الأحمر دون أن تقف بالسواحل المصرية حتى تصل إلى الحجاز وجدة ، ومن هناك تتابع السير إلى الهند والصين . وفى عهد ازدهار الخلافة العباسية كانت تجارة التوابل العظيمة تأخذ عادة طريق بغداد ، ولكنها تحولت كذلك نحو وادى النيل نتيجة للمكانة الهامة التى أخذت تحتلها مصر . وكانت عدن أهم مرسى لهذه السفن ، ومن هناك تبحر نحو موانى الحجاز ونحو القصير وميناء قوص المصرى . ثم كانت تذهب بعد ذلك طيلة عدة قرون إلى ميناء عيذاب . ولم تصبح لمدينة الطور التى فى الشمال عند سفح جبل سيناء أهمية كبرى إلا منذ نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وأدت حركة الحجاج إلى قيام الصلات القوية بين القصير وعيذاب والطور وجدة من جهة أخرى كما أدت إلى قيام الصلات بين جدة والموانئ الجنوبية. ويظهر أن حركة الملاحة فى النصف الجنوبى من البحر الأحمر كانت فى جميع الأوقات أنشط منها فى الجزء الشمالى منه وذلك بسبب الحضارة القديمة التى للأقاليم التى على شواطئه وكذلك بسبب اعتدال الرياح فى ذلك النصف الجنوبى ، وربطت الصلات القديمة بصفة خاصة ما بين اليمن والحبشة . وكان باب المندب والمناطق بالقرب منه بمثابة معبر مشهور أمام الشعوب المختلفة .

وقد درس كلونزنگر Klunzinger فى كتابه *Oberaegypten* شعوب البحر الأحمر وحركة هذا البحر وسير السفن فيه ونشاط ثغوره ؛ وفى لغة الأهالى الذين يسكنون شواطئ هذا البحر عدد من الألفاظ المستعملة بين أهل الشاطئ الشرقى لإفريقية والتى تشبه اللغة المستعملة بين أهل المحيط الهندى .

وقد حاولوا بمختلف أنواع السحر تجنب الأهوال التى تكتنف السفر فى ذلك البحر ، تلك الأهوال التى كثيراً ما وصفها الرحالة العرب . وتجد بعضها مذكوراً فى *Archiv fuer Religions-wissenschaft* (ج ١١ ، عام ١٩٠٨ ، ص ١٥٧ وما بعدها) .

والأماكن التى على بحر القلزم والتى سنذكرها فيما بعد تصطبغ بالصبغة الأسطورية . وهم يقولون إن جبل المغناطيس جنوبى القلزم يجذب الحديد ، ولذلك فإن السفن التى تبنى فى تلك الجهة لايدخل الحديد فى بنائها ، وإن جزيرة الجسّاسة أو الجاسة عبارة عن حيوان يتلقط الأخبار بقصد إبلاغها إلى الدجال . ويتحدثون أيضا عن الأسماك التى يبلغ طول الواحدة منها أكثر من مائتى ذراع والأسماك التى تشبه رءوسها رأس البومة وغير ذلك من الحيوانات البحرية العجيبة . وأساس هذه الروايات كلها إما أن يكون ملاحظات غير دقيقة وإما أن يكون من نسج الأساطير الشرقية مثل قصة الإسكندر

المصادر :

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٣ ، ج ٤ ، ص ١٥٨ (٢) المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٣ ، ص ٢ ، ج ٦ ، ص ١٥٣ (٣) الإدريسى ، طبعة دوزى وده غويه ، ص ١٦٤ ، ١٩٥ (٤) القلقشندى ، ترجمة فستنفلد ، ص ١٦٩ . (٥) القلقشندى : ضوء الصبح ، ص ٢٢٤ (٦) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٦ — ١٧ (٧)

ابن الوردى : جزيرة العجائب ، القاهرة عام ١٣١٦ ، ص ٩٦ — ٩٧ (٨) Tomaschek et Bittner : *Die topographischen Capitel des indischen Seesdiegels Mohit* ، ڤينا عام ١٨٩٧ (٩) C.B. Klunzinger : *Bilder aus Oberaegypten, per Wuste und dem roten Meer* (١٠) Neimans von : *Das Rothe Meer und Kustenlaender im Jahre* 1857 *in Handelspolitischer Besiehung* (١١) *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.* ج ١٢ عام ١٨٥٨ ، ص ٣٩١ وما بعدها (١٢) Heyd : *Levantehandel* (١٣) W. Weber : *Der arabische Meerbusen* ، عام ١٨٨٨ (١٤) S. M. Schiff : *Expedition « Pola » in das Rothe Meer* : *Denksch. d. Wiener Akademie, Mathem. nat Kl.* ج ٦٥ ، ٦٩) .

[بيكر C.H. Becker]

« بحر لوط » : الاسم الذى يطلقه العرب اليوم عادة على البحر الميت ، ويسميه جغرافيو العرب فى الغالب البحيرة الميتة أو البحيرة المُنْتِنَة ، أو البحيرة المقلوبة لأنها فى الأرض المقلوبة أو أرض قوم لوط ، كما يسمونه أيضا بحيرة صُغَر (زُغَر) وبحيرة سَدُوم وكَمُرَّة . ويظهر أن ناصر خسرو الفارسى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كان أول جغرافى عرف اسم بحيرة لوط .

ويتصل اسم بحر لوط بالقصة المذكورة فى الإصحاح ١٩ من سفر التكوين ، والتى أشار القرآن إليها كثيراً دون أن يذكر اسم البحيرة نفسها .

والنكبات التى يتحدث عنها سفر التكوين الإصحاح ١٩ ، تذكرنا بها الآن أسماء بعض الأماكن القريبة من البحر الميت مثل جبل سدوم (أسدُم) والأساطير الشائعة بين الناس هناك ، وهى من غير شك تعتمد على ماورد فى الكتب أكثر من اعتمادها على الأساطير الشعبية .

جغرافية بحر لوط :

يمتد البحر الميت من الجنوب إلى الشمال بين أرض صحراء يهوذا الوعرة الجرداء ومنطقة موآب الجبلية . ويبلغ طوله ٧٦ كيلو متراً ومتوسط عرضه نحو ١٢ كيلومتراً . وهو منخفض عن سطح البحر بنحو ٣٩٤ متراً ؛ أى أن موقعه بين خطى عرض ٣١° ٥َ و ٣١° ٤٥َ شمالا وعلى خط طول ٣٥° ٣٠َ شرقى گرينوتش . وهو بحر راكد ، وعمقه فى أبعد أغواره ٧٩٣ متراً . ويمتد من شاطئه الشرقى لسان يفصل الجزء الجنوبى من البحر وهو جزء ضئيل ، عن الحوض الشمالى . وعلى الشاطئين الغربى والشرقى جبال قائمة يبلغ ارتفاعها أكثر من ١٠٠٠ متر عن سطح البحر . ويمتد الانحدار إلى الشمال حتى مدخل الأردن . أما فى الجنوب فترتفع الأرض تدريجا فى الغور والعَرَبة حيث ينبغى البحث عند الشاطئ الشرقى للسبخة عن مدينة پنتاپولس (سدوم ؟) Pentapolis التى ورد ذكرها فى الإصحاحين الرابع عشر والتاسع عشر من سفر التكوين . والملح موجود فى ماء البحر بكثافة غير مألوفة جعلت الماء غير صالح للاستعمال

فى حاجات الحياة بل جعلته غير صالح للملاحة أيضا . وتوجد واحات مآهولة يكاد يكون لها خصائص منطقة المدارين فى بعض نواحى الشاطئ لاغير .

طبقات الأرض :

يغطى البحر الميت الجزء الأكثر انخفاضاً من المنحدر الذى تكوّن فى الشام فى آخر العصر الجيولوجى الثالث : وفى أزمنة الأمطار التى هطلت فى عصر الطوفان وما أعقبها من جفاف ، ملأت السيول العظيمة الجزء الأكبر من وادى الأردن وجانباً من العربة فجعلت فيهما بحيرة داخلية لم تتصل بالبحر الأحمر قط . ولما كانت مياه هذه البحيرة تتبخر دون أن تتصل بغيرها أصبحت مياهها التى جاءت إليها من منابع غنية بالمواد المعدنية مثقلة بعناصر من الملح عجيبة التكوين .

وفى عصر الجفاف الذى حدث فى الأزمنة التاريخية انكمش البحر حتى اقتصر على المنطقة التى يشغلها الآن . على أنه لوحظ فى القرن الماضى أن مستوى سطح البحر يرتفع فى بطء . وقد أثرت حركات الزلازل فى الجزء المحيط بالبحر التى فى العصر الحاضر ، وكانت إحدى هذه الحركات التى حدثت أخيراً السبب فى تكوين الحوض الجنوبى .

واستخرج الأسفلت من البحر الميت فى العصور القديمة (لاحظ اسم بحيرة الأسفلت *lacus asphaltitis*) ، ويظهر أنه كان له شأن كبير فى العصور الوسطى أيضا . وكان الأسفلت يستعمل للوقاية من الحشرات فى الكروم كما استعمل أيضاً فى أغراض طبية كثيرة ، ونسب إلى مياه البحر نفسها قوة على شفاء الأمراض .

وكانت المحصولات الكثيرة التى تنتجها واحة زغر القريبة من مدينة « غور الصافية »الموجودة الآن تنقل عبر البحر الميت ، وقد مخرت عبابه أيضا سفن الفرنجة الصليبيين .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٦٤ ؛ جـ ٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها ؛ جـ ٣ ، ص ١٧٨ ، ١٨٤ وما بعدها ؛ جـ ٥ ، ص ١١٨ ؛ جـ ٦ ، ص٧٩ ؛ جـ ٧ ، ص٣٢٩ ؛ جـ ٨ ، ص ٧٣ وما بعدها (٢) المسعودى : مروج الذهب طبعة باربييه ده مينار ، جـ ١ ، ص ٩٦ (٣) الإدريسى : *Zeitschr. d. Deutsch Pael-Vereins* ، جـ ٨ ، ص ٣ (٤) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥١٦ ؛ جـ ٢ ، ص ٩٣٤ (٥) الدمشقى ، طبعة مهرن ، ص ١٠٨ (٦) أبوالفداء ، طبعة رينو Reinaud ، ص ٢٢٨ (٧) ابن البيطار : (ترجمة Sontheimer ، شتوتكارت سنة ١٨٤٢) جـ ٢ ، ص ٣٠٩ وما بعدها (٨) ناصر خسرو ، طبعة شيفر ، ص ١٧ وما بعدها .

وقد جمع المصادر الإسلامية وترجمها G. le Strange ونشرها فى كتابه *Palestine under the Moslems* ص ٦٤ — ٦٧ وص ٢٨٦ — ٢٩٢ (٩) وقد جمع جميع المعلومات السابقة Meusberger

واستخدمها فى كتابه *Das Tote Meer*، طبعة بركسن سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٩ .

[هارتمان R. Hartmann]

+ « بحر مايُطس » : أو بحيرة مايطس ، وهى بحيرة ماؤطس Maeotis القديمة ، وبحر آزوف الحديث ؛ وثمة صيغة أخرى للاسم هى ماوطيس (ماوطيش) ؛ وبحر مايطس يذكر دائما مع بحر نيطَس ، أى بحر بُنْطُس (انظر هذه المادة) وهو الذى يتصل به بوساطة خليج نيطس (مضيق كيرتش) .

وفى رواية المسعودى (التنبيه ، ص ٦٦) أن بحيرة مايطس طولها ٣٠٠ ميل وعرضها مائة ميل ، وهذان البعدان المبالغ فيهما كل المبالغةقد سبق لابن رسته ذكرهما (ص ٨٦) ؛ ويقول المسعودى أيضا إنها تقع فى أقصى العالم المأهول فى جوار تولِيَة (Thule) ؛ ويشاطر ابن الفقيه (ص ٨) الرأى الذى يجعل تولية شمالى بحر آزوف ؛ وهو يقول إن « الرابع [أى البحر الرابع] ما بين رومية وخوارزم (انظر مادة « بحر الروم » الفقرة الرابعة) [حتى] جزيرة تسمى تولية ؛ ولم يوضع عليها سفينة قط » (وابن الفقيه يعتبر البحر الخزرى أو بحر قزوين مستقلا بذاته) ؛ ويقول المسعودى فى موضع آخر إن نهر طنايس (تنايس أوالدون)الذى ينبع من بحيرة عظيمة (لم يذكر اسمها) تقع فى الشمال يصب فى بحر مايطس بعد مسيرة ٣٠٠ فرسخ مخترقا أراضى مزروعة (مروج الذهب جـ ١ ، ص ٢٦١) ؛ أما البحيرة الكبيرة التى فى الشمال ، والتى يلتبس اسمها فيما يظهر باسم بحر مايطس ، فقد سبق أن ذكرها الكندى وتلميذه السَرَخْسى وغيرهما (المروج ، جـ ١ ، ص ٢٧٥) ثم جعلت من بعد هى عين بحر الورنك ، أو بحر البلطيق على الوجه الأصح ؛ ومن ثم فقد سمى بحر آزوف فى خريطة سريانية تاريخها حوالى سنة ١١٥٠م بحر ورنگ (وقد استشهد A. Mingana بكتاب حدود العالم، ص ١٨٢ ؛ انظر عالى : كنه الأخبار ، جـ ١ ، ص ١٠٠)

ويهم المسعودى ببحر مايطس وبحر نيطس أكثر مما يهتم بهما جغرافيو مدرسة البلخى (انظر هذه المادة) ويؤكد أنهما على الأصح يكونان بحراً واحداً، وهو يهتم أيضا بدحض شهادة التجار الرحالة الذين يقولون إن بحر الخزر ، أى بحر قزوين ، يتصل مباشرة ببحر مايطس (المروج ، جـ ١ ، ص ٢٧٣) ؛ وليس ثمة إلا طريق نهرى واحد ، وهو الذى يمر بمضيق كيرتش ونهر الدون ونهر أتل (الفولجا) مستخدما الطريق الذى يصل بين الدون والفولجا أى الطريق المسمى بالطريق الخزرى (انظر المروج، جـ ٢ ، ص ١٨ وما بعدها) أما روايته عن بحر مايطس فلا تخلو بحال من الخطأ ، (انظر ما تقدم) ويبدو أنه يعتقد أن مياه هذا البحر أكثر اتساعاً وعمقاً من مياه بحر نيطس أو البحر الأسود (المروج، جـ ١ ، ص ٢٧٣) ولكن الحال على النقيض من ذلك ، وثمة التباس آخر منشؤه أن المسعودى يتحدث أحياناً عن بحر مايطس على اعتبار أنه

بحر الخزر (انظر على سبيل المثال التنبيه، ص١٣٨)، وهو يتبع فى ذلك العرف الشائع.

وفى الأزمنة المتأخرة سمى بحر مايطس ببحر آزاق، وفى التركية العثمانية آزاق دكيزى

المصادر:

انظر علاوة على المصادر التى وردت فى صلب المادة، حدود العالم، ص ١٨٠ — ١٨٣ والفهرس.

صبحى [D.M. Dunlop دنلوپ]

«البحر المحيط»: تصور العرب المحيط على النحو الذى رواه الجغرافيون من اليونان: نهراً واسعا ممتدا دائريا فى شكله العام يحيط بالمعمور من الأرض. ولهذا أسموه البحر المحيط، وقد سموه أيضاً البحر الخارجى أو بحر الظلمات أو البحر الأخضر: وشبه الإدريسى الأرض القائمة فى وسط المحيط ببيضة موضوعة فى كأس وقد غمرتها المياه. وكما يحيط الماء بالأرض يحيط الهواء بالماء وتحيط النار بالهواء تحت تجويف فلك القمر.

ويرى بعض علماء الشرق أن جميع البحار ينبغى أن تتصل بالمحيط. وليست البحار إلا خلجاناً أو امتدادات لها، أما المحيط فهو منبع جميع البحار الأخرى، ويقول المسعودى إن هذا الرأى هو الرأى السائد (مروج الذهب ج١، ص ٢٥٨). والبحار التى تبدو فى الظاهر مقفلة لابد من اتصال بعضها ببعض إما من تحت الأرض وإما بواسطة مجرى غير معروف، ومن ثم قيل إن بحر الخزر كان متصلا ببحر الروس أو بحر أطرابزندة، وبحر زُغَر كان متصلا ببحر القلزم، وبحيرة هَجَر كانت متصلة ببحر فارس، على أن هذا الرأى لم يأخذ به جميع الجغرافيين (انظر الدمشقى، طبعة مهرن Mehren، ص ١٢٧)؛ ويروى المسعودى أن بعض العلماء يعتقدون فى وجود محيط عذب المياه متميز عن البحر الخارجى ويقولون إنه منبع جميع الأنهار (مروج الذهب، جـ ١، ص ٢٠٣).

ويقول صاحب كتاب مختصر العجائب *l'Abrégé des Merveilles* (ص ٤٥) إن المحيط يشتمل على ٢٧٠٠٠ جزيرة، وينسب هذا القول إلى بطلميوس، فى الشمال الشرقى وفى أقصى الجزء المعمور من الأرض توجد جزيرة تولية Thule الأسطورية التى ذكرها پيثياس وبطلميوس وهى على خط عرض ٦٣° شمالا، وفى الجانب الشرقى منه تصطفق مياه المحيط على شواطئ برطانية وكثير من المدن الموجودة على شاطئ المغرب وبلاد البربر الذين يسكنون أكواخاً من البوص؛ ويوجد فى المحيط أيضاً جزائر الخالدات (انظر المسعودى: كتاب التنبيه والإشراف، ص ٩٨). ويقول الإدريسى إن جزائر الخالدات هذه هى التى أقام فيها هرقل الأصنام التى كانت بوضعها وبما عليها من نقوش تشير للمسافر بأنه لايستطيع أن يذهب أبعد من ذلك، أما المسعودى فيجعل هذه التماثيل مرة فى قادس وأخرى فى مضيق جبل طارق، ويقال إنها كانت منارات للسفن؛ ويقول العرب إن المحيط هو الذى

كون البحر المتوسط ، فإن مياهه هدمت سداً طبيعيا كان يصل الأندلس ببلاد المغرب ثم تدفقت على الأرض ، وكانوا يظنون أن إفريقية تنتهى ناحية الجنوب على مسافة غير بعيدة إلى الجنوب من مصر ، وأن المحيط موجود هناك أيضا تصطفق مياهه على شواطئ بلاد السودان .

أما إلى الجنوب من آسية فقد سمى المحيطُ بحرَ الهند وبحرَ سرنديب وبحر هركند وبحر قُمَر وبحر المهراج وبحر الزنج ، وسمى جزؤه الشرقى باسم الصَنْف أو بحر الصين (انظر مادة «بحر الهند») .

وقد تكلم علماء العرب عن سبب المد وسبب ملوحة مياه البحر ، وهم ينسبون مد البحر فى العادة إلى فعل القمر ، ويعتبرون الأرض وعاءً من الحيوان وأن البحر هو طبائعه ، وعندما يمتلئ القمر يهيج تلك الطبائع .

أما عن ملوحة ماء البحر فإن المسعودى يلاحظ أنها لايمكن أن تكون ناشئة عن أثر الحرارة فى الماء العذب كما ظن كثير من القدماء، لأن تقطر الماء لايحدث مثل هذا (انظر كتاب التنبيه والإشراف، ص ٢٧٩) .

وقد ذكر جغرافيو العرب أيضاً مقاييس لطول الجزء المعمور من الأرض ، فقالوا إن طوله يساوى قطر المحيط .

[كارا دە فو Carra de Vaux]

+البحر المحيط ، ويسمى أيضا بحر أقيانوس المحيط ، أو أقيانوس فحسب : هو البحر المحيط عند اليونان («أوقيانوس» باليونانية) ، وقد سماه البعض البحر الأخضر ، وروى أنه يحيط بالعالم المعمور من كل جانب ، أو على الأقل من ثلاثة جوانب، الغربى والشمالى والشرقى (المسعودى: التنبيه ، ص ٢٦) ، ذلك أن الحد الجنوبى للعالم المعمور كان هو خط الاستواء ؛ وفى رواية كعب الأحبار (انظر هذه المادة) التى رواها القزوينى (عجائب الأخبار *Cosmography* ، طبعة فستنفلد Wüstenfeld ، جـ ١ ، ص ١٠٤) ، أنه كان يحيط بالأرض سبعة بحار ، آخرها يحيط بالبحار الأخرى .

وقد نعقد الإجماع على أن البحار الكبرى كانت تتصل اتصالا مباشراً بالبحر المحيط باستثناءات قليلة تخص بالذكر منها بحر الخزر ، ولكن لايدخل فيها البحر الأسود (بحر بُنْطُس أو على الأشيع نيطس : «انظر هذه المادة») ، الذى كان من المظنون أنه ذراع أو «خليج» للبحر المحيط ، مثله فى ذلك مثل بحر المغرب، وبحر الروم وبحر وَرَنْـكَ (البلطيق) وبحر الزنج ، وبحر فارس ، وبحر الهند ، وبحر الصين (والبحار الأربعة الأخيرة تطابق المحيط الهندى وجزءاً من المحيط الهادى) ، وقد ساد الاعتقاد عامة أن هذه الأذرع أو «الخلجان» تكون شعبتين : شعبة شرقية وشعبة غربية (ياقوت: معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٠٤) ، وتلتقى كل منها بالأخرى أو تقترب منها على الأقل عند برزخ السويس ؛ وقد كان ثمة بعض الشك فى : هل كانت هذه الخلجان تتغذى من البحر المحيط (وهو الرأى

السائد) ، أوالعكس على اعتبار أن جميع أنهار العالم تقريبا تصب فيه .

على أنه وإن كان البحر المحيط — من حيث النظر — هو المحيط الذى يحيط بالأرض إلا أنه كثيراً ما يدل على المحيط الأطلسى فحسب ؛ ومن ناحية أخرى نجد أن المحيط الأطلسى فيما جاور أسبانيا وإفرقية الشمالية كان يعد جزءاً من بحر المغرب (القزوينى : عجائب المخلوقات ، ج ١ ، ص ١٢٣) ؛ والبحر المحيط — بمعنى المحيط الأطلسى — مرادف للبحر المظلم أو بحر الظلمة أو الظلمات الذى يطلق على شمالى الأطلنطى وصفاً لجوه سيئ وخطورته (Jaubert : *Géogr. d'Edrisi*، ج٢، ص ٣٥٥—٣٥٦ ؛ انظر الدمشقى ، طبعة Mehren ، ص ١٢٤) ؛ ومن أبرز جزائر البحر المحيط ، فيما خلا تولية (يحسبون عادة أنها جزائر شتلاند Shetlands) التى كان العرب يعرفونها من ترجمات بطلميوس ، نذكر الجزائر السعيدة (الكناريا) وبرطانية (مع اختلاف الروايات فى رسمها) ؛ وثمة رواية ملحة ، يبدو أنها ترجع إلى مصدر مأثور ، تقول إن الجزائر البريطانية عددها ١٢ جزيرة (Nallino ، Al-Battani ، النص ، ص ٢٦ ؛ انظر المسعودى : التنبيه ، ص ٦٨) .

ويتفق الكتاب العرب على أن البحر المحيط يتعذر مرور السفن فيه (مثال ذلك الكندى فيما رواه عنه ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، والظاهر أنه كان يتحدث عن المحيط القطبى ؛ انظر المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ؛ البتانى ، المصدر المذكور ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ؛ ابن خلدون : العبر = *Berbères* ، ج ١ ، باريس سنة ١٩٢٥ ، ص ١٨٧ — ١٨٨) وربما نأخذ هذا التأكيد على اعتبار أنه ينصرف فى الأصل إلى البحر المحيط الأسطورى ، على أنه من المحقق أن السفن الإسلامية أبحرت فى مياه الأطلسى ؛ إذ حدث بعد أن نزل أهل إسكندناوة فى أسبانيا سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٤م) ، أن كانت الأساطيل الأموية الصغيرة تجوب شواطئ الأطلسى وربما بلغت خليج بسكاية ؛ وفى سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦ م) هاجم القرصان الدانمركيون ساحل أسبانيا عند لشبونة وقصر أبى دانس فلقيهم الأسطول الأموى وهزمهم عند شلطيش ؛ وفى سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) جاء الأسطول بجند المنصور (انظر هذه المادة) المشاة من ميناء الأطلسى قصر أبى دانس الذى سبق ذكره إلى برتقال بالبحر (انظر فيما يتصل بهذه الحوادث Lévi-Provençal : *Hist. Esp. Mus.* ، ج ١ ، القاهرة سنة ١٩٤٤ ، ص ١٥٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٩٣ ، ٤٤١) .

ومن المفروض فى هذه الحالات أن العمليات الحربية الساحلية كانت مقصودة ؛ وثمة دلائل أيضا على قيام رحلات بحرية فى المحيط الأطلسى ، فعلاوة على الرحلة التى قيل إن يحيى الغزال قام بها إلى بلاط « ملك إسكندناوة » بعد سنة ٨٤٤م (وقد اختلف فى تعيين مكانها بين جتلاند وإيرلندة ؛ المصادر فى Brockelmann : *Gesch. der Arab. Litt.*، الملحق ١ ، ص ١٤٨ ؛ وانظر أيضا II،

Munis : *Contribution à l'étude des invasions des Normands* في *Bulletin de la Société Royale d'Etudes Historiques, Egypte* جـ ٢ ، الكراسة ١ ، سنة ١٩٥٠) نقرأ أيضا عن خشخاش القرطبي ، الذي أقلع على متن سفن في البحر المحيط وعاد بغنائم ثمينة (المسعودي: مروج الذهب، جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، انظر Lévi-Provençal: *Hist. Esp. Mus.*، جـ ٣ ، ص ٣٤٢) وعن مغامري لشبونة «المُغَرَّرون» (هكذا وردت) الذين أبحروا أياما طويلة غربا وجنوبا في المحيط الأطلسي ، وقد سمي شارع باسمهم في مسقط رأسهم (Jaubert : *Géog. d'Idrisi* ، جـ٢، ص ٢٦ — ٢٧ ؛ انظر أيضا جـ ١ ، ص ٢٠٠) ؛ ونذكر أيضاً خبراً عن صيد الحيتان في جوار إيرلندة (القزويني : عجائب المخلوقات *Cosmography* جـ ٢ ، ص ٣٨٨ ، وهو ينقل عن العذري ، المؤرخ الأندلسي الذي عاش في القرن الحادي عشر) .

صبحي [دنلوب D.M. Dunlop]

«بحر المغرب» : عرف البحر المتوسط عند العرب بجملة كبيرة من الأسماء نلاحظ في كثير منها أن اسم الجزء قد أطلق على الكل ، فيقال مثلا بحر طنجة وبحر إفريقية . وأكثر هذه الأسماء تداولا هي :

١ — بحر المغرب ، والبحر المغربي أو الغربي وقلما يقال : الدَّبوري .

٢ — بحر الروم أو البحر الرومي ، ويرد باسم بحر الإفرنج نادراً ، وهو يطلق في هذه الحالة على الأجزاء الأوربية .

٣ — بحر الشام أو البحر الشامي .

أما «البحر المتوسط» فهو اسم قديم بعكس «البحر الداخلي» الذي يلوح أنه اسم حديث . وبحر الإسكندرية أو بحر مصر يردان نادراً ، وهما يستعملان فحسب عند الكلام على الجزء الجنوبي الشرقي .

ويسمى هذا البحر كثيراً باسم البحر الملح تمييزاً له عن النيل ذي الماء العذب ، ويطلق عليه أيضا البحر الأبيض (بالتركية آق دكيز) والبحر الأخضر تمييزاً له عن المحيط الأطلسي الذي يسمى بالبحر المحيط المغربي ، وبحر الظلمة أو الظلمات ، والبحر المظلم ؛ ويرد أيضا البحر الأسود والبحر الأعظم أو الأكبر ومعناه المحيط ، ولاشك أن الاسم الأخير يطلق كذلك على البحر المتوسط في بعض الأحيان .

ويقول معظم جغرافيي العرب إن البحر المتوسط لايبدأ بمضيق جبل طارق الذي يسمونه الزقاق ، وإنما يضم أيضا خليج قادس حتى الشمال الغربي والجنوب الشرقي لهذا المضيق ، ويمتد محاذياً ساحل مراكش إلى أن يصل إلى سلا ورباط . وهم يتخيلون أن «مجمع البحرين» غربي عمد هرقل ، وهناك يلتقي البحر الأبيض أو الأخضر بالبحر المظلم أو الأسود فينشأ عن ارتفاع مياههما وانخفاضها المد والجزر ، ويسمى المحيط الأطلسي أيضا القاموس ، وهذا اللفظ مأخوذ من الكلمة اليونانية «أوقيانوس»

ويقول العرب إن كتب الأخبار تزعم أن البحر نشأ من غلبة مياه البحر المحيط على الأراضى المنخفضة التى أصبحت الآن بحراً ، أو أن البحر المتوسط كان فى القديم بحراً داخليا مقفلا ثم حدث أن فتى ملوك أسطوريون — من ملوك مصر ، أو الإسكندر الأكبر — البحر فنفذ الماء من مضيق جبل طارق (انظر قصة عمد هرقل) . ومما يذكر فى هذا الشأن أن علم طبقات الأرض قد أثبت أن الأندلس كانت متصلة بمراكش فى وقت ما .

ويطلق على البحر الأدرياوى عادة اسم بحر أوجوْن البندقية أو البنادقة ، كما أطلق اسم بحر أو خليج قسطنطينية على بحر إيجه ، وهذه التسمية تضم فى كثير من الأحيان بحر الأرخبيل وبحر مرمرة والبوسفور جميعاً . ويسمى البحر الأسود ببحر بنطس ، وهذا الاسم يرد محرفاً فى كثير من الأحيان فيقال « نيطَس (ش) » ، كما يسمى أيضاً ببحر طرابزندة وبحر الروس والبلغار أو بحر القرم ، ثم أطلق عليه فى العصور المتأخرة اسم البحر الأسود أسوة بالاسم التركى قره دكيز والاسم الروسى Ischernoje more .

أما بحر آزوف فيقال له « مانِّيطس (ش) » أو مانيطِس (ش) أومايطِس (ش) ، وهو يقابل پالوس ماوْطيس Palus Maeotis المحرف عن الكلمة اليونانية مايوتيس .

وقد أمدنا العرب بتقديرات مختلفة عن طول البحر المتوسط من الشرق إلى الغرب متبعين فى ذلك تقادير بطلميوس الذى غالى فيه كثيراً (انظر مقدمة رينو Reinaud لكتاب أبى الفداء ، ص ٢٧٦) .

وكما يسَّر البحر المتوسط سبيل التجارة فى قديم الأزمان للفينيقيين والقرطاجنيين والإغريق ، ومكَّن الإمبراطورية الرومانية فى أوربا من الاتصال بولاياتها فى إفريقية وآسية فإنه قد فصل فى منتصف القرن السابع بين الثقافة الإسلامية والحضارة المسيحية فى أوربا الوسطى ، وذلك بعد فتح العرب لشواطئ الشام وإفريقية الشمالية وغزوتهم القصيرة الأمد للأندلس والجزائر الهامة .

وطُرد المسلمون من صقلية والأندلس إلا أنهم عوضوا ذلك بعد فشل الأوربيين فى الحروب الصليبية ، ففتح الأتراك شرقى أوربا وتوغلوا فى شبه جزيرة البلقان من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر . ثم إن الدول الإسلامية المشرفة على البحر الأبيض والتابعة للعثمانيين — فيما عدا مراكش — اضمحلت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الوجهتين السياسية والعسكرية فسادت الحضارة الأوربية المسيحية فيها وعلت كلمة الأوربيين بين ربوعها واحتلت إنكلترة سيدة البحار مصر وأهم المحطات فى ذلك البحر ، بينما احتلت فرنسا بلاد تونس وغزت الجزائر عام ١٨٣٠ . (وانظر مادة « بحر الروم ») .

المصادر :

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٥ (٢) مراصد الاطلاع ، جـ ٤ ، ص ٢٦٢ وما بعدها (٣) الإصطخرى : المكتبة الجغرافية

العربية ، جـ ١ ، ص ٦٨ — ٧١ (٤) ابن حوقل ، المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٢ ص ، ١٢٨—١٣٧ (٥) القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ١٢٣ — ١٢٧ (ابن الوردى ، سنة ١٣٠٩هـ ، ص ١٠١ — ١٠٤) (٦) الدمشقي ، ترجمة مهرن، ص١٧٩ — ١٩٤ (٧) أبو الفداء ، طبعة رينو ، ص ٢٧ وما بعدها ، الترجمة ، جـ ١ ، ص ٣٢ — ٤١ (٨) الإدريسي ، ص ١٦٥ ، الترجمة ، ص١٩٧، ص ٥٣ (٩) عبد الواحد المراكشي : تاريخ الموحدين، طبعة دوزى ، جـ ٤ .

[تسيبولد C.F. Seybold]

+ «بحر الهند» هو الاسم الذى يطلقه العرب عادة على المحيط الهندى ، ويسمى أيضاً بحر الزنج نسبة إلى شواطئه الغربية ، ويطلقون اسم الجزء على الكل فيقولون «البحر الحبشى»، كما يقصدون ببحر فارس فى بعض الأحيان المحيط بأسره ،

ويقول ابن رسته (ص٧٨) إن شواطئ بحر الهند الشرقية تبدأ عند «تيز مُكْران» والغربية عند عدن ، أما أبو الفداء (تقويم البلدان ، الترجمة، جـ٢ ، ص ٢٧ = النص ص ٢٢) فيرى أن حده الشرقي هو بحر الصين ، والشمالى الهند ، والغربى اليمن ، أما الجنوبى فليس معروفاً ،

ولأجزاء البحر المختلفة أسماء خاصة مأخوذة من أسماء البلاد والجزر المختلفة . وإذا أغفلنا هنا ذراعيه الشماليتين — وهما بحر القلزم وبحر فارس فى معناهما الضيق — اللذين تكلمنا عنهما فى مادتين منفردتين ، فإنا نجد أن جزءه المسمى بحر اليمن يمتد على طول الشاطئ الجنوبى لجزيرة العرب ويشمل جزائر خُرْيان مُرْيان وسقطرى ،

وعلى الشاطئ الإفريقى عند باب المندب نجد أولا أرض بَرْبَرا ، أى بلاد الصومال إلى إلى ثغر مَرْكَة ثم نجد بلاد الزنج (انظر مادة « بحر الزنج») وفيها مدينة بَرَوَة ومَلِنْدَة وممباسا وجزيرة زنجبار ، أو بعبارة أخرى كينيا وتنجانيقا تقريباً حتى جزيرة قَنْبَلُو ، وتتصل سُفَالة بقنبلو ، ثم نجد أخيراً جزائر واق الواق (مدغشقر) على مسافة غير محققة .

وإذا خرج المرء من بحر فارس عند تيز مكران فإنه يصل إلى شاطئ السند مع دال نهر السند (مِهْران) ومدينة الدَيْبُل التجارية ، وعلى شاطئ بحر لارَوِى (أى بحر لار أو كجرات على الشاطئ الغربى للهند) مدينة كَنْبايا Cambay وسوبارة وصَيْمور وسَنْدَابورة (گوا) . ويفصل بحر لاروي هذا عن بحر هَرْكَنْد (خليج البنغال بما فيه المياه التى إلى الجنوب) أرخبيل الديبَجات وجزائر لكاديف وذيبة المهل . وقد فسرت «هركند» بأنها خطأ فى كتابة تَمَرْ لِيتى باللغة العربية (Reinaud) أوهَرْكَل (Marquart : انظر حدود العالم ، ص ٢٤١) ، ويلاحظ الإدريسي أن هذا الاسم إنما هو اسم هندى (طبعة Jaubert ، جـ ١ ، ص ٦٣)،

وآخر ثغور شاطئ الملابار هى كولَم مَلَى (Quilon) وأقصى جزائره جزيرة سرنديب (Ceylon)

ويظهر أن الطريق إلى جزائر الهند الشرقية كان يعبر مباشرة بحر هركند وبحر شلاهط إلى جزيرة الرامنى التى تحيط بها مياه بحر شلاهط. ومن الواضح أن جزيرة الرامنى (التى تسمى أيضاً الرامى ، الرمين = اللامرى ، ومن ثم يسمى البحر هنا بيحرلامرى) هى سومطرة، أو شمالى غرب سومطرة إذا شئنا الدقة (انظر J. Sauvaget. *Relation de la: Chine et de l'Inde*، ص٣٤) فى حين أن بحر شلاهط هو جنوبى مَلَقّا . وكان على الرحالة الذاهبين إلى الصين أن يبتعدوا ناحية الشمال بعض الشيء لأنهم يمرون بجزائر لَنْگَبالوس أو لنجبالوس أو جزائر نيقوبار وتوجد شمالها جزائر أندمان ، ومنها يذهب المسافر إلى كلاه بار (كِدَه Kedah) فى شبه جزيرة الملايو ، ومن ثم سمى بوغاز ملقا ببحر كلاه (كلاهبار) أما بحر شلاهط فهو البحر المتصل به من ناحية الجنوب . وقد وصلنا الآن إلى بلاد المَهراج ووسطها أرض الزابَج ، وكان هذا الاسم يدل فى الأصل على وسط سومطرة وجنوبها ، وهنا يجب أن نبحث عن إقليم سربوزة (قراءة فران Ferrand) أو بالنبانغ الذى كان يشمل جزيرة جاوة (جابه) وكان مدلوله السياسى يشمل مجموعة من الجزائر الصغيرة وشاطىء ملقا . ويقوم بعد هذه الجزر بحر كَرْدانج وخليج سيام الذى يمتد على شاطىء قِمار (خَمير = كمبوديا) فى بحر صَنْف، كما نجد بحر أنَّام والبحار المتصلة به عند الجنوب . وإذا تركنا جزيرة صُنْدُرفولات (هاىنان) نصل إلى بحر صَنْجى أى البحر الصينى حيث توجد خنفو (هانغ —چو) وهى سوق عظيمة للتجارة مع الغرب ؛ وكانت معلومات العرب عن الشيلا وجزائر واق الواق (اليابان ؟) مهوشة ومحدودة .

وكانت أفكار العرب عن بحر الهند فى القرن العاشر تزداد غموضاً كلما اتجهت ناحية الشرق أو الجنوب ، كما أن تفاسير أقوالهم يشوبها الشك ، وقد رددوا أقوال أسلافهم اليونان فى أحوال كثيرة . أضف إلى ذلك أنهم استغلوا أخبار رحلاتهم ، والتفصيلات التى أخذوها من المصادر المختلفة ولم يعنوا بترتيبها كى تبرز فى صورة منسجمة، فهم يقولون تارة إن بحر الهند يؤدى إلى « بحر الظلمات» الذى تظل أمواجه تلعب بالملاحين الذين يضلون طريقهم إلى ماشاء الله ، كما يعتقدون أحياناً أن بحر الهند يتصل بـ « البحر الأسود » شمالى آسية ، ويقولون أيضاً إن شرقى آسية وجنوبى إفريقية متصلان فيما يظهر ، ويتبين ذلك من إطلاق اسم واق الواق على بلاد اليابان (أوسومطرة ؛ انظر حدود العالم ، ص ٢٢٨) ، كما يطلق أحياناً على مدغشقر . ويؤيد الإدريسى هذا الرأى ، فهو يقول إن جزائر الزابج مقابلة لبلاد الزنج ؛

وكان رحالة العرب والفرس الذين استغلوا الرياح الموسمية يبدأون سفرهم من الخليج الفارسى وفيه سيراف وصُحار وهما ثغران مهمان ، ويظهر أن بلاد الزنج كانت أهم مراكز التجارة يبحرون إليها حتى من جزائر الزابج (وكان يستعمر مدغشقر أناس من جزائر الملايو) والزابج نفسها التى كانت على اتصال بالصين ؛ وتوقفت تجارة المسلمين

مع الصين عام ٢٦٤هـ (٨٧٨م) إثر نهب كانتون أثناء فتنة من الفتن (أبوزيد الحسن السيرافى فى Voyage du Marchand arabe : G. Ferrand Sulaymân ، ص ٧٥ وما بعدها ؛ المسعودى : المروج ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٨) على أن هذه التجارة لم تستعد نشاطها إلا بعد وقت طويل فى عهد المغول ، كما يتضح ذلك من وصف ابن بطوطة لرحلته .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٨ ؛ جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٣٥ — ٤١ ؛ جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٤١ — ٥٩ ؛ جـ ٣ ، ص ١٠ — ١٩ ؛ جـ ٤ ، ص ٩ — ١٦ ؛ جـ ٦ ، ص ٦٠ — ٧٢ (الترجمة ص ٤٠ — ٥٣) ؛ جـ ٧ ، ص ٨٣ وما بعدها ؛ جـ ٨ ، ص ٥١ — ٥٦ (٢) اليعقوبى ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ وما بعدها (٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٤٤ ، ٣٢٥ — ٢٩٥ (٤) بزرگ بن شهريار : عجائب الهند (طبعة Vander Lith مع ترجمة فرنسية بقلم M. Devic ، ليدن سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٦) (٥) القزوينى ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ١٠٦ — ١٢٣ (٦) Reinaud : مقدمته لأبى الفداء : تقويم البلدان ، الترجمة ص ٣٧٧ وما بعدها (٧) G. Ferrand : Relations de voyages et textes géographiques arabes persans, et Turks relatifs à l'Extrême - Orient du VIIIe au XVIIIe siècles ، جـ ١ — ٢ ، باريس سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ ، وقد طبع كله . (٨) الكاتب نفسه : Voyage du Marchand arabe Sulaymân en Inde et en Chine, rédigé en 581,suivi de remarques par Abû Zayd Hasan (vers 916) ، باريس سنة ١٩٢٢ ، (طبعة وترجمة J. S. Sauvaget : Relations de la Chine et de l'Inde ، باريس سنة ١٩٤٨ ، الفهرس) (٩) الكاتب نفسه : Le Tuhfat al-Albâb de Abû Hâmid Al-Andalusi Al-Gharnati فى Jour. As. ، سنة ١٩٢٥ ، ص ٩١ — ١١١ ، ٢٥٧ — ٢٦٨ (١٠) الكاتب نفسه : Instructions nautiques et routiers arabes et portugais des XVe et XVIe siècles ، المجلدات ١ — ٣ ، باريس سنة ١٩٢١ — ١٩٢٨ (١١) Hadi Hasan : Persian Navigation ، لندن سنة ١٩٢٨ ، ص ٩٥ — ١٦٤ (١٢) حدود العالم ، وخاصة الفهرس (١٣) G.F. Hourani : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early medieval Times ، برنستون سنة ١٩٥١ ، ص ٦١ — ١٢٢ (١٤) T. A. Schumovsky : Tri neizvestine lotsii Akhmada ibn-Mazhida arabakogo lotsmana Vasko da Gamii ، موسكو سنة ١٩٥٧ .

[هارتمان ودنلوب Hartmann-Dunlop]

+ « البحرين » : مفهوم فى علم تكوين الكون وخلقه ورد خمس مرات فى القرآن (إحداها فى حالة الرفع ، سورة فاطر ، الآية ١٢) ؛

وقد وصف البحران بأن أحدهما عذب فرات ، والثانى ملح أجاج (سورة فاطر ، الآية ١٢ ؛

سورة الفرقان الآية ٥٣) ؛ «ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر» ؛ ويقول الطبرى (التفسير، جـ ٢٥ ص ٥٥) إن العذب الفرات يدل على مياه الأنهار والمطر، والملح الأجاج يدل على مياه البحر.

وقد جعل الله بين البحرين برزخاً (سورة الفرقان، الآية ٥٣ ؛ سورة الرحمن، الآية ٢٠)، وحاجزاً (سورة النمل، الآية ٦١)؛ وقد أورد علماء المسلمين عدة تفاسير لهذا المفهوم، منها الرأى الذى يقول إنه يوجد بحر فى السماء وبحر فى الأرض يفصل بينهما حاجز (الطبرى: التفسير، جـ ٢٧، ص ٦١)؛ على أن معظم التفاسير أدخل فى الجغرافيا، والغالب بينها هو أن البحرين هما البحر المتوسط والمحيط الهندى بما فى ذلك البحر الأحمر؛ ومع هذا ذكر القرآن سبعة بحار فى سورة لقمان (الآية ٢٧).

وقد ورد ذكر مجمع البحرين مرة واحدة فحسب فى القرآن (سورة الكهف، الآية ٦٠)؛ ويذهب بعض المفسرين إلى أن مجمع البحرين هو ملتقى البحر الفارسى ببحر الروم (انظر البيضاوى، والطبرى، والنسفى، والزمخشرى وغيرهم)؛ أما غيرهم فيجعلون مجمع البحرين عند باب المندب (انظر هذه المادة) عند اتصال بحر الأردن بالبحر الأحمر أو عند مضايق جبل طارق (مثال ذلك القرطبى) وقد قال فنسنك Wensinck فى مادة «الخضر» بهذه الدائرة: «وثمة تفاسير بعيدة تذهب إلى أن مجمع البحرين معناه اجتماع موسى بالخضر وهما بحرا الحكمة».

وبعد الاستيلاء على القسطنطينية اتخذ محمد الثانى لقب سلطان البرين والبحرين، وكان هذا اللقب من الألقاب التى اتخذها سلاطين آل عثمان الذين خلفوه.

المصادر:

علاوة على تفاسير المفسرين (١) Kramers, J. H.: Djughrafiya فى هذه الدائرة (٢) الكاتب نفسه: Geography and Commerce فى The Legacy of Islam، أوكسفورد ١٩٤٧ (٣) الكاتب نفسه: L'influence de la tradition iranniene dans la Géographie arabe Ǵéographique classique des Musulmans فى Analecta Orientalia، ليدن سنة ١٩٥٤ (٤) A.J. Wensinck: The Ocean in the Literature of the Western Semites، أمستردام سنة ١٩١٨.

[W.E. Mulligan صبحى (. مولیگان]

«البَحْرَين»: مجموعة من الجزائر بالقرب من الشاطئ الغربى للخليج الفارسى على خط عرض ٢٦° شمالا، وأكبرها جزيرة البحرين، ويطلق عليها اسم أوال أو سمك، ويبلغ طول هذه الجزيرة حوالى ثلاثين ميلا وعرضها اثنى عشر ميلا وأعظم مدنها وثغورها المنامة، أما الجزر التى تصغرها فهى: المحرق وأم ... البلوغلى

والنبي صالح ، وصاية وخصيفة : وتشهر هذه الجزر باستخراج اللؤلؤ وهى صناعة أهلها منذ أقدم العصور : ويعطينا الجغرافى العربى الإدريسى وصفاً دقيقاً لطرائق استخراجه .

ويظهر أن اسم البحرين مشتق من شبه الجزيرة التى تمتد من الحسا وتقسم البحر شطرين . وقد سكنها الناس منذ بداية التاريخ لوجود مصائد اللؤلؤ فيها ، ويقال إن سرغون الأكبر غزاها . واسم تِلْوُون الذى يطلق على إحدى الجزر يرجع إلى العصر الأشورى، وهو يقابل اسم تيلوس الذى ذكره ثيوفراستوس وپليناس،وذكر أولهما اسم أردو وسمه أردوس Aradus . وكانت البحرين تابعة للخلافة الإسلامية فى القرون الوسطى . وكان للبرتغال محلة فيها من عام ١٥٠٧ إلى ١٦٢٢ م ثم أرغموا على تركها عند ما ضاعت منهم هرمز . وحكمها الفرس من عام ١٧٣٥ إلى ١٧٨٤، ثم تمتعت بشىء من الاستقلال ، وكان يحكمها أمراء من أهلها ولكنها دخلت فى حماية بريطانيا منذ عام ١٨٠١م . والمقيم البريطانى الذى تعينه حكومة الهند هو الحاكم الفعلى لهذه الجزر، أما شيخها فحكمه اسمى .

وعلاوة على مصائد اللؤلؤ تحصل الجزائر على إيراد لا بأس به من أحراج النخيل الجميلة التى تغطى الأراضى الحسنة الرى . أما سكان هذه الجزر فيتكلمون العربية ويفهمون الفارسية وهم من جنس مختلط . ونظراً لموقع هذه الجزر المنعزل فإن أهلها قد احتفظوا بعاداتهم القديمة،مثال ذلك أنهم لا يزالون يصيدون بالصقور على النمط الذى كان مألوفاً فى العصور الوسطى .

ويوجد فى أكبر هذه الجزر عدد كبير من القبور الحجرية المتقنة البناء،وهى الآن خالية ومقسمة إلى مجموعات كبيرة وصغيرة وأكبرها فى قرية أبى على التى تبعد حوالى ستة أميال عن ثغر الجزيرة، ولم يلتفت علماء الآثار إلى هذه القبور إلا مؤخراً . وقد فتح معظمها المقيم الإنكليزى المستر بريدكس، وظهر من الأبحاث التى أجريت عنها إلى الآن أنها مبنية على طراز واحد فمدخلها يواجه الغرب والبناء من طبقتين من صخور مكعبة عنى بنحتها . والطبقة السفلى أكثر ارتفاعاً من العليا : وتوجد على جانبى دهليز يؤدى إلى الشرق حنيات كانت معدة لتوابيت حجرية يرص الواحد منها فوق الآخر، وإلى جانب هذه الحنيات فجوات صغيرة من الواضح أن قضباناً خشبية كان من الممكن وضعها فيها كى تعلق عليها القرابين والنذور .

ولم يعثر للأسف فى تلك البقعة على شىء يستدل منه على الأصل التاريخى لهذه القبور . ووجدت هناك عظام بشرية وحيوانية منها جمجمتان قطرهما من الأمام إلى الخلف أطول من قطرهما الجانبى بشكل واضح ، وعدد كبير من عظام اليربوع ويظهر أنها تسللت كما هى عادتها إلى المقابر كى تموت فيها . كما عثر أيضاً على جزء صغير من تمثال ثور عاجى ، وأسورة من الذهب، وكمية كبيرة من الأوانى الفخارية بعضها صحيح وبعضها مهشم ، وهى مزينة بخطوط سوداء على

طريقة خاصة بها . وهذا كله لا يمكن أن يتخذ أساساً لحكم نطمئن إليه من الوجهة الأثرية ؛ ولم يكشف بعد عن شيء من الكتابات .

والنمط الذى بنيت عليه هذه المقابر يتفق إلى حد عجيب مع ما خلفه الفينيقيون ، وقد لاحظ هذا إسترابون Strabo الذى قال إن مقابر البحرين مشابهة لمقابر الفينيقيين ، (ج ١٦ ، ص ٣) . ويقول هيرودوت فى بداية تاريخه إن الفينيقيين جاءوا من الخليج الفارسى ؛ ومما يساعد على هذا الظن أن أسماء الجزر أرد Aradus وتيلوس Tylus وتيرس Tyrus تشير إلى هذا الاتجاه، وأسماها السائح الإنكليزى تيودور بنت الذى كان أول من لفت النظر إليها باسم المقابر الفينيقية معتمداً على الحقائق السابقة دون سواها ؛ وعارض بعض الباحثين هذا الغرض وقالوا إن المقابر يعود تاريخها إلى زمن متأخر عن ذلك الزمن ، وإن البحرين كانت بمثابة المدفن لسكان الشاطئ المقابل بين لنگا وبوشهر . وهذا لا يقف أمام الشواهد الصريحة التى أوردها إسترابون وهيرودوت ؛ ومن المحتمل أن تكون الأجيال المتأخرة قد استعملت هذه القبور ؛ وليس من السهل إنكار أن الحضارة التى أبدعتها أتناءها كانت وثيقة الصلة بالحضارة الفينيقية . ولكننا لن نصل إلى الرأى القاطع فى هذه المسألة إلا بالبحث المنهجى لعدد أكبر من القبور التى فحصت بعد .

المصادر :

(١) Sprenger : Die alte geographie Arabiens، ص ٢١٧ وما بعدها (٢) Wüstenfeld : Bahrein und Femama Nach arabischen geographen beschrieben (Arab. Collection of Notices by Writers)، گوتنكن سنة ١٨٧٤ (٣) Palgrave ؛ مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ، ج ٢٩ (٤) Theodore Bent فى أبحاث الجمعية الجغرافية الملكية ، المجموعة الجديدة ، ج ١٢ .

[أويسترب J. Oestrup]

+ البحرين : دولة فى الخليج الفارسى تحت الحماية البريطانية[١] ؛ وتتكون من أرخبيل يحمل الاسم نفسه يقع ما بين شبه جزيرة قَطَر وأرض العربية السعودية عينها ، ومن جملة جزر أخرى كبراها جزيرة حُوَار ، تجاه ساحل قطر الغربى مباشرة ، ويتنازع كل من حاكم البحرين وحاكم قطر فى رقعة صغيرة تحيط بالزُبارَة فى الشمال الغربى لقطر .

وما تورده المصادر العربية من مختلف التفسيرات عن اسم البحرين ، وليس فى أى منها ما يقنع ، دليل على أن أصل هذا الاسم لم يزل غير معروف . وكان الإسم قبل الإسلام ، وفى أيامه الأولى ، ينصب على البر الشرقى لجزيرة العرب بما فيه واحة القَطيف ، وهَجَر المعروفة الآن بالأحساء (انظر هاتين المادتين) ، ثم قُصر بعد ذلك على الأرخبيل البعيد عن الشاطئ (انظر القسم الخاص بالتاريخ فيما يلى) .

(١) كان ذلك وقت كتابة المادة .

ويبلغ طول كبرى هذه الجزر (أوال أو إوال في المصادر العربية المتقدمة ، وتسمى الآن البحرين) حوالي ثلاثين ميلا ؛ وأعرض جزء فيها ١٢ ميلا ، وتقع « المنَامَة » ، وهي العاصمة ، على الساحل الشمالي الشرقي منها ، ويربطها بمدينة وجزيرة « المُحَرَّق » في الشمال الشرقي ، معبر طوله ١٫٥ ميلا ؛ ومن الجزر الأخرى « ستْرة » التي يمتد منها رصيف داخل الماء لشحن الزيت ، والنبي صالح ، وأم الصُبَّان ، وجِدا ، التي كانت ذات يوم محجراً وهي الآن إصلاحية ، وأم نَعْسان ، وتسمى أيضاً النَعسان .

وجو البحرين حار رطب ، ومع هذا فمعدل سقوط الأمطار في السنة لا يتجاوز سبعة سنتيمترات تقريباً ، وثمة كثير من العيون الجارية ، تقوم عليها زراعة واسعة نسبياً تسير في قوس على طول نصف الساحل الشمالي للجزيرة الرئيسية من الزَلاّق إلى جو ، وكذلك في كثير من الجزر الأخرى ؛ كما يفور ماء عذب سائغ من بين مياه الخليج الملحة ، من عيون يسمونها الكَواكِب ، غير بعيدة عن الشاطىء . والبلح والبرسيم (الحجازى) والخضراوات من حاصلاتها الرئيسية ، وتربى بعض الأبقار لحلب ألبانها .

وجزيرة البحرين من حيث علم طبقات الأرض قبة مستطيلة من صخور رسوبية تميل قمتها الطبقات الجيولوجية إلى جهات متعاكسة ، وفي وسطها حوض مساحته ١٢ × ٤ أميال ، يقوم منه تل الدُخّان إلى ارتفاع ٤٥٠ قدماً تقريباً . وتقوم «شركة « بترول البحرين » Bapco هنا باستنباط الزيت ، وتملكها المصالح الأمريكية . ومعدل إنتاج الزيت اليومى منذ سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) ٣٠ ألف برميل يومياً ؛ على أن معامل تكرير الشركة تقوم بتكرير مائتى ألف برميل في اليوم ، معظمها زيت خام ينقل إليها في أنابيب تحت الماء من العربية السعودية ؛ ومكاتب الشركة ومساكن موظفيها الأجانب في العَوالى .

وأصبح الزيت الصناعة الرئيسية في البحرين ، بعد أن حل محل صيد اللؤلؤ فيها ؛ وكان عدد ما يخرج من البحرين من المراكب لصيد اللؤلؤ كل عام نحواً من ٥٠٠ مركب ، وذلك قبل التدهور المفاجىء الذى لحق بأسعاره سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩م) من جراء الهبوط الاقتصادى في العالم كله ، وزيادة المزروع منه في اليابان . ولا يعمل اليوم بصيده في البحرين إلا عدد من المراكب يعد على الأصابع ؛ ولكن صيد السمك مازال يقوم بأود الكثيرين ؛ وأغلب الصيد بالشباك والحضور (وذلك باستعمال سياجات من القصب والأسلاك تنصب على السواحل ، فإذا طغى الماء وقت مد البحر دخل السمك ، فإذا انحسر الماء عند جَزْر البحر انحجز السمك وأخذ) .

وأصبح بناء المراكب وترميمها ، وصناعة الأشرعة والشباك من الصناعات الصغرى . وكذلك صنع الفخار والطلاء بالجير والملاط .

وافتتحت ميناء جرة سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) لتزيد من تجارة الاستيداع التى تدر رسوماً جمركية

قدرها ٥ ٪ من قيمتها ، عن كل شئ يودع ، ما عدا سلع الترف . وأنشئ لهذا الغرض مرفأ طبيعى ممتاز عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) عندما شق ممر مائى فى المياه العميقة لخور القُلَيْعَة إلى عرض البحر . ومطار المُحَرَّق مركز « شركة طيران الخليج» ويستخدم فى الطيران الدولى المنظم بمواعيد، وتساهم الحكومة فيه . وتصل خطوطه إلى جهات عدة على الخليج .

وكان سكان البحرين سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠م) ١٠٩,٦٥٠ نفساً . منهم ٦١٪ فى المنامة (٣٩٦٤٨) والمحرق والحد . وبها جاليات من الإيرانيين والهنود والپاكستانيين ، فضلا عن ٢٠٠٠ من الأوروپيين والأمريكيين . والمسلمون ٩٨ ٪ من عدد السكان ، نصفهم تقريباً من الشيعة (معظمهم من الاثنى عشرية الجعفرية) وقليل من الشيخية ؛ وباقى السكان، ومن بينهم العائلة الحاكمة ، من السنيين (أكثرهم على مذهب مالك ، وبعضهم حنابلة) ؛ ويتركز السنيون فى كبريات المدن ، أما الشيعة ففى القرى الزراعية . ويسمى الشيعة هنا ، كما فى القطيف والأحساء فى العربية السعودية « بَحَارِنَة » (مفردها بَحْرانى)، أما السنيون المتوطنون فقد جروا على اتخاذ النسبة بَحْرَيْنى منعاً للبس . ويبدو أن الشيعة من سلالة سكان متقدمين فى هذه المنطقة ، والظاهر أنه لا يوجد ما يبرر افتراض أنهم من أصل فارسى ؛ وجملة صالحة من السنيين فى البحرين عرب أو أبناء عرب استوطنوا الساحل الفارسى فى يوم من الأيام . ويسمى هؤلاء هُوَلَة ؛

التاريخ

لم يزل الباحثون منذ قرن من الزمان تقريباً يوالون التنقيب فى آكام المقابر المتناثرة فوق النصف الشمالى من الجزيرة فى أعداد تبلغ ١٠٠,٠٠٠ أكمة ، عن الأسرار الكامنة وراء تاريخ البحرين الأول . ففى سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) فتح الكابتن إ . ديوران Capt. E. Durand أكمة قبر من أكبر القبور ، وعدة من القبور الأصغر . وقام بعده السيد بنت T. Bent[1] وزوجته وف . پريدو F. Perideaux وپ . كورنوول P. Cornwall بالكشف عن قبور أخرى . وكشف إ. مكاى E. Mackay عن سلسلة من أنماط مختلفة من هذه القبور وعمل عنها تقارير . ولا يزال أعضاء البعثة الدنماركية للعاديات ، التى بدأت أعمالها سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) ، برئاسة پ. گلوب P. Glob وت. ببّى T. Bibby ، تدرس عدداً من الآكام يرجح أن تكون إحداها هيكلا مركباً .

ويرى المنقبون الأولون أن هذه القبور من أصل فينيقى ، غير أن هذا الرأى لم يعد بعامة مقبولا . وتشتمل المواد التى عثر عليها فى هذه الآكام والمواد التى وجدتها البعثة الدنماركية فى مواضع أخرى كالتى فى جوار القلعة البرتغالية الخربة المسماة « قلعة عَجّاج » وعند بازْبَرْ ، على أدوات من البرونز والحديد وأختام من الحجر وأوان من المرمر وكسر من العاج وتوابيت البرنى من فخار مبطنة بالنفط ، وهناك ما يدل[illegible] ما عثر

عليه فى هذه القبور فى نجد الوسطى وعلى طول ساحل الجزيرة العربية ، حيث عثر على قبر كبير قرب « جاوان » ، شمالى القطيف ، كشف عنه ف. ڤيدال F. Vidal سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) وحدد تاريخه بالسنة المائة قبل الميلاد . ويدل انتشار هذا الحشد الكبير من الآكام فى مثل هذه الرقعة على أن إقامة هذه الآكام قد استمر عهوداً طويلة . ولاشك أن كثيرا منها أقدم عهداً من آكام « جاوان » .

ويقتفى علماء مختلفون أثر هـ. رولنسون H. Rawlinson) فى Jour. of the Royal Asiatic Society سنة ١٨٨٠) فيما يزعمه من أن البحرين هى عين دِلْمُن Dilmun التى يرد ذكرها فى السجلات المسمارية لبلاد الجزيرة . وهو زعم لا يقوم على سند حاسم . ذلك أن س. كرامر مثلا (S. Kramer فى Bull. of the American Schools of Orien. Research ، سنة ١٩٤٤) يعتبر أن الجنوب الغربى لإيران هو المكان الذى تلتمس فيه دلن فى أرجح الاحتمالات .

وتمدنا المصادر الإغريقية واللاتينية بمعلومات شحيحة عن شاطئ أراضى البحرين القديمة حيث كانت تقع فرضة « گرها » ، التى لم يستطع بعد تحديد مكانها . ولا تمدنا النقوش العربية القليلة التى كشف عنها حتى الآن فى جنوبى الجزيرة العربية إلا بالقليل من تاريخ هذا الإقليم قبل الإسلام .

وتتحدث الروايات العربية عن بعض العرب البائدة فى البحرين . وكانت الأزد القحطانية من القبائل العربية التاريخية الأولى ، فقد نزح كثير من أفرادها إلى عُمان ، وانضم آخرون إلى حلف تَنُوخ ، الذى يقال إنه عقد فى البحرين . ومن بين النازحين المتأخرين عن ذلك ، بعض أحلاف القبائل العدنانية ، كتميم وبكر وتغلب . ودخلت الأخيرتان منهما فى دين النصرانية . وفى زمن النبى كانت عبد القيس (انظر هذه المادة) العدنانية قد أصبحت هى العنصر السائد بين السكان .

وتدخل الساسانيون ابتداء من أردشير الأول فى أمور البحرين ، التى كانت تحت مرزبان من الفرس حينما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى شرقاً ليؤمن هذه البلاد . ولما قامت الردة ، انتقض رجل من سلالة اللخميين فى البحرين على الخليفة . وثبتت عبد القيس على الإسلام ، وكان على رأسها الجارود ، وهو نصرانى دخل فى الإسلام ، وهزم المرتدين عند جُواثاء فى الأحساء ، وعبرت قوات المسلمين إلى جزيرة دارين تجاه القطيف ، وربما إلى أوال أيضاً .

وكان للخوارج بقيادة نجدة بن عامر وأبى فُدَيك (انظر هاتين المادتين) حصن فى البحرين فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ولم تكن النصرانية واليهودية قد زالتا بعد زوالا تاماً ذلك أنه كان للنساطرة نشاط أتاح لهم أن يحتفظوا بمجمع فى دارين سنة ٦٧٦ هـ .

ودخل حكم العباسيين البحرين فى القرن الثانى للهجرة ، وقصرت المصادر العربية فلم ترو الكثير فى تبيان مداه وأثره .

ونزل على بن محمد — مثير فتنة الزنج ، وهو رجل ربما كان من عبد القيس — بالبحرين قبل شخوصه إلى العراق ، وكان ذلك أثناء حياته العملية الحافلة بالشغب . وفى سنة ٢٨١ هـ (٨٩٤—٨٩٥م) قاد محمد بن نور الوالى العباسى على البحرين حملة على إمامة الإباضية فى عُمان .

ووجد القرامطة (انظر هذه المادة) فى البحرين أشياعاً مخلصين لهم ، بين سكان المدن والبدو . وفى سنة ٣١٧ هـ (٩٣٠ م) حمل الحجر الأسود من مكة إلى البحرين ، وبقى بها عشرين سنة . وكشف انتصار المتفق سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٧ — ٩٨٨ م) عن ضعف القرامطة . بيد أنهم كانوا لايزالون محتفظين بسلطانهم عندما زار ناصر خسرو البحرين ، بعد ذلك بخمس وستين سنة . وفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٧ — ١٠٥٨ م) تحداهم أبو البهلول العوام بن الزجّاج من عبد القيس بإعادة الإسلام على مذهب أهل السنة الحق إلى أوال باسم الخليفة العباسى . ومنيت قبيلة عامر ربيعة من عُقيل (انظر هذه المادة)— وكانت تقوم بحراسة الجزيرة من قبل القرامطة — بهزيمة فى موقعة بحرية عند كَسكوس ، وهى جزيرة تجاه القطيف ، وجاءت خاتمتهم بعد ذلك بسنوات قلائل على أيدى أسر جديدة حاكمة من أهل الأحساء ، هم العُيونية (انظر هذه المادة) من عبد القيس ، يشد أزرهم سلاجقة العراق .

ونحن لانستطيع أن نعين تاريخاً دقيقاً لانتقال اسم البحرين من الأرض الأم نفسها إلى الأرخبيل المجاور لها المسمى بهذا الاسم ، ومن ثم فإن من الأوفق أن يقتصر كلامنا عن تاريخ البحرين على الجزر التى تحمل اليوم هذا الاسم .

دانت جزر البحرين للعيونية فى أول حكمهم ، وكان هؤلاء قد اتخذوا القطيف عاصمة لهم فى فترات من الزمن : ولما خرجت قبيلة عامر ربيعة عن الطاعة واستهانت بقوة العيونية ، أصبحت البحرين تابعة لبنى قيصر أصحاب جزيرة قيس (انظر هذه المادة) فى الخليج الفارسى الشرقى . وفى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) احتلت البحرين قوات أبى بكر بن سعد تابك فارس السلغورى ، ولكن البحرين عادت فاستردت استقلالها تحت حكم بنى عُصفور (انظر هذه المادة) وهم عشيرة من عامر ربيعة .

وأعاد الطيبية ، وهم أمراء التجارة فى جزيرة قيس ، البحرين إلى فلك جزيرتهم . ولكن سرعان ما وهنت سيادتهم بقيام هرمز الجديدة فى الشرق البعيد . وحوالى سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) ضم تَهَمْتَم الثانى الهرمزى جزيرة قيس والبحرين . وبعد قرابة خمسة عشر عاماً شخص توارنشاه الهرمزى بنفسه إلى البحرين . وجاء ذكر المنامة ، العاصمة الحالية ، لأول مرة فى ذلك الوقت ،

وفى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) أخرجت قبيلة عامر ربيعة أسرة حاكمة جديدة ، هى الجَبْرِيَّة ، (انظر هذه المادة) وكان أجْوَد بن زامل أعلاها شأوا وهو الذى ألحق البحرين بأملاكه وجعل للمذهب المالكى الغلبة على مذهب الشيعة : وطار صيت البحرين فى عهد هذا الأمير البدوى حتى وصل مصر والبرتغال بسبب ما بلغته من مجد .

ووصل البرتغاليون إلى البحرين من المحيط الهندى فى عهد متقدم يرجع إلى سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) ولكنهم لم يحتلوها إلا بعد ذلك ببضع سنين ، عندما أطاحوا بمُقْرِم عم أجود بعد تحالفهم مع هرمز ، وحدا بهم حكمهم المضطرب الذى دام حوالى ثمانين سنة إلى الاعتماد كثيراً على حكام محليين من السنيين من أبناء فارس . وفى منتصف القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) نازع العثمانيون البرتغاليين فى السيادة على الخليج . ولكن أمراء البحر الترك كانوا قرصاناً أكثر منهم حاكمين ، فلم تثبت لهم فى البحرين قدم .

وفى سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢ م) استولى الفرس أيام الشاه عباس الأول على البحرين ، وبقيت فى حوزتهم نيفاً ومائة وخمسين سنة إلا فترات انقطاع قليلة ؛ ولم تكن سيادة الفرس دائماً بوجود نفوذ قوى لهم ، لأن أدواتهم فى السياسة كانت فى الغالب من زعماء الهُوَلَة أو غيرهم من العرب الذين استوطنوا الخليج الفارسى مثل جبَّارة الطاهرى وناصر ونصر آل مذكور البوشهرية ، فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) .

وفى سنة ١١٩٧ هـ (١٧٨٣ م) طرد أحمد ابن خليفة من بنى عُتْبة (العُتوب) — وهم عرب هاجروا من نجد إلى الكويت ومنها إلى الزُّبارة بقطر — نصر آل مذكور من البحرين وأقام حُكم بيت خليفة الذى دام إلى يومنا هذا : ونازع تجار البحرين الشديدو العزم ، بما لديهم من موارد اللؤلؤ الثمينة ، إمارة مسقط فيما تبوأته مؤخرا من مركز الصدارة فى التجارة العابرة فى الخليج . وأثار ذلك هجمات شنها حكام مسقط من الإباضية خلال الخمس والأربعين السنة التى تلت . وجاءت أولى هذه الهجمات سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) بآل سعود من نجد لمؤازرة آل خليفة ، بيد أن السيادة السياسية التى أرادها آل سعود لم يمتد أجلها ، ولم تدعن الميول المالكية لسنيى البحرين إلا قليلا لحنبلية محمد ابن عبد الوهاب :

وفى سنة ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) أبرم آل خليفة أولى سلسلة المعاهدات مع الحكومة البريطانية ، وما وافت سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) حتى خضعت البحرين خضوعاً تاماً للحماية البريطانية ، وأصبح للبريطانيين الحق فى الهيمنة على المسائل السياسية كما أصبحوا أصحاب الحق دون سواهم فى تنمية الموارد الطبيعية للبلاد . وكان ازدياد النفوذ البريطانى موضوع اعتراضات متكررة من جانب الإيرانيين مدة تزيد على قرن من الزمان . ولا تزال

الحكومة الإيرانية تطالب فى إصرار شديد بولايتها الكاملة على البحرين . ومع أن العثمانيين كانوا يحتلون شاطئ الجزيرة العربية وقطر فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) وكانوا بذلك يطوقون البحرين حتى الحرب العالمية الأولى ، إلا أن وجود البريطانيين حال بينهم وبين ابتلاع هذه الجزر .

وعادت المسيحية الأصولية إلى البحرين سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٣ م) بعد انقطاع يزيد على الألف السنة . وذلك عندما أقامت البعثات الدينية لكنيسة الإصلاح الأمريكية الهولندية مقراً لها هناك . وفى سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) اكتشف الزيت فى الجزيرة الرئيسية فى أول حقول غزيرة الإنتاج فى هذا الجانب العربى من الخليج .

وأصبحت البحرين منذ سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) إلى ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) القاعدة الرئيسية للبحرية البريطانية فى الخليج . وفى سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) انتقل مقر المقيمية السياسية البريطانية فى الخليج من بوشهر إلى البحرين . وعقد الشيخ سلمان بن حمد ، الذى تولى الحكم سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢) اتفاقاً ودياً سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) مع الملك سعود عاهل العربية السعودية عين فيه الحدود البحرية بين البلدين ، وهو أول تحديد دقيق للحدود فى أى من المياه التى تحيط بشبه جزيرة العرب .

المصادر :

مصادر عربية وفارسية وتركية : (١) البلاذرى : فتوح البلدان ؛ (٢) الهمدانى ؛ (٣) حميد بن رُزَيق : الفتح المبين ، ترجمة ج . بادجر G. Badger ، لندن سنة ١٨٧١ ؛ (٤) ابن بطوطة : الرحلة = Voyages (٥) ابن حوقل ؛ (٦) المسعودى : مروج الذهب (٧) ناصر خسرو : سفرنامه ، طبعة Schefer ، باريس ، سنة ١٨٨١ (٨) الطبرى : تذكرة الملوك ، طبعة ف . مينورسكى Minorsky ، لندن سنة ١٩٤١ . (٩) ياقوت .

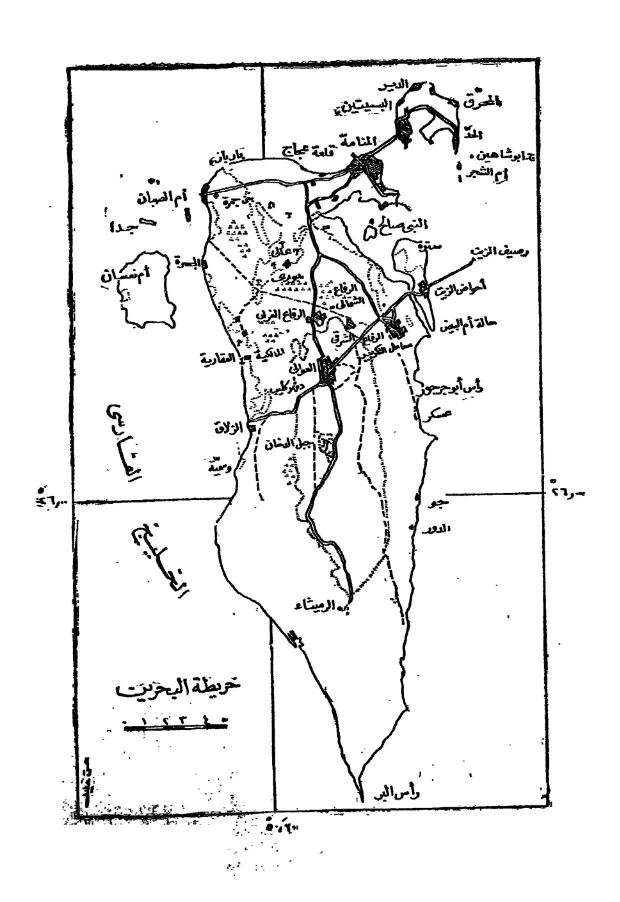
(١٠) أمين الريحانى : ملوك العرب ، بيروت سنة ١٩٢٩ ؛ (١١) حافظ وهبة : جزيرة العرب ، القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ ؛ (١٢) محمد بن بُلَيْهِد : صحيح الأخبار ، القاهرة سنة ١٣٧٠ — ١٣٧٣ هـ ؛ (١٣) محمد النبهانى : التحفة النبهانية ، القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ ؛ (١٤) الإمبراطورية العثمانية : وزارة الخارجية ، بحرين مسأله سى ، إستانبول سنة ١٣٣٤ هـ

العاديات : (١٥) Bent .J and Southern Arabia ، لندن سنة ١٩٠٠ . (١٦) T. Bibby و P. Glob فى Kuml ، أرهوس سنة ١٩٥٤ . (١٧) P. Cornwall : فى BASOR ، سنة ١٩٤٦ . (١٨) الكاتب نفسه : فى G J سنة ١٩٤٦ (١٩) الكاتب نفسه : Journ. of Cuneiform Studie ، سنة ١٩٥٢ . (٢٠) : E. Durand و H. Rawlinson : فى JRAS سنة ١٨٨٠ (٢١) S. Kramer : فى RASOR ، سنة ١٩٤٤ (٢٢) E. Mackay : فى Bahrein and Hemamieh ،

لندن سنة ١٩٢٩ ؛ (٢٣) A. Oppenheim : *The Seafaring Merchants of UR* في *JAOS* ، سنة ١٩٥٤ ؛ (٢٤) F. Vidal : المنهل (صحيفة دورية فى مكة ، سنة ١٣٧٥ هـ) .

تاريخ القرن التاسع عشر : (٢٥) R. Aigrain : *Arabie* في *Dict. d'hist. et de géog. ecclés* (٢٦) J. Aubin : *Les princes d'Ormuz* في *JA* ، سنة ١٩٥٣ ؛ (٢٧) C. Belgrave في *JRCAS* سنة ١٩٣٥ . (٢٨) Caetani: *Annali* (٢٩) الكاتب نفسه : *Chronographia Islamica* ، باريس سنة ١٩١٢ . (٣٠) W . Caskel : *Eine « Unbekannte » Dynastie,* في *Oriens* سنة ١٩٤٩ ؛ (٣١) M. de Goeje : *Mémoires sur les Cormathes du Bahrain* ، ليدن ، سنة ١٨٨٦ ؛ (٣٢) الكاتب نفسه : في *JA* ، سنة ١٨٩٥ . (٣٣) L. Lockhart : *Nadir Shah* ، لندن سنة ١٩٣٨ . (٣٤) الكاتب نفسه : في *BSOS* ، سنوات ١٩٣٥ — ١٩٣٧ ؛ (٣٥) C. Mathews : في *MW* ، سنة ١٩٥٤ ؛ (٣٦) C. Niebur : *Beschreibung von Arabien* كوبنهاغن سنة ١٧٧٢ ؛ (٣٧) A. Stiffe : في *GJ* سنة ١٩٠١ . (٣٨) A. Wilson : *The Persian Gulf* ، لندن سنة ١٩٢٨ (٣٩) F. Wüstenfeld : *Bahrein u. Jemâma* في *Abh. d. K . Ges. d .Wiss. zu Goett,* سنة ١٨٧٤ ؛

البحرين الحديثة : (٤١) الأميرالية : *A Hand-Book of Arabia* ، لندن سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ (٤٢) المصدر نفسه : *Irak and the Persian Gulf* ، لندن سنة ١٩٤٤ م . (٤٣) C. Aitchison : طبعة *A Collecion of Treaties* ، الطبعة الثالثة ، جـ ١١ ، كلكتة سنة ١٩٣٣ ؛ (٤٤) التقارير السنوية لحكومة البحرين وشركة بترول البحرين ؛ (٤٥) C. Belgrave : في *JCAS* ، سنة ١٩٢٨ ؛ (٤٦) J. Belgrave : *Welcome to Bahrain* ، الطبعة الثالثة ، البحرين سنة ١٩٥٧ ؛ (٤٧) J. Brinton في *Revue Egyptienne de Droit International* ، سنة ١٩٤٧ . (٤٨) O. Caroe : *Wells of Power* ، لندن سنة ١٩٥١ . (٤٩) V. Chirol : *Fifty Years in a Changing World* ، لندن سنة ١٩٢٧ ؛ (٥٠) G. Curson: *Persia* ، لندن سنة ١٨٩٢ ؛ (٥١) م. إسماعيل : *Le Golfe persique et les Iles de Bahrein* ، باريس سنة ١٩٣٦ . (٥٢) A. Faroughy : *The Bahrein Islands* ، نيويورك سنة ١٩٥١ ؛ (٥٣) وزارة الخارجية البريطانية : *Handbook on the Persian Gulf* ، لندن سنة ١٩٥٣ . (٥٤) L. Fraser : في *JCAS* ، سنة ١٩٠٨ ؛ (٥٥) G. Gooch و H. Temperley المحرران : *British Documents on the Origins of the Wars* ، المجلد العاشر ، جـ ٢ ، لندن سنة ١٩٣٨ . (٥٦) R. Hay : في *MEJ* ، سنة ١٩٥٥ (٥٧) H. Hazard : *Eastern Arabia* ، نيوهافن سنة ١٩٥٦ (٥٨) H . Hoskins : *British Routes to India* ، نيويورك سنة ١٩٥٨ (٥٩) الكاتب نفسه : في *MEJ* ، سنة ١٩٤٧ ؛ (٦٠) H. Liebensy : *MEJ* ، سنة ١٩٤٧ و١٩٥٦ ؛ (٦١) S. Longrigg : *Oil in the Middle East* ، لندن سنة ١٩٥٤ ؛ (٦٢) J. Lorimer : *Gazetteer*



خريطة البحرين
الخليج العربي
الدير
المحرق
البسيتين
الحد
المنامة
قلعة عجاج
أم الصبان
جدا
أم نعسان
عالي
النبي صالح
سترة
وصيف الزيت
أحواض الزيت
الرفاع الغربي
الرفاع الشمالي
الرفاع الشرقي
المالكية
العقارية
العوالي
الزلاق
جبل الدخان
رأس أبو جرجور
عسكر
جو
الدور
رأس البر

of the Persian Gulf, 'Omân, and Central Arabia ، كلكتة ، السنوات : ١٩٠٨ — ١٩١٥ ؛ (٦٣) History of the Indian Navy : C. Low ، لندن ١٨٧٧ (٦٤) Remarks on the Tribes, : L. Pelly Trade and Resources Around the Shore Line of the Persian Gulf, in Transactions of the Bombay Geogr. Soc. ، سنة١٨٦٣ . (٦٥) F. Qubain : في MEJ ، سنة ١٩٥٥ . (٦٦) أمين الريحاني : Around the Coasts of Ar. ، بوسطن سنة ١٩٣٠ ؛ (٦٧) Selections from the Records of the Bombay Gov't. ، المجلد الرابع والعشرون ، بومباى سنة ١٩٠٦ ؛ (٦٥) G. Kirk, A. Toynbee وغيرهما: Survey of Int'l. Affairs ، لندن سنة١٩٢٧ومابعدها؛ (٦٨) U. S. Hydrographic Office : Sailing Directions for the Persian Gulf ، واشنطن سنة ١٩٥٢ ؛ (٦٩) R. Whish في Transactions of Bombay Geogr. Soc., ، السنوات ١٨٦٠—١٨٦٢ (٧٠) S. Zwemer : Arabia ، نيويورك سنة ١٩٠٠ ؛

مطالب إيران : (٧١) F. Adamiyat : Bahrain Islands ، نيويورك سنة ١٩٥٥ (٧٢) J. Kelly : في Int'l. Affairs (London) ، سنة ١٩٥٧ ؛ (٧٣) M. Khudduri : Amer. Jour. of Int'l. Law ، سنة ١٩٥١ ؛ (٧٤) سعيد نفيسى : بحرين ، طهران سنة ١٣٣٣هـ (٧٥) G. Scarcia : في OM ، سنة ١٩٥٨ ؛

عبد القادر [رنتز ومولیگان Rentz- Mulligan]

البحرين : الوضع السياسى الآن

فى يوم الأحد الموافق ١٥ من أغسطس سنة١٩٧١ تم التوقيع بين حضرة صاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وسير جيفرى؛ أرثر المقيم السياسى البريطانى فى الخليج على الوثائق؛ المنهية للعلاقات التعاهدية الخاصة بين البحرين والمملكة المتحدة .

وقد أعلن ذلك فى بيان وقعه صاحب العظمة حاكم البلاد وجاء فيه :

أولا : انتهاء جميع المعاهدات والاتفاقيات السياسية والعسكرية التى تنظم علاقات التحالف الخاصة بين حكومة البحرين والحكومة البريطانية ، وعليه فقد بوشر فى الانسحاب العسكرى البريطانى من أرض البحرين .

ثانيا : أن البحرين الدولة العربية المستقلة هى صاحبة السيادة المطلقة على أراضيها ، وأن لحكومتها دون غيرها حق تصريف شئونها الخارجية وتنظيم علاقاتها الدولية .

ثالثاً : التقدم فوراً بطلب انضمام دولة البحرين إلى عضوية كل من الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة .

رابعاً : الطلب من الدول العربية الشقيقة والدول الإسلامية الصديقة ومن دول العالم الأخرى الاعتراف بوضع وكيان البحرين كدولة مستقلة ذات سيادة .

إنتاج الزيت :

يبلغ إنتاج الزيت حسب إحصائية ١٩٧٠ ٧٦٠٠٠ برميل فى اليوم من ٢٠٨ بئراً .

وطاقة معمل التكرير بالبحرين ٢٠٥ ألف برميل فى اليوم : وهو يكرر جميع إنتاج حقول البحرين وجزءاً من إنتاج المملكة العربية السعودية يصل إليه عبر خط أنابيب طوله ٣٤ ميلا ، منها ١٧ ميلا تحت الماء .

وتشترك المملكة العربية السعودية أيضاً مع البحرين فى حقل بحرى هو حقل أبو مسعفة الذى تستغله شركة آرامكو ومعدل إنتاجه ٧٠ ألف برميل فى اليوم .

عدد السكان :

يبلغ عدد السكان فى الإحصاء الرسمى لسنة ١٩٦٥ : ١٨٢,٢٠٣ نسمة ، وأول إحصاء جرى كان سنة ١٩٤١ وفيه كان سكانها ٧٤,٠٤٠ نسمة .

+ « **البَحْرِيّة** » : كتيبة مملوكية فى مصر ، وقد كان سلاطين الأيوبيين مماليك فى خدمتهم ، ولكن السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧هـ = ١٢٤٠ — ١٢٤٩) هو الوحيد الذى جند منهم خلقاً كثيراً ، فقد انتهز فرصة انغمار الأسواق الإسلامية بالرقيق من الترك النازحين من سهب القبچاق وما جاوره ، وهم الذين اقتلعهم زحف المغول من أوطانهم ، وجند منهم كتيبة من نخبة الحرس يتراوح عددها بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ فارس ، وسماها الكتيبة البحرية ، لأنه أقام أفرادها فى جزيرة الروضة ، على نهر النيل (بحر النيل) .

وقد أظهرت البحرية فى وقت مبكر جداً كل ما كان للمجتمع المملوكى الحربى من خصائص سلبية وإيجابية : أى المقدرة العسكرية الخارقة ، والاستبسال ، والوقوف صفاً واحداً ضد الأغراب ، من جهة ، والشقاق الداخلى ، من جهة أخرى ؛ وهؤلاء هم الذين أحرزوا النصر فى وقعتى المنصورة سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) وعين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) . ولكن انشقاقاً وقع بين صفوفهم قبل الوقعة الأخيرة بست سنين ، هدد وجودهم نفسه ، ذلك أنه بعد أن تولى أيبك ، وهو منهم ، السلطنة بزمن وجيز ، حاولوا خلعه ، فخاب سعيهم وقُتل زعيمهم أقطاى ولاذ منهم نحو سبعمائة بالفرار من مصر والتحقوا بخدمة عدد من الحكام الأيوبيين فى الشام والحاكم السلجوقى فى آسية الصغرى .

ولما توفى أيبك أخذ المبعدون من البحرية يرجعون إلى مصر ، جماعة فى إثر جماعة ، ولكنهم لم يستعيدوا ما كان لهم من مكانة سابقة ، فقد تقدمت بهم السن ، وقل عدد أفرادهم ، ومات آخر شخص منهم سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) . ولكن اسم البحرية بقى رغم ذلك قائماً حتى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، إذ كان يطلق على الحاميات المختلفة فى الحصون الشامية : والسبب فى ذلك أن الجنود البحرية الأوائل كانوا يقومون بواجبات الحاميات ، وبخاصة فى حكم السلطان قلاوون . وترجع أهمية الكتيبة البحرية إلى أن

إنشاءها أدى فى نهاية الأمر إلى قيام سلطنة المماليك، ومهما يكن من شيء فإن من الخطأ أن نسمى الحكم المبكر للمماليك (٦٤٨ — ٧٨٤هـ = ١٢٥٠— ١٣٨٢م) الذى كان للعنصر القبچاقى فيه الغلبة باسم عهد البحرية . فالاسم الشائع له فى مصادر المماليك هو « دولة الترك » ، تمييزاً له عن عصر الجراكسة (٧٨٤ — ٩٢٢هـ = ١٣٨٢ — ١٥١٧م) الذى كانوا يسمونه «دولة الجركس» . (انظر D. Ayalon فى *Le Régiment Bahriya dans l'Armé Mameluke* فى *REI*، سنة ١٩٥٢ ، ص ١٢٣ — ٤١) ؛

عبد القادر [د . آيالون D. Ayalon]

+ « البَحْرية » : مجموعة من الواحات فى صحراء ليبيا . والبحرية هى أقصى مجموعات الواحات المصرية شمالا فى هذه الصحراء ، والواحات البحرية يقال لها أيضاً الواحة البحرية (أى الواحات الشمالية) تمييزاً بينها وبين الواحات القبلية أى الداخلة (انظر هذه المادة وكذلك مادة « الخارجة ») . ويوجد بين هاتين المجموعتين من الواحات واحة الفرافرة الصغيرة التى يجعلها بعضهم من الواحات الداخلة . ويسمى البكرى واليعقوبى هذه الواحة باسم القَرْفَرُون . وتقسم الواحات الثلاث الكبرى أيضاً إلى : واح أولى وواح وسطى وواح قصوى . والواح الأولى هي البحرية التى تسمى الواح الصغرى ، وتسمى فى بعض الأحيان باسم البَهْنَسية لأنهم كانوا يصلون إليها بادئ الأمر من البهنسا . وقد فرق البكرى (كتاب المغرب ، ص١٤) بين بهنسا الصعيد وبهنسا الواحات . وجاء فى قاموس بوانيه بك (Boinet Bey : *Dictionnaire Géographique*) أن الواحة البحرية مركز من مراكز مديرية المنيا ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٦٠٠٠ نسمة . وتشمل أربع نواح : الباويط ، والقَصر ، ومَنْديشة ، والزَّبُو.

وتشتهر الواحات البحرية بخصوبتها الوافرة كغيرها من الواحات الأخرى . وكان لبلحها وعنبها شهرة كبيرة فى العصور الوسطى . ويزرع فيها أيضاً الحبوب والأرز وقصب السكر وخاصة النيلة . ويوجد بها معدن الشَّبّة وسلفات الحديد ، ولكن ليس هذا مقصوراً على الواحات البحرية وحدها ، ذلك أن جميع الإشارات التى لدينا فى ذلك الموضوع تجعلنا نقول بوجود هذه المعادن فى الواحات كلها . وترجع خصوبة الواحات إلى الينابيع الساخنة والعناصر الكيماوية المختلفة الموجودة فى مياهها .

وليس لدينا إلا معلومات شحيحة عن تاريخ الواحات البحرية . ففى عام ٣٢٢ هـ (٩٤٣ — ٩٤٤ م) كانت الواحات تحت سلطان أمير من البربر هو عبد الملك بن مروان ، وكانت مستقلة بأمر نفسها ، أما فى عهد الفاطميين فكان يحكمها وال مصرى هو أبو صالح . وفى زمن المقريزى والقلقشندى ، أى فى عهد المماليك ، كان يدير شئونها مباشرة الملتزمون لا الحكومة . وكانت الواحات فى جميع الأزمان عرضة لغارات البدو من العرب والبربر ، فالواحات الجنوبية (وربما كانت البحرية كذلك ؟) كانت فى ظروف مختلفة

الهدف الذى يوجه إليه ملوك النوبة حملاتهم . ولم تضم هذه الواحات إلى الحكومة المصرية إلا فى عهد متأخر. وقد زارها شوينفورث Schweinfurth عام ١٨٧٠ م ، وكثيراً ما زارها بعد ذلك الرحالة الأوروبيون .

وكان لهذه الواحات بلا شك شأن أكبر بكثير من شأنها اليوم ، تشهد بذلك آثار عدة معابد قديمة بناها الرومان ، كما تشهد به كنيسة ترجع إلى القرن السادس الميلادى . ويظهر أن الكنيسة القبطية كانت فى حالة زاهرة فى تلك الواحات حتى عهد متأخر ، فنحن نسمع بالمواكب الرسمية التى كانوا يضعون فيها جثة أحد القديسين فى تابوت يجره زوج من الثيران فى شوارع هذه الواحات . ولاشك أن المقصود بهذا القديس هو القديس بارولوميو Bartholomew (أو ربما القديس جرجس أو الاثنان معا) ولا شك أننا يجب أن نصحح ما ورد فى البكرى بهذا الخصوص، (ص ١٤) .

المصادر :

(١) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة ده سلان ، ص ١٤ – ١٥ . (٢) الإدريسى ، طبعة دوزى وده غويه ، ص ٤٤ . (٣) أبوصالح ، طبعة Evetts ، ورقة رقم ٩٣ أ ، ١٧٥ . (٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ . (٥) القلقشندى ، ترجمة فستنفلد ، ص ١٠٢ . (٦) ابن دقماق ، ج ٥ ، ص ١١ – ١٢ (٧) على مبارك : الخطط الجديدة ، ج ١٧ ، ص ٢٩ – ٣٠ (٨) Baedeker : *Egypt* ، الطبعة السادسة ، ص ٢٩٠ . (٩) Schweinfurth : *Prof. Dr. Aschersons Reise nach der Kleinen Oase* (*Peteremanns Geogr. Mitteil.*) ، ج ٢٢ ، ص ٢٦٤ (١١) Amélineau : *Géographie de l'Egypte* ، ص ٢٩٠ . (١٢) Guides Bleus : *Egypte* ، باريس ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ .

[بيكر C.H. Becker]

+ « البَحْرِية » : (١) الأسطول عند العرب حتى عهد الفاطميين (انظر الملحق)

(٢) البحرية عند المماليك : ظهرت سلطنة المماليك بعد مرور وقت طويل على قيام أوروبا النصرانية بتوطيد سيادتها البحرية التى لا تنازع فى البحر المتوسط . وقد قويت شوكة هذه السيادة كثيرا على مر الزمن الذى دامت فيه سلطنة المماليك ، ذلك أنه لم يكن لقوة المماليك البحرية ، والظروف هذه ، إلا فرصة قليلة لتثبت وجودها البحرى . وإنما يبرز نشاط المماليك البحرى فى مصادر التاريخ متصلا فى جوهره بالحملة المشئومة التى قام بها الظاهر بيبرس على قبرس عام ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) ، وحملة برسباى على هذه الجزيرة وعلى جزيرة رودس بين سنتى ٨٢٧–٨٢٩ هـ (١٤٢٤–١٤٢٦م) و٨٤٧ هـ (١٤٤٣ م) والحملة على البرتغاليين سنتى ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م) و ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) .

أما فيما سوى ذلك فقلما يذكر شيء عن هذا النشاط إلا فى النادر اليسير ، ولهذا فإنه من المستحيل علينا ومعلوماتنا على هذا القدر أن نكتب تاريخاً أو نصف تكويناً أو وظيفة لما كانت عليه بحرية المماليك ، وستورد فى المصادر أسماء المراجع عن بعض النواحى الفنية لقوة المماليك البحرية .

وسيكون لما تمدنا به مصادر المماليك من نظرة نافذة إلى العوامل النفسية والاجتماعية التى أملت عليهم موقفهم إزاء البحرية ، ما يعوضنا إلى حد كبير عن النقص الذى يشوب هذه المصادر فى إيرادها للمعلومات الفنية عن هذا الأسطول . ولما كانت هذه العوامل لا تقتصر بحال على مجتمع المماليك وحدهم ، فنسيكون فى بحثها فائدة للتاريخ العام للإسلام فى القرون الوسطى .

وسنبحث فى إيجاز الموضوعين الآتيين ، اللذين يرتبط أحدهما بالآخر برباط وثيق : (ا) موقف المماليك من البحرية ونتائج هذا الموقف ، (ب) سياستهم إزاء مرافئهم واستحكاماتهم الساحلية .

(ا) كان موقف المماليك من البحر سلبياً إلى أقصى حد ، وهو أمر متوقع من مجتمع حربى قوامه الفرسان . بل إن بيبرس الأول لم يشذ عن هذه القاعدة ، رغم إدراكه الفائق للمسائل الاستراتيجية ، ورغم ما عرف عن عنايته بالأسطول أكثر من أى سلطان مملوكى آخر ، وقد بلغت القوة البحرية للمماليك فى عهده الذروة . وبعد الكارثة التى حلت بأسطوله الصغير تجاه شاطئ ليماسول سنة ١٢٧٠ م كتب إلى ملك قبرس كتاباً يؤكد له فيه فضل نصر على البر يحرزه الفرسان على نصر فى البحر يحرزه المجذفون ، ويوجز بعد ذلك فى تبيان الفروق الجوهرية بين قوة الإسلام وقوة أوروبا النصرانية القائمة على أساطيلها : « أنتم خيولكم المراكب ، ونحن مراكبنا الخيول » (السلوك : ج ١ ، ص ٥٩٤ ، تعليق رقم ٣) . ولا يقل عن ذلك تنويراً للأذهان الأثر الذى أحدثه فى نفسه بلوغ نبأ هذه الكارثة إليه بعد وقوعها مباشرة : « الحمد لله فقد ملكنى الله تعالى الملك ، ما خذلت لى راية ، وكنت أخاف من إصابة العين ، فبهذا ولا بغيره » وإذن فكل ما ضحى به ليقى جيش بلاده شر العين هو عدد من المراكب ملاحوها من الفلاحين والعوام » (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، الجزء الثانى ، ص ٢٤ — ٢٥ ؛ السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩٤ ، ج ٢ ، ص ٢ — ٣ ؛ النهج السديد ، فى *Patrologia Orientalis* ، المجلد ١٢ ، ص ٥٤٢ ؛ ج ٢ ، ص ٢ — ٥) . ولا يكاد يخامرنا أدنى ريب فى أن عناصر أخرى أرقى فى طبقتها الاجتماعية من هذين العنصرين الآنف ذكرهما ، قد خدمت فى الأسطول أيضاً ، إلا أنها لم تكن تشتمل فى أغلب الظن على المماليك ، الذين كان لهم المقام الاجتماعى الأسمى . وعند ما أغرق الأسطول الصغير للظاهر بيبرس تجاه ليماسول ، نجح الفرنجة فى أسر قادة البحرية فى سلطنة المماليك عن بكرة أبيهم ، ومعهم رؤساء موانى الإسكندرية ودمياط

ورشيد ، واحتفظ ابن شداد الحلبي في سيرته المشهورة عن الظاهر بيبرس بثبت طويل جداً ضمّنه أسماء هؤلاء الأسرى (أدرنه ، سليمية ، ١٥٥٧ ، حوادث عام ٦٧٣ هـ ؛ وانظر الترجمة التركية لشرف الدين بالتقايا ، وقد حذف في هذه الترجمة مع ذلك هذا الثبت ، إستانبول سنة ١٩٤١ ، ص ٤٦) ؛ ولم يتضمن هذا الثبت اسم مملوك واحد ، ولم يكن بين هؤلاء الأسرى فرد واحد يعتبر جديراً بشرف تدوين سيرة له ؛ وليس هذا فحسب ، بل إن تواريخ المماليك التي تضم الألوف العديدة من التراجم ، لم ترد في أي منها ترجمة لقائد بحرى . وما يقرره المقريزى من أن لقب الأسطولى (أى رجل الأسطول) كان سُبَّة في أيام الأيوبيين بعد عهد صلاح الدين (الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ؛ جـ ٢ ، ص ٢ — ٣) يصدق أيضاً على أيام المماليك .

ويرجع معظم السبب في ضعف قوة المماليك في البحر إلى قلة وجود الأخشاب والمعادن . فقد اختفت أو كادت غابات مصر التي كانت دائماً تشغل مساحات قليلة ، نتيجة الإهمال ، في عصر المماليك . وكان في شمال الشام الغربى و في جوار بيروت غابات صغيرة تمد صناعة السفن بالأخشاب . وأخذ المماليك منذ منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تقريباً يستوردون كميات كبيرة من الأخشاب من «إلحون» في الجنوب الشرقى للأناضول . وكانوا يحملونها على مراكبهم في حماية قوات كبيرة من المماليك ؛ ولا تكاد المصادر المعاصرة تذكر شيئاً عما استوردوه من أوروبا من أخشاب ، ولا شك أنهم كانوا يستوردونها بكميات كبيرة .

وكان للحديد الخام مصدر واحد في السلطنة جميعها ، وهو منجم صغير قرب بيروت يستهلك إنتاجه محلياً في صناعة السفن ؛ ولم توجد قط معادن أخرى في حدود سلطنة المماليك .

على أنه رغم قيام هذه العوائق الكبيرة في طريق بناء السفن بسبب ندرة المواد الخام أو انعدامها ، فإن هذا السبب لم يكن إلا عاملا ثانوياً ، إذا ما قيس بنفور المماليك من البحر .

وحقيقة الأمر ، أنه لم يقم للمماليك أسطول دائم قط . فإذا أنشأوا أسطولا صغيراً فإنما كانوا يفعلون ذلك ليردوا به على عدوان فادح مخزٍ أوقعه بهم الفرنجة . وما كانوا يقيمون أسطولا صغيراً جديداً إلا بعد أن يكون القديم قد انتهى وجوده من زمن بعيد ؛ ولذلك كان الاحتفاظ بمجندين بحريين جديرين بهذا الاسم ، عملا مستحيلا في مثل تلك الظروف ؛ ولا عجب إذن أن يقوم الفرنجة بالإغارة على سواحل المسلمين كلما أرادوا ، والرجوع منها دون أن يمسهم ضرر ، وكانت الغارات بصفة عامة تنزل بالمسلمين بغتة ، فإذا أطلقوا النذير بالخطر ، كان الإنذار في أغلب الأحوال عن خطر زال .

بل لقد تضاءلت مع مر السنين أهمية القوة البحرية للمماليك ، ولم يكن ذلك بسبب انحطاط الدولة فحسب ، ولكنه كان ، وبصفة أساسية ،

بسبب زيادة استعمال الأسلحة النارية فى الحروب البحرية ، وشدد الفرنجة ضغطهم كثيراً على شواطئ المسلمين فى البحر المتوسط ؛ أما فى المحيط الهندى فقد أبادت وحداتٌ بحرية صغيرة من طراز جديد من السفن البرتغالية التى تمخر المحيطات ، مجهزة بمدفعية متفوقة ، مراكبَ المماليك الحربية التى خرجت تتعقبها ، وتمت لها هذه الإبادة فى يسر ، فمهدت بذلك الطريق قروناً عديدة للسيطرة الأوروبية على الطرق البحرية إلى الهند والشرق الأقصى .

(ب) وتدهورت قوة المسلمين البحرية باطراد فدفعهم ذلك ، بعد تردد طويل، إلى تخريب الموانى الشآمية الفلسطينية واستحكامات السواحل، وكانت نتيجة الحروب الصليبية أن أدرك المسلمون فى بطء أنه لم يكن لهم معدى عن صنع ما صنعوه، وابتدأ الأيوبيون التخريب ، غير أن معظمه تم على أيدى المماليك ؛ وكانت وقعة حِطّين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، وما جاء فى أعقابها من أحداث فى السنين التالية ، نقطة التحول . فقد برهنت للمسلمين على أنهم مهما بلغوا من نصر حاسم فى معاركهم البرية ، فإنه لا يصعب على الفرنجة بحال أن يقلبوا الآية بتفوقهم فى البحر . وكانت عسقلان ، التى دمرها صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) بأمر شخصى منه ، الضحية الأولى لتلك السياسة ، التى مضوا فيها بعد ذلك بعزم لا يلين !

ولما تسلم المماليك السلطة ، أزالوا حصون سواحل الشآم — فلسطين ، الواحد تلو الآخر ، وخربوا مرافئها ، وذلك من منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تقريباً حتى سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢م) ، وفى هذه السنة اجتيحت آياس قرب الإسكندرونة ، ولم تبق من قلاع السواحل العديدة قلعة واحدة ؛ وبنيت على أنقاض بعضها بروج ، وكان معظم الغرض من ذلك مراقبة البحر بالذات ، ومقاومة أى هجوم محتمل يقوم به الفرنجة .

وحاول المماليك فوق ذلك تقوية وسائل دفاعهم عن السواحل بتوطين الأكراد والخوارزميين والتركمانيين والأويرات وغيرهم قرب الساحل ، وكان هؤلاء قد لجأوا إلى السلطنة وأطلق عليهم اسم « الوافدية » . على أن هذه المحاولة لم تنجح بصفة عامة ، فقد اندمج هؤلاء الوافدية فى السكان الوطنيين واختفوا من حيث هم وحدة مستقلة ذات كيان ؛ ولم يُذكر ممن داوموا على حراسة الشواطئ فترة طويلة غير التركمانيين .

وانحطت مدن الساحل الشآمى الفلسطينى انحطاطاً كبيراً ، فاختفى بعضها اختفاء تاماً ، وصار البعض موانى صغيرة لصيد السمك ، وانتعش قليل جداً منها فعاد إلى رخائه فى وقت لم يطل أمده كثيراً ؛ وكان أعم أجزاء الساحل تخريباً وأشدها إقفاراً ، هو الجزء الممتد من جنوب صيداء إلى العريش (وبعبارة أعم ، شواطئ فلسطين) ، وبقيت عسقلان وأرسوف وقيسارية وعثليث أطلالا حتى العصور الحديثة ، وأخذت حيفا تنتعش بعد زوال حكم المماليك .

بسنين كثيرة ، بينما ظلت يافا وعكا دسكرتين ليستا بلدات أهمية أيام المماليك وفى أوائل حكم العثمانيين . وكان من أهم أسباب الخراب الشامل الذى ران على هذا الجزء من الساحل هو قربه من بيت المقدس واستواء السهل المجاور له واتساعه ، مما جعل منه مكاناً نموذجياً لإنزال الجنود إلى البر .

والبلدتان الوحيدتان اللتان انتعشتا فى وقت غير طويل بعد الضربة التى نزلت بهما هما بيروت وطرابلس ، غير أن وسائل دفاعهما كانت أضعف كثيراً مما كانت عليه فى الماضى .

ويعود المؤرخ صالح بن يحيى الفضل فيما نعرفه من معلومات عن نظام الدفاع عن بيروت أكثر مما نعرفه عن غيره فى الموانى الأخرى من ساحل الشآم - فلسطين ، والصورة التى تكشفت عن ضعف هذا النظام مفجعة حقاً (تأريخ بيروت ، ص ٢٨ - ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٧ - ٦٩ ، ٩٠ - ٩٤ ، ١٠٠ - ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٦٨ الخ) .

وبقيت الموانى المصرية ، من الناحية الأخرى ، سليمة أو تكاد ، وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى دمرت «تنيس» تدميراً لا قيام لها بعده ، أما دمياط فقد أعيد بناؤها سريعاً بعد تدميرها .

وكان السبب فى سلامة موانى مصر واستحكاماتها الساحلية : أولا - لم يغز الصليبيون البلاد المصرية إلا فى فترات قصيرة ، ثانياً - كانت التجارة مع العالم الخارجى حيوية لكيان البلاد ، (ولا ريب فى أن الاعتبارات الاقتصادية قد لعبت دورها الحاسم فى تعمير كل من بيروت وطرابلس) . وثالثاً - تمركز صفوة وحدات جيش المماليك فى مصر ، أو بمعنى أصح : فى القاهرة ، وكان من السهل عليهم أن ينفروا سراعاً إلى أى مكان على الساحل المصرى .

ويجب ألا نخرج مما ذكر آنفاً بأن المماليك وجهوا كثيراً من عنايتهم إلى السواحل المصرية ، فالذين نيط بهم الدفاع عن الإسكندرية وعن الموانى المصرية كافة ، كانوا جنداً من المرتبة الثالثة ، ويدخل فى ذلك أفراد من الكتيبة غير المملوكية التى كانت تتهاوى (وهى الحلقة) وبدو من الجهات المجاورة . وكانت عدتهم سلاحاً بدائياً إلى أقصى حد . ولما اضطر المماليك السلطانيون إلى أن يعسكروا فى هذه الموانى فى أيام الخطر الداهم ، لم يلبثوا بها إلا قليلا . ولم يتغير نظام الدفاع عن الإسكندرية تغيراً جوهرياً حتى بعد الضربة القاصمة التى أنزلها بها الصليبيون عام ١٣٦٥ م .

وانتهج المماليك سياسة مختلفة كل الاختلاف فى الجهات الداخليةمن السلطنة ، أى فى الجهات الجبلية من الشآم وفلسطين ، فأعادوا بشكل منظم بناء الحصون التى عطلت أو دمرت بفعل المغول أو نتيجة للقتال مع الصليبيين .

وشاع فى داخل البلاد - حتى فى الأطراف النائية بل فى النواحى غير المعروفة إلا قليلا - المصطلح «قلعة» ، وكانقد اختفى كلية من الساحل ،

المصادر :

دراسات : (١) إ ؛ خ ؛ أوزون چارشيلي : عثمانلي دولتي تشكيلاتنه مدخل ، إستانبول سنة ١٩٤١ ، ص ٤٦٣ — ٤٦٥ (٢) م ؛ م ؛ زيادة : *The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century* ، في مجلة كلية الآداب — الجامعة المصرية ، المجلد الأول (سنة ١٩٣٣) ، ص ٩٠ — ١٠٤ ؛ المجلد الثاني (سنة ١٩٣٤) ، ص ٣٧ — ٥٧ (٣) انظر أيضاً التعليقات القيمة عن المصادر في هذه المقالة (٤) D. Ayalon : *The Wafidiya in the Mamluk Kingdoms, in Islamic Culture,* المجلد ٢٥ ، سنة ١٩٥١ ، ص ٨٩ — ١٠٤ ، (٥) الكاتب نفسه : *Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom* ، لندن سنة ١٩٥٦ ، ص ٧٧ — ٨٢ ؛ وعن الصراع البحري بين المماليك والبرتغاليين : (٦) مصادر عن الأسطول المصري (ويشمل المماليك) وأحواض بناء السفن ، المقريزي : الخطط : جـ ٢ ، ص ١٨٩ ١٩٧ . وعن الحملات على قبرص وردوس ، وبالإضافة إلى ما جاء بتعليقات «زيادة» : المصدر المذكور : (٧) ابن تغري بردي : النجوم (طبعة پوپر) المجلد السادس ، ص ٥٩٠ وما بعدها ؛ والمجلد السابع ، ص ١٢٢ وما بعدها (٨) السخاوي : التبر ، ص ٦١ وما بعدها ، و ٨٧ وما بعدها (٩) ابن حجر العسقلاني : مخطوط بالمتحف البريطاني ، الإضافات رقم ٢٣٢١ ، ورقات ٣٦١ ب — ٣٦٤ ب (١٠) عن المصطلحات المتصلة بالأسطول والبحارة وبناء السفن وإعدادها وغيرها : ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ (١١) Zetterstéen (المحرر) : *Beiträge zur Geschichte der Mamluksultane* ، ص ٥٦ ، س ١٢ — ٢٤ (١٢) الفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد في (*Patrologia Orientalis*) ، المجلد الرابع عشر ، ص ٦٢٨ ، س ٦ و ٦٢٩ ، س ٤ (١٣) أبو الفداء : كتاب المختصر ، المجلد الرابع ، ص ٦ ، س ٢٦ — ٢٩ (١٤) ابن كثير : البداية ، المجلد الرابع عشر ، ص ٣٢٠ ، س ١٢ — ١٩ (١٥) المقريزي : السلوك ، المجلد الأول ، ص ٥٦ ، س ٦ — ١٣ ، ٧ ، ص ١٦ — ١٧ ، ٨٠ ، س ٩ — ١٠ ، ١٠٢ ، س ١٤ — ١٥ ، ٢٠٣ ، س ١٢ — ١٣ ، ٣٥٤ ، س ١٢ — ١٤ ، ٤٥١ ، س ١١ — ١٣ ، ٥٩٤ ، س ٢ — ٤ ، ٦١٥ ، س ٤ — ١٠ ، ٨٧٥ ، س ٦ — ١٠ ، ٩٢٨ ، س ١ ، ٨ ، ١٧ ؛ المجلد الثاني ، ص ٣٣ ، س ٤ — ٥ (١٦) الكاتب نفسه : النجوم (طبعة القاهرة) المجلد السادس ، ص ٣٨ ، س ٦ — ٧ ، ٣٦٩ ، س ١٠ — ١١ ؛ المجلد السابع ، ص ١٥٧ ، س ٨ — ١٠ ، ٢٢٦ س ٨ (١٧) الكاتب نفسه : المجلد الخامس ، ص ١٩٩ ، س ١٨ — ٢٠ ؛ المجلد السادس ، ص ٤٠٢ ، ٥٩٠ ، س ٢٠ — ٢٨ ، ٥٩١ ، س ٩ ، ٦٠٧ ، س ١٨ ، ٦٠٨ ، س ١ ، ٦١٥ ، س ١٨ ؛ المجلد السابع ، ص ١٣٤ ، س ١٢ — ١٣ ، ٢٠٨ ، س ١٢ ، ٢١٠ ، س ١٣ ، ٨٤٨ ، س ٤ — ٧ ، ٧٢٥ ،

فى الحاشية (١٨) ابن تغرى بردى : المنهل ، المجلد الثانى ورقة ٥٦ (١٩) الكاتب نفسه : حوادث ، ص ٣٤١ ، س ٤ — ١٥ ، ٣٤٦ س ١١ ، ٣٤٧ ، س ١٥ (٢٠) الكاتب نفسه : التبر ، ص ٤٧ ، س ١٥ — ١٦ (٢١) ابن الفرات : تأريخ الدول والملوك ، المجلد التاسع ، ص ٢٦٥ ، س ١٦ (٢٢) ابن إياس : بدائع الزهور (طبعة كاله) ، المجلد الرابع ، ص ١٠٣ ، س ١ — ٦ ، ٢١٢ ، س ٢ — ٤ ، ٢١٥ ، س ١٩ ، ٢١٦ ، س ١ ، ٢٣٨ ، س ٨ — ٩ ، ٢٤٣ ، س ١٨ — ١٩ ، ٢٤٦ ، س ١٠ — ١١ ، ٢٧٦ ، س ١٦ ، ٣٦٦ ، س ٩ — ١٠ ، ٤٦٦ ، س ١٨ — ٢١ ؛ المجلد الخامس ، ص ٨١ ، س ١٩ — ٢٤ (٢٣) صالح ابن يحيى : تأريخ بيروت ، ص ٣١ ، س ١٦ ، ٣٣ ، س ١٤ — ١٥ ، ٣٤ س ١ ، ٣٤ ، س ٨ ، ٣٥ ، س ٧ ، ٣٦ ، س ١ — ٣ ، ٣٦ ، س ٢٠ ، ٣٨ ، س ١٢ ، ٣٨ ، س ١٦ — ١٩ ، ١٠١ ، س ١٤ ، ١٠٢ ، س ١ ، ١٨١ ، ٢٣٨ (٢٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، المجلد الرابع ٤٣٨ ، س ١٨ ، ٤٣٩ ، س ١ (٢٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، المجلد الرابع ، ص ٦٣ ، س ١٨ (٢٦) الكاتب نفسه : خطط ، المجلد الأول ، ص ٢٦ ، س ١ — ١٨ ؛ المجلد الثانى ١٨٩ ، س ١٢ — ١٥ ، ١٩٥ ، س ٦ — ٨ (٢٧) الظاهرى : زبدة ، ص ١٣٩ — ١٤٠ ، ١٤٢ ، س ٢ — ٧ (٢٨) ابن حجر العسقلانى : إنباء ، مخطوط بالمتحف البريطانى ، رقم ٧٣٢١ ، ورقة ٣٦٢ ، س ٨ — ١٠ ؛ وعن المصادر التى جلبت منها أخشاب بناء السفن انظر (٢٨) الخطط ، المجلد الأول ، ص ١١٠ ، س ٣٧ و ١١١ ، س ٧ ، ٢٠٤ ، ٢٧٢ ، س ٧ — ٩ ؛ والمجلد الثانى ، ص ١٨٥ ، س ٥ — ٨ ، ١٩٤ ، س ١٠ — ١٣ (٢٩) النجوم (طبعة پوپر) المجلد السابع ص ٤٨٦ ، س ٧ ، ٤٨٧ ، س ٤ ، ٤٩٢ ، س ١٤ — ١٦ (٣٠) حوادث : ص ٩٦ ، س ١١ ، ٩٧ ، س ٤ ، ١١٥ ، س ١٠ — ١١ ، ١٢٩ ، س ٨ — ١١ ، ٢٥٥ ، س ٣ — ٥ ، ٣٠١ ، س ٤ — ٥ ٣٠١ ، س ٤ — ٥ ، ٤٧٠ ، س ٢ — ٩ (٣١) بن كثير : المجلد الرابع عشر ، ٣١٥ ، س ٢٣ — ٢٥ ، ٣٢٠ ، س ١٢ — ١٩ (٣٢) ابن إياس : المجلد الثانى ، ص ٥٤ ، س ١٩ — ٢٠ ، ٥٩ ، س ١١ — ١٢ ، ٦٣ ، س ١٧ — ٢٦ ؛ والمجلد الثالث (طبعة كاله) ص ١٤١ ؛ والمجلد الرابع ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، س ٢١ ، ١٨٤ س ١ ، ١٨٥ ، ١٩١ (٣٣) ضوء الصبح : ص ٢٩٥ (٣٤) صبح الأعشى : المجلد الرابع ، ص ١٢٤ ، س (٣) ٧ ؛ المجلد الثامن ، ص ٢٢٦ ؛ المجلد الثانى عشر ، ص ١٧٢ ؛ المجلد الرابع عشر ، ص ٦٨ (٣٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، الجزء الثانى ، ص ٢٣٤ ، س ٢٠ — ٢١ .

عبد القادر [د. آيالون D. Ayalon]

٣ — البحرية عند العثمانيين : كان بحر مرمرة وجزء من بحر إيجه يقعان ضمن حدود الدولة

العثمانية من يوم تأسيسها حتى زمن بايزيد الأول . وكان العبور إلى الروملّى يستلزم استخدام وسائل نقل تابعة لإمارة قرەسى ، الواقعة على شبه جزيرة قاپى داغى . وأحس بايزيد بحاجته إلى أسطول فى السنين الأولى لحكمه ، لأنه باحتلاله إمارات صاروخان وأيدين ومنتشه التى كانت تحتل سواحل غربى آسية الصغرى ، كان قد وصل إلى البحر المتوسط . واستخدم أساطيل الإمارات المحتلة لمنفعته ، وبنى فى نفس الوقت داراً لصناعة السفن فى غاليپولى . وبدأ نشاط بحرى فى بحر إيجه ، وجعلت غاليپولى سنجقاً وأصبحت قاعدة لإمارة البحر العثمانية . وأضيفت إليها بعد ذلك سناجق أخرى ليكون منها إيالة القپودان پاشا . ولم يقتصر بناء السفن على غاليپولى ، بل تعداه إلى شواطئ بحر مرمرة ، وبحر إيجه ، وبعض مراكز على ساحل البحر الأسود . وازداد النشاط البحرى .

ووقعت أول معركة عثمانية بحرية ضد البنادقة سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) وكان چالى بك ، سنجق غاليپولى هو القپطان پاشا العثمانى ، وفى هذه الموقعة التى جرت بين جزيرة مرمرة وغاليپولى ، قتل چالى بك ، كما أصيب پترو لوريدانو أمير البحر البندقى بجرح فى عينه . وتم الصلح فى السنة التالية بوساطة إمبراطور بوزنطة .

ثم اطرد تقدم البحرية العثمانية بعد ذلك ، فأخضعت لسلطانها فى بحر إيجه بعض جزائر عديدة كانت تحت يد جنوة . ثم استولى العثمانيون سنة ٨٦٠ هـ (١٤٥٦ م) على ميناء إنيز وعلى جزر إمبروس وثاسوس وساموثراس ولمنوس . وفى سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦٢ م) استولوا على ليسبوس . ثم ما لبثوا أن اشتركوا فى سلسلة من المعارك البحرية الطاحنة مع البنادقة ، واستولوا سنة ٨١٥ هـ (١٤٧٠ م) على جزيرة أيوبيا ، القاعدة الهامة عند البنادقة . واستولوا على جزر البحر الأيونى فى أواخر حكم محمد الثانى .

وما إن أشعرت الإمبراطورية العثمانية العالم بقوتها البحرية ، حتى التحق بخدمتها خير الدين « بربروسه » أمير الجزائر ، فسمت بها براعته إلى أعلى درجات القوة . ولما كتب للعثمانيين النصر فى موقعة پريڤيزة Preveza فى الرابع من جمادى الأولى (الثانى من سبتمبر سنة ١٥٣٨) صارت لهم السيادة البحرية على البحر المتوسط .

وخسرت الإمبراطورية العثمانية أسطولها فى هزيمتها عند ليپانتو Lepanto سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) غير أنها بفضل نظام الأوجاقلق (وهو نظام يقضى بأن يتولى إقليم بعينه إمداد دار الصناعة بنوع معين من مواد بناء السفن . فمثلا جزيرة ثاسوس ، كان عليها أن تورد خشب الصنوبر إلى أحواض بناء السفن فى لمنوس ؛ انظر أوزون چارشيلى ، عثمانلى دولتنك مركز وبحريه تشكيلاتى ، أنقرة سنة ١٩٤٨ ، وبخاصة التعليق على ص ٤٤٩) أنشأت أسطولا جديداً فى مدة قصيرة قدرها خمسة أشهر وأرغمت به البنادقة على الصلح وعلى توقيع معاهدة لا تشرفت .

ودب الضعف فى الأسطول العثمانى حوالى نهاية القرن السادس عشر، وذلك من جراء العشوائية فى تنصيب أناس ليست لديهم خبرة بحرية فى مناصب قبطان باشالق، أى قائد القوات البحرية. ومنذ أوائل القرن السابع عشر استبدل البنادقة بسفنهم التى تسيرها المجاديف، غلايين تسير بالشراع. وأصر العثمانيون على استخدام المجاديف. ولهذا السبب ولأن بحارة هذه السفن كانوا مسخرين ليس لهم اهتمام بأعمال البحر، قل نجاحهم حتى سقطت جزيرتا تينيدوس Tenedos وليمنوس Lemnos فى أيدى الأعداء.

وانتهى بهم الأمر أثناء تولى قره مصطفى المرزيفونى الصدارة العظمى (١٦٧٦ — ١٦٨٣ م) إلى قبول مبدأ أن تكون الغلايين الشراعية هى الأساس فى الأسطول (وهو مبدأ أخذت به وطبقته من زمن بعيد بحرية الجزائر، إحدى الولايات التابعة للعثمانيين). وبذلك تعادل ميزان القوى مع البنادقة فى البحر المتوسط، وفى سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٥م) انتزعت منهم جزيرة خيوس Chios، وفى سنة ١٧٠١ سن قانون منظم للغلايين وقادتها وبحارتها.

وفى غضون النصف الثانى للقرن الثامن عشر لم تنشب معركة بينهم وبين البنادقة الذين وهنت قواهم، وانتقل معظم النشاط البحرى فى غربى البحر المتوسط، إلى الإنكليز والفرنسيين. وفى أثناء الحرب الروسية التركية التى بدأت سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) دخل الأسطول الروسى الذى كان الإنكليز قد نهضوا به فى بحر البلطيق البحرَ المتوسط، ونجح سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧١ م) فى القضاء قضاء مبرماً على الأسطول التركى عند چشمه. وأصبح للمسائل الحربية بعد معاهدة «كوچوك قينارجه» التى أبرمت سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) لأسبقية، وافتتحت مدرسة للهندسة فى دار الصناعة، واستحضر لها أساتذة خبراء من أوروبا. وفى عهد سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧ م) علقت أهمية كبيرة على تجهيز الأسطول بالأساليب الحديثة، وذلك نتيجة لغيرة كوچوك حسين پاشا وحميته. ووسعت مدرسة الهندسة البحرية، وأنشئت مدرسة للهندسة الحربية، ولم يهمل شأن الأسطول فى حكم محمود الثانى (١٨٠٨ — ١٨٣٩ م) ولكن أسباباً مختلفة داخلية وخارجية عاقت نموه، بيد أن القادة والمهندسين البحريين كانوا رغم ذلك يتدربون فى مدرسة الهندسة البحرية، وكان من نتائج ثورة المورة، وقيام إنكلترة وفرنسا وروسيا بمساندة العصاة أن تحطم الأسطول العثمانى فى خليج نافارين سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م). ولم يتوقف النشاط رغم هذه الكارثة، وافتتحت فى سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) أكاديمية بحرية فى هيبلياده. وأحرزت البحرية العثمانية فى عهد عبد العزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦ م) مركزاً قوياً نتيجة لما علقه هذا السلطان عليها وعلى الجيش من أهمية. غير أنه بسبب التراخى الذى ران على كل شىء أيام حكم السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ — ١٩٠٩ م) أهمل شأن الأسطول الذى كان قد

أعيد بناؤه بحماسة كبيرة ، وعانت الإمبراطورية العثمانية ذات الشواطئ الممتدة على ثلاث قارات خسارة فادحة فى أملاكها .

وكانت القادرغة (الغليون) والقاليته (الغليون الصغير) والفرقاطة هى الأنماط الرئيسية لسفن العثمانيين أيام استخدام المجاذيف . وكان ربابنة السفن يسمى كل منهم « رئيسا » ، وقائد سرب من السفن قبطان ، والقائد الأعلى للأسطول قبودان دريا ، والسفينة العظيمة الخاصة بالقبودان دريا أو القبطان باشا ، باشتارده . وكانت القادرغه من صنفين : خاصه قادرغه لرى » ، « وبك قادرغه لرى » ، وتنشئ الحكومة الصنف الأول ، ويبنى الصنف الثانى سنجق بكية إيالة القبطان باشا .

وبعد اتخاذ الشراع أساساً فى الأسطول ، عهد بالأسطول إلى ثلاثة من أمراء البحر تحت إمرة قبودان دريا ، وهم حسب ترتيب أسبقيتهم : القبودانه (أى أمير البحر) والپاترونه (نائب أمير البحر) والرياله (أى لواء بحرى) ، وكان الترتيب التنازلى بالنسبة لحجم السفن الرئيسية كما يأتى : القوروت ، والفرقاطين ، ونوعان من الغلايين يعرفان باسمى إيكى عمبرلى قاپاق وأوج عمبرلى . ويسمى بحارة الغلايين : قليونجى ويشماون الآيلاقجية (البحارة المؤقتين) والمارينار (أسرى الحرب) والغابيار (المختصين بالأشرعة) والصنعت كار (وهم ذوو الحرف من نقاشين وحدادين وقلفطية) ، والسوده غابو (المدفعيون) . ويلى قبطان پاشا رتبة فى دار الصناعة بإستانبول كل من ترسانه كتخداسى وترسانه أمينى ، ويلى هذين ضباط فى الرتبة الثانية والثالثة . وكان لقب محاسب دار الصناعة « جانب أفندى » : وكان ترسانه كتخداسى فى رتبة نائب أمير بحر قبل استخدام الشراع ، وكان من وظيفته الإشراف على النظام فى دار الصناعة ، وكان ترسانه أمينى يتلقى تدريبه فى الباب العالى ، وكان يشرف على المهمات والدخل والمنصرف فى الأسطول ودار الصناعة ، وألغيت هذه الوظيفة عام ١٨٣٠ م وأسندت أعمالها إلى القبطان پاشا .

وفى سنة ١٨٤٠ م أنشئت رتب جديدة لكل من الجيش والأسطول ، وفى سنة ١٨٥١ م أنشئت وزارة للبحرية (بحريه نظارتى) واختصت بالأعمال الإدارية والمالية التى كانت تسند إلى ترسانه أمينى ، وألغى لقب قبودان دريا ، وشكل مجلس للقيادة . وفى يونية سنة ١٨٧٦ م أعيد لقب قبودان دريا ، ثم حدث أخيراً أن ضمت وظيفتا كل من الوزير والقائد العام للأسطول فى وظيفة واحدة يتولاها رجل برتبة مشير . واستمر هذا الترتيب حتى نهاية العهد بالإمبراطورية العثمانية .

وبعد قيام حكومة المجلس الوطنى الكبير فى أنقرة عام ١٩٢٢ ، شكلت وزارة للبحرية (بحريه وكالتى) ، وفى سنة ١٩٢٧ ألغيت هذه الوزارة ، فصار وزير الدفاع الوطنى مسئولا عن المسائل البحرية ، التى تتولاها منذ ذلك الحين إدارة يرأسها وكيل دائم (مستشار) .

المصادر :

(١) فوزى قورت أوغلى : توركلرك دكيز غاريه لرى ، إستانبول سنة ١٩٣٥ — ١٩٤٠ م ؛ (٢) إ. ح. أوزون چارشيلى: عثمانلى دولتنك مركز وبحريه تشكيلاتى ، أنقرة سنة ١٩٤٨ ؛ عثمانلى تاريخى ، المجلدان الأول والثانى ، أنقرة ، السنوات ١٩٤٩ — ١٩٥٤ ؛ (٣) كاتب چلبى : تحفة الكبار فى أسفار البحار ، إستانبول سنة ١٧٢٨ ، ١٩١٤ ؛ وترجمة إنكليزية للفصول من ١ إلى ٤ بقلم J. Mitchell : *History of the Maritime Wars of the Turks*، لندن سنة ١٨٣١ ـ (٤) م. شكرى : أسفار بحريه عثمانيه ، إستانبول سنة ١٣٠٦ هـ ؛ (٥) سليمان نطقى : قاموس بحرى ، إستانبول سنة ١٩١٧ ؛ (٦) و. ميرمير أوغلى: فاتحنك دونانمامى ودكيز صاواشلرى، إستانبول سنة ١٩٤٦ ؛ (٧) على حيدروف : كرد أوغلى : توركلرك دكيز حرب صنعتنه خدمتى : إستانبول سنة ١٩٣٤ ؛ (٨) باشوكالت أرشيوى ؛ (٩) مهمة دفترلرى رقم ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ووثائق بحرية فى معلم جودت تصنيف ـ (١٠) خط همايون ؛ (١١) دكيز مكتبى تاريخچه سى . (١٢) Sir Adolphus Slade : *Records of Travel in Turkey, Greece, etc.*، لندن سنة ١٨٣٣ (١٣) R.C. Anderson : *Naval Wars in the Levant*، پرنستون سنة ١٩٥٢ ؛ (١٤) H.A. von Burski : *Kemal-Re'is : ein Beitrag zur Geschichte der Tuerkischen Flotte*، بون ، سنة ١٩٢٨ ؛ (١٥) P. Wittek : *Das Fürstentum Mentesche*، إستانبول سنة ١٩٣٤ ، الفهرس (مادة Korsaren) (١٦) J. Deny ، انظر مادة ريالة (١٧) Ubucini : *Lettres sur la Turquie*، خطاب ٢٠ .

[Uzunçarsili عبدالقادر چارشيلى]

+ « بَحْشَل » ، أسْلَم بن سهل الواسطى الرزّاز : صاحب تاريخ واسط ، ونحن لانعرف عن حياته إلا بعض أسانيده ومنهم وهب بن بقيّة (١٥٥ — ٢٣٩ هـ = ٧٧٢ — ٨٥٣ م) ويظن أنه جده لأمه (ولكن انظر الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ١٣ ، ص ٤٨٨ ، س ٣ — ٤)، وأنه توفى على التقريب بين سنتى ٢٨٨ و٢٩٢ هـ (٩٠١ — ٩٠٤ — ٩٠٥ م) .

وقد انتهى إلينا تاريخ واسط فى مخطوط غير كامل محفوظ بالقاهرة (مكتبة تيمور ، تاريخ ، رقم ١٤٨٣) ، ولهذا المخطوط قصة طريفة وقيمة إلى ذلك كبيرة ، ذلك أنه أقدم مخطوط محفوظ قصد به أن يكون معينا لعلماء الحديث على تقدير حجية الرواة .

ويبدأ الكتاب بالحديث عن تاريخ واسط الأول وأرباضها مع جنوح إلى الإيجاز ، ثم يتناول علماء الدين الذين كانت لهم صلة بواسط وربطهم بالمؤلف سلسلة لا تنقطع من الرواة ؛ وقد رتبت التراجم فيه على التسلسل الزمنى بحسب طبقات

العلماء (والقرن هنا يستعمل للدلالة على المصطلح الأكثر شيوعاً وهو « الطبقة ») . وهذه التراجم تحتوى على معلومات شخصية قليلة ، وهى تنصرف بصفة عامة إلى اسم العالم وشيوعه وتلاميذه مع ذكر حديث —وفى بعض الأحيان أكثر من حديث— من الأحاديث التى رواها . وهذا الكتاب، إن لم يكن يمثل بدايات المصنفات التى سرعان ماتطورت بعدُ إلى أحكم كتب التراجم التاريخية فى الإسلام، فإنه يمثل علَى الأقل مرحلة بسيطة فى طريق هذا التطور .

المصادر :

(١) ياقوت : إرشاد الأريب ، حـ ٢ ، ص ٢٥٦ . (٢) الذهبى : ميزان،القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، جـ ١ ، ص ٩٨ . (٣) الصفدى : الوافى . (٤) ابن حجر : لسان،جـ١،ص٣٨٨ . (٥) الكاتب نفسه: المعجم المفهرس ، مخطوط فى القاهرة ، مصطلح الحديث ، رقم ٨٢ ، ١٠٢ . (٦)بروكلمان،قسم١،ص٢١٠.(٧) F. Rosenthal: *A History of Muslim Historiography* ، لندن سنة ١٩٥٢ ، ص ٨٣ ، ١٤٤ ، ٤٠٦ .

خورشيد [روزنتال F. Rosenthal]

« البحوث » : اسم من أسماء السورة التاسعة فى القرآن .

« بَحِيرا » ، اسم راهب نصرانى : يروى أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم ، عندما بلغ الثانية عشرة من عمره خرج إلى الشام مع عمه أبى طالب فى قافلة له . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام أو ما جاور هذه المدينة ، لاحظ راهب كان يقطن تلك الجهة فى صومعة له أن أحد أفراد ذلك الركب كانت تظلله غمامة ، وأن الشجرة التى جلس تحتها قد تهصرت أغصانها حتى أظلته . وقد صنع الراهب بحيرا لهذا الركب طعاماً ودعاهم إليه ، فاجتمعوا إليه إلا محمداً إذ تركوه لحراسة القافلة ؛ ولما نظر بحيرا فى القوم لم ير بينهم صفة الشخص الذى وصفته كتبه أنه آخر الأنبياء ، فسألهم هل تخلف أحد منهم ؟ فلما أخبروه الخبر أصر على أن يحضر هذا الغلام إلى طعامه . ولما جاء الغلام ودخل إلى القوم أخذ بحيرا يلحظه لحظاً شديداً ، ثم سأله بحق اللات والعزى أن يخبره عما يسأل عنه ، ولكن محمداً أظهر بغضه للآلهة الوثنية ، ثم أجاب الراهب عما سأله عنه فتأكد هذا أنه هو النبى الموعود ونصح عمه أباطالب أن يحذر عليه من اليهود .

تلك هى القصة التى يرويها ابن هشام (ص ١١٥ وما بعدها) ؛ ويذكر بعض المؤلفين الآخرين أن أبا بكر كان حاضراً ذلك الحادث وكان حتى فى ذلك الوقت نفسه ربيباً للاشتراك

فى الحوادث المقبلة[1] . ويذكر المسعودى (طبعة Barbier de Meynard ، جـ ١ ، ص ١٤٦) أن هذا الراهب كان يدعى جرجس[2] وأنه من عبد القيس . أما الحلبى (جـ ١ ، ص ١٥٧) فيذكر أنه كان يسمى جرجيس أو سرجيوس .

ويذكرون إلى جانب هذه القصة قصة أخرى لمقابلة أخرى شبيهة بالأولى حدثت بعدها بنحو اثنتى عشرة سنة . فهم يذكرون أن محمداً خرج فى رحلة إلى الشام فى مال لخديجة ويرافقه غلام له يقال له مَيْسَرة . وهناك فى بصرى قابل راهباً آخر يسمى نسطور عرف فى محمد علامات خاصة تدل على أنه هو النبى الجديد . ويذكرون أيضاً أن بعض أهل الروم حضروا إحدى هذه المقابلات وكان غرضهم البحث عن النبى الجديد .

ولا نجد فى أقدم المصادر عن النبى (ابن هشام ، ص ١١٩ — ١٢٠) اسم هذا الراهب . أما فى المصادر النصرانية والإسلامية المتأخرة ، فإن هذا الراهب يدعى سرجيوس ، أما اسم بَحيرا — وهو مشتق من الكلمة الآرامية بَحيرا ومعناها المختار — فهو لقب له .

وليس لدينا ما تقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير ، لأن المعلومات تنقصنا فى هذا الموضوع . وهذه القصص قسم خاص من مجموعة الأساطير التى أحاطت بسيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولها نظائر كثيرة من نفس النوع وكلها ترمى إلى أن « أهل الكتاب » عرفوا من كتبهم من قبل بعثة النبى محمد[1] . (انظر Wensinck : *Mohammed en de Joden te medina* ، ص ٥٤ — ٦٠) .

وشخصية بحيرا مذكورة باسم سرجيوس منذ عهد متقدم فى المؤلفات البوزنطية بشكل يجعلها متفقة مع الروايات الإسلامية القائمة بذاتها (انظر Sprenger : *Das Leben u.d. Lehre des Mohammad* ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ وما بعدها) فنجد مثلا أن ثيوفانس Theophanes (طبعة كلاسن Classen ، جـ ١ ، ص ٥١٣) وجرجيوس فرانتز Georgius Phrantzes (طبعة بيكر Bekker ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦) يذكران أنه بعد ظهور جبريل لأول مرة وإصابة النبى بالغشيان ملئت خديجة فزعاً فلجأت إلى

---

(1) حضور أبى بكر تلك الحادثة لم يثبت ، بل استغربه علماء الحديث ، ورأوا أن ذكره خطأ من الراوى . قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة (ج ١ ، ص ١٨٣) : « قد وردت هذه القصة باسناد رجال ثقات ، من حديث أبى موسى الأشعرى ، أخرجها الترمذى وغيره ، ولم يسم فيها الراهب ، وزاد فيها لفظة منكرة ، وهى قوله : وأتبعه أبو بكر بلالا ، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلا ، ولا اشترى يومئذ بلالا ، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة مقتطعة من حديث آخر وأدرجت فى هذا الحديث . وفى الجملة هى وهم من أحد رواته » . وكذلك استبعدها الحافظ ابن كثير فى تاريخه (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥) .

(2) كذا فى نسخة المسعودى المطبوعة ببولاق (ج ١ ، ص ٣٥) وفى جميع الكتب التى نقلت ذلك عن المسعودى سمى باسم « جرجيس » بزيادة ياء بعد الجيم الثانية .

أحمد محمد شاكر

(1) ليست هذه القصص بالأساطير ، بل كثير منها ثابت بأسانيد صحيحة ، وعلم أهل الكتاب بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ثابت عند المسلمين بنص القرآن الصريح ، وليسوا فى حاجة الى افتعال أساطير يؤيدون بها ما أثبته الوحى المنزل من عند الله ، وهو ثابت أيضا عند المسلمين فيما قرؤوه من كتب أهل الكتاب مما بقى فى أيديهم من الصحيح من أقوال أنبيائهم المنقولة فى كتبهم .

أحمد محمد شاكر

راهب ملحد منبوذ يدعى سرجيوس فطمأنها وأكد لها أن الملك جبريل يرسل لجميع الأنبياء(١)؛

أما الروايات الإسلامية الخاصة ببحيرا فقد تطورت تطوراً عجيباً وجمعت كلها بالتفصيل فى سفر بحيرا وهو كتاب مسيحى من المحتمل أن يكون قد وضع فى صورته الحالية فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر ؛ وقد حفظ لنا هذا الكتاب مترجماً إلى اللغتين السريانية والعربية فى نسخ متعددة (انظر Gottheil : A Christian Bahira legend فى Zeitschr. f. Assyriologie ، جـ ١٣ وما بعده) ؛ وهذا المصنف الذى ألفه شخص يدعى إشوعيب ينقسم إلى ثلاثة أجزاء : الأول وفيه القصص التى تتحدث عن القبائل العربية التى شاهدها سرجيوس فى جبل سيناء ، والثانى عبارة عن أحاديث سرجيوس مع الشاب محمد فى صحراء يثرب ، والثالث عبارة عن تنبؤات سرجيوس وهى إلى حد ما ترديد لما ورد فى الجزء الأول . وقد ورد فى الجزء الثانى كيف لقن سرجيوس محمداً صلى الله عليه وسلم عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن وذلك بقصد أن يحمل العرب يعترفون بإله واحد . ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد أنه نبى كاذب تلقى وحيه من راهب ملحد .

وقد ورد ذكر سرجيوس أيضاً فى مؤلفات العصور الوسطى .

المصادر :

(١) ابن هشام ، طبعة فستنفلد ، ص ١١٥ وما بعدها ، ١١٩ — ١٢٠ ؛ (٢) ابن سعد ، طبعة متفوخ Mittwoch ، ص ٧٦ ، ٨٢ وما بعدها (٣) الطبرى ، طبعة ده غوى ، جـ ١ ، ص ١١٢٣ وما بعدها ؛ (٤) السيرة الحلبية ، طبعة القاهرة عام ١٢٩٢ هـ ، جـ ١ ، ص ١٥٦ وما بعدها ، ١٧٧ وما بعدها ؛ (٥) الترمذى ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ ؛ (٦) تاريخ الخميس ، طبعة القاهرة عام ١٢٨٣ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ، ٢٦٢—٢٦٣ ؛ (٧) الفهرست ، طبعة فلوجل ، ص ٢٢ (٨) Noldeke فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch جـ ١٢ ، ص ٦٩٩ وما بعدها . (٩) Sprenger فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ، جـ ١٢ ، ص ٢٣٨ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص ٤٥٤ ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ ، جـ ٦ ، ص ٤٥٧ — ٤٥٨ ، جـ ٧ ، ص ٤١٣ وما بعدها ، ص ٥٨٠ ، جـ ٨ ، ص ٥٥٧ وما بعدها ، جـ ٩ ، ص ٧٧٩ —

(١) الزعم بأن قصة خديجة كانت مع من يدعى سرجيوس خطأ ، ومخالف للاحاديث الصحيحة الثابتة ، فقد روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم قصة تعبد النبى صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ومجىء الملك اليه بالوحى أول مرة ونزول قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم) وفيها : « فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية » الى آخر الحديث ، وهو مشهور معروف فى أول صحيح البخارى . فهذا صريح فى أنها ذهبت به الى ابن عمها العربى النسب ، ولم تذهب الى رجل أجنبى يدعى « سرجيوس » .

أحمد محمد شاكر

٧٨٠ ؛ جـ ١٠ ؛ ص ٨٠٧ ؛ (١٠) Sprenger : *Leben und Lehre des Mohammad* جـ ١ ، ص ١٧٨ وما بعدها (١١) ابن حجر : الإصابة ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ وما بعدها (١٢) D'Ancona : *La leggenda di Maometto in occidente, Gioranle storico della letteratura italiana* عام ١٨٨٩ ؛ جـ ٣ (١٣) Carra de Vaux: *La légende de Bahira*، باريس .

[فنسنك A.J. Wensinck]

+ « بَحِيرَة » : هى الناقة أو الشاة المبحورة الأذن ، ويبين لنا القرآن والشعر القديم (انظر ابن هشام ، ص ٥٨) أن العرب فى الجاهلية كانت لهم بعض شعائر دينية خاصة بأنعامهم ؛ ومن هذه الشعائر إخلاؤهم سبيل الحيوان فلايفيدون منه فائدة ما ، وتجويز أكل لحمه ميتاً للذكور دون الإناث ، ويطلق عليه فى الحالات المختلفة أسماء خاصة هى : بَحيرة ، وسائبة ، ووَصيلة ، وحامى (انظر كتاب فلهوزن المذكور فى المصادر) وقد اختلف علماء اللغة فى الأحوال التى تُبحر فيها أذن الناقة أو الشاة . فيقول بعضهم إن ذلك يكون إذا نتجت عشرة أبطن ، ويقول آخرون إذا نتجت خمسة بطون آخرها أنثى ... إلخ .

وقد أبطل القرآن هذه العادات وجاء فيه أنها افتراء على الله (سورة المائدة ، آية : ١٠٢) « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » ؛ وجاء فى سورة الأنعام الآيتين ١٣٨ ، ١٣٩ : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم » .

المصادر :

(١) تفاسير الآيات السالفة من القرآن ؛ (٢) لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ وما بعدها (٣) Freitag : *Einleitung i. d. Studium d. arab. Sprache* ، ص ٢٣٨ وما بعدها ؛ (٤) Wellhausen : *Reste arab. Heitentums* ص ١١٢ وما بعدها . (٥) Rasmussen : *Additamenta* ، ص٦٦ من الأصل العربى، ص ٦٠ من الترجمة .

[فنسنك A.T. Wenisnck]

+ « البُحَيرة » : كلمة عربية تدل على البحيرة بمعناها المعروف ، والراجح أنها ليست تصغيراً لبَحْر كما يتوقع المرء ، بل تصغيراً لـ « بَحْرة » التى تطلق على غور يمكن أن يجتمع فيه الماء . ومن ثم فإن « بحيرة » وجمعها « بحاير » تطلق فى شمالى إفريقية على سهل واطئ فى شرقى بلاد الجزائر ، وفى شمالى بلاد تونس وفى جزء من جنوبى مراكش . على أن أشيع معانيها هو حديقة الخضر أوحقل لتسويق ثمار الحدائق ؛

أو حقل لزراعة القات (وخاصة البطيخ) (انظر G. Marcais : *Textes Arabes de Tanger* باريس سنة ١٩١١ ، ص ٢٢٧) .

[هيئة التحرير]

وكلمة بُحَيْرَة بمعناها المعروف تنطوى على اسم مكان نصادفه فى كثير من الأحيان بأسبانيا والبرتغال واردًا بصيغ : Albufera (بلنسية ، وألقنت ، وميورقة) ، و Albuferas (المَرِيَّة)، و Albuera (فى قاصرش وبطليوس) و Albojaira (فى المرية) و Albufeira ، وهى مدينة ساحلية فى الشَّرْف بالبرتغال ؛ ويظهر تصغير لتصغير الكلمة أيضاً فى صيغة Albufereta (ألقنت) . وأهم هذه البحيرات هى البحيرة القائمة عند بلنسية على مسيرة تسعة كيلومترات من هذه المدينة ، وهى البقية الباقية التى تركت (حوالى ٣٥ كيلو مترا مربعاً) من البحر الداخلى الذى جرت الحال بأن يغطى الواديين العميقين لنهرى توريا وشقر فى الأزمان السابقة على التاريخ ، وكانت من أكبر البحيرات فى أسپانيا ، ولكن مساحتها فى الأزمنة الأخيرة قد انتقصت لإتاحة المزيد من حقول الأرز على الساحلين الشمالى الغربى والجنوبى . ويبلغ قطرها اليوم ستة كيلومترات فحسب .

وقد أغرق ابن مردنيش (انظر هذه المادة) ابنى أخته هناك حين ألفى قومه قد هجروه قبيل فقدانه العرش واخترام المنية له . ولما قسمت بلنسية احتفظ جيمس الأول (الفاتح الذى توفى سنة ١٢٧٦ م) بملك البحيرة Albufera لنفسه . وفى أوائل القرن التاسع عشر نزل ألفونس عن ملك هذه البحيرة الجميلة إلى گودوى Godoy ، ومنحها ناپليونُ المارشالَ سوشيه Suchet قبل أن تصبح بائنة قومية مرة أخرى .

وكلمة « بُحَيْرَة » كان معناها فى عصر الموحدين الحديقة المروية . وقد عرفت المعركة التى أنزل بها المرابطون هزيمة منكرة بالموحدين سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) باسم « معركة بحيرة مراكش » . أما بحيرة إشبيلية التى عرفت من بعد باسم Huerto del Rey ، فقد أصلحها يوسف الأول بن عبد المؤمن .

[A. Huici Miranda خورشيد [ميرانلا

« البُحَيْرة » : اسم المديرية الشمالية الغربية بمصر ، وهى تضم جميع الأراضى غربى فرع رشيد . وحدها الشمالى البحر والجنوبى التلال عند الطرف الجنوبى لوادى النطرون الذى يفصلها عن مديرية الجيزة عند خط عرض ٣٠° ٢٥َ . وكان عدد[1] سكان مديرية البحيرة عام ١٨٩٩ : ٦٣١,٢٢٥ نسمة . ومراكزها سبعة هى : أبو حمص ، وشبراخيت ، ودمنهور ، وكفر الدوار ، والنجيلة ورشيد ، وإيتاى البارود . وهذه المراكز تشمل ٣٦٥ بلدا وقرية ، و٢٥٨٢ ناحية . ولا تضم هذه المديرية مدينة الإسكندرية التى لها حكم خاص بها .

(1) فى تعداد سنة ١٩٢٧ كان عدد سكان البحيرة ٩٧٦٦٦٥ نسمة ومراكزها هى أبو حمص وإيتاى البارود والدلنجات ودمنهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حمادة . [اللجنة]

ويرجع إنشاء البحيرة إلى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الذى قسّم القطر المصرى إلى أعمال . وهى تطابق بصفة عامة الحوف الغربى القديم الذى كان مقسما إلى إحدى عشرة كورة ، وقد أطلق على واحدة منها اسم البحيرة فى رواية القضاعى ، ويظن القلقشندى أن هذا الاسم يشير إلى بحر أبوقير ؛ وهذا الفرض صحيح فيما إذا كان اسم البحيرة نسبة إلى واحدة من البحيرات الكبيرة فى الشمال التى تجف فى بعض المواسم ، وأطلق على المديرية بأسرها ؛ وربما كان اسم البحيرة تصغيراً لبَحْرَة التى هى فيما يقول لين Lane عبارة عن بقعة فسيحة من الأرض المنخفضة ، وكانت البحيرة مدة من الزمن فى العصور الوسطى أكثر اتساعاً مما هى عليه الآن لأنها تضم مركز فُوَّة الذى هو تابع فى الوقت الحاضر لمديرية الغربية . ودمنهور هى حاضرة المديرية منذ التقسيم الذى قام به المستنصر .

ويروى ابن الجيعان أن الضرائب التى كانت تجبى من المديرية بلغت ٧٤١,٢٩٤¾ ديناراً ، وأنه كان بها ٢٢٢ ناحية .

المصادر :

(١) W. Willcocks : *Egyptian Irrigation*، الطبعة الثانية ، جـ ٢٢١ وما بعدها . (٢) Boinet Bey : *Diction. Géographique de l'Egypte*، مادة البحيرة . (٣) القلقشندى : ضوء الصبح ، ص ٢٣٩ . (٤) الكتاب نفسه ، ترجمة : فستنفلد ، ص ٩٩ ، ١١١ (٥) ابن دقماق ، جـ٥ ، ص ١٠١ . (٦) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ٤ . (٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٢ وما بعدها ، ١٦٩ . (٨) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥١٤ .

[بيكر Ch. Becker]

« البحيرة » : اسم المحافظة الغربية فى دلتا مصر ، وكانت فى أول أمرها « كورة » صغيرة المساحة مقصورة على الجزء الشمالى الشرقى من ضواحى الإسكندرية ، وربما كان اسمها إشارة إلى بحيرة أبوقير التى عرفت أيضاً باسم « بحيرة الإسكندرية » ، وكان ياقوت يدرك كل الإدراك أن الاسم الأخير كان يطلق على سلسلة من النواحى المجاورة لهذه المدينة .

وكانت البحيرة وقت تقسيم البلاد إلى أعمال فى العصر الفاطمى ، إقليما مترامى الأطراف يمتد غربى فرع رشيد ، ويبلغ من الدلتا حتى الإسكندرية مباشرة ، ولا تدخل فيه هذه المدينة . وقلما كان هذا الثغر العظيم يقترن إدارياً بهذه المديرية التى كانت حاضرتها دمنهور ولم تزل .

وإقليم « طَرّانة » ، وأبعد من ذلك شمالى وادى النطرون ، فيه رواسب النطرون الذى كان يستخرج منها فى العصور الوسطى .

ويسوق العمرى والقلقشندى معلومات وثيقة عن السكان العرب للبحيرة بالمعنى الدقيق للفظ عرب .

وذكرت كثيراً فى أيام المماليك فتن القبائل العربية وبدو الصحراء الغربية . وبدأت هذه

الانتفاضات حوالى نهاية القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى) ، وقد نزلت عقوبات مريعة بهؤلاء المفتنين : من قتل عاجل إلى استرقاق النساء والأطفال ، ومصادرة القطعان . وفى العصر العثمانى أثارت الاضطرابات فى كثير من الأحوال أولياء الأمر فأنفذوا حملات تأديبية ، وكانت هذه المديرية أبعد ما تكون عن التزام الهدوء أثناء الاحتلال الفرنسى ، كما يتبين المرء من تذبيح الحامية الفرنسية الصغيرة فى دمنهور : ولما انسحب الفرنسيون من البلاد كان بدو هذا المركز محل عناية كبيرة حتى لقد صدر فى صالحهم فرمان يثبت ملكيتهم لأراضيهم . ولكن شغبهم — الذى استغله إلى حين محمد الألفى من بكوات المماليك — كان من المتعذر إخماده . ولم يبذل محمد الألفى أية محاولة لمصالحة عرب هذه المديرية فى نضاله لمحمد على .

المصادر :

(١) Maspero et Wiet: *Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte*، ص ٣٤ — ٣٥ ، ١٧٥—١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧—١٩١ (٢) العُمَرى : التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٧٦ . (٣) القلقشندى : صبح ، ج ٧ ، ص ١٦١ — ١٦٣ : (٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبعة پوپر Popper ، ج ٦ ، ص ٧٢٨ — ٧٢٩ ؛ ج ٧ ، ص ٩ ، ٥٧٠ ، ٦٥٤ ، ٧٠٨ ، ٧١١ ، ٧١٥ ، ٧٢٧ ، ٧٣٤ ، ٧٧٣ . (٥) الكاتب نفسه : حوادث ، ص ٥٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٩ — ٢١١ ، ٢١٣ ، ٥٠٠ : (٦) الظاهرى ، ص ٣٥ — ٣٦ ، ١٣٠ ؛ ترجمة Venture de Paradis ، ص ٥٠ ، ٢١٤ ٥ (٧) ابن إياس ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ ، طبعة محمد مصطفى ، ص ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٣ ؛ طبعة كاله ومصطفى ، ج ٣ ، ص ١١ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٤٨ ، ٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ ، ٣٨٨ — ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٥ — ٤٠٦ ، ٤١٠ ؛ ترجمة Wiet ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ٢٥ ، ٥٥ ، ٨٣ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٠ ، ٤٤٠ — ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ؛ طبعة كاله ومصطفى ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٨ (٨) Wiet : *Journal d'un bourgeois du Caire* ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ : (٩) Quatremère : *Mémoires sur l'Egypte* ، ج ٢ ، ص ١٩١—١٩٣ ، ١٩٧ — ٢٠٠ ، ٢١١ (١٠) الجبرتى ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ٩٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ؛ ج ٢ ، ص ٩٣ ، ١١٩ ، ١٥٩ ، ٢١٩ ؛ ج ٣ ، ص ٥٧—٥٨ ، ١١١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٥—٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٣٢١ ؛ ج ٤ ، ص ٨ ، ١١ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٨١ — ٨٢ ، ١٣٣ ، ٢٤٢ ؛ الترجمة الفرنسية ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ٢٢١ ، ج ٣ ، ص ٥٢ ، ٨٨ ؛ ج ٤ ، ص ١٥٠ ، ٢١٨ ؛ ج ٥ ، ص ٢٤ ، ١٤٣ ؛ ج ٦ ، ص ١١٦ — ١١٧ ؛ ج ٧ ، ص ٧٨ — ٨٠ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ٣٥٩ — ٣٦٠ ؛ ج ٨ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٦٧—٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٩ — ٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٩—١٨٠ ،

١٨٠ ، ٣٠٠ ؛ جـ ٩ ، ص ١٦٧ . (١١) *Histoire de la nation française* ، جـ ٥ ، ص ٤٣٦ (١٢) George Douin : *Mohamed Aly, pacha du Caire* ، ص ١٤ . (١٣) الشوكانى : الضوء ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ، رقم ١٠١٣ ؛ جـ ٣ ، رقم ٢٢٨ ، (١٤) Poliak : *Revoltes Populaires* فى *Revue des Etudes Islamiques* ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ — ٢٦٢ . (١٥) *History of the Patriarchs* فى *Patrologia Orientalis* ، جـ ١٠ ، ص ٥٢٤ — ٥٢٥ [٦٣٨ — ٦٣٩] (١٦) ابن الفرات ، جـ ٩ ، ص ٣٨٤ . (١٧) Combe : *Alexandrie musulmane* ، فصلة من *Bulletin de la Société royale de Géographie d'Egypte* ، ص ٤٣ . (١٨) Dopp : *Le Caire* فى هذه المجلة نفسها ، جـ ٢٤ ، ١٤٤ .

[G. Wiet خورشيد [ڤيت

+ «البحيرة الميتة» أو «المنتنة» : (انظر مادة «بحر لوط») .

+ «بخارست» : (انظر مادة «بوكرش») :

«بُخَارَى» : مدينة فى التركستان على المجرى الأسفل لنهر زرافشان . وليس لدينا عن تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام إلا معلومات قليلة جداً . على أنه مما لاشك فيه — أو يكاد — أنه كان للإيرانيين منذ عصر قديم جداً محلات بل مدن على نهر زرافشان ؛ ففى أيام الإسكندر المقدونى نفسه كان فى بلاد الصُغْد إلى جانب مدينة مَرَكَنْدَة أو سَمَرْقَنْد مدينة ثانية على المجرى الأسفل للنهر ، ولكن ليس من المؤكد أن تلك المدينة هى مدينة بخارى الحالية . وروايات أهل تلك البلاد التى رويت فى القرون الأولى للهجرة كانت تذهب إلى أنه كان فى الإقليم نفسه بعض محلات أخرى أقدم من مدينة بخارى ، من تلك البلاد قرية راميثان أو رياميثان أو أرياميثان ، وتسمى اليوم چارشنبه راميتان ، ويعتبرها المقدسى بخارى القديمة (طبعة ده غويه ، ص ٢٨٢) .

ومهما يكن من شىء فإن مدينة أنشئت قبل الإسلام بقرون عدة فى الموضع الذى توجد فيه بخارى الحالية ، وهذه المدينة أسماها الصينيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد باسم « نو مى » وهو اسم يطابق الاسم القديم « نوجكث »[1] الذى كان معروفاً أيضاً فى العهد الإسلامى . ويظهر أن اسم بخارى — وهو بالصينية «بو هو» — عرفه لأول مرة الحاج الصينى « هوان چوانغ » سنة ٦٣٠ ، ويمكن أن يكون الأمر كما قيل : وهو أن اسم بخارى هو « بُخَر » وهى صيغة تركية مغولية للكلمة السنسكريتية « ڤهاره » ومعناها صومعة أو دير . وقد ذكر الجوينى هذا المعنى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى ؛ انظر نص كلامه فى Schefer : *Chrestomathie persane* ،

---

(١) فى معجم البلدان بوجكث .

جـ ٢ ، ص ٢٢٢) ، وعلى أية حال فإنه كان للبوذيين معبد فى بخارى أو على مقربة منها فى بلخ وسمرقند .

والمعلومات التى سنذكرها بعد عن تخطيط بخارى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تسمح لنا أيضاً بأن نعين على وجه التقريب موضع ذلك المعبد .

أما الأسرة الوطنية (وربما كانت تركية) التى كانت تحكم بخارى ، وهى أسرة « بخار — خدات » (أو بخارا خداه ومعناها أمراء بخارى)، تلك الأسرة التى كانت موجودة عند الفتح العربى فإنا لا نعرف عنها إلا ما جاء فى المصادر الصينية : من أن أميراً من أمرائها ادعى سنة ٦٢٧ م أن أسلافه كانوا يحكمون البلاد منذ ٢٢ جيلا . وكل الذى نعرفه غير ذلك عن أسرة « بخار خدات » هو الذى رواه المؤرخون فى العهد الإسلامى . وإلى جانب ما نجده مذكوراً عن بخارى فى كتب التاريخ العام أو فى الكتابات الخاصة بالفتوح ، فإن هناك تاريخاً خاصاً لتلك المدينة ألفه سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ — ٩٤٤ م) محمد النرشخى ، ولكنه بقى فقط فى نقول متأخرة . وهذا الكتاب يشتمل على كثير من المعلومات القيمة ، وبخاصة ما كان منها متعلقاً بالتخطيط التاريخى لتلك المدينة . أما ما رواه النرشخى عن تاريخ بخارى قبل الإسلام فمن الواضح أنه لا يعتمد على أية رواية وثيقة : فمثلا هناك كثير من الشك فى أن النرشخى كان له ما يؤيد دعواه التى ذهب فيها إلى أن أول أمير لبخارى « بخار خدات » ضرب السكة فى تلك المدينة كان معاصراً للخليفة أبى بكر (١١ — ١٣ هـ = ٦٣٢ — ٦٣٤ م) .

والأخبار التى وصلت إلينا عن الفتوح العربية الأولى فيما وراء النهر يشوب بعضها الأساطير ، وهى فى حاجة إلى الدرس والتحقيق . ويقال إن الجيش العربى الأول ظهر أمام بخارى سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٤ م) ، وكان تحت إمرة عبيد الله ابن زياد . وكان على عرش بخارى فى ذلك الوقت امرأة هى أرملة الأمير المتوفى وتسمى فى أغلب المصادر باسم واحد فقط هو « خاتون » (ومعناه بالتركية امرأة ، أما الطبرى ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ فيذكر مكانها قبج خاتون لا باعتبارها أرملة أمير بخارى ، ولكن بوصفها زوجة الأمير التركى الحاكم) .

أما النرشخى فيقول (طبعة شفر ، ص ٧) إنها حكمت ١٥ عاماً بدل ابنها القاصر طغشاده ، ويسميه الطبرى « طوق سياده » (جـ ٢ ، ص ١٦٩٣) ، ومع هذا فإنا نجد نفس هذا الأمير يذكره الطبرى عند كلامه عن حوادث سنة ٩١ الهجرة (٧١٠ م) على اعتبار أنه كان فى سن الشباب عندما جعله قتيبة بن مسلم أميراً لبخارى بعد أن أجلى عنها أعداءه . وقتيبة هو الذى وطد أقدام المسلمين لأول مرة فى بخارى . واعتنق طغشاده نفسه الإسلام فى الظاهر على الأقل ، وحكم ثلاثين سنة أخرى . وفى رمضان سنة ١٢١ هـ (١٠ أغسطس — ٩ سبتمبر سنة ٧٣٩ م) ،

إغتاله أميران فى معسكر الوالى نصر بن سيّار فى سمرقند . وحدثت خلال حكمه الطويل عدة ثورات ضد السيادة العربية ، كما هاجم الترك البلاد عدة مرات . وفى سنة ١١٠ للهجرة (٧٢٨ — ٧٢٩ م) ضاعت المدينة من يد العرب ثم حاصروها بعد ذلك وفتحوها فى السنين التالية (الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٥١٤ ، ١٥٢٩) . وليس من المعروف كيف كان مسلك طغشاده خلال هذه الحروب .

وكان ابنه وخليفته قد سمى قتيبة تكريماً للفاتح العربى ، وسلك فى أول الأمر مسلك المسلم الصالح واستحق الثناء من بيت الرسول ، وذلك أنه فى سنة ١٣٣ للهجرة (٧٥٠ — ٧٥١ م) أشعل العربى شريك بن شيخ الفتنة فى بخارى ضد أسرة الخلافة الجديدة ، تلك الفتنة التى قضى عليها زياد بن صالح الذى أنفذه إليها أبو مسلم ، وأعانه فى ذلك قتيبة أمير بخارى : على أنه بالرغم من هذا فإن هذا الأمير قد أخذ عليه من بعد الإرتدادُ عن الإسلام ، وقُتل بأمر أبى مسلم : ولقى أخوه وخليفته « بُنْيات » (وهناك شك فى رسم هذا الاسم) المصير نفسه فى خلافة المهدى (١٥٩ — ١٦٩ هـ = ٧٧٥ — ٧٨٥ م) فإنه قتل بأمر المهدى لاعتباره نصيراً للمُقَنَّع الزنديق .

ومنذ ذلك الوقت لم يظهر لأمراء بخارى شأن باعتبارهم أمراء تلك البلاد ، ولكنهم ظلوا يحتفظون بنفوذ قوى باعتبارهم من أصحاب الأملاك : وفى السنوات الأولى من حكم إسماعيل السامانى ، وفى حياة أخيه نصر ، ورد ذكر أمير لبخارى باسم أبى إسحق إبراهيم . واستولى إسماعيل على أملاكه ولكنه أجرى عليه من خزانة الدولة مبلغاً يعادل ما كانت تدره عليه هذه الأملاك (٢٠,٠٠٠ درهم) ، ولسنا نعرف إلى متى استمر قيام الحكومة بهذا الالتزام نحو الـ « بخار خدات » أو أبنائه .

وإلى جانب أمير بخارى الوطنى كان فى بخارى منذ السنوات الأولى للفتح العربى ، أو منذ عهد قتيبة بن مسلم على الأقل ، عامل عربى تابع لأمير خراسان الذى كان يقيم فى مرو : وكانت بخارى بسبب موقعها الجغرافى أوثق اتصالا بمرو منها بسمرقند وغيرها من بلاد ما وراء النهر ؛ بل إن أمير بخارى نفسه كان له قصر فى مرو (انظر الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٨٨٨ ، س ١٤ ؛ ص ١٩٨٧ ، س ٧ ؛ ص ١٩٩٢ ، س ١٦) . وعند ما نقل أمراء خراسان مقرهم إلى نيسابور فى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادى) بقى حكم بخارى منفصلا عن حكم الأجزاء الأخرى لبلاد ما وراء النهر : وحتى سنة ٢٦٠ للهجرة (٨٧٤ م) لم تكن بخارى قد تبعت أملاك السامانيين وإنما كان يحكمها أمير خاضع لبنى طاهر مباشرة . وكان الخلفاء الحكام السامانيين فيما بعد قصر فى مرو أيضاً (انظر الإصطخرى ، طبعة ده غويه ، ص ٢٦٠) .

وبعد سقوط دولة بنى طاهر سنة ٢٥٩ للهجرة (٨٧٣ م) اعتُرف فى بخارى زمناً ما بيعقوب ابن الليث — الذى اغتصب ملكهم — أميراً لخراسان ،

واتجه علماء الدين والناس إلى نصر بن أحمد السامانى الذى كان يحكم سمرقند ، فولى على بخارى أخاه الأصغر إسماعيل : ومنذ ذلك الوقت استمرت بخارى فى حكم إسماعيل وخلفائه إلى أن سقطت دولة السامانيين : راستمر إسماعيل يقيم فى بخارى بعد وفاة أخيه نصر سنة ٢٧٩ للهجرة (٨٩٢ م) حتى أصبحت بلاد ما وراء النهر جميعها فى حوزته ، وظل يقيم فيها كذلك حتى بعد أن انتصر على عمرو بن الليث سنة ٢٨٧ للهجرة (٩٠٠ م) وبعد أن ثبته الخليفة أميراً لخراسان ، وبهذا أصبحت بخارى مقر أسرة حاكمة قوية ، وحاضرة دولة عظيمة ، إذ كان فيها مقر الحكم ، ولكنها مع هذا لم تبلغ قط فى العظمة والثروة حتى فى ذلك العهد شأو الحاضرة القديمة لبلاد ما وراء النهـــر .

وقد وصف بخارى بالتفصيل كما كانت فى عهد بنى سامان جغرافيو العرب فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) : ونحن ندين بالكثير من المعلومات للنرشخى والكتاب الذين نقحوا كتابه فيما بعد . ومقارنة هذه الوثائق بأوصاف المدينة الحالية (توجد كاملة فى *Opisanie* : Khanikow *Bukharskago Khanstva* ، سان بطرسبرغ ، سنة ١٨٤٣ ، ص ٧٩ — ٨٠) تظهر فى وضوح أن بخارى — على عكس مرو وسمرقند وغيرهما — لا يشاهد فى عصور تاريخها إلا امتداد الجزء المسكون منها ، دون أن تنتقل المدينة من موضع إلى آخر .

ولم تكن بخارى بالطبع أقل من مدن آسية الوسطى تعرضاً للغزو والتخريب ، ولكنها مع هذا كان يعاد بناؤها دائماً فى مكانها الأول وعلى تخطيطها السابق الذى أنشئت عليه فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) : وهذه الحقيقة قد سهلت إلى حد كبير فهم الأسانيد التى نجدها فى المصادر : ويندر أن نجد مدينة من مدن القرون الوسطى يمكن تعيين تخطيطها وما جرى عليه من تطور تعيينا دقيقاً كما نستطيع ذلك فى بخارى .

ويميز جغرافيو العرب فى بخارى — كما ميزوا فى أغلب المدن الإيرانية — ثلاثة أجزاء : القلعة (بالفارسية كُهَنْدِز ومعناها « الحصن القديم » وتكتب فى العربية عادة قُهَنْدِز ، ثم أصبحت تكتب بعد ذلك كُنديز أو كندز) ؛ والمدينة (بالفارسية شهرستان) ، والضاحية القائمة بين المدينة القديمة والحائط الذى بنى فى عهد المسلمين : ولا تستعمل المصنفات الفارسية كلمة للدلالة على هذه الضاحية إلا الكلمة العربية : « رَبَض » .

وكانت القلعة منذ أقدم العصور موجودة فى نفس الموضع الذى توجد فيه الآن شرقى المكان الذى يسمى — كما كان يسمى فى عهـــد السامانيين — باسم ريگستان . وكان للقلعة بابان لم يبق منهما اليوم إلا واحد فقط ناحية ريگستان . وهذان البابان هما : باب ريگستان فى الغرب ، وباب « غوريان » أو باب المسجد الجامع فى الشرق . وكان هنالك طريق يصل أحد البابين

بالآخر . وكما أن منطقة القلعة تعينها بالطبيعة تضاريس الأرض على وجه غاية فى الدقة ، فإن داخل هذه المنطقة لم يصبه فيما يرجح تعديل ما منذ أقدم العصور . ويبلغ محيط القلعة اليوم نحو كيلومتر ونصف ، وتبلغ مساحتها نحو ٢٣ فداناً . وكان يوجد قصر « بخار خدات » داخل القلعة ، ولعله كان فى المكان الذى يوجد فيه اليوم قصر أمير بخارى . وهذا القصر لا بد أن يكون قد بنى قبل الفتح فى القرن السابع للميلاد . وكان يقوم على سبعة أعمدة من الحجارة تمثل الصورة الفلكية لبنات نعش ، وكان عند مدخل القصر لوحة من الحجر عليها نقش باسم الذى بناه .

وكانت هناك عقيدة قديمة شائعة بين الناس هى : أنه ما من أمير فر من ذلك القصر أمام خصمه ، كما أنه لم يمت فيه أمير قط ، وإنما نزلت المنية بالأمراء جميعاً وهم خارج القصر . ويؤكد أحمد القُبَوى مترجم كتاب تاريخ بخارى الذى كتب فى جمادى الأولى من سنة ٥٢٢ هـ (مايو سنة ١١٢٨) أن هذا القصر هدم فى عهده للمرة الأولى ، وأن اللوحة المنقوش عليها اسم صاحبه أزيلت فى تلك الحادثة . وعلى أية حال فإنه كان لا يزال يستعمله السامانيون كما يقول الإصطخرى (ص ٣٠٦) . أما المتأخرون منهم فلم ينزلوا فيه . ويقول المقدسى (ص ٢٨٠ ، س ٩) إنه لم يكن باقياً منه إلا ردهات الكنز والسجون . وكان فى داخل القلعة غير القصر المسجد الجامع القديم الذى أسسه قتيبة ، وكان يوجد فى هذه الجهة من قبل معبد وثنى (بتخانه) . ولما كان المسجد القديم قد استبدل به آخر أكبر منه فقد استعمل بناؤه لديوان الخراج ، وهدمت القلعة وأعيد بناؤها عدة مرات خلال القرنين السادس والسابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) ، وأزيل ما بقى من أنقاض المبانى القديمة فى سنة ٥٦٠ للهجرة (١١٦٤ — ١١٦٥ م) واستعمل فى بناء السور الجديد الذى أقيم حول المدينة .

وعلى عكس الحال فى أغلب المدن الأخرى لم تكن القلعة داخل المدينة (شهرستان) وإنما كانت خارجها . وكان فى شرق القلعة فضاء مكشوف يفصلها عن المدينة أقيم فيه المسجد الجامع منذ القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) ، وظل فى ذلك المكان إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . ويمكن أن نعين على وجه الدقة فى أى جزء من المدينة الحالية كانت المدينة القديمة ؛ إذ أنه — كما قال الإصطخرى — (ص ٣٠٧) لم يكن هناك أى مجرى للماء داخل القلعة أو فى المدينة لارتفاع مكانهما ؛ إذ كانا فوق مرتفع من الأرض . ووفقاً للرسم الذى أرفقه خانيكوف Khanikow بمصنفه تبلغ مساحة هذا الجزء المرتفع من المدينة ما يقرب من ضعف مساحة الجزء الذى تشغله القلعة . وبالطبع مضى زمن طويل والقلعة لا يحيط بها سور خاص كما كان حالها من قبل .

وكان لهذا السور سبعة أبواب ذكر لنا أسماءها النرشخى وجغرافيو العرب . وكما كان الحال

تقريباً فى جميع بلاد آسية الوسطى ، وفى بلاد فارس ، كان مكان السوق قبل الإسلام خارج أسوار المدينة عند الباب الذى سمى فيما بعد : « باب السوق » ، وسماه النرشخى باب العطارين « در عطاران » ، وكان جغرافيو العرب يسمونه باب الجديد : وينبغى البحث عن هذا الباب فى الناحية الشرقية من المدينة فيما يرجح .

وقد ذكر صراحة (النرشخى ، ص ٢٩) أنه فى عصر الفتح كانت المدينة كلها لا تشتمل إلا على الشهرستان ، وفى خارج الشهرستان كانت هناك قصور ومنازل متفرقة لم تكن قد انتظمت بعد فى وحدة واحدة . وقد أمدنا النرشخى بمعلومات دقيقة عن تخطيط الشهرستان ، فأصبح من الممكن أن نعين من غير شك ما يقابل الشوارع التى ذكرها من شوارع المدينة الحالية ، على أن دراسة كهذه لم تعمل حتى الآن . وعلى عكس أغلب المدن الأخرى احتفظت شهرستان بخارى فيما بعد — بشىء من أهميتها الأولية بعد اتساع المدينة . وفى الشهرستان ، وربما كان فى الجزء الجنوبى منها ، يقوم الآن المسجد الجامع وبه مدرسة « مير عرب » التى أنشئت فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وكذلك المئذنة الكبيرة ، كما يوجد به أيضاً مسجد جامع جديد أنشأه أرسلان خان محمد بن سليمان سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ — ١١٢٢ م) .

وحدث فى العصر الإسلامى فقط أن اجتمعت الشهرستان والضواحى فى مدينة واحدة يحيط بها سور عام ، ويقول النرشخى إن هذا حدث ابتداء من سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ — ٨٥٠ م) ؛ وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كان يوجد إلى جانب السور القديم سور جديد أوسع منه دائرة . وكان كل من السورين — مثل سور المدينة الحالية — له أحد عشر باباً ، ومما يؤسف له أنه لم تذكر الأبعاد التى تفصل بين الأبواب الداخلية والأبواب الخارجية فى السورين ، ولو ذكر ذلك لاستطعنا أن نعين التطور الذى حدث للمدينة بعد أن أصبحت حاضرة للدولة .

وموضوع معرفة النسبة بين الأسماء التى أطلقها العرب على أبواب المدينة وبين أسمائها فى الوقت الحاضر يمكن الحكم عليه فى يقين يكاد يكون تاماً . فهناك باب هو باب سمرقند الموجود فى الجانب الشمالى يسمى اليوم بنفس الاسم ، شأنه فى هذا شأن الأبواب المقابلة فى الأسوار الداخلية والخارجية لعهد السامانيين ؛ ويمكن تعيين الأبواب الأخرى فى سهولة ويسر ، وقد أحصى الإصطخرى أبواب السورين حسب الترتيب الدقيق الذى كانت فيه : ففى السور الخارجى يبدأ الإصطخرى بذكر « باب الميدان » الموجود فى الجنوب الغربى ، والذى يصل إليه الآتى من طريق خراسان ، ويسمى اليوم باسم باب قره كول ، ثم يمر بعد هذا إلى درب إبراهيم ويسمى فى الوقت الحاضر « باب الشيخ جلال » ، وهو موجود شرقى الباب الأول مباشرة .

وبهذا يمر المسافر بالجانب الجنوبي ثم الشرقي فالشمالي فالغربي .

ولما ذكر الإصطخري الأبواب الداخلية ، بدأ بباب سمرقند (في الشمال) دون أن يذكر موضعه بالنسبة للباب الذي ذكره بعده . وبهذا لم نستطع أن نقول على التحقيق — كما قلنا في غير هذا الموضع — أي ترتيب اتبعه النص العربي .

ومع هذا فإن النرشخي (ص ٩٣ — ٩٤) قد أجلى لنا الموضوع عند حديثه عن الحريق الذي شب سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٧ م) ، ذلك أنه سمى أبواب السور الداخلي التي ذكرها الإصطخري ، وكانت موجودة شمالي القناة الكبيرة ، كما سمى الأبواب التي كانت موجودة جنوبي هذه القناة . ولما كنا نستنتج من رواية المقدسي (ص ٣٣١) أن هذه القناة تطابق القناة التي تخترق المدينة في الوقت الحاضر (وباب « كل آباد » يقابل الباب الحالي المعروف باسم باب « قَرْشي » في شرقي المدينة) . فقد سهلت المعلومات التي أمدنا بها النرشخي تحديد مواضع هذه الأبواب تسهيلا كبيراً . وبيّن لنا وصف النرشخي أيضاً أن الإصطخري سار ناحية الشرق من باب سمرقند وأنه أحصى أسماء الأبواب الأخرى مبتدئاً بالناحية الشرقية فالجنوبية فالغربية .

وتعيين كل واحد من هذه الأسماء يمدنا بمعلومات عن التاريخ السابق للمدينة . فمن الواضح أن اسم « نوبَهار » الذي أطلق على باب من أبواب السور الخارجي يسمى اليوم باسم « باب مزار » كان اسمه فيما يظهر علما على معبد بوذي ، وهذا اتفاق غريب . ويمر من هذا الباب نفسه الطريق المؤدي إلى أهم ضريح في جوار بخارى وهو ضريح بهاء الدين النقشبندي المتوفى في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . ومن العسير أن نجدد النسبة بين هذا الضريح وبين الأمكنة المسماة باسم نوبهار والتي يقول الإصطخري إنها كانت موجودة في الشهرستان وفي الضواحي كذلك .

وسمى بابان من أبواب السور الداخلي ، موجودان في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة باسم « جامع ماخ » . وهذا يسمح لنا بأن نعين على وجه التقريب مكان هذا المسجد . ويقول النرشخي (ص ١٩) إن المسجد المذكور مشيد في الناحية التي كانت مخصصة أول الأمر لعبادة الأوثان (ولعلها نوع من العبادة البوذية) ، ثم لعبادة النار بعد ذلك . وهناك مجال للشك في ذلك الرأي الذي قال به كرستنسن Christensen (انظر *Orient. Litt. Zeit.* ، المجلد الثاني ، ص ٤٩ وما بعدها) والذي يذهب إلى أن كلمة « ماخ » ينبغي فهمها على أنها لهجة من اللهجات في كلمة « ماه » ومعناها قمر ، وأن تلك العبادة كانت في الأصل متصلة بعبادة القمر . ويقول النرشخي الذي ولد سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) إنه في يومين معلومين من السنة كان يعرض للبيع في عهده عدد كبير من الأصنام ، ولعلها كانت تماثيل

صغيرة مصنوعة من الصلصال من نوع تلك التماثيل التى توجد كثيراً فى خفائر سمرقند . على أنها لم تكن تعتبر فى القرن الرابع إلا نوعاً من الدمى .

ومما يستحق الالتفات باب من أبواب السور الداخلى هو « باب سكة السحرة » (باب سكة مغان) الموجود فى الجزء الشمالى الغربى من المدينة . والراجح أن هذا الجزء من المدينة هو الذى كان لا يزال يسمى فى عهد بنى سامان باسم « قصر السحرة » (كوشك مُغان) .

ويروى النرشخى (ص ٢٨ — ٢٩) أنه بعد الفتح انسحب إلى هذه الناحية ثراة التجار الذين كانوا يسمون باسم « كش كشان » . وفرضت أحكام المعاهدة التى عقدت مع قتيبة على السكان أن يتنازلوا للعرب عن نصف منازلهم ونصف ضياعهم . ولكن هذه المعاهدة لم تطبق فيما يظهر إلا على المدينة نفسها ، أى على « الشهرستان » . وقرر ثراة التجار « كش كشان » أن يتنازلوا للعرب عن جميع منازلهم فى الشهرستان ، وبنوا لأنفسهم ٧٠٠ قصر فى الجهات المجاورة . وكان أمام كل قصر من هذه القصور حديقة ومنازل لسكنى الأتباع والخدم . وفى عهد أبى مسلم أصبح عدد سكان هذه المحلة الجديدة أكثر من عدد سكان المدينة نفسها (انظر النرشخى ، ص ٦٢) .

ويقال إن هذه القصور هدمت من بعد فى أخذى القرن واستعملت أبوابها التى كان أصحاب القصور قد نقشوا عليها صور الأصنام التى كانوا يعبدونها فى توشيح المسجد الجامع . ويقول أحمد القُبَوى الذى أشرنا إليه من قبل إنه كان لا يزال يوجد فى عهده ، أى فى القرن السادس الهجرى ، (الثانى عشر الميلادى) باب من هذا النوع (انظر النرشخى ، ص ٤٧ — ٤٨) .

وإلى جانب قصر القلعة كان لأمراء بخارى أيضاً فى العهد الذى سبق الإسلام قصور فى ريگستان . ثم جاء نصر الثانى السامانى من بعد (٣٠١ — ٣٣١ هـ = ٩١٤ — ٩٤٣ م) فبنى مكانها قصراً ، وجعل فى البنايات التى أمام مدخله دواوين الحكومة العشرة (« ديوانها ») التى ذكر لنا النرشخى أسماءها (ص ٢٤) . وفى السنوات الأولى من حكم منصور بن نوح (٣٥٠ — ٣٦٥ هـ = ٩٦١ — ٩٧٦ م) شب حريق فى ذلك القصر فأتى على بنائه كله ، ولم يعاود بناؤه قط منذ هذه الحادثة . ومع هذا فإن المقدسى يؤكد أن « دار الملوك » كان لا يزال يوجد فى عهده أمام القلعة فى ريگستان ، وأنه لم ير قط فى بلد من بلاد الإسلام أثراً أكثر روعة منه . وكانت ريگستان تستعمل أيضاً مصلى (بالفارسية نمازگاه) حتى سنة ٣٦٠ للهجرة (٩٧١ م) .

وفى عهد سامان كان يوجد أيضاً قصر ملكى آخر على قناة جو مولیان التى كانت موجودة — على ما يظهر — غير بعيد من القلعة ومن ريگستان ، وكانت تتجه نحو الشمال . وهذا القصر بناه إسماعيل ابن أحمد ، ثم بدأ يتهدم بعد زوال دولة السامانيين .

وكان لا بد من التفكير أيام منصور بن نوح فى إنشاء مصلى جديدة ، إذ أن ريگستان لم تعد

فى ذلك العهد كافية لجمهور المؤمنين ، فأقيم مكان العبادة الجديد سنة ٣٦٠ للهجرة (٩٧١ م) على بعد نصف فرسخ (¾ كيلومتر) من القلعة وعلى طريق سمّلين ، ومما يؤسف له أننا لانملك أية معلومات عن موضع هذه القرية . وكان الناس يذهبون إلى هذه الاجتماعات (الصلاة) وهم مسلحون أخذاً بالعادة القديمة ، وذلك لأن عادة حمل السلاح كانت لاتزال شائعة فى عهد بنى سامان (انظر هلال الصابئ ، طبعة أمدروز Amedroz ، ص ٤٠٢) ؛ وبين القلعة والشهرستان وإلى جانب المسجد الجامع كان يوجد مصنع كبير للنسيج (كارگه ويسمى أيضاً بيت الطراز) ، ويقال إن مصنوعاته كانت تصدر إلى الشام ومصر وبلاد الروم (انظر النرشخى ، ص ١٨) ؛ وما يذكره المقدسى عن السلع التى كانت تصدر من بخارى يشهد بتقدم تجارتها وصناعتها . وكانت « هُزْم الخيل » نفسها التى تصنع فى المحابس من الأصناف التى تصدر أيضاً من هناك .

وكان المعروف عن المدينة منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أنها تضيق بسكانها ، وأنها غير صحية ، رديئة الماء فاسدة الهواء ... إلخ وكانت طرقاتها واسعة ومع هذا فلم تكن هذه الطرقات كافية لعدد السكان . ولقد شكا المقدسى وبعض الشعراء (انظر يتيمة الدهر ، جـ ٤ ، ص ٨ — ٩) من قذارة المدينة فى عبارات قوية ، حتى أن المقدسى يقول إن بخارى كانت مزبلة الإقليم . وذكر ذلك الكاتب نفسه بين ما ذكره من عيوب بخارى أخطار الحريق فيها . ومن الجلى أنه كان فيها فى ذلك الوقت بيوت من الخشب أكثر مما فيها فى الوقت الحاضر ، وكان الجزء الأعلى من مئذنة الجامع الكبير نفسه مصنوعاً من الخشب فأدى هذا إلى حريق المئذنة ثم الجامع الكبير أثناء موقعة حدثت سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) بين اثنين كان كل منهما يدعى العرش لنفسه ، فأراد كل منهما أن يضع يده على القلعة . وأعيد بناء المئذنة بعد هذه الحادثة وصنعت كلها من الآجر (انظر النرشخى ، ص ٤٩) .

وقد ذكر جغرافيو العرب كما ذكر النرشخى أيضاً معلومات مفصلة عن الرساتيق التى كانت تحيط ببخارى ، وأمدنا الإصطخرى (ص ٣١٠ — ٣١١) ، والنرشخى (ص ٣٠ — ٣١) بأسماء القنوات التى كانت تستمد الماء من نهر زرافشان لرى الحقول ؛ ويقول الإصطخرى إن بعض هذه القنوات لم يشق إلا فى عهد المسلمين ؛ وبين لنا ستنجاكوفسكى Sitnjakowski أن كثيراً من هذه الأسماء لايزال قائماً حتى اليوم (انظر *Izviestija Turkest. Otdiela Imp. Russkago Geograf. Obshc* المجلد الثانى ، العـــدد الأول ، ص ١٣٦ — ١٣٧) ؛ ومن المهم لدراسة أحوال الأرض فى آسية الوسطى وما طرأ عليها من تغير فى العصور التاريخية أن نحدد ما إذا كانت القنوات التى يرجع تاريخها ، حسب المعلومات التى وصلت إلينا ، إلى ما قبل الإسلام ، تجرى الآن فى مهد أعمق من المهاد التى كانت تجرى فيها فى عصور

متأخرة عن ذلك ، على أن هذا الموضوع لم يدرس حتى اليوم .

وكان الفضل لستنجاكوفسكى فى بيان أن بقايا الأسوار الطويلة التى كان يراد بها فى عهد العباسيين أن تحمى المدينة وما حولها من هجمات الترك ، لاتزال قائمة حتى اليوم : ويقول النرشخى (ص ٣٢٩ وما بعدها) إن هذه الأسوار بدئ فى إقامتها سنة ١٦٦ للهجرة (٧٨٢ — ٧٨٣ م) وانتهى من ذلك سنة ٢١٥ للهجرة (٨٣٠ م) ؛ وهنا مجال للتساؤل عما إذا كان ما ذكره النرشخى إنما ينصرف ، كما ذكر المسعودى فى كتاب التنبيه (ص ٦٥) ، إلى تجديد السور القديم ، ذلك لأن مبانى من ذلك النوع كانت موجودة فى آسية الوسطى منذ عهد متقدم جداً كما يتضح من وصف إسترابون Strabon (الفصل ٥١٦) لإقليم مرغيانة وهو إقليم مرو الحالية : ولم تكن المدينة فى وسط الفضاء الذى كانت تحيط به الأسوار وإنما كانت فى جزئه الغربى . وكانت قرية تواويس القائمة على طريق سمرقند موجودة أيضاً داخل السور على بعد سبعة فراسخ من بخارى . وكان باب السور القائم على طريق خراسان على مسيرة ثلاثة فراسخ من تلك المدينة (انظر ابن خرداذبه، طبعة ده غويه ، ص ٢٥ ؛ كتاب التنبيه ، ص ٦٥) ومن القرى الموجودة شمالى المدينة قرية زَنْدَنَة وهى على مسيرة أربعة فراسخ من بخارى، وقرية مَغْكان على مسيرة خمسة فراسخ منها (الإصطخرى ، ص ٣١٣ ، ٣١٥) ، وكل من هاتين القريتين كان داخل الأسوار ؛ ولم يبين لنا أحد مدى اتجاه هذه الأسوار نحو الجنوب . وليس من الثابت أن بخارى كانت محمية من هذه الناحية ببناء من هذا القبيل ؛ ولم تتخذ أعمال خاصة لصيانة الأسوار منذ عهد إسماعيل بن أحمد الذى قال : « سأكون سورا يحمى أرض بخارى ما دمت على قيد الحياة » . وقد سميت الأسوار المتهدمة بعد ذلك باسم « كنبرك » ، ويحسن قراءتها « كمپيرك » ومعناها المرأة العجوز ، وتسمى بقايا هذه الأسوار القديمة الباقية حتى الآن فى الشمال الشرقى على الأقل، باسم « كمپير دُوال » ومعناها أسوار المرأة العجوز ، وهى على حدود السهوب الممتدة بين الأراضى الزراعية فى بخارى وفى كرمينه Karmina (انظر *Protokoli Turk. Kruzka Ljub archeologii* ، جـ ٣ ، ص ٨٩ ، ٩٠) ؛

وكان دخول الإيلك نصر بن على مدينة بخارى فى ١٠ من ذى القعدة سنة ٣٨٩ للهجرة (٢٣ من أكتوبر سنة ٩٩٩م) خاتمة لدولة بنى سامان بالرغم من أن الفاتحين ظلوا أعواماً (إلى سنة ٣٩٥هـ = ١٠٠٤ — ١٠٠٥م) يقاتلون إسماعيل المنتصر آخر السامانيين فى سبيل العرش ، وبالرغم من أنهم أخرجوا من العاصمة القديمة لتلك الدولة فى لحظة من اللحظات . وكان سقوط السامانيين متصلا بضياع ما كان للمدينة من شأن قديم فى السياسة . فمنذ ذلك العهد أخذ يتولى حكمها فى الغالب أمراء أو ولاة ، ولم تعد حاضرة لدولة كبيرة إلا فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وأقام نفر قليل فحسب من أمراء

الإيلكخانية أو القرهخانية فى بخارى وشيدوا فيها بعض العمائر . وفى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) شيد الخان شمس الملك نصر بن إبراهيم قصراً له فى جنوبى المدينة ، وأعد مكاناً للصيد والقنص . وامتد الخراب إلى ذلك المكان الذى كان يسمى « شمس آباد » بعد وفاة الملك التالى خضر خان . وفى عهد أرسلان خان محمد بن سليمان أنشئت مصلى فى مكان الصيد سنة ٥١٣ للهجرة (١١١٩ — ١١٢٠ م) وما زالت مستعملة فى هذا الغرض حتى اليوم . وينسب إلى هذا الأمير نفسه كثير من المبانى التى شيدت فى بخارى (انظر النرشخى ، ص ٢٣ وما ذكرناه قبل ذلك عن المسجد الكبير) ويقال أيضاً إن الأمير قلج طمغاج خان مسعود جدد أسوار المدينة فى سنة ٥٦٠ للهجرة (١١٦٥م) .

وظلت المدينة محتفظة فى عهد انحطاطها السياسى بما كان لها من شهرة قديمة معقلا للإسلام ومركزا للعلوم الدينية : وكان قد خرج من بخارى أو ما حولها فى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادى) طائفة من العلماء المشهورين مثل صاحب « جامع الصحيح » : وفى القرن السادس للهجرة (الثانى عشر الميلادى) نجحت أسرة شريفة من العلماء عرفت فيما بعد باسم آل برهان (انظر مادة برهان) فى أن هيأت للمدينة — إلى حين على الأقل — نوعاً من الحكومة الدينية وجعلت لها استقلالا كاملا عن سلطان سادة هذه البلاد . وبعد أن حدثت موقعة قطوان فى ٥ من صفر سنة ٥٣٦ (٩ من سبتمبر سنة ١١٤١م) اضطرت المدينة لأول مرة منذ الفتح الإسلامى إلى أن تسلم مقاليد حكمها لشعب غير إسلامى هو شعب القراخطاى ، على أن « صدر » بخارى استطاع مع هذا أن يحتفظ بنفوذه أمام العدو؛ وقتل الصدر حسام الدين عمر بن عبد العزيز عند استيلاء العدو على المدينة ، ومع هذا فإن الصدر أحمد بن عبد العزيز ، ولعله أخ للأول ، اشتغل مستشارا للحاكم الذى ولاه الفاتحون (انظر : *Receuil de textes relatifs à l'hist. des Seldjoucides* ، ج ٢ ص ٢٧٨ ، چهار مقاله ، طبعة ميرزا محمد ، ص ٢٢) . وينسب ابن الأثير (ج ١١ ، ص ٢٠٥) إلى ابن محمد بن عمر المقتول أنه أثنى فى سنة ٥٥٩ للهجرة (١١٦٣ — ١١٦٤ م) على اعتدال الفاتحين . واضطر صدور بخارى إلى أن يلتمسوا لهم ملجأ بالقرب من الفاتحين أنفسهم عندما ثار الشعب بهم وطردهم من بخارى وصادر ممتلكاتهم (انظر العوفى : لباب الألباب ، طبعة براون ، ج ٢ ، ص ٣٨٥) .

ويقول الجوينى إنه كان على رأس هذه الفتنة رجل من طبقة العمال هو ابن تاجر من تجار الدروع (مجان فروش) وإنه كان يحترم أصحاب الحرمات فى المدينة . وتولى هذا الزعيم حكم بخارى زمناً ما أميراً مستقلا وسمى نفسه « سنجر ملك » . على أنه سرعان ما سقطت المدينة فى يد خوارزمشاه محمد بن تكش الذى قاد الأمير سنجر إلى خوارزم ثم أتبعه بالصدر برهان الدين . وكانت المدينة التى أخضعها خلفاء محمد أمداً وجيزاً قد

ظلت فى حوزة خوارزمشاه السنوات التالية ماعدا بعض فترات من الزمن خلال المحاولات الأخيرة التى قام بها أمير القره خطاى وانتهت بفوزه فيها ، وكان خوارزمشاه قد جدد بناء القلعة وشيد بعض المبانى الأخرى .

وعندما فتح المغول الدولة التى أنشأها محمد ، كانت بخارى مدينة من المدن الأولى التى اضطرت إلى التسليم لجنكيزخان : ويقول ابن الأثير إنها سلمت له فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ (١٠ من فبراير سنة ١٢٢٠ م)؛ أما القلعة فلم تؤخذ إلا بعد اثنى عشر يوماً من ذلك التاريخ .

وترك الفاتح بخارى عرضة للنهب ، فنشب فيها حريق دمر المدينة كلها ما عدا المسجد الجامع وبعض قصور مشيدة من الآجر ، على أن بخارى أعيد بناؤها من جديد فى عهد أوكتاى خليفة جنكيزخان ، وكانت مدينة غنية عامرة بالسكان وموطناً للعلوم . وفى سنة ٦٣٦ للهجرة تعرضت المدينة لأخطار جديدة ، ذلك أن الشعب ثار ضد المغول وضد طبقة الملاك أيضاً . على أن الوالى محمود يلَواج الذى كان يقيم فى خُجَنْدَة نجح بعد القضاء على الفتنة فى أن يبعد عن المدينة انتقام الفاتحين . ويقول الجوينى (انظر النص فى Defrémery : *Journ. Asiat.* ، المجموعة الرابعة، جـ ٢٠ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ وفى Schefer : *Chrestomathie persane* ، جـ٢، ص١١٧ — ١٢٨) ، وهو مصدرنا الوحيد فى هذه الحادثة ، إن الفتنة لم تنشب هذه المرة بين طبقات العمال كما حدث منذ ثلاثين سنة خلت ، وإنما نشبت بين طبقات الزراع . وليس لدينا أية معلومات محققة عن طريقة حكم هذه المدينة وما حولها فى السنوات الأولى من حكم المغول . ويذكر الجوينى فى كلامه على سيرة أويغور كوركوز اسم « صاين ملكشاه » بوصفه أميراً لبخارى . ولسنا نعرف عنه شيئاً أكثر من هذا (انظر D'Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ ٣ ، ص ١٠٧ — ١٠٨) .

ويذكر وصاف (طبعة هامر Hammer ، ص ٢٥ ؛ طبعة الهند ، ص ١٢) أنه منذ عهد أوكتاى كان يحكم سمرقند وبخارى جنكصان طايغو إلى جانب بوقا بوشا المغولى . وطايغو هذا يظهر أنه صينى الأصل ، وذلك يفسر لنا وجود عملة من نحاس عليها نقوش صينية ضربت ببخارى فى ذلك العهد .

ويقول أيضاً إن محمود يلواج ثم ابنه مسعود بك (انظر مادة « بيش‌بالق ») من بعده ، وهما من مسلمى خوارزم ، قد اقتسما حكم ما وراء النهر . ومع أن رجال الدين من المسلمين قد وقفوا فى ثبات ضد المغول للدفاع عن البلاد ، وظلوا بعد ذلك خصوماً للفاتحين ، فإن « الملاوات » والأشراف كانوا معافين من جميع الضرائب فى دولة المغول أسوة بكهنة الأديان الأخرى .

ومما يستحق التنويه أكثر من ذلك ما رواه الجوينى (انظر D'Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧) الذى يقول إن سيوركِكتِنى النصرانية أم الحسانين الأعظمين « منكو »

و « خُبيلاى » بلت من مالها مدرسة في بخارى تسمى « خانيَّة » ، وأن العلامة المشهور سيف الدين باخرزى المتوفى فى ذى القعدة سنة ٦٥٩ هـ (٢٧ سبتمبر — ٢٦ أكتوبر سنة ١٢٦١ م) عين مدرساً لهذه المدرسة ومتولياً لها ؛ وأنشأ مسعود بك مدرسة أخرى سميت المسعودية نسبة إليه فى ميدان بخارى ولعله الريگستان ؛ وكان يتعلم فى كل من هاتين المدرستين حوالى ألف طالب .

وفى اليوم السابع من شهر رجب سنة ٦٧١ هـ (٢٨ من يناير سنة ١٢٧٣ م) فتح بخارى مغول بلاد فارس بقيادة سكپاى بهادر قائد الإيلخان أباقا (انظر هذه المادة) وظلوا يعملون فيها السلب والنهب سبعة أيام متواصلة ، ودب الخراب فى المدينة وكاد يقضى عليها قضاء تاماً بالحديد والنار ؛ وبعد هذا بثلاثة أعوام أخذ الأميران الجغتائيان چوبا وقبان ، من سائر أهل المدينة ما بقى فى أيديهم . ولم يصب بخارى مثل هذا البلاء قط كما يقول وصاف (طبعة هامر ، ص ١٤٨ . طبعة الهند ، ص ٧٨) ، ولم يبق فيها كائن حى خلال الأعوام السبعة التالية . وفى هذا الوقت عينه ، أى حوالى عام ١٢٨٣ م ، أمر الأميرُ قيلو مسعوداً بك فعمل على إقامة المدينة من جديد ، ثم جلب إليها السكان . وكانت المسعودية قد دمرت أيضاً سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) فجدد مسعود بناءها ، ثم دفن فيها فى شوال سنة ٦٨٨ هـ (١٨ من أكتوبر — ١٥ من نوفمبر سنة ١٢٨٩ م ؛ انظر « جمال القرشى » فى Barthold : *Turkestan* « *v epokhlu mongols kago nashestviya* » ، جـ ١ ، ص ١٣٩) ؛ وجاء إلى المدينة مرة أخرى مغول بلاد فارس ومعهم حليفهم يساور أمير الجغتاى ، وذلك فى رجب سنة ٧١٦ هـ (١٩ من سبتمبر — ١٨ من أكتوبر سنة ١٣١٦ م) وأخرجوا بالقوة عدداً كبيراً من سكان بخارى وغيرها من المدن وأسكنوهم فى إقليم جيحون (انظر d'Ohsson : *Histoire des Mongols* جـ ٤ ، ص ٥٦٧ — ٥٦٨) .

وفضلا عن هذا فإنه يظهر أن بخارى لم يكن لها شأن ما فى الحياة السياسية لإقليم ما وراء النهر أثناء حكم بيت چغتاى (انظر هذه المادة) وبعد ذلك أيضاً فى عهد تيمور وأسرته . ويوجد كتاب قيم يتكلم عن الحياة السياسية والدينية التى ازدهرت فى هذه المدينة بعد ذلك العهد ، كما كانت مزدهرة من قبل . وهذا الكتاب القيم مجهول فى أوروبا الغربية ولكن توجد منه مخطوطات كثيرة منتشرة فى الروسيا ويسمى « كتاب مُلا زاده » لأحمد ابن محمد المسمى معين الفقراء ، ويرجح أنه كتب فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى؛ انظر خلاصته فى Barthold : *Turkestan etc.* جـ ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧) . وارجع إلى كتاب « رشحات عين الحياة » لحسين الكاشفى (طبعة إتيه Ethé فى *Grundriss der iranischen Philologie* ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥) للوقوف على سيرة بهاء الدين النقشبندى المتوفى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) وعلى أخبار شيوخه وتلاميذه وعلى طريقة الدراويش النقشبندية التى أسسها . وقد

أنشأ ألغ بك المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) والذى عرف برعايته للعلم مدرسة ببخارى على نهر چارصو (وسط المدينة) .

وفى أواخر سنة ٩٠٥ هـ (صيف سنة ١٥٠٠ م) فتح الأزابكة مدينة بخارى بقيادة شيبانى خان ، وظلت فى حوزتهم منذ ذلك العهد ما عدا فترة قصيرة بعد موقعة مرو التى كانت وبالا عليهم (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م) . وكانت دولة الأزابكة -كجميع حكومات الرحل- تعتبر ملكاً لكل أعضاء الأسرة الحاكمة ، وتنقسم إلى عدد كبير من الإمارات الصغيرة . واعتبرت سمرقند -كما كانت من قبل- حاضرة للدولة ومقراً للخان ، وكان فى الغالب أكبر أمراء الأسرة الحاكمة سناً . ومع هذا فإن الأمير الذى كان ينادى به « خانا » كان يحتفظ بإمارته الموروثة ويواصل فى العادة الإقامة فى حاضرته القديمة، فكان طبيعياً أن يوجه إليها من العناية أكثر مما يوجهه إلى حاضرة الدولة .

وأقام فى بخارى اثنان من أشهر أمراء بنى شيبان هما : عبيد الله بن محمود الذى أقام فيها منذ سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وتوفى سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩ م) ؛ وعبد الله بن إسكندر الذى أقام فيها سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢م) وتوفى سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٧ م) .

وقد ظل هذان الأميران عهداً طويلا يتركان لقب الخان لأسن أمراء الأسرة الحاكمة ، ولكنهما كانا يستمتعان بالسلطة كلها ، وأصبحت بخارى بفضل شهرتهما مركزاً للحياة السياسية والروحية .

واتخذ أمراء الأسرة التى جاءت بعد هؤلاء -وهى أسرة الجانية Djanides أو الأشترخانية- بخارى مقراً لملكهم ، أما الحاضرة القديمة سمرقند فقد فقدت كل ما كان لها من شأن تقريباً ، وبخاصة منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى (القرن الثامن عشر الميلادى) .

ومصادر المعلومات عن تاريخ بخارى فى ذلك العهد لا يمكن الحصول عليها حتى الآن إلا مخطوطة ، ولم يدرس ذلك العهد حتى الوقت الحاضر إلا دراسة قليلة ، شأنه فى هذا شأن التاريخ العام لآسية الوسطى خلال القرون الأخيرة . وهناك معلومات كثيرة عن الآثار التى شيدت فى القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد) وردت فى الرسالة التاريخية المعروفة باسم « تأريخ مير سيد شريف راقم » (ألفت سنة ١١١٣ هـ = ١٧٠١ - ١٧٠٢ م ، انظر : Bar. v. Rosen فى *Collections scientifiques de l'Institut des langues orientales du ministère des affaires étrangères* ، جـ ٣ ، ص ١١٥-١١٦) . وهناك معلومات عن الحياة العقلية فى زمن عبيد الله أمدنا بها على وجه خاص معاصره « واصفى » صاحب كتاب « بدائع الوقائع » (انظر C. Saleman فى *Mélanges Asiatiques* ، جـ ٧ ، ص ٤٠٠) أما المصادر الخاصة بتاريخ عبد الله بن إسكندر فقد ذكرناها عند الكلام عليه (راجع مادة

«عبد الله بن اسكندر») وفى كتاب «عبد الله نامه» وصف لبخارى يدل على أن المؤلف كان فى حوزته نص أكمل من نص كتاب «تأريخ النرشخى» الذى وصل إلينا . أما عن تاريخ بخارى فى القرن الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) فراجع بصفة خاصة كتاب «بحر الأسرار فى مناقب الأخيار» لمحمود بن أمير ولى (فهرس مكتبة وزارة الهند ، رقم ٥٧٥) .

وقد توثقت الصلات منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) بين دولة الأزابكة وقياصرة موسكو ، فأصبحت بخارى بهذا معروفة فى الروسيا وأوروبا الغربية أكثر من ذى قبل . وكان الروس فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يطلقون اسم «بخارتسى» على جميع التجار والمهاجرين من آسية الوسطى الذين كانت مواطنهم ممتدة حتى «توبولسك» . وأطلقت هذه التسمية أيضاً على سكان التركستان الصينية الحالية التى كانوا يميزونها باسم بخارى الصغيرة .

وكان عهد الخان عبد العزيز (١٠٥٥ — ١٠٩١ هـ = ١٦٤٥ — ١٦٨٠ م) معتبراً — فى نظر مؤرخى تلك البلاد الذين جاءوا بعده — آخر العهود السعيدة . وعجز الأمراء بعده عن الاحتفاظ بوحدة الدولة فاستقل أمراء قبائل الأزابكة بالحكم فى كثير من البقاع . وأصبح الخان المقيم فى بخارى لا يحكم إلا جزءاً صغيراً من دولته القديمة . بل إنه لم يكن يباشر السلطان بالفعل بل كان يباشره باسمه أمير يسمى بك أو «آتاليق» .

وفى سنة ١١٥٣ للهجرة (١٧٤٠ م) خضعت بخارى لحكم نادرشاه ولم تستعد استقلالها إلا بعد وفاته . وفى ذلك العهد نفسه قامت أسرة جديدة فى بخارى ، إذ نادى الآتاليق محمد رحيم من قبيلة منقيت بنفسه خانا سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) ، ولكنه توفى سنة ١١٧٢ هـ (١٧٥٩م) ؛ انظر تاريخه بقلم معاصره «محمد وفا كرمينكى» بعنوان «تحفة الخانى») .

على أن خلفه المباشر «دانيار بك» قنع بلقب «آتالق» وترك لقب الملك لواحد من نسل جنكيزخان . ولما جاء بعده ابنه مراد — ويسمى مير معصوم — طالب من جديد بلقب الملك لنفسه فى سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م) ولكنه لقب هو ومن جاء بعده من خلفائه لا بلقب الخان وإنما بلقب الأمير فقط .

وكان مراد وخلفه حيدر (١٢١٥ — ١٢٤٢ هـ = ١٨٠٠ — ١٨٢٦ م) يراعيان شرائع الدين مراعاة دقيقة زادت فى ترمتها حتى على الترمت الذى أبداه عبيد الله فى القرن السادس عشر .

وأخذت «بخارى الشريفة» تسترد شيئاً فشيئاً شهرتها باعتبارها مدينة الإسلام والشريعة ، وكان فى سيرة الملك نفسه

ما يرضى نزعة التشدد فى الدين ، وكان حيدر يحاضر فى العلوم الدينية ويستمع إليه خمسمائة من المستمعين غير أنهم أخذوا عليه انهماكه فى ملاذ « الحريم » ، فقد كان يغير زوجاته الشرعيات باستمرار ويقتنص لحريمه كل شهر غوانى جديدات . وكان آخر أمراء بخارى الذين ضربت العملة باسمهم ، ومنذ وفاته تضرب العملة باسم الأمير المرحوم حيدر .

ثم جاء بعد ذلك الأمير نصر الله (١٢٤٢ — ١٢٧٧ هـ = ١٨٢٧ — ١٨٦٠ م) ونجح فى توطيد مركز العرش إزاء أشراف الأزابكة ، وفى بسط سلطان الدولة خارج حدودها . وكانت قوة الأشراف قد ازدادت ثباتاً بفضل ما أصاب الدولة من انحلال ، ولكن نصر الله قضى عليها بضربة واحدة فى خيوة وخوقند وبخارى وسفك فى سبيل ذلك الدماء ، ويصفه مؤرخو تلك البلاد وكذلك الرحالة الأوروبيون بأنه كان طاغية محباً لسفك الدماء ، وقد جند له جيشاً قائماً يعمل محل الجنود الذين كانوا يجندون من قبائل الأزابكة ، وعهد بمناصب الإدارة إلى رجال من أصل وضيع ، وجعل على رأس الحكومة موظفاً فارسى الأصل غالباً وكان يسمى « قوش بيكى » .

وكانت دولة بنى منقيت لا تشتمل فى أول أمرها إلا على وادى نهر زرافشان والبلاد التى إلى جنوبه حتى نهر جيحون ، أما فى الجنوب الشرقى فكانت تمتد إلى حصار ، واشتملت أحياناً على أجزاء من الأرض جنوبى جيحون مثل مرو وبلخ ، أما بلاد ما وراء النهر القديمة فكان يحكمها أمراء من خوقند ، وكثيراً ما نشب القتال بين هاتين الحكومتين وبخاصة حول جزق Djhizak وأوراتوبه ، وكان النصر فى هذه الحروب حليف أمير بخارى فى العادة .

وفى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) فتحت خوقند نفسها وخضعت بلاد ما وراء النهر جميعاً لسلطان الأمير ، غير أنه لم يستطع الاحتفاظ بفتوحاته باستمرار .

وعندما اعتلى مظفر الدين العرش (١٨٦٠ — ١٨٨٥) — وهو خليفة نصر الله — كان الروس قد وطدوا مركزهم عند المجرى الأسفل لنهر سيحون ومن هناك تقدموا تدريجاً نحو الأجزاء الأخرى من بلاد ما وراء النهر القديمة ، وبعد أن هزم ذلك الأمير عدة مرات اضطر إلى التخلى عن مطالبه فى حكم وادى نهر سيحون الذى استولى عليه الروس ، كما أنه تخلى لهم عن جزء كبير من أراضيه بما فيه جزق ، وأوراتوبه ، وسمرقند وكته قورغان (١٨٨٦ م) أما العاصمة فهى — على العكس من خيوة وخوقند — لم يحاصرها العدو حتى ذلك الوقت ولم يغزها ، وكانت الأراضى التى خسرها ذلك الأمير فى حربه مع الروس أكثر من الأراضى التى استولى عليها فى غزواته

التي قام بها فى السنوات العشر التالية وساعده الروس فيها بعض المساعدة . فقد استولى هذا الأمير على البلاد التى كانت منذ أكثر من قرن من الزمان منفصلة سياسياً عن بخارى، مثل شهر سبز وحصار ، أو التى لم تكن تابعة على الدوام لحكام بخارى مثل قراتكين ودَرْواز . أما فى الغرب فقد اتسعت إمارة بخارى عام ١٨٧٣ على حساب خيوة التى فتحها الروس ؛ وعلى ذلك فإن أملاك الأمير لم تصل إلى ما وصلت إليه الآن إلا بعد سيطرة الروس : وقد أقيمت الحدود لأول مرة بين بخارى وأفغانستان فى عهد الأمير عبد الأحد (١٨٨٥ — ١٩١٠) ، وأصبحت پنْج بمقتضى الاتفاق الذى عقد بين الروسيا وإنكلترة (سنة ١٨٨٥) تؤلف الحد الفاصل بين بخارى والروسيا . وتخلى أمير بخارى بعد ذلك عن جزء من إقليم درواز للأفغان ولكنه أخذ عوضاً عنه إقليمى روشن وشُغْنان ، وفى هذا العهد نفسه نظمت العلاقات بين بخارى والروسيا . وأصبحت إمارة بخارى منذ عام ١٨٨٧ يخترقها خط حديدى روسى : وهذا الخط الحديدى لا يمر بالبلدان الهامة ومن بينها العاصمة . وعلى بعد خمسة عشر كيلو متراً من بخارى القديمة أقيم على الخط الحديدى بعض المنشآت الروسية وسميت بخارى الجديدة ، وتعرف محطة السكة الحديد بها اليوم باسم قغان : وأصبحت بخارى الجديدة بعد ذلك مقر المبعوث الروسى، وربطت بالعاصمة القديمة بخط حديدى أنشىء على نفقة أمير بخارى : وتدخل إمارة بخارى بأجمعها ضمن منطقة النفوذ الجمركى الروسى ، وقد أنشئت الجمارك الروسية على حدود أفغانستان كما أنشئت مراكز عسكرية فى كركى وترمذ على نهر جيحون و « خُرُج » فى إقليم شغنان : ويتم الاتصال التجارى بين ترمذ والمدينة الروسية المسماة پترو ألكسندروفسك على نهر جيحون بوساطة بواخر روسية . وتتصل ترمذ بسمرقند من جهة أخرى بوساطة طريق لنقل البريد ، كما تربطها ببخارى وسمرقند أسلاك البرق .

وإمارة بخارى رغم كل ذلك لم تتأثر إلا قليلا بالحضارة الروسية ، فنجد أن النظام الإدارى والمالى حتى ما كان منه سائداً فى الأقاليم المفتوحة حديثاً لا يزال كما كان منذ أربعة قرون ، ونجد أن الأمير وموظفيه وعماله يعاملون السكان اليوم معاملة قاسية كما كانت الحال فى الزمن السابق ، ومنذ أن لقب الأمير بصاحب السمو وتقرب من العائلة الإمبراطورية الروسية أصبحت له سلطة لا تنازع وفى استطاعته أن يعمل مستقلا أكثر من ذى قبل إزاء المبعوث السياسى والحاكم العام المقيم فى طشقند .

وكانت السياسة التى اتبعها أمير بخارى موضع نقد شديد من بعض الكتاب الروس (انظر خاصة مؤلفات لوگفت D. N. Logofet التى نشرت بعناوين مختلفة : (١)

Strana bezpraviya (٢) Na granicakh Sredniey Azii Bukharskoie Khanstvo pod russkim (٣) protektoratom) ولا يمكن أن تنكر أن تلك السياسة تؤدى إلى نتائج وخيمة بالنسبة لرعايا الأمير ولمكانة الروسيا فى آسية الوسطى .

ومير عالم هو أمير بخارى منذ عام ١٩١٠ وهو ابن الأمير السابق عبد الأحد ؛ وقد تربى مير فى الروسيا فى مدرسة سانت بطرسبرغ الحربية .

وحفز النجاح الذى اكتسبته روسيا فى آسية الوسطى العلماء إلى دراسة هذه البلاد من الوجهة الجغرافية وكذلك من الوجهة البشرية إلى حد ما . فقد ظهر منذ عام ١٨٧٠ عدد كبير من الأبحاث والمؤلفات الهامة باللغة الروسية عن إمارة بخارى وكل إقليم من أقاليمها (انظر مثلا P. Maiew : Ocherki Bukharskago Khanstva، طشقند سنة ١٨٧٦ ؛ L. Kostenko : Turkestanskij kray، ج ٢ ، ص١٠٢-١٠٣ ؛ Kuznecov : Darwoz، نوفج مرگلان Novij Margelan سنة ١٨٩٣ ؛ A. A. Semenov : Etnograficheskie ocherki Zarafshanskikh gor, Karategina i Darwaza، موسكو ١٩٠٣ ؛ G.A.A. Bobrinskoy : Gorci verchoview Pjandja، موسكو ١٩٠٨ ؛ A. Serebrennikov : Pamir (Ezegodnik Fer ghanskoy oblasti)، ج١ ، ص ٩٠ - ٩١) .

على أنه لم يدرس ماضى تلك البلاد ومركزها الحالى من وجهة نظر المستشرقين إلا دراسة ضئيلة ، ونجد أن مؤلفات المؤرخين من أهل البلاد — ومن بينهم مؤرخو القرن التاسع عشر — لا يمكن الحصول عليها إلا مخطوطة ، اللهم إلا القليل منها (انظر F. Teufel : Quellen zur Geschichte der chanate وقد نشرته على حدة مجلة Zeitschr d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch ج ٣٨) ، فى حين أننا لا نجد حتى الآن فى بخارى نفسها أو فى البلدان الأخرى — مثل شهر سبز وفيها قصر آق سراى الذى ابتناه تيمور ، أو ترمذ وبها أطلال قلعة قديمة وضريح جميل لمحمد بن على الترمذى المتوفى عام ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) — أى دراسة أثرية أو تاريخية ، تخطيطية ذات قيمة (انظر عن هذا الموضوع R. Rozevic فى Izviestiya Imp. Russkago Geograf. Obshchestva ، ج ٤٤ ، ص ٦٤٤ — ٦٤٥ وبه لوحة) . ولم يظهر أى وصف للمركز الحالى للبلاد بقلم أى مستشرق منذ أن توطد مركز الروس فيها ، ولهذا السبب لا يمكن أن نقول بأن هناك مصنفاً آخر فاق مصنف خانيكوف Khanikow الذى نشر عام ١٨٤٣ . أما المؤلفات التى نشرت عن هذه البلاد وماضيها باللغات الأوروبية الغربية فهى أيضاً غير كافية .

(انظر Vámbéry : Travels in Central Asia ، لندن ١٨٦٤ ، ولهذا الكتاب ترجمة باللغة الألمانية ؛ Vámbéry : Geschichte Bochara's oder Transoxaniens

شتوتگارت سنة ١٨٧٢ ؛ Howorth : *History of the Mongols* ، جـ ٢ ، ص ٦٨٦ — ٦٨٧ ؛ Skrine and Ross : *The heart of Asia* ، لندن سنة ١٨٩٩ ، الفصل التاسع من هذا الكتاب عنوانه *Bokhara, a Protected native state* ، وانظر كذلك المقارنة غير الموثوق بها للروايات العربية التى عقدها G. le Strange فى كتابه *The lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج سنة ١٩٠٥ ، ص ٤٦٠ — ٤٦١ .

[بارتولد W. Barthold]

+ بخارى : مدينة فى واحة كبيرة بأوزبكستان الحالية على المجرى الأسفل لنهر زرافشان . وترتفع المدينة عن سطح البحر ٧٢٢ قدماً (٢٢٢ر٤ متراً) وهى على خط طول ٩٤° ٣٨َ شرقى گرينويتش ، وعلى خط عرض ٣٩° ٤٣َ شمالا .

وفى سنة ١٩١٠ خلف مير عالم أباه بعد أن تعلم فى سانت بطرسبرغ . وقد حكم مير عالم حتى أقصته الثورة الروسية إلى أفغانستان حيث عاش فى كابل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومنذ الثورة الروسية أصبحت بخارى جزءاً من جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية ، وقصبتها طشقند . وقد غدت بخارى منطقة كبيرة لإنتاج القطن تتنافس فى ذلك مع فرغانة وغيرها من أجزاء آسية الوسطى .

[خورشيد [فراى Frye]

«البخارى» محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه الجعفى ، أبو عبد الله : مصنف عربى ولد فى الثالث عشر من شوال عام ١٩٤ هـ الموافق ٢١ يولية من عام ٨١٠ م فى مدينة بخارى ، وجده بردزبه فارسى . وقد بدأ دراسة الحديث فى سن مبكرة إذ لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره . ولما بلغ السادسة عشرة حج إلى مكة وحضر على أشهر شيوخ الحديث فى مكة والمدينة ثم رحل إلى مصر فى طلب العلم ، وأنفق الستة عشر عاماً الثانية — ومنها خمسة فى البصرة — فى التجوال بين ربوع آسية ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، ووافته منيته فى الثلاثين من رمضان عام ٢٥٦ هـ الموافق ٣١ من أغسطس عام ٨٧٠ م : ودفن فى خرتنك على مسيرة فرسخين من سمرقند .

وتعتمد شهرته على جامعه فى الحديث وعنوانه «الجامع الصحيح» وقد رتبه على أبواب الفقه ، واصطنع لذلك طريقة كاملة وإن لم يوفق إلى إيجاد مواد الأحاديث اللازمة لجميع الفصول : وأظهر فى اختياره للأحاديث براعة فائقة وعحصها تمحيصاً دقيقاً ، كما أنه كان عظيم الأمانة فى إيراد المتن وبذل جهداً لا يبارى لكى يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه . ولم يتردد فى تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص . وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة ، بيد أن البخارى لم يستطع

التخلص من الاختلافات التى ذكرها لنا الشراح، والنسخة المتداولة الآن نشرها لأول مرة محمد اليونينى المتوفى عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) بمساعدة اللغوى المشهور ابن مالك المتوفى عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م ؛ انظر طبعة كرهل لصحيح البخارى، ليدن سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ م ؛ وقد أتم نشره Th. W. Juynboll، المجلد الرابع ؛ المصدر نفسه، عام ١٩٠٨ م) وطبع فى بولاق عام ١٢٨٠ و ١٢٨٢ و ١٢٨٤ و ١٢٨٩ هـ ؛ وطبع فى القاهرة على الحجر عام ١٢٧٩ هـ وطبع طبعة عادية عام ١٣٠٥ و ١٣٠٧ و ١٣١٢ و ١٣١٤ هـ فى تسعة مجلدات ، كما طبع فى دهلى عام ١٢٧٠ هـ و ١٨٨٩ م ، وفى بومباى عام ١٢٦٩ هـ و ١٨٦٩ م و ١٨٧٣ م و فى مرته عام ١٨٧٣ م ؛ أما فيما يختص بمخطوطاته فانظر R. Basset فى مجلة الجمعية الأسيوية الإيطالية ، المجلد العاشر ، ص ٧٦ — ٩١ ؛ وقد ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ووضع له فهرساً O. Houdas و W. Marçais, وطبعته مدرسة اللغات الشرقية الحية ، المجموعة الرابعة ، المجلد السادس وما بعده ؛ وطبعت ترجمة الأجزاء الثلاثة الأولى فى باريس عام ١٩٠٣ و ١٩٠٦ و ١٩٠٨ وترجمه إلى الفرنسية أيضاً ووضع له شروحاً وتعليقات L. Peltier ، باريس عام ١٩٠٩ بعنوان *Le Livre des testaments du Cahih d'al-Bokhari* وقد طبع من الشروح الكثيرة على الصحيح ما يأتى :

(١) «فتح البارى فى شرح البخارى» لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ (١٤٢٨ م) ، بولاق عام ١٣٠٠ ، ١٣٠١ هـ .

(٢) «عمدة القارى فى شرح البخارى» لمحمود بن أحمد العينى المتوفى عام ٨٥٥ هـ الموافق ١٤٥١ م ، القاهرة ١٣٠٨ هـ ، الآستانة ، سنة ١٩٠٩ ، ١٩١٠ م .

(٣) «إرشاد السارى فى شرح البخارى» لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى المتوفى عام ٩٣٣ هـ الموافق ١٥١٧ م ، بولاق سنة ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٤ — ١٣٠٥ هـ ، القاهرة سنة ١٣٠٧ ، ١٣٢٥ — ١٣٢٦ مع تحفة البارى لزكريا الأنصارى المتوفى عام ٩٢٦ هـ الموافق ١٥٢٠ م ، لكنهو سنة ١٨٦٩ ، ١٨٧٦ ، دهلى سنة ١٨٩١ م .

(٤) شرح لأبى زيد عبد القادر بن على الفاسى ، فاس ١٣٠٧ هـ (انظر كتاب ولى الله الدهلوى المتوفى عام ١١٧٦ هـ الموافق ١٧٦٢ م وعنوانه «شرح تراجم أبواب صحيح البخارى» حيدر آباد عام ١٣٢٣ هـ) .

وقد صنف البخارى فى حجته الأولى إلى المدينة كتاباً عن تراجم رجال السند عنوانه «التأريخ الكبير» وهو بمثابة المقدمة لصحيحه (آياصوفيا ، ٣٠١٩ — ٣٠٧١ ؛ Horovitz فى *Mitteilungen des Seminars fuer orient. Sprachen zu Berlin* برلين ، المجلد العاشر

العدد الأول ، ص ٤٠) . ومنه موجز عنوانه «التاريخ الصغير» (Ahlwardt : *Verzeichnis der Ar. Hdss. der Kgl. Bibliothek zu Berlin* برلين رقم ٩٩١٤) . وللبخاري أيضاً مجموعة في الحديث عنوانها «الثلاثيات» (Ahlwardt المصدر السابق ، من رقم ١٦٢٠ — ١٦٢١) و «تفسير القرآن» الذي لا يزال في حاجة إلى دراسة دقيقة (انظر الغزيري : Casiri : *Bibliotheca Arabico — Hispana* ، رقم ١٢٥٥ ، Pagnan : مخطوط بالجزائر ١٦٨٨،٣) . وينسب للبخاري أيضاً «تنوير العينين برفع اليدين في الصلاة» ، كلكتة ١٢٥٦ هـ (مع ترجمة أردية) وهو عين «قرة العينين» على هامش «جد الكلام في القراءة خلف الإمام» ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ، وهي تنسب إليه أيضاً .

المصادر :

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، جـ ٢ ، ص ٢٠ — ١٩ (٢) Wüstenfeld : *Geschichtsschreiber der Araber* ، رقم ٦٢ . (٣) الكاتب نفسه *Schafiten* ، رقم ٤٤ . (٤) Krehl في *Zeitschr. d. Deutsch Morgenl. Ges.* ، المجلد الرابع ، ص ١ وما بعدها . (٥) Goldziher: *Muhamedanische Studien* ، ص ٢٣٤ — ٢٤٥ . (٦) Brockelmann: *Gesch. d. arab. Lit.* ، جـ ١ ، ص ١٥٨ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

تعليق على مادة البخاري

مولده ونشأته :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه الجعفي .

وكان بردزبه فارسياً على دين قومه ، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى ، فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له ، ولذا قيل للبخاري الجعفي .

وكان مولد أبي عبد الله البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، ببخارى . وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام ، وتوفي أبوه إسماعيل وهو صغير ، فنشأ يتيماً في حجر والدته .

وكان عبد الله نحيفاً ليس بالطويل ولا بالقصير وكان قد ذهبت عيناه في صغره ، فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام ، فقال لها : «قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له» ، فأصبح وقد رد الله عليه بصره .

بدء أمره :

حدث البخاري عن نفسه قال : ألهمت الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس «سفيان

عن أبي الزبير عن إبراهيم» فقلت له: «إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم»، فانتهرني، فقلت له: «ارجع إلى الأصل إن كان عندك». فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: «كيف هو ياغلام؟» قلت: «هو الزبير ابن عدى عن إبراهيم»، فأخذ القلم مني وأصلح كتابه وقال: «صدقت». فقال بعض أصحاب البخارى له: «ابن كم كنت؟» قال: «ابن إحدى عشرة سنة»، ثم قال:

«فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، يعنى أصحاب الرأى، ثم خرجت مع أخى أحمد وأمى إلى مكة، فلما حججت رجع أخى إلى بخارى فمات بها»: وكان أخوه أسن منه، وأقام هو بمكة لطلب الحديث. قال:

«ولما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت التاريخ الكبير إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالى المقمرة، وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندى قصة، إلا أنى كرهت تطويل الكتاب».

فكان أول سماعه سنة خمس ومائتين، ثم رحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته: فسمع ببلخ وسمع بمرو وسمع بنيسابور وبالرى وببغداد وسمع بالبصرة وبالكوفة وبمكة وبالمدينة وبواسط وبمصر وبدمشق وبقيسارية وبعسقلان وبحمص من خلائق يطول سردهم حتى أنه قال: «كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث».

وحدَّث بالحجاز والعراق وخراسان وماوراء النهر، وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة. قال محمد بن أبي حاتم وراق البخارى: «سمعت حامد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخارى يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أياماً فكنا نقول له، فقال: إنكما أكثرتما على فاعرضا على ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: «أترون أنى أختلف هدرا وأضيع أيامى؟» فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد».

قالا: فكان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع إليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه. وكان شاباً لم يخرج وجهه».

وقال البخارى: «دخلت على الحميدى وأنا ابن ثماني عشرة سنة — يعنى أولَ سنةِ حجِّ — فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصرني قال: جاء من يفصل بيننا، فعرضا على الخصومة فقضيت للحميدى وكان الحق معه».

وقال أيضاً: «قال لى محمد بن سلام البيكندى: انظر في كتبى، فما وجدت فيها من خطأ، فاضرب عليه. فقال له أصحابه: من هذا الفتى؟ قال: هذا الذى ليس مثله».

وكان محمد بن سلام المذكور يقول : « كلما دخل على محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفاً منه » ، يعنى يخشى أن يخطئ بحضرته .

وقال محمد بن يعقوب الأخرم : « سمعت أصحابنا يقولون : لما قدم البخارى بنيسابور استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا سوى الرجالة » .

قال البخارى : « دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين » .

ثناء الأئمة عليه :

قال قتيبة بن سعيد : « جالست الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة » ، وعنه أيضاً أنه قال : « لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة ، لكان آية » .

وقال أيضاً : « لقد رحل إلىّ من شرق الأرض ومن غربها ، فما رحل إلى مثل محمد بن إسماعيل » ، وقال رجاء بن رجاء الحافظ : « فضل محمد بن إسماعيل على العلماء ، كفضل الرجال على النساء » ، وقال أيضاً « هو آية من آيات الله تمشى على الأرض » .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : « قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق ، فما رأيت منهم أجمع من محمد بن إسماعيل » .

وقال أيضاً : « هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلباً » .

وسئل عن حديث وقيل له إن البخارى صححه فقال : « محمد بن إسماعيل أبصر منى ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به وما نهى عنه فى كتابه وعلى لسان نبيه ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه ، وتفكر فى أمثاله ، وعرف حلاله من حرامه » .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر : « سمعت العلماء بمصر يقولون : ما فى الدنيا مثل محمد بن إسماعيل فى المعرفة والصلاح » ، ثم قال عبد الله : « وأنا أقول قولهم » .

وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ البغدادى : « عندى لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل لما قدروا عليه » .

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة : « ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل » ، وقال أبو عيسى الترمذى : « لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخارى » .

وقال له مسلم : « أشهد أنه ليس فى الدنيا مثلك » ، وروى الحاكم أبو عبد الله أن مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح جاء إلى محمد بن إسماعيل البخارى فقبله بين عينيه ، وقال : « دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله » .

شمائله :

كان رحمه الله غاية فى الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى دار الدنيا ودار الفناء والرغبة فى دار البقاء .

وكان يقول : « أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا » . ويشهد لهذا كلامه فى التجريح والتضعيف ، فإن أبلغ ما يقول فى الرجل المتروك أو الساقط : « فيه نظر » ، أو « سكتوا عنه » . ولايكاد يقول : « فلان كذاب » .

وكان قليل الأكل جداً ، كثير الإحسان إلى الناس ، مفرطاً فى الكرم .

خبر من أخبار عن سعة حفظه وسيلان ذهنه

روى الحافظ بن حجر بسنده إلى الحافظ ابن عدى أنه قال :

« سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا ، وأرادوا امتحان حفظه ، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوها إلى عشرة ألقى لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا عليه الموعد للمجلس . فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى : « لا أعرفه » ، فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ والبخارى يقول : « لا أعرفه » ، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : « فهم الرجل » ، ومن كان لم يدر القصة يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال : « لا أعرفه » فسأله عن آخر ، فقال : « لا أعرفه » ، فلم يزل يلقى عليه واحداً واحداً حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : « لا أعرفه » ، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على : « لا أعرفه » . فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال : « أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا ، وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا » ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك . فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل .

وهنا يقول الحافظ : « هنا يخضع للبخارى ، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، فإنه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة » .

كتابه « الجامع الصحيح »

أما كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله . وقد رتبه على أبواب الفقه

فكان عدة كتبه سبعاً وتسعين احتوت على قسم العبادات وقسم المعاملات وسيرة الرسول عليه السلام مع مغازيه ومعجزاته وما ورد من المأثور فى تفسير آى الذكر الحكيم وغير ذلك من الكتب التى لايسع المسلم جهلها . وقد روى من وجهين ثابتين عن البخارى أنه قال : أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله .

قال الفربرى: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين » .

وقال الحاكم أبو أحمد : « رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه ألف الأصول وبيّن للناس . وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه ، كمسلم ، فرق أكثر كتابه فى كتابه ، وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إليه » .

وقال أبو الحسن الدارقطنى الحافظ : « لولا البخارى لما راح مسلم ولا جاء » . يقصد الإمام مسلم بن الحجاج .

شرط البخارى فى صحيحه

قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر : « شرط البخارى أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلا غير مقطوع ، وإن كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن ، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه فكفى » .

وقد التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً ، ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية ، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة ، فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام .

أصل اليونينى

وقد اعتنى الحافظ شرف الدين أبو الحسن على ابن شيخ الإسلام ومحدث الشام تقى الدين ابن محمد بن أبى الحسن أحمد بن عبد الله اليونينى الحنبلى رحمه الله تعالى بضبط رواية الجامع الصحيح وقابل أصله الموقوف بمدرسة آقبغا آص بسويقة العزى خارج باب زويلة من القاهرة المعزية بأصل مسموع على الحافظ أبى ذر الهروى ، وبأصل مسموع على الأصيلى ، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أبى القاسم بن عساكر ، وبأصل مسموع على أبى الوقت ، وذلك بحضرة سيبويه وقته الإمام جمال الدين بن مالك بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة ، وقد بالغ رحمه الله فى ضبط ألفاظ الصحيح جامعاً فيه روايات من ذكرناه راقماً عليه ما يدل على مراده .

ولقد أبدع فيما رقم ، وأتقن فيما حرر وأحكم، ولقد عول الناس عليه فى روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبطه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبى يحكى عنه أنه قابله فى سنة واحدة [illegible] عشرة مرة .

ولكونه ممن وصف بالمعرفة الكثيرة والحفظ التام للمتون والأسانيد كان الجمال بن مالك لما حضر عند المقابلة المذكورة إذا مر فى الألفاظ ما يتراءى أنه مخالف لقوانين العربية ، قال للشرف اليونيني : « هل الرواية فيه كذلك ؟ » فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك فى توجيهها حسب إمكانه .

نبأ وفاته

ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهلها حتى لم يبق مذكور ، ونثر عليه الدراهم والدنانير ، وبقى مدة يحدثهم ، فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلى نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به فى قصره ، فامتنع البخارى من ذلك وقال لرسوله : « قل له أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين . فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدى أو دارى ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة أنى لا أكتم العلم » ، فحصلت بينهما وحشة ، فأمره الأمير بالخروج عن البلد فدعا عليه وكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد فى البلد ، فنودى على خالد على أتان ، وحبس إلى أن مات ، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلى ببلاء شديد .

ولما خرج البخارى من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم فسار إليهم ، فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند ، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة ، فقوم يريدون دخوله ، وآخرون يكرهونه ، وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلى الأمر ، فأقام أياماً فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم ، فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها ، قال : أرسلونى فقد ضعفت ، فأرسلوه ، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ، فسال عرق كثير لا يوصف . وما سكن عنه العرق حتى أدرج فى أكفانه . وكان ذلك ليلة السبت ، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً .

المصادر :

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ، الجزء الثانى ؛ (٢) مقدمة فتح البارى للحافظ العسقلانى ؛ (٣) الجزء الأول من إرشاد السارى ، شرح صحيح البخارى للعلامة القسطلانى .

محمد فؤاد عبد الباقى

+ « البخارى » محمد بن عبد الباقى أبو المعالى علاء الدين المكى : كاتب عربى كتب عام ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م) رسالة فى محاسن الأحباش ، أخذ فيها عن رسالة السيوطى التى عنوانها « الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش » وعن غيره . ومنها عدة مخطوطات محفوظة (انظر : Ahlwardt *Verzeichnis der ar. Hdss. der kgl. Bibliothek*

Die arab. : Pertsch رقم ٦١١٨ ؛ zu Berlin Hdss. der herzogl. Bibliothek zu Gotha der Islam u. s. w. Hdss. der Universitats-bibliothek zu Leipzig ، رقم ٧٣٨ ؛ Catalogus codd. mss. or. qui in Museo Brit. assero. II codd. arab. رقم ٣٢٣ و ١٢٦٨ ؛ Rieu : Supplement to the Catalogue of the Arabic Mss. in the Brit. Mus. رقم ١٢٦٨ ؛ Bibliothecae Bodleianae codd. mss. or. cat. ، ج ١ ، ص ٦٥٩ ؛ فهرست دار الكتب المصرية ، ج ٦ ، ص ٨١) ؛ وقد ترجم هذه الرسالة فيسفايلر (M. Weisweiler : Buntes Prachtgewand ... ، هانوفر سنة ١٩٢٤) ؛ وثمة مختارات من متن الرسالة فى (Bibliotheca Bodleianae Cod. mss. or. cat. ، ج ٢ ، ص ١٣٦٣) ومختار آخر صنعه نور الدين الحلبى المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ (١٦٣٥ م ؛ انظر مادة « الحلبى ، نور الدين ») طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .

المصادر :

(١) Flügel فى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Ges. ، ج ١٦ ، ص ٨١ ؛ ج ٥ ، ص ٦٩٦ — ٧٠٩ ؛ (٢) بروكلمان ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ؛ قسم ٢ ، ص ٥١٩ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

« بختاور خان » : خصى كان مقرباً من الإمبراطور أورنكزيب الذى أمّره على ثلاثة آلاف فارس ، وجعله كبير حجابه (مير سامان) ؛ وينسب إلى بختاور خان عادة كتاب « مرآة العالم » وهو تاريخ للعالم كتب باللغة الفارسية ، بيد أنه لاشك فى أن مؤلفه هو صديقه محمد بقا الذى حبب إليه بختاور خان الانضمام إلى بلاط أورنكزيب وكان سبباً فى توليته منصباً من المناصب الهامة ؛ وتوفى بختاور خان سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥م) .

المصادر :

(١) Elliot-Dowson : History of India ، ج ٧ ، ص ١٥٠ ؛ (٢) Rieu : Catalogue of Persian mss. in the British Museum ، ج ٣ ، ص ٨٩٠ وما بعدها .

+ بختاور خان : خصى كان أميراً لدى أورنكزيب (انظر هذه المادة) وموضع ثقته وتابعه الشخصى ، ودخل بختاور خان فى خدمته سنة ١٠٦٥ هـ (١٦٥٤ م) حين كان أورنكزيب لايزال أميراً ، وقد عين بختاور خان سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) « داروغا خواصان » ، وتوفى إثر مرض قصير بأحمد نكر فى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) بعد أن خدم أورنكزيب خدمة صادقة ثلاثين عاماً ؛ وقد حزن الإمبراطور شخصياً لوفاته وأم الصلاة عليه وحمل نعشه عدة خطوات ، وحمل جثمانه إلى دلهى حيث دفن فى قبر كان قد أقامه لنفسه .

فى بلد نسبت إليه ، وهى بختاور پورا ، وتسمى الآن بستى نبى كريم .

وكان بختاور خان من أكابر المشجعين للفن والعلم ، وبفضل مساعيه الحميدة أم البلاط الشيخ رضى الدين البها گلبورى وغيره ، ورضى الدين هذا من مصنفى كتاب « فتاوى عالمگيرية » .

وكان بختاور خان منذ شبابه الباكر طالباً مجداً للتاريخ ، وقد أنشأ فى فن الكتابة أسلوبا رشيقاً . وكان محمد ساقى مستعد خان صاحب كتاب « مآثر عالمگيرى » فى خدمة بختاور خان كاتبا لسره وخاصياً له .

وفى أواخر كتاب « مرآة العالم » (١٠٧٨ هـ — ١٦٦٧ م) ، وهو تاريخ عام غنى بمادة التراجم ، ساق كاتبه الذى هو بختاور خان نفسه وليس غيره ، خبراً مفصلا عما حققه فى عالم الكتابة ، وهو يزعم أنه صاحب المصنفات الآتية : (١) « چار آئينه بخت » (١٠٦٨ هـ = ١٦٥٧ م) وهو يشمل بياناً بالمعارك الأربع التى خاضها أورنگزيب وحققت له تسنم العرش (Browne : *Suppl.* ، ص ١٤٥) ؛ (٢) « رياض الأولياء » (١٠٩٠ هـ = ١٦٧٩) ، وهو يترجم لأولياء المسلمين وأعلامهم فى أربع « چمنات رياض » (Rieu ، جـ ٣ ، ص ٩٨٥ أ ؛ الآصفية ، ١ : ٣٢٠ ، رقم ١١٥ ؛ Browne : *Suppl.* ، ص ٦٢٨ ؛ المجموع رقم ١٢٦) . (٣) مختارات من « حديقة سنائى » ، ومنطق الطير للعطار ، ومثنوى الرومى ، وتاريخ ألفـــى » .

ومصنفه « بياض » الذى يضم أشعاراً مختارة لأئمة الشعراء مع تراجم لهم ومختارات من كتابات مشاهير الأولياء والصوفية ، محفوظ فى متحف الآثار بقلعة دلهى .

وبختاورخان هو أيضاً صاحب « تاريخ هندى » وهو تاريخ للهند من عهد بابر إلى عهد أورنگزيب (پرنستون رقم ٤٦٨ ، Storey رقم ٥١٧) .

أما كتاب الفتاوى ، وهو مختصر للفقه الحنفى ، والكشكول فى الأدب المسمى « همدم بخت » فقد صنفهما له كتاب مختلفون .

ومن المرافق العامة التى أسسها وشيدها يذكر بختاور خان بلدة بختاورپورا ، وعددا من المساجد ، والخانات بما فى ذلك خان بختاورنگر على الطريق إلى فريد آباد ، وبعض الجسور ومأوى للطلاب . وقد أنفق أيضاً على حديقتين إحداهما فى لاهور قرب شلمار ، والأخرى فى أغرآباد على مسيرة ثلاثة أميال من شاه جهان آباد (دلهى) .

المصادر :

(١) مآثر عالمگيرى (المكتبة الهندية) ، ص ٢٥٣ ، والفهرس ؛ (٢) مرآة العالم ، الزيادة الأخيرة كما نقلت فى (*S.*) *OCM* ، فبراير — مايو سنة ١٩٥٤) ؛ (٣) نزهة الخواطر ، جـ ٥ ، ص ٨٩ ؛ (٤) Storey ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ؛ (٥) بندرابن داس : تذكرة الأمراء ، انظر Rieu ، جـ ١ ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٦) فهرس بانكيپور ، جـ ٦ ، ص ٤٧٧ : (٧) Elliot & Dawson ، جـ ٧ ، ص ١٥٠—١٥٣ .
(٨) OCM ، نوفمبر سنة ١٩٢٨ .

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansar.]

+ «بَخْت خان» : القائد الأعلى للقوات الوطنية المتمردة وصاحب اللقب الفخم غير المألوف « اللورد الحاكم بهادر القائد بخت خان » أثناء الفتنة العسكرية المعروفة أيضاً بالعصيان ، والتى وقعت فى الهند سنة ١٨٥٧ م ؛ وولد فى سلطانپور من أعمال أوده حوالى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) حيث كان أبوه عبد الله خان سليل غلام قادر روهيلا ، قد استقر بعد تشتت شمل الروهيلا عقب وفاة حافظ رحمت خان (انظر هذه المادة). وكان عبد الله خان قد تزوج أميرة من بيت أوده الحاكم المخلوع ، ومن ثم زعم أنه يرتبط بالملكية برباط وثيق (C.T. Metcalfe : *Two Native Narratives of the Mutiny in Delhi* ، لندن سنة ١٨٩٨ ، ص ١٤٦) ؛ وفى سن العشرين (حوالى سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م) التحق بخت خان بالفرقة الثامنة لمشاة المدفعية التى اشتهرت بفرقة باريلى فى وظيفة « صوبدار » ، وبهذه الوظيفة خدم أربعين سنة متصلة حتى اندلاع نيران العصيان، وقد وصف بأنه : « شخصية غاية فى الذكاء »، « وقد أغرم دائماً بالمجتمع الإنكليزى » . وكانت فرقة مدفعية الميدان التى تولى قيادتها قد حاربت فى جلال آباد أثناء الحرب الأفغانية الأولى ونالت كثيراً من آيات التقدير وأوسمة الشرف لخدمتها الممتازة .

وبرز بخت خان بعد الفتنة الفجائية الحسنة الإعداد التى قام بها الهنود فى الجيش الإنكليزى بباريلى فى ٣١ مايو سنة ١٨٥٧ ، وذلك حين انهارت مقاومة البريطانيين ونودى ببهادر خان حفيد حافظ رحمت خان حاكم روهيلخند نائباً للإمبراطور المغولى . وهنالك سار بخت خان إلى دهلى على رأس فرقة من المدفعية وتولى جميع السلطان فى الواقع . وبإيحاء منه صدرت فتوى تعلن الجهاد على البريطانيين وقعها أئمة علماء العاصمة بما فيهم صدر الدين آزُرْده (انظر مادة « آزرده ، صدر الدين ») وفضل حق الخَيْرآبادى (انظر هذه المادة) : وقد خاض بخت خان أثناء حصار دهلى معارك ضارية مريرة مع البريطانيين والقوات الموالية انتهت بطرد العصاة من هذه المدينة ؛ ولما سقطت دهلى فى سبتمبر سنة ١٨٥٧ تركها بخت خان ساخطاً بعد إذ عجز عن إقناع الإمبراطور الواهن بهارشاه الثانى (انظر هذه المادة) بصحبته وكتيبته الممزقة إلى أوده .

أما تحركات بخت خان بعد ذلك فلم ترصد بدقة . ويقال إنه عسكر أول الأمر فى جلال آباد (قسم هردوى) ثم فى بلگرام (انظر هذه المادة) ثم فى ميرزا غات . وقيل إن أمره انتهى إلى الانضمام إلى قوات البيگم حضرت محل فى لكهنو ، ثم هلك فى القتال فى ١٠ رمضان سنة ١٢٧٥ هـ (١٣ مايو سنة ١٨٥٩) . وجاء فى رواية أخرى

أنه فر إلى نيبال متخفياً فى ثوب سائل من الدراويش ، وهلك هو وزعماء الثورة الآخرون، تلك الثورة التى يصفها الكتاب الوطنيون الآن بأنها « حرب الاستقلال الأولى » .

المصادر :

(١) Charles Ball : *History of the Indian Mutiny* ، لندن ، طبعة غير مؤرخة ، ص ٥٠٨

(٢) T. Rice Holmes : *A History of the Indian Mutiny* ، لندن سنة ١٨٩٨ ، ص ٣٥٢—٣٥٣ .

(٣) J.W. Kaye : *History of the Sepoy War in India* ، لندن سنة ١٨٧٠ ، ج٣ ، ص ٦٤٣ . (٤) *Punjab Government Record office Publications* ، الرسالة رقم ١٥ . (٥) *Parliamentary Papers* ، لندن سنة ١٨٥٩ ، ج ١٨ ، ص ٢٢ . (٦) *Insurrection in the East Indies presented to both Houses of Parliament* ، لندن سنة ١٨٥٨ ، ص ١٠٤ . (٧) نجم الغنى رامپورى : أخبار الصناديد ، لكهنو سنة ١٩٠٤ ، مجلد ٢ . (٨) سيدة أنيس فاطمة بريلوى ، سنة ١٨٥٧ كى هيرو ، عليگره سنة ١٩٤٩ ، ص ٦٥ وما بعدها . (٩) V.D. Savarkar : *The War of Independence* 1857 ، بومباى سنة ١٩٤٧ ، ص ٢٩٥ والفهرس . (١٠) Surendra Nath Sen : *Eighteen Fifty-seven* ، دهلى سنة ١٩٥٧ ، ص ٤٣ — ٤٤ ، ١٠١ — ١٠٢ ، ٣٧١ والفهرس (١١) غلام رسول مهر : ١٨٥٧ كى مجاهد ، لاهور سنة ١٩٥٧ ، ص ١٠٤ — ١٢٠ ، (١٢) انتظام الله شهابى : مشاهير جنگ آزادى ، كراتشى سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٥ . (٢٣) ظاهر دهلوى : داستان غدر ، الطبعة الثانية ، لاهور سنة ١٩٥٥ ، ص ١٣٥ ، ١٤٠ — ١٤٣ ؛ (٢٤) شمس العلماء منشى ذكاء الله : عروج عهد سلطنت إنگليشيه، دهلى سنة ١٩٠٤، ص ٦٧٦ ، ٦٨٦ ، ٦٩٦ . (٢٥) حسن نظامى : دهلى كى جانكنى ، دهلى سنة ١٩٢٥ . (٢٦) F. Cooper : *The Crisis in the Punjab* ، لندن سنة ١٨٥٨ ، ص٢٠١ ؛ (٢٧) G. Bouchier : *Eight Month's Campaign against the Bengal Sepoy Army ...* ، لندن سنة ١٨٥٨ ، ص ٤٤ . (٢٨) كمال الدين حيدر : قيصر التواريخ ، لكهنو سنة ١٨٩٦ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ . (٢٩) رئيس أحمد جعفرى : بهادر شاه ظفر أور أنكا عهد ، لاهور ،من غير تاريخ،ص ٨٣٥—٨٥٣ . (٣٠) Sir William Muir : *Intelligence Records of the Indian Mutiny of* 1807، طبعة Coldstream ، إدنبره سنة ١٩٠٢ ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

[خورشيد A.S. Bazmee Ansari بزمى أنصارى]

« بَخْتِگان » ، أو بيچگان ، ويطلق عليها الآن عادة اسم « دَريا نيريز » أكبر البحيرات الملحة فى إقليم فارس بإيران .

وقد عرف الإغريق بوجود بحيرات فى فارس بعد عهد الإسكندر (إسترابون ، ١٥ ، ٣ ، ١)

ويذكر جغرافيو العرب بصفة عامة خمس بحيرات لا تعرف أعيانها على وجه الدقة ، كما أن أسماءها وردت فى صيغ مختلفة : وهناك مصدر واحد قبل الإصطخرى أشار إلى بحيرة بختكان أو بحيرة جوبانان دون أن يذكر اسمها (انظر ابن خرداذبه ص ٥٣) .

ويذكر الإصطخرى البحيرات الآتية :

(١) بحيرة البختكان وتكتب فى المخطوطات عادة بَجكان ، وهى فى كورة إصطخر .

(٢) بحيرة دَشْت أرْزَن فى كورة سابور .

(٣) بحيرة تَوَّز فى سابور عند كازَرون ، وقد ورد فى رسمها عدة روايات مختلفة .

(٤) بحيرة الجنَكان عند شيراز .

(٥) بحيرة الباسفَهوية فى كورة إصطخر .

ويطلق الإصطخرى أيضاً اسم بَجفوز على بحيرة بختكان .

ويسوق المقدسى الأسماء الآتية :

(١) البختكان وتسمى أيضاً بجكان .

(٢) دَشْت أرزن .

(٣) كازَرون .

(٤) الجنَكان .

(٥) الباشْفوية .

وأخيراً يروى ياقوت :

(١) البجكان .

(٢) دَشْتاْوَزَن .

(٣) التــــوز .

(٤) الجوْذان .

(٥) جنَكان .

أما مصوراتنا الجغرافية الحديثة فقد ورد فيها :

(١) بحيرة بختكان باسم نيريز .

(٢) بحيرة دشت أرجان الصغيرة جداً ، بنفس الاسم .

(٣) بحيرة كازرون ، باسم درياچه شيرين أو فــور .

(٤) بحيرة شيراز باسم درياچه مهارلو .

وهناك بحيرة أخرى خامسة لم يذكرها الجغرافيون القدماء ، وهى ناحية الشمال فى إقليم سرْحَد جهار لانگه ، وتسمى درياچه كافتَر ، وباسْفويه أو باشْفوية أو باسَفويه فى رواية حمد الله مستوفى ماهى إلا اسم جزء من بحيرة بختكان وربما كان عين بجفوز .

وترجع كثرة الأسماء التى أطلقت على بحيرة بختكان إلى أنها تشمل عدة أجزاء يصل كل جزء بالآخر لسان ضيق . وقد تغيرت مساحة البحيرة تغيراً كبيراً ، ولذلك فربما تكون بعض أجزائها قد انفصلت وكونت فى بعض الأحيان بحارا قائمة بذاتها . ومن ثم يطلق اسم بجفوز وباسفويه أو جوبانان على جزئها الشمالى ، بينما يطلق اسم بختكان

وتبريز على جزئها الجنوبي ، ويطلق على الركن الشمالي الشرقي في الوقت الحالي اسم بحيرة نرْجيس ،

والبحيرة هي حوض إقليم مقفل يصب فيه نهر الكُر أو « رود خانه بند أمير » الذي يتكون من ملتقى نهر « رود خانه كام فيروز » بنهر قرَواب المعروف الآن بـ « پُلْوار » : والبحيرة ضحلة ماؤها آخذ في النقصان . ويصل عمقها على مسيرة ربع ميل من الشاطىء مايوازى ركبة الرجل ، ولذلك فإن ماءها شديد الملوحة تتبخر منه كميات كبيرة ، ويحيط بالبحيرة في موسم الجفاف نطاق من الملح : وبختكان ليست بحيرة جبلية وإنما هي وسط بين البحيرة الجبلية والملاحات الصحراوية الكبيرة التي تكثر في أواسط بلاد الفرس وتسمى « كوير » وقد مسح البحيرة الكابتن ولز Capt. H. L. Wells

المصادر :

(١) ابن خرداذبه ، طبعة ده غويه ، ص ٤٨ ، ٥٣ . (٢) قدامة ، طبعة ده غويه ، ص ١٩٥ : (٣) الإصطخري ، طبعة ده غويه ، ص ١٢١ وما بعدها . (٤) المقدسي ، طبعة ده غويه ص ٤٥٥ . (٥) ياقوت في مادة بجكان . (٦) B. Lovett : *Surveys on the road from shiraz to Bam* ، في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ج ٤٢ ، سنة ١٨٧٢ م ، ص ٢٠٢ وما بعدها . (٧) H. L. Wells : *Surveying Tours in Southern Persia* في المجلة السابقة ، ج ٥ ، سنة ١٨٨٥ م ، ص ١٣٨ ومابعدها . (٨) George N. Curzon : *Persia and the Persian Question* ، سنة ١٨٧٢م ، انظر الفهرس (٩) G. le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، ص ٦ ، ٢٧٧ — ٢٧٩ ، ٢٩٨ . (١٠) الكاتب نفسه : *Mesopotamia and Persia under the Mongols from the Nuzhat al Kulub of Hamd Allah Mustawfi, Asiatic Society Monographs* ، ج ٥ ، المصورات الجغرافية التي رسمها ميرزا سيد حسن الشيرازى ، واعتمد فيها على المصور الجغرافي الخاص بأجزاء من الهند وبلاد فارس الذي أعده قسم حساب المثلثات بمساحة الهند بناء على رغبة الكولونيل روس Ross ، المقيم السياسي بالخليج الفارسي . (١١) المصور الجغرافي الخاص ببلاد الفرس في ثماني ورقات ، وقد قام برسمه مكتب رسم سملا بمساحة الهند ،

[هرزفلد E. Herzfeld]

« بُخْت نَصَّر » : خلط العرب في اسم بختنصر بين نابونصر Nabonassar (١) ونبوشادنزر Nebuchadnazzar (٢) ، وقد اتبع بطلميوس هيبارخوس Hipparchus ، فاستعمل في كتابه المجسطي التأريخ المسمى بتأريخ نابونصر ، وهو

(١) نابونصر : ملك الكلدانيين ، ولى عرش بابل من عام ٧٤٧ الى ٧٣٢ قبل الميلاد وبدا به تقويم بطلميوس .

(٢) نبوشادنزر : ولى عرش بابل من عام ٦٠٥ الى ٥٦٢ قبل الميلاد ، وقد نشبت بينه وبين فرعون مصر « أمازيس » عدة حروب وهو الذي فتح بيت المقدس ، وتقول الروايات اليهودية ان نقمة الله حلت به فاختلط عقله وعاشر الوحوش سبع سنين رد اليه عقله بعدها فعاد الى عرشه .

يبدأ من عام ٧٤٧ قبل الميلاد ، ويعرف البيرونى والمسعودى هذا التأريخ (كتاب التنبيه والإشراف ، الترجمة الفرنسية ، ص ٢٦٥) فالمسعودى يقارنه بالتأريخ الفارسى فيقول : « بين تأريخ بختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر » بينما يذهب البيرونى إلى أن بين تاريخ بختنصر الأول (نابو نصّر) وتاريخ (بختنصر الثانى نبوشادنزر) مائة وثلاث وأربعون سنة (الآثار الباقية ، ص ٣١ ؛ وانظر عن تاريخ نابونصر كتاب Paul Tennery : *Recherches sur l'histoire l'astronomie ancienne* ، طبعة سنة ١٨٩٣ ، ص ١٥٨ ، ١٦٢) . ويذكر البيرونى أيضاً أن الصيغة الفارسية لاسم بختنصر هى « بخت نَرْسى » وقيل فى تفسيره إنه كثير البكاء والأنين ؛ أما الصيغة العربية له فهى بختنصر .

وقد شوه المؤرخون المسلمون كثيراً قصة بختنصر الواردة فى الكتاب المقدس ، فهم يجعلونه مرزباناً على العراق يحكم باسم ملك الفرس حيث كانت دار مملكته ببَلْخ (المسعودى: مروج الذهب، جـ ١ ، ص ١١٧) وبعد أن فتح بيت المقدس سجن الملك منسّى Manasseh ، وجاء فى الكتاب المقدس أن الذى سجن هو صدقيا Zedekiah (الطبرى ، ترجمة زوتنبرغ ، جـ ١ ، ص ٤٩١) . ويقول المسعودى إن عدة من سباهم بختنصر من بنى إسرائيل ثمانية عشر ألفاً وإنه أخذ التوراة وطرحها فى بئر ، ولما رجع بنو إسرائيل إلى بلادهم أخرجوا التوراة من البئر (مروج الذهب، فى الموضع المذكور) . وتزوج بختنصر علراء من سبايا بنى إسرائيل يقال لها دينازاد — وفى رواية أخرى أن الذى تزوجها هو ملك فارس — فكانت سبب رد بنى إسرائيل إلى بيت المقدس ، وهكذا حرف المسعودى قصة إشتّر (جـ ٢ ، ص ١٢٢) ولو أنه يقول إن هناك روايات كثيرة فى هذا الشأن . وغزا بختنصر بعد ذلك بيت المقدس مرتين وخربها مرتين . وما إن انتهى من حصاره الأول حتى أغار على مصر . وفى الروايات الفارسية التى أوردها الطبرى خبر النبى دانيال فى جب السباع ، ومسخ بختنصر حيواناً .

[كارا ده فو Carra de Vaux]

+ «بختى» : الاسم المستعار للسلطان أحمد الأول (انظر Gibb : *History of Ottoman Poetry* ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨) .

+ «بَخْتيار خَلْجي» : (انظر مادة « محمد بختيار خلجى ») .

«بختيار» ، عز الدولة بن معز الدولة البويهى ، أبو منصور ؛ ولد عام ٣٣١ هـ الموافق ٩٤٢ — ٩٤٣ م ، وخلف أباه المتوفى عام ٣٥٦ هـ الموافق ٩٦٧ م على حكم البلاد التى فتحها

ولم يكن عهده زاهراً لانصرافه إلى الملذات ، ولم يتميز بختيار إلا بقوته البدنية الهائلة .

وما كاد بختيار يجلس على عرشه حتى تنازع مع سبكتكين التركى وإنما انتصر عليه بمعاونة ابن عمه الواسع الأطماع عضد الدولة : ولما استولى عضد الدولة على بغداد عام ٣٦٤ هـ الموافق ٩٧٥ م زج ببختيار فى السجن ، ثم أمر ركن الدولة ولده عضد الدولة بالرجوع إلى فارس ، فترك لبختيار المنطقة التى لى العراق . ولما توفى ركن الدولة عام ٣٦٦ هـ الموافق عام ٩٧٦ م ، زحف عضد الدولة ثانية على أملاك بختيار وهزمه عند الأهواز واضطره إلى إخلاء العراق وتسليم وزيره ابن بقية (انظر هذه المادة) لما عرف عنه من العداوة لعضد الدولة . وأمد عضد الدولة بختيارَ نظير ذلك بما يحتاج إليه من مال وسلاح ، فقصد هذا إلى الشام وفى طريقه أغراه حمدان بالذهاب إلى الموصل ، ولكنه قبض على حمدان لتوه ، فطلب إليه أخوه تغلب صاحب الموصل كلها أن يسلمه له واعداً إياه بإعادته إلى ملكه فى بغداد ، فسمع بذلك عضد الدولة وتقدم نحوه وأرغم جيوشه على الفرار بالقرب من تكريت وأسر بختيار وأمر بقتله سنة ٣٦٧ هـ الموافق سنة ٩٧٨ م .

المصادر :

(١) ابن خلكان : طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩هـ، جـ١ ، ص ١٥٤ . (٢) ابن الأثير : طبعة تورنبرغ جـ٨ ، ص ٤٢٥ وما بعدها .

+ بختيار : أمير وابن معز الدولة فى العراق وولى عهده (٣٤٤ هـ = ٩٥٥ م) وخليفته (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) وقد تلقب بعز الدولة ، والظاهر أنه لم يرزق من موهبة الحكم إلا القليل ، فوكله — على عكس أبيه — إلى وزراء اختارهم دون تدقيق كبير ليخلو إلى ملذاته ، ولو أنه ظل يعطل سير الأمور بتدخله الطائش شفوياً أو إيجابياً ، وجرى بختيار فى بداية عهده على سياسة أبيه فى معاداة أبى تغلب الحمدانى أمير الموصل ومعاداة زعيم البطيحة المستقل استقلالا ذاتياً عمران بن شاهين . ثم إنه واجه المشكلة الجديدة وهى توسع الفاطميين فى الشام ، فتقرب من القرامطة الذين كانوا يسعون آنئذ إلى مقاومة هذا التوسع : على أن بختيار كان عاجزاً عن حفظ النظام بين جنوده ، وهو أمر لم يكن عنه محيص لاستقرار حكمه ، وازدادت المشاحنات بين الديلم والأتراك حدة ، وانتهت بفرقة صريحة بين بختيار وبين الأتراك ، واستفحلت هذه الفرقة بالمصادمات الشعبية بين أهل السنة والشيعة فى بغداد التى تدخل فيها « العيّارون » (انظر هذه المادة) : وهنالك اضطر بختيار إلى الاستنجاد بابن عمه عضد الدولة فى فارس ، وقد أدرك عضد الدولة عجز الأمير الذى أنقذه ، فدار فى خلده أن يحل محله ، ولم يثنه عن هذا الفعل إلى حين إلا معارضة أبيه ركن الدولة رأس الأسرة البويهية . فلما توفى ركن الدولة استطاع عضد الدولة أن يحيى خطته ، وحلت الهزيمة ببختيار الذى كان قد انحاز إلى أبى تغلب

وعمران بن شاهين عليه ، ثم ذبح سنة ٣٦٦–٣٦٧هـ (٩٧٧–٩٧٨ م) . وقد ذكر خبر ما دب بينهما من نضال فى مادة عضد الدولة . وأثناء هذا النضال كان الخليفة المطيع قد حل محل الطائع ، وكان المطيع فى حماية الأتراك ، ومن ثم لم يكن جاداً فى معاونة بختيار .

المصادر :

(١) انظر مادتى « بويه ، بنو » و « عضد الدولة » ؛ (٢) وأهم مصدر هو بطبيعة الحال : مسكويه : تجارب الأمم الذى يعتمد على تاريخ هلال الصابئ المفقود ؛ (٣) ويجب أن نذكر بخاصة من التواريخ الإخبارية الثانوية : يحيى الأنطاكى : *Patrol. Or. XXIII* ، وخاصة ص ٣٥٤ ؛ (٤) ثم إننا يجب أن نخصص مكاناً فريداً فى وثائقنا لما حفظ من رسائل الصابئ أبى إسحاق الذى طبع منه شكيب أرسلان جزءاً بين النظرة للخلافة ، وكذلك رسائل عبد العزيز بن يوسف التى حللها Cl. Cahen فى *Studi Orientalistici ... Lem della Vida* ، جـ ١ ، ص ٨٣ – ٩٨ (وجهة نظر عضد الدولة) ؛ (٥) انظر أيضاً رسائل ابن عباد ، طبعة عبد الوهاب عزام وشوقى ضيف ، سنة ١٩٤٧ ، جـ ١ ، رقم ٧ .

خورشيد [كاهن Cl. Cahen]

« بختيار نامه » : ويعرف أيضاً باسم تاريخ الوزراء العشرة ، وهو كتاب إسلامى كتب على نسق تاريخ السندباد أو الوزراء السبعة الهندى الأصل ؛ وهذا الكتاب – كالأصل الذى أخذ عنه – قصة نسجت حولها عدة قصص أخرى وثيقة الصلة بالقصة الأصلية ، وموضوع هذه القصة هو بالاختصار كما يلى : ترك والدا الملك « آزادبخت » ولدهما أثناء فرارهما بُعيد ولادته ، فعثر عليه اللصوص وقاموا بتربيته ، ثم وقع أسيراً فى قبضة الملك هو وأولئك اللصوص ، وسر الملك به وألحقه بخدمته وسماه « بختيار » ؛ وأثار تقدمه فى مناصب الدولة حسد الوزراء فوشوا به عند الملك فزج به مع الملكة فى السجن . وأرادت الملكة أن تخلص نفسها فزعمت أن بختيار أراد إغواءها ، وحاول الوزراء العشرة كل بدوره تحريض الملك على قتل بختيار عشرة أيام كاملة . ولكن بختيار كان يسعى دائماً إلى إرجاء قتله بأن يروى لهم من القصص ما يبرر به غرضه . وأخيراً حل اليوم الحادى عشر المحدد لقتل بختيار . فمثل كبير اللصوص الذين ربوه بين يدى الملك وأثبت له أن بختيار هو ابنه ؛ وبذلك قتل الوزراء ونزل الملك عن العرش لابنه بختيار .

وتوجد نسخ من هذه القصة باللغات الفارسية والأويغورية والعربية والملاوية ، ونسخة حديثة بلغة القاليحى .

وقد كتبت القصة فى الأصل باللغة الفارسية ، ويظهر أن أقدم نسخة فارسية فى أيدينا كتبت عام ٦٠٠ هـ ؛ والنسخة الأويغورية التى بقى منها مخطوط كتب عام ٨٣٨ هـ والنسخ العربية بما فيها

النسخة التى وردت فى ألف ليلة وليلة وهى كثيرة الشبه بتلك النسخة الفارسية . وهناك اقتباس فارسى لهذه القصة عثر عليه فى الهند وطبعه أوسلى Ouseley ، كما نظمت هذه القصة شعراً فى الهند أيضاً عام ١٢١٠ هـ على طريقة المثنوى . والنسخة الملاوية مأخوذة هى الأخرى عن هذه النسخة الفارسية المتأخرة .

المصادر :

(١) Chauvin : Bibliographie des ouvrages arabes ، جـ ٨ ، ص ١٣ — ١٧ ، ٧٨ — ٨٩ : (٢) Contes arabes, Histoire des dix visirs (بختيار نامه) ترجمة باسيه Basset عام ١٨٨٣ : (٣) Noeldeke فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesell. ص ٤٥ ، ٩٧ — ١٤٣ : (٤) Ethé فى Grundriss der iranischen Philol. جـ ٢ ، ص ٣٢٣ — ٣٢٥ : (٥) G. Knoes : Historia decemviezirorum et filii Regis Azad Bacht ، النص فى سنة ١٨٠٧ . والترجمة اللاتينية سنة ١٨١٥ : (٦) ألف ليلة وليلة ، طبعة برسلاو Breslau ، جـ ٦ ، ص ١٩١ وما بعدها . (٧) The Bakhtiyar nameh or story of Prince Bakhtyar and the ten Visiers عن مخطوط ضمن مجموعة السير أوسلى W. Ouseley سنة ١٨٠١ ، وقد طبع كلوستون W.A. Clouston الترجمة طبعة جديدة سنة ١٨٨٣ .

(J. Horovitz هوروفتز)

« بختيارى » : أهم قبائل لُرستان (لورستان) وهى من أصل إيرانى ، بعضها رحّل وبعضها مقيم . وهى تسكن الجبال جنوبى فارس بين بروجرد وچهار مَحَل ناحية الشرق ، وقنن الجبال المشرفة على دزفل كما تسكن شستر (تستر) ورام هرمز ناحية الغرب ونهر دزفل ناحية الشمال ، ثم بقعة ضيقة من الأرض ممتدة من ده ير إلى قُمِشَه ناحية الجنوب (Layard فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن ، المجلد ١٥ ، ص ٦ وما بعدها) .

وينقسم البختيارى قسمين كبيرين هما : الهفت لنگ والچهار لنگ . ويظهر أن قبيلة ينّدونى ليست منهما . والبختيارى متوسطو الطول أقوياء البدن ، سمر الوجوه ، قنى الأنوف ، وشعرهم طويل أسود (انظر Khanikoff : Mémoire sur l'Ethnographie de la Perse ص ١٠٨) ويزعم المامسنى (وهذا الاسم مختصر لاسم محمد حسينى) الذين يقطنون ناحية قلعة سفيد أنهم من أرومة قديمة ، وأنهم نسل رستم ، بل إن إحدى قبائلهم تحمل اسم رستم . وقد زحفوا إلى طهران ، فقوبت بهم الثورة الفارسية التى شبت سنة ١٩٠٩ (انظر مادة « أنجمن ») .

المصادر :

(١) Fr. Spiegel : Eranische Alterthumskunde ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ : (٢) Revue du Monde Musulman ، جـ ٨ ، سنة ١٩٠٩م ص ٤٨٠ ، (٣) E. G. Browne : The Persian

Revolution، كمبردج سنة ١٩١٠م ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٨— ٣٠٦ .

[إيوار Cl. Huart]

+ بختيارى : والبختيارية مزيج من أجناس مختلفة هاجرت فى القرن العاشر الميلادى من الشام إلى إيران ، حيث عرفوا حتى القرن الخامس عشر باسم « اللور الكبار » ، وهم يقررون أنهم ليسوا إيرانيى الأصل ، ومع أن من المظنون أن أجدادهم هاجروا من بلخ ، ومن ثم كلمة بختيارى ، فإنه ليس هناك ما يؤيد هذا الفرض ، ذلك أنهم فيما يرجح من أصل كردى .

والبختيارية من الشيعة المسلمين عن اقتناع ، ولغتهم من أصل إيرانى ، ومع ذلك فإنهم يتكلمون بلهجة خاصة بهم . وقد بلغ عددهم ٤٠٠,٠٠٠ نفس تقريباً .

وتعرف بلادهم ببلاد البختيارى ، وهى تمتد من إصفهان إلى ميدان تفتون فى خوزستان ، وهى إقليم جبلى تقوم فيه حقول بترول غنية .

وينقسم البختيارية جماعتين كبيرتين : الهفت لنگ ، والچهار لنگ . والهفت لنگ ، وهى الجماعة الأهم ، ٥٥ عشيرة ، أما جماعة الچهار لنگ ، فأربع وعشرون عشيرة ؛ وبينهم أشتات من اللور والعرب مثل : المورى ، والتلكى ، والبتوَدى ، والگندَلى ، والچربرى ، والميرزاوند واللوستى ، والكتكى وغيرهم .

وهم قوم رعاة ، ولذلك فمعاشهم على الريف ؛ يقطعون مسافات طويلة مرتين فى السنة طلباً للكلأ ، ومن ثم سموا أيضاً بشعب الكلأ .

وللخانات أو الزعماء الموسرين مساكنهم فى المدينة ، ولهم أيضاً منتجعاتهم الصيفية يعيشون فيها فى الفصل الحار . والبختيارية مفتقرون إلى ما فى بطون الكتب من علم . ومع ذلك فهم يحتفظون بمرزاواتهم أو كتابهم . على أنهم قد أدركوا حديثاً ما للتعليم من شأن كبير . وهم الآن يبعثون بأبنائهم إلى أوربا ليدرسوا الدراسة الجامعية . ويظهر أن هذه النزعة آخذة فى النماء .

ونساء البختيارية سافرات يتجولن بحرية فى المنطقة التى تنزل فيها القبيلة . وزوجة الخان تنظر فى بعض القضايا القبلية فى غيبة الخان ، وما تراه أو تحكم به شرعى وملزم .

ونسوة القبيلة يغزلن خيامهن وأكلمتهن ، على حين أن ما يلبسن فى أقدامهن من لباس خاص يعرف باسم « گيوه » يصنعه رجال القبيلة . ولكل بطن من بطون القبيلة « طبيبها » الذى يداوى ببعض الأعشاب ويلجأ إلى التعاويذ فى حالات خاصــــة .

وللبختيارية عاداتهم فى الميلاد والزواج والوفاة ، وهم فى الواقع لا يعرفون الطلاق ، وكذلك لهم أشعارهم ، وأغانيهم فى الحب ، ومراثيهم ، وعندهم أيضاً ألعاب طريفة ، وطائفة كبيرة متنوعة من القصص الشعبية المسلية .

المصادر :

(١) The Bakhtiaris : V. Melkonian ، الطبعة الثانية ، البصرة سنة ١٩٥٤ ؛ (٢) D.L.R. The Popular Verses of the Bakhtiari : Lorimer فى Bulletin of the School of Oriental and African Studies ، ج ١٦ ، سنة ١٩٥٤، ص ٥٤٢ — ٥٥٥ ، ج ١٧، سنة ١٩٥٥ ، ص ٩٢ — ١١٠ ؛

[ملكونيان V. Melkonian]

« بُختيشوع » : أسرة من الأطباء أصلها شآمى وموطنها جُنْديسابور ؛ وقد اشتهر جُرجيس بن بختيشوع بالتصنيف فى الطب ورأس بيارستان جنديسابور . وحدث أن الخليفة المنصور شكا من ضعف فى معدته فاستدعى جرجيس إلى بغداد عام ١٤٨هـ (٧٦٥م) ليقوم بتطبيبه ، ووصف له دواء كان فيه شفاؤه فاستحوذ على ثقته وحمله الخليفة على البقاء فى بغداد ؛ وفى عام ١٥٢هـ (٧٦٩م) مرض جورجيس ورغب أن يموت فى بلده ، فسمح له المنصور بالرحيل وشيعه بالحفاوة والإكرام .

وكان جرجيس قد أناب ابنه بختيشوع فى رياسة بيارستان جنديسابور عندما دعى إلى بغداد ، فلما مرض الهادى فى خلافة أبيه المهدى بعث الخليفة فى طلب بختيشوع فحضر إلى بغداد ، وقام بتطبيبه حتى شفى على يديه . غير أن الخيزران أم الهادى نصرت طبيبها أبا قريش على بختيشوع فسمح له الخليفة بالعودة إلى جنديسابور دفعا لإشتعال نار الغيرة بينهما .

وفى عام ١٧١هـ شكا هارون من ألم شديد فى رأسه فاستقدم بختيشوع ثانية إلى بغداد وجعله كبير أطبائه . وتوفى بختيشوع حوالى عام ١٨٥هـ (٨٠١م) ؛

وأوصى بختيشوع جعفر بن يحيى البرمكى بابنه جبرائيل عندما كان يقوم بتطبيبه عام ١٧٥هـ (٧٩١م) ، ونجح جبرائيل فى شفاء جارية يعزها الرشيد من فالج أصابها فنال رضا الخليفة وعينه طبيبا خاصا له عام ١٩٠هـ (٨٠٥م) .

ومرض هارون مرضه الأخير بطوس فى فارس ، وكان جبرائيل صريحا فى أدائه لواجبه نحوه ، غير أن هذه الصراحة أسخطت عليه الخليفة فاستشار أسقفا وزاد هذا الأسقف فى تحريضه على جبرائيل فأمر بقتله ؛ وعمد الوزير الفضل إلى خلاص جبرائيل ، وعينه الأمين ثانية طبيبا للبلاط ، ولما خلع المأمون أخاه الأمين سجن هذا الطبيب ولم يطلق سراحه إلا عام ٢٠٢هـ (٨١٧م) عندما احتاج الوزير الحسن بن سهل إلى خدماته ، وحل به السخط ثانية بعد ثلاثة أعوام وخلفه زوج ابنته ميخائيل ؛ وعجز ميخائيل عام ٢١٢هـ (٨٢٧م) عن أن يشفى المأمون من مرض ألم به ، فاستدعى الخليفة جبرائيل وشفى على يديه وأعاده ثانية إلى منصبه ؛ بيد أنه لم يعش طويلا لينعم برضا مولاه ويستمتع بأملاكه التى كانت مصادرة من قبل ، ومات فى السنة التالية ودفن بدير سرجيوس فى

المدائن : وخلفه ابنه بختيشوع الذى صحب المأمون فى حملاته بآسية الصغرى . وسعى به منافسوه فى عهد الواثق فنفى إلى جنديسابور ، غير أنه استدعى ثانية عندما مرض الواثق مرضه الأخير فوصل إلى بغداد بعد وفاته ، وظل يزاول صناعته اثنتى عشرة سنة فى عهد المتوكل واكتسب تقدير الجميع إلا أنه نفى إلى البحرين : وتوفى بختيشوع عام ٢٥٦هـ (٨٧٠م) . وكان ابنه عبيد الله قائما على خزائن المتوكل الذى صادر ممتلكاته عند وفاته ، وتزوجت أرملته عندئذ أحد الأطباء وقام هذا الطبيب بتعليم ابنها جبرائيل صناعة أجداده . إلا أن جبرائيل لم يتعلم سر هذه الصناعة إلا فى بغداد ، وكان قد نزح إليها عقب وفاة أمه مباشرة وامتناع زوج أمه عن أن يعطيه نصيبه فى الميراث . وحدث أن شفى سفير من كرمان على يديه فذاع صيته فى بلاد فارس واستدعاه عضد الدولة إلى شيراز ، وعاد بعد ذلك إلى بغداد ولم يبارحها إلا لماما وذلك عندما كان يستدعيه أمراء البلاد المختلفة لاستشارته . وقد دعاه العزيز الفاطمى إلى الإقامة بالقاهرة فأبى ، واستجاب لرغبة ممهد الدولة أبى منصور المروانى وذهب إلى ميافارقين غير أن هذا الأمير لم يسمح له بالعودة : وتوفى بهذا البلد فى رجب من عام ٣٩٦ م ١٢ (أبريل من عام ١٠٠٥هـ) .

وكان ابنه أبو سعيد عبيد الله يعيش أيضاً بميافارقين ، وهو صديق ابن بُطْلان . وتوفى أبو سعيد هذا فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) .

وقد وصلت إلينا مؤلفات أبى سعيد فى حين أن مؤلفات أسلافه ضاعت جميعاً . وأهم مؤلف له هو « تذكرة الحاضر وزاد المسافر » ويوجد مختار منه بعنوان « الروضة الطبية فى الفنون الأدبية » فى مكتبة گوتا (انظر Pertsch : *Die arab. Hss. der herzogl. Bibliothek* ، رقم ٢٠٢٤) وباريس (انظر de Slane : *Catalogue des Mss. ar.* ، رقم ٣٠٢٨، ٢) ولندن (*Catalogus codd. or. qui in Mus. Brit. ass. codd. arab.* ، ج ٢ ، رقم ٩٨٤ ، ٤) والإسكوريال (غزيرى *BibliothecaArabico-Hispana* ، رقم١٠٨٨٤) . وهو يتحدث فى خمسين فصلا عن كثير من المصطلحات الفلسفية الواردة فى كتب الطب ؛ ولم يبق من كتابه المسمى « كتاب الخواص مُجَرَّب المنافع » إلا الجزء الخاص بمنافع الحيوان ، وهو موجود فى باريس (انظر De Slane ، المصدر السابق، رقم٢٧٨٢) ولندن (انظر Rieu : *Supplement to the Catalogue of the Arabic Mss. in the Brit. Museum* ، رقم ٧٧٨) .

ولدينا له أيضاً رسالة يتحدث فيها عن العشق من حيث هو مرض عنوانها « كتاب العشق مرضاً » (انظر *Catalogus codd. orient. Bibliothecae Academiae Lugduno-Batavae* ، رقم ١٣٣٢) .

المصادر :

(١) ابن النديم : كتاب الفهرست ، ص ٢٩٦ . (٢) ابن أبى أصيبعة ، طبعة A. Mueller ، ص ١٢٣ — ١٤٨ . (٣) ابن القفطى ، طبعة ليبر

J. Lippert ؛ ص ١٠٠ — ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٢ — ١٠٤ ، ١٣٢ — ١٤٦ ، ١٤٦ — ١٥١ ، ١٥٨ — ١٦٠ (٤) Wüstenfeld : *Gesch. der arab. Ärzte und Naturforscher* ، ص ١٤ — ١٨ (٥) Leclerc : *Hist. de la Médecine arabe* جـ ١ ، ص ٣٧١ ؛ (٦) Brockelmann : *Gesch. der arab. Litter.* ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ ، ٤٨٣ ؛

[بروكلمان C. Brockelmann]

« البَخْراء » : اسم موضع كثيراً ما حُرِّف فى الكتب والمخطوطات، ولهذا يجب أن نضع مكان بَخْر وبَخْراء أو بَجْراء كلمة بَخْراء ، لأن الإخباريين قالوا إنها مشتقة من بَخَر ، ومعناها نتن الفم أو الرائحة . والبخراء حصن قديم على الثغور التى تحمى الحدود الجنوبية لتدمر ، وقد احتله فيما بعد النعمان بن بشير . وفى هذا الموضع قُتل الخليفة الوليد بن يزيد أثناء فراره من الثوار الذين كانوا يطاردونه .

وتؤدى رواية ياقوت الخاطئة بالباحث إلى أن يفتش عن البخراء على حدود العراق والحجاز والشام ، ولكن هذا لا يتفق مع الدراسة الطبوغرافية للروايات المختلفة عن الطريق الذى سلكه الوليد فى فراره . ويضع غيره البخراء بجوار دمشق وحمص ، أو على بعد أميال قليلة من تدمر فى كثير من الأحيان ، وهذا أيضاً ليس من الصواب فى شىء ، فإن المكتشفين المحدثين عثروا على البخراء بين أطلال حصن قديم على مسيرة أربع ساعات جنوبى تدمر ، وهذا يدحض ما ذهب إليه المتقدمون .

المصادر :

(١) الأغانى : جـ ٤ ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ ؛ جـ ٦ ، ص ١٣٥ وما بعدها ؛ (٢) الطبرى : جـ ٢ ، سنة ١٧٩٦ ؛ (٣) المسعودى : التنبيه ، طبعة دى غويه ، ص ٤١٩ ؛ (٤) ياقوت، جـ ١ ، ص ١٥٨، ٥٢٣ ؛ جـ ٣ ، ص ٨٠٥ ؛ جـ ٤ ، ص ١٧٣ ؛ (٥) Wellhausen : *Das arab. Reich* ، ص ٢١٩، ٢٢٢. (٦) *Zeitschr. d. deutschen Palaestina-Vereins* جـ ٢٢ ، ص ١٤٨ ، جـ ٢٣ ، ص ١١٦ ؛ (٧) B. Moritz: *Topogr. der. Palmyrene* ، انظر الخريطة .

[لامنس H. Lammens]

+ البخراء : الموقع القديم لتدمر ، وقد اشتهر فى العصر الأموى ، والمعروف أن الوليد الثانى أقام هناك فى عدة مناسبات وتوفى أيضاً فى البخراء سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) . وتصف المصادر العربية الفسطاط الذى يقال إن الفرس أقاموه فى البخراء فى الأزمنة المتقدمة ، والقصر الذى عاش فيه الصحابى النعمان بن بشير والتجأ إليه الخليفة حين حاصره المتمردون ، وقد جعل الموقع هو عين أطلال البَخَرة التى تقوم على مسيرة ٢٥ كيلومترا إلى الجنوب من تدمر والتى زارها موسيل

A. Musil سنة ١٩٠٨ ووصفها ؛ ومع أن الاسم يحرف فى كثير من الأحيان فى النصوص العربية (إلى البحراء أو النجراء خاصة) فإن الرسم البخراء ليس فيه مجال للشك منذ أن « رسخ بفضل ما ذهب إليه فكر الإخباريين فى اشتقاقه ، ذلك أنهم يقولون إنه مأخوذ من الأصل : بَخَر » (H. Lammens) ، وتقوم آثار حِمى مترامى الأطراف مسور ومدعم بأبراج طولها ١٥٩ متراً وعرضها ١٠٥ متراً ، من الشمال والجنوب ، وإلى جوارها من الشمال والجنوب بقايا مساكن تحيط بعيون ، وهى إن لم تشهد على وجود « قلعة قديمة من قلاع الثغور » فى هذا المكان ، كما يؤكد لامنس ، فإنها تدل على الأقل على وجود « مورد ماء محصن » (A. Poidebard) على طريق بصرى — تدمر الصحراوى أصبح من بعد قصراً أموياً . ولم يمض وقت طويل حتى هجر الموقع ، وأصبح كتاب القرون الوسطى الذين ظلوا يقولون بوجود حصن يعرف بالبخراء لا يستطيعون بعد أن يحددوا موقعه بالدقة .

المصادر :

(١) A. Musil : *Palmyrena* ، نيويورك سنة ١٩٢٨ ، ص ٨٨ ، ١٤١ — ١٤٣ ، ٢٣٤ ، ٢٨٦ — ٢٨٧ ، ٢٩٠ — ٢٩٦ ، شكل ٣٨ (خطة البخراء) ؛ (٢) A.Poidebard : *La trace de Rome dans le désert de Syrie* ، باريس سنة ١٩٣٤ ، ص ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٦ — ٦٧ ؛ (٣) L. Caetani : *Chronographia islamica* ، سنة ١٠٩٥ ، (٤) الطبرى ، الفهرس ؛ (٥) الأغانى ، الفهارس ، (٦) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٢٤ ؛ (٧) الكاتب نفسه : مروج الذهب ، جـ ٦ ، ص ٢ ؛ (٨) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥٢٣ ؛ (٩) البكرى : *Das geographische Woerterbuch* ، طبعة فستنفلد ، ص ١٤١ .

خورشيد [سوردل — تومين Sourdel-Thomine]

« بَخْشى » : كلمة يرجح أن تكون مأخوذة من الكلمة السنسكريتية بِهِكْشُو Bhikshu ، وقد ظهرت فى اللغة التركية الشرقية وفى لغة الفرس فى العهد المغولى ، وهى تدل أولا على كهنة بوذا ، وهى بهذا المعنى ترادف الكلمة الصينية هوشانغ Hoshang والتبتية لاما Lama والأويغورية تواين . وكان الكتاب الأتراك الأصول الذين كان يناط بهم كتابة الوثائق الموجهة للسكان من المغول والأتراك بالخط الأويغورى يعرفون بالبخشى . ويقول بابر (طبعة بيڤردج Beveridge ص ١٠٨ ب) إن بخشى كانت تطلق أيضاً على الجراح عند المغول . وكان البخشى فى دولة المغول الهندية موظفاً كبير المنصب يعهد إليه الكتابة والتسجيل فى الكتيبة من الجند وعليه أن يدفع لأفرادها أعطياتهم . وكانت هذه الكلمة تدل عند القالموق والمغول والمانشو على منصب دينى رفيع ، وبين القرغيز (بالصيغتين اللهجويتين بقسى أو بقسا) على العرافين والسحرة الذين يعالجون المرضى بالشعوذة ، وبين التركمان على المغنين (والبقسى

عند القرغيز أيضاً بصحب كلامه بأنغام آلة موسيقية يعزف عليها واسمها « القُبز » .

المصادر :

(١) رشيد الدين: *Histoire des Mongols de la Perse* ، نشره كاترمير Quatremère ، باريس سنة ١٨٣٦ ، ص ١٨٤ وما بعدها . (٢) W. Radlóff : *Proben der Volkslitteratur der tuerkischen - Stamme Sued - Sibiriens* ، المجلد الثالث ، المتن ، ص ٤٦ وما بعدها (شعوذة البقسى) . (٣) A. Diwajew : *Iz oblastikirgizskish verovanij Baksy, kak lekar i koldun* ، قازان ومعه رسوم ، سنة ١٨٩٩ م . وانظر فيما يختص بالمغنين عند التركمان (٤) Samojlovich فى *Journal Shivaja Sturna* سنة ١٩٠٧ ، ص ٤ .

[بارتولد W. Barthold]

« بَخْشِيش » : فى الفارسية اسم فعل من « بخشيدن » بمعنى أعطى ، ويطلق هذا الاسم فى بلاد فارس على الهدية يعطيها الرجل لمن هو دونه ، بينما تسمى الهدية التى يقدمها شخص إلى من هو أسمى منه « پشكش » . أما الهدايا التى يتبادلها الند مع الند فتسمى « تعارف » . ومن ثم أصبحت كلمة « بخشيش » تدل على الهبات التى يقدمها الأجانب والمسافرون ، كما أنها تطلق خطأ على أى شىء يعرض للمساومة وعلى رسوم الحاكم ، كما تطلق على المال الذى يرشى به القاضى أو أى موظف من الموظفين : ويطلق الفرس على هذه الأرباح غير الشرعية من قبيل التلطف اسم « مداخل » .

المصادر :

(١) Miss Pardoe : *The City of the Sultan* ، ج ٢ ، ص ٤ . (٢) Edw. G. Browne : *A year amongst the Persians* ، ص ٦٨ .

[إيوار Cl. Huart]

+ « البُخْل » : كلمة عربية تنطق أيضاً بَخْل ، وبَخَل ، وبخُل ، ومنها البخيل وتجمع على بُخَلاء ، ويقال باخِل وجمعها بُخّال ، وهى أقل شيوعا . وكما أن فضيلة الكرم فى الشعر القديم يتمدح بها دائماً ، فإن البخل موضوع للهجاء استغله الشعراء على نطاق واسع ، ولو أن هذه النقيصة هى — على الأقل فى أخسّ صورها — أمر كان نادراً بين العرب القدماء . والواقع أن البخل قد جاء بشأنه تأديب فى عدد من الآيات القرآنية قصد بها محاربة البخل بالمعنى الكامل (سورة بنى إسرائيل ، الآية ١٠٠ ؛ سورة الحديد ، الآية ٢٤) أو مجرد جمع المال (سورة براءة ، الآية ٣٥ ؛ سورة الهُمَزة ، الآية الأولى وما بعدها) أو قصد بها التشجيع على الكرم بصفة عامة (سورة التوبة ، الآية ٧٦ ؛ سورة والليل ، الآية ٨) أو الإحسان بصفة خاصة (سورة آل عمران ، الآية ٣٨ ، ١٨٠ ،

سورة النساء ، الآية ١٢٨؛ سورة التغابن ، الآية ١٦ وما بعدها) . زد على ذلك أن ثمة عدة أحاديث تنسب إلى النبي تذم البخل ، وخاصة الحديث : « أيّ داء أدوأ من البخل؟ » . على أن هذه المذمات والنصائح لم تكن فيما يظهر نتيجة لمبدأ خلقى مطلق بمقدار ما كانت نتيجة لضرورة وجد المجتمع الإسلامى الجديد نفسه حيالها يتلقى عطايا اختيارية ثم يجمع بانتظام الزكاة من أفراده (انظر مادتى « صدقة » و الزكاة » ؛ وانظر باب الزكاة فى مجاميع الحديث) .

ولما وقعت الفتوح دخلت فى الإسلام عناصر من أجناس جديدة أدت به إلى الاتصال بشعوب لها أمزجة تختلف بعض الاختلاف عن العرب ، فإذا سيق هؤلاء أمام القضاء ، كان لابد لهم من أن يلتمسوا دفاعاً عن أنفسهم ، فلم يعجز أصحاب الدهاء عن أن يخصصوا كرم العرب ليفرقوا بين كرمهم وبخل غيرهم . ولاشك أنه لم يكن بطريق الصدفة أن الخراسانية فى العصر العباسى قد أمدوا الدواوين بالنوادر عن البخلاء العرب . وقد تجسدت النسبة بين كرم العرب وبخل غيرهم فى المناظرات التى ساق الجاحظ عدة شواهد عليها فى مؤلفه المشهور « كتاب البخلاء » ، وهو أول محاولة — أو قل المحاولة الوحيدة — التى بذلت فى الأدب العربى لتحليل هذه الشخصية وتصويرها بالنوادر وإن لم يخل ذلك من شيات سياسية . وقد تجاهل الكتاب المتأخرون التحليل النفسى الذى كان الجاحظ الأصل فيه ، وقصروا همهم — فى كتب الأدب ثم فى الموسوعات الشعبية التى صنفوها — على الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث والنوادر والأشعار التى قيلت فى البخلاء (انظر على سبيل المثال : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، فى مواضع مختلفة ؛ الأبشيهى : المستطرف ، جـ١ ، ص ٢٣٣) على أنه لم يغب عنهم أن يذكروا أن التاريخ لا يعرف من بخلاء العرب إلا أربعة (كذا) هم : الحطيئة ، وحُمَيْد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد ابن صفوان ؛

خورشيد [بلاّ Ch. Pellat]

« البداء » : لغةً الظهور ، أما فى علم الكلام فمعناها حدوث أحوال جديدة ينشأ عنها تعديل فى الإرادة الإلهية السابقة . (وقد جعل « دوزى » لهذا اللفظ مدلولا واسعاً جدا فى مقاله الموسوم *Essai sur l'Hstoire de l'Islamisme*، ص ٢٢٣ ، وترجمه إلى الفرنسية «Mutabilité de Dieu»)

وميز الشهرستانى ثلاثة أنواع من البداء ،(١) (طبعة كيورتن ، ص ١١٠) وذلك حسبما تتصل هذه الكلمة بالعلم أو الإرادة أو الأمر .

---

(١) يقول الشهرستانى فى بيانه من مذهب المختار بن ابى عبيد : « فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى ، والبداء له معان : البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا اظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد ؛ والبداء فى الارادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ؛ والبداء فى الامر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الاوامر المختلفة فى الاوقات المختلفة متناسخة ، وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لانه كان يدعى علم ما يحدث من الاحوال اما بوحى يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام ، فكان اذا وعد أصحابه بكون شىء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه ، وان لم يوافق قال : «قد بدا لربكم» طبعة القاهرة ، ١٣٤٧ هـ على هامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٢ » .

اللجنة

وأهل السنة يخالفون الشيعة فى هذه المسألة كل المخالفة . وتتناول كتب الشيعة فى العقائد الكلام عن جواز البداء فى باب « العلم الإلهى » دائما ، وإن كانوا لم يصطلحوا فيه على قول واحد .

والبداء فى معناه الواسع الذى يشتمل على القول بتغاير الإرادة الإلهية من تعاليم البَدَائية وحدهم، وهم طائفة من غلاة الشيعة . أما الإمامية — وهم من معتدلى الشيعة — فيحرصون على استثناء علم الله من جواز التغاير فيه أو يعبرون عن ذلك على الأقل فى قول رقيق . ويذهب البدائية مذهب هشام بن الحكم (انظر هذه المادة) وهو من متكلمى الشيعة ، فى القول بأن علم الله لا يتعلق إلا بالموجود ، وأنه لا يعلم شيئاً حتى يكون [1] . وهذا القول يستتبع الجهل بالأشياء قبل وقوعها (انظر البغدادى : الفَرق بين الفرق ، طبعة محمد بدر . القاهرة ، سنة ١٣١٨هـ ، ١٩١٠م ، ص ٤٩) : وهذا الموضوع من المسائل الدقيقة التى تعالجها فى العصر الحديث الفلسفة الدينية للفرقة الشيعية المعروفة باسم الشَيْخية (انظر مجلة العالم الإسلامى، *Revue du Monde Musulman* ، سنة ١٩١٠، جا ١١، ص ٤٣٥—٤٣٨) والأخذ بهذا الرأى يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثر بحدوث أشياء جديدة وأنه [جل جلاله] يغير إرادته الثابتة .

ويتفق المؤرخون المسلمون الذين كتبوا عن الشيعة على أن المختار [بن أبى عبيد] (انظر هذه المادة) هو أول من قال بالبَدَاء ؛ ثم أصبح هذا القول من بعده من أركان عقيدة الكَيْسَانية (انظر البغدادى : المصدر المذكور ، ص ٣٦ ؛ وكذلك ماكتب عن أحمد بن يحيى بن المرتضى فى : *Die philos. Probleme der spekulat.* : M. Horten *Theologie in Islam* ، طبعة بون ، سنة ١٩١٠م ، ص ١٢٤) .

ويقال أحياناً إن عبد الله بن نَوْف هو أول من قال بالبداء (انظر : Wellhausen : *Die religioes — politichen opposition-spartien im alten Islam* ، ص ٨٨ ، ص ١٢) .

وكان المختار قد تهيأ لقتال جيوش مصعب بن الزبير التى كانت تفوق جيشه فى العدد ، وذلك فى الموقعة التى كان من شأنها أن تعين مصير عمله ، وزعم المختار [أو عبد الله بن نوف] أن الله أنزل عليه الوحى يعده بالنصر ، ولكنه منى بالهزيمة التى أظهرت فساد تلك المعجزة الكاذبة . فلما سئل فى ذلك قال المختار [أو عبد الله بن نوف] « إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك ، ولكنه بدا له » ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى « يمحو الله ما يشاء ويثبت » (سورة الرعد ، الآية ٣٩) .

وبعد أن لحقت الهزيمة بالشيعة أصبحوا يقبلون هذا القول كتفسير معقول لما أصاب آمالهم من خيبة ، ولعدم تحقق نبوءة النصر التى تنبأ بها إمامهم المهزوم : وكانت إرادة الله تقتضى أن

---

[1] كان هشام بن الحكم يقول : « ان علم الله تعالى محدث وانه لم يكن يعلم شيئا حتى أحدث لنفسه علما » ، وهذا كفر صريح . أنظر كتابه الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ، الطبعة الاولى ج ٤ ، ص ١٣٩ .

اللجنة

يكون الفرج والنصر من نصيب الإمام الشرعى فى وقت معين ولكن بدا له أن يغير مشيئته لمصلحة ما : واستطاعت الشيعة بفضل هذه القاعدة نفسها تعليل التغير الذى لحق التتابع الشرعى للأئمة المنصوص عليهم والذين عينهم الله منذ الأزل ، وذلك عندما تولى الإمامة موسى الكاظم بعد وفاة جعفر الصادق بدلا من أن يتولاها أخوه إسماعيل المنصوص عليه ، وبهذا كان موسى هو الإمام السابع : وينسبون إلى جعفر أنه قال : « ما بدا لله كما بدا فى إسماعيل ابنى » : ولكن كثيرا من علماء الشيعة يرون أن تطبيق البداء فى هذا الموضوع قابل للتجريح ، فغُيِّر قول جعفر بأن وضعت كلمة « أبى » مكان كلمة « ابنى » وأصبح البداء فى هذا الوضع لا يشير إلى الابن وإنما يشير إلى جد الإمام « إسماعيل بن إبراهيم » وهو الذبيح الذى أمر الله إبراهيمَ بذبحه ثم أعفاه منه .

وأهم الحجج التى يسوقها الشيعة لتأييد البداء هى :

(ا) الآية ٣٩ [١] من سورة الرعد وآخر الآية ١١ [٢] من سورة إبراهيم ، والآية ٢٩ من سورة الرحمن [٣] ؛ وكذلك ما ورد فى الآية ١٥٣ من سورة الأعراف وهو قوله [تعالى] « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » ، ويسوقون فى هذا المقام أيضاً حديث قوم يونس الذين عندما آمنوا كشف الله عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعهم إلى حين (سورة يونس ، الآية ٩٨) ، وكذلك قصة إبراهيم وإعفاء الله له من أمره السابق بذبح ابنه (سورة الصافات ، الآيات ١٠١ — ١٠٧) وإطالة وعد الله لموسى من ثلاثين ليلة إلى أربعين (سورة الأعراف : الآية ١٤٢) .

(ب) ومن حججهم أيضاً أحاديث تقرر أن العمل الصالح ومزاولة بعض الفضائل — كتكريم الوالدين مثلا — قد يطيل فسحة الأجل المكتوب ويغير القضاء المبرم ، وكذلك دعاء عمر « اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا ، فامح اللهم شقاوتى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا » (ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، القاهرة سنة ١٣٢٦هـ ، ص ٧) ؛

(ح) ومن حججهم أيضاً طائفة من قصص الصالحين يظهر منها أن إرضاء الله بالعمل الصالح قد يغير ما كتب على الإنسان من شقاء ؛

(د) ويسوقون أخيرا فى تأييد ذلك : القولَ بالنسخ وهو من عقائد أهل السنة أيضاً ؛

وإذا كانت عقائد الشيعة قد تأثر معظمها بآراء المعتزلة فإننا نجد أن ركنا من أركان الاعتزال وثيق الصلة بالبداء ، ذلك هو قولهم بالأصلح أى أن الله يراعى فى أفعاله مصلحة العبد . والقول بالأصلح يشمل البداء باعتبار أن تقديرات الأمور تتبدل بتبدل المصالح .

---

(١) « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

(٢) « وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون » .

(٣) « يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن » .

وقد بذل المعتدلون من متكلمي الشيعة جهداً متقطع النظير للتوفيق بين وجوه التناقض الكلامية التي يثيرها هذا التصور ، والتوفيق أيضاً بين إمكان افتراض ظهور أحوال جديدة تقتضي الحدوث في العلم الإلهي — كما يفهم من القول بالبداء — وبين القول بعلم الله المطلق وقدم علمه وأنه نفس ذاته على النحو الذي يقول به خاصة جميع المعتزلة ، ولكي يجيبوا أيضاً على اعتراضات المتكلمين من أهل السنة الذين قالوا إن القول بالبداء يفترض إمكان جهل الله بعواقب الأمور (انظر الجرجاني إلى الإيجي ، المواقف طبعة Soerensen سورنسن ، ليبسك ١٨٤٨م ص ٣٤٦ ، س ٦) .

ومحاولة دفع الاعتراضات من هذه الناحية قد أدت بهم — بالرغم من كل احتجاجهم على اليهود وأهل السنة الذين أنكروا القول بالبداء — إلى تقرير أمر من شأنه أن يجعل هذه الاعتراضات تمكن القضاء عليها ، ولكي يعزوا إلى خصومهم من أهل السنة أنهم ينسبون إليهم تعريفاً للبداء اخترعه أهل السنة أنفسهم ، ذلك أنهم قالوا إن البداء لا يراد به معناه الحرفي الذي نجده في معاجم اللغة وإنما يراد به المعنى المجازي ، وهم يرفضون التسليم بأن البداء حسب معناه الحرفي يؤدي إلى القول بالتبدل في العلم الإلهي .

وقد انتهى موقف متكلمي الإمامية بالنسبة إلى متكلمي أهل السنة إلى حرب كلامية لا غناء فيها ، وذلك لأن متكلمي أهل السنة أنفسهم يقولون إن حدوث حالة من أحوال البداء في المستقبل هو باعتباره مما اشتمل عليه العلم الإلهي القديم ، وهو علم على وجه التفصيل .

وقد عمدوا إلى طريقة شائعة جداً للتوفيق بين القول بالبداء وبين فكرة اللوح المحفوظ الذي ورد ذكره في القرآن ، وذلك بافتراضهم وجود لوحين : اللوح المحفوظ الذي كتب فيه القضاء المحتوم الذي لا تعديل فيه ولا تبديل ، ولوح المحو والإثبات (حسب سورة الرعد ، الآية ٣٩) وهو يشتمل على القضاء الذي يجوز فيه التعديل إذا حدثت أمور جديدة (انظر : دلدار علي ، جـ١ ، ص ١١٤) ، وقد وجد هذا الرأي صدى له عند أهل السنة ، وكان سبباً في نشوء القول بكلمات عجيبة وأسرار غامضة (انظر الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، جـ٥ ، ص ٣١٠) ، ووفقاً لهذا الرأي قالوا بوجود نوعين من العلم الإلهي : علم محتوم يشمل الأمور المحتومة التي يوحي بها الله إلى أنبيائه وملائكته ، وعلم مخزون وهو يشمل الأمور الموقوفة عند الله (انظر الكليني ، ص ٨٥) .

وقد سمح الشيعة لواحد من أئمتهم بأن يقول : لا يستطيع إنسان أن يرضى الله بشيء هو خير من إقراره بالبداء ، وذلك لأن توبة العبد وعبادته وخضوعه لله التماساً لعفوه عن الذنوب أو لتعديل ما كتبه عليه لا يكون له معنى إلا إذا سلمنا بالبداء ، وبينما يجعل الشيعة أكبر همهم في التمسك بالقول بالبداء للأسباب التي ذكرناها نجد أن هذا الأمر كان مثار خصومة دائمة بين الشيعة ومخالفيهم ؛ حتى

سليمان بن جرير — وهو من أتباع فرقة الزيدية من الشيعة — كان من أعنف خصوم القائلين بالبداء، وقد طعن فى الإمامية لوضعهم مقالتين باطلتين : الأولى قولهم بالتقية (انظر هذه المادة) والثانية قولهم بالبداء (انظر الشهرستانى، طبعة كيورتن ، ص ١١٩)[1] ؛

وكان من أشد خصومهم أيضاً اليهود الذين ينكرون القول بنسخ الشريعة لأنه يتضمن الإقرار بالبداء كما أوضح ذلك يحيى بن زكريا الكاتب الطبرانى، وهو من متكلمى اليهود، وذلك عند مناظرته المسعودى فى فلسطين (انظر كتاب التنبيه والإشراف طبعة ده غويه ، المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٨ ، ص ١١٣ ، س ١٥ واقرأ كلمة « اعبلا » الواردة فى تلك العبارة « البداء ») .

وفى القرن الثالث الهجرى ، يظهر أن موضوع البداء — لصعوبات متصلة به لا يمكن تفسيرها إلا بمناقشات دقيقة — قد أصبح من المسائل التى يمتحن بها الابتكار والعقل الراجح ، وهذا يستنتج من الرسائل الثلاث للجاحظ (*Tria Opuscula* ، طبعة ڤان ڤلوتن ، ص ١١٣ ، س ٧ ، اقرأ الندا « البداء ») ؛

المصادر :

(١) أبو جعفر محمد الكلينى : الأصول من الجامع الكافى ، طبعة بمباى ، ١٣٠٢ هـ ، ص ٨٤ — ٨٦ (٢) دلدار على : مرآة العقول فى علم الأصول ، لكهنو ، سنة ١٣١٨ — ١٣١٩هـ، جـ١ ، ص ١١٠ — ١٢١ وقد ورد فيه بالتفصيل أقوال معتدلى أهل الشيعة عن البداء وتعريفهم له (٣) I. Friedlander : *The Heterodoxies of the Shiites according to Ibn Hazm*، نيوهاڤن ١٩٠٩ ، *Journal of the American Or. Soc.* ، جـ ٢٩ ، ص ٧١ ؛

[گولدتسيهر Goldziher]

« بداعون » أو بدايون : مدينة ومركز فى الهند من أعمال روهيلخند فى الأقاليم المتحدة . وتبلغ مساحة هذا المركز ١٩٨٧ ميلا مربعاً ، وكان عدد سكانه حسب إحصاء عام ١٩٠١ : ١,٠٢٥,٧٥٣ نسمة ، ١٦ ٪ منهم مسلمون ، أما أغلب السكان فهم من البطهان والشيوخ والجُلاها . وكان عدد سكان المدينة عام ١٩٠١ : ٣٩,٠٣١ نسمة منهم ٢١٩٩٥ مسلماً . وكانت بداعون فى عهد الفتح الإسلامى معقلا من أهم معاقل الدفاع المتقدمة ضد قبائل الراجبوتيين الثائرة . وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى أصبح كل من شمس الدين إيلتتمش وابنه ركن الدين فيروز — وهما من حكام بداعون — إمبراطوراً على دهلى ؛ وصرف علاء الدين آخر الحكام من الساعات

---

(١) يقول سليمان بن جرير : أن ائمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر احد قط عليهم . احداهما القول بالبداء فاذا اظهروا قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا لله تعالى فى ذلك . والثانية التقية وكل ما ارادوا تكلموا به ، فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية ، (انظر الشهرستانى ، الطبعة الاولى ، على هامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، جـ ١ ، ص ١٦٥) .

اللجنة

والمتوفى عام ١٤٥١ بقية حياته فى بداعون ، ولذلك نجد فى هذه المدينة عددا كبيرا من المساجد والأضرحة التى يرجع تاريخها إلى هذا العهد : وأهم هذه الآثار « جامع مسجد » الذى شيده شمس الدين عام ١٢٢٣ واستعان فى بنائه بصفة خاصة بأطلال المعابد الهندية، وكذلك ضريح علاء الدين . وتشتهر بداعون بأنها مسقط رأس عبد القادر البداعونى (انظر مادة بداعونى) مؤرخ عصر أكبر وخصم أبى الفضل :

المصادر :

(١) *Budaun Gazetteer* ، طبع فى الله آباد عام ١٩٠٧ .

[J. S. Cotton كتن]

+ بداعون ، أو بدايون : مدينة قديمة على مسيرة ميل تقريباً إلى الشرق من نهر سوت ، وهى قصبة المركز الذى يحمل الاسم نفسه فى الهند ، وتقوم على خط عرض ٢٨° ٢َ شمالا ، وخط طول ٧٩° ٧َ شرقاً . ويختلف المؤرخون الوطنيون فى هجاء اسمها ، فيقولون بيدامئون وبهداعون وبدايون ، وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٥١ : ٥٣,٥٢١ نسمة .

وليس لدينا إلا معلومات وثيقة قليلة عن المدينة قبل ظهور المسلمين حوالى نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) حين فتحها قطب الدين أيبك (انظر هذه المادة) ولى عهد معز الدين بن سام فى الهند واستولى عليها سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ — ١١٩٨ م ؛ انظر فخر مدبّر ، طبعة Ross ، ص ٢٤) ، على أن الروايات ترجع سقوطها سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) إلى شخص أسطورى هو غازى مسعود سالار (انظر هذه المادة) يقال إنه ابن أخى محمود الغزنوى . وقد حمل تاج الدين يلدوز—بعد هزيمته على يد إيلتتمش قرب لاهور سنة٦١٢ هـ (١٢١٥م)— إلى بداعون أسيراً وفيها توفى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م)

وكانت بداعون محطة حربية فى العصر الخلجى ؛ وفى سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) قدم جلال الدين خلجى إلى بداعون بجيش كبير ليخمد فتنة ملك چَجُو : على أن محمد بن تُغْلُق لم يؤيد فكرة استعادتها لتكون قاعدة للجيش ، ومن ثم هبت القبائل المتمردة المحيطة بها جميعا مفتتنة : وسار فيروز تغلق إلى بداعون سنة ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م) فقضى على الفتنة وأقام قبول خان شروانى حاكماً عسكرياً لها ثم انسحب :

ونزل علاء الدين ، آخر الملوك من بيت السادات، عن عرش دلهى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١م)؛ انظر أحمد يادگار : تاريخ شاهى ، المصدر رقم ١ ، من غير تاريخ ، ٢٥٧ ، ١٠) وقضى بقية عمره فى بداعون وفيها توفى سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م)

وأصبحت المدينة فى عهد أكبر « سركاراً » فى « صوبة » دلهى سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) وأقيم فيها دار لسك النقود لا يضرب فيها إلا العملة من النحاس الأحمر : وشبت فيها سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) نار عظيمة أتت على المدينة كلها ، وهلك عدد كبير من سكانها :

وفقدت المدينة شأنها فى عهد شاه جهان عندما أدمج سركارا بداءون وسمبهل فى سركار واحد باسم جديد هو كتهر ، وأصبح مقره فى بريلى . ولما اضمحل سلطان المغل دخلت المدينة فى حوزة الروهيلا . ونزلت هزيمة منكرة بالروهيلا تحت إمرة على محمد خان فاستحوذ عليها نوابية أوده سنة ١١٩٢ هـ (١٧٧٨ م) ومنهم انتزعها البريطانيون سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) . وحل بالمدينة اضطراب شديد أثناء العصيان الذى وقع سنة ١٨٥٧ ، فقد أغير على السجن المركزى وأحرق الحى الأوربى .

وبداءون مسقط رأس المؤرخ عبد القادر بداءونى (انظر هذه المادة) والولى المتدى المشهور نظام الدين أولياء (انظر هذه المادة) . ويقال إن رضى الدين حسن الصغانى (انظر هذه المادة) ولد فيها ، ولكن هذا القول فيه خلاف .

وتضم المدينة القديمة عدة مبان لها شأن أثرى ، وهى القلعة القديمة ، وهى الآن خرائب ، ومسجد قطبى ، وجامع مسجد شمس الذى أقامه إيلتتمش سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) وعدد كبير آخر من المساجد والمقابر بما فيها ضريح علاء الدين ملك دهلى الهارب وهو من بيت السادات .

المصادر :

(١) طبقات ناصرى ، طبعة عبد الحى حبيبى ، كوطة سنة ١٩٤٩ ، جـ ٢ ؛ لاهور سنة ١٩٥٤ . (٢) البداءونى : منتخب التواريخ ، الترجمة الإنكليزية ، كلكتة ، سنة ١٨٩٨ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ . (٣) آئين أكبرى ، الترجمة الإنكليزية ، كلكتة سنة ١٩٢٧ ، ص ٣٢ . (٤) حسن نظامى : تاج المآثر ، مخطوط ، فى مواضع مختلفة . (٥) *Gaz. of the Buda'un District* ، سنة ١٩٠٧ ، (٦) *Imp. Gaz. of Ind.* ، جـ ٩ ، طبعة جديدة ، ص ٣٤ — ٣٦ ، ٤١ — ٤٣ . (٧) *Epigraphia Indica* ، ص ١٦٣ (٨) *JASB* (الأعمال) جـ ٤١ ، سنة ١٨٧٢ ، ص١٩٩ . (٩) تاج العروس ، مادة بأدأ . (١٠) أمير حسن سجزى : فوائد الفتاوى ، لكهنو سنة١٣١٢ هـ = ١٨٩٤م ، ص١٠٣—١٠٤ . (١١) إكرام الله محشر : روضۀ صفاء ، مخطوط . (١٢) عبد الولى : الباقيات الصالحات ، مخطوط . (١٣) عبد الكريم : تاريخ بدايون ، مخطوط فى ثلاثة مجلدات . (١٤) عبد الحى صفاء : عمدة التواريخ ، مراد آباد سنة ١٢٩٧ هـ = ١٨٧٩ م . (١٥) رضى الدين « بِسْمِل » : كنز التاريخ ، بدايون ×سنة ١٩٠٧ . (١٦) الكاتب نفسه : تذكرة الواصلين ، بدايون سنة ٣١٧ هـ = ١٨٩٩ ، سنة ١٩٤٥ ، الطبعة الثانية . (١٧) الكاتب نفسه : أنساب قرشورى ، مخطوط . (١٨) محمد يعقوب حسين « ضياء » : أكمل التاريخ ، فى مجلدين ، بدايون ، سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م (١٩) الكاتب نفسه : مجموعة هفت أحمد ، بدايون ، سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٤ م) . (٢٠) نظام الدين حسين : بدايون قديم وجديد ، بدايون سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) . (٢١) مختاور سنغ : تأريخ بدايون ،

بريلى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) (٢٢) محمد فضل أكرم : آثار بدايون ، بدايون سنة ١٩١٥ ؛ (٢٣) أنوار الحق عثمانى : طوالع الأنوار ، سيتاپور سنة ١٨٨٠ . (٢٤) أبرار حسين قادرى : حيات شيخ شاهى ، بدايون سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) ؛ (٢٥) شاه عبد القادر : تأريخ بدايون ، مخطوط (٢٦) سلطان حيدر « جُش » : نواب فريد ، بدايون سنة ١٩١٧ : (٢٧) على أحمد خان « أسير » : حيات عبد القادر بدايونى ، مخطوط (٢٨) ذو القرنين ، مجلةأردية أسبوعية ، بدايون ، عدد خاص (أبريل سنة ١٩٥٦) .

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

« البداعونى » عبد القادر : ابن مُلوك شاه ، ولد فى بَساوَر من « سركار » سَمْبَهَل سنة ٩٤٧ أو ٩٤٩ هـ (١٥٤٠ — ١٥٤١ أو ١٥٤٢–١٥٤٣م) وقضى شبابه فى الدرس والتحصيل . ومن شيوخه الذين تخرج عليهم الشيخ مبارك والد فيضى ، وأبى الفضل ، ثم انخرط فى خدمة حسين خان طُكْرِيَه . وفى إبريل سنة ١٥٧٤ م أصبح إماماً عند أكبر ؛ ودخل أبو الفضل المذكور خدمة هذا السلطان فى العام نفسه ، ولما ثقلت عليه أعباء العمل فى البلاط السلطانى تخلى عن عمله بغير إذن قبل سنة ١٧٥٩ م . وفى هذا العام أعيد إلى خدمة السلطان « منشئاً » وأقطع ألف بيغا ؛ وشكا المترجم له فى مرارة من ضآلة شأنه ولقب بالمزارى نسبة إلى مساحة إقطاعه . واستخدم لغزارة علمه فى ترجمة النصوص السنسكريتية وفى التصنيف ؛ ولم يوفق فى ترجمة الـ « أتهارڤا ڤيدا » ولم يتفوق عليه فى هذه المهمة من أتوا بعده ؛ ولكنه لما نجح فى تفسير أربعين حديثاً فى فضائل الجهاد — وهو عمل يحتاج إلى كفاية أكبر من سابقه — عين واحداً من السبعة الذين اشتركوا فى تصنيف كتاب « تأريخ ألفى » ؛ وفى عام ١٥٨١ ألف « نجاة الرشيد » وترجم بأمر أكبر الـ « مهابهارتا » والـ « رامايانا » إلى الفارسية وأهدى الكتاب الأخير إلى السلطان عام ١٥٨٩ م ؛ ثم نقل كتاباً آخر من السنسكريتية إلى الفارسية وجعل عنوانه : « بحر الأسمر » وأخرج كتاب تاريخ كشمير لمؤلفه ملا شاه محمد الشاه آبادى فى اللغة الفارسية بأسلوب سهل واضح ؛ وعين بعد ذلك واحداً من مترجمى « معجم البلدان » وقام بعمله على أحسن وجه فى أمد وجيز ، ولذلك سمح له بأن يقضى فترة من الزمن فى مسقط رأسه بداعون ، ولكنه مكث بها وقتاً أطول مما سمح له به ، ولم يعد إلى منصبه إلا بعد شفاعة فيضى ؛

وبدأ المترجم له بدافع من رغبته الخاصة بين عامى ١٥٩٠ و ١٥٩١ م فى تصنيف الكتاب الذى اشتهر به أكثر من سواه ألا وهو « منتخب التواريخ » فى ثلاثة مجلدات : الأول عن حكام الهند الأوائل المسلمين من سُبُكْتكين إلى همايون ، والثانى عن حكم أكبر إلى سنة ١٥٩٥ ، والثالث تراجم الأولياء والعلماء والأطباء والشعراء الذين عاشوا فى عهد أكبر ؛ وفرغ البداعونى من تصنيف هذا

الكتاب فى ٢٣ فبراير سنة ١٥٩٦ م ؛ والمجلد الثانى كبير الأهمية لأن فيه أنظار واحد من أهل السنة المتشددين عن تأملات أكبر الدينية وآرائه الجريئة ؛ وقد دفعه الاحترام المأثور عن الشرقيين لشخص الملك عن مهاجمة أكبر نفسه ، ولكنه جرح أحرار المفكرين وزعماءهم مبارك وفيضى وأبا الفضل ، مع أنه يعترف بفضلهم عليه ، لتشجيعهم أكبر على نزعاته التجديدية .

واستحال على المصنف نشر كتابه ، فأخفاه حتى وفاته سنة ١٦٠٤ أو ١٦٠٥ م وذاع خبره فى عهد جهانگير الذى أرسل فى طلب أبناء المؤرخ وسألهم عن الكتاب ، فأظهروا جهلهم به قائلين إنه إذا كان لمثل هذا التاريخ وجود فلابد وأنهم كانوا أطفالا صغارا عند تصنيفه ؛ فأخلى سبيلهم بعد أن قطعوا على أنفسهم عهداً بألا يحرزوا نسخة منه وإلا تعرضوا للعقاب .

وبرع البداءونى فى تأريخ الحوادث ، ونظم الشعر تحت الاسم المستعار « قادرِى » ولكن تشدده فى أمور الدين ساقه آخر الأمر إلى هجر القريض باعتباره غواية من الغوايات .

[T. W. Haig هيگ]

+ « بدنْپاى » : (انظر مادة « كليلة ودمنة »)

« بُدّ » : كلمة بد (أو « بُدّه » ؛ وبالفارسية « بت ») لها فى العربية ثلاثة معان مختلفة : فهى تطلق على معبد الأصنام أو على بوذا نفسه ، أو على الأصنام التى لا يلزم أن تكون على هيئة بوذا .

والشاهد الأول على استعمال الكلمة بمعنى معبد الأصنام يرد فى فقرة من كتاب « عجائب الهند » (*Les Merveilles de l'Inde* ، نشره وترجمه Marcel Devic ، ص ٥ ؛ انظر J. Sauvaget : *Mémorial* ، جـ ١ ، ص ١٩٢) جاء فيها أنه يوجد بمدينة فى جزيرة سيلان سبأئة بد كبير ؛ ولا ترد بد فى هذا المعنى إلا نادرا ، ولو أن صاحب لسان العرب ساق هذا المعنى على اعتباره المعنى الأول .

وتأتى كلمة بد أو بدده أحياناً بمعنى بوذا فى كتب بعض المؤلفين أمثال الجاحظ (رسالة التربيع ، طبعة پلا ، ص ٧٦) والمسعودى ، والبيرونى والشهرستانى . فيقول المسعودى عند كلامه على معبد مُلْتان المعروف ببيت الذهب : « وما فى بيت الذهب بأعالى أرض الهند ومشارقها وهو الذى دخله الإسكندر الملك من حساب ظهور البد الأول بأرضهم، وتاريخه أن ذلك اثنا عشر ألف ألف عام مضروبة فى ستة وثلاثين ألف عام» (كتاب التنبيه : *Livre de l'avertissement* ترجمة كارا دە ڤو ، ص ٢٠١ ؛ البيرونى : تاريخ الهند ، ترجمة سخاو Sachau ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، جـ ٢ ، ص ١٨) . ويعرف البيرونى عن البرهمية الشىء الكثير فى حين أنه لا يعرف عن البوذية إلا القليل . أما الشهرستانى فهو على النقيض

من ذلك ، إذ أن ما كتبه عن البوذية له بعض الأهمية . وهو يعرف البد بأنه شخص فى هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . ومن الواضح أن هذا التعريف يقصد به البوذا المتجسد أو الحى .

ويشير الشهرستانى (طبعة كيرتن ، ص ٤١٦) بصفة غير مباشرة إلى المذهب القائل بتعاقب البددة، لأنه يقول : إن أول بد ظهر فى العالم اسمه « شاكمين »[1] (الصيغة العربية لـ « چكيامونى ») ومن وقت ظهوره إلى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة . وقد عرف هذا المؤرخ أيضاً البوذيستّفا Bodhisattvas ، وهو يقول : ودون مرتبة البد مرتبة البودسعية[2] ، ومعناه الإنسان الطالب فى سبيل الحق . وإنما يصل إلى تلك المرتبة بالصبر والتخلى عن الدنيا وبالرغبة فيما يجب أن يرغب فيه والرحمة بجميع الخلق ، وباستكمال عشر خصال واجتناب عشرة ذنوب أهمها : قتل كل ذى روح والزنا والكذب والبذاء والشتم والنميمة .

والبددة تظهر فى أجناس شتى . والبوذيون يقولون بخلود العالم ويعتقدون بالحساب فى عالم آخر . وهذا هو كل ما يعرفه الكتاب المسلمون عن البوذية .

ويذهب الشهرستانى إلى أن انتشار هذا الدين بالهند يعود إلى مناخها وكثرة من فيها من أهل الرياضة والاجتهاد .

ويطلق العرب اسم بوذاسب على صاحب مذهب الصابئة فى زعم الأساطير ، ويقال إنه بشّر الفرس بهذا الدين فى عهد طهمورث ، وكانوا قبل ذلك على رأى الحنفاء . واسم بوتاسب — وهو تصحيف « بوتاست » — موجود فى الإيرانية (بندهش ، ٢٨) وهو ليس مركباً مباشرة من كلمة بوذا بقدر ما هو مركب من كلمة « بوذيستفا » (الأبستاق، ترجمة Darmsteter ، ج ٢، ص ٢٥٩ ، ج ٣ ، ص ٤٧ . المسعودى : كتاب التنبيه ، ترجمة كارا ده فو ، ص ١٣٠) .

وتستعمل كلمة بدّ كثيراً بمعنى صنم . ومن قبيل ذلك ما ذهب إليه صاحب كتاب مختصر العجائب من أن أهم ما يتميز به دين أهل الهند هو عبادة البدّ . ويطلق كتاب « سلسلة التواريخ » (ص ١٣٤ — ١٣٥) اسم بد أو بدده على صنم يعبده الناس فى ناحية من نواحى الهند ، وتقدم إليه النساء العاهرات . والمسلمون يعرفون حق المعرفة صنم السومنات حاضرة أرض اللار .

ويشير سعدى (بستان ، ترجمة باربييه ده مينار ، ص ٣٣٤) إلى هذا الصنم عند قوله بأنه فاجأ الكاهن وهو يجذب الحبل الذى يحرك ذراعى الصنم . ومع ذلك فمن الواضح أن هذه القصة ما هى إلا أسطورة من الأساطير .

ويصف الدمشقى بالتفصيل صنم السومنات (كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، طبعة مهرن ، ص ١٧٠ — ١٧١) ؛ ويبيّن أن

(١) ورد « شاكين » فى الملل والنحل للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم طبعة القاهرة عام ١٣٤٧ هـ .

(٢) وردت « البرديسعية » فى الملل والنحل للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم طبعة القاهرة عام ١٣٤٧ هـ .

هذا الصنم من عقائد دين سيفا[1] ، وهو يطلق اسم « البد » على الصنم الذى تعبده الهنود ، ويقول إنه حجر صورته إحليل إنسان وفرج امرأة ، مقلد بالأحجار الشريفة وقائم على كرسى يسع عشرة رجال . والكرسى على مقعد ذى تسع درج وعلى كل درجة من الأصنام ما قد ملأها على صورة الرجال . ثم يوضع قدام هذه الأصنام أطباق من طعام شديد الحرارة فيرتفع منها بخار تغتذى منه روحانيات البدّ والأصنام ، كما أن فى هذا البخار غذاء لأرواح موتى الهنود اللائذين بالبد بعد موتهم .

[كارا ده ڤو Carra de Vaux]

« بَدْر » : هو القمر فى تمامه . والبدر عند الشرقيين رمز الجمال . ويطلق اسم بدر غالباً على الجوارى الجميلات الصغيرات . وبدر هو أيضاً اسم عام لا يخص الجوارى وحدهن . وكثيراً ما تقترن كلمة بدر بكلمتى « الدولة » و « الدين » .

« بَدْر » وتسمى أيضاً بدر حُنَيْن : بليدة إلى الجنوب الغربى من المدينة على مسيرة ليلة من الشاطئ ، وهى عند ملتقى طريق المدينة بطريق القوافل الذاهبة من الشام إلى مكة . وفى الوقت الذى زار فيه بوركارت Burckhardt هذه البليدة وجد أن بعض مساكنها من اللبن وبعضها الآخر من الحجر ويحيط بها سور متهدم من الطين ، أما أهلها فجلهم من البدو وليس للكثير منهم فيها إلا أكواخهم لأنهم يقضون الليل فى خيام على سفوح التلال . وكانت بدر فى عهد النبى ﷺ محطة يقف عليها المسافر ليسقى إبله ، كما كان يقام بها سوق كل عام .

وقد أصبح لهذه البليدة أول مرة أهمية تاريخية بفضل الموقعة التى نشبت فيها بين المسلمين وأهل مكة فى السابع عشر أو التاسع عشر من رمضان للعام الثانى من الهجرة . وقد أدى إلى قيام هذه الوقعة عدة حوادث متعاقبة ، وهى فى ذاتها ليست كبيرة الشأن ، وإنما تنحصر أهميتها فى أنها وطدت سلطان النبى وكانت سبباً فى انتشار الإسلام بعد ذلك . والحق إن مقدرة النبى الفائقة تجلت بأجلى بيان فى هذه الموقعة ، فقد نفخ فى روح أتباعه الذين هالهم التقاؤهم الفجائى بأهل مكة فاكتسحوا أعداءهم الذين يفوقونهم فى العدد . وجاء فى قصيدة حمزة أن المكيين كان عددهم ألف مقاتل فى حين لم يزد عدد المسلمين على ثلثمائة رجل .

وليس من اليسر كل اليسر أن نتمثل فى أذهاننا سير هذه الموقعة مستعينين بوصف بوركارت ، وعلى كل فإن ما روى له فى هذا المكان عن هذه الموقعة لا يفسر لنا روايات المتقدمين . فهو يذكر أن بدراً تقع فى سهل تحده من الشمال والشرق الجبال الوعرة ، ومن الجنوب تلال صخرية ، ومن الغرب كثبان رملية متنقلة . وينساب من

---

(1) سيفا : اسم الاله الثالث فى الثالوث الهندوسى ، وهو يمثل فكرة التدمير .

الجبال القائمة إلى الشرق جدول غزير المياه فى مجرى صخرى فيروى حراجا مترامية الأطراف من النخيل وبساتين ومزارع إلى الجنوب الغربى من تلك البليدة . وتحول الرمال الكثيفة دون عبور التلال الغربية التى ينبسط وراءها سهل جلب يصل إلى الشاطئ ولا ينبت فيه سوى نباتات الأرض الملحـة .

وشاهد بوركارت على مسيرة ميل تقريباً جنوبى البليدة قبور المسلمين الثلاثة عشر الذين استشهدوا فى وقعة بدر ، ويذكر ابن إسحاق أن النبى وقف هو والمسلمون عند الماء الذى على أقرب منحدر للمدينة بينما وقف المكيون على منحدر مقابل له (انظر سورة الأنفال ، الآية : ٤٢) « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم » (أى على ساحل البحر) ، والركب فى الآية العير الناجية وليس فرسان قريش ولا الاحتياطى الذى كان يقوده على كما زعم بوركارت . وقد حجب كثيب العقنقل المكيين عن أعين المسلمين ، ويفصل هذا الكثيب عن بدر وادى يليل ؛ ويروى الواقدى أن المسلمين كان وجههم شطر الغرب بينما كان أهل مكة يواجهون الشرق والشمس فى أعينهم . وبدأ المكيون الموقعة فى الصباح فتسلقوا العقنقل منحدرين إلى الوادى فى حين أمر النبى أصحابه ألا يهاجموا عدوهم إلا إذا أذن لهم ، وعلى هذا فينبغى أن نبحث عن ساحة القتال عند سفوح التلال الشرقية المجاورة . ولا بد أن الآبار كانت فى هذا الموضع وهى الآبار التى هدمها المسلمون إلا أقربها إلى العدو وبنوا عليه حوضاً وأقاموا عريشاً للنبى ، وألقوا بقتلى عدوهم فى واحد من الآبار التى خربوها .

ويروى المقدسى أن بدراً بليدة مساحلة للبحر تشتهر بنخيلها ، وفيها ماء النبى ومكان الموقعة المشهورة وبعض مساجد بناها ملوك مصر . ويذهب البكرى إلى أنها ماء وبها عينان ينمو عندهما الموز والكرم والنخيل ، ويقول إنها على مسيرة ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة ، ويذكر المسعودى أنها على مسيرة ميلين وثمانية بُرُد من المدينة ، ويرى البكرى أن بين بدر وثغر الجار ستة عشر ميلا ، أما ياقوت فيقول إن بينهما مسيرة ليلة واحدة .

المصادر :

(١) Burckhardt : *Reisen in Arabien* عام ١٨٣٠ ، ص ٦١٤ — ٦١٩ . (٢) Doughty : *Travels in Arabia* ، ص ١٦٠ ؛ (٣) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة فستنفلد ، ص ١٤١ ؛ (٤) المقدسى : المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٣ ، ص ٨٢ — ٨٣ (٥) المسعودى : المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ (٦) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٢٧ وما بعدها ؛ (٧) الواقدى ، ترجمة فلهوزن ، ص ٣٧—٩٠ ؛ (٨) ابن سعد ، طبعة سخاو ، ج ١ ، ص ٦ — ١٨ ؛ (٩) الطبرى ، طبعة ده غويه ، ج ١ ، ص ١٢٤١ وما بعدها . (١٠) تاريخ اليعقوبى ، طبعة هوتسما ،

(١١) Caetani : *Annali* ج ٢ ، ص ٤٥ — ٤٦ ، *dell' Islam* ، ج ١ ، ص ٤٧٢ وما بعدها ؛ (١٢) Buhl فى *Orientalische Studien* ، ج ١ ، ص ٧ — ١٣ .

[بول Fr. Buhl]

+ بدر ، أو بدر حنين : بليدة جنوبى غرب المدينة على مسيرة ليلة من الساحل ، وعند ملتقى طريق يخرج من المدينة بطريق القوافل الذى كان يسير من مكة إلى الشام ؛ وهى تقوم فى سهل طوله خمسة أميال (ثمانية كيلومترات) ، وعرضه ميلان ونصف الميل (٤ كيلومترات) يحيط به تلال وعرة وكثبان رملية ، كما كانت بدر قاعدة لسوق .

وببدر نشبت فى اليوم السابع عشر (أو التاسع عشر أو الواحد والعشرين) من رمضان فى السنة الثانية للهجرة (الموافق الثالث عشر أو الخامس عشر أو السابع عشر من مارس سنة ٦٢٤ م) أول وقعة كبيرة فى تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ولدينا عن هذه الوقعة تفصيلات وافرة جاءت بها المصادر المتقدمة ، ومع ذلك فإن من العسير أن نسوق بياناً واضحاً بالمعركة والحوادث التى أدت إليها ؛ والذى عليه الرأى الغالب أن أقدم وأوثق رواية فى هذا الشأن هى الرسالة التى بعث بها عُرْوَة بن الزبير إلى الخليفة عبد الملك (أوردها الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٨٤ وما بعدها) ولو أن فى هذه الرواية نفسها بعض أقوال تدخل فيما يظهر فى ميدان القصص .

وقد بلغ النبى أنباء بأن قافلة غنية بحملها كانت عائدة من الشام إلى مكة يقودها سفيان بن حرب زعيم عشيرة أمية ، فجمع قوة تزيد قليلا عن ثلثمائة مقاتل (حوالى ثمانين من المهاجرين والباقى من الأنصار) وتقدم حتى اقترب من بدر آملا أن يقطع الطريق على القافلة ؛ أما أبو سفيان فقد أرسل إلى مكة فى طلب قوة تحمى القافلة وهى تعبر الإقليم الذى يسهل بلوغه من المدينة ؛ ويقال إن المكيين قضوا أكثر من أسبوع فى طريقهم من مكة إلى بدر ، ومن ثم فإن أبا سفيان لابد أن يكون قد أرسل فى طلب هذه القوة قبل ذلك بوقت ، وإن كانت المصادر تؤكد أنه لم يفعل ذلك إلا بعدما سمع بأن محمداً صلى الله عليه وسلم يعد العدة لقطع الطريق على القافلة ؛

وكانت القوة المكية التى يقودها أبو جهل المنتمى إلى عشيرة مخزوم ، تتألف من حوالى ٩٥٠ رجلا من جميع عشائر قريش . وقد تلقوا قبل أن يبلغوا بدراً رسالة من أبى سفيان أنه استطاع أن يخدع المسلمين بشق سبيله شقاً متخذاً طريقاً أدنى للساحل من الطريق المألوف . ومع ذلك فإن أبا جهل مضى قدماً إلى بدر غير مستمع إلى معارضة بعض الشيوخ وانسحاب رجال جيشه من عشيرتى زهرة وعدى ، وراح يستعرض قوته ؛ ولاشك أنه كان يحس هو وأنصاره أنهم من القوة بحيث لا يجرؤ النبى على مهاجمتهم (سورة الأنفال ، الآية ٤٩) ؛

والظاهر أن النبى لم يعلم بالحملة التى كان يقودها أبو جهل حتى مساء اليوم السابق للمعركة حين

اعتقل بعض رجاله سقاء مكياً عند آبار بدر. وكان معسكر المكيين لايزال بعد بعيداً عن الأنظار خلف تل من التلال. وكان مثل هذا اللقاء الذى ساقته الصدفة خليقاً بأن ييسر على النبي أمر إقناع أنصاره بالقتال، ذلك أن الانسحاب فى مثل هذه الظروف كان أمراً يخدش الشرف. وفى صبيحة اليوم التالى بادر محمد صلى الله عليه وسلم بالاستيلا على الآبار، وملأها جميعاً بالرمال إلا البئر التى هى أقرب الآبار إلى العدو، وأقام عندها رجاله. وبذلك اضطر العدو إلى أن يقاتل فى سبيل مورد للماء يركن إليه، ولم يكن له فى ذلك اختيار. وكل ما يمكن أن يقال عن سير المعركة أنه كان ثمة مبارزات فردية أعقبها اشتباك عام بين الجيشين، وأما الشئ المحقق فهو أن المكيين نزلت بهم هزيمة فادحة، فقد قتل منهم نحوا من سبعين رجلا (من بينهم أبو جهل ونيف وعشرة من وجوههم) وأسر قرابة سبعين أسيراً أفتدوا بعد مبالغ كبيرة؛ ولم يقتل من المسلمين إلا خمسة عشر رجلا تقريباً.

وكان ذلك نكبة على المكيين، ولكنها لم تكن نكبة تعجزهم عن الحركة. صحيح أن فقد كثير من وجوههم كان خطيراً، ولكن فقدان هيبتهم ربما كان هو أفدح ما أصابهم. وكان استرداد هذه الهيبة يقتضيهم أن يثأروا من النبي، على حين أن ذلك كان بالنسبة للمسلمين تأييداً لإيمانهم أفاءه الله عليهم (سورة الأنفال، الآية: ١٧، ٤٣)، وقد اعتقدوا أنه تعالى قد أرسل ملائكته لنجدتهم (سورة الأنفال، الآية ٩، ١٢).

وقضى النبي وقتاً طويلا يدعو ربه فيستجيب الله له ويعده بالنصر (سورة الأنفال، الآية ٧، ٩) ويرى المسلمون فى ذلك عقاباً طالما أنذر به الكافرون. وثمة رأى محتمل (انظر *The Origin of Islam in its Christian Environment* : R. Bell، لندن سنة ١٩٢٦، ص ١١٨ وما بعدها؛ *Introduction to the Qor'an*، إدنبره سنة ١٩٥٣، ص ١٣٦–١٣٨) يقول إن كلمة «فُرْقان» إذا كانَ المقصود بها بدراً فإن معناها يكون «النجاة من العقاب» (الأنفال، الآية ٢٩، ٤٢)، وبذلك ثبّت الله المسلمين فى إيمانهم، ولكن ذلك أدى بهم إلى المبالغة فى شأنهم مما انتهى بهم إلى الوقوع فى أزمة روحية بعد النكسة التى أصيبوا بها فى أحد (سورة الأعراف، الآية ٦٦؛ قارن هذه الآية بالآية ٧٦): ومن يومها أصبحت مكانة النبي نفسه فى المدينة أقوى بكثير: وقد كان انتصار المسلمين الذى حفزهم إلى الوثوق بأنفسهم، والهيبة التى حققها لهم هذا النصر، عاملين كان يشق على الإسلام بغيرهما أن يتطور التطور الذى وقع له. وأصبح من شهدوا بدراً من المسلمين، ويقال لهم «البدريّون»، يعدون طبقة الأشراف ذوى الفضل، ويقال إنهم كانوا فى معظم ما ورد عن «ديوان» عمر الطبقة العليا بين المسلمين.

ونهض النبي بحملة ثانية على بدر فى شعبان أو ذى القعدة سنة ٤ هـ (يناير أو أبريل سنة ٦٢٦) تحقيقاً لوعد وعد به أبا سفيان عندما انسحب من أحد. وكان لدى محمد صلى الله عليه وسلم ولدى

المكيين قوات أكبر ، ولكن لم يحدث قتال بين الفريقين ، وإن كان المسلمون قد تاجروا كثيرا .

وقد ذكر بدراً الجغرافيون الذين كتبوا عن جزيرة العرب مثل ياقوت (ج ١ ، ص ٥٢٤) والبكرى (ص ١٤١) والمقدسى (ص ٨٢) والمسعودى (ص ٢٣٧) ؛ ودرس الرحالة بورخارت J. L. Burchardt موقع بدر على ضوء المعركة التى وعاها فى ذهنه (*Reisen in Arabien* ، سنة ١٨٣٠ ، ص ٦١٤ — ٦١٩) .

المصادر :

(١) المعركة : ابن هشام ، ص ٤٢٧—٥٣٩ .
(٢) الواقدى ، ترجمة ڤلهاوزن ، ص ٣٧—٩٠ .
(٣) الطبرى ، ج ١ ، ص ١٢٨١ — ١٣٥٩ .
(٤) Caetani : *Annali* ، ج ١ ، ص٤٧٢—٥١٨
(٥) Fr. Buhl : *Das Leben Muhammeds* ، ليپسك سنة ١٩٣٠ ، ص ٢٣٨ — ٢٤٥ . (٦) W. Montgomery Watt : *Muhammed at Medina* أوكسفورد سنة ١٩٥٦ ، ص ١٠—١٦ . (٧) M. Hamidullah : *The Battlefields of the Prophet Muhammad* ، ووكنغ سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ ، ص ١١—١٧ .

خورشيد [مونتگومرى وات W. Montgomery Watt]

« بدر » (پير) : يقدس أهل البنغال إلى جانب خواجا خِضْر قوة أخرى روحانية فى شخص پير بدر الذى يشاطر خواجا خضر فى السيطرة على الماء . ويطلب كل ملاح وكل صياد عون پير بدر عند قيامه بكل سفرة بحرية أو عند هبوب العاصفة عليه فى وسط البحر . والاعتقاد الشائع بين جمهور المسلمين أن بدرا يقطن بعض الوقت فى چتا گنگ . ومهما يكن الأمر فإن أخباره لا تفسر السبب الذى من أجله أضفيت عليه صفات إله البحر . ويزعم سدنة معبده أن پير بدر وصل إلى چتا گنگ سابحاً على صخرة منذ خمسمائة عام تقريباً ، وأخبر السكان أنه قطع هذا الطريق كله فوق هذا المركب العجيب من أكْياب لكى يرد نفوذ الإنس إلى البلاد المجاورة لچتا گنگ بعد أن سكنتها الجن والأرواح الشريرة وعذبوا أهلها .

ويقوم « درگاه » — أى معبد بدر الحالى — وسط چتا گنگ ، وهو يعتبر حرم المدينة . ويشرف على حراسته بعض « الفقراء » وهم يعنون عناية فائقة بنظافة المعبد وبغرف زواره . وقد حفرت فى أسوار المعبد عشرة محاريب فى كل منها قنديل يضاء طول الليل ، ويقصده الحجاج من جميع أنحاء البنغال للتبرك والاستشفاع به وأداء النذور له . ولا يقل تبجيل الصيادين من الهندوس للپير عن المسلمين . ويقوم «عُرْسه» — أى ذكرى وفاته — كل عام فى التاسع والعشرين من رمضان ؛ والراجح أن پير بدر ما هو إلا بدر الدين بدر العالم الذى سكن مدينة چتا گنگ عدة سنوات ، وتوفى عام ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ودفن فى معبد « چهتى درگاه » فى بهار .

أما الدعاء المألوف الذى يوجهه الملاحون لهذا الولى ساعة الخطر فهو : الله ، نبى ، پانچ پير بدر ، بدر ، بدر » . ولا نعدو الواقع إذا قلنا إن المسلمين أخذوا عن الهندوس القدماء الاعتقاد فى الأرواح الخالدة التى تسكن الماء وتبسط سلطانها عليه .

المصادر :

(١) Journal of the Asiatic Society ، الجزء الأول ، رقم ٣ ، ص ٣٠٢ ، عام ١٨٧٣ .

[محمد هدايت حسين]

+ بدر (پير) ، شيخ بدر الدين بدر العالم : ولى من الطريقة الجُنَيْدِيّة يبجله أهل بهار والبنغال، وقد اشتهر فى البنغال بأنه يشارك پانچ پير السُنار گاونى السيطرة على الأمواه ، ويرتل بحارة البنغال حين ينزلون البحر دعاء هو : « الله ، نبى ، پانچ پير بدر ، بدر ، بدر » . وكان پير بدر فى الأصل ينتمى إلى ميروت فى أوتّار پراديش ، وكان جده الأكبر شيخ فخر الدين زاهد المتوفى سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤م) قد أقام فيها قاعدة كبيرة للصوفية . وقد قتل محمد ابن تغلق (٧٢٥ — ٧٥٢ هـ = ١٣٢٥ — ١٣٥١ م) جده شيخ شهاب الدين حق — گو لانتقاده آراءه الدينية . وتلقى پير بدر الطريقة على أبيه فخر الدين الثانى وعلى الولى السهروردى جلال الدين بخارى . وقد دعاه شيخ شرف الدين يحيا إلى بهار ، ولكنه بلغها بعد وفاة شرف الدين سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) وتزوج بدر پير أول ماتزوج من أسرة هندوسية من بهار ثم أصهر إلى البيت الحاكم فى جونپور ، واستطاع فى أسفاره بشرقى البنغال أن يدخل عدداً كبيراً من البحارة الهندوس فى الإسلام ؛ وقد ساعد أيضاً على توطيد سلطان المسلمين فى سُنّار گاوَن ؛ وأقام بعض الوقت فى چتا گنگ حيث عدّت الخلوة (چلا) — التى أقامها فى الحى الغربى لبخشى بازار — حرمَ المدينة، ويؤمها البحارة الهندوس والمسلمون على السواء ؛ وتعد السيطرة على البحار والأنهار صفة روحية خاصة بأسرته . ويقال إن فخر الدين زاهد قد أنقذ صحبة من الناس من الغرق فى نهر يَمُنا ؛ ويروى أيضاً أن پير بدر بلغ چتا گنگ « سابحاً على صخرة » ؛

وتوفى پير بدر فى السابع والعشرين من رجب سنة ٨٤٤ (٢٢ ديسمبر سنة ١٤٤٠) فى بهار حيث يعرف ضريحه باسم « چهتى درگاه » ، ويعرف ضريح شرف الدين يحيا باسم « بَرِى درگاه » .

المصادر :

(١) عبد الحى : نزهة الخواطر ، حيدر آباد سنة ١٩٥١ ، جـ ٣ ، ص ٣٦ . (٢) عبيد الحق : تذكره أولياء بنغاله ، نوكهلى سنة ١٩٣١ ، ص ٦٤ — ٧٢ . (٣) Journ. of the Royal Asiatic Soc. of Bengal ، جـ ١ ، رقم ٣ ، سنة ١٨٧٣ ، ص ٣٠٢—٣٠٣ . (٤) وانظر عن أجداد المترجم له : محمد غوثى : گلزار (مجلة الجمعية الأسيوية بالبنغال، إيڤانوف، ٩٧، ص ١٤) . (٥) عبد الحق دهلوى : أخبار الأخيار ، دهلى سنة ١٨٩١ ،

ص ١٢٩ ؛ (٦) غلام معين الدين : معارج الأولياء مجموعة خاصة ، جـ ٢ ، ص ٥٣٦ .

خورشيد [نظامى K.A. Nizami]

+ « بَدْرَة » : بلدة فى العراق الشرقى الأوسط على خط طول ٤٣° ٥٣َ شرقاً وخط عرض ٣٣° ٧َ شمالا ، بالقرب من الحد الفارسى ، ويبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة جلهم شيعة مسلمون دماؤهم مزيج من العرب واللور . وهى مركز قضاء (يتبعه ناحية زُرْباطيَّة) فى لواء كُوت العمارة ؛ وإذا استثنينا حيا رسميا جديداً فإنه ليس فيها إلا دلائل قليلة على النمو الحديث، وطرقاتها ضيقة وبيوتها وضيعة وماؤها ملح ؛ أما حقول الحبوب وبساتين الفاكهة والبلح فمترامية الأطراف ، ولبلحها المسمى باسم « بيْدَرَايا » شهرة . والرى فيها يعتمد على نهر كلال النابع من بلاد فارس .

والبليدة فيها استمرار لبادرايا التى كانت قائمة فى القرون الوسطى (وبادرايا هى بيت درايا ، وهو اسم قبيلة) والتى يتردد ذكرها فى الكتب السريانية وعند الجغرافيين العرب . وكانت تقع هى وباكُسايا فى مركز بَنْدَنيجين شرقى مجموعة قنوات النهروان (انظر هذه المادة) وعلى حدود إقليم الجبال ؛ وكان نصيبها من النمو فى القرون الوسطى أكبر منه فى العصر الحديث ، فقد كانت تعد قاعدة للعرفان ومكاناً أسكن فيه كسرى أنوشروان الأول أسرى من شمالى الشام . وثمة آكام بالقرب من بدرة الحديثة وفى رحابها تمثل المدينة القديمة التى خربتها الفيضانات والطاعون أو الحرب .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه فى مواضع مختلفة . (٢) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٤٥٩ (٣) G. Hoffmann : *Auszuege aus syr. Akten pers. Maertyrer* ، ليبسك سنة ١٨٨٠ ، ص ٦٩ (٤) Nöldeke فى *Zeitschr der Deutsch. Morgenl Gesells.* ، سنة ١٨٧٩ ، ص ١٠١ (٥) الكاتب نفسه : *Gesch. d. Araber und Perser zur Zeit der Sasaniden* ، سنة ١٨٧٩ ، ص ٢٣٩ ؛ (٦) Le Strange ، ص ٢٦٣ ، ٨٠ (٧) E. Herzfeld فى *Memnon* ، سنة ١٩٠٧ ، ص ١٢٦ ، ١٤٠ (٨) عبد الرزاق الحسنى : العراق قديمه وحديثه، صيداء سنة ١٩٤٨ .

خورشيد [لونگرگ S. H. Longrigg]

« بدر الجَمالى » قائد أعلى من قواد الفاطميين ووزير من وزرائهم : كانت الدولة الفاطمية التى بلغت درجة كبيرة من الرقى على وشك السقوط فى عهد الخليفة الضعيف المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ — ١٠٩٤ م) ، فقد كان السلاجقة يزحفون قدماً على الشام والمماليك من الأتراك يقاتلون الجنود من السودان فى مصر ، وحل بالبلاد قحط دام سبعة أعوام واستنفد مواردها ، وقضت المنازعات على هيبة الحكومة وسلطانها ، وطاح الجوع والمرض بالناس ، وذهبت أعمال

التخريب والعنف بكل ما كان للدولة من ازدهار ، وخيل للناس أن هذه الدولة سيعصف بها الاضطراب والفوضى ، ولكن القائد الشآمى بدر الجمالى تولى قيادة الجند والإشراف على شئون الحكومة بدعوة من الخليفة ، فأعاد الأمن إلى نصابه بمجهود كبير لم يخل من صرامة ووحشية ، والحق إن الدولة الفاطمية دخلت بذلك فى طور جديد من أطوار عـــزها .

وكان بدر مملوكاً أرمنياً للأمير الشآمى جمال الدولة بن عمّار ، ولذلك عرف بالجمالى نسبة إليه . ولا بد أن يكون مولده فى بداية القرن الخامس الهجرى تقريباً ، لأنه عندما بلغته الوفاة عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) كان عمره نيفاً وثمانين عاماً . وذاعت شهرته فى الشام حتى قبل أن ينصب وزيراً للفاطميين ، وعين حاكماً لدمشق مرتين ، ولكن صرامته مع الجند الذين ألفوا الملاينة أوقعته فى المآزق ؛ وبعد ذلك أصبح كبير قواد عكا ، وكان عليه من ثم أن يحارب جند ملكشاه ، وكان له حرس خاص من الأرمن وكذلك كان الجند الذين تحت إمرته من المخلصين له . وسار بهم عند استدعاء الخليفة إياه عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) ليخلصه من أيدى العمال المستبدين من الأتراك ، ولم يدرك هؤلاء سر مجىء بدر الجمالى ووقعوا فى الفخ الذى نصب لهم وقتلوا جميعاً فى ليلة واحدة ، وهكذا أصبح بدر سيد الموقف ونصب أميراً للجيوش (ميرجُوش فى لغة العوام) وقاضياً للقضاة وداعياً للدعاة ووزيراً ، ولكن اللقب الأول كان ألصق الألقاب به ، ولا يزال جبل المقطم الذى يشرف على القاهرة يعرف بجبل الجيوشى ، وقد شيد بدر الجمالى على طنفه مشهداً يزعم العامة اليوم أن سيدى الجيوشى مدفون فيه ؛ وبعد أن أعاد الهدوء إلى العاصمة عمل على استتباب النظام شرق الدلتا ثم غربيها ، ولم يجد بداً من الاستيلاء على الإسكندرية عنوة ؛ وكان غزو الصعيد شاقاً أيضا لأن القبائل العربية فيه نادت باستقلالها ؛ ولم يكن توفيقه فى الشام كتوفيقه فى مصر ، فإن الأمور كانت مضطربة فيه ، وسقطت دمشق فى أيدى السلاجقة حوالى نهاية عام ٤٦٨ هـ (١٠٧٦م) ولم تُستعَد قط بعد ذلك : وفى العام التالى ظهر القائد السلجوقى أتسز أمام القاهرة نفسها ولكن بدراً كان عنده من الوقت ما سمح له بجمع قواته ورد السلاجقة على أعقابهم ؛ وبالرغم من محاولاته المتكررة فى السنوات ٤٧١ هـ (١٠٧٨ — ١٠٧٩) و٤٧٨ هـ (١٠٨٥ — ١٠٨٦ م) و٤٨٢ هـ (١٠٨٩ — ١٠٩٠ م) لم يوفق إلى استعادة دمشق والاستيلاء على الشام ؛ ولم يكن فى حوزة الفاطميين عند وفاته إلا مدن قليلة جنوبى الشام ، ومما أضعف نفوذه هناك هذه الثورات المستمرة التى كان الموعزَ بها واحد من أبنائه ؛

ولسنا نعرف عن جهده فى الحكم إلا القليل ؛ على أن المصادر كلها أجمعت على امتداحه ، وزاد دخل مصر من الضرائب فى أيامه من حوالى ٢,٠٠٠,٠٠٠ إلى حوالى ٣,٠٠٠,٠٠٠ دينار ؛ وساعدته هذه الموارد على الاستفادة من الدروس التى تعلمها من غزوة السلاجقة ، فحصن بدر

الجمالى القاهرة بسور ثان وبنى الأبواب الثلاثة المنيعة التى لا تزال محل إعجاب الناس إلى يومنا هذا وهى باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح .

وفى ربيع الأول من عام ٤٨٧ (مارس — أبريل ١٠١٤) ختمت حياته الموفقة الناشطة بعد أن أعد ابنه الأفضل شاهنشاه (انظر هذه المادة) كى يخلفه فى جميع مناصبه ، وبعد أشهر قلائل لحق به الخليفة المستنصر الذى مكث فى الحكم ستين عاما كاملة .

المصادر :

(١) المقريزى : الخطط ، جا ، ص ٣٨٠ وما بعدها (٢) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٦٤ (٣) ابن الأثير : الكامل ، ص ١٩ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٦٨ وما بعدها ، ١٥١ وما بعدها (٤) Max van Berchem: *L'Egypte Corpus Inscript Arab* رقم ٢ ، ص٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ص ٥١٦ ، ٥١٨ . وثبت المصادر المذكور هناك (٥) F. Wüstenfeld : *Geschichte der Fatimiden-Chalifen* ص ٣٦٤ وما بعدها (٦) St. Lane Poole : *History of Egypt* ص ١٥٠ وما بعدها (٧) Marçel : *Histoire de l'Egypte* ، عصر المستنصر (٨) Quatremère : *Mémoires sur l'Egypte* ج ٢ ، ٢ ، انظر الفهرس ، (٩) ابن القلانسى (١٠) ابن مُيسَّر (١١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، القاهرة ، ج٥ ، الفهرس (١٢) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة سنة ١٩٢٤ (١٣) جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، جا ، القاهرة سنة ١٩٥٨ ، الفهرس (١٤) Quatremère : *Mémoires sur l'Egypte* ج٢ ، الفهرس (١٥) K.M. Setton (المحرر): *A History of the Crusades* ، پنسلڤانيا سنة ١٩٥٥ ، ج ١ ، الفهرست (١٦) Wiet : *L'Egypte arabe* ، ج٤ من تاريخ الأمة المصرية لهانوتو ، من غير تاريخ ، ص ٢٤٥ — ٢٥٤ (١٧) الكاتب نفسه : *Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicorum, Egypte MIFAO* ، ج ٥٢ ، ص ١٣٢ — ١٥٨ (١٨) الكاتب نفسه : *Précis d'Histoire d'Egypte* ج٢ ، ص ١٨٦ — ١٨٨ .

[بيكر C.H. Becker]

« بدر بن حَسَنْوَيْه » أبو نجم ناصر الدين : أمير الكرد ، اعترف به عضد الدولة البويهى أميراً على كردستان عقب وفاة أبيه عام ٣٦٩ هـ (٩٧٩ — ٩٨٠ م) . ولما توفى عضد الدولة عام ٣٧٢ هـ (٩٨٣ م) تقرب بدر من فخر الدولة فأغضب ذلك منه شرف الدولة بن عضد الدولة ، ولم يكن منهما إلا الاحتكام إلى السيف . وفى عام ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) هزم بدر الجنود التى أنفذت لمحاربته بقيادة قراتكين وأخضع لسلطانه إقليم الجبال ، فغدا بذلك من أقوى أمراء ذلك العهد ومنحه الخليفة عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) لقب « ناصر الدين والدولة » .

وعندما تقدم العمر ببدر وقع فى خلاف مع ولده هلال حوالى عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) وتمكن هلال من أن يسجن والده ، ولما أطلق سراحه

استنصر بهاء الدولة البويهى، فأمده بفصائل من الجند بقيادة فخر الملك تمكن بفضلها من القبض على ولده واستعادة سلطانه . وبعد خمسة أعوام ، أى فى عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) ، قتله قومه . (وانظر مادة « حسنويه » ، بنو)

المصادر :

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ ، ص ٤٩٤ وما بعدها (٢) هلال الصابى : كتاب الوزراء ، طبعة أمدرور ، ص ٤٧٣ وما بعدها .

+ «بدرخانى» ثُرَيَّا (١٨٨٣ ــ ١٩٣٨) وجلادت (١٨٩٣ ــ ١٩٥١) ابنا أمير أمين على الابن الأكبر لبدرخان المتوفى سنة ١٨٦٨ ، وأمير بُهْتان (جزيرة ابن عمر) من أسرة عزيزان وهو الذى قاتل الأتراك فى سبيل استقلال كردستان (١٨٣٦ ــ ١٨٤٥) . وقد ولد هذان الابنان فى مَقْتَلَة من أعمال سورية ،وتوفى الأول فى پاريس، وتوفى الثانى بدمشق إثر حادث . وقد كرس كلاهما حياته للقضية الكردية الوطنية ، ثريا فى ميدان التنظيم والدعاية السياسية ، وصرف جلادت جل همه إلى الميدان الثقافى .

وقد حصل ريا على إجازة الهندسة الزراعية من جامعة إستانبول ، وبدأ حياة صاخبة تجلى فيها تاريخ النضال الوطنى لقومه . ففى سنة ١٩٠٤ أدين بتهمة التآمر على أمن تركية وأرسل به إلى السجن ، وقضى سنتين ونصف السنة فى السجن والمنفى . ولما حدث انقلاب حزب تركية الفتاة عاد إلى الآستانة وبدأ يصدر صحيفته «كردستان» بالكردية والتركية . وعطلت هذه الصحيفة سنة ١٩٠٩ وألقى به فى السجن مرة أخرى وحكم عليه بالإعدام لاشتراكه فى الإعداد لثورة مسلحة ، وصدر العفو عنه ، ونفى سنة ١٩١٠ . على أنه عاد إلى قصبة البلاد سنة ١٩١٢ حيث أسس جمعية ثورية كردية سرية . وحكم عليه بالإعدام وزج به فى السجن للمرة الثالثة . ثم استطاع الهرب وترك تركية آخر الأمر . وأثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٤ جدد نشر صحيفته فى القاهرة حيث أقام أيضا جمعية لاستقلال الأكراد كان لها أثر فى إبرام معاهدة سيفر سنة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ . وظلت هذه المعاهدة الديپلوماسية ــ التى تعرضت لقيام وضع كردى دولى ــ حبراً على ورق، فاستأنف ثريا نشاطه الثورى بعد توقيع معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ ، وفى سنة ١٩٢٧ انضم هو وأنصاره إلى عصبة القومية الكردية المسماة باسم « خَيبون » التى كانت قد قامت وشيكا . وعاد إلى سورية سنة ١٩٢٩ ، ولكنه منع سنة ١٩٣٠ ، أى فى السنة التى قامت فيها الثورة الكبرى على الأتراك ، من الإقامة فى الأراضى الواقعة تحت الانتداب الفرنسى ، وأجبر على أن يعيش منفيا عن وطنه فى پاريس حيث مثل عصبة خيبون . وإلى هذه الفترة ترجع تواريخ جملة وقائع منها المصالحة بين الكرد والأرمن ، وقد وجدت فيه هذه المصالحة عقلا مدبراً بارعا يصدر عن اقتناع . وصفوة القول أن أمير ثريا كان أول وطنى كردى يقود حملة تقوم على برنامج وحجج سياسية حديثة ، باللسان

والكتابة ؛ وقد اشتهرت له عدة كتيبات كتبها بلغات أجنبية مختلفة .

أما حياة جلادت العملية فكانت أقل أحداثاً من حياة ثريا ، وكان جلادت يحمل شهادة الأستاذية فى القانون من جامعة الآستانة وقد أكمل دراساته فى ميونخ . وفى سنة ١٩٢٧ انتخب رئيسا لعصبة خيبون . وشارك سنة ١٩٣٠ فى محاولة القيام بفتنة كردية فى وجه تركية ، وكان قد قدم إليها مع حاجو أغا . ولما فشلت هذه المحاولة استقر فى دمشق ، وهناك انصرف إلى العمل الأدبى ، وأخذ يصدر من ١٥ مايو سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٥ ، ثم من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٣ جريدته « هوار » (أى النداءات) بالفرنسية والكردية ؛ (استحدث جلادت أبجدية كردية بالحروف اللاتينية وبدأ جهده فى توحيد الكردية الكُرْمانجية) . وقد أسهمت هذه المجلة علاوة على ذلك فى بعث الأدب الشعبى وسعت إلى التوفيق بين زعماء القبائل ورجال الأدب ، وكان زعماء القبائل ينظرون إليهم بعين الشك ، وأعدت مادة تربوية ، ونشرت كتيبات (فى الهجاء وكتباً فى القراءة وكتباً فى الدين بلغ مجموع ما ظهر منها جميعاً اثنى عشر كتاباً) . وقد نشر جلادت فى الحرب الأخيرة أيضا مجلة « رُناهى » أى « النور » .

المصادر :

(١) ملحظ فى الترجمة الذاتية لأمير ثريا (٢) *The Emir Jaladet Aali* : W. G. Elphinston فى *RCAS* ، سنة ٩١—٩٣ م . (٣) *Bedr Khan* شليطه ، و ى : ملك : ذكرى الأمير جلادت بدر خان (١٨٩٧ — ١٩٥١) من غير ترقيم ولا تاريخ (٤) *Les Kurdes de Syrie* : P. Rondot فى *France Mediterranée et Africaine* ، جـ ١ ، ص ١٩٣٩ (٥) شرف نامه ، طبعة القاهرة ، ص ١٥٦ — ١٩١ (٦) محمد أمين زكى : تاريخ الدول والإمارات الكردية ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ، ص ٣٦٣ — ٣٦٦ (٧) *Les Kurdes* : Nikitine ، هاتين المادتين .

[نيكيتين B. Nikitine]

+ « بدر الخَرْشَنى » : أمير يرجح أنه من أهل خَرْشَنَة فى كپادوكيا ، ويعرف أحياناً بنسبة ربما كانت أسطورية ، هى بدر بن عمّار الأسدى : حاجب الخليفة القاهر وصاحب الحظوة لدى الراضى ، وقد اتبع أمير الأمراء ابن رائق (انظر هذه المادة ؛ وانظر *Histoire de la* : Canard *dynastie des Hamdanides* ، الجزائر سنة ١٩٥١ ، ص ٤١١ —٤٢٤) . ولما وُلّى ابن رائق على الجزيرة والشام وفلسطين ، أصبح بدر نائبه ، ووُلّى على جند الأردن وجعل مقره فى طبرية فى أوائل سنة ٣٢٨ هـ (نهاية سنة ٩٣٩ م) . وحوالى هذا الوقت مدحه المتنبى (انظر هذه المادة) . وأثناء الصراع بين ابن رائق وأمير الموصل الحمدانى ناصر الدولة ، عاد بدر هو أيضاً إلى العراق ، ونال الحظوة مدة قصيرة لدى الخليفة المتقى ، ولكنه اضطر إلى الالتجاء إلى الفسطاط فى مصر عند محمد الإخشيدى (انظر هذه المادة) .

وتوفى بدر هناك فى نهاية سنة ٣٣٠ ﻫ (٩٤٢ م).

المصادر:

(١) ابن الأثير: الكامل، القاهرة سنة ١٣٠١ﻫ، ص ١١٩، ١٣٩؛ (٢) مسكويه: تجارب الأمم، سلسلة گب التذكارية، جـ٥، ص٨٤، ٤٠٥، ٥٠٩. (٣) R. Blachère: *Une Poète arabe du IVe / Xe siècle, Abou l-Tayyib Al-Motanabbi* باريس سنة ١٩٣٥، ص ٩٥ — ١٠٥.

خورشيد [بلاشير R. Blachère]

«بدر الدولة» سليمان بن عبد الجبار الأرتقى: حكم مدينة حلب نيابة عن عمه إيلغازى وظل هذا شأنه بعد وفاة إيلغازى عام ٥١٦ ﻫ (١١٢٢ م) ولكنه اضطر إلى الاعتزال بعيد ذلك عندما سلم فى العام التالى حصن الأثارب للفرنج (الصليبيين) وتقدم ابن أخيه الباسل بَلَك بن بهرام يريد حلب. ولما ملك زنكى مدينة حلب كره سكانها عامله قتلغ أبا (أبه) واستدعوا سليمان مرة أخرى عام ٥٢٢ ﻫ (١١٢٦ م) فحاصر سليمان قتلغ أبه الذى استطاع أن يصمد للحصار فى قلعة المدينة إلى أن أمده زنكى بالجند. وحاول الصليبيون استغلال هذه الحوادث واحتلال المدينة ولكنهم فشلوا. واستدعى زنكى كلا من سليمان وقتلغ أبه إلى الموصل وأصلح ما بينهما ولكنه لم يسمح لواحد منهما بالعودة إلى حلب (وانظر مادة «أرتق، بنو»).

المصادر:

(١) ابن الأثير، طبعة تورنبرغ، جـ ١٠، ص ٤١٨ وما بعدها.

«بدر الدين»: لقب من ألقاب لؤلؤ (انظر هذه المادة).

+ «بدر الدين» بن قاضى سماونا: (انظر مادة «ابن قاضى سماونه»).

«بَدْرى» وتكتب فى اللغات الأوروبية «Padrics» أو «Padaries» وكذلك Pedaries: هو الاسم الذى أطلق فى المؤلفات الهولندية على أولئك القوم الذين أرادوا أن يدخلوا إصلاحات فى الإسلام بالقوة فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر بمدينة «مينانغكاباو» فى أواسط سومطرة.

ويمكننا أن نقول فى تفسير هذا الاسم إن رأيا ذهب إلى أن كلمة «بدرى» لها صلة بكلمة «بدير Pedir» وهى اسم ميناء فى الشاطئ الشمالى لجزيرة سومطرة. ويذهب رأى آخر إلى أنها تطابق كلمة «بدرى Padri» المستعملة فى كثير من لغات إندونيسيا بمعنى الراهب النصرانى سواء أكان من الروم الكاثوليك أم من البروتستانت. ولسنا نستطيع تأييد الرأى الأول ولكنا نرجح صحة

الرأى الثانى : وربما كان منشؤه أن أهل الملايو عندما سألهم الهولنديون عن الفتن أرادوا أن يتواءموا مع مستوى السائلين فى اللغة [حتى يتم التفاهم بينهم] فعبروا عن قادة الحركة باسم «پدرى» لشدة عنايتهم بالحياة الدينية : وليس هذا بالأمر الذى لا نظير له فيما جرى بين الهولنديين وأهل تلك البلاد : ومن ثم استعمل الهولنديون هذه الكلمة واحتفظوا بها : ونجدها أحياناً فى بعض المصادر المحلية مرسومة « پيدَرى » Pidari .

أما الاسم الذى اعتاد أهل تلك البلاد إطلاقه على أولئك المصلحين فهو « أورنگ پوتيه » ، ومعناه الرجال البيض ، وهى تسمية يطلقها أهل إندونيسيا على أولئك الذين يعنون عناية فائقة بإقامة شعائر الدين ويتميزون عن سائر الناس بردائهم الأبيض (*Indische Gids* : van Ronkel ، سنة ١٩١٥ ، ص ٢ ، ص ١١٠٣) وقد نعتت التقارير الرسمية والمصنفات الاستعمارية الهولندية أولئك الذين لم ينضموا إلى طائفة البدرى باسم الملايو ، وهذه تسمية خاطئة لأن البدرى أنفسهم من الملايو وهم ومخالفوهم من أصل واحد . وخير ما سمى به مخالفو البدرى ، وهم أولئك الذين استمسكوا بالعادات القديمة هو اسم « حزب أدت » وهو حزب كان يجتهد فى كل مناسبة فى أن يتبع فى عمله عادات السلف .

وكان الملايو من أهل منانغكاباو يقطنون المرتفعات القائمة فى أواسط سومطرة بين خطى عرض ½° شمالا و ½° جنوبى خط الاستواء :

ومن هذه البقاع الجبلية انتشروا ناحية الشرق مخترقين المرتفعات التى تفصل بين الإقليم الجبلى وبين الأراضى المنخفضة الموجودة فى شرقى جزيرة سومطرة : وانتشروا نحو الغرب حتى وصلوا إلى شاطئ المحيط الهندى حيث توجد ثغور عدة تربط سومطرة بالعالم الخارجى .

ويفترض بوجه عام أن الإسلام دخل البلاد من « آشى » ، وكان لأهلها عدة مراكز على الشاطئ عندما تأسست هناك الشركات التجارية الهولندية والبريطانية .

وقد توطدت أقدام الإسلام فى تلك البلاد عندما بدأت حركة البدرى ، وكانت الحماسة للدين يتأجج أوارها فى بعض الدوائر على الأقل . وفى سنة ١٧٨٥ م هبط من الجبال زعيم دينى معه عدة آلاف من أتباعه ومريديه لكى يختنوا نصارى ثغر « پادنغ » أهم ممتلكات الهولنديين فى ذلك الوقت ، ولكى يكرهوهم على اعتناق الإسلام (*Tuedschrift van het Bataviaasch Genootschap van Kunsten en Wetenschappen* ، ص ٥٥) .

ويسعى أهل منانغكاباو إلى أن يجمعوا بين عقيدتهم الإسلامية القوية وبين احتفاظهم إلى مدى كبير بنظمهم الأهلية . ومازال حكم الأمهات يسود بينهم : ويدير شئون القرية عندهم كبار رؤساء الأسر وما يسمونه « السوكو » وهو اجتماع الأسر المختلفة الأرومة فى مجلس عام . وحكومتهم جمهورية وهم يطرحون كل أمر له خطر ما على الأسر الكبيرة كلها ورؤسائها وغيرهم من أهل الصدارة ويسمون

ذلك « موابكه » وهى تطابق الكلمة العربية «موافقة»؛ وعملهم هذا متعب ويستغرق كبير وقت، ولم يلحظ فى الأخذ بهذا النظام ما تحتاجه الأمور المستعجلة من سرعة البت فيها . وبديهى أن جماعة يقوم نظامها على مثل هذه الأسس تكون بالطبع ضعيفة إزاء الهجمات العنيفة القوية .

وقد عاد من الحجاز فى أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منانغكاباو بعد أن أدوا فريضة الحج ورأوا الحكم الوهابى فى مكة بعد سنة ١٨٠٦ م ، فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين وتشددهم؛ ولما عادوا إلى بلادهم أخذوا يطهرون الدين مما علق به ، واستطاعوا أن يجتذبوا إلى صفهم واحداً من كبار علماء الدين فى المنطقة الوسطى من إقليم أكام هو توانكو نان رنتجه ، وتوانكو لقب يلقب به علماء الدين . ونشط هذا العالم إلى الدعوة فى الحال ، وكان أول ما نادى به وجوب التقيد بأحكام الشريعة وبخاصة فى الشعائر الدينية ، وهاجم ما تعارف عليه الناس من العادات التى كان يراها مخالفة للشريعة ، مثل قتال الديكة والمراهنة عليها ، وتلك تسلية كانت شائعة بين الناس ، وكذلك لعب النرد ، وشرب نبيذ البلح وتدخين الأفيون ومضغ التانبول وبرد الأسنان وإطالة الأظافر والتدخين ؛ وتشدد فى المطالبة بتحريم الربا . وطلب إلى الرجال أن يقصوا شعر رءوسهم وأن يعفوا لحاهم ، وأن يلبسوا ملابس بيضاء عربية الزى . وطلب إلى النساء أن يتحجبن . وكانت خاتمة المطاف أن وجه البلرى ضربة قاضية إلى نظام حكم الأمهات بأن جعلوا نساءهم يأوين معهم إلى منازلهن (de Stuérs ج ١ ، ص ١٨٣ ، هامش ٣) .

والدعوة إلى إبطال التدخين أخذوها عن الوهابيين مباشرة ، أما بقية الأوامر والنواهى الأخرى فهى جميعاً مما نجده فى المذهب الشافعى . ويظهر من مسلك توانكو نان رنتجه أنه لم يكن يرى إلى تقرير مذهب الوهابية . وكان يعيش فى أكام أيضاً معلم قوى النفوذ يبجله الناس كل التبجيل هو توانكو كوته توه ، كان شيخاً لطريقة صوفية ، غير أننا لا نعرف إلى أى الطرق كان ينتسب . وكانت النزعة إلى التصوف منتشرة بين الناس فى منانغكاباو ، فاتجه توانكو نان رنتجه إلى توانكو كوته توه لا ليخاصمه وإنما ليلتمس التعاون معه . واتفقا معاً على الدعوة إلى وجوب التقيد بأحكام الشريعة فى دقة ، غير أنه لما ألح توانكو نان رنتجه فى أن يعتبر تارك الصلاة مرتداً وأنه ينبغى أن يعاقب بالحد ، أبدى توانكو كوته توه رأياً أقرب إلى الرحمة بأن قرر أن المرتد لا ينبغى معاقبته بالحد إلا إذا فشلت جميع الجهود فى هدايته إلى الإيمان الصحيح ، وتلك مسألة لم تكن موجودة من قبل ولم يكن يتوقعها أحد . واتخذ توانكو نان رنتجه الخطة التى اختارها لنفسه واتبع عادة أهل منانغكاباو بأن دعا إلى اجتماع ليقره على آرائه . فوافق عليها علماء الدين فى حماسة ، غير أن الزعماء عارضوها لأنهم أدركوا لأول وهلة أن مطالب البلرى تهاجم موقفهم وأنها ستقلب النظام الاجتماعى فى جملته . وواصل توانكو نان رنتجه

خطواته قدما نحو الغاية التي رسمها . وطعن بيده خالته عند ما وجدها تدخن ، وألقى بجثتها فى الغابة دون أن يسمح بمواراتها التراب . وكان لعمله هذا أثر بالغ أثنى عليه أتباعه وانكمش منه خصومه المجاهرون منهم والمستترون . وإن رجلا يعمل عملا كهذا لم يسبقه إليه أحد دون أن يعبأ بروابط الدم لا بد وأن يكون صادراً فى عمله هذا عن دافع روحى شديد ، ولم يفسر عمله على أنه قسوة بل فسر على أنه تضحية، فخطا الإصلاح إلى الأمام فى حماسة مشوبة بالتعصب . وكان على كل من ترك الصلاة مرة أن يغرم مبلغاً من المال فإذا تركها مرة ثانية وجب عليه الحد ، وأكره خصوم توانكو نان رنتجه على الخضوع بالقوة وأحرقت قراهم ، وسفكت دماؤهم أو اتخذوهم رقيقاً . وكانوا إذا ترفقوا بهم اكتفوا بتغريمهم .

وسرعان ما أصبح الجانب الأكبر من أگام ومن إقليم توانكو كوته توه فى قبضة توانكوتان رنتجه . وكانت بعض القرى قد خضعت للضغط واتبعت تعاليم توانكوكوته توه فأحرقوها بعد أن أعملوا فيها النهب . وتجاوزت أعمال أتباع توانكونان رنتجه المدى الذى كان يرمى إليه فتنحى عن العمل بعد نحو ثمانية أعوام . ولم يضع نفسه على رأس الحركة من جديد إلا بعد ذلك بوقت ، حين دخلت البلاد الجيوش الهولندية ، وتوفى فى سنة ١٨٣٢ م .

وكان توانكو نان رنتجه يتبع النظام الآتى : عند استيلائه على قرية من القرى يعين من قبله عليها إماماً وقاضياً (كالى) . أما الإمام فهو شيخ المسجد ويدير الشئون الدينية كلها . واختصاص القاضى غير واضح تمام الوضوح . وعلى أية حال فإن هذا النظام كان ثورة على النظم المألوفة ، فقد كانت المناصب وراثية بحكم القانون الدستورى مع شىء من القيود ، وكان لا بد من موافقة الزعماء (مواپكه) على القرارات الهامة كما ذكرنا من قبل .

وكان هناك عالم آخر هو توانكو پاسمان — ويسمى أيضاً توانكو لنتاو — وكان ميدان نشاطه فى الجنوب الشرقى من إقليم لنتاو، كان أقل شهرة من توانكو نان رنتجه ، ومع هذا فلم يخضع بأية حال لتعصبه العنيف . وسرعان ما قويت شوكته فدخل إقليم تانه داتر المجاور لإقليمه ، وكان أحفاد بيت منانغكاباو المالك يعيشون هناك وقد ذبل مجدهم القديم العظيم . وكان توانكو لنتاو يقدر أنهم لو أحسنوا الحكم لاستعادوا مجدهم الغابر وقوى سلطانهم من جديد، فأعمل فيهم القتل ولم ينج منهم إلا واحد نجا بنفسه وتجاوز الحدود ، ثم أخذ يقتل الناس ويدمر القرى حتى خضعت له البلاد جميعاً .

وظهرت جهود البدرى فى ناحية ثالثة هى ألاهانپاد جنگ فى الشمال ، ظهرت فيها حركتهم فى الوقت نفسه الذى ظهرت فيه فى أگام ولنتاو ، وسرعان ما ظهر هناك رجل اشتهر فيما بعد بالاسم الذى أطلق عليه آخر الأمر وهو « توانكو إمام » ، كان فى أول أمره مرشداً للحركة ثم أصبح زعيما لها.

وبين أيدينا كتاب مالوى عن حياة هذا الرجل الخطير وعن أعماله ، وتلك حالة لا مثيل لها . فقد اكتشف منذ عهد قريب كتاب مالوى عن تاريخ حياته كتبه واحد من أبنائه ، ونشر هذا الكتاب (انظر Ronkel : *Indische Gids*، سنة ١٩١٥) .

بدأ الپدرى فى ألاهانپاد جنگك بأن بنوا قلعة سموها بُنجول، كانوا يتقيدون فيها بحدود الشريعة أشد تقيد ، وكانت مركز قوتهم وسلطانهم يبعثون منها الحملات إلى كل النواحى ، وكان العاطفون على مذهبهم يدعونهم إليهم ، فكانوا يذهبون إلى القرية من القرى فيخضعونها ثم يجعلون عليها قاضياً وإماماً كما كان يفعل توانكو نان رنتجه ثم يعودون إلى بُنجول مثقلين بالغنائم .

ويقص علينا كتاب سيرة توانكو إمام أن الحملات كانت ترسل وبين الواحدة والأخرى فترة تقرب من عام . وكان هذا هو العهد الذى ارتفع فيه توانكو إمام إلى الإمامة ، «كان إماماً فى كل شىء : إماماً فى الدين ، وإماماً فى كل الأمور التى تحتاج إلى فهم وذكاء ، حتى أن كل الخصومات وجميع المشاجرات كان يرفع أمرها إليه » . وأوفد إلى مكة أربعة رجال ضماناً لنقاء العقيدة . وبقوا هناك وقتاً طويلا ، ثم عادوا أشد تزمتاً مما كانوا . وإلى ذلك العهد لم تكن الصلات الروحية المنظمة قد اتصلت بمكة بعد ، وكان الحجاج قليلى العدد .

وما إن تغلب الپدرى على المدافعين عن «أدت» (أى حكم العادة) أو أجلوهم حتى أراد هؤلاء أن يورطوا الإنكليز فى أمرهم، وكانوا قد احتلوا پدنك فى سنة ١٧٩٥ م . ولكن الإنكليز لم يمدوا لهم يداً ؛ وظل حال الإنكليز على ذلك حتى سنة ١٨١٨م، وهنالك أقام السير ستامفورد رفلز Stamford Raffles نقطا عسكرية فى الجهات المرتفعة، ولكن حاميتها كانت ضعيفة لا تقوى على شىء ، وهاجمها الپدرى غير أنهم لم يوفقوا .

وفى سنة ١٨١٩ م سلمت پدانغ من جديد للهولنديين فاحتفظوا بها وزادوا فى قوتها . واستؤنف القتال فى سنة ١٨٢٢ م ، وظل غير متصل نحو خمسة عشر عاماً ، وكانت جيوش حكومة المستعمرات الهولندية أكثر تفوقاً فى القتال من جنود أهل البلاد بوجه عام ، غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمتها من وقت إلى آخر .

وفى سنة ١٨٣٢ م وقفت جهود الپدرى وسلم توانكو إمام الذى كان حتى ذلك الوقت مقيما فى قلعة بُنجول ، غير أنه أخذ يدبر فى الخفاء ثورة اشتعل لهيبها فى أوائل سنة ١٨٢٣ ، وكاد يقضى على كتائب حكومة المستعمرات الهولندية التى كانت مشتتة فى البلاد كلها . وظهر فى الحال أن أعضاء الحزب الذين دعوا الأجانب إلى الدخول فى البلاد كانوا من جانب الپدرى ؛ وقد بين المؤرخون أن مما ساعد على الوقوع فى تلك النتيجة السيئة الأخطاء التى حدثت فى خطط القواد العسكريين ومسلك الضباط والجنود الذى لم يكن دائماً بالمسلك اللائق ؛ ولا نزاع فى صدق هذا الأمر ، غير أنه ينبغى لبيان السبب فى انقلاب

بعض الملاويين أن نشير إلى أن الأحكام الصارمة التي وضعها البدرى المتقدمون قد أصبحت على مر الزمن أقل صرامة .

وقد أضعفت الخصومات الداخلية من حركة البدرى . وكان خلفاء توانكونان رنجيه قد هاجموا في وقت من الأوقات توانكو كوته توه ولكنه رفع إلى مصاف الأولياء سنة ١٨٢٧ بعد وفاته بزمن قصير . وأخذ البدرى ومخالفوهم يحجون إلى ضريحه . ولما جاءت الجيوش الهولندية إلى البلاد كف البدرى عن معاملة مواطنيهم في عنف واستبداد ، فازدادت شهرتهم . وقد ورد في كتاب تاريخ حياة توانكو إمام صاحب بنجول التي كانت معقل التطرف : أن البلاد كانت تحكم حسب الشريعة ، وكان زعماء القبائل يعتمدون عليها ، وإذا نشب خلاف عرض أمره على قضاة المذاهب الأربعة ، أما المسائل التي تدخل في حكم القانون العام فكان يترك أمر الحكم فيها للزعماء . وبعد هذا الوقت بقليل طلب توانكو إمام إلى ابنه أن يعترف بسلطان القانون العام وأن يخلص ما استطاع في اتباع العادة (أدت) .

وكان البدرى خلال فترات التوقف في حصار بنجول يتبادلون مع الجنود الطباق وازدادت أواصر القربى بين البدرى ومخالفيهم ، وعند ما دعا البدرى مواطنيهم إلى قتال الكفار وجدت دعوتهم صدى في دوائر واسعة .

ولما نشبت الفتنة اتخذت كتائب المستعمرات خطة الهجوم وأخذ الفاتحون يبسطون سلطانهم بالقوة تدريجا ، ولم يقف موقف المقاومة إلا البدرى أصحاب بنجول ومنهم كان يتألف حزب الحرب ، وكان ينضم إليهم كل من شاطرهم رأيهم . ولما دمرت القلعة سنة ١٨٣٧ م ، قضى على حركة البدرى وسلم توانكو إمام ، ثم نفى من البلاد .

ولم تتحقق الغاية التي جعلها البدرى في الأصل نصب عيونهم . وما زال نظام حكم الأمهات باقياً إلى اليوم . وإذا كانت الحركة قد أثرت في شيء ما فقد كان ذلك في ناحية مراعاة الشعائر الدينية بوجه خاص مراعاة دقيقة . ولسنا نستطيع أن نحدد ذلك الأمر تحديداً دقيقاً جداً ، كما أننا لانعرف شيئاً عن حالة البلاد قبل قيام حركة البدرى ، ومن الصعب أن تمر حركة كهذه دون أن يكون لها أثر ما .

المصادر :

(١) *De Secte der Padaries in de Padangsche bovenlanden* ‹ *Magazijn* ، ١٨٤٤ ، جـ ٢ ، ص ٢١ وما بعدها (٢) Ph. S. van. Ronkel : *Inlandsche getuigenissen aangaande den Padrioorlog* في *Indische Gids* ، سنة ١٩١٥ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٩ وما بعدها (٣) انظر تاريخ الحروب في H. M. Lange : *Het Nederlandsch Oost-Indisch leger ter Westkust van Sumatra* (١٨١٩ — ١٨٤٥) في مجلدين (٤) انظر عن السياسة والحرب H.J.J.L. de Stuers : *De vestiging en uitbreiding der Nederlanders ter Westkust van Sumatra* في مجلدين ، أمستردام سنة ١٨٤٩ — ١٨٥٠ (٥) E.B. Kielstra : *Sumatra's*

Westkust سنة ١٨١٩ — ١٨٢٥ فى Bijdragen tot de Taal-, Land-en Volkenkunde van Ned-Indie ، المجموعة الخامسة ، جـ ٢ ، ص ٧ ؛ ١٨٢٦ — ١٨٣٢ ، المجموعة الخامسة ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ ؛ ١٨٣٣—١٨٣٥ ، جـ ٤، ص ١٦١ ، ٣١٣ ، ٤٦٧ ؛ ١٨٣٦ — ١٨٤٠ ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ ، ٢٦٣ ؛

[كرن R.A. Kern]

«بِدْرِى» : هى سلعة، وهى تقوم على صناعة تطعيم المعادن ، وقد اشتقت من بيدر (انظر هذه المادة) التى يقال إن هذه السلعة تصنع منها ، والبدرى تصنع من مركب النحاس والخارصين وتختلف نسبة كل منهما للآخر باختلاف الأماكن التى تصنع فيها . وقد يضاف إليهما أحياناً مسحوق القصدير أو الرصاص أو مسحوق الصلب ويغطى السطح بالفضة أو الذهب ثم تطلى وتدهن بملح النوشادر وملح البارود وغيرهما حتى تأخذ اللون الأخضر القاتم أو الأسود . وترسم النقوش عادة على شكل الأزهار وأقدمها وأحبها هى زهرة الخشخاش .

وأهم مراكز صناعة البدرى هى : بيدر ، ويُرْنيه ، ولكنهو ، ودكا ، ومرشد آباد . وجل الذين يشتغلون بهذه الصناعة فى المدن الثلاث الأخيرة مسلمون .

المصادر :

(١) Benjamin Heyne : An Account of the Biddery ware in India ، المجلة الأسيوية جـ ٣، عام ١٨١٧ ، ص ٢٢٠ وما بعدها (٢) George Smith : Description of the Manufacture of Biddery ware (Madras Journ. of Litterature and Science جـ ١٧ ، عام ١٨٥٧ ، ص ٨١—٨٤) (٣) Sir George Birwood : Industrial arts of India (٤) T. N. Mukharji : Bidri-Ware فى Journ. of Indian Art عام ١٨٨٥ ، رقم ٦ (٥) Sir George Watt : Indian art at Delhi عام ١٩٠٣ ، لندن سنة ١٩٠٤ ، ص ٤٦ — ٤٩ .

«بِدْعة» : هى الفعلة المخالفة للسنة (انظر مادة «سُنَّة») وكل شىء أو نظر أو فعل لم يكن له وجود أو استعمال سابق فهو بدعة . والبدعة اصطلاح فقهى أصبح يطلق على كل مخالفة لاتباع سنة النبى ، وأصبحت تدل عادة على الآراء والعادات المستحدثة التى نشأت من تلقاء نفسها فى الجماعة الإسلامية وعلى البدع المتصلة بالعقائد المخالفة لأصول الدين وعلى أساليب الحياة التى تخالف حياة النبى . وعلى ذلك أصبح لفظ «بدعة» يطلق على النظر الشخصى والاستقلال فى الرأى اللذين يذهبان إلى حد الزندقة ولا يصلان إلى درجة الكفر . كما أن لكلمة «بدعة» مدلولا حديثاً هو المخالفة للرأى العام (انظر Dozy و Badger) .

وتطور مدلول كلمة «بدعة» وانقسم الناس حياله إلى فريقين ، الأول محافظ والآخر مجدد : وكان أتباع الفريق المحافظ أول الأمر الحنابلة

بنوع خاص ، ويمثلهم الآن الوهابيون ، وهذا الفريق آخذ فى الزوال ، ويذهب هذا الفريق إلى أنه يجب على المؤمن أن يأخذ بالاتّباع (اتّباع السنة) وأن يرفض الابتداع .

والفريق الآخر يسلم بتغير البيئة والأحوال ، وهم يميزون درجات وأنواعاً مختلفة من البدع ، ومنها بدع مفيدة بل ضرورية . ويذهب الشافعى إلى أن كل مستحدث يخالف القرآن أو السنة أو الأثر هو بدعة تؤدى إلى الضلال ، أما البدعة الحسنة التى لا تتعارض والأصول ، فهى بدعة ممدوحة . وهناك تصنيف دقيق يفرق البدع على أحكام الفقه الخمسة . والبدع التى هى فرض كفاية على الجماعة الإسلامية : دراسة فقه اللغة العربية توصلا إلى فهم القرآن ... إلخ ، والأخذ بشهادة العدول أو رفضها ، وتمييز الحديث الصحيح من غيره ، وترتيب أحكام الفقه والرد على الزنادقة . ومذاهب الزنادقة المخالفة للسنة حرام ، وإنشاء الرباطات والمدارس وأشباهها من البدع المندوبة ، وتزيين المساجد وتوشية المصاحف من البدع المكروهة . ومن أمثلة البدع المباحة الإنفاق على المآكل والمشارب وغيرها .

ويجمل بنا أن نختم هذه المادة بالتمييز بين البدعة والكفر ، فالبدعة ما هى إلا شبهة نشأت من البحث وراء الحقيقة . أما الكفر فهو معاندة .

المصادر :

(١) Goldziher : *Mohammedanische Studien* جـ ٢ ، ص ٢٢ وما بعدها . (٢) الكاتب نفسه : *Vorlesungen über den Islam* (انظر الفهرس مادتى « بدعة » و « مبتدع ») . (٣) وانظر أيضاً : Macdonald : *Development of Muslim Theology* بدعة ومبتدع فى الفهارس .

[ماكدونالد D.B. Macdonald]

+ بدعة : معتقد أو فعل ليس له سابقة من عهد النبى . وهى ضد السُّنة ومرادفة للمُحْدَث والحدَث . وعلى حين أن بعض المسلمين يشعرون بأن كل بدعة خطأ بالضرورة ، فإن من الواضح أن بعض المجال يجب أن يفسح لتغير الظروف ، ومن ثم قام التفريق بين البدعة الحسنة أو البدعة المحمودة ، وبين البدعة السيئة أو المذمومة . وقد وضع الإمام الشافعى المبدأ القاضى بأن أية بدعة تخالف القرآن أو السنة أو الإجماع أو الأثر هى بدعة خاطئة ، على أن أى شئ حسن مستحدث غير مخالف لهذه الأصول ممدوح . وعلى هذا تندرج البدع تحت خمسة أحكام فى الشريعة الإسلامية . وتدخل فى فرض الكفاية بدع مثل دراسة النحو والبلاغة وغيرهما ، وهى بدع يقوم عليها فهم القرآن والسنة والجرح والتعديل وتمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة وجمع الشرائع وإنكار الفرق المتزندقة .

وتشمل البدع المحرّمة أقوال أولئك الذين يعارضون اتباع السنة والعقائد المقررة للجماعة .

ومن البدع المندوبة إقامة منشآت من قبيل الملاجئ والمدارس .

وأما البدع المكروهة فتشمل تزيين المساجد وتوشية نسخ القرآن .

ومن البدع المباحة الاستمتاع من غير حرج بطيبات المأكل والمشرب والملبس .

ويفرّق بين البدعة والزندقة ، وهى إذا شملت أموراً استحدثت بالمخالفة لما أثر عن النبى ، قيل إن ذلك لم يقع لأى غرض يخرج على النبى وإنما نشأ نتيجة لضرب من اللبس . ويعرف المبتدعون باسم « أهل البدعة» أو « أهل الأهواء » . ويتضمن ذلك أن المبتدع هو الذى يستحدث شيئاً يعتمد على مبدأ لا سند له من أركان الإسلام المعترف بها ، وقد أدى إنكار البدعة ببعض المسلمين فى العصور القريبة إلى إنكار التدخين وشرب القهوة بل المخترعات العلمية الحديثة . على أن المخترعات الحديثة تستخدم بلاحرج بين الوهابيين ، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتاً . والحق إن اقتصاد دولة العربية السعودية الحالية معتمد فى جوهره على البترول الذى لايمكن استخراجه إلا بالمخترعات الحديثة

ويمكن أن تتناول البدعة على مستوى القياس (انظر هذه المادة) ، وكما أن القياس فى جيل من الأجيال قد يدخل فيما قد يعده جيل متأخر إجماعاً ، فكذلك البدعة سواء بسواء . ومن ثم فإن التفريق بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة مبدأ لا معدى عنه . وإنما الناس أصحاب الطبائع المغالية فى المحافظة الذين يعيشون فى عالم من صنع أفكارهم هم الذين يصرون على أن سنة النبى وأصحابه فى المدينة هى وحدها التى يجب اتباعها وأنه لا يصح أن يترك أى مجال لتطور المعرفة وتغير الظروف ؛ على أننا نجد عدداً من الأحاديث التى تذم البدع واردة فى مجموعات منسوبة إلى النبى .

المصادر :

(١) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون = *A Dictionary of the technical terms used in the Sciences of the Muslims* ، طبعة شبرنگر Sprenger، فى مجلدين ، كلكتة سنة ١٨٥٤ — ١٨٦٢ ، ص ١٣٣ ؛ (٢) أبو بكر الطرطوشى : كتاب الحوادث والبدع ، تونس سنة ١٩٥٩ ؛ (٣) Wensinck : *Handbook* ، مادة *innovations* (٤) Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، جـ ٢ ، هال سنة ١٨٩٠ ، ص ٢٢ وما بعدها ؛ (٥) D.B. Macdonald : *Muslim Theology* ، مادتى: بدعة ومبتدع فى الفهرس . (٦) B. Lewis ؛ *Some Observations on the significance of heresy in the history of Islam* فى *Studia Islamica* ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٥٢ وما بعدها .

خورشيد [روبصون J. Robson]

« بَدَل » : كلمة عربية معناها لغةً جعل شىء مكان آخر ، وهى اصطلاح نحوى يقصد منه واحد من التوابع الخمسة ، وهو اسم يتبع اسماً آخر فى الإعراب وليس تفسيراً له مثل عطف البيان (انظر مادة « عطف ») ولكنه مستقل عنه ؛ مثال ذلك « جاءنى أخوك زيد » فزيد بدل من

« أخوك » إذا لم يكن للمخاطب إلا أخ واحد وإلا كانت عطفاً إذا كان هناك إخوة آخرون (ابن يعيش ، طبعة يان ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ، س ١٥) . وقد توسع النحاة فى أنواع البدل حتى جعلوها تشمل الضمائر والأفعال ، وذلك موجود بصفة خاصة فى « المفصّل » للزمخشرى (الطبعة الثانية ، ص ٤٨ — ٥١) وألفية ابن مالك (طبعة Dietrici ، الأبيات ٢٦١ — ٢٦٣ ؛ ورايت Wright : *Arabic grammer* ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٦) . وانظر مادة « نحو » .

[شاده A. Schhade]

« بَدَل » : والأبدال جمع البدَل والبدلاء جمع البديل يتصلان بطريق الصوفية الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجرى ، وهو أن نظام العالم مكلف بحفظه عدد معين من الأولياء إذا مات واحد منهم حل محله بدل أو بديل . والجمع أبدال يستعمل عادة فى الفارسية والتركية مفرداً . ويفسر بعض الكتاب البدل بأنه الشخص الذى له قدرة على أن يخلف شخصاً روحانياً عندما يترك مكانه ، أو الشخص الذى له قدرة على التحول الروحانى ، والاختلاف بيّن فيا أوردوه « عن عدد الأبدال ومكانهم من سلسلة المراتب الصوفية التى يكون القطب (انظر هذه المادة) على رأسها » وقد أورد ابن حنبل فى مسنده أربعين من الأبدال خلقهم الله فى الشام (ج ١ ، ص ١١٢) ويذكر أيضاً أن هناك ثلاثين منهم فى أمة محمد (ج ٥ ، ص ٣٢٢) ويشير المكى إلى ثلثمائة من الأبدال يضمون الصديقين والشهداء والصالحين (قوت القلوب : ج ٢ ، ص ٧٨ ؛ انظر سورة النساء الآية ٧١) ويقول الهجويرى إنهم أربعون وإنهم فى المرتبة الرابعة يلون الأبرار السبعة ، وفوقهم الأوتاد الأربعة ثم النقباء الثلاثة (كشف المحجوب : طبعة شوكوفسكى Schukovski ، ص ٢٦٩ ، ترجمة نيكلسون Nicholson ، ص ٢١٤) ويحدد ابن عربى عدد الأبدال بسبعة ويضعهم فى المرتبة تحت الأوتاد (الفتوحات ، ج ٢ ، ص ٩ ، وقد أخذ بهذا الرأى ابن الفارض فى التائية الكبرى ، البيتان ٥٠٠ ، ٥٠١) وفوق النقباء ، ويجعل لكل منهم نبياً ، وهؤلاء الأنبياء هم : إبراهيم ، وموسى ، وهارون ، وإدريس ، ويوسف ، وعيسى ، وآدم ، وكل منهم موكل بإقليم من الأقاليم السبعة التى ينقسم إليها العالم (وانظر مادة « أبدال ») .

المصادر :

(١) لسان العرب ، مادة « بدل » . (٢) م . ع . التهانوى الكشاف ، ص ١٤٥ . (٣) E. Blochet : *Etudes sur l'ésoterisme Musulman* ، المجلة الأسيوية ، سنة ١٩٠٢ ، ج ١٩ ، ص ٥٢٨ وما بعدها ، ج ٢٠ ، سنة ١٩٠٢ ص ٤٩ وما بعدها (٤) S. Massignon : *Passion* ص ٧٥٤ (٥) الكاتب نفسه : *Essai sur les origines du lexique de la mystique Musulmane* ص ١١٢ وما بعدها (٦) D. Haneberg : *Ali Abulhasan Schadheli* فى *Z.D.M.G.* ج ٧ ، ص ٢١ وما بعدها (٧)

D. Flügel : *Scharani und sein Werk über die muhammedanische Glaubenslehre* فى *Z.D.M.G.* ، ص ٣٧ وما بعدها .

[نيكلسون R.A. Nicholson]

تعليق على مادة « بدل »

البيتان اللذان يشير إليهما الأستاذ نيكلسون على أن ابن الفارض قد أخذ فيهما برأى ابن عربى هما هذان البيتان من التائية الكبرى اللذان يقول فيهما ابن الفارض متحدثا عن نفسه بلسان الجمع مع الحقيقة المحمدية التى يعبر عنها بالقطب مانصه :

بى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها
المحيط بها والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته
وقطبية الأوتاد عن بدليـة

ونحن إذا تأملنا ما يذهب إليه ابن الفارض هنا رأينا أنه يقرر نظرية فى القطبية لا بمعناها العام المتعارف عليه عند الصوفية ولكن بمعناها الخاص الذى يدل دلالة قوية على مذهب فلسفى فى الحقيقة المحمدية التى هى عند متفلسفة الصوفية أو صوفية الفلاسفه المخلوق الأول الذى خلقه الله وكان واسطة فى خلق كل ما فى العالم من الكائنات الروحية والمادية. والقطب بهذا المعنى الذى يفهمه ابن الفارض ويتفق معه فيه ابن عربى ، أشبه ما يكون بالكلمة عند المسيحيين (Logos) وبالعقل الأول عند أفلوطين. ولكى تتبين الفرق الذى يوجد بين القطب بمعناه العام وبينه بمعناه الخاص يحسن أن نشير هنا إلى ما ذكره القاشانى فى شرحه للبيتين المشار إليهما :

القطب فى اصطلاح القوم هو أكمل إنسان متمكن فى مقام الفردية تدور عليه أحوال الخلق ؛ وهو إما قطب بالنسبة إلى مافى عالم الشهادة من المخلوقات ، يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، وحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال ؛ أو هو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات فى عالمى الغيب والشهادة ، والقطب بهذا المعنى الأخير لا يستخلف بدلا من الأبدال ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ؛ وهو من هذه الناحية عبارة عن قطب الأقطاب المتعاقبين فى عالم الشهادة ، لايسبقه قطب ولا يخلفه آخر ؛ وهذا هو الروح المحمدى أو الحقيقة المحمدية التى خاطبها الله سبحانه وتعالى فى الأزل بقوله : « لولاك لما خلقت الكون ».

ويرى القاشانى أن المراد بالأبدال طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور ، يدعون الناس إلى التوحيد والإسلام ؛ يرحم الله بوجودهم العباد والبلاد ويدفع عن الناس بهم البلاء والفساد ، كما جاء فى الحديث النبوى حكاية عن الله عز وجل أنه قال : « إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همه ولذته فى ذكرى،فإذا جعلت همه ولذته فى ذكرى ، عشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبدال ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا أو ذكرهم صرفته بهم عنهم » ...

والأبدال أربعون رجلا لكل منهم درجة مخصوصة تنطبق أول درجاتهم على آخر درجات

الصالحين ، وآخرها على أول درجات القطب ، كلما مات واحد منهم بدل الله مكانه أحداً يدانيه ممن تحته ، وظهر البدل فى كل من هو أدنى درجة منه ، وحينئذ يدخل فى أول درجاتهم أحد من الصالحين ينخرط فى سلك الأبدال : ولا يزال عدد الأبدال كاملا حتى إذا جاء أمر الساعة قبضوا جميعاً ، كما جاء فى الخبر : « البدلاء أربعون ، اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات واحد منهم بدل الله مكانه آخر : فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم » : وأما الأوتاد فثلاثة من الأبدال فى نهايات درجاتهم ، وكلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم : فكل قطب من أقطاب عالم الشهادة مسبوق بآخر ، لأن قطبيته حادثة ظاهرة عن بدلية الوتد بالقطب إلا قطب الأقطاب فى عالم الغيب فإنه سابق غير مسبوق بقطب آخر فصار بدله : وابن الفارض فى قوله :

ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته
وقطبيـة الأوتـاد عن بدليـة

يدعى لنفسه التحقق بمقام قطب الأقطاب على سبيل الحكاية عن المقام المحمدى . فهو يقول إنه ليس ثمة قطب كائن قبله مجاوزا عن درجات الأوتاد الثلاث : فإن قطبية الأوتاد مجاوزة عن مقام البدلية : (كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر ، جـ٢ ، ص ١٠٣ — ١٠٥) .

فمن هنا يتبين مكان البدل من القطب ومن الأوتاد الذين كانوا أبدالا ثم سموا وارتقوا إلى درجة الأوتاد الذين يكون منهم قطب الزمان الموكل بحفظ عالم الشهادة والذى قد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه : وهو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله فى كل زمان ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد : ومن هنا كان فياضا بروح الحياة على الكون الأعلى والكون الأسفل (التعريفات ، مادة « قطب ») : ويتبين أيضا مبلغ الفرق بين القطب الذى يدعى ابن الفارض تحققه بمقامه وبين القطب الذى هو رأس المراتب الصوفية من أوتاد وأبدال وغيرهم .

محمد مصطفى حلمى

+ « بُدَلاء » : جمع بديل (انظر مادة « أبدال »)

« بدل عسكرى » وتستعمل أيضا فى كثير من الأحيان الصيغة الخاطئة « بدل عسكريه » : معناها فى تركية الضرائب التى يؤديها غير المسلمين للإعفاء من الخدمة العسكرية ، وقد حلت بذلك محل الخراج قديما . وعاش لفظ الخراج إلى منتصف القرن الماضى : ولما اشتد ضغط الدول الأوروبية وخاصة إنكلترة بعد إلغاء الخراج واشتراك غير المسلمين فى الخدمة العسكرية بالجيش التركى ، صدر مرسوم فى العاشر من مايو عام ١٨٥٥ بعد معارضة شديدة من الحكومة ، ألغى به الخراج واشترط به التجنيد الإجبارى على غير المسلمين أيضاً ، ووافق الخط الهمايونى عام ١٨٥٦ على ذلك المرسوم ، ولكن سمح فى الوقت نفسه بأن

يؤدى الفرد مبلغاً من المال يعفيه من هذه الخدمة ، وكان من نتائج تخط الناس من مسلمين وغير مسلمين — وهؤلاء لم يكونوا مكلفين بالخدمة العسكرية — على هذا أنه لم يتغير من الأمر سوى الاسم الذى أصبح البدل العسكرى بدلا من الخراج ، وكان المتحصل من البدل العسكرى مساوياً لما كان يتحصل من الخراج (انظر Moravitz : *Les finances de la Turquie* ص ٧٦ ، هامش رقم ١) وكانت الضرائب تؤدى عن الجماعات جملة ويشترك الأفراد فى تحملها تبعاً لحالتهم المالية ومواردهم . وكان ما يدفع أول الأمر خمسة آلاف قرش تركى (حوالى خمسة وأربعين جنيهاً إنكليزياً) عن ١٨٠ شخصاً ثم أصبح هذا المبلغ عن ١٣٥ شخصاً ، وقد أورد موراڤتز Moravitz (ص ٧) أن جملة موارد الدولة من هذه الضريبة بلغت ٨٠٠,٠٠٠ جنيه تركى تقريباً ، وقد أعفى منها رجال الدين والنساء والأطفال فيما دون الخامسة عشرة ، والشيوخ فوق الخامسة والسبعين ، والفقراء وأهل المناطق المتمتعة بالامتيازات وسكان الآستانة . وكان الموظفون هم الذين يقومون بجبايتها ، وبعد إصلاحات عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م) قام بجبايتها الرؤساء الروحانيون للجماعات ثم جباة ضرائب الحكومة بعد عام ١٩٠٢ م (النص التركى للقانون وارد فى لاحقه قوانين ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ ؛ والنص الفرنسى أورده Young فى *Corps de droit ottoman* ، جـ ٥ ، ص ٢٧٦) .

وألغى البدل العسكرى بعد ثورة عام ١٩٠٨ م بقانون موقت صدر فى ٢٠ من رجب سنة ١٣٢٧ هـ (٢٥ من تموز عام ١٣٢٥ ، ونشر فى الجريدة العسكرية يوم ٢ من شعبان سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ١٦ أغسطس سنة ١٩١٥ م وفى مجموعة قوانين جديدهٔ عثمانيه ، الآستانة عام ١٣٢٧ هـ ، جـ ١) وحل محل هذا القانون فرض الخدمة العسكرية العامة على غير المسلمين أيضاً .

المصادر :

(١) Young : *Corps de droit ottoman*، أوكسفورد سنة ١٩٠٦ م ، جـ ٥ ، ص ٢٧٥ وما بعدها (٢) Rosin : *Geschichte der Türkei*، ليبسك سنة ١٨٦٦م، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ ومابعدها (٣) Moravitz : *Les finances de la Turquie*، باريس سنة ١٩٠٢، ص ٧٦ (٤) Ubicini : *Etat present de l'empire ottoman*، باريس سنة ١٨٧٦ ، ص ١٢٧ .

[گيس F. Giese]

« بدل نقدى » : ضريبة يؤديها المسلمون القادرون على حمل السلاح الذين يرغبون فى الإعفاء من بقية الخدمة العسكرية بعد أن انخرطوا فيها ثلاثة شهور ، ومقدارها خمسون جنيهاً تركياً على شرط أن يؤديها الرجل من غير أن يضطر إلى بيع أدواته الزراعية . (للتوسع فى هذا الموضوع انظر مادة « بدل عسكرى ») .

المصادر :

(١) Young : *Corps de droit ottoman* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٦ م ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ (٢) Moravitz : *Les finances de la Turquie* ، باريس سنة ١٩٠٢ م ، ص ١٢٥ .

[كيس F. Giese]

« بَدليس » أو بِدليس أو بِتليس : قصبة ولاية تحمل الاسم نفسه فى شرقى الأناضول ، وهى على خط طول ٤٢° ٥َ شرقاً وخط عرض ٣٨° ٢٠َ شمالا ، وعلى مسيرة أربعة عشر ميلا من الشاطئ الغربى لبحيرة وان وخمسة وثلاثين ميلا شمالى شرق سعرد . ويقول قدامة (المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٦ ، ص ٢٢٩) إن بينها وبين أخلاط (انظر هذه المادة) أربع سكك أى مراحل بريد (المكتبة الجغرافية العربية ، ص ٢٣٣ وما بعدها) والعرب ينطقونها « بَدليس » والترك بِدليس وبِتليس . أما الأرمن فينطقونها بَلِيش .

ويوصف مظهر المدينة بأنه بهيج يلفت النظر إلى حد بعيد . فهى مشيدة على خانقين عميقين يجريان نحوها وعلى بطن واد عميق . ويخترقها نهر بدليس چاى فى جريانه من الشمال إلى الجنوب . وهذا النهر الذى نسب إليها يسير نحوا من ستة عشر ميلا ناحية الشمال ويلتقى بنهر بُهْتان الذى يطلق عليه اسم دجلة الشرقى بالقرب من بنسيز على مسيرة عشرة أميال تقريباً جنوبى غرب سعرد . ويلتقى نهر بدليس چاى بنهر من نهيراته آت من الغرب فى وسط المدينة .

وهذه الأنهر أو الخوانق تقسم بدليس إلى أربعة أحياء منفصلة ينحاز كل فرد فى كثير من الأحيان إلى حيه عندما تنشب بينها الخصومات ويحاصر كل حى الحى الآخر . والبيوت ترتفع حول منحدرات القنن من جميع الجهات وتحيط بها الحدائق الجميلة عادة . وهناك عدة دروب يتصل بعضها ببعض ، وهى كثيرة التعاريج منحدرة انحداراً خطراً ومرصوفة على الدوام بعكس ما هو مألوف فى الشرق . وتعبر النهر عدة جسور . ويروع الزائر متانة معظم مساكن المدينة وتماسكها . والصخور البركانية الحمراء المائلة إلى السمرة التى تكثر فى الناحية تزود الأهالى بمادة صالحة للبناء .

وتشرف على المدينة كلها قلعة حصينة قائمة على قمة وعرة ، ولم يبق من هذه القلعة إلا بعض الأطلال ، كما أننا لا نعلم فى أى وقت شيدت ، وعلى أسوارها عدة نقوش عربية ، وربما كان تحصين هذه القمة المرتفعة قد تم فى عهد تشييد المدينة ، وإن كانت أساطير المشارقة تنسب ذلك إلى الإسكندر الأكبر . وقد كان لبدليس شأن كبير من الوجهة الحربية فى الأحداث التى توالت فى تاريخ الأرمن .

واستوطن بكوات الكرد بدليس منذ نهاية القرون الوسطى تقريباً ، وبسطوا عليها نفوذاً كبيراً شأن غيرها من البلاد ، وكانوا مستقلين تمام الاستقلال عن الباب العالى . ولم يخضعوا له إلا فى

حالة واحدة سنة ١٦٣٨ حينما خرج السلطان مراد الرابع فى جيش لجب لاستعادة بغداد . والحق إن الترك لم يفلحوا فى كسر شوكة الأمراء الأكراد الذين كانوا يحكمون بدليس ووان إلا سنة ١٨٤٧ بعد قتال عنيف ، ثم وضعوا البلد والناحية تحت حكمهم المباشر . واتخذت القلعة الكردية القديمة مقراً لكبار الموظفين الأتراك .

ويبلغ ارتفاع مدينة بدليس ٥١٨٠ قدماً ، وقلعتها ٥٣١٠ قدماً . ولذلك فإن جوها شديد البرد رطب . وشتاؤها طويل شأن الهضبة الأرمينية كلها يعقبه صيف قصير حار نسبياً . ويكسو الجليد الطرقات من نوفمبر إلى مايو ، ومع ذلك فإن الأحوال مناسبة لزراعة الفواكه . وتكثر فى المدينة الخضر والفواكه الجيدة .

وصناعات بدليس ليست بصفة عامة عديمة الشأن . فإن المجارى المائية الكثيرة تدير طواحين عديدة . ويجدر بنا أن نخص بالذكر صناعة النسج . وتشتهر فى جميع أرجاء تركية السجاجيد ذات النقوش البديعة المنسوجة فى بدليس ، وتختص بدليس بالصباغة بالفوة ، وأهم صادراتها : الأقمشة المصبوغة باللون الأحمر (القطن والصوف) والسجاجيد ، والماعز وجلود الجاموس ، وقطعان الأغنام ، وتشتهر خاصة بتصدير جوز العفص الذى يجمع من جبال كردستان ، والصموغ البيضاء والحمراء وهى جميعاً تصدر إلى أوروبا .

وبدليس من أهم المدن التجارية ، ومن ثم يجب أن تعد من أهم مدن أرمينية لأنها إحدى المحطات الرئيسية التى تمر بها القوافل بين أرمينية وبلاد الكرج من جهة وبلاد النهرين والشام من جهة أخرى . ويذكر لايار Layard أن هناك ثلاث طرق تصل بين بدليس والجزيرة ، اثنان عبر الجبال إلى سعرد وتقطعها القوافل عادة ، ولكنها وعرة صعبة المسلك ، أما الطريق الذى سلكه لايار فهو يدور حول وديان الفرع الشرقى لنهر دجلة . وأحد الطريقين اللذين ذكرهما لايار اللذين يصلان بدليس بسعرد ليس سوى معبر صغير ، ولسنا نعرف عنه شيئاً أكثر من ذلك . أما الطريق الآخر الذى يطرقه الناس بكثرة والذى يصل بدليس بسعرد عن طريق دُخان ويقطعه المسافر فى يومين ، فهو طريق بدليس الحقيقى ، وكثيراً ما سلكه الرحالة الأوروبيون ووصفوه ؛ وقد ورد ذكر هذا الطريق الضيق فى المصادر البوزنطية(George Cypr. : كليسوورا بالاليسون) والمصنفات العربية (البلاذرى : كتابه المذكور، وقد ورد فيه باسم الدرب) كما ذكر كثيراً فى المؤلفات الأرمينية (Lipsiae, Gelzer, George Cypr. سنة ١٨٩٠ ، ص ١٦٨ ؛ H. Hübschmann : كتابه المذكور ، ص ٣١٧ ، ٣١٨) .

والطريق الرئيسى الذاهب من بدليس إلى داخل بلاد إرمينية ينحرف مباشرة ناحية الشمال الغربى متجهاً إلى موش ، ويتفرع منه ، قبل أن يعبر جبل نمرود وارتفاعه سبعة آلاف قدم ، طريق جانبى يذهب مباشرة إلى الشمال الشرقى متجها ناحية بحيرة وان ويصل إلى تدوان . وتغطى

الثلوج هذه الطرق جميعاً خلال فصل الشتاء الطويل القارس فيصعب عند ذلك سلوكها .

وكان مركز بدليس قبل الحرب الروسية التركية الأخيرة تحت إمرة الحاكم العام لأرضروم ثم جعلها الباب العالى ولاية مستقلة ، وذلك لوضع حد لأهواء سكانه ومنازعاتهم . وتضم ولاية بدليس الحديثة أربعة سناجق هى : بدليس وموش وسعرد وكنج وتسعة عشر قضاء ، وتبلغ مساحتها ١٣,٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٣٩٨٧٠٠ نسمة منهم ٢٤٥,٠٠٠ من المسلمين و ١٤٠,٠٠٠ من المسيحيين و ٣٩٠٠ من اليهود وغيرهم . وتبلغ مساحة سنجق بدليس بأقضيته الأربعة ٢٨٠٠ ميل مربع وعدد سكانه ١٠٨,٢٢٧ نسمة منهم ٧٠,٠٠٠ مسلم و ٣٢,٠٠٠ أرمنى و ٩٦٣ من اليزيدية و ٣٧٤٠ من السريان اليعاقبة ، وذكر كنير Kinneir سنة ١٧١٤ أن عدد سكان مدينة بدليس نفسها ١٢,٠٠٠ نسمة، بينما يقول سوثكيت Southgate سنة ١٨٣٧ وبرانت Brant سنة ١٨٣٨ إن فى بدليس ٣٠٠٠ أسرة عدد أفرادها يتراوح بين ١٣,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ نسمة . وذكر مولر Müller وسيمونيس Simonis وهيفرنات Hyvernat أن عدد سكان بدليس سنة ١٨٨٨ بلغ ٣٠,٠٠٠ نسمة يقطنون ٦,٠٠٠ بيت، منهم ٥,٠٠٠ من الكرد و ١٠٠٠ من الأرمن ، وذكر تولده سنة ١٨٩٢ أن سكانها ٣٦,٠٠٠ نسمة ، وآخر هذه الإحصائيات وأدقها هو إحصاء كوينيه Quinet (كتابه السابق) الذى أفاد من إحصائه لولاية بدليس سوپان (Supan فى Petermann's Mitteilungen سنة ١٩٠٠ ، ص ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١) والذى جاء فيه أن سكان مدينة بدليس هم ٢٠,٠٠٠ من المسلمين معظمهم من الكرد و ١٦,٠٨٦ من الأرمن اليعاقبة ، فيكون مجموعهم ٣٨,٨٨٦ نسمة يقطنون ٨٣٠٠ بيت ، وفى مدينة بدليس خمسة عشرة مسجداً وأربع تكايا ، ويقطن الأرمن الغريغوريون القسم الجنوبى من المدينة ، ويشرف عليهم أسقف ولهم أربع كنائس ، ولليعاقبة كنيسة أخرى .

ولا تزال مدينة بدليس مثالا للعاصمة الكردية، وكانت القصبة السياسية للكرد فى ثوراتهم الكبيرة الأخيرة التى قاموا بها فى القرن التاسع عشر . وليس عجيباً والحالة هذه أن تكون مسرحاً للمذابح المسيحيين الفظيعة خلال الأحداث الأرمنية التى وقعت فى العشرين السنة الأخيرة .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ،طبعة ده غويه، فى مواضع مختلفة . (٢) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ١٧٦ . (٣) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ . (٤) le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate سنة ١٩٠٥ ، ص ١٨٤ (٥) Weil : Gesch. der Chalifen ، جـ ٢ ، ص ٦٣٨ ، تعليق رقم ٢ (٦) H. A. Barb : Geschichte der kurdischen, Furstenherrschaft فى Sitzungsber der Wiener Akad. ، جـ ٣٢ ، سنة

(٧) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ٩ ، ص ١٠٠٢ — ١٠٦٨ ، جـ ١٩ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٩ (٨) Cuinet : *La Turquie d'Asie* جـ ٢ ، باريس سنة١٨٩٢ ،ص٥٢٤—٦٢١ (٩) H. Hübschmann في *Indogerm. Forsch.*، جـ١٦، سنة ١٩٠٤ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٤ ، ٣٩٠ (١٠) Hommaire de Hell : *Voy. en Turquie et en Perse* ، باريس سنة ١٨٣٤ ، والأطلس ، لوحة رقم ٤٩ ؛ (١١) A. H. Layard : *Niniveh und Babylon* ، ليبسك سنة ١٨٥٦، ص ٣٥ — ٣٨ (١٢) Rassam : *Asshur and the land of Nimrod* ، نيويورك سنة ١٨٩٧، ص ١٠٤—١٠٨، ٣٨٤ ، وفى هذا الكتاب المعلومات الخاصة بالبعثة الأمريكية فى بدليس ؛ (١٣) E. Nolde : *Reise nach Innerarabien, Kurdistan und Mesopotamien*، برانسويك سنة١٨٩٥، ص ٢٣٧ — ٢٤١ . (١٤) Müller - Simonis et Hyvernat : *Vom schwarzen Meer zum persisch Meerbusen*، مايتز سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٢٤ —٢٢٩ ؛ (١٥) Lynch : *Armenia*، لندن سنة ١٩٠١ ؛ (١٦) Lehmann - Haupt: *Armenien einst und jetzt* ، سنة ١٩١٠ ، ص ٣٢٧ — ٣٣١ .

[شترك M. Streck]

+ وقد أدى تمرد الأرمن والإجراءات التى اتخذت لقمع حركتهم ، والاحتلال الروسى لبدليس فى الحرب العالمية الأولى،إلى نقص خطير فى عدد السكان واختفاء الصناعة ؛ وقد بلغ عدد سكان المدينة سنة ١٩٢٧ : ٩,٠٥٠ نسمة ، وسنة ١٩٥٠ : ١١,١٥٢ نسمة .

وفى باكورة عهد الجمهورية التركية أصبح كل من السناجق الأربعة التى تشمل بدليس ولاية قائمة بذاتها ؛ وفى سنة ١٩٢٩ ألحقت بدليس — بوصفها قضاء — بولاية موش؛ وكان ٧٠٪ من سكانها أكراداً بحسب تعداد سنة ١٩٣٥ ؛ وجعلت بدليس ولاية مرة أخرى سنة١٩٣٦ ، وهى الآن مقسمة إلى خمسة أقضية : بدليس ، وتتوان ، وأخلاط ، وموتكى ، وخيزان ، ومساحتها ٤٨٢,٥ كيلومتراً مربعاً، وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٥٠ : ٨٨,٤٢٢ نسمة .

المصادر :

(١) H. F.B. Lynch : *Armenia, Travels and Studies* 1898 ، لندن سنة ١٩٠١ ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ — ١٥٩ ؛ (٢) أوليا چلبى : سياحتنامه ، طبعة أحمد جودت ، جـ ٤ ، ص ٨٥ ؛ (٣) Tavernier : *Les Six voyages* ، باريس سنة ١٦٧٦ ، جـ ١ ، ص ٣٠٣،٣ ؛ (٤) حاجى خليفه : جهاننما ، طبعة إبراهيم متفرقه ، ص ٤١٣ ؛ (٥) سالنامه ولايه بدليس ، ٣١٠ (الطبعة الأولى) ؛ (٦) كتل نفوس صايمى، ٢٠ ، ١٠ ، سنة ١٩٣٥ ، مجلد ٤٤، موش ولايتى ؛ (٧) انظر أيضاً المادتين المكتوبتين عن بدليس فى إسلام أنسيكلوپيدياسى، بقلم بسيم دارقوت ومكرمين خليل إينانج ، وهذه المادة خلاصة لها .

[لويس G.L. Lewis] خورشيد

« البدليسى » إدريس حكيم (مولانا) : قائد تركى ومؤرخ وهو ابن الصوفى حسام الدين

الذى ينتمى إلى طريقة الشيخ عمر يسرى كان أول الأمر موظفاً فى ديوان يعقوب بن أوزون حسن سلطان التركمان من القطيع الأبيض (المتوفى سنة ٨٩٦ = ١٤٩٠ — ١٤٩١ م) ، ولما كتب السلطان بايزيد الثانى يعلن انتصاره رد عليه البدليسى فأعجبه رده واستدعاه إلى بلاطه وظل فى خدمة السلطان سليم الأول ، وصحبه فى غزو بلاد فارس ، واستولى له على كردستان ، وقاد الجيش الكردى وهزم الفرس وفتح ماردين ، وكان له شأن كبير فى ضم الرها والموصل ، وعمل على استقرار الأحوال الداخلية فى البلاد .

ومنح البدليسى باسم السلطان حصن كيفا لخليل الأيوبى ، واشترك فى فتح مصر . ومدح السلطان سليما بقصيدة لم ينس فيها أن يوجه إليه النصح فى طريقة حكم مصر .

وتوفى البدليسى سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) ، وفى هذا العام أيضاً توفى السلطان سليم ، وخلف البدليسى تاريخاً بالشعر الفارسى فى ٨٠,٠٠٠ بيت عن السلاطين الثمانية الأول من آل عثمان وعنوانه « هشت بهشت » أى « الجنان الثمان » .

المصادر :

(١) H.A. Barb : *Geschichte der Kurdischen Fuerstenherrschaft* (*Sitzungsber. der Wiener Akad.* جـ ٣٢ ، سنة ١٨٥٩ ، ص ١٤٥) ؛ (٢) J. de Hammer : *Histoire de l'Empire ottoman*، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ ، ٢٥٣ وما بعدها ، ٢٥٩ ، ٤١٥ ؛ (٣) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٦٦ ؛ (٤) Gibb : *History of Ottoman Poetry* جـ ٢ ، ص ٢٦٧ ، التعليق (وفيه تأريخ خاطئ) .

[Cl. Huart إيوار]

+ البدليسى ، إدريس ، مولانا حكيم الدين إدريس بن مولانا حسام الدين على البدليسى : مؤرخ للعثمانيين ، يرجح أنه من أصل كردى ، وقد أصبح البدليسى « نيشانجى » فى بلاط الآق قويونلى ، وكتب باسم يعقوب بك رسالة تهنئة إلى بايزيد الثانى سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) أعجب بها كثيراً (Hammer Purgstall، جـ ٢ ، ص ٢٩٠) .

وأخذ سلطان الشاه إسماعيل يزداد ، ففر البدليسى إلى تركية سنة ٩٠٧ هـ (١٥٠١ — ١٥٠٢ م) ورحب به بايزيد وناط به كتابة تاريخ البيت العثمانى بالفارسية . وقد أخذ على تاريخه هذا أنه ترفق كل الترفق بالفرس ، وفشل فى نوال ما بذل له من وعد بالأجر على ذلك .

والتمس إدريس الإذن بالخروج إلى الحج ، ولكنه لم يعط الإذن إلا بعد وفاة الصدر الأعظم خادم على پاشا فى ربيع الثانى سنة ٩١٧ (يولية سنة ١٥١١) ، والظاهر أن هذا الصدر الأعظم كان عدوه اللدود . وقد كتب إدريس من مكة إلى البلاط العثمانى رسالة هدد فيها بأنه إن لم يرفع ما حل به من ظلم فإنه سوف يكشف فى ديباجة تاريخه وخاتمته — اللتين لم يكن قد كتبهما بعد — عما عومل به من جحود . ودعاه السلطان سليم

الأول إلى العودة إلى إستانبول بعيد ارتقائه العرش وأهدى إليه إدريس تاريخه الكامل . وقد صحب البدليسى سليما فى حملة چالدران سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) وأدى خدمات لا تقدر للعثمانيين باستمالة أمراء الكرد السنيين إليهم . ويتبين من الفرمان الذى استشهد به سعد الدين (جـ ٢ ، ص ٣٢٢) أن البدليسى قد أطلقت يده فى تنظيم الأملاك الكردية للدولة . وكذلك صحب إدريس سليما إلى مصر ، ويقال إنه قد احتج فى مصر على مساوئ العمال العثمانيين (Hammer - Purgstall ، جـ ٢ ، ص ٥١٨) .

وتوفى البدليسى فى إستانبول بعيد وفاة سليم وذلك فى ذى الحجة سنة ٩٢٦ (نوفمبر — ديسمبر سنة ١٥٢٠ م) ودفن فى أيوب بجوار المسجد الذى أقامته زوجه زينب خاتون .

وتاريخه العظيم « هشت بهشت » (حاجى خليفه ، طبعة فلوگل ، رقم ٢١٣١ ، وانظر أيضاً رقمى : ٢١٥٢ و ١٤٤٠٦) ومعناه « الجنات الثمان » ، أى عهود السلاطين الثمانية من السلطان عثمان إلى السلطان بايزيد الثانى ، قد كتب بإنشاء فارسى غاية فى الإحكام ، ومن الواضح أنه نسج على منوال المؤرخين الجوينى ، ووصّاف ، ومعين الدين يزدى ، وشرف الدين يزدى . وأثنى على هذا التاريخ الثناء المستطاب كل من سعد الدين الذى أشار إليه كثيراً (انظر بخاصة جـ ١ ، ص ١٥٩) وهامر پورگستال (Hammer Purgstall ، وبخاصة ، جـ ١ ، ص ٣٤) ، ومع ذلك فإنه لم ينشر بعد . وقد بدأ البدليسى فى كتابته سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ — ١٥٠٣ م) وأتمه فى ثلاثين شهراً . وآخر حادث سياسى وصفه البدليسى بالتفصيل هو إنقاذ ميدللى سنة ٩٠٧ هـ ، ولكن آخر تاريخ سجله فى هذا الكتاب هو سنة ٩١٢ هـ . أما خاتمة الكتاب الطويلة وكلها بالشعر الذى نظمه فى مكة (انظر Rieu : *C.P.M.* ، ٢١٩ أ) فيصف فيها الفتنة التى نشبت فى آخر عهد بايزيد . وينهى إدريس هذه الخاتمة بكتاب فى الشكوى (شكايت نامه) يروى فيه ما نزل به من نائبات .

وثمة ذيل لتاريخ إدريس يتناول عهد سليم الأول كله ، كتبه ابنه أبو الفضل (انظر فى شأنه Babinger ، ص ٩٥ وما بعدها) . وقد ترجم « هشت بهشت » إلى التركية رجل يدعى عبد الباقى سعدى سنة ١١٤٦ هـ (١٧٣٣ — ١٧٣٤ م) بأمر محمود الأول ، وليست هذه الترجمة وثيقة بحال (انظر م. شكرى فى مجلة *Der Islam* ، جـ ١٩ ، سنة ١٩٣١ ، ص ١٣٨) . ويشار إلى تاريخ كمال پاشا زاده (انظر هذه المادة) أحياناً على اعتبار أنه « ترجمة » لهشت بهشت ، وقد كتب تاريخ كمال هذا « نظيراً » (نظيره) لهشت بهشت ، ولكنه مصنف مستقل عنه تماماً .

وكتب إدريس أيضاً « سليم نامه » بالنثر والشعر ، وتركه عند وفاته غير كامل ، وقد حققه من بعدُ أبو الفضل (وهو أثر لأبى الفضل مستقل تماماً عن « الذيل » الذى كتبه أبو الفضل نفسه ؛

انظر F. Tauer فى *ArO.* ، جـ ٤ ، سنة ١٩٣٢ ، ص ١٠٣) ؛ وكان إدريس شاعراً وخطاطاً (انظر مستقيم زاده : تحفت خطاطين ، إستانبول سنة ١٩٢٨ ، ص ١١٠) كما كتب عدة رسائل فى موضوعات مختلفة تشمل ما يأتى :

١ — « الإباء عن مواقع الوباء » (ح. خ ، رقم ٥٩٣٠ [؟ و ٦٢١٨] ؛ بروكلمان ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ؛ وانظر بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٣٢٥)

٢ — ترجمتين فارسيتين لأربعين حديثاً (ح. خ ، رقم ٧٥٠٧ ؛ وانظر أ. قره خان : إسلام تورك أدبياتنده قيرك حديث ، إستانبول ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١١١ — ١١٣) .

٣ — « شرح لفصوص الحكم » (ح. خ ، رقم ٩٠٧٣) .

٤ — « شرح لگلشن راز للشبستری » ، (ح. خ ، رقم ١٠٨٣٩) .

٥ — شرح عنوانه « حق المبين » على الشبسترى : « حق اليقين » .

٦ — شرح لخمرية ابن الفارض (بروكلمان، رقم ١ ، ص ٤٦٤) .

٧ — « رسالة فى النفس » (بروكلمان ، قسم ٢ ، ص ٣٢٥) .

٨ — حاشية على تفسير البيضاوى (انظر Rieu : *C. P. M.* ، ٢١٦ ب) .

٩ — ترجمة فارسية لحياة الحيوان للدميرى (Hammer Purgstall ، جـ ٢ ، ص ٥١٨ ، عثمانلى مؤلفلرى ، جـ ٣ ، ص ٧ حيث ذكر لهذه الترجمة مخطوط بخط المترجم) . ويسجل بورصلى محمد طاهر أيضاً خمسة آثار أخرى للبدليسى من المفروض أنه رآها .

المصادر :

(١) Babinger ، ص ٤٥ وما بعدها ، والمصادر المذكوره فى هذا الموضع وخاصة Rieu : *C. P. M.* ، ص ٢١٦ — ٢١٩ . (٢) Hammer Purgstall ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ وما بعدها عن جهود البدليسى فى كردستان (والكاتب يتبع فى ذلك ذيل أبى الفضل) . (٣) شرف نامه ، طبعة Véliaminof-Zernof ، ص ٣٤٢ وما بعدها = ترجمة Charmoy ، جـ ٢ / ١ ، ص ٢٠٨ وما بعدها (على أنه قد وصفت « هشت بهشت » فى هذا الموضع — نتيجة للبس ربما وقع بينها وبين سليم نامه — بأنها قصيدة من ثمانين ألف بيت ، وقد نقل هذا الخطأ إيوار فى صدر هذه المادة) . (٤) م. شكرى: *Das Hesht Bihisht des Idris Bitlisi* فى مجلة *Der Islam* ، جـ ١٩ ، سنة ١٩٣١ ، ص ١٣١ — ١٥٧ (عرض لمخطوطات إستانبول ويشمل مخطوطات بخط المؤلف تاريخها سنة ٩١٩ ، وتحليل لمحتويات هشت بهشت حتى وفاة أورخان) . (٥) Storey ، جـ ٢ / ٢ ، ص ٤١٢ — ٤١٦ (وهو أحدث وأوفى عرض للمخطوطات) . (٦) وقد نقلت فقرة من ترجمة عبد الباقى على يد F. Babinger فى *Der Islam* ، جـ ١١ ، سنة ١٩٢١ ، ص ٤٢ وما بعدها . (٧) واستشهد

في مقاله F. Giese Die Verschieden Textrezensionen des Ashiqpashazade المنشور فى Abh. Pr. Ak. W. 1936, Phil. Hist. Kl.، رقم ٤ ، بعدة فقرات من النص الفارسى ؛ (٨) وأورد M. Massé بعض فقرات من سليم نامه وترجمتها فى Sélim Ier en Syrie, d'après le Selim-namé فى Mélanges Syriens offerts à M. Réne Dussaud، باريس سنة ١٩٣٩ ، جـ ٢ ، ص ٧٧٩ — ٧٨٢ ؛ (٩) وفى مخفوظات طوب قابى سراى خطاب إدريس الذى يلتمس فيه الإذن بالخروج للحج (٣١٥٦ E) والرسالة التى بعث بها من مكة (٥٦٧٥ E ، وقد نقلها مع ملخص تركى لها ف ر. أونات فى بلتن ، جـ ٧ ، سنة ١٩٤٣ ، ص ١٩٨) (١٠) وقد نقل ا. خليل أوزون چارشيلى فى كتابه عثمانلى تاريخى ، جـ ٢ ، أنقرة سنة ١٩٤٩ ، لوحة ٢١ ، رسالة بعث بها البدليسى إلى سليمان الأول كما نقل خاتمه .

خورشيد [ميناج V.L. Ménage]

« البدليسى » ، شرف خان : مؤرخ فارسى ، وهو أكبر أبناء الأمير شمس الدين صاحب بدليس . ولد فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٤٩ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٥٤٣) فى كره رود بالقرب من قُم ، ونشأ فى أسرة الشاه طهماسب الأول (٩٥٨ هـ ١٥٣١ م) ولما بلغ الثانية عشرة نصب أميراً للكرد وظل كذلك ثلاثة أعوام ، وعمل مخلصاً على إخضاع ولاية جيلان (كيلان) التى عهد بها إليه ، ثم استدعى إلى بلاط إسماعيل الثانى (١٥٧٦ — ١٥٧٧ م) وعين حاكماً لنقجوان عندما أجلسه السلطان مراد الثالث على عرش آبائه فى بدليس ؛ وفى سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ — ١٥٩٧ م) نزل عن العرش لابنه شمس الدين كى يتم تاريخه عن الكرد الذى كان يضعه باللغة الفارسية وعنوانه « شرفنامه » ؛ وقد ترجمه إلى التركية محمد بك ابن أحمد ميرزا سنة ١٠٧٨ (١٦٦٧ — ١٦٦٨ م) كما ترجمه إلى هذه اللغة أيضاً شمعى بعد ذلك بقليل (١٩٠٥ هـ — ١٦٨٤ م) وتوجد مخطوطة منه بخط المؤلف فى مجموعة مكتبة بودليانا (Elliot رقم ٣٣٢) ونشر نص هذا الكتاب ڤليامينوف زرنوف Véliaminof Zernof (سانت بطرسبرغ سنة ١٨٦٠ — ١٨٦٢ م) وترجمه إلى الفرنسية شارموى Charmoy سنة (١٨٦٧ — ١٨٩٧) .

المصادر :

(١) Wolkow : Notice فى المجلة الأسيوية ، المجلد الثامن ، سنة ١٨٢٦ ، ص ٢٩١ . (٢) Veliaminof Zernof : Scheref-nameh المجلد الأول ، ص ٣ وما بعدها . (٣) H.A. Barb : Geschichtliche Skizze المجلد الرابع der Sitzungsber. Wiener Akad. ، و Geschichte der kurdischen Fuerstenherrschaft ص ٩٦ وما بعدها .

[إيوار Cl. Huart]

+ « بَدَن » : (انظر مادة « جسم ») .

« بُدَن بابا » : اسم ولى مسلم ينسب إلى جبال بابا بدن ، وهى أكثر جبال هضبة ميسور بالهند ارتفاعاً ، وتقوم بين خطى عرض ١٣° ٢٣َ و ١٣° ١٥َ شمالا ، وخطى طول ٧٥° ٣٧َ و ٧٥° ٥٢َ شرقاً ؛ ويقال إن بابا بدن هو أول من أدخل زراعة البن إلى بلاد الهند فى القرن السابع عشر الميلادى عقب عودته من الحج . ويقول المسلمون إن قبره فى مغارة يتبرك الهندوس بها ، فهى عندهم المكان الذى اختفى فيه الحكيم « دَتاتْريا » والذى سيظهر فيه يوماً ما ويكون ذلك إعلاناً بالتجسيد الأخير لـ «فشنو» ، ومن ثم فإن هذا المكان يحج إليه المسلمون والهندوس على السواء .

المصادر :

(١) مقال L. Rice فى *Gazetteer of Mysore and Coorg* ، بنگالور ، سنة ١٨٧٦ م ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

+ « بدهن »شيخ جَوْنپور : ولى ينتسب إلى الطريقة المعروفة بالشَطّارية (انظر هذه المادة ؛ وانظر أخبار الأخيار ، ص ١٩٣ ؛ أذكار الأبرار ، ص ٢٨٤ وما بعدها) . وهو سليل الشيخ عبد الله الشطارى المتوفى سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) فى ماندو ، وهذا الشيخ هو السليل السابع للشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، وقد قدم إلى الهند من فارس حوالى نهاية القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى ؛ انظر بشأنه : أخبار الأخيار ، ص ١٧١ ؛ وأذكار الأبرار ، ص ١٦١ ، ٢٨٦ ؛ ومعارج الولاية ، ص ٥٣٨ ؛ ومفتى غلام سرور : خزانة الأصفياء ، لاهور سنة ١٦٨٣ ، ص ٩٤٧ ؛ وعبد الحى : نزهة الخواطر ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٩٥١ ، جـ ٣ ، ص ٩٥) : وقد كان الشيخ عبد الله هو أول من أدخل الطريقة الشطارية فى الهند .

وتلقى الشيخ بدهن دراسته الأدبية على الشيخ حافظ الجونپورى الذى أدخله فى الطريقة الشطارية ، وكان الشيخ حافظ « خليفة » للشيخ ، عبد الله الذى ذكرناه آنفاً ، وقد باشر بدوره أيضاً تعاليم الطريقة ولقنها للآخرين وهدى الباحثين عن الحقيقة إلى طريق الشطارية . وأخذ عليه الشيخ رزق الله المشتاق — عم الشيخ عبد الحق الدهلوى المشهور — طريقة الذكر . وقد وصف الخوشگى الشيخ بدهن الذى عاش فى عهد السلطان سكندر لودى (حكم من سنة ٨٩٤ إلى ٩٢٣ هـ = ١٤٨٩ — ١٥١٧) بأنه « ولى وشخص مبارك » (مردى بزرگ ومتبرك) ؛ وتوفى بدهن فى پانيپت ودفن بها ؛ وتابع خليفته الشيخ ولى المتوفى سنة ٩٥٦ هـ (١٥٤٩ م) رسالته فى مدينة بَدَلى وترك عدة « خلفاء » .

المصادر :

(١) عبد الحق : أخبار الأخيار ، دلهى سنة ١٣٠٩ = ١٨٩١ — ١٨٩٢ م ، ص ١٩٤ (=على أكبر أردستانى : مجمع الأولياء ، مخطوط فى جامعة البنجاب ، ص ٤٠٠ ب) ؛ (٢) أذكار أبرار (وهو ترجمة أردية لكتاب الماندوى : گلزار أبرار) آگرا سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٢٨٧ ، ٣٠٨) ؛ (٣) عبيد الله خوشگى : معارج الولاية ، مخطوط فى جامعة البنجاب ، ورقة ٥٤٨ F. ؛ (٤) *Medieval Indian Quarterly* ، عليگره ، أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، مجلد ١ ، رقم ٢ ، ص ٥٨ .

خورشيد [محمد شفيع M. Shafi]

+ « بدو » :

(١) يوجد البدو الرعاة ، ذوو الدماء واللغة والثقافة العربية فى شبه الجزيرة العربية عينها ، وفى بعض أرجاء إيران وتركستان السوفيتية وشمالى إفريقية والسودان . وتقتصر فى هذه المادة على عرض أسلوبهم فى الحياة بوطنهم . وتختلف البداوة الرعوية عن الصيد وجمع الثمار عند البدائيين فى أنها نظام معقد لاستغلال الأرض غير الصالحة للزراعة . فالرعى ينشأ بعد الزراعة ، ومن ثم ينتفع بالحيوانات المستأنسة وهى الأغنام والماعز والبقر التى استأنسها الناس فى العصور الحجرية الحديثة باعتبارها عنصراً فى المزيج بين الرعى والزراعة بغربى آسية ، والحمار الذى استؤنس للنقل مع مستهل العصر البرنزى ، والجمل والحصان والجاموسة التى استخدمت لأول مرة إبان العصور التاريخية .

ولعل الشعوب التى تعيش على صيد الغزال وبقر الوحش والوعل والنعامة وطائرى الحبارى والسمان كانت فيما يرجح تنفرد بسكنى الصحراء حتى سنة ٥٠٠٠ ق.م تقريباً . وعندما بدأ الزراع فى العصر الحجرى الحديث يستقرون فى أطراف البرية أغرت هذه البرية رعاة الأغنام والماعز بوفرة ما ينبت فيها من الكلأ فى مواسم على أن يسوقوا قطعانهم مسافة بعينها أثناء الشتاء والربيع ؛ وبعد أن استخدم الجمل لأول مرة عام ١١٠٠ق.م وجد البدو الدائمون أن فى وسعهم أن يعيشوا فى الصحراء معظم أيام السنة ، فيقضوا الصيف عند الآبار أو على أطراف الواحات ومجارى المياه الدائمة ؛ وعندما استخدم الجواد لأول مرة فى الركوب بعد سنة ٥٠٠ ق.م ، وربما فى تاريخ متأخر يرجع إلى أول عهد المسيح ، كسب البدو العرب الذين يستخدمون الجمل حيواناً يمتطون صهوته ، وبهذا أتيح لهم أن ينازل بعضهم بعضاً باقتدار . وأمكن بذلك أن يبدأ العصر الذهبى للحياة العربية فى الصحراء .

وإن العدد الضخم من المواقع الأثرية التى لم يرتدها بعد أحد فى الصحراء العربية ، ثم اتساع نطاق الجفاف منذ استخدام الجمل لأول مرة ، والإشارات التاريخية فى المصادر الأدبية للعصر الجاهلى ، تدل على أن جل البدو من العرب ينحدرون

من صلب فلاحين وتجار وأصحاب قوافل انصرفوا إلى الرعي إبان القرون الأولى من هذا العصر بسبب كساد الأعمال وجدب الأرض شأنهم فى هذا شأن رعاة البقر والمشتغلين بالرعى فى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا الذين ينحدرون من صلب أناس من أهل الريف والحضر أفادوا من الأراضى التى اكتشفت حديثاً . وتنحصر الفترة، التى تطورت خلالها الحياة البدوية العربية وتبلورت، بين عصر المسيح وعصر محمد صلى الله عليه وسلم .

وتمارس فى الجزيرة العربية خمسة ضروب من البداوة ، ففى جبال القرا فى ظفار على المحيط الهندى شعوب تتحدث بلغات سامية من مجموعة اللغات المهرية السقطرية ترعى أنعاماً من ذوات الأسنام على الكلأ الذى ينبت ويترعرع من سقوط الأمطار الغزيرة التى تهطل بفعل الرياح الموسمية التى تهب صيفاً . وفى المناطق المزروعة من جنوبى العراق عائلات بعينها من الرعاة تربى قطعاناً من الجاموس وتطلقها لترعى فى الحقول بعد حصاد المحصول أو فى الأرض المراحة . ويعيش هؤلاء الناس فى بيوت شبه أسطوانية تقام من حصير يشد على قوائم ويمكنهم نقلها فى المواسم مسافات قصيرة . وعلى أطراف الصحراء ، وبخاصة فى المنطقة المجاورة للكويت ، عشائر وقبائل بأسرها من رعاة الأغنام ، يمتطون ظهور الحمير ، يسوقون أغنامهم وماعزهم من مرعى إلى مرعى . وخارج هذه المنطقة فى وسط الصحراء يرعى البدو الخلّص قطعانهم من الجمال ظاعنين بها إلى المناطق التى سقطت عليها الأمطار حديثاً فى فصل الشتاء والربيع ويحلون قرب ينابيع الماء الدائم فى فصل الصيف .

وتعتمد هذه الضروب الأربعة من البداوة على الاحتياجات الوظيفية للجسم والطاقات المختلفة للأنعام التى ترعى الكلأ ، فالماشية ذات الأسنام تحتاج إلى كلأ أخضر وماء كل يوم ، أما قطعان الجاموس فتحتاج إلى جداول أو مصارف للرى تتمرغ فيها وتنعم ، وأما الأغنام والماعز فتستطيع أن ترعى الكلأ الذى جف جانباً من العام ، وهى تسعى وئيدا ولا تطيق أن يمنع عنها الماء أكثر من يوم أو يومين . وتستطيع الإبل أن تسير سبعة عشر يوماً دون أن تتذوق الماء فى جو ترتفع فيه درجة الحرارة إلى ١٠٠ فهرنهيت ، ويمكنها أن تشرب ٣٠ جالوناً من الماء دفعة واحدة . والحق إن قدرتها على تحمل شدائد الصحراء لاترجع إلى طاقتها على اختزان الماء فحسب بل إلى قدرتها على الاحتفاظ به أيضاً . ويستطيع الجمل أن يتحمل ارتفاعاً فى درجة الحرارة يصل إلى إحدى عشرة درجة فهرنهيتية فوق المعدل العادى لدرجة حرارة الجسم، دون أن يفقد الكثير من الماء بالعرق . كما أن الإبل تختزن الطاقة شحماً فى أسنامها . أما الجواد العربى فإنه إذا استبقى فى الصحراء يسقى من ماء محمول ويقدم إليه غذاء من الحبوب ويعامل كالآدميين ويحظى مثلهم بالرعاية والاهتمام . والأغنام والماعز والماشية والجاموس والنوق كلها تدر لبناً . ويستخدم شعر الماعز فى صناعة الخيام ، أما صوف

الأغنام ووبر الجمال فيتخذ لباساً . وتؤكل لحوم كل هذه الأنعام ما عدا الخيل . ولا يفيد الجواد إلا فى ضروب النقل التى تتصل مباشرة بالحرب والهيبة . ولما كان أهم الاعتبارات جميعاً بالنسبة للأعرابى فى الصحراء هو المرتبة الاجتماعية والاستقلال فإن الجواد يحظى من أجل هذا بالتكريم .

وأقدم سكان فى الصحراء هم الصُلَبة (انظر هذه المادة) ولعلهم ينحدرون من صلب صيادين أوائل ، ويمثلون أرومة عامة متجانسة من جنس البحر الأبيض تكيفت بالصحراء . وهم يعيشون فى شمالى الجزيرة العربية بين أشراف البدو ويعملون فى خدمتهم أدلاء وسمكرية ونجارين ، كما أنهم يشتغلون أحياناً بالصيد أيضاً . أما نساؤهم فإنهن يقمن بمهمة الترفيه . ويليهم فى عراقة المحتد المحتملة ، القبائل المشتغلة بالرعى مثل حلفى الشرارات والمنتفق . ويعتمد هؤلاء فى الغالب على البدو الذين يستخدمون الجمال بسبب استقرارهم النسبى ، ومن ثم تجردهم من وسائل الدفاع . ويعمل أفراد من هذه القبائل فى خدمة البدو الذين يستخدمون الجمال رعاة مأجورين . وتمتلك القبائل النبيلة المحتد جمالا تسوقها وتمتطى ظهورها عند الترحال وتحرسها وتذود عنها وهى ترعى . وفى قيظ الصيف تجنى أحياناً البلح من نخيل الواحات بل تمضى إلى صيد اللؤلؤ .

كما يعمل فى خدمة أهل هذه القبائل حدادون ، من دم زنجى فى الغالب، يخرجون من أماكن عامرة وعبيد من الزنوج . وينصب أصحاب الحوانيت من المدن أحياناً خياماً خاصة فى مضارب البدو ليبيعوا فيها سلعهم، على حين يقوم وكلاء متجولون لشركات كبيرة تتجر بالجمال بشراء جمال صغيرة تجمع عند ما تصل إلى المرحلة المنشودة من النضج ، ويتم جانب كبير من هذه الصفقات فى أسواق الجمال مثل بُرَيْدة فى نجد . وكثيراً ما يغشى أفراد القبائل النبيلة المحتد مدن السعودية العربية والأردن وسورية والعراق والكويت حيث يحتفظ بعضهم ببيوت فى المدن . وتعود الكثيرون منهم على حياة الاستقرار وارتقى بعضهم إلى مناصب رفيعة فى بلاد عربية مختلفة .

وتدور الثقافة المادية للبدو على التنقل ، فالخيمة السوداء المصنوعة من شعر الماعز ذات نسيج فضفاض يسمح للهواء بأن يتخللها ، ومع ذلك فإن أليافها تنتفخ عندما تبتل فتمنع المطر من اختراق جدران الخيمة ، وفى الصيف توفر لمن يقيم بها حمى من الظل المرغوب كثيراً وتفتح من الجوانب لكى يتخللها النسيم . وفى الشتاء تكون دافئة بسبب إغلاق جانبيها ومؤخرتها . وما لم تكن الخيمة من ذلك الضرب الخاص من الخيام التى تستعمل دواوين أو قاعات استقبال فإنها تُقَسَّم بستار إلى قسم للأسرة تشغله النساء والأولاد ، وقسم للضيوف يستقبل فيه رب الأسرة أصدقاءه من الرجال ، وتصنع أدوات المطبخ من المعدن والخشب وإن كانت كل أسرة تمتلك عادة طاقماً من أقداح القهوة الصغيرة المصنوعة من الصينى تجنى فى صندوق خشبى مقسم إلى خانات . ولباس العربى فضفاض

مسترسل لا يعوق الحركة يوفر للجسم الدفء في الشتاء والرطوبة في الصيف، ويحمي البشرة من البرد والحر على السواء ومن جفاف الهواء. وإلى جانب هذا فإن غطاء الرأس للرجل وكسوة الرأس للمرأة والنقاب تعين على وقاية العينين والأنف والأذنين من أذى التراب والرمال.

ويحصل البدوي على الجانب الأكبر من زاده بالشراء ويشتمل على ملابس داخلية له من القطن وأدواته وأوعيته، كما يشتري الكثير من طعامه ويتضمن القمح والأرز والبلح والبن؛ واللبن واللحم هما اللذان يحصل عليهما محلياً من أنعامه.

والبدو مثل غيرهم من الساميين يولون أهمية كبرى للأنساب، ويرون أن للقرابة أهمية قصوى في العلاقات الإنسانية، ولما كان التصاهر المفضل هو ما يتم بابنة العم، فإن الذرية لا تخرج عن نسب الأب، والطلاق ميسور والزواج بأكثر من واحدة لا ينقطع ويحدث في الوقت الحاضر. وتتمتع البدويات — وهن غالباً سافرات الوجوه يتزوجن أكثر من مرة في كثير من الحالات — بحرية أكبر مما تتمتع بها أخواتهن من أهل المدن والواحات. ووراء الأسرة ذاتها جماعة من الأقارب يخرجون عادة معاً سعياً وراء الكلأ، وتقضي جماعات عدة من هذه الجماعات فصل الصيف معاً، وهذا هو عادة حد القرابة التي يقع على عاتقها أخذ الثأر المتبادل، ووراء هذا القبيلة، وأخيرا الحلف، ويمكن أن نميز سلسلتين رئيسيتين من أنساب البدو الأقحاح وهم يسمون أيضاً الأعراب، وهما بنو قحطان الذي عاش قبل سيدنا إبراهيم، والعرب المستعربة الذين ينحدرون من صلب إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم وهاجر، وكانت ابنة ملك من ملوك الحجاز. ومن البدو الأقحاح حلف عنزة ومن أشهر قبائله الرُّوَالا وشَمَّر وآل مُرَّة في الربع الخالي وعلى مشارفه، وعُجْمان وبنو خالد. وتلتزم كل هذه القبائل بمجموعة من أحكام الفروسية الصارمة عندما تحارب بعضهم بعضاً.

ولما كان هؤلاء الأشراف من أصحاب الإبل المتنقلين فإنهم يهتمون في الغالب بالإفادة من المراعي في الشتاء والربيع، ومواضعها تختلف من عام لآخر إذ تخضع لتقلبات الأمطار. ويقوم بالعمل في كل مضرب من مضاربهم أتباع من العبيد، والصلبة، والرعاة المأجورين، والحدادين وكلهم لا يعدون من أهل النزال. ومن المألوف أن يولم الشيخ البدوي الولائم الباذخة في خيمة كبيرة والطعام فيها مبذول دائماً لأتباعه وضيوفه؛ وشرب القهوة له عادات وتقاليد لا محيد عنها، وتكاد تكون دائماً موضع إقبال الناس. وأفراد القبائل الأخرى الهاربون من الثأر ينشدون «وجهه»؛ ويجتاز المسافرون أرضه في حماية حراسه؛ وكثيراً مايقود بنفسه رجاله في المعركة حين ينشب القتال بين القبائل، والغالب أن يكون ذلك حول حقوق الرعي. والشجاعة والكرم وسداد الرأي هي الصفات التقليدية التي يجب أن تتوفر في زعيم مثل هذا الشيخ الذي لا يرث منصبه مباشرة بل يختار من بين أفراد الأسرة ذات السيادة بعد نزاع شديد

فى كثير من الأحيان . وكان البدو يهدون القوافل ، ويحمونها ويغيرون عليها بما فى ذلك مواكب الحج الضخمة ، وذلك قبل استعمال الناقلات والحافلات والسكك الحديدية والطائرات فى نقل البضائل عبر الصحراء .

والبدو مسلمون وسنيون على وجه الخصوص . وكثير منهم (وبخاصة فى شرقى الجزيرة العربية) يتبعون المذهب المالكى، بيد أن الوهابيين يتبعون عامة المذهب الحنبلى . ويقال إن البدو، بصفة عامة، يمضون فى العبادة وقتاً أقل ويبذلون جهداً أصغر من أهل المدن ، ولكن قد تنعكس الآية أحياناً . ويمكن أن نتبين فى بعض شعائرهم بقية من تمجيد الأسلاف .

ويختلف الوضع السياسى للبدو من عهد إلى آخر ، فعندما تكون الحكومات المركزية — التى تخضع لها رسمياً أراضى القبائل — ضعيفة، يحكم الشيوخ ذوو الصدارة كما لو كانوا ملوكاً ، بل إن المدن تؤدى لهم الجزية . وفى الأوقات التى تكون فيها الحكومات المركزية قوية تصبح سلطتهم محصورة فى نطاق محلى . ويوجد البدو فى الوقت الحاضر فى الحدود السياسية للعربية السعودية واليمن وعدن ومسقط وعمان والكويت والعراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين ومصر ودول شمالى إفريقية . وتحاول هذه الحكومات فى الغالب أن تحتفظ بالبدو من سكانها فى داخل بلادها . وفى بعض البلاد يدعم هذا الجهد ببرامج ترمى إلى توطين بعضهم فى أراضى استصلحت حديثاً للزراعة . وأقيمت على طول خطوط التابلاين صهاريج جديدة للمياه يستخدمها عدد من القبائل من بينها قبيلة الروالا .

وانتقلت جماعة من إحدى القبائل هى الدَّواسِر وموطنها الأصلى فى جنوبى نجد ، إلى الخليج العربى وإلى جزيرة البحرين ، ثم عادت عام ١٩٢٣ إلى البر واستقرت فى الخُبَر والدَّمّام . وعمل بعض أفراد قبيلة الدواسر فى العقود الثلاثة الماضية فى شركة الزيت العربية الأمريكية ، فبدأوا يعملون لحساب أنفسهم فى الإنشاء والنقل .

والبدو اليوم يجتازون فترة انتقال ، فبعضهم لايزال يهتم بتربية الإبل للانتفاع بلحومها وجلودها ووبرها فى الأسواق ، والبعض الآخر يشتغلون قادة ناقلات وميكانيكية ويقومون بتشغيل آلات إنتاج الزيت بمهارة ، ويرسلون أولادهم إلى المدرسة والكلية . وهم يثبتون أنهم يصلحون للعمل فى عصر الآلة كما كانوا يألفون العيش فى الصحراء عندما كانت تسنح لهم من قبل فرصة .

المصادر :

كتب عن البدو بصفة خاصة : (١) Aref el Aref : *Beduin love, law, and legend* ، القدس سنة ١٩٤٤ (٢) T. Ashkenazi : *Tribus semi-nomades de Palestine du Nord* ، باريس سنة ١٩٣٨ . (٣) Lady A. Blunt : *Bedouin tribes of the Euphrates* ، لندن سنة ١٨٩٧ . (٤) J.C. Burckhardt : *Notes on the Bedouins and Wahabys* ، لندن سنة ١٨٣١،

(٥) W. Casket : The Bedouinization of Arabia
في *Amer. Anthropologist*، مذكرة رقم ٧٦، سنة
١٩٥٤، ص ٣٦ — ٤٦ ؛ (٦) H. Charles :
Les tribus moutonnières du Moyen Euphrate،
بيروت سنة ١٩٣٩ ؛ (٧) L.F. Clauss :
Als Beduine unter Beduinen، فرايبورغ سنة
١٩٥٤ (٨) G. Levi Della Vida : *Pre-Islamic
Arabia*، في *The Arab Heritage*، پرنستون
سنة ١٩٤٤، ص٢٥—٥٧ (٩) H.R.P. Dickson :
The Arab of the Desert، لندن سنة ١٩٤٩ (١٠)
R.P.Dougherty : *The sealand of Ancient Arabia*،
سلسلة ييل الشرقية، الأبحاث، مجلد رقم ١٩،
نيوهافن (١١) Chas. M. Doughty : *Travels
in Arabia Deserta* (١٢) C. G. Feilberg :
*La tente noire, Nationalmuseets Skrifter Etnografisk
Raekke*، ج ٢، كوپنهاغن سنة ١٩٤٤
(١٣) J. B. Glubb, H. Field : *The Yezidis,
Salubba and other tribes*، سلاسل عامة في
الأنثروپولوجيا، تعليق رقم ١٠، مناشا،
ويسكونسن، سنة ١٩٤٣ (١٤) T.E. Lawrence :
The seven Pillars of wisdom (١٥) R. Montagne :
*La civilisation du desert : Nomades d'Orient et
d'Afrique*، پاريس سنة ١٩٤٧ (١٦) A. Musil :
Arabia Deserta، نيويورك سنة ١٩٢٧ (١٧) الكاتب
نفسه : *Manners and customs of the Rawla
Bedouins. Am. Geog. Mem.* ج ٦ ؛ (١٨) D. L.
O'Leary : *Arabia before Muhammad*، لندن سنة
١٩٢٧ (١٩) M. von Oppenheim : *Vom Mittelmeer
zum Persischen Golf*، برلين سنة ١٨٩٩—١٩٠٠
(٢٠) الكاتب نفسه : *Die Beduinen*، مجلدان،
ليپسك سنة ١٩٣٩ و ١٩٤٣ (٢١) C. R.
Raswan : *Tribal areas of the north Arabian
Bedouins* في *Am. Geog. Rev.* سنة ١٩٣٠ (٢٢)
الكاتب نفسه : *Drinkers of the wind*، لندن
سنة ١٩٤٠ ؛ (٢٣) الكاتب نفسه : *Black tents
of Arabia*، نيويورك سنة ١٩٤٧.

مؤلفات عامة : (٢٤) *The Arabian Peninsula*،
قائمة مختارة مذيلة بالشرح عن الدوريات والكتب
والمقالات بالإنكليزية، مكتبة الكونغرس، واشنطن
سنة ١٩٥١ (٢٥) Thos. Bertram : *Arabia Felix*،
نيويورك سنة ١٩٣٢ (٢٦) Sir R. Burton :
*Personal narrative of a pilgrimage to al-Madinah
and Meccah*، لندن سنة ١٨٩٨ (٢٧) R. E.
Cheesman : *In unknown Arabia*، لندن سنة
١٩٢٦ (٢٨) C. S. Coon : *Southern Arabia
a problem for the future, Peabody Museum Papers*،
ج ٢٠، ص ١٨٧—٢٢٠، كمبردج ماساشوستس
سنة ١٩٤٣ (٢٩) الكاتب نفسه : *Caravan, the
story of the middle east*، نيويورك سنة ١٩٥١
(٣٠) G. de Gaury : *Arabian journey and
other desert travels*، لندن سنة ١٩٥٠ ؛ (٣١)
V. H. W. Dowson : *The Date and the Arab*،
في *J.R. Cent. A.S.*، سنة ١٩٤٩، ص ٣٤—٤١
(٣٢) J. Heyworth-Dunne : *Bibliography and
reading Guide to Arabia*، القاهرة سنة ١٩٥٢.

(٣٣) D.G. Hogarth: *The Penetration of Arabia*، نيويورك سنة ١٩٠٤. (٣٤) الكاتب نفسه: *Arabia*، أوكسفورد سنة ١٩٢٢ ؛ (٣٥) H. Ingrams: *Report on the Social economic and Political conditions of the Hadhramaut*، *H. M. Stationery Office*، لندن سنة ١٩٣٦ (٣٦) الكاتب نفسه: *A Journey in the Yemen*، فى *J.R. Cent. A.S.* سنة ١٩٤٦ ، ص ٥٨–٦٩ . (٣٧) A. Jaussen: *Coutumes des Arabes au Pays de Moab*، باريس سنة ١٩٠٨. (٣٨) M. Steineke, G. Rentz, R. Lebkicher: *Saudi Arabia*، نيويورك سنة١٩٥٢؛ (٣٩) L. Lockhart: *Outline of the history of Kuwait*، فى *J.R. Cent A.S.* سنة ١٩٤٧ . (٤٠) D. Van der Meulen: *Aden to the Hadramant, a journey in South Arabia*، لندن سنة ١٩٤٧ (٤١) S.B.Miles: *Countries and tribes of the Persian Gulf*، لندن سنة ١٩١٩ (٤٢) H. St. J. Philby: *Heart of Arabia*، لندن سنة ١٩٢٣ . (٤٣) الكاتب نفسه: *The Empty Quarter*، لندن سنة ١٩٣٣ . (٤٤) الكاتب نفسه: *Arabian Highlands*، إيتاكا – نيويورك سنة ١٩٥٢. (٤٥) G. Rentz: *Literature on the Kingdom of Saudi Arabia*، فى *Middle East Journal*، سنة ١٩٥٠ (٤٦) الكاتب نفسه: *Recent Literature on Hadramaut*، فى المصدر المذكور، سنة ١٩٥١، ص ٣٧١ – ٣٧٧ (٤٧) R.H. Sanger: *The Arabian Peninsula*، إيتاكا – نيويورك سنة ١٩٥٤ (٤٨) K.S. Twitchell: *Saudi Arabia*، الخ. ، الطبعة الثانية ، برنستون سنة ١٩٥٣ ؛ (٤٩) F.S. Vidal: *Date culture in the oases of al-Hasa*، فى *Middle East Journal*، سنة ١٩٥٤ (٥٠) A. J. Villiers: *Sons of Sinbad*، نيويورك سنة ١٩٥٤ .

[كـ.س. كون Carleton S. Coon]

(٢) تاريخ أصل البداوة من الوجهة الجغرافية :

(ا) بداوة الماعز والأغنام .

(ب) البدوى على ظهر الجواد .

(حـ) البداوة فى الجزيرة العربية .

(د) ظهور بداوة الجمل فى شمالى إفريقية

(ا) بداوة الماعز والأغنام

إن مصطلحى « بدوى » و « بداوة » يفقدان صلاحيتهما للتطبيق العلمى إذا لم يستخدما بمعناهما الضيق وهو « السعى من مكان إلى مكان وراء المرعى » (معجم أكسفورد الوجيز *Concise Oxford Dictionary*) . فالبداوة إذن تجوال ليس فيه استقرار ورعى قطيع من الأنعام .

أما جامعو الثمار والصيادون الجائلون وكذلك السكان الذين يتنقلون سعياً وراء الأرض الصالحة للزراعة (انظر Gourou ، *milpa, ladang*) فلا يوصفون بالبداوة ؛

وإذا تتبعنا تعاقب « الأصول الزراعية » فى العالم القديم بمفهوم كـ. أ. ساور C. O. Sauer (١٩٥٢) كما تناولها المؤلفون وفصلوها فى بحثين

(١٩٥٦ ، ١٩٥٧) فإن البداوة بهذا المعنى الضيق بدأت فى عصر متأخر عن الزرع وتربية الحيوانات المنزلية ، أى الكلب والخنزير والدجاجة (يفرق ساور بين الحيوانات المنزلية وبين حيوانات الرعى) .

وبحسب تفسير ساور ، بدأ تعاقب المراكز المبدعة لاستئناس الحيوان والزراعة ، وهو تعاقب لا يزال فى حيز الفروض ، على طول ضفاف الأنهار وسواحل الغابة الاستوائية الرطبة حول خليج البنغال حيث شرع قوم من صيادى الأسماك — الذين استقروا بعض الاستقرار والذين كانوا فضلا عن هذا يصطادون الحيوانات ويجمعون النباتات وبلح البحر — فى تربية هذه « الحيوانات المنزلية » (الكلب والخنزير والدجاجة) وفى زرع الدرنات وشجيرات الفاكهة والأشجار (انظر أيضاً E. Hahn و Hettner, و Menghin و Werth ، سنة ١٩٥٠ و ١٩٥٤ و Dittmer و Smolla) .

أما زراعة نباتات البذور (« الدُّخْن » — وهذا مصطلح يشتمل على مختلف أنواع الحبوب الصغيرة — وكذلك البقول والنباتات التى يستخرج منها الزيت) فقد أضيفت وقتذاك فى الغابة التى تجف فى الشتاء حيث يمكن إحراقها بسهولة ، وفى السهوب ذات الأشجار فى الهند أول الأمر . وهذه النباتات تمد الإنسان بالبروتينات والزيت وتجعله يستغنى عن الغذاء الحيوانى وبخاصة السمك .

ويبدو أن الخطوة التالية التى أقدم عليها الإنسان فى هذا التعاقب المطرد للثقافات الذى أصبح فيه « سيد المخلوقات » هى تربية الماعز ، (ثم) الأغنام فى المناطق الجبلية شمالى غرب الهند حول جبال هندوكش . ولعل الذى حفز إلى هذا الاتصال الوثيق بين زراع البذور وصيادى الجبال الذين كانوا يعدون الماعز البرى أو الأغنام البرية حيوانات مقدسة . وهكذا نشأت ثقافة أضيف فيها الرعى إلى زراعة البذور والصيد . وقد تعد مرحلة أولية للزراعة باعتبارها ثقافة تمتزج فيها الفلاحة بتربية الماعز والأغنام (« *Kleinvieh-Bauerntum* ») وذلك إذا أخذنا الزراعة بمعنى المزيج من الرعى وفلاحة الأرض .

والنتائج التى أسفرت عنها البعثة الخاصة بدراسة السلالات التى قام بها أ. فريدريك A. Friedrich (Jettmar ١٩٥٧ ب) تؤيد تأييدا قويا صحة هذا الفرض وبخاصة بالنسبة للماعز .

وفى الوديان القصية لشين بگِلگِت بعد الماعز البرى ذو القرون اللولبية الشكل، وكذلك الوعل، من الحيوانات المقدسة التى «ترعاها ربّات » . ويشترك معهما فى هذه القداسة العنزة الأليفة وهى من نسل الماعز البرى من الإقليم نفسه . وكان اقتصاد شين يقوم على زراعة النزر اليسير من الدُّخْن مع الاستكثار الكثير من سلالات من الماعز وصيد وفير للماعز البرى والوعل . ويسوق جتمار Jettmar عدة أدلة على النظرية التى تقول إن استئناس الماعز حدث فى هذه المناطق .

ولابد أن تجربة استئناس الحيوان — وهى هذا التدخل الهائل فى ميزان الطبيعة — قد اقتضت

دائماً عاطفة دينية عميقة ، ويطلق جبّار على هذه العاطفة اسم فورة دينية جياشة إلى الاستئناس ، (انظر E. Hahn) .

ولعل زراعة الشعير المزدوج الصف (*Hordeum Spontaneum*) باعتباره أول بذر كبير (« *Halmgetreide* ») قد تطورت فعلا فى تلك المنطقة ، ومن الراجح أن يكون الرى على نطاق صغير قد بدأ فى هذه المرحلة ، إن لم يكن قد بدأ فى مرحلة أقدم من ذلك .

وإنما مسألة الخطوة الكبرى التالية التى كانت إلى حد كبير سببا فى تنويع أساليب الحياة الاجتماعية والاقتصادية هى التى يتفاوت بعدُ حظها من الإثبات من حيث علم الآثار . ففى الهضاب والجبال القائمة فى غربى آسية ، فى موضع بين غربى إيران وسورية ، كانت الماشية تربى وكان القمح البدائى (*emmer* ، *Triticum dicoccum*، *T. monococcum, einkorn* ، وربما رسمت *T. Spelta*) يزرع إلى جانب الفلاحة الأساسية التى تقوم على تربية الماعز والأغنام . وليس من شك فى أن إمكان إقامة ثقافة تقوم بأكملها على الفلاحة (« *Vollbauerntum* ») هو الذى أصبح من بعد أساس حضارة عريقة قامت فى بلاد ما بين النهرين ومصر .

وكانت هذه النويّات الرئيسية الأربع للثقافات المبدعة التى أثمرت تربية الحيوانات وزراعة النباتات تعتمد بعضها على بعض ، وقد ينظر إليها على أنها ليست إلا مركزا واحدا متنقلا يظهر قرب خليج البنغال ويسير قدما إلى أن يبلغ الهضاب والجبال الواقعة حول بلاد الجزيرة ، وقد دفعت كل مرحلة من هذه المراحل الأربع موجات متفرقة إلى أجزاء كبيرة من هذا العالم ، ويبدو أن جميع الأقاليم الأخرى بالقياس إلى هذه المراكز المبدعة ، كانت مناطق يتفاوت حظها من الركود ، اقتبست فيها عناصر من هذه الموجات أو عدّلت أو أنكرت حسب ما أملته الظروف الحضارية أو المناخية .

وأول معلومات مكنتنا أن نستخدمها فى إدراج هذا التعاقب فى إطار من الزمن المطلق هى المعلومات الخاصة بالكربون الإشعاعى بالنسبة للمحلات التى قامت قبل عصر الفخار مع وجود الفلاحة الكاملة قرب قلعة جرمو فى التلال الواقعة شرقى كركوك حوالى عام ٤٧٥٠ ق . م ، وهى محلات لاتعرف الرى (بريدوود Braidwood) والمعلومات الخاصة بمحلة أريحا Jericho المحصنة التى عرفت الرى فى الألف السابعة قبل الميلاد ، ويشك و . ف . آلبرايت W. F. Albright فى هذا التاريخ الأخير (رسالة شفوية منه) ، وكان القمح البدائى الذى ينمو فى قلعة جرمو لايزال أقرب مايكون إلى الشكل البرى منه إلى الشكل المزروع من بعد (Helback ، Schiemann بالمراسلة) .

وربما يدل هذا على أنه لم يكن قد مضى وقت جد طويل منذ الشروع فى زراعة القمح البدائى ، ويقال إن أقدم طبقات فى المحلات الواحية المعروفة فى أريحا يرجع تاريخها إلى أوائل الألف السابعة قبل الميلاد ، ولكن كنيون Kenyon وتسونر

Zeuner لم يكونا قد أنبآنا بتبأ الحيوانات الأليفة (ماعلنا العنزة) وزراعة البذور هناك ، ولعل الحضارة الناتوفية Natufian فى فلسطين (گارو Garrod ، وبيت Bate) أعرق من أقدم الطبقات فى أريحا . ونحن نشاطر ساور Sauer وآلبرايت Albright (سنة ١٩٤٩ ، ص ١٢٩) الرأى ونفترض أن زراعة البذور ، التى تثمر بعض أنواع الدخن ، كانت قد تمت إبان المرحلة الناتوفية (انظر كلارك ، Narr سنة ١٩٥٦).

ومن جهة أخرى فإننا الآن على قدر كبير من اليقين بأن الألف التاسعة ق . م . كانت عصرا شديد البرودة فى جميع أرجاء الأرض (الزحف الجليدى المعروف باسم « *Salpausselkae* » فى شمالى أوروبا ، والـ « *Schlern* » فى الألب والـ « *Mankato* » فى أمريكا الشمالية حتى منطقة البحيرات الكبرى والجلاميد حول البحيرات التى عند سفوح الجبال شرقى بتاغونيا) وقد بلغ حد الثلج فى هذا العصر مايقرب من ٨٠٠ متر وهو أقل من هذا الحد الآن (Firbas ، Caldenius ، Butzer ، Rathiens ، Gross ، Deevey) . ولكن درجات الحرارة كانت أكثر ارتفاعا منذ عام ٥٥٠٠ إلى عام ٢٥٠٠ ق . م . تقريبا فى جميع أنحاء الكرة الأرضية عما هى عليه الآن ، ولهذا كان حد الثلج وحد الشجر وحد الحَبّ المحتمل تقع على ارتفاع يقرب من ٤٠٠ متر تقريبا فوق الخطوط الحالية (الحرارة القصوى *Mittlere Waermezeit*). ويخيل إلى أنه من المستبعد أن تنشأ ثقافة رعوية فى الجبال الواقعة شمالى غربى الهند فى عصر زحف جليدى أو تجمد غاية فى الشدة ؛ وإنى لأذهب إلى أن هذا حدث فى فترة انحسار جليدى، وربما كان فى النصف الأول من هذه الفترة، وقد وقع هذا الانحسار طوال الفترة من عام ٨١٠٠ إلى عام ٥٥٠٠ ق . م . وارتفعت درجات الحرارة بسرعة نوعا ما ووصل حد الشجر وحد الحَبّ إلى الارتفاعات العظيمة المذكورة سابقا . ولكن الواحات الطبيعية فى الصحراوات المحيطة بسلاسل الجبال فى آسية الوسطى أخذت دائما تتضاءل وتندر نظرا لأنها كانت تستمد مياهها من أنهار تولدت من الثلاجات المرتدة التى كان حجمها ينكمش باستمرار، وأمكن لثقافة تقوم على تربية الأغنام أن تنتشر حوالى عصر الحرارة القصوى وأثناءه ، فى أرجاء التبت حيث كان الجو ألطف كثيرا وقتذاك . ولم تكن هذه الثقافة بدوية خالصة (انظر Kussmaul, Hermanns) . ولعلها بدأت فى زراعة الشعير السُّتّى الصفوف (*Hordeum Vulgare* ، أى *hexastichum*) ، ومن الراجح أن شكله البرى هو *Hordeum agriocrithon* الذى وجد حول لهاسا وفى شرقى التبت (Freisleben ، Schiemann سنة ١٩٤٨ و ١٩٥١) . ويبدو أن الأنواع المختلفة المزروعة من الشعير السّتى الصفوف مولدة كلها من هذا النوع . وقد انتشرت فى أرجاء الصين والهند ، ويبدو أنها شقت طريقها من الهند إلى جنوبى الجزيرة العربية والحبشة (التى أصبحت مركزا ثانويا للتحول) ، ومن هناك وصلت إلى صعيد مصر

حيث كان القمح البدائى المزروع قد دخل من سورية ونما فى صعيد مصر إلى جانب الشعير السنى الصفوف فى الألف الخامسة الأخيرة ق٠م٠ (Gardner و Brunton و Libby و Arnold و Kees و Caton Thompson) ٠

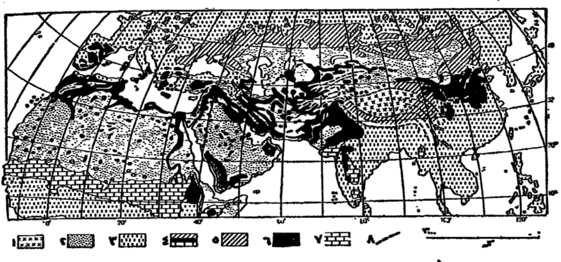
والظاهر أن الطريق من هندوكش وشرقى إيران المار بجنوبى الجزيرة العربية إلى إفريقية كانت له أهمية كبيرة فى نشر الثقافات ، وانتشار القبائل أيضاً (Poech) — إبان فترات طويلة وبخاصة أثناء الفترات التى انتشرت فيها زراعة البذور قديماً ، والفلاحة التى تقوم على تربية الماعز والأغنام ٠

وليس فى الجزيرة العربية والحبشة ماعز برى : بيد أن تبجيل صيد الوعل وطقوسه انتشر أيضاً فى هذه البلاد . وكانت عبادة الوعل شائعة فى جنوبى الجزيرة العربية فى الألف الأخيرة قبل الميلاد : وكان الإله الوعل تألب حاميا للماعز والغنم (Hoefner, Beeston) . وقد كان صيد الوعل حتى اليوم شعيرة فى حضرموت (- Von Wissmann Van der Meulen ص ١٧٧ وما بعدها) ٠ ويبدو أن الوعل كانت له مكانة مماثلة للملك فى ثقافتى البدارى ونقادة القديمة فى مصر بعد عام ٤٠٠٠ ق٠م٠ : (Brunton ، اللوحات) ، وكانت مكانته فى نقادة إلى جانب الثور ٠ ويجدر بنا ألا ننسى أن أگاثرخيلس Agatharchides (حوالى عام ١٣٠ ق٠م٠ : C. Müller ، Geogr. Graec Min ، جـ ١ ، ص١٥٣) يقول فى وصفه سكان الكهوف المتبدين قرب الساحل الغربى للبحر الأحمر (المعروفين باسم البلميس Blemmyes والبجا) أنهم كانوا يسمون الثيران والكباش أباهم ، والبقر والغنم أمهم ٠

وكانت الثقافات الأولى القائمة على تربية الماعز والأغنام بالدُّخن وتربية الماشية بالحبوب الكبيرة مقصورة فى تفاوت ما على الأجواء والزروع ، من غابة غير كثيفة وسهوب حافلة بالشجر ، إلى أرض شبه صحراوية وكذلك على الواحات الطبيعية والصناعية ٠

وتمتاز كل هذه فى الغالب بتربة رقيقة خصبة يمكن زرعها بسهولة (خريطة رقم ١) ، والسهوب الحافلة بالشجر صالحة للزراعة والرعى على السواء ، والسهوب الجافة أميل إلى أن تكون مراعى جيدة ، فهى أرض صالحة للزراعة ، بيد أن الزراعة التى تعتمد على مياه الأمطار تتعرض للخطر فى سنوات الجفاف ، والسهوب الصحراوية أو شبه الصحراوية أجف من أن تصلح لهذا النوع من الزراعة ، ومهما يكن من أمر فإنه يمكن الإفادة منها مرعى هزيلا للماعز والأغنام ولكنه لا يصلح للماشية ، وكذلك توجد المراعى الجيدة فى الهضاب الواقعة فوق خط الحبوب ٠

وفى مناطق السهوب الصحراوية حيث تنعدم الواحات أو تندر استطاع قوم من رعاة الأغنام والماعز ، وليس الماشية ، أن يفترقوا عن القبائل المشتغلة بالفلاحة فى السهوب وأن يصبحوا بدوا مستقلين ، ومهما يكن من أمر فإن مثل هؤلاء البدو الذين يربون الغنم فى مناطق شبه صحراوية لا بد أن يكونوا فى جميع الأحوال قد عاشوا دائماً



خريطة (١) : أقاليم واحات وسهوب فى المنطقة الجافة للعالم القديم ، مصنفة حسب أحوالها الحرارية .

١ ـــ صحراء هضبية ؛ ٢ ـــ صحراء ، وشبة صحراء ٣ ـــ غابة ؛ ٤ ـــ واحة ، وسهب ، وسهب حافل بالشجر ؛ ٥ ـــ سهب صيفه رطيب وشتاؤه بارد ؛ ٦ ـــ واحة ، وسهب صيفهما طويل حار ؛ ٧ ـــ سهب مدارى ليس فيه جليد ؛ ـــ سلسلة جبلية .

فى ضنك بالقياس إلى القبائل التى تعيش فى مناطق أكثر رطوبة أو مناطق تتناثر فيها واحات . وفى هذه المناطق الأخيرة يكون فريق من القبيلة مشتغلا بالزراعة ، وفريق آخر مشتغلا بالرعى (« بداوة جزئية ») .

وهكذا نجد أن فرعاً من قبيلة أو وحدة اجتماعية تشتغل بالفلاحة فى السهوب ـــ أو حتى بالفلاحة فى الواحات ـــ قد عاش فى بداوة خالصة . (وتشبه هذه الطريقة فى العيش إلى حد ما النُّقْلة الموضعية فى جنوبى أوروبا) . ويذهب و. ف . آلبرايت W. F. Albright (١٩٤٦ ، ا ، ب ، ١٩٤٩ ص ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٦٢ وما بعدها ، ص ٢٥٧) إلى أن الجيران الساميين للسومريين كانوا من القبائل التى تشتغل بالرعى وتعيش فى بداوة جزئية عندما شرع السومريون فى رى أرض الجزيرة السفلى فى مطلع الحضارة .

وضغط الساميون الغربيون (العموريون) على البابليين وبخاصة بين عامى ٢١٠٠ و ١٩٠٠ ق . م . وكان هؤلاء البدو القدماء يختلفون عن أى فئة حديثة من فئات المجتمع فى الجزيرة العربية ، بدو أو شبه بدو أو صليب (صلبة) ، وكانوا يقتنون ماعزا وغنماً وحميرا . وكان الصيد وسرقة المحصول عندهم من الأهمية بمكان . وكانوا يرحلون ويغيرون وهم راجلون . وقد أدى هذا إلى تعذر عبورهم الصحراء عبوراً كاملا إلا فى فصل الربيع . ولم يكونوا يجروؤن على الظعن أكثر من مسيرة يوم واحد (٣٠ كم) من مورد المياه . وكان عليهم فى الصيف أن يعتمدوا على واحات أو مناطق

عامرة أخرى أو ينتجعوا الكلأ فى مناطق فلاحة بالملال الخصيب . أما عن موقف المصريين تجاه هؤلاء القوم الرحل وهيمنتهم على الحدود فى الشرق فانظر كيس (Kees ، ص ٦٤ وما بعدها ، ١٠٦ وما بعدها وبخاصة بردية بطر سبرغ ورقترقم ١١١٦ ا ، سطر ٥١ وما بعده : « إن [الأسيوى] لا يقيم قط فى المكان الواحد، ويتجول بقدميه منذ عهد حورس ،وهو محارب غير غالب ولا مغلوب »). وكان الفرق بين البدو، وأشباه البدو ، والبدو فى أوقات معينة ، وفلاحى السهوب ، وبين فلاحى الواحات الصغيرة ، طفيفاً ، وكان التداخل المهنى شائعاً أكثر مما كان عليه فى الفترات المتأخرة (انظر W.F. Albright ، سنة ١٩٤٦ ، ص ١٨١ وما بعدها ، وبخاصة سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٣٩ وما بعدها عن بنى إسرائيل فى الصحراء والبطارقة والعبيرو أو الخبيرو) . ومن الأفضل فى كثير من هذه الحالات أن نتحدث عن الرعوية لا البداوة .

ويبدو أنه لم يحدث أن انتشرت فى أى جزء من آسية أية بداوة كاملة تعتمد على رعى الماشية كما هو حادث فى أجزاء من إفريقية جنوبى الصحراء، اللهم إلا البداوة التى تقوم على رعى البقرة الوحشية المسماة الخُشْقاء (Yak) فى الهضاب الواقعة فوق حد الشجر فى تيان شان التبت . والحق إن الماشية لا يلائمها الرعى فى أرض شبه صحراوية ، كما أنها تجد صعوبة فى رعى الكلأ فى فصل الشتاء فى السهوب التى يكسوها جليد كما هى الحال فى غربى سيبريا (انظر Hanchar, Potapov ، ص ٣٩٠) .

وقد تبينا أن الحياة الرعوية كانت جانباً لا يستهان به فى الثقافات التى عرفت الفلاحة منذ نشأتها . ورأينا أن أقدم استئناس للقطعان ورعيها قد تطور فيما يرجح بمنطقة هندوكش على يد زراع للبذور يحيط بهم صيادون جبليون للوعل والماعز البرى (وربما الغنم) وأن هذا كان ابتداعاً ارتبط بعاطفة دينية عميقة ، وهو ابتداع انتهى بزراع البذور إلى أن يصبحوا فلاحين فى السهوب . ولا بد أن هؤلاء الفلاحين فى السهوب كانوا أكثر ظعنا من زراع البذور بسبب الشُعب المشتغلة بالرعى من عشائرهم .

ولكننا لن نتحدث عن البداوة الكاملة إلا فى البقاع التى انشق فيها رعاة الأغنام والماعز تماماً عن أقربائهم أو جماعتهم وتخلوا عن الزراعة .

وعند ما كانت تتسع رقعة إحدى الواحات ويزداد بها العمران فإن سكانها كانوا يزدادون ميلا إلى ملازمتها والإقامة فيها . وتدل الحفائر الجديدة عن آثار ما قبل عصر الفخار فى أريحا على أن مثل هذه القرى التى يتوفر فيها الرى كانت قديماً جداً محصنة مثل المدن، وربما حدث هذا فى أريحا فى الألف السابعة قبل الميلاد (Zeuner و Kenyon) . ولعل هذه كانت أول بذرة غرست للحضارة التى أصبحت من بعد حضارة قديمة فى الألف الرابعة ق.م. فى واحات دلتا الجزيرة حيث اقتضت الخطط الموضوعة للرى

على نطاق واسع معاونة الحكومات وتمركزها وتشكيلها ، وحيث كان العمل الجماعي مطلوبا بنفس القدر المطلوب به تقسيم العمل والتخصص فيه وتدعيمه ، وحيث ظهرت الاختراعات التقنية (العجلة ، والعربة ، والمحراث) .

وأخذ التناقض بين الفلاحة في السهوب وحضارة الواحات يزداد شدة باستمرار نتيجة لهذا التطور ، على حين تمثل النسل العام في « الأم العظمى » والأصنام التي نحتت على هيئة الثور ، وهذه وتلك كانتا تعبدان في كلتيهما .

وفي غضون ذلك كانت الفلاحة في السهوب بكل سماتها الرعوية قد انتشرت عن طريق آسية الصغرى إلى جنوبي شرق أوروبا ، وإلى غابات السنديان القليلة الكثافة في وسط أوروبا (الحضارة الدانوبية ، منذ حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م. ، طبقاً للمعلومات الخاصة بالكربون الإشعاعي) . وبدأت منذ فترة الألف الثالثة في التسلل من ثقافة تريبولاي (غربي نهر الدنيبر) إلى السهوب الحافلة بالشجر في روسيا وسيبيريا . وكان يسكنها وقتئذ قوم متقدمون من الصيادين (Hanchar) ؛ وكانت كل هذه الأقاليم غير صالحة لاقتصاد واحي لأن فصول الصيف فيها كانت باردة وقصيرة (خريطة رقم ٢) .

وإني لأحسب أن ثمة من سمات التعاقب الفرضي إلى حد كبير المراكز المبدعة التي تتيح للإنسان أن يكسب خطوة بعد خطوة السيطرة على الكائنات الحية الأخرى ويوسع من نطاق هذه السيطرة ، هي التي تطابق على نحو أفضل تعاقب الثقافات الذي يصوره كثير من علماء السلالات مثل ديتمر Dittmer ، كما أن لها الفضل في جعل الاختراعات المناظرة لها غير ضرورية إلى حد كبير .

ولا نستطيع هنا أن نتناول الرأي الذي ساقه فلور Flor وشميدت W. Schmidt وبولهاوزن Pohlhausen وغيرهم ، وهو الذي يقول إن حيوان الرنة يمثل أقدم الأنعام المستأنسة التي رعاها الإنسان ، ولهذا فإن البداوة تبدأ بين صيادين يربون الكلاب في غابة الأشجار المخروطية في منطقة القطب الشمالي (الغابات ذات الأشجار المخروطية taiga وغابات المستنقعات muskeg) في أوراسيا ، وتنتشر نحو الجنوب .

وقد أوضح جتمان Jettman (١٩٥٢ — ١٩٥٣) وآخرون منذ عهد قريب أن الحوافز التي دفعت إلى استئناس حيوان الرنة نشأت من تربية الجواد ، ويعد هو نفسه من الحيوانات التي اقتناها الإنسان في عصر متأخر نوعاً ما (انظر ما يلي) وقد أصبح عدد أنصار هذا الرأي ضئيلا ؛ كما انهار الأساس الذي بنى عليه هانكار Hanchar رأيه القائل بأن حيوان الرنة استخدم في الجر والركوب » ويبين جتمار Jettmar (١٩٥٧ أ) وأوكلادنيكوف Okladnikov أن ما عثر عليه في إقليم لينا Lena من آثار تكشف بجلاء عن استخدام حيوان الرنة في الركوب ، لا يرجع تاريخها إلى الألف الثانية ق . م . كما رأى هانكار ،

Hanchar؛ بل إلى تاريخ يبدأ من عام ٧٠٠–٥٠٠ ق.م. (انظر ما يلى).

المصادر:

(١) W.F.Albright: From the Stone Age to Christianity، بلتيمور سنة ١٩٤٦ أ (٢) الكاتب نفسه: Archaeology and the religion of Israel، بلتيمور، سنة ١٩٤٦ ب (٣) الكاتب نفسه: Von der Steinzeit zum Christentum، برن سنة ١٩٤٩ (٤) O.Antonius: Grundzuege einer Stammesgeschichte der Haustiere، فينا، سنة ١٩٢٢ (٥) J.A. Arnold و W.F. Libby: Radiocarbon dates II, Science عدد ١١٧، سنة ١٩٥١، ص ٢٩١ (٦) D.M.A. Bate: The fossil antelopes of Palestine in Natufian times with description of new Species في Geolog. Mag. عدد ٧٧، سنة ١٩٤٠، ص ٤١٨ – ٤٣ (٧) A.F.L. Beeston: The Ritual Hunt، في Muséon عدد ٦١، سنة ١٩٤٨، ص ١٨٩ وما بعدها (٨) الكاتب نفسه: The Ta'lab Lord of Pastures Texts، في BSOAS مجلد ١٧، سنة ١٩٥٥، ص ١٥٤ – ١٥٦ (٩) R. J. Braidwood و Ch.A. Reed: The Achievement and Early Consequences of Food Production، في Cold Spring Harbour Symposion on Quantitative Biology، جـ ٢٢، سنة ١٩٥٧، ص ١٩–٣١ (١٠) G. Brunton: Mostagedda and the Tasian Culture، بعثة المتحف البريطانى إلى مصر الوسطى، لندن سنة ١٩٣٧ (١١) K.W. Butzer: Late Glacial and Postglacial Climatic Variation in the Near East، في Erdkunde عدد ١١، سنة ١٩٥٧، ص ٢١ – ٣٥ (١٢) C.C. Caldenius: Las glaciaciones cuaternarias en la Patagonia y Tierra del Fuego، في Geograph. Annaler، ستوكهلم، سنة ١٩٣٢، ص ١ – ١٦٤ (١٣) E.W. Gardner و G. Caton- Thompson: The Desert Fayum، مجلدان، لندن سنة ١٩٣٤ (١٤) J.G.D. Cark: Die Mittlere Steinzeit، طبعة ف. ڤالياڤك، Historia Mundi: F. Waljavec سنة ١٩٥٢، ص ٣١٨ – ٤٥ (١٥) E.S.Deevey: Palaeolimnology and Climate، في طبعة H. Shapley، Climatic Change، هارڤارد سنة ١٩٥٣، ص ٢٧٣ – ٣١٨ (١٦) K. Dittmer: Allgemeine Volkerkunde، برنسويك سنة ١٩٥٤ (١٧) H. Field: Ancient and Modern Man in southwestern Asia دار نشر ميامى، سنة ١٩٥٦ (١٨) F. Fibras: Spaet - und nacheiszeitliche Waldgeschichte Mitteleuropas nordlich der Alpen I، فينا، سنة ١٩٤٩ (١٩) F. Flor: Haustiere und Hirtenkulturen في Wiener Beitraege zur Kulturgeschichte، ڤينا سنة ١٩٣٠، جـ ١ (٢٠) R. Freisleben: Die Phylogenetische Bedeutung asiatischer Gersten، في Zuechter عدد ١٢ سنة ١٩٤٠، ص ٢٥٧ – ٧٢ (٢١) D. M. A. Bate و D.A.E. Garrod: The Stone Age of Mount Carmel، جـ ١، أكسفورد سنة ١٩٣٧ (٢٢)

Das Alleroed-Interstadial als Leitho- : H. Gross
rizont der letzten Vereisung in Europa und Amerika
في Eiszeitalter und Gegenwart ، سنة ١٩٥٤ ،
ص ١٨٩ — ٢٠٩ (٢٣) Les Pays : P. Gourou
tropicaux ، باريس سنة ١٩٤٧ (٢٤) : E. Hahn
Das Alter der wirtschaftlichen Kultur der Mensch-
heit ، هيدلبرغ سنة ١٩٠٥ (٢٥) : F.Hanchar
'Das Pferd in Praehistorischer und historischer Zeit
في Wiener Beitraege zur Kulturgeschichte und
Linguistik عدد ٩ ، فيينا سنة ١٩٥٦ (٢٦)
في Archaelogy and Agricultural Botany : H.Helback
'Ann. Report Univ. of London Institute of Archaeol.
عدد ٩ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٤٤ — ٥٩ (٢٧)
فيينا ، Die Normaden von Tibet : M. Hermanns
سنة ١٩٤٩ (٢٨) Der Gang der : A. Hettner
Kultur ueber die Erde في Geograph. Schriften '
ج١ ، ليبسك سنة ١٩٢٣ (٢٩) : M. Hoefner
Ta'lab als Patron der Kleinviehhirten, Serta Canta-
brigiensia ، فيسبادن سنة ١٩٥٤ (٣٠) : K. Jettmar
Zu den Anfaengen der Rentierzucht ' في Anthropos
عدد ٤٧ ، سنة ١٩٥٢ ، وعدد ٤٨ ، سنة ١٩٥٣
(٣١) الكاتب نفسه : Review of F. Hanchar
(انظر ما سبق) ، في Central Asiatic Journal
عدد ٣ ، سنة ١٩٥٧ أ ، ص ١٥٥ — ١٦٠ (٣٢)
الكاتب نفسه : Heidnische Religionsreste im Hind-
ukusch und Karakorum في Wissenschaft und
Weltbild ، فيينا سنة ١٩٥٧ ، سنة ١٩٥٧ ب (بونية) ،

ص ١٢٦ — ١٣١ (٣٣) Das alte : H. Kees
Aegypten eine Kleine Ladeskunde ، سنة ١٩٥٦
في Excavations at Jericho : K.M. Kenyon (٣٤)
Palestine Exploration Quarterly ، سنة ١٩٥٦ أ ،
ص ٦٧ — ٨٢ وسنة ١٩٥٧ ، ص ١٠١ — ١٠٧
(٣٥) الكاتب نفسه : Jericho and its Setting in
Near Eastern History ' في Antiquity عدد ٣٠ ،
سنة ١٩٥٦ ب ، ص ١٨٤ — ١٩٥ (٣٦)
'Fruehe Nomadenkultur in Innerasien : F.Kussmaul
في Tribus Jahrb. des Linden - Museums '
شتوتكارت سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، ص ٣٠٥ —
٣٦٠ (٣٧) Radiocarbon dates II : W.F. Libby '
في Science عدد ١١٧ ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢٩١ (٣٨)
' Weltgeschichte der Steinzeit : O. Menghin
فيينا سنة ١٩٣١ (٣٩) H. von Wissmann و
لیدن سنة ١٩٣٢ Hadramaut : D. von der Meulen
'Bauern و Pflanzer و Hirter, و K. J. Narr (٤٠)
في Historia Mundi (المحرر) : F. Valjavec '
ج٢ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٦٦ — ١٠٠ (٤١) الكاتب نفسه :
Archaeologische Hinweise zur Frage des aeltesten Getre-
idebaues ' في Paideuma عدد ٦ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٤٤ .
Ueber die aethiopide : H. Poech (٤٢) ٢٥٠ —
في ' und gondide Rasse und ihre Verbeitung
Anthropologischer Anzeiger سنة ١٩٥٧ ، ص ١٤٧ —
١٥٧ ولوحة رقم ٢ . (٤٣) H. Pohlhausen و
في Das Wanderhirtentum und seine Vorstufen
Kulturgeschichtl. Forschungen عدد ٤ ، برنسويك سنة

(٤٤): ١٩٥٤ C. Rathjens jr. : *Das Schlernstadium und der Klimaablauf der Spaeteiszeit, Eiszeitalter und Gegenwart* ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٨١ — ١٨٨ (٤٥) C.O. Sauer : *Agricultural Origins and Dispersals* في *Bowmann Memorial Lectures Ser. 2.* ، نيويورك سنة ١٩٥٢ . (٤٦) E. Schiemann : *Entstehung der Kulturpflanzen* ، في *Ergebnisse der Biologie* عدد ١٩ ، سنة ١٩٤٣ ، ص ٤٠٩—٥٥٢ (٤٧) الكاتب نفسه : *Weizen, Roggen, Gerste Systematik, Geschichte und Verwendung* ، يينا سنة ١٩٤٨ . (٤٨) الكاتب نفسه : *Neue Gerstenfunde aus Ost. Tibet und ein weiterer Fund von Hordeum agriocrithon Aberg* ، في *Berichte der Deutschen Botanischen Gesellschaft* عدد ٦٤ ، سنة ١٩٥١ ، ص ٥٧ — ٦٩ (٤٩) W. Schmidt : *Rassen und Voelker in Vorgeschichte und Geschichte des Abendlandes* : ٣ مجلدات ، لوسرن سنة ١٩٤٦ (٥٠) الكاتب نفسه *Zu den Anfaengen der Herdentier zucht* في *Ztschr. f. Ethnologie* عدد ٧٦ ، سنة ١٩٥١ ، ص ١ — ٤١ ، ٢٠١ وما بعدها (٥١) W. Koppers و W. Schmidt : *Voelker und Kulturen* ، ريكنزبورغ سنة ١٩٤١ (٥٢) G. Smolla : *Bemerkungen zur Frage der Herausbildung neolithischer Kulturscheinungen* ، مخطوطة سنة ١٩٥٥ (٥٣) M. Sorre : *Les céréales alimentaires du groupe des Sorghos et des millets* : في *Annales de Geogr.* ٥١ ، سنة ١٩٤٢ ، ص ٨١ — ٩٩ (٥٤) N. I. Vavilov : *The Problem of the Origin of the World's Agriculture in the Light of the Latest Investihatigns, Address to 2 nd. Internat. Cong. of Hist., Sc. and Techn.* ، لندن سنة ١٩٣١ (٥٥) E. Werth : *Zur Geographie der Hirsen* ، في *Angewandte Botanik* عدد ١٩ ، سنة ١٩٣٧ ، ص ٤٢ — ٨٨ (٥٦) الكاتب نفسه : *Suedasien als Wiege des Landbaus* ، شتوتگارت سنة ١٩٥٠ (٥٧) الكاتب نفسه : *Grabstock Hacke und Pflug Versuch, einer Entstehungzsgeschichte des Landbaus* لودفكسبورغ سنة ١٩٥٤ (٥٨) H.V. Wissmann : *Die Klima-und Vegetationsgebiete Eurasiens* ، في *ZGErdk Berl.* ، سنة ١٩٣٩ ، ص ١ — ١٤ . (٥٩) الكاتب نفسه : *Arabien und seine Kolonialen Ausstrahlungen* ، في طبعة O. Schmieder ، *Lebensraumfragen europaeischer Voelker II* ، ليبسك سنة ١٩٤١ ، ص ٣٧٤ — ٤٨٨ (٦٠) الكاتب نفسه : *Ursprungsherde und Ausbreitungswege von Pflanzen-und Tierzucht und ihre Abhaengigkeit von der Klimageschichte* ، في *Erdkunde* مجلد ٢ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٨١ — ٩٤ ، ص ١٧٥ — ١٩٣ (٦١) Wissmann - Hôfner : انظر ما يلي (٦٢) H. v. و F. Kussmaul و G. Smolla و H. Poch Wissmann : *On the Role of Nature and Man in Changing the Face of the Dry Belt of Asia* ، في W.L. Thomas (المحرر): *Man's Role in Changing the Face of the Earth* ، شيكاغو سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٧٨ —

٣٠٣ (٦٣) F.E. Zeuner : *The Goats of Early Jericho* فى *Palestine Exploration Quarterly* ، أبريل سنة ١٩٥٥ (٦٤) الكاتب نفسه : *The Radiocarbon Age of Jericho* ، فى *Antiquity* عدد ٣٠، سنة ١٩٥٦، ص ١٩٥ ومابعدها.

(ب) البدوى على ظهر الجواد

من بين فصيلة الجياد كان الحمار الإفريقى (*Equus* Subgen. *Asinus*) وحمار الوحش بجنوبى غرب آسية ووسطها (*Equus* Subgen. *Hemionus*) يُستخدمان قديماً دوابَّ نقل : ويرى هانكار Hanchar أن ما عثر عليه من عظام حمار وحش فى قلعة جَرْمو (حوالى عام ٤٧٥٠ ق.م) له أهميته فيما يرتبط بهذا الموضوع : ويقول هانكار إنه يمكن أن نميز سلالة ثانوية للجواد فى أوائل الألف الثالثة ق. م: فى ثقافة تريبولاى التى عرفت الفلاحة فى السهوب الشجراء بين جبال الكربات ونهر الدنيبر .

وقد أدى انخفاض فى درجة الحرارة بل زيادة فى الترسب على ما يرجح (انظر ماقاله Tolstow و Butzer وهما يختلفان فى الرأى) منذ حوالى عام ٢٤٠٠ ق.م إلى انخفاض حد الثلج فى آسية الوسطى، وهكذا اتسعت رقعة المناطق الواحية فى طوران اتساعا كبيراً جعل الفلاحة والرعى وكذلك الحضارة الواحية تنتشر فى ذلك الإقليم (الذى كان من قبل صحراء أكثر قحولة) ويبدو أن هذه الصحراء كانت قد ظلت على الأقل بضعة قرون لا تؤدى وظيفتها من حيث هى حاجز قوى (Wissmann، سنة ١٩٥٧) ، وحدث اتصال بين الصيادين المرتقين من أبناء الشمال والفلاحين والحضارة الواحية فى الجنوب على طول حد يمتد امتداداً واسعاً : ويبدو أن هذا اللقاء قد أدى إلى إدماج؛ ونشأت ثقافة تتميز بالحيوية والقوة كان للجواد فيها وللعجلة الحربية (ولعلها ابتدعت أصلا فى مكان ما من هضاب جنوبى غرب آسية حول أرمينية) والشعوب الهندية الأوروبية شأن عظيم منذ مستهل الألف الثانية قبل الميلاد . وأثناء هذا التطور المستمر استبدل بتقديس الأيّل ، الذى كان من قبل محور التطورات الدينية لصيادى الشمال وأساطيرهم ، تقديس الجواد الذى رُبط بدوره بعبادة آلهة الخصب القديمة فى العالم السفلى بجنوبى غرب آسية وعبادة الثور (*bucranion* ؛ انظر Kussmaul ، ١٩٥٣ ب).

وإذا نظرنا إلى هذا التطور الثقافى المستمر الواسع النطاق جملة فإننا نستطيع أن نقول إن الحضارة كثيراً ماتحررت بفضله من العزلة الواحية إذ كانت عرضة لخطر الجمود أو العقم . وهنا نستطيع أيضا أن نفرق بين الفلاحة فى السهوب وبين الفلاحة فى الواحات . وعندما احتل الشائعُ ــ الذين كانوا ينتمون إلى هذا المركب الثقافى المعقد ــ الصينَ قادمين من وسط آسية حوالى عام ١٥٠٠ ق.م وأصبحوا الطبقة الحاكمة لها، كانوا فى الغالب من فلاحى الواحات (Franke و Bishop و Wissmann و Kussmaul و Eberhard ، سنة ١٩٥٦، ١٩٥٧) ، ومهما يكن من أمر فإنه مما لا شك فيه أن

الآريين كانوا من فلاحي السهوب عندما قضوا على حضارة الشعوب الهندية فى نفس الفترة تقريباً ، بيد أنهم لا يمكن أن يسموا بدوا .

وتدل أعمال التنقيب على أن تربية الجمل البكتري ذي السنامين باعتباره من دواب الحمل قد بدأت فيما يبدو فى طوران فى النصف الثانى أو الربع الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد (Walz ، وبخاصة Hanchar) . وهذه الفترة أسبق ببضعة قرون على العهد الذى علمنا أن تربية الحصان كانت شائعة فيه بهذه المنطقة . بل إننا فى بلاد ما بين النهرين نجد أن الأدلة التى يوثق بها على استئناس الحصان لا تبدأ إلا حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . أو قبل ذلك بقليل (Boessnek و Hanchar) .

ولقد أخذت أهمية الزراعة تزداد بالتدريج إلى جانب الصيد والرعي فى السهوب الشجراء فى المنطقة الشمالية وفى الغابة غير الكثيفة الواقعة على الحافة بتربتها السوداء الخصبة (التربة السوداء *Chernosem*) الممتدة من روسيا إلى سيبيريا ، وفى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد كانت سيبيريا الغربية نفسها آهلة نسبياً بالسكان المشتغلين بالفلاحة (ثقافة أندرونوفو Andronov) . وفى مثل هذا الإقليم الذى يخلو من الواحات نجد أن الفلاحة الخالصة فى السهوب والرعي بها قطعان الماشية على نطاق واسع تهيئ ظروفاً صالحة للطبقية الاجتماعية فضلا عن تكوين طبقة من طبقة الأشراف الذين يعشقون الحرب والقتال ومن الرئاسة الحاكمة (Kussmaul) . وكانت الفلاحة فى منطقة الأرض السوداء تتوغل شمالا فى السهوب المكشوفة شيئاً فشيئاً ، وهناك لم يكن بد من أن تزداد شعبتها الرعوية الظاعنة ويشتد عودها (هانكار Hanchar) .

ومهما يكن من أمر فلعل أول شعب اكتشف الميزة الكبيرة للقتال على ظهور الخيل كان من القبائل المشتغلة بالفلاحة والتى لها فرع رعوى شديد البأس عاش فى الهضاب والوديان الجبلية ، حيث كانت العجلة الحربية بلاشك قليلة الاستعمال نسبياً . والراجح أن هذا حدث فيما وراء القوقاز أو حتى فى منطقة جبال الكربات (Jettmar و Kussmaul) . وربما كانت هذه القبائل لا تزال باقية بين من أطلقنا عليهم اسم فلاحي السهوب . ويرى هانكار Hanchar أن الحد الشمالى لجبال تيان شان وجبال آلتاى هى المناطق التى عرف فيها الناس ركوب الخيل لأول مرة (ص ٣٩٧) . بيد أن جتمار Jettmar يدلل سنة ١٩٥٧ فى وضوح وجلاء على أن حجة هانكار الجوهرية التى يستند إليها فى هذه المسألة واهية من أساسها (انظر ما سبق) ، أما ركوب حيوان الرنة فقد عرفه الناس فى وقت متأخر عن الزمن الذى عرف فيه ركوب الخيل . أما فى معظم المسائل الأخرى التى تعرض لها هانكار فإن النتائج الأساسية الهامة التى انتهى إليها تبقى كما هى دون أن تمس .

ولم تتفجر الثورة الحاسمة — التى يمكن أن نطلق عليها اسم بداوة الفروسية — إلا بعد انتشار عادة ركوب الخيل فى السهوب الفسيحة فى الشمال . والحق إن قبائل « إيران الشمالية » ، بين نهرى الفولجا والإيرتش فيما يرجح ، والأسكوذيين وجيرانهم الساكين ، ما إن أدركت تفوق القتال

على ظهور الخيل تفوقا كبيرا على طرق القتال القديمة ، وبخاصة العجلات الحربية ، حتى تخلت تماما عن حياة الفلاحة فى السهوب وتخصصت فى تربية الأنعام وبخاصة الخيول ؛ ولعل أهل هذه القبائل أصبحوا حوالى عام ٩٠٠ أو ٨٠٠ ق.م. أول بدو يركبون الخيل ، وأول رماة بالأقواس يمتطون ظهور الجياد (انظر هانكار Hanchar ، ص ٣٩٠ وما بعدها) . وكانوا أول من اقتحم البلاد المجاورة ونشروا الرعب والفزع بين السكان المستقرين ؛ ونحن حين نستعمل كلمة بدوى فإنما نقصد بها عادة هذا الضرب من راكبي الخيل . ويمكن القول إن هذا التحول الوبيل لم يغلب على السهوب المكشوفة فحسب، وإنما انتشر أيضاً فى السهوب الشجراء الآهلة بالسكان المشتغلين بالفلاحة . بل هو قد أغرى القبائل المشتغلة بالصيد فى غابة الأشجار المخروطية باصطناع هذه الوسيلة الجديدة من وسائل العيش ؛ وانقسم فلاحو السهوب إلى طبقات اجتماعية متميزة، وأصبح هذا الفارق الاجتماعى وقتذاك أساساً لظهور زعماء على قدر كبير من الكفاية السياسية والعسكرية فى حشد حشود يزداد عددها . ومن الراجح أن يكون الفلاحون والصيادون الفقراء قد أكرهوا على الانضمام إلى « أرستقراطية » مربى الخيول ، وهكذا نشأ حشد منظم لم يعرف من قبل ، ازداد قوة بالإغارة والنهب والقتل واستعباد الغير من الأهالى والفوز بتأييد تابعين وبخاصة تأييد حشود أخرى من الفرسان بدافع الإعجاب أو الخوف ، وليس من شك فى أن المناخ الدافئ والحضارة الواحية المهذبة فى الجنوب، التى عرفها بعض العائدين عن طريق عملهم جنودا مرتزقة ، وكذلك المناخ المعتدل والسهول الفسيحة فى الغرب التى تنتهى فى رومانيا والمجر ، قد أغرت هؤلاء البدو بالغزوات .

ويبعد أن يكون أسلاف الإسكوذيين فى جنوبى روسيا والسيمريين قد تبدّوا من قبل تبدّيا كاملا ؛ ويبدو أنهم كانوا من فلاحى السهوب ومعهم شعبة رعوية شديدة البأس وعصابات من المحاربين الراكبين الخطيرين (انظر Kussmaul سنة ١٩٥٣ ، ١ ، حـ ٢ ، ص ٣٠٢ ، Hanchar ص ١٠١) . ولعلنا نستطيع فى هذا الصدد أن نذكر الميديين القدماء فى العهد الذى خلفوا فيه الفلاحين فى هضاب إيران (انظر Von der Osten) : بل إن الأكمينيين لم يتخلوا عن المثل العليا للفرسان وهى « ركوب الخيل والرمى بالسهام وحب الحق » .

وانتشرت البداوة انتشار النار فى الهشيم شرقا خلال ثغرة زنغاريا على طول سفح جبال آلتاى ؛ ومما يذكر أن قبائل وو ــ سون التى عاشت على الأرجح فى وسط تيان شان وشرقها ، اقتفت آثار « الإيرانيين الشماليين » وبخاصة الإسكوذيين ؛ ويمكننا أن نفترض أن الرعاة والصيادين والفلاحين فى السهوب المكشوفة والشجراء المحيطة بمنغوليا اضطروا فى تلك الفترة إلى أن يصطنعوا حياة البداوة، ومن المحتمل أن يكون ضغط قبائل وو ــ سون على سكان سلسلة الواحات فى مقاطعة كان ــ سو قد أدى إلى قيام حشود الفلاحين بغزوهم الأخير

الصين وزونغ Zhung مما أدى إلى انهيار حكم أسرة تشو فى غربى الصين (عام ٧٧٠ق.م) ، وأول بداوة يمكن أن تتبينها فى أخبار الرواة الصينيين هى البداوة التى عاشت فيها قبيلة هسيونغ — نو منذ القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا ، ولم تكن هذه القبائل إيرانية ولا من « الأتراك الأولين » ؛ ويقول ليگتى Ligeti إن لغتهم كانت ، فيما يبدو ، لا يتحدث بها غيرهم، وربما كان الأوستياك على نهر ينيسى قد اصطنعوا سمات من لغة قبيلة هسيونغ — نو عندما جمع بينهما الجوار ، ولقد قبست قبيلة هسيونغ — نو ، فى موطنها بين الصين القديمة وصحراء جوبى ، مجموعة كبيرة من عناصر ثقافة البدو فى شمالى إيران جملة واحدة ؛ وتدل بعض سمات الحياة فى قبيلة هسيونغ — نو على اعتمادهم من قبل على الصين ، كما تدل بعض السمات الأخرى على أنه كانت لهم علاقات ثقافية قديمة بقبائل منشوريا التى تحيا حياة بدائية وإن كانت بعيدة عن البداوة (Kussmaul)؛ وخاض الصينيون غمار حروب ضارية استمرت قرونا طويلة دافعوا فيها عن أنفسهم ضد قبائل هسيونغ — نو وشيدوا السور العظيم وقبسوا مرة أخرى جانباً من العناصر الثقافية المستمدة من الإيرانيين الشماليين مثل استخدام الحديد والفرسان وارتداء السراويل وتصور السماء على هيئة خيمة ، وهناك مثل صينى قديم يقول : « صهوة الجواد هى دولة » .

وتوضح الخريطة رقم (٣) كيف أصابت شرارة البداوة المنظمات القبلية واحدة بعد أخرى على طول المشارف بين الغابة والصحراء شمالى شرق الصين فى عهد إمبراطورية هسيونغ — نو وبعده ، والحق إن الصين ريفا وحضرا ، وهى نفسها إقليم يتكون من تربية طينية صفراء وسهوب ، قد وازنت الضغط وقاومته أو احتملته أو أصبحت تابعة أو خضعت نوعا ما أو حتى تحولت إلى مرعى أو كادت ، وحدث كل هذا فى فترات طويلة تبادلت فيها الدفاع والانسحاب واسترداد الأرض لاستغلالها فى الزراعة ؛ ولما كان الغرض من هذه المادة تقديم خلاصة وافية عن تاريخ أصل البداوة فإننا لا نستطيع أن نتناول فيها نشأة الممالك والإمبراطوريات البدوية التى تفاوت عمرها ، والتى رأت فى نزعاتها مثالا تحتذيه فى العقيدة الشمولية والكونية التى تعتنقها الإمبراطورية الصينية لإدارة دفة الحكم ؛ كما أننا لا نستطيع أن نتناول تلك الهجرات الهائلة إلى الغرب والغزوات العظيمة له والتى كانت المنطقة الجافة أثناءها بمثابة ممر اقتحم منه الغزاة بلاد الحضارة الواحية القديمة فى جنوبى غرب آسية أو نفذوا إلى بدايات الحضارة الغابية فى أوروبا الوسطى والغربية إبان القرون الوسطى حيث كانوا سنيا من الأسباب التى دعت إلى هجرة الأمم (انظر Grousset و Spuler)؛

وقضت كل هذه الحركات على ما كان قد تبقى من فلاحة السهوب فى سهول السهوب المكشوفة والسهوب الشجراء ، ومهما يكن من أمر فإن الأقاليم التلية والجبلية المحيطة بمنغوليا فى الشمال — وفيها نموذج للسهب والمرج والغابة — قد أصبحت

مناطق يلجأ إليها وينشأ فيها قوم عاشوا على الصيد وتربية الماشية والفلاحة أيضاً (انظر Lattimore)؛ والواقع أن أطلال سور دفاعى يفصل الطرف الشمالى الشرقى لسهوب منغوليا قرب نهرى كان، وأرغون (Plaetschke) تدل على أن مثل هؤلاء القوم المشتغلين بالفلاحة كانوا ولاشك فى بعض الأوقات جمعاً غفيرا؛ وفى وسعنا أن نتتبع على الخريطة رقم (٣) كيف ظهرت مراراً وتكراراً نويّات جديدة لتكوين حشد بين الجماعات المشتغلة بالصيد والرعى والفلاحة الذين عاشوا حياة بسيطة فى ظروف قاسية وذلك فى المناطق الوعرة المتاخمة للغابة؛ وبين هؤلاء نجد رجلا مقتدرا رزق صفات الزعامة، يدبر شئون حشد غير متجانس بالإغارة والسلب والظفر بأتباع؛ وكان اسم عشيرة لم يعرف من قبل إلا قليلا، يصبح أحياناً علما على دولة نامية أو حتى على إمبراطورية مترامية الأطراف؛

وقد وصل إلينا – عن طريق الصدفة السعيدة – «تاريخ سرى للمغول» (Haenisch) وهو قصة حياة چنكيز خان وعشيرته وكيف أسس إمبراطورية المغول، كتبه مغولى عام ١٢٤٠ ميلادية باعتبار أنه تقرير مباشر صريح؛ وكانت العشيرة شبه المقيمة والتى تعيش فى جبال كنتاى لاتملك فى عهد أجدادها إلا بضعة خيول، وعددا قليلا من الماشية والأغنام؛ وكانت تعرف النزر اليسير من الزراعة وتقطف الخضراوات البرية؛ وكان للصيد على ظهر الجواد شأن أى شأن؛ ومهما يكن من أمر فإن الجيران المقيمين فى السهوب المكشوفة خارج الجبال كانوا بدوا خلّصاً يمتطون ظهور الجياد ويرعون قطعانا كبيرة من الماشية والأغنام. وقد أصبح بعضهم ملمنا على الإغارة ومنغمسا فى مناعم الحضارة التى ألفوها أثناء غاراتهم؛ وكانت عشيرة چنكيز خان البدائية تكمن فى مواضع خفية من الوديان والغابات الواقعة بين تلال كنتاى وتسطو على البدو الأثرياء المقيمين فى السهول؛ وكانت الغنيمة من الخيول والماشية والأغنام وسبايا من النساء والأطفال والأرقاء؛ وهكذا تحولت العشيرة برمّتها إلى حياة البداوة وأخذت تقوى وتشتد بكسب تابعين جدد وأصبحت جماعة نسبت إلى عشيرة الزعيم، وكان بأسها يشتد بمقدار ما يستطيع الزعيم السلب والنهب. وفى نهاية الأمر فقدت قبائل وشعوب معروفة استقلالها بل اسمها وابتلعتها الوحدة «المغولية» العظيمة؛

ويمكن افتراضا القول بأنه ليس ثمة إقليم على حافة المنطقة الجافة لمنغوليا، التى كانت يوما مهدا لبداوة مثل هذه نمت بسرعة ثم اصطبغت تماماً بصبغة البداوة، عاد بحال إلى تكوين رابطة بدوية جديدة؛

واتسعت رقعة المساحات المهجورة فى المنطقة الجافة إلى درجة مخيفة على إثر الغارات المدمرة وهجرات البدو الراكبين؛ واندثرت فلاحة السهوب فى أوراسيا اللهم إلا فى المناطق الجبلية، إذا لم ندرج فى هذا التعبير الزراعة فى شمالى الصين وأجزاء من الهند؛ وضعفت شأن الحضارة الواحية ضعفا مشؤوما وتضاءلت إلى حد كبير؛

صحيح أن الدول البدوية الكبرى قد أسهمت فى تبادل المواد والأفكار عبر القارة ، ولكن هذا التبادل كان من الممكن أن يكون أقوى من ذلك ، أولاًبك ، لو تم فى تطور سلمى ؛ ومع ذلك فإننا ندرى إلى أى مدى يكون فيه الصبر على المكاره ضروريا لكى ينجو ماهو سليم وصالح فى ذهن الإنسان من العطب والفساد ،

المصادر :

(١) A. Alfoeldy: *Die geistigen Grundlagen des hochasiatischen Tierstils* فى *Forschungen u. Fortschr.* سنة ١٩٣١ ، ص ٢٧٨ وما بعدها (٢) F. Altheim: *Weltgeschichte Asiens im griechischen Zeitalter* فى مجلدين ، هال سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ (٣) الكاتب نفسه: *Die Nomaden und die griechische Staatenbildung in Ostiran und in Indien* فى *Historia Mundi* (طبعة ف. ڤالياڤك F. Vaeljavec) ، حـ ٥ ، برن سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٢٤ — ٢٣٢ (٤) E. E. Bacon: *Types of pastoral nomadism in Central and South-West Asia* فى *South-Western Journal of Anthrop.* مجلد ١٠ سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٣ — ٦٨ (٥) C.W. Bishop: *The Rise of Civilization in China with Reference to its Geographical Aspects* فى *Geograph. Review* سنة ١٩٣٢ (٦) J. Boessnek: 36, *Bericht d. Roem. German. Kommission* 1955 برلين سنة ١٩٥٦ ، ص ٨ وما بعدها (٧) V.G. Childe: *The Aryans, a Study of Indo-European Origins* ، لندن سنة ١٩٢٦ (٨) W. Eberhard: *Kultur und Siedlung der Randvoelker Chinas* ، ملحق لـ *T'oung Pao* ، مجلد رقم ٣٦ ، ليدن سنة ١٩٤٢ (٩) الكاتب نفسه: *Lokalkulturen im alten China* ، جـ ١ ، ملحق لـ *T'oung Pao* ، مجلد رقم ٣٧ ، ليدن سنة ١٩٤٢ ب ، جـ ٢ فى *Monumenta Serica* ، بحث فى موضوع واحد رقم ٣ ، بكين سنة ١٩٤٢ ج ، نشرته بريل ، ليدن (١٠) الكاتب نفسه: *Geschichte Chinas bis zum Ende der Han-Zeit* ، فى *Historia Mundi* ، جـ ٢ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٥٦٥ — ٦٠٦ (١١) M.F. de Fernandy: *Die nordeurasischen Reitervoelker und der Westen* ، فى *Historia Mundi* (طبعة ف. ڤالياڤك F. Valjavec) حـ ٥ ، برن سنة ١٩٥٦ ، ص ١٧٥ — ٢٢٣ (١٢) O. Franke: *Geschichte des Chinesischen Reiches* ، برلين وليپسك ، مجلد ١ ، سنة ١٩٣٠ ، ومجلد ٣ ، سنة ١٩٣٧ (١٣) A. Gallus: *The Horse Riding Nomads in Human Development. An Essay in Human Destiny* فى *Ann. de Hist. Antigua y Medieval* ، بوينوس أيرس سنة ١٩٥٣ (١٤) R. Ghirshman: *Iran* ، هارمنلزوورث ، سنة ١٩٥٤ (١٥) R. Grousset: *L'Empire des steppes* ، پاريس سنة ١٩٤٨ (الطبعة الثانية) (١٦) الكاتب نفسه: *Die Steppenreiche* ، فى A. Randa (المحرر): *Hdb. d. Weltgeschichte* ، مجلد ١ ، ص ٣٥٩ — ٣٩٠ ، أولتن وفرايبورغ سنة ١٩٥٤ (١٧) الكاتب نفسه: *Orient und Okzident im geistigen Austausch* ، شتوتگارت ، سنة ١٩٥٥ (١٨) R. Haenisch: *Die geheime Geschichte der Mongolen* ، ليپسك سنة ١٩٤٨ (الطبعة الثانية)

(١٩) Das Pferd in Praehistorischer : F. Hanchar und frueher historischer Zeit Wiener Beitr. z. Kulturgesch. U. Linguistik 9 ، فينا وميونخ سنة ١٩٥٦، وبه مصادر شاملة (٢٠) H.W. Haussig: Indogermanische und altaische Nomadenvoelker im Grenzgebiet Irans ، فى Historia Mundi (طبعة ف . ڤالياڤك F. Valjavec) مجلد ٥ ، برن سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٣٣—٢٥٠ (٢١) K. Jettmar : انظر ما سبق (٢٢) الكاتب نفسه: Entstehung des Reiternomadentums ، فى A. Randa (المحرر) : Handb. d. Weltgeschichte ، مجلد رقم ١ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٨ ، أولتن وفرايبورج سنة ١٩٥٤ (٢٣) الكاتب نفسه : Hanchar : Review of (انظر ما سبق) ، فى Central Asiatic Journal عدد ٣ ، تعليق رقم ٢، سنة ١٩٥٧، ص ١٥٥—١٦٠ (٢٤) F. Kussmaul ، انظر ما سبق (٢٥) الكاتب نفسه : Zur Fruehgeschichte des innerasiatischen Reiternomadentums ، رسالةجامعية، توبنگن ، فى مجلدين وخرائط ، سنة ١٩٥٣ أ (منسوخة بالآلة الكاتبة) ، (٢٦) الكاتب نفسه: Das Pferd in der Geschichte ، فى Aus der Heimat عدد ٦١ سنة ١٩٥٣ ب ، ص ١١٣ — ١٢٣ (٢٧) الكاتب نفسه : Einige Bemerkungen zur Geheimen Geschichte der Mongolen فى Goettinger Voelkerkundliche Studien العدد الثانى، سنة ١٩٥٧، ص ١٢٩ — ١٤٢ (٢٨) O. Lattimore : The Geographical Factor in Mongol History ، فى Geograph. Journal عدد رقم ٩١، سنة ١٩٣٨، ص ١—٢٠ (٢٩) L. Ligeti: Mots de civilisation de Haute Asie en transcription chinoise ، فى Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae ، حـ ١ ، ص ١٤١—٨٨ ، بودابشت سنة ١٩٥٠—٥١ (٣٠) B. Lundholm : Abstammung und Domestikation des Hauspferds Zoologiska Bidrag fran ، أوپسالا سنة ١٩٤٧ (٣١) A.P. Okladnikov : History of Yakutia (باللغة الروسية) . سنة ١٩٥٥ (٣٢) H. H. von der Osten : Die Welt der Perser فى H.T. Bossert (المحرر) : Grosse Kulturen der Fruehzeit ، شتوتگارت سنة ١٩٥٦ (٣٣) B. Plaetschke : Landschaftliche Wesenszuege der ostlichen Gobi ، فى Wissensch. Veroeff. d. Deutschen Museums N. S. 7, f. Laenderkunde ، ليپسك سنة ١٩٣٩ ، ص ١٠٣ — ٤٨ (٣٤) M. Rostowzew : Scythien und der Bosporus ، المجلد الأول، برلين سنة ١٩٣١ (٣٥) B. Spuler : Geschichte Mittelasiens ، فى E. Waldschmidt (المحرر) : Geschichte Asiens ، ميونخ سنة ١٩٥٠ (٣٦) S.P. Tolstow : Auf den Spuren der 14. Altchoresmischen Kultur ، Beiheft zu «Sowjetwissenschaft»، برلين الشرقية سنة ١٩٥٣ (٣٧) G. Vernadsky : The Mongols and Russia ، مطبعة جامعة ييل ، نيوهاڤن سنة ١٩٤٣ (٣٨) G. Vladimirtsov : Le régime social des Mongols, le féodalisme nomade ، ترجمة M. Carsov ، Bibliothéque d'Etudes ، مجلد رقم ٥٢ ، پاريس سنة ١٩٤٨ (٣٩) R. Walz : انظر ما يلى (٤٠)

H.V. Wissman : Suedwest Kiangsu, der Wuhu-Taihu-Kanal und das Problem des Yangdse-Delt ، Wissensch. Veroeff. d. Deutschen Museums f. L Laenderkunde N.S. ، ليبسيك سنة ١٩٤٠ ، ص ١٣١–١٣٦ (٤١) الكاتب نفسه Die Entwicklungsraeume des Mens ، ٢ ، فى Universitas العدد الأول ١٩٤٧، ص ٤٤٥–٤٦٤ (٤٢) H.Poech و G. Smolla و H.V. Wissmann و F. Kussmaul : On the Role of Nature and Man in Changing the Face of the Dry Belt of Asia ، فى W.L. Thomas (المحرر) : Man's Role in Changing the Face of the Earth ، شيكاغو سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٧٨ – ٣٠٣ .

[فسمان وكوسماول Wissman & Kussmaul]

(ح) البداوة فى الجزيرة العربية

هناك دلائل على أن الجمل البرى ذا السنام الواحد (الهجين البرى) كان يعيش فى شمالى إفريقية والشرق الأدنى حتى الألف الثالثة ق.م ، وأنه انقرض من بعد ولم يعد له وجود إلا فى الجزيرة العربية . ولا نعرف متى انتهت عملية الإبادة التى تعرض لها فى شمالى افريقية .

وقد عثر على حبل مصنوع من وبر الجمل يرجع إلى الأسرة الثالثة فى مصر . وتظهر صورة الهجين بين الحيوانات البرية فى نقش مصرى بارز نشره ... (١٩٥٥) . ونستطيع أن نستدل من طراز هذا النقش على أنه ينتسب إلى المملكة الجديدة . والحق إن الجمل لم يستأنس فى وادى النيل لعدم ملاءمة المناخ لصحته ولا فى أى إقليم صحراوى بشمالى إفريقية . وقد تناول فالتز Walz هذا الموضوع فى بحث مسهب .

ويسوق أگاثرخيدس (فى روايتين ، انظر C. Müller : Georgr. Graec. Minor. ، جـ ١ ، ص ١٧٩) وأرتميدورس (إسترابون ، جـ ١٦ ، ص ١٨،٤) أخباراً توحى بالثقة عن ساحل الجزيرة العربية الواقع على البحر الأحمر . وهما يقولان فى هذه الأخبار إن هناك فيما وراء الساحل لشمالى الحجاز الحالى قطعانا من الحيوانات البرية و « الماشية » وحميراً وحشية (تسمى باليونانية ألـُّون إيمـُيُونون ، أميـِتُوس أرثـْموس إنـْميونـُون خاى بـُوونْ) وجمالا برية (وتسمى باليونانية خاميلون أغْريـُون) وأيائل وغزلانا وكذلك أسودا كثيرة ونمورا وذئابا . ولعل الأوصاف الثلاثة كلها نقلت من مصدر واحد ربما كان هو أرسطون Ariston حوالى عام ٢٨٠ ق.م (انظر Tarn ، المصدر المذكور ، ما ذكره من بعد ص ١٤) . ويعتقد موسيل Musil (عام ١٩٢٦ ، ص ٣٠٢ وما بعدها) أن هذه الجمال لم تكن برية حقا فيما يرجح (وهو يخطئ فيقول عن الحمير الوحشية وأنصاف الحمير إنها بغال ، وهو على حق فى قوله إن البغال لا يمكن أن تكون متوحشة) . وقد أثبت ليتمان (Littmann ، سنة ١٩٤٣، ٣) أن الرسوم المنقوشة على الصخور التى عثر عليها أثناء البحث عن النقوش التى رسمها آل ثمود على

الصخور تدل على وجود حيوانات صيد فى أعداد كبيرة: غزلان ، و « ماشية برية » ، (بقر الوحش)، ووعول،وخنازير برية، وأرانب برية، ونعام ، وأسود ، وذئاب ، وضباع ، علاوة على حيوانات مستأنسة : جمال،وخيول،وكلاب. ولم تظهر الماعز فى هذه الرسوم إلا مرة واحدة ، ولا توجد بينها صور أغنام أو ماشية مستأنسة . ولابد أن البدو فى المنطقة الواقعة بين مَدْيَن وحوران كانوا من الصيادين المتحمسين للطراد ، بيد أنهم لم يهتموا كثيراً برعى أغنامهم (ماعز وأغنام) . وكذلك يتحدث إكسينوفون (Anabasis، جـ١، ص٥ وما بعدها) عن حمير وحشية وماشية برية (بقر الوحش) ونعام ، وعن طير الحبارى، ويصف صيد حمير الوحش ومطاردتها على ظهور الخيل، ومن ثم يحتمل وجود هجن برية فى صحراء الجزيرة العربية فى القرن الثالث ق.م .

ولا نستطيع أن نقول أين استؤنس الجمل ذو السنام الواحد فى الجزيرة العربية لأول مرة . ويذهب أولبرايت إلى أن هذا حدث فى جنوبى الجزيرة العربية فى مكان يقع قرب الصحراء الجنوبية الكبرى (سنة١٩٥٨ ، تعليق رقم٥). وليس هناك ما يشير إلى أن الهجين عرف من حيث هو حيوان مستأنس قبل القرن الحادى عشر قبل الميلاد (Albright وWalz، سنتى ١٩٥١ و١٩٥٦ ردا على Dussand ص٢٠٧)، وجاء فى سفر القضاة (الإصحاحان ٦ — ٨) أن أهل مدين والعمالقة وأبناء الشرق قد قاموا برحلات على ظهور الجمال عبروا فيها

نهر الأردن إلى فلسطين ، حدث هذا فى النصف الأول من القرن الحادى عشر ق.م تقريبا ، ويرى آلبرايت وفالتز Walz أن هذا يعد أقدم تاريخ ذكر فيه الهجين المستأنس ، وهو تاريخ إدخال الحديد إلى فلسطين . ويرى آلبرايت(Arch ، عام١٩٥٣، ص ٢٢٧ ، تعليق رقم ٣١) أن الهجين استؤنس فعلا فى الجزيرة العربية بين القرنين السادس عشر والخامس عشر والقرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد . ولعل انتشار الساميين إلى جنوبى الجزيرة العربية يرجع إلى تاريخ أقدم من هذا التاريخ ، إذ تدل النقوش البارزة التى سجلت حملة حتشبسوت على بلاد البونت (حوالى عام ١٤٩٥ق.م) على أن هذا الجنس الفرعى المستشرق من شعوب البحر المتوسط (جنس البحر الأبيض المتوسط بالمعنى الدقيق — شرقى — إيرانى — هندى — ومن وسط الهند Gondid ؛ انظر von Eickstedt سنة ١٩٥٦ و Biasutti و Coon و Field و Poech)، ولا ريب فى أنه كان جنسا عريقا جداً بين الساميين فى شمالى الجزيرة العربية (Moscati)، وقد كان ممثلا وقتذاك بالفعل فى جنوبى الجزيرة العربية ، بين الطبقة الحاكمة على الأقل (Dr. Hella Poech ، فى تعليق شفوى) وهذا يتفق مع رأى كونتى روسينى Conti Rossini (ص ١٠١ ، وانظر ص٤٧) القائل بأن أسماء زعماء بلاد البونت التى ورد ذكرها فى نقوش حتشبسوت ورمسيس الثانى كانت سامية (باريهو — فريق ، نَهَاس — نَحَاس ، انظر Brunner - Traut ، ص ٣٠٧ ؛

Wissmann عام ١٩٥٧) . وأعتقد أن القول بأن بلاد البونت كانت على الأقل تقوم إلى حدما على الجانب العربي من البحر يصبح أيضاً أمرا مرجحا حين نستخلص بعض النتائج من الملامح الجسمانية لأهالي البونت كما تظهر في النقوش المصرية البارزة في عهد متقدم يرجع إلى أوائل عصر الأسرة الخامسة(سهورى ، انظر Kees ، ص ٥٩) وهذه الملامح لا تختلف عن ملامح المصريين (Poechعام ١٩٥٧) .

ويرى و. ف. آلبرايت أن الحضارة بدأت حوالي القرن الخامس عشر ق.م في المناخ الصحراوى على طول السفح البعيد عن البحر لهضاب اليمن ؛ وهو يفترض أن هذا حدث بسبب نزوح الناس من الشمال . والتاريخ الذى عيّنه يقوم إلى حد ما على أساس ما كشفت عنه أعمال التنقيب في آثار هجر بن حُمَيْد (انظر ما يلى) من أن ما بين أربعة أمتار وخمسةأمتارمن الغرين الصالح للزراعة (القابل للرى)قدترسبتقبل إقامةهذه المحلة،وكانت إقامتهاحوالى عام ١٠٠٠ ق.م . وبينما نجد أن ثمانية أمتارمن الغرين قد ترسبت أثناء قيام هذه المحلة من حوالى عام ١٠٠٠ق.م إلى حوالى عام ٢٠٠م فإن الأربعة أو الخمسة الأمتار السفلى منها قد تمثل فترة تقدر بحوالى خمسمائة سنة (R. Le Baron Bowen ، ص ٦٧ ، ١١٧ ؛ Albright ، عام ١٩٥٨) ،

ومن الغريب أن ركوب الجمل وامتطاء صهوة الجواد على السواء يبدو أنهما قد بدآ في الانتشار في النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد ؛ وعرف الناس ركوب الجمل من الجزيرةالعربية ؛ أما امتطاء صهوة الجواد فلعلهم عرفوه من الجبال الواقعة فيما وراء القوقاز . ويرى هانكار أن زيادة الطلب على دواب الجر والحمل لاستخدامها في نقل المعادن قد يكون حافزاً على التوسع في تربية الخيول في الأقاليم الجبلية (ص ٣٩٧) . ولا بد أن تكون تربية الجمال ذات السنام الواحد في الجزيرة العربية قد نشطت نظرا لتزايد الطلب على نقل السلع بين جنوبى الجزيرة العربية من جهة وبلاد البحر المتوسط وأرض الجزيرة من جهة أخرى ، أى نقل اللُّبان والمر والأحجار الكريمة والذهب من جنوبى الجزيرة العربية ، ونقل البضائع الواردة من الهند وشرقى إفريقية من الجنوب ، وكذلك نقل الأقمشة ومنتجات الحضارة والتحف (Segall عام ١٩٥٧) وربما نقل السلع الحديدية من الشمال . وليس من شك في أن إدخال الجص الذى لا ينفذ منه الماء في أعمال الرى ، واستخدام الصهاريج في جنوبى الجزيرة العربية ؛ وهما اللذان شاع استعمالهما من قبل في سورية منذ عام ١٢٠٠ ق.م تقريباً ، قد دفع الناس إلى تطوير الزراعة ؛ ولعل هذا لم يحدث قبل القرن العاشر ق.م ؛ (Albright ، سنة ١٩٥٨)

وبينما تدل أعمال التنقيب التى قام بها ن. گلوك N. Glueck في عزيون جبر (معهد سميثسون Smithson Inst. ، التقرير السنوى عام ١٩٤١ ، المنشور تحت رقم ٣٦٥١ ، عام ١٩٤٢)

على أن أخبار الرحلة البحرية التى قام بها سليمان وحيرام إلى أرض الذهب فى أوفير تشير إلى حقائق تاريخية ، ولا بد أن لقصة ملكة سبأ التى تروى فى معرض الحديث عن الحملات على أوفير فى سفر الملوك (الإصحاح ٩ – ١٠) بعض الأساس التاريخى (Albright سنة ١٩٥٨ ، ص ٣) وهى تبين على الأقل أن قوافل الجمال كانت تسافر بين جنوبى الجزيرة العربية وفلسطين فى القرن العاشر قبل الميلاد . وتذكر أسماء سبأ وأوفير وحويلا واحداً بعد الآخر باعتبارهم أشقاء فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين (القرن التاسع أو الثامن ؛ انظر Albright : *Arch* ، عام ١٩٥٣ ، ص ٣٢٧) ، علاوة على ذكر اسم حَضَرْماوت بين أبناء يُقْطَان بن عيبر . وفى وسعى أن أؤيد النظرية القائلة بأن أرض الذهب فى أوفير (سفر الملوك الأول ، الإصحاح ٩ – ١٠ ، والإصحاح ٢٢ ، آية ٤٩ ؛ سفر الأيام الأول ، الإصحاح ٢٩ ، آية ٤ ؛ سفر الأيام الثانى ، الإصحاح ٨ ، آية ١٨ ، والإصحاح ٩ ، آية ١٠ ؛ سفر أيوب الإصحاح ٢٢ ، آية ٢٤ ، والإصحاح ٢٨ ، آية ١٦ ؛ وسفر المزامير ، الإصحاح ٤٥ ، آية ١٠ ؛ سفر أشعياء ، الإصحاح ١٣ ، آية ١٢) كانت فى جنوبى غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر : فى عَسِير حول ذَهْبان (Sprenger ، Moritz ، Delkrueck ، ص ١٢ ؛ Wissmann عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ؛ وانظر Glaser ص ٣٥٧ – ٣٨٤ ؛ Albright ؛ *Arch.* ، عام ١٩٥٣ ، ص ٢١٢ ، تعليق رقم ١٤) . وفى بلاد الصومال ، حيث جعل بعض المؤلفين أوفير واقعة فيها ، نجد أن بروز الطبقة الصخرية البلورية وكتلها البركانية وعروق الذهب أصغر مما هى عليه فى عسير بكثير (انظر *Carte Géol. Afr.* سنة ١٩٥٢) . ومن شاء المزيد عن إرسال سبأ الذهب فليرجع إلى سفر الملوك الأول (الإصحاح ١٠) وسفر أشعياء (الإصحاح ٦٠ ، آية ٦) وسفر حزقيال (الإصحاح ٢٧ ، آية ٢٢) والمزمور ٧٢ (الآية ١٥ ؛ ولكن انظر J. Ryckmans ، سنة ١٩٥٨) .

وأحسن تحقيق عن أرض الذهب فى حَوِيلا الواردة فى سفر التكوين (الإصحاح ٢ ، آية ١١ ؛ الإصحاح ١٠ ، آية ٧ ، الإصحاح ١٠ ، آية ٢٩ ، الإصحاح ٢٥ ، آية ١٨) وسفر صموئيل الأول ، (الإصحاح ١٥ ، آية ٧) هو فى رأيى ، ورأى نيبور Niebuhr وريتر C. Ritter وشبرنكر Sprenger وموريتز Moritz وآخرين ، القول بأنها هى خَوْلان . وقد عُرِف هذا الاسم من النقوش ومن الهمدانى ، ولا يزال مستعملا إلى اليوم . وشمالى خولان متاخم لأوفير ، أما جنوبى خولان فإنه ملاصق لسبأ . وقد ذكر أگاثرخيدس صراحة أن شمالى خولان كان مشهورا كل الشهرة فى اليونان بمناجمه الغنية بالذهب ، ولعل هذا كان حوالى عام ٤٠٠ ق.م (C. Müller : *Geogr. Graec.* ، ص ١٨٤ وما بعدها ؛ Wissmann : *Minor* عام ١٩٥٧ ، وبخاصة سنة ١٩٥٩)

ويعد عرب الجنوب ، فى سلسلة النسب الواردة بسفر التكوين (الإصحاح ١٠) من سلالة كل من كوش وعيبر (عابر) . أما من انحدروا من صلب عيبر وابنه يُقطان فقد استوطنوا بقعة تمتد حتى « سَفار ، الجبل القائم جهة الشرق » . و الغالب أن سفار هو ظفار قصبة مملكة حِميَر فى اليمن ، وإن كانت هذه البلدة قد شيدت على الأرجح عام ١٠٩ ق.م تقريباً (انظر ما يلى) عندما احتلت حمير هذا الإقليم . وهى تقوم على تل وسط الهضاب فى جنوبى غرب اليمن وليست « جبلا واقعاً جهة الشرق » : ويرى فرسنل Fresnel وريتر C. Ritter ورودیگر Roediger وتكاچ Thach وآخرون ، أن سفار كانت فى ظَفار (أو ضُفار) وإنى لأحسب أنهم أصابوا بقولهم هذا . وقد كان هذا الاسم يطلق على بلدة وإقليم شرقى حضرموت وبلاد مهرة ، وهى على أية حال لا تعرف بهذا الاسم فى نقوش الجاهلية أو كتاباتها ، وإنما عرفت به فى عهد الجغرافيين العرب الأوائل . وهى خير إقليم ينتج اللُّبان فى جنوبى الجزيرة العربية . والحق إن الطنف والرأس الجبلين الشرقيين فى هذا الإقليم يعدان آخر إقليم كانت تنطلق منه السفن قديماً من الساحل نحو الهند بقوة الريح الموسمية (Schoff و Frisk ، فى المصدر المذكور بعد) ، كما أنه آخر منطقة فى جنوبى الجزيرة العربية تجاه الشرق يسكنها قوم مستقرون غير البدو . وإلى الشرق منها تمس الصحراء الكبرى البحر حتى عُمان (انظر Lagarde ص ٦١ ، التعليق ؛ ويرى Vollers فى *Ztschr. f. Assyr.* ، ص ٢٢ ، ٢٢٣ وما بعدها أن سفار الواردة بسفر التكوين ، الإصحاح ١٠ هى بعينها سَفَارى فى البحرين ، بيد أن هذا « البلد » [ياقوت ، ص ٣ ، ٩٦] ، وهو يستشهد بقول ابن الفقيه] لم يكن حداً فاصلا ولا جبلا) .

وأعتقد أن فى وسعنا أن نستنتج أن « قائمة الشعوب » (فى النصوص اليهوية ، ٢) تقصد به « بنى يُقطان » الشعوب الزراعية فى جنوبى الجزيرة العربية (خريطة رقم ٤) . وأرى أن ما ورد فى سفر التكوين (الإصحاح ٢٥ ، آية ١٨) يدل على أن البدو الذين كانوا يركبون الجمال فى وسط الجزيرة العربية وشمالها الغربى قد فهم أنهم أبناء يَشْماعيل ، وقد جاء فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٧ ، آية ٢٥ ، وآية ٢٨) وفى سفر القضاة (الإصحاح ٨ ، آية ٢٤ أنهم من بنى إسماعيل) ، إذ جاء فى سفر التكوين (الإصحاح ٢٥ ، آية ١٨) « وسكنوا [بنو يشماعيل] من حويلا إلى شور ، التى أمام مصر حينما تجىء نحو أشور » . ويبدو أنهم عاشوا فى مثلث السهب الصحراوى بين الأقاليم الزراعية فى جنوبى الجزيرة العربية (خولان) ومصر وأشور (انظر Skinner : *Internat. Crit. Comment.* ; Kautzsch-Bertholet) .

وليس من شك فى أن البدو الذين امتطوا ظهور حيوان قد تكيف تكيفاً تاماً بظروف الصحراء — حيوان قادر على تحمل العطش وقطع مسافات طويلة بسرعة كبيرة ، مثل الجمل — كانت لهم اليد

الطولى فى القتال ضد أعدائهم الذين يستخدمون العجلات الحربية التى تجرها الخيول ، ويقول آلبرايت (Albright : Stone Age عام ١٩٤٦ ، ص ١٢٠ عن Arch. سنة ١٩٥٣ ، ص ٩٧) : « إن البداوة العربية رهن باستئناس الجمل الذى يتيح للبدو أن يعتمدوا فى معيشتهم تماماً على قطعانهم من الجمال ، يشربون لبنها ويطعمون من خثاره ويأكلون لحمها ويظعنون فى أقاليم لا يعيش فيها سوى الجمل ، ويقومون برحلات سريعة تستغرق أياماً عدة ، إذا دعت الحاجة ، فى صحرا خالية من الماء ، والجمل يأكل الأعشاب والعواسج فى الصحراء مما تنفر منه حتى الأغنام والماعز » ، والجمل يقطع المسافات الطويلة بسرعة تزيد على ثلاثة أمثال السرعة التى يقطعها بها الجواد ، ويستطيع أن يقطع ٣٠٠ كيلومتر فى يوم واحد ، وقد يحمل الجمل فى القافلة على ظهره ما يعادل ٢٠٠ كيلوجرام ، أما الجواد فإن ما يحمله لا يزيد على ١٥٠ كيلوجراما ، ويمكن القول إن الجزيرة العربية لم ترب سلالات من الجمال للنقل والركوب فى الأراضى المنخفضة فحسب بل ربت أيضاً سلالات من الجمال الجبلية تستطيع السير فى المسالك الوعرة بعض الوعورة ، كما هى الحال فى عسير (Tamisier ، ج ٢ ص ٣١ ، ٤٧ ، ١٩٧) أو فى بلاد العوالق وحضرموت (تجربتى الخاصة) ، فإذا بلغت قافلة الجمال من السهول إلى عقبة (ممر) فى الجبال فلا مناص من أن يستبدل بها جمال من سلالة أخرى قرب صفح العقبة ، ويبدو أنه ليس فى الجزيرة العربية بقعة شديدة الرطوبة لا تصلح فيها تربية الجمال إلا المنحدر الغربى من هضاب اليمن ، ونرى لزاماً علينا أن نضع فى الاعتبار أن الحمار (وربما حمار الوحش) كان هو الحيوان الوحيد الذى كان يستخدم فى النقل فى الجزيرة العربية قبل استئناس الجمل (انظر ما سبق) .

ومن الغريب أن الجمل البلخى — الذى كان قد استؤنس فى طوران قبل الزمن الذى استؤنس فيه الهجين الوديع فى الجزيرة العربية بما يقرب من ألف عام — على وجه التحقيق لم يصبح له قط شأن يذكر فى مجال الركوب واقتصرت أهميته على النقل .

ويبدو أن استئناس الهجين واكب استخدامه فى الركوب ، ولا يمكن أن يقال هذا عن أى دابة أخرى ، ولما كانت أعمال التنقيب لم تهبط إلى الطبقات التى ترجع إلى العصور الأولى ، فإن معلوماتنا لا تقوم إلا على المعلومات التاريخية ، ولا نستطيع بعد أن نعلم أصل الدافع على استئناس هذا الحيوان ، ويعارض ڤالتز Walz رأى ڤايسنر Wiesner ويصر على أن استئناس الجمل ذى السنام الواحد كان مستقلا تماماً عن تربية الجمل البلخى والجواد ، ومهما يكن من أمر فإن المستحدثات المشابهة لذلك نادرة على ما يبدو فى عصر ما قبل التاريخ وفى العصر التاريخى (انظر Sauer : المصدر المذكور ، ص ٢) . وكان الجواد مستخدماً فى بلاد ما بين النهرين منذ حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. على الأقل ، بيد أن الجند الراكبين

على ظهور الجياد لم يتردد ذكرهم هناك قبل عام ١١٣٠ ق.م (نختنصر الأول ملك بابل ؛ وانظر Thomson فى Pauly-wissowa ، حـ ٧ ، ص ١٠٩ وما بعدها) . ولما كان الجمل ذو السنامين قد ربى فى جنوبى طوران منذ مايقرب من عام ٢١٠٠ ق.م على الأقل ، فلا يبعد عن الاحتمال ألا يكون قد وصل إلى بلاد ما بين النهرين وإلى أبعد منها جنوباً من آن لآخر فى تلك الفترات المضطربة من بداية الألف الثانية ق.م ومنتصفها . ولعل هذا كان حافزاً لاستئناس الجمل ذى السنام الواحد .

وعثر و. ف. آلبرايت على رأس جمل يمثل جزءاً من جرة من الفخار أثناء التنقيب فى آثار هجر بن حُمَيْد فى بيْحان (قتبان قديماً) بجنوبى الجزيرة العربية ، وقدر أنه يرجع إلى القرن الثامن (أو القرن التاسع) تقريباً ق. م (Van Beek سنة ١٩٥٢ ، ص ١٧ ؛ Walz سنة ١٩٥٦ ، حاشية رقم ٥٤ ، وخطاب كتبه Albright سنة ١٩٥٧) . وجدير بالذكر أن نشر تاريخ طبقة سفلى فى بلاد هجر بن حميد مقدّر بطريقة الكربون الإشعاعى (Van Beek سنة ١٩٥٦) يبين أن التأريخ الخطى الأولى الذى وضعه آلبرايت Albright لحروف اسم متشابكة عثر عليها أثناء عمليات التنقيب التى كان يقوم بها ليس سابقاً كثيراً على التاريخ الحقيقى ، بل لعله متأخر عنه بقرن كامل .

وثمة نقش بارز يمثل راكباً لهجين من تل خلاف يرجع إلى القرن التاسع (Walz) .

ويبدو أن أول سجلات بالخط المسمارى عن البدو الذين يركبون الجمال تمثل « البدو الآراميين » وهم يحاربون قيْلا تابعاً لآشور ناصربال عام ٨٨٠ ق.م . وحدث بعد ذلك بقليل ، أى سنة ٨٥٤ ق.م ، أن حارب « جندب العربى » من ناحية عربى Aribi الملك سلمانصر الثالث بجيش حشد فيه ألف جمل . وتشمل مادة « العرب » (القسم الأول) التى كتبها أ. گروهمان A. Grohmann موجزا عن أرض عربى والعرب فى القرنين من التاسع إلى السابع ق.م . وقد اعتمد فيها على معلومات سجلت بالخط المسمارى . وكانت عربى إبان تلك الفترة هى الطرف الشمالى الأقصى من الجزيرة العربية بين الشام وبلاد ما بين النهرين ، وتضم تدمر ووادى سرحان . والعرب هم سكانها من أهل البادية والواحات . ويرى گروهمان Grohmann وموسيل Musil أن الواحة الوسطى أدوماتو (سنة ١٩٢٧، ص٥٣١ وما بعدها) هى دومة الجندل فى الجوف . أما « الملوك » فهم من زعماء القبائل المستقرة فى الواحات ومن قبائل البدو . وقد ورد أيضاً فى سفر أرميا (الإصحاح ٢٥ ، آية ٢٤) ما يؤيد هذه الأمور : « وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين فى البرية » . (وأول ذكر للأعراب فى التوراة ورد فى سفر أشعياء فى أواخر القرن الثامن ق.م) . وقد ثبت من آخر اكتشافات ڤيدنر Weinder فى شرق جزيرة العرب أن بازو التى وجه إليها أسار حدون حملة طويلة

عام ٦٧٦ ق.م تقع فى أرض دِ لْمون المتاوحة للساحل لا فى وادى سِرْحان (Albright ، رسالته) كما ظن موسيل Musil (فى عام ١٩٢٧ ، ص ٤٨٢ وما بعدها) .

ومن الواضح أن طرق القوافل ، وبخاصة « طريق البخور » الممتدة من غزة على البحر المتوسط ومن دمشق عن طريق معان (بحث موسيل Musil سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٤٣) ودَيْدَان (العُلاَء) ويثْرب (المدينة) إلى رَجْمَة (نَجْرَان) ومَعِين وسبأ ؛ (انظر Albright سنة ١٩٥٣ ، ڤِسْمان Wissmann سنة ١٩٥٧ ؛ Segall سنة ١٩٥٧) كان لها دور سياسى هام كما حدث عام ٧٣٢ ق.م ، عندما انضمت سَمْسِى ملكة عربى إلى تحالف كبير ضم دولة سبأ ، وملك دمشق وواحة تَيْماء الهامة ، وقبائل قرب تياء ودَيْدان ضد تگلات پلصر الثالث ؛ وأول عاهل لسبأ ذكر اسمه فى النقوش المسمارية ، ولعله مُكَرِّب (ملك كاهن) يأتى بالجزية إلى سرغون الثانى عام ٧١٥ ق.م (انظر Albright فى BASOR ، ص ١٤٣ ، سنة ١٩٥٦ ، العدد ١٠ ، الكاتب نفسه عام ١٩٥٨ ، و Wissmann عام ١٩٥٧) ؛ وتدل الإتاوات التى كان يتلقاها على سبيل الجزية الملوك الأشوريون فى هذه الفترة من مختلف ملوك وملكات النصف الشمالى من الجزيرة العربية، على أن حركة القوافل التى تأتى من مسافة بعيدة كانت ولاشك كبيرة . وكانت تنقل الماشية والذهب والفضة والرصاص والحديد وجلود الفيلة والعاج والقماش (Caskel سنة ١٩٥٤) .

ويجب أن نؤكد أن جنوبى الجزيرة العربية الذى كانت تمثله سبأ منذ القرن العاشر على الأقل (انظر بحثا Albright فى BASOR سنة ١٩٥٢ ، تعليق رقم ٢٦ ، سنة ١٩٥٨) كان إقليما آهلا بالسكان المشتغلين بالفلاحة ولم يكن فيه إلا عدد قليل من البدو لا وزن لهم ، وكان إقليما ينتج السلع العطرية وبخاصة اللبان (سفر الخروج ، الإصحاح ٣٠ ، آية ٣٤ ؛ سفر الملوك ، الإصحاح ١٠ ، سفر أشعياء ، الإصحاح ٦٠ ، آية ٦ ؛ سفر أرميا ، الإصحاح ٦ ، آية ٢٩ ، وانظر J. Ryckmans عام ١٩٥٨) ؛ وليس من شك فى أن جنوبى الجزيرة العربية قد أدخل السلع الهندية وسلع شرقى إفريقية إلى موانيه ، ولا بد أنه كان من قبل قد احتكر إلى حد ما حركة المرور فى « طرق البخور » الموصلة إلى الشمال الغربى وكذلك حركة المرور بوسط الجزيرة العربية إلى الشمال الشرقى (خريطة رقم ١) أثناء هذه الفترة ؛ (وفيما يختص بقوة سبأ فى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسادس ق.م : انظر Von Wissmann عام ١٩٥٧) ؛ وربما كان الكلدانيون قد عاشوا فى عُمان أثناء تلك الفترات وتوسطوا بين سبأ وبلاد ما بين النهرين (والهند ؟) قبل احتلالهم لبلاد ما بين النهرين ، حيث تولى الحكم الملوك الكلدانيون عام ٦٢٥ ق.م ؛ (انظر Albright ؛ *Bulletin of the*



خريطة رقم (٢) المناطق النباتية وواحات الحزام الجاف فى قلب آسية

١ – غابـة .

٢ – سهوب شجراء صالحة للرعى والزراعة .

٣ – سهوب جافة صالحة للزراعة ، والزراعة على المطر مهددة بالخطر .

٤ – شبه صحراء ، مرعى هزيل .

٥ – صحراء .

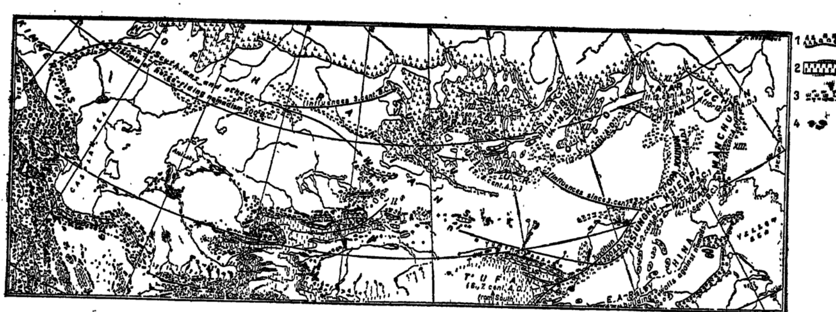
٦ – مرعى فوق حـد الشجر .

٧ – فوق حد الشجر (صخر – صحراء – جليد) .

٨ – حد منطقة ممكنة الزراعة على المطر .

٩ – واحـــة .

١٠ – واحـــة سابقة .



خريطة رقم (٣) انتشار الفورات المتفجرة للبداوة القائمة على ركوب الخيل وبناء الحكم الإقطاعي . وكان السكان السابقون يعيشون فى ظل اقتصاد يعتمد على الزراعة والرعي والصيد تتركز في السهوب الشجراء ؟ (انظر خريطة رقم ٢) .

وتبين الأرقام الرومانية تتابع الفورات ، والتواريخ تقريبية .

١ — حد غابة حيال سهوب شجراء .

٢ — مراع فوق حد الشجر .

٣ — حد سهوب صالحة للزراعة حيال شبه صحراء .

٤ — منـــاطق واحية .

American Schools of Oriental Research ، سنة ١٩٥٢) .

ويرى آلبرايت (انظر Van Beek ، سنة ١٩٥٢) أنه لم يكن ثمة وقت أنسب لتوسع سبأ فى التجارة غربا فى الحبشة من القرن العاشر ق . م ؛ تقريباً . وكانت « مصر ، التى كانت تتمتع وحدها فيما مضى بحقوق التجارة مع الحبشة وبلاد البونت عن طريق البر والبحر ، عاجزة عن الاحتفاظ بعلاقاتها التجارية مع الجنوب بعد سقوط الإمبراطورية الحديدة » . ويرى آلبرايت أن النقوش السبئية التى تقرأ من اليسار إلى اليمين ثم بالعكس فى معبد أوَم أو معبد يحا الحديث القائم على هضبة شمالى الحبشة شرقى أكْسُوم (Littmann سنة ١٩١٣ ، الأرقام ٢٧ — ٣٢ ؛ D.H. Müller : Epigraph. Denkmaler ، يحا ٥) ترجع من حيث خطها إلى القرن الخامس (خطاب من W.F. Albright ، مارس سنة ١٩٥٧ ؛ وانظر Conti - Rossini ص ١٠٢) .

وهناك نقش على قاعدة تمثال قديم جداً عثر عليه حديثاً فى مَقَلّى (Caquot و Drewes) يبدو أنه أقدم عهداً من ذلك إلى حد ما . ومن ثم فإن القرن الخامس ق . م . قد لا يعد متقدماً جداً حتى فى التواريخ الحديثة لبيستون A.F.L. Beeston (بحثه فى *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* ، سنة ١٩٥٤) وپيرن Pirenne (سنة ١٩٥٦ ب) اللذين يؤكدان « تجدد شباب » التاريخ القديم لجنوبى الجزيرة العربية . وكان استعمار سبأ لهذه المنطقة قد توطدت أركانه من قبل فى هذا الإقليم آنذاك ؛ والراجح أن اسم معبد يحا الحديث أو أوم ، كان يطلق أيضاً على المعبد البيضاوى الكبير الذى شيدته الدولة لإله سبأ قرب مأرب . وجاء فى نقش مشهور تقرأ فيه الكتابة من اليسار إلى اليمين ثم بالعكس حفر على هيكل البخور فى مَقَلّى بالحبشة (Caquot و Drewes ، ص ٣٠—٣٢) عبارة تقول إن « مُكَرِّب دَعْمَة » (موضع بالقرب من أكْسُوم) وسبأ » يكرس (الهيكل ؟) للألمقه ، وهو الإله الأكبر الذى كان يعبد فى سبأ بجنوبى الجزيرة العربية . ويرى ريكمانز J. Ryckmans أن وسط سبأ كان يقع فى جبال اليمن الجنوبية الحالية وهضابها حول جبل بَعْدَان وجبل حُصَيْم (كانت ذات بَعْدَان وذات حُمَيم أهم ربتين من ربات الشمس فى سبأ) وأن إقليم مأرب فى الشمال الشرقى ومنطقة شمالى الحبشة فى الغرب قد استعمرتا من هذه المنطقة (J. Ryckmans فى بحث له عام ١٩٥٨ ؛ وانظر آلبرايت Albright عام ١٩٥٨) وذلك أثناء فترة سابقة للعهد الذى عرفت فيه لأول مرة النقوش السبئية فى مأرب وصِرْواح (ترجع على الأرجح إلى القرن الثامن ق . م . ؛ انظر Wissmann سنة ١٩٥٧) .

ويرى گليزر Glaser (ص ٣٨٧ وما بعدها) وفون فيسمان هوفنر Von Wissmann Hoefner أن قَنَأ وعدن، وهما خير ميناءين طبيعيين فى جنوبى الجزيرة العربية على المحيط الهندى ، قد أطلق

عليهما الاسمان كَنّى وعِيدن فى سفر حزقيال الإصحاح ٢٧، آية ٢٣ (فى أوائل القرن السادس ق.م.) : ويقول سفر حزقيال « حارَان وكَنّى وعيدن » (فى الماسورة) « تجار شبأ » أو حسب الترجمة السبعينية « وكانوا تجارك » ، وقد أمكن التعرف على هذه الأمكنة الثلاثة كلها فى الغالب بشمالى بلاد الجزيرة حيث يوجد مكان قديم مشهور يعرف باسم حاران (انظر Cooke : *Int. Crit.* *Comment*) : ويذكر سفر أشعياء (الإصحاح ٣٧ ، آية ١٢) وسفر الملوك الثانى (الإصحاح ١٩ ، آية ١٢) حاران الشمالية علاوة على بيِنى عيدن ويقول : « جوزان وحاران ورصِف (فى تلمر) وبيِنى عِيدن الذين فى تلِسّار » ، بيد أن الإدريسى يقول إن حارَان القَرين فى جنوبى الجزيرة العربية بين خولان الشمالية و « بيشة بُعْثان » (وهذا الاسم تحريف لكلمة بَيْش » Grohmann ، جـ ٢ ، سنة ١٩٣٣ ، ص ١٣١) : وهذا الموضع فى أغوار تِهامة شمالى الحد الشمالى الحالى لليمن فى مكان ما قُرب « أبو عريش » الحالية . وذهب ريتر (Ritter : *Arabien* جـ ١ ، ص ١٨٩ و ١٩٣) وبوشنكBuesching إلى أن هذا الموضع هو حاران التى ذكرت فى سفر حزقيال ، والمشكلة هى أن قُدامة وابن خرداذبه لا يذكران مكانا بهذا الاسم على ذلك الطريق بل يذكران بدله العُرْش (أبو عريش) : وإنى لأشك فى وقوع خطأ ما فى نص الإدريسى : ولكن هناك أماكن شتى باسم « حرن » وردت فى النقوش القديمة لجنوبى الجزيرة العربية ،

وهى : حِرّان قرب قَعْطَبة شمالى عدن، وحِرّان جنوبى غرب مَعين ، وحِرّان شمال ذَمار (انظر عن الاسم الأخير : W.B. Harris ، ص ٢٧٢ وما بعدها) : ولعل المترجمين السبعينيين (للتوراة) قد حرفوا النص من « تجار من سبأ » إلى « كانوا تجارك » لأنهم عرفوا حاران وعيدن الشماليتين لا الجنوبيتين ولذلك لم يدركوا المعنى المقصود . وفيما يختص بعبارة « تجار من سبأ » فإن على المرء أن يضع فى الاعتبار أن سبأ كانت دولة لا مدينة وأن الأماكن الثلاثة التى تردد ذكرها قد تكون من هذه الدولة .

وجاء فى سفر حزقيال (الإصحاح ٣٨ ، آية ١٣) : « شبا ودذان وتجار ترشيش » (تارتِسّوس أو سردانية) وهذا يدل على الثغور (مدن الحدود) المقابلة للأرض المعروفة التى وردت فى سفر حزقيال (دِذان هى دَيْدان التى وردت فى نقوش جنوبى الجزيرة العربية) .

وإذا وضعنا فى الاعتبار هذا الموقع الهام لجنوبى الجزيرة العربية فى هذا العهد وتوسطه لأقاليم منطقة للضاربين فى البحر ، وهى منطقة المحيط الهندى ، فإن علينا أن نضع نصب أعيننا أن موطن البداوة التى تعتمد على الإبل فى شمالى الجزيرة العربية ووسطها كانت تحيط به بلاد زراعية متمدينة من كل الجوانب التى لا تقع على البحر .

ولم يستطع التغلب على المشاق التى يتعرض لها من يجتازون الصحراء التى تتباعد فيها المسافات بين

موارد المياه إلا بعد استئناس الجمل . وكانت الطرق الصحراوية التى لها أهمية قصوى بالنسبة لحركة مرور القوافل هى تلك الطرق التى تصل ما بين بلاد النهرين وسورية . وقد أمكن أيضاً التغلب بسهولة على مشاق اجتياز الجزيرة العربية من بلاد ما بين النهرين ومن سواحل البحر المتوسط إلى النجاد الخصبة فى جنوب الجزيرة العربية بفضل قوافل الجمال . وقد أصبحت العيون والآبار فى الجزء الشمالى من الجزيرة العربية مهمة بصفتها محطات للقوافل ومراكز تجارية وسياسية . ولما كان البدو يربون الجمال اللازمة للقوافل فإن قبائلهم إهتمت بتوفير الهدوء والسلام لحركة المرور ورأوا أن من الأوفق لهم أن ينضموا إلى أحلاف يعقدونها فيما بينهم وإلى أحلاف مع الممالك فى المدن الواحية على الطرق الرئيسية .

ولعل شمالى غرب الجزيرة العربية ، وهو يشمل الجزء الشمالى من طريق البخور الممتد من دَيْدان إلى غزة ، قد أصبح منذ عهد تگلات پلصر الثالث (٧٤٨ — ٧٢٥ ق . م .) أكثر ارتباطاً بأشور ثم ببابل الجديدة بعد ذلك عقب كل غزوة : ويبدو أن ما قام به نبونئد ملك بابل من غزو لتَيْماء عام ٥٥٠ ق . م . وحكمه لها ثمانى سنوات وإنفاذه حملة وصلت إلى يثرب ، كان من الأهمية بمكان بالنسبة لتطور « العرب » الثقافى والدينى ، فقد شيد قصراً ومعبداً فى تيماء ، وجعل هذا المكان مركزاً لديانة عريقة فى القدم وعبادة للإله سين رب القمر الآرامى ، وزعا كان قرص الشمس المرتكز على الهلال كان إلى ذلك الرمز الأكبر لهذه الديانة (Musil سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٢٤ وما بعدها ، Moortgat ؛ Segal) : ولا بد من القيام بأبحاث تميط اللثام عن وجوه التشابه الوثيق بين هذه العبادة والعبادة التى كانت قائمة لهذا الإله فى جنوبى الجزيرة العربية والحبشة . وكان سين المعبود الرئيسى فى حضرموت منذ أن دونت أقدم النقوش فى هذه الدولة (Albright ، سنة ١٩٥٢ ، تعليق رقم ٨ ، وهو يسوق أدلة على إدخال عبادة هذا الإله قديماً إلى حضرموت) . واستبدل عيزانا ملك الحبشة بالهلال وقرص الشمس الصليب على سكته حين تحول إلى المسيحية فى القرن الرابع الميلادى (Littmann سنة ١٩١٣ ، جـ ١ ، ص ٦٠) .

وقد يكون المركز الاستثنائى الذى حظيت به تيماء إلى حين ، حافزا للدول المدينة الأخرى فى واحات صحراء العرب ، إلى المشاركة إلى حد ما فى حضارات البلاد المحيطة بها فى الشمال الشرقى والشمال الغربى والجنوب ، وقد أخذت فى الوقت نفسه تحاول الاحتفاظ من جديد بقدر معين من الاستقلال أو إعادة توطيد أركانه . وقد استخدمت خطوط مختلفة وطورت . بل إن أفراد العشائر من قبائل البدو عرفوا كيف يكتبون ، ومع ذلك فإن البداوة الخالصة التى تعتمد على الإبل كانت شائعة . ويقول أگاثر خيدس وأرتيميدورس (Diod. فى Geogr. Graec. Minor : C. Müller ، ص ١٨٤ ؛ Strabo جـ ١٦ ، ص ٤ ، ١٨)

فى أخبارهما عن قبيلة دبى فى سهول (تهامة) عسير : « إنهم يعتمدون فى معيشتهم على جمالهم فحسب، وهم يقاتلون على متون هذه الجمال ، وعليها يسافرون، وطعامهم من لبن النوق ولحم الجمال » .

والحق إن الخطوط فى النقوش الصخرية التى تركها بدو صحراء العرب والمنتشرة من قرب منطقة الصفا جنوبى دمشق ومن شبه جزيرة سيناء إلى حدود نجران فى جنوبى الجزيرة العربية تكون وحدة وإن كانت تشوبها تغيرات إقليمية شديدة (وربما موقتة) . وقد صنفت على اعتبار أنها خطوط ثمودية بالرغم من أن بنى ثمود فى منطقتهم حول ديدان لم يكتبوا إلا جانباً من هذه النقوش الصخرية(Littmann سنة ١٩٤٠ ؛ J. Ryckmans؛ Van den Branden سنة ١٩٥٦) . وهذه الخطوط من عدة وجوه أقدم بكثير (وظلت كذلك ؟) من خطوط أهل البلاد المقيمين التى تعرضت للتغيير حين إعدادها لتكون من النقوش الأثرية (أنظر J. Pirenne سنة ١٩٥٥ ، ص ٤٤ وما بعدها) : بل إن نقوشاً صخرية لها صلة بهذه النقوش توجد فى جنوبى الجزيرة العربية وبخاصة على طول أطراف الصحراء (انظر Hoefner و Jamme سنة ١٩٥٥) . والقول بأن كل النقوش « الثمودية » قد دونها فيما يظهر بدو يدل على أن القبائل البدوية كانت ولا شك على شىء من الدراية بضرورة اعتماد كل منها على الأخرى كما ينبئ بروح معينة من التضامن كانت تخالجها وبأن الحياة فيها كانت منفصلة بل مستقلة عن دول المدن فى الواحات .

ومن الواضح أن هذا المركز الذى كانت تتمتع به البداوة القائمة على الإبل فى الجزيرة العربية يختلف تماماً عما نعرفه عن البداوة القائمة على ركوب الخيل فى السهوب الشمالية لأوراسيا . وليس من شك فى أن الاختلاف الشديد بين البداوتين إنما يرجع فى المقام الأول إلى أن فصول الشتاء الطويلة والقارسة البرد فى الشمال لا تسمح بأن تغل الأرض أكثر من محصول وفير واحد وتعوق وجود واحات على الرغم من أن نسبة الرطوبة فيها أعلى : ويمكن القول إنه حيث تتناثر فى الصحراء الواقعة دون خط الاستواء واحات محدودة المساحة، كما هى الحال فى أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية شمالى الخط الممتد من وادى بيشة إلى نجران وإلى الربع الخالى، بدا أنه فى الإمكان تحقيق توازن فى القوى إلى حد ما بين القبائل البدوية من جهة ، ودول المدن التجارية من جهة أخرى ، على حين أن من المرجح أن يكون الفلاحون فى الواحات قد اضطروا فى الغالب إلى أن يعيشوا أرقاء لأهالى المدن أو للبدو .

ويرتبط تاريخ البداوة فى الجزيرة العربية ارتباطاً وثيقاً بكلمة أعراب . وكانت هذه الكلمة لا تطلق فى اللغات السامية والعصور الجاهلية إلا على سكان المناطق البدوية والواحات شمالى الربع الخالى . وكانت تدل بصفة خاصة على البدو الذين يستخدمون الإبل وإن كان معناها ينسحب أيضاً إلى سكان الواحات : بل إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يطلق كلمة أعراب إلا على البدو . وانفرد الإغريق بنقل هذا اللقب إلى شبه

الجزيرة العربية بأسرها ، والراجح أن ذلك حدث بعد الحملات التى شنها دارا (Scylax) . ويطلق ثيوفراستوس (٣٧٢ — ٢٨٧) على الجزيرة العربية الاسم اليونانى تُوْن أَرَابُون خِرسُونِيْسُوس (*Hist. Plant.* ج ٩ ، الفصل الثانى ، فقرة رقم ٢) : ويقسمها إِرَاتُوسْثِنِيس (أواخر القرن الثالث ق . م . ؛ إسترابون ج ١٥ ، ص ٤ ، ٢) إلى *Arabia Eudaimon* و *Arabia Eremos,* (اليمن السعيدة والربع الخالى فى العهد الرومانى) . بيد أن يوريپيديس يتحدث قبل ذلك عن *Arabia Eudaimon* فى مسرحية « عابدات باخوس » (ص ١٦ ج ١٨) ويتكلم أرستوفانيس (الطيور *Aves* ص ١٤٤ وما بعدها) عن « *Poliseudaimon* على البحر الأريترى » وذلك فى أواخر القرن الخامس ق . م . وعرب الجنوب لم يطلقوا على أنفسهم أبدا لقب أعراب .

ولا ندرى شيئاً عن تاريخ القبائل البدوية فى الربع الخالى شمال حضرموت وشرقها وغرب عمان إبان العصر الجاهلى . وأفراد هذه القبائل اليوم من البدو الأقحاح الذين يستخدمون الإبل ويقتنون بعض الغنم كأقرانهم فى الشمال سواء بسواء ، وهم لا يزالون يحتفظون بصخور مقدسة وأماكن مقدسة قرب الآبار يدفنون فيها موتاهم (Van der Meulen ، Thesiger) . ولكنهم لا يعيشون فى خيام ، ويرتدون ثياباً تناسب المناطق الحارة ويتحدثون بلغات الساميين من أهل الجنوب ، وفى المناطق الجبلية يتخذون من الكهوف مأوى لهم ، وهم لا يقتنون خيولا ويختلفون عن بدو الشمال فى أنهم ظلوا خارج الأحلاف المعروفة .

وارتبط مصير البداوة القائمة على الإبل فى الجزيرة العربية ارتباطاً وثيقاً بمصير تجارة القوافل ، ومن ثم فإن تدهور هذه التجارة كان له شأن كبير ولاشك فى حياة البدوى : وبدأ هذا التدهور تدريجاً فى القرن الرابع أو الثالث ق . م . عند ما أخذت مكوس الطرق التى كانت تجبى على المرور فى الطريق تزداد بسبب انقسام جنوب الجزيرة العربية سياسياً إلى دول مختلفة (Pliny ، ج ١٢ ، ص ١٤ ، ٦٥) . واشتد هذا التدهور عند ما فتحت مضايق باب المندب ابتداء من عام ١١٥ ق . م . تقريباً لمرور السفن مباشرة من مصر إلى الهند . وتوقفت تقريباً حركة مرور قوافل المواد العطرية بطريق البر عند ما أصبح لحركة مرور السلع فيما وراء البحار شأن ابتداء من عام ٤٨ ق . م . تقريباً (Strabo ج ٢ ، ص ١٢،١٥ ، المصدر المذكور ج ١٧ ، ص ١ ، ١٣ ؛ Pliny ، ج ٦ ، ص ٢٣ ، ١٠٤) . وليس من شك فى أن ذلك كان ضربة شديدة أصابت الممالك الواقعة فى جنوبى الجزيرة العربية ، وكان كارثة على البدو الذين كان لهم حظ مقسوم فى حركة المرور بطريق البر ، وكانوا يبيعون الجمال التى لا غنى عنها لهذه الحركة .

ويقــال إن لقب أَرْهابتاى Arrhabitai (أعراب) استخدمه (أكسوم) ملك الحبشة العظيم الذى شيد النصب التذكارى الأدوليّ

(انظر ما يلى ، قسم ذ) ونحن نعرف منه النسخة الإغريقية ، والراجح أن ذلك حدث قبل منتصف القرن الثانى الميلادى ، وقد ذكر هذا اللقب فى روايته عن إخضاع الحجاز وعسير شمالى حدود سبأ وجنوبى الحدود الرومانية » ويبدو أن لقب أرهابتاى Arrhabitai يعنى هنا سكان المنطقة المتاوحة للساحل : « كتايدوكولپيتاى » Kinaidokolpitai « وهم الذين كانوا يعيشون على ساحل الحجاز وعسير كما يقول بطلميوس Cl. Ptolemy »

... « وقد شرع الأعراب من البدو فى التدخل فى المنازعات بين سكان جنوبى الجزيرة العربية حوالى القرن الثانى الميلادى (J. Ryckmans سنة ١٩٥٤ ، ص ٢١٥ وما بعدها ، وسنة ١٩٥٦) وتذكر كلمتا أعراب وخميس مقترنتين عدة مرات فى نقش نامى من ٧١ إلى ٧٣ . وربما كانت كلمة خميس (خُمَيْس ؟ ومن الراجح أن تكون مشتقة من خَمْس) تعنى الجيش النظامى (M. Hoefner ، الرسالة) بينما تعنى كلمة أعراب المجندين من بدو الشمال الذين يركبون الإبل أو يمتطون صهوات الخيل » ويرجع تاريخ نقش نامى من ٧١ إلى ٧٣ إلى القرن الثالث الميلادى (الملك ألْهان نَهْفَان ؛ انظر Mordtmann — Mittwoch ، ص ٢١٨—٢٢٠) . ويدل نقش « ريكمانز ٥٣٥ » (Ryckmans 535) ، الذى يرجع إلى نفس هذا العهد ، على أن الإبل والخيول كانت تستخدم فى جيوش عرب الجنوب (G. Ryckmans فى *Muséon* ، سنة ١٩٣٩ ، ص ١٣٤ وما بعدها ؛ وفيما يختص بتاريخ هذه الفترة انظر v. Wissmann سنة ١٩٥٧) » ولا بد من البحث : هل ثمة أدلة مقنعة أقدم من ذلك على وجود جنود من راكبى الإبل فى جنوب الجزيرة العربية ؟ (انظر v. Wissmann-Hoefner ، ص ١٠ ، ٤٦) » (لا يشير نقش « Ingrams I » إلى مثل هذه الظروف . والترجمة الأولية التى أفدنا منها فى كتاب v. Wissmann-Hoefner ، ص ٣٣٣ ، غير صحيحة ؛ انظر Drewes) »

ونحن نعلم أن نقش النمارة شرقى جبل حَوْران فى الصحراء السورية (RES ٤٨٣) يقول سنة ٣٢٨ م : « هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ، ملك الأعراب جميعاً ، وهو الذى ... وزحف مظفراً لمحاصرة نجران ، قصبة شمر » (Lidzbarski) » ومن هذا نرى أن امرأ القيس لقب نفسه بملك الأعراب جميعاً على الرغم من أنه لم يكن ملك نجران التى تقع فى الطرف الشمالى الشرقى لجنوبى الجزيرة العربية الزراعى ، ولكنه ربما كان ملكاً على معظم تلك القبائل البدوية التى كانت تعيش فى خيام ، أى الأعراب . وكانت نجران فى ذلك العهد بلدة فى مملكة « شَمَّر » ، وشَمَّر يُهَرْعِش فيما يرجح ، (انظر Pirenne سنة ١٩٥٦ ؛ Jamme سنة ١٩٥٧ ؛ J. Ryckmans سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٢ ، التعليق ٩ ؛ Pirenne سنة ١٩٥٧ ، ص ٥٩ ، تعليق رقم ٤) وهو الذى اتخذ لقب « ملك سبأ وذو رَيْدان وحضرموت ويمنات » (ذو ريدان

تمثل حِمْيَر ، وريماتكون يَمْنات اسم المنطقة الساحلية الواقعة جنوبي حضرموت ، Wissmann سنة ١٩٥٩) ؛ وهذا اللقب يعني أن شَمَّر كان ملكا على الإقليم الزراعي بأسره في جنوبي الجزيرة العربية أو كان يدعى هذا .

وفي مطلع القرن الخامس ، حين كانت أجزاء كبيرة من شمالي الجزيرة العربية تقع في أملاك أبيكرب أسعد ملك جنوبي الجزيرة العربية ، هو الذي تذهب الرواية إلى أنه قام بحملة على بلاد الفرس — توسع في اللقب وأصبح وقتذاك يعبر عنه بما يأتي : « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وما منهم (جمع مذكر سالم) من أعراب في النجاد (وسط الجزيرة العربية) وفي تهامة (سهول الحجاز وعَسِير) » ؛ ويفهم من هذه العبارة مرة أخرى أنه لا يقصد بكلمة أعراب إلا سكان البادية (انظر خريطة ٤، ص ٤٩٨، ٤٩٩) .

وقد نشأ اضطراب شديد للأمن في الجزيرة العربية نتيجة الحروب المتصلة بين رومة وبلاد فارس وبين الحبشة وسبأ ، والتدهور الاقتصادي لأقاليم البحر المتوسط ، واشتداد المنافسة بين نقل السلع بطريق البحر (وقد أصبح جنوبي الجزيرة العربية مستبعداً من ذلك) وبين نقلها بطريق البر ، والتنافس على التجارة، وضعف سلطان جنوبي الجزيرة العربية الإقطاعي ، والحروب الإقطاعية والدينية المهلكة وذلك في الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين (انظر Beeston سنة ١٩٥٤ ؛ J. Ryckmans; Sidney Smith سنة ١٩٥٦ ب) ، واقتحمت القبائل منطقة تتوقف فيها الزراعة على المطر بأقاليم في الهلال الخصيب مناخها كمناخ السهوب ، بل إن مناطق الواحات قد تدهورت حالها أو تخلى عنها الناس تماماً وبخاصة في جنوبي الجزيرة العربية على طول حدود الصحراء وفي حضرموت (انظر v. Wissmann-Hoefner ، ص ١٢١ وما بعدها ؛ Le Baron Bowen) . حيث نفذت البداوة القائمة على استخدام الإبل من الشمال عن طريق الغزوات أو بالتسلل التدريجي ؛ ويمكننا أن ندلل على ذلك بمثال مشهور هو ما تعرض له سد مأرب ، القصبة القديمة لسبأ ، من إهمال وتصدع ثم انهيار هذه المدينة وواحتها انهياراً تاماً ، ثم إن النزعة الإقطاعية الشديدة للفلاحين في نجاد اليمن وعمان (القبائل) في مساكنهم الحصينة التي تشبه القلاع قد أدت إلى تشتيت القوة إلى أقصى حد بل وانتهت إلى الفوضى ، كما أدت إلى تنظيم قبلي وثارات تشبه ما هو معروف عند البدو المتبربرين أهل الجبال ؛ وأصبح الأهالي من البدو بالتدريج أكثر ميلاً للترحال والانتقال إلى مسافات بعيدة في الجزيرة العربية .

وكانت هذه الهجرات الجماعية لقبائل بأسرها تتجه في الغالب من الجنوب إلى الشمال ؛ وفي الجنوب تحول جانب من السكان المشتغلين بالفلاحة إلى حياة البداوة ، أما في الشمال فالراجح أن الحروب بين رومة وبلاد فارس قد أغرت أمثال هؤلاء البدو على الالتحاق بفرق الجند الراكبين

للجمال منضمين إلى جانب خصم من الخصمين ؛ وذلك لعجزهم عن بيع إبلهم لاضمحلال تجارة القوافل : ويصدق على هذا العهد بالفعل المثل العربى الذى يقول إن اليمن مهدُ العرب والعراق لحدُهم : ومع ذلك كانت هناك هجرات أيضاً فى الاتجاه المعاكس للملك مثل هجرة بنى كندة إلى حضرموت فى القرن السادس الميلادى ، وقد بلغ فيها عدد من هاجروا ، فى رواية الهمدانى ، أكثر من ٣٠,٠٠٠ رجل (Forrer ، ص ١٣٤ وما بعدها) : ويتدهور سلطان الدول فى البلاد المجاورة التى تعتمد على الزراعة وتتميز بكثافة فى السكان أكبر أخذ نفوذ البدو يشتد . ويدلل كاسكل Caskel (١٩٥٣) على أن سبيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية التى نصفها بأنها بدوية ، قبل هذا العهد من التبربر ، لم تتسم بالطابع الذى عرفناه من الأوصاف التى ساقها داوتى Doughty وأوپنهايم v. Oppenheim ولورنس Lawrence. وقد اختفت الكتابة بين البدو وازدهرت الرواية الشفوية .

ولعل من الطريف أن نعرف متى كان الجمع فى غزوة من الغزوات لأول مرة بين الإفادة من الجمل فى الركوب وقطع المسافات الطويلة ، وبين الإفادة من الجواد عند القيام بالهجوم الأخير وهو عمل بارع كان عبد العزيز آل سعود لا يزال يباشره : ومما يذكر أن ملخوس (ملك) الثانى ملك الأنباط أنفذ ١٠٠٠ فارس و ٥٠٠٠ راجل لمساعدة تيتوس عند ما هاجم القدس حوالى عام ٦٧ م (Hitti ، ص ٦٨) . وتظهر الرسوم الصخرية المصاحبة للنقوش الصفوية فى الحرة جنوبى شرق دمشق (من القرن الثانى إلى القرن الرابع أو أطول من ذلك ؛ انظر Littmann سنة ١٩٤٠) أن هؤلاء البدو الأقحاح قاموا بغاراتهم مستعينين بالحصان والجمل : وتعرف أيضاً من أميانوس ماركلينوس Ammianus Marcellinus (القرن الرابع الميلادى) أن البلميس Blemmyes قاموا بغاراتهم على هذا النحو (ج ١٤؛ ص ٤ ، ٣) .

ويبدو أن الجواد فى جنوبى الجزيرة العربية كان دائماً أقل شأناً منه فى الشمال . ومع ذلك فإننا نسمع أنه كانت هناك خيول بين الهدايا التى بعث بها يثعأمر ملك سبأ إلى سرغون عام ٧١٥ ق . م . وجاء فى الرحلة الموسومة باسم *Periplus Maris Erythraei* (حتى عام ٨٠ م) : أن التجار كانوا يشحنون الخيول من مصر إلى موزه (موشج ؛ انظر Wissmann سنة ١٩٥٩) : ويقول استرابون فى خبر موجز واف ساقه عن الزراعة فى جنوبى الجزيرة العربية أن الخيول كانت شحيحة وأن الجمال كانت تقوم بتأدية مهامها : وليس لدينا إلا عروض قليلة عن خيول من جنوبى الجزيرة العربية يبدو أنها من واردات الشمال أو نماذج منها أو أنها ترجع إلى عهود متأخرة : ومن الراجح أن الحصان لم يرتفع شأنه فى جنوبى الجزيرة العربية إلا منذ الاستعانة بجنود البدو أى منذ القرن الثالث الميلادى على الأقل : والواقع أننا نعلم من النقش الذى عثر عليه ريكمانز G. Ryckmans (٥٣٥ فى

Museon ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٤٠ وما بعدها) ويرجع إلى أواخر القرن الثالث الميلادى ، أن الخيول والجمال كانت تستخدم فى الجيوش بجنوبى الجزيرة العربية وأنه كان هناك فرسان علاوة على الجنود النظاميين .

المصادر :

(١) W.F. Albright: Albrecht Alt Festschrift: Dedan und Altes Testament ، Geschichte ١٦ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١ وما بعدها (٢) الكاتب نفسه: From the Stone Age to Christianity ، بلتيمور سنة ١٩٤٦ (٣) الكاتب نفسه: Zur Zaehmung des Kamels فى Zeitschr. f. alttestamentl. Wissensch. عدد ٦٢ ، سنة ١٩٤٩ / ١٩٥٠ ، ص ٣١٥ (٤) الكاتب نفسه: The Chaldaean Inscriptions in Proto-Arabic Script فى Bull. Amer. School Orient. Research ، عدد رقم ١٢٨ ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٣٩ — ٤٥ (٥) الكاتب نفسه: Archaeology and the Religion of Israel بلتيمور سنة ١٩٥٣ (الطبعة الثالثة) (٥) الكاتب نفسه: Zur Chronologie des Vorislamischen Arabien فى Festschrift fuer Otto, Von Ugarit nach Gumran Eissfeldt ، برلين سنة ١٩٥٨ ، ص ١ — ٨ (٦) F. Altheim: Die Krise der Alten Welt im 3 Jh. n. Ztw. ، برلين سنة ١٩٤٣ (٧) R. le Baron Bowen (بيحان) Irrigation in Ancient Qataban فى Archaeological discoveries in South Arabia ، صدر من مطبوعات Amer. Foundation f. th. Study of Man (المحرر F. Albright) فى مجلدين ، بلتيمور ، Johns Hopkins ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٤٣—١٣١ (٨) G.W. van Beek: Recovering the Ancient Civilization of Arabia فى Bibl. Archaeologist عدد ١٥ ، سنة ١٩٥٢ ، ص ١—٢٤ (٩) الكاتب نفسه: A Radiocarbon Date for Early South Arabia فى Bull. Amer. School Orient Research عدد رقم ١٤٣ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٦ — ٩ (١٠) A. F. L. Beeston: Problems of Sabaean Chronology فى BSOAS ، جـ ١٦ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٣٧—٥٦ (١١) R. Biasutti: Le Razze e i Popoli de la Terra فى مجلدين ، تورين سنة ١٩٤١ (١٢) H.Bobek: Der Orientals sozialer Lebensraum ، مخطوطة سنة ١٩٤٤ (١٣) A. van den Branden: Les inscriptions thamoudéennes ، لوڤان سنة ١٩٥٠ (١٤) E.Braunlich: Der Gesellschaftsaufiban der Beduinen فى Islamica ، جـ ٤ ، ص ٦٨ — ١١١ ، و ص ١٨٢ — ٢٢٩ (١٥) E. Brunner-Traut: Die Krankheit der Fuerstin von Punt فى Die Welt des Orients ، گوتنگن سنة ١٩٥٧ ، ص ٣٠٧ وما بعدها (١٦) J. Drewes و A. Caquot: Les Monuments recueillis à Maqallé فى Annales d'Ethiopie عدد ١ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٧—٤٢ (١٧) Carte Géolog. Internation. de l'Afrique ، ١ : ٥ مليون ، Bureau d'Etudes Geol. et Min. Coloniales ، باريس من سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٥٢ (ويشمل الجزيرة العربية)

(١٨) W.Caskel : Die Bedeutung der Beduinen in der Geschichte der Araber في Arbeitsgemeinsch. f. Forschung d. Landes H. 8 , Nordrhein-Westfalen ، كولونيا سنة ١٩٥٤ (١٩) الكاتب نفسه : Einleitung في : M. v. Oppenheim : Die Beduinen ج ٣ ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٥ — ٣٦ (٢٠) H. Charles : Processus de la sédentarisation des nomades en steppe syrienne في Actes du 16e. Congrès internat. de Sociologie سنة ١٩٥٤ ، الجزء الثالث ، ص٧٥ — ٨١ (٢١) C.S. Coon : The Races of Europe ، نيويورك سنة ١٩٤٨ ، وبخاصة ص ٤٠٠ — ٥٠٩ (٢٢) C . Conti Rossini : Storia d'Etiopia ج ١ ، ميلانو سنة ١٩٢٨ (٢٣) R. Delbrueck : Suedasiatische Seefahrt im Altertum في Bonner Jahrbuecher ، ص ١٥٥/٥٦ ، سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ (٢٤) C.M. Doughty : Travels in Arabia Deserta ، لندن سنة ١٩٢٨ (٢٥) A.J. Drewes : Some Hadrami Inscriptions, Biblioth. Orient عدد ١١ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٩٣ وما بعدها (٢٦) R . Dussaud : La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam ، باريس سنة ١٩٥٥ (٢٧) E. von Eickstedt : Rassenkunde und Rassengeschichte der Menschheit ، شتوتگارت سنة ١٩٣٤ (٢٨) H. Field : Camel Brandes and Graffiti from Iraq, Syria, Jordan, Iran, and Arabia ، ملحق مجلة Journ. Amer. Orient. Society عدد رقم ١٥ ، سنة ١٩٥٢ (٢٩) الكاتب نفسه : Ancient and Modern Man in Southwestern Asia ، مطبعة ميامى سنة ١٩٥٦ (٣٠) L. Forrer : Suedarabien nach al-Hamdani's « Beschreibung der Arabischen Halbinsel » ، في Abh. z. Kunde d. Morgenl., Deutsche Morgenl. Ges. عدد ٢٧ ، ص ٣ ، سنة ١٩٤٢ (٣١) N. George : The Camel in Ancient Egypt في Brit. Veterin. Journ. عدد ١٠٦ ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٧٦ — ٨١ (٣٢) E. Glaser : Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens الجزء الثانى ، برلين سنة ١٨٩١ (٣٣) A. Grohmann : Suedarabien als Wirtschaftsgebiet الجزء الثانى (Schr. Phil. Fak. Dtsch. Univ. Prag. ، مجلد ١٣) ، برن سنة ١٩٣٣ (٣٤) الكاتب نفسه : Al-'Arab ، العرب ، The Ancient (١) the Arabs history of the Arabs [انظر هذه المادة] (٣٥) Hanchar : المصدر المذكور (٣٦) P.K. Hitti : History of the Arabs ، لندن سنة ١٩٥٣ (٣٧) M. Hoefner : Magische Zeichen aus Suedarabien ، Archiv. f. Orientforschung ، ج ١٦ ، ص ٢ ، ٢٧١ — ٢٨٦ (٣٨) W.B. Harris : A Journey through the Yemen ، لندن سنة ١٨٩٣ (٣٩) James : في Brit. Mus. Quarterly سنة ١٩٥٥ ، V.P.I (٤٠) A. Jamme : An Archaic South- Arabian Inscription in Vertical Columns في BASOR ، عدد ١٣٧ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٢ — ٣٨ (٤١) الكاتب نفسه : On a Drastic etc. ، في BASOR عدد ١٤٥ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٥ — ٣١

(٤٢) A. Bertholet , E. Kautzsch : Die
Heilige Schrift des Altes Testaments ، توبنگن
سنة ١٩٢٢ (٤٣) L. Kawar : The
Arabs in the Peace Treaty of A.D. 561 ، في
Arabica عدد ٣ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٨١ — ٢١٣
(٤٤) T.E.Lawrence: Seven Pillars of Wisdom ،
لندن سنة ١٩٣٥ (٤٥) M. Lidzbarski :
Ephemeris fuer semitische Epigraphik II ، گيسن
سنة ١٩٠٨ ، ص٣٦ ، Namara-Inschrift (٤٦)
E. Littmann : Zur Geschichte Aksums في
Dtsch. Aksum-Expedition: مجلد ١ ، ص ٣٥ —
٣٦ ، برلين سنة ١٩١٣ (٤٧): الكاتب نفسه :
Sabäeische griechische und altabessinische Inschriften
في: Dtsch. Aksum Expedition ، مجلد ٤ ،
برلين سنة ١٩١٣ (٤٨) الكاتب نفسه : Thamud
und Safa في Abh. f. d. Kunde d. Morgenl. ،
عدد ١ ، ص ١ ، سنة ١٩٤٠ (٤٩) خريطة
لشبه الجزيرة العربية مقياس ١: ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ،
U.S. Geolog. Survey سنة ١٩٥٨ ، Misc.
Geolog. Invest. ص ١ — ٢٧٠ ، B.I. ، الأسماء
الواردة بها نقلنا شركة أرامكو ARAMCO
(٥٠) C.D. Mattews : Non-Arabic Place Names
in Central South Arabia في Internat. Orientalist.
Congr. ، ميونخ سنة ١٩٥٧ ، في دور الإعداد (٥١)
D. van der Meulen : Aden to the Hadhramaut ،
لندن سنة ١٩٤٧ (٥٢) A.Moortgat : Geschichte
Vorderasiens bis zum Hellenismus ، في :
A. Scharff و A. Moortgat : Agypten und
Vorderasien im Altertum ، ميونخ سنة ١٩٥٠
(٥٣) B. Moritz : Arabien ، هانوفر سنة ١٩٢٣
(٥٤) S. Moscati : The Semites : A Linguistic
Ethnic and Racial Problem ، في Catholic Biblical
Quarterly ، عدد ١٩ ، سنة ١٩٥٧ ، ص
٤٢١٤ — ٣٤ (٥٥) A. Musil : The Northern
Hegaz Orient. Expl. and Studies, Amer. Geogr. Soc. ،
رقم ١ ، نيويورك سنة ١٩٢٦ (٥٦) الكاتب
نفسه: Arabia Deserta ، المرجع نفسه رقم ٢ ،
سنة ١٩٢٧ (٥٧) الكاتب نفسه : Northern
Negd. ، المصدر نفسه رقم ٥ ، سنة ١٩٢٨
(٥٨) الكاتب نفسه : خريطة لشمالي الجزيرة
العربية ١: مليون المرجع نفسه (٥٩) M. v.
Oppenheim : Die Beduinen ، مجلد ١ — ٢ ،
ليبسك سنة ١٩٣٩ و ١٩٤٣ ، مجلد ٣ ، قسم
١ — ٢ ، ڤيسبادن سنة ١٩٥٢ (٦٠) J. Pirenne :
La Grèce et Saba في Mém. Prés. à l'Akad. des
Inscriptions et Belles lettres ، عدد ١٥ ، باريس
سنة ١٩٥٥ (٦١) الكاتب نفسه : L'inscription
« Ryckmans 535 » et la chronologie Sud-Arabe ،
في Muséon ، عدد ٥٩ ، سنة ١٩٥٦ أ ،
ص ١٦٥ — ١٨١ ، (٦٢) الكاتب نفسه :
Paléographie des Inscriptions Sud-Arabes I ،
في Verhandl. Vlaamse Acad. d. Wet. v. Belgie
Cl. d. Lett. ، رقم ٢٦ ، بروكسل سنة ١٩٥٦
ب (٦٣) الكاتب نفسه : Chronique d'archéologie
Sud-Arabe ، سنة ١٩٥٥/٥٦ ، في Annales

d'Ethiopie عدد ٢ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٣٧–٦٨
(٦٤) H. Poech : Uber die aethiopide und gondide
Rasse und ihre Verbreitung في Anthropologischer
Anzeiger ، عدد ٢١ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ١٤٧–
١٥١ (٦٥) C.Ritter : Vergleichende Erdkunde von
Arabien ، في مجلدين ، برلين سنة ١٨٤٧ ،
وبخاصة : Die geographische Verbreitung des
Kamels in der Alten Welt ، في المجلد الثاني ،
ص ٦٠٩ – ٧٥٩ (٦٦) G. Ryckmans :
Inscriptions Sud-Arabes ، من السلسلة الثانية إلى
الرابعة عشرة من Muséon ، عدد ٤٥ ، من سنة
١٩٣٢ إلى ٥٩ ، وسنة ١٩٥٦ (٦٧) J. Ryckmans :
L'institution monarchique en Arabie Méridionale
avant l'Islam ، لوفان سنة ١٩٥١ (Bibl. du
Muséon ، مجلد ٢٨) . (٦٨) الكاتب نفسه : Aspects
nouveaux du Problème Thamoudéen. في Stud. Isl. ،
جـ ٥ ، باريس سنة ١٩٥٦ أ ، ص ٥ – ١٧
(٦٩) الكاتب نفسه : La Persécution des Chrétiens.
Himyarites au sixième siècle ، Nederl. Hist. - Archaeol. Inst. ،
إستانبول سنة ١٩٥٦ ب (٧٠) الكاتب
نفسه : Petits royaumes Sud - Arabes d'après les
auteurs classiques في Muséon ، عدد ٧٠ ، سنة
١٩٥٧ ، ص ٧٥ – ٩٦ (٧١) الكاتب نفسه :
Zuidarabische Kolonisatie ، Jaarbericht رقم ١٥ ،
Ex Oriente Lux ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٢٣٩–٢٤٨
(٧٢) C.O. Sauer : المصدر المذكور (٧٣)
B. Segall : The Arts and King Nabonidus في Amer.
Journ. of Archaeol. ، عدد ٥٩ ، سنة ١٩٥٥ ،
ص ٣١٥ – ٣١٨ (٧٤) الكاتب نفسه :
The Earliest Phase : Sculpture from Arabia Felix
في Ars Orientalis ، عدد ٢ ، سنة ١٩٥٧ ، ص
٣٥ – ٤٢ ، أربع لوحات (٧٥) Sidney Smith :
Events in Arabia in the 6th Century A. D. في
BSOAS ، جـ ١٦ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٢٥ –
٤٦٨ (٧٦) M. Tamisier : Voyage en Arabie
في مجلدين ، باريس سنة ١٨٤٩ (٧٧) W. Thesiger :
Across the Empty Quarter في Geogr. Journal ،
العدد الثالث ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١ – ٢١ ،
(٧٨) J. Tkac : مادة ظفار في الدائرة (٧٩)
R. Walz : Zum Problem des Zeitpunktes der
Domestikation der altweltlichen Cameliden ، في
ZDMG ، عدد ١٠١ ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢٩–٥١ ، جـ ١ ،
وعدد ١٠٤ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٥–٨٧ (٨٠) الكاتب
نفسه : Beitraege zur altesten Geschichte der altweltlichen
Cameliden unter besonderer Beruecksichtigung
des problems des Domestikationspunktes في
Actes du 4e Congrès Internat. des Sciences
Anthropologiques et Ethnologiques ، فينا سنة ١٩٥٢ ،
مجلد ٣ (نشر سنة ١٩٥٦) (٨١) J. Wiesner :
Fahren und Reiten in Alteuropa und im Alten Orient
في Der Alte Orient ، مجلد ٣٨ ، ص ٢ ، سنة
١٩٣٩ (٨٢) الكاتب نفسه : Probleme der fruehzeitlichen
Domestikation im Lichte neur Forschung في Actes
4e Congrès Internat. des Sciences Anthropologiques
et Ethnologiques ، فينا سنة ١٩٥٢ ، مجلد ٢ (نشر

سنة ١٩٥٥) (٨٣) H. v. Wissmann : *De Mari Erythraeo* فى *Lautensach-Festschrift* ، *Stuttgarter Geographische Studien* ، عدد ٦٩ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٨٩ — ٣٤٢ (٨٤) الكاتب نفسه و H. Gaetje : *Arabien nach Ptolemaeus* ، أعد للأكادمية فى ماينز سنة ١٩٥٩ (٨٥) M. Hoefner, و H. v. Wissmann: *Beitraege zur historischen Geographie des Vorislamischen Suedarabien Akad. Abh. d. Geistes-* فى ماينز ، *d. Wiss. u. d. Literatur* ، *Sozialwiss. Kl.* Jg. سنة ١٩٥٢ ، رقم ٤ (٨٦) R. B. Serjeant و H. v. Wissmann : خريطة لجنوبى الجزيرة العربية من شُقرا إلى الشِّحر ومن بيحان إلى حضرموت ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، ورقتان ، *Roy. Geogr. Soc.* ، لندن سنة ١٩٥٨ مع بحثين للكاتبين فى *Geograph. Journal* ، عدد ١٢٤ ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٦٣ — ١٧١ .

(د) ظهور البداوة التى تعتمد على الجمال فى شمال إفريقية

مما يثير الدهشة أن حالة واحة النهر العظيم بمصر وحضارتها قد عاقتا انتشار تربية الجمل والبداوة التى تعتمد عليه فترة طويلة ، فقد فرضت رقابة شديدة على الحدود وأبدت نفورا شديداً من البدو الأسيويين . وليس ثمة لفظ خاص فى اللغة المصرية القديمة لكلمة « جمل » (Albright ، سنة ١٩٥٠ ، وانظر Préaux) .

وقد افترض أن أهل سبأ هم الذين أدخلوا الجمل إلى السهول الواقعة فى شمالى الحبشة عندما استعمروا هذا القطر فى بداية الألف الأخيرة ق.م فيما يحتمل ، وأتوا معهم بالمحراث وعلموا الناس كيف يسوون الأرض ويروونها صناعيا . وقد ذكرنا فيما سبق أن هذه المستعمرة كانت قد أصبحت وطيدة الأركان ، والراجح أنه كان قد مضى على إنشائها زمن طويل فى القرن الخامس ق.م. بل إن كونتى روسينى Conti Rossini قد افترض إدخال الجمل فى مثل هذا التاريخ المتقدم (ص ١٠٣ ، ١٠٦) ومع ذلك فإنه لم يجد دليلا واحدا يؤيد ما ذهب إليه. ولم يرد ذكر للجمل فى أى من النقوش السبئية بالحبشة (انظر ماسبق) ، بيد أن هذا لا يهم كثيراً ، كما قلنا ، لأن هذه النقوش لا تزال قليلة . ويجدر بنا على أية حال ألا ننسى أن الجمل لم يجلب إلى هضاب الحبشة حتى فى يومنا هذا ، ولم تنتشر تربيته إلا فى السهول وعلى المنحدرات السفلى . وهذه المنطقة ، الواقعة قرب الموانى فى شمالى الحبشة ، شريط ضيق من الأرض كما هى الحال فى غربى اليمن .

ولعلنا نتوصل إلى أن أهل سبأ لم يدخلوا الجمل إلى الجانب الإفريقى من البحر الأحمر من خبر معين وحقيقة لغوية : فنحن نعرف أن أگاثرخيدس (حوالى ١٣٠ ق.م فيما يحتمل) يسوق وصفا تفصيليا جيدا عن سكان الكهوف من البدو الذين يعيشون وراء الساحل الإفريقى للبحر الأحمر شمالى الحبشة (البلميس المتأخرون أو قبائل البجا) ولكنه لا يقول شيئا عن تربية الجمال ولا يتحدث إلا عن تربية الماشية والماعز (Diodor. ، وانظر C. Müller : *Geogr. Graec. Minor.* ، جـ١ ، ص ١٥٣). ولعل

أكاثرخيدس قد استقى قصته من وصف أقدم من ذلك بكثير (انظر von Wissmann سنة ١٩٥٧) .

وأما الحقيقة اللغوية فهى أن كلمة « جمل » تطلق على هذا الحيوان فى لغة گعز وفى جميع اللغات السامية بالحبشة على السواء كما تطلق أيضا فى مصر ، بينما نجد أن الناس فى شمالى الجزيرة العربية لم يستخدموا إلا كلمة « إبل » (Hoefner فى رسالة منه) : ولم يعثر على كلمة « جمل » فى نقوش جنوبى الجزيرة العربية إلا فى نقش واحد يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الميلادى (G. Ryckmans رقم ٥٣٥) ثم فى القرن السادس الميلادى (يوسف ذو نُواس ، G. Ryckmans ، رقم ٥٣٥) . وأول ذكر فيما نعرف للجمل فى اللغة الحبشية يرجع إلى القرن الرابع الميلادى فى ليتمان (Littmann : *Aksum*، ٩ سنة ١٩١٣) ؛

ولا نعرف شيئا عن وجود الجمل من الكتابة الهيروغليفية أو من المؤلفين الإغريق أو الرومان أو من أى حفر أو رسم على الصخر سواء فى مصر أو فى أى جزء من شمالى إفريقية فى العصر اليونانى المتأخر (الهيلنستى) ؛ ومهما يكن من أمر فإن هناك استثناء واحداً : ذلك أن بطلميوس الثانى فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٦) أصلح الطرق القديمة الموصلة من قَفْط Koptos على النيل إلى البحر الأحمر (١٧٣ كم) وفتح طريقاً أطول من نفس المكان إلى برنيقى طروغلوديتكى (٣٨٠ كم) الميناء الجديدة التى أنشأها ، بإقامة إحدى عشرة محطة ، ولم يفعل ذلك من أجل المسافرين مشيا على الأقدام فحسب بل فعله من أجل التجار المسافرين على ظهور الجمال أيضا (إسترابون Strabo ، ج ١٦ ، ص ٤ ، ٢٤ ، ج ١٧ ، ص ١ ، ٤٥ ، ٦٥ ؛ Pliny ، ج ٦ ، ص ١٠٢ ، ١٦٨ . وبرنيقى طروغلوديتكى تقع على خط عرض ٢٣° ٥١ درجة فى خليج سخة بندر الكبير) . ويقول إسترابون إن قَفْط أصبحت بلدة تنسب للعرب والمصريين على السواء ، وأن العرب اشتغلوا فى المناجم الواقعة بين قفط وميوس هورموس . ويتحدث پليناس أيضاً عن قبائل عربية كانت تعيش فى منطقة برنيقى . وأعاد فيلادلفوس شق القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر ، وأنشأ قواعد بحرية على طول الساحل الغربى للبحر الأحمر (انظر مايلى) . ويرجح أن فيلادلفوس أدخل قوافل الجمال وأصحابها العرب ونقلهم إلى فيلوترا Philotera وإلى ميوس هورموس وبرنيقى عبر البحر من الساحل الواقع شمالى الحجاز (Ritter ج ٢ ، ص ٧٠٣) . ويبدو أن بطلميوس الثانى كان قد وضع هذا الساحل الواقع شمالى الحجاز تحت سلطانه بتوطيد صلات الصداقة بينه وبين دَيْدان على طريق البخور ، وبهذا استطاع أن يحوِّل حركة تجارة البخور من ديدان إلى ميناء جديد على البحر الأحمر (تشيت ؟) ثم تنقل من هناك بالمراكب إلى مصر (انظر Tarn ، تذييل بقلم Delbrueck ؛ Sidney Smith) : وكانت هذه التجارة حتى ذلك الوقت تسير فى الطريق من سبأ ومعين إلى غزة على البحر المتوسط . ولما كانت دَيْدان مستعمرة تابعة لمملكة معين التى نشأت شمالى سبأ فإن النقش الذى على ناووس تاجر بخور من

معين كان يعيش فى منتصف قبا يرجح (Albright سنة ١٩٥٣ ، تعليق رقم ١٢) يؤيد وجود هذا الارتباط ،وهذا النقش يرجع إلى عام ٢٦٤ ق.م فيا يرجح ، وكان التاجر المذكور يجلب المر وغيره من السلع إلى مصر على سفنه الخاصة ويأتى بالأقمشة الكتانية الناعمة إلى الجزيرة العربية (Kortenbeutel, Rhodokanakis) . وقد كان فى وسع بطلميوس الثانى ومن خلفه من الملوك أن ينقلوا الفيلة على مراكب كبيرة تسير فى البحر الأحمر ولذلك تيسر لهم نقل الجمال . ولعل العرب الذين جىء بهم مع جمالهم إلى مصر كانوا يعرفون الكتابة بما يسمى بالخط الثمودى المعروف فى شمال الحجاز ، وقد عثر على عدة نقوش ثمودية فى صحراء مصر الشرقية وبخاصة على طول الطرق (Littmann سنة ١٩٤٠ ، ص٣ ؛ Green ، J. Pirenne فى رسالة له)

ويجوز لنا أن نتساءل مرة أخرى : كيف جىء بالجمل إلى الحبشة ؟ هناك احتمالان لذلك : فإما أن يكون بطلميوس أو أحد خلفائه هو الذى أدخله ، وإما أن يكون ملوك الحبشة من أكسوم هم الذين أدخلوه فى القرن الثانى الميلادى تقريباً ،

وشيد بطلميوس الثانى مدينة ثيرون البطلميوسية الحصينة على الجزء الشمالى الأقصى من الساحل الحبشى (انظر نصب پيثوم فى مصر) . وقد عثر كوزماس إنديكوپلستس (Winstedt) Cosmas Indicopleustes على نصب فى أدوليس جنوبى مصوع الحديثة يروى أن بطلميوس الثالث أيورگيتس (٢٤٦ — ٢٢١) وأباه كانا يقومان بصيد الفيلة فى هذه المنطقة . ولا نعرف على وجه التحقيق متى شيدت ا برنيقى هى كاتا ساباس (Strabo ، حـ١٦ ، ص ٤ ، ١٠ وبرنيقى إپيدريس التى وردت فى كتاب Pliny ، حـ ٦ ص ٢٩ ، ١٧٠ ؛ Conti Rossini فى الرد على Kortenbeutel) قرب عصاب الحالية كما لا نعرف متى استبدل بمدينة برنيقى الجنوبية هذه مستعمرة تسمى أرسينوى (Conti Rossini ، ص٦٠ وما بعدها ، الخريطة ، إسترابون Strabo ص١٦ ، ص ٤ ، ١٤ ؛ Pitschmann : Arsinoë فى Pauly - Wissowa) . وكل ما تتبينه هو أن البطالمة حرصوا على وضع الساحل الإفريقى بأسره فى دائرة نفوذهم البحرى وسلطانهم شيئا فشيئا . وكان النقل بالسفن والتجارة فى عهد البطالمة يخضعان لإشراف دقيق من الدولة ، وربما ظل لسبأ قبل هذا العهد نفوذ فى مستعمرتها الحبشية القديمة ، وبخاصة فى المنطقة الواقعة على الساحل ، على الرغم من حرج مركزها فى جنوبى الجزيرة العربية بين الدولتين الحديثتين القويتين : معين فى الشمال وقتبان فى الجنوب ، إذ كانت قتبان تمتد حتى عدن ومضايق باب المندب . وكان هناك مدخل سبئى Sabaitikon Stoma جنوب ثيرون البطلمية (أرتميدوروس فى قول إسترابون Strabo) ، وفضلا عن ذلك كان هناك مكان يسمى سبَت (شبث ؟) تجاه جزيرة مصوع (Cl. Ptolemy ، Pliny ، Strabo) ولعل

، مدينة سباى العامرة ، كانت فى خليج عصاب الحديثة (Strabo ، حـ١٦ ، ص ٤ ، ٨ - ١٠ وانظر Conti Rossini ، الخريطة ، لوحة رقم ١٦) ، وليس من شك فى أن البطالمة لم يجدوا عسراً فى اقتحام الساحل الحبشى بسبب الحروب المهلكة التى كانت دائرة فى جنوبى الجزيرة العربية ، ولما كانوا قد نقلوا فيلة من هذا الساحل إلى مصر فى مراكب كبيرة فليس من المستبعد أن يكونوا قد جاءوا بجمال إلى السكان المقيمين قرب هذا الساحل من شمالى الحجاز ، وقبل عام ١١٥ ق.م تقريبا كانت ميناء عدن القتبانية موضعا هاما لنقل السلع العابرة بالسفن ، وكانت الشحنات تأتى من مصر والهند (انظر von Wissmann سنة ١٩٥٧) ، ولما حلت دولة حِمْيَر الجديدة محل قتبان فى عدن أثناء ذلك العهد ودمرت ميناء عدن أصبح الطريق ممهداً أكثر من ذى قبل أمام سفن البطالمة لمخر عباب البحر مباشرة إلى الهند .

ويبدو أن مملكة أكسوم (الحبشة) التى تذكر لأول مرة فى خبر رحلة بحرية فى البحر الأريترى (حوالى عام ٨٢ - ٩٦م) كانت دولة قوية بالفعل فى ذلك العهد ، وأنها تعلمت الكثير من الملاحة الإغريقية الرومانية فى البحر الأحمر ، ثم أقام أحد ملوك أكسوم ، ولعله عاش فى منتصف القرن الثانى الميلادى (Mommsen؛ Winstedt : *Römische Geschichte* ، حـ ٥ ، ص ٥٩٩ ؛ Mordtmann- Mittwoch ص ٦) إمبراطورية عظيمة تمتد من حدود مصر إلى الصومال (انظر Dittenberger ، ص ٢٨٧ - ٢٩٦ ؛ Littmann سنة ١٩١٣ ، حـ١ ، ص ٤٢ وما بعدها) وذلك طبقا لما ورد فى النصب التذكارى الأدوليّ ، وقد غزا ساحل الجزيرة العربية وما وراءه من ليوكى كومى فى شمالى الحجاز حتى أقصى الجنوب عند حدود مملكة سبأ (وادى بَيْش فى جنوبى عسير ؛ Wissmann ، فى المصدر المذكور، سنة ١٩٥٩) ، وهو يقول إنه استخدم أسطولا فى هذه الغزوة ، واسمه غير معروف. ويدل النصب التذكارى على أن مملكة أكسوم أصبحت فى ذلك العهد قوة بحرية ربما كانت تؤيدها رومة ، وقد نقشت على النصب التذكارى عبارات باللغة اليونانية كتبت بالحروف اليونانية . وكانت أكسوم فى القرن الأول الميلادى (الرحلة المذكورة آنفاً : Periplus) قد ألفت الحديث باللغة اليونانية . ومن ثم قد يكون هذا الملك الذى ورد ذكره فى النصب التذكارى الأدوليّ هو الذى أدخل الجمل إلى الحبشة من مستعمرته الواقعة فى شمالى الحجاز . ولا بد أن هذا العهد قد تميز باطراد نمو الوعى القومى فى الحبشة ، ومن المرجح أن تكون قد نشأت فيها طريقة رسمية للكتابة تقوم على أساس حروف الكتابة السبئية النسخ التى تستخدم فى النقش على النصب التذكارية التى تأثرت الكتابة اليونانية (من اليسار إلى اليمين وأرقام) وحروف الكتابة الثمودية (انظر J. Ryckmans ، سنة ١٩٥٥ ؛ Ullendorff ؛ Drewes) . ويبدو أن جنوب البحر الأحمر كان يخضع للسيادة الحبشية فى القرن

الثالث على حين انكمشت حركة التجارة المباشرة بين الإمبراطورية الرومانية والهند (Sir M. Wheeler ؛ Wissmann سنة ١٩٥٧) .

ويبدو أن البلميس أو البجا (Pauly-Wissowa ؛ «Blemyes» بقلم Sethe) كانوا أول شعب إفريقى قام بتربية الجمال بعد تلك القبائل العربية التى أدخلها على الأرجح بطلميوس الثانى إلى برنيقى طروغلوديتكي وميوس هورموس ، ويمكن القول استناداً إلى ما جاء بكتاب إسترابون (Strabo ، حـ ١٧ ، ص ٧٨٦ ، ٨١٩) والنقوش الحبشية أنهم عاشوا جنوب شرقى سين Syene بين النيل والبحر الأحمر ، ولم يكونوا فى عهد إسترابون « كثيرى العدد أو محبين للقتال » وكانوا يربون الأغنام والماعز والماشية ، ولم يكونوا وقتذاك خطراً على الإمبراطورية ، ومهما يكن من أمر فإنهم تعلموا ولا شك تربية الجمال من جيرانهم العرب فى القرون التالية حتى أصبحوا فى هذا بالفعل من « أبرع » البدو الذين يغيرون وهم على ظهور الجمال ، وأصبحت غاراتهم فى عهد دقيوس Decius (٢٤٩ — ٢٥١ م) على ظهور الجمال محرجة للإمبراطورية الرومانية ، وبعد مرور عشرين عاما كانوا يسيطرون بالفعل سيطرة تامة على الطرق بين النيل والبحر الأحمر .

وأصبحت حركة التجارة بين مصر والهند فى ذلك الطريق تتوقف كل التوقف على حسن نية البلميس (انظر Bensch ، ص ٢٦٤ وما بعدها) . وفى عهد بروبوس Probus (٢٧٦ — ٢٨٤) احتل البلميس قفط وبطلمايس إلى حين ، واضطر دقلديانوس إلى أن يودى لهم الجزية عام ٢٩٦ على الحدود قرب سين Syene ، وقد طلب هذا الإمبراطور من « النوباتاى » Nobatae (Nobades أى النوبيين ؟) مساعدته فى قتال البليمس ومنحهم دوديكاشويتوس Dodekaschoinos قاعدة ينزلون فيها (Procopius : Persian War ، حـ ١٩ ؛ Pauly Wissowa ، انظر « Nubai »)

وفى القرن الرابع الميلادى أصبح البلميس والقبائل العربية فى مصر — بما لديهم من جمال وما توفر لهم أيضا فى ذلك الوقت من خيول — يزداد خطرهم باستمرار على الإمبراطورية (Ammian. Marcellin ، حـ ١٤ ، ٤ ، ٣) ، واضطرت الإمبراطورية إلى تجريد فرق من راكبى الجمال لمحاربتهم . وهاجرت قبائل عربية جديدة عابرة خليج السويس فى عهد الإمبراطور ڤالنس Valens (حوالى ٣٧٠ م) ، واحتلت الجزء الشمالى من الصحراء « العربية » شرقى النيل ، والراجح أنهم بلغوا خط العرض الذى تقع عليه مدينة طيبة . ولا شك أنهم دعموا قوة البداوة التى تعتمد على الجمل والقتال على ظهور الجمال فى الأقاليم التى تقع حول مصر .

واكتشف هـ. أ . وينكلر H.A. Winkler فى الرسوم الصخرية التى عثر عليها بالصحراء « العربية » صورة لجماعة من « البلميس » فى عصر يقع بين عهد مربى الماشية والعصر الإسلامى ، ويبدو من المحقق أن هذه الجماعة تنتسب إلى هذا العصر (حروف يونانية وقبطية وتأثير يونانى متأخر وآثار وسمات

نموذجية) ، وهى تدل فى الغالب على أناس مسلحين (بقوس ورمح وسيف ودرع مستطيلة الشكل) يركبون الجمال أو يمتطون صهوات الخيل . وهنا نجد أن الجمل هو الدابة التى تتبوأ مكان الصدارة ، وتظهر هذه الدابة إلى جانب الحصان والحمار والماشية . ويقول وينكلر Winkler (سنة ١٩٣٨ ، ص ٤١) : « فى كل الرسوم الصخرية السابقة يسود السلام ، أما فى صور من يقتنون الجمال فكل ما فيها يدل على الحرب ، فقد كانوا يجلبون الحرب أينما حلوا » .

ويعترف كاتب هذه المادة بأنه ليس فى موقف يسمح له بالحديث عن تطور البداوة فى المناطق الجافة بإفريقية . وإذا اتخذنا الرسوم الصخرية أساسا لحكمنا بدا الأمر كأنما يدل على وجود فترة سابقة ظهر فيها مربو الماشية لا فى سهوب السودان وشرقى إفريقية فحسب بل فى أقاليم الصحراء أيضا . وحتى لو سلمنا بأن المناخ كان فى بعض المواسم أكثر رطوبة مما هو عليه الآن ، فقد يزاودنا الشك فيما إذا كانت الماشية ذات القرون هى الدواب التى تتبوأ مكان الصدارة فى تلك الأقاليم الصحراوية التى لا تلائمها تماما على الرغم من أن الماشية قد تكون أدخلت هناك قبل الأغنام والماعز . ويخيل إلى أن من المرجح أن تكون الماشية ، باعتبارها من الأنعام المقدسة ، قد صورت على الصخور عندما توطدت حياة البداوة ، على الرغم من أهميتها الثانوية بالنسبة للاقتصاد البدوى بالقياس إلى الماعز والأغنام . ولعلنا نذكر أن الرسوم الصخرية « الثمودية » فى غربى الجزيرة العربية تثبت وجود حيوانات الطراد والجمل ولكنها لاتكاد تدل على وجود الماعز والأغنام على الرغم من أننا نستطيع أن نجزم بأن البدو فى تلك الأقاليم كانوا وقتذاك يقتنون قطعانا من هذه الحيوانات .

وتدل الرسوم الصخرية ، فى قول لوته Lhote سنة ١٩٥٣ ، على أن الحصان ونوعا من العجلة الحربية قد أدخلا فى فترة سابقة يذهب لوته Lhote إلى أنها كانت حوالى عام ١٢٠٠ ق . م ، على يد « شعوب بحرية » من إقليم بحر إيجه فى منطقة غدامس وفزان وتسيلى والهجار . وتطور ركوب الحصان فى وقت متأخر بعض الشىء عن هذا بين هؤلاء القوم الذين يستخدمون العجلة الحربية ، وركبوه من غير استعانة بالزمام والقرطمة على النحو الذى وصف به المؤلفون القدماء طريقة امتطاء بدو شمالى إفريقية لخيولهم فى زمانهم (Polybius و Strabo و Silius Italicus) .

وفى منتصف القرن الثالث ق . م حل الركوب تماما محل استخدام العجلة الحربية فى حروب شمالى إفريقية . وشنت الغارات البدوية على ظهور الخيل .

ومن الغريب أننا لا نعرف شيئا عن الطرق التى أدخل بها الجمل فى شمالى غرب إفريقية والصحراء . ويظهر الجمل فى المؤلفات لأول مرة فى كتاب « الإفريقى الجميل » *De bello Africano* لقيصر (الفصل الثالث والسبعون ، ص ٤) عام ٤٦ ق . م . إذ قيل إن ٢٢ جملا كانت ضمن الغنيمة

التي غُنمت من الملك جوبا ؛ بيد أن جوبا كان رجلا واسع المعرفة في علوم جمة ، وخاصة الجغرافيا ، وكان يعد جامعا للمعلومات من الطراز الذى نشأ في العصر اليوناني المتأخر (الهيلنستي) ، ويبدو من المرجح أنه استورد هذه الأنعام ليختبر مدى الانتفاع بها في شمالي إفريقية ؛ ولعل برقة هي الإقليم الوحيد الذي ربي فيه الجمل بأعداد كبيرة في ذلك العهد ، فهو يظهر على عملات سكتها ل. لولّيوس L. Lollius ، وهو قائد من قواد برقة في عهد پومپي . ونجد بعد ذلك ثغرة، ففي جبانة هدرومتوم Hadrumetum (سوسة ، بلاد تونس) ، عثر على تمثال صغير لراكب جمل ونقش بارز يصور ميدان سباق بين عجلات حربية تجرها جمال . وهذا التمثال وذلك النقش من القرن الثاني أو ربما من القرن الثالث . ومهما يكن من أمر فإن الإشارة الثانية للجمل في الكتب ترجع إلى عام ٣٦٣ م . وهي تقول إن الحاكم الروماني لولاية إفريقية يطلب أربعة آلاف جمل من الجمال التي تستخدم في النقل من سكان لپتيس ماجنا Leptis Magna على خليج سرت Syrte (Ammian. Marcellin. حـ ٢٨ ، فصل ٦ ، ص ٥ وحـ ٢٩ ، فصل ٥ ، ص ٥٥) . وهناك خبر من لسينيسيوس Synesius يرجع تاريخه إلى عام ٤٠٠ م تقريباً يقول إن قطعانا من الجمال والخيول كانت وقتذاك عماد ثروة أهالي برقة . وأخذت تتواتر في القرن الخامس أخبار عن تربية الجمال في شمالي إفريقية وبخاصة في المناطق الواقعة حول خليج سرت Syrtes .

وقد استخلص معظم الكتاب وبخاصة گوتييه Gautier (ص ١٩٠ وما بعدها) وگسل Gsell وغيرهما من هذه المصادر الشحيحة نزعاً ما أن الجمل أدخل أخيراً في شمالي إفريقية عبر البحر المتوسط ؛ على أننا إذا تأملنا وضع البلميس Bemmyes في صعيد مصر في القرن الثالث الميلادي (انظر ما سبق) نجد أن سلسلة الواحات غربي مصر كانت أيضاً فيما يبدو طريقاً محتملا لدخول الجمل . وفضلا عن هذا فإننا يجب ألا ننسى أن أي طريق جنوبي الصحراء الليبية ظل خارج المنطقة التي وصلتنا عنها أخبار تاريخية .

وربما يسر لنا البحث اللغوي وأعمال التنقيب في المستقبل ما يعيننا على حل هذه المسائل . وفي لغة البجا (البلميس) نجد أن الاسم الغالب للجمل هو قام (كام) ، وفي شمالي النوبة كَم (كمّي) (Professor Dr. O. Roessler في رسالة له) . وتطلق قبيلة التبُّو على الجمل اسم « گوني » . ويبدو أن هذا الاسم قد انتشر على أيديهم بعيداً في أرجاء الجزء الشرقي من السودان حيث يقال إن قبيلة التبُّو قد أدخلت الجمل (Bensch ، ص ١٧١ حسب رواية Barth) . كما أن الجمل يسمى « گومه » في جبال منداراٍ (شمالي الكاميرون) ويطلق على ذكر الجمل اسم إلْبي گومه (Barth ، حـ ٢ ، ص ٥٣٤ ، الحاشية) . بل إن الماساي يطلقون على الجمل اسم إن — تُومَتّي (عند الناندي : تومبس) . وهناك تسمية شائعة للجمل

فى لغة البربر وتشمل لغة الطوارق ، وهى ألْغَم أو ألَم . وليس من شك فى أن الاسم رقوى بلغة الموسا والاسم ركوم بلغة النوبة مشتقان من ألْغَم (O. Roessler) . وليست كل هذه الأسماء ، فيما يبدو ، مشتقة من أسماء عربية ، وإن كانت هناك أسماء أخرى تدل على وجود مثل هذا الاشتقاق .

المصادر :

(١) W.F. Albright : المصدر المذكور .
(٢) الكاتب نفسه : *Minaean Kings* ، فى *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* ص ١٢٩ ، سنة ١٩٥٣ .
(٣) H. Barth : *Reisen und Entdeckungen in Nord-und Central-Afrika* سنة ١٨٥٧ وما بعدها .
(٤) R. Basset : *Le nom du chameau chez les berbères* فى *Actes du XIV. Congrès des Orientalistes* سنة ١٩٠٥ ، قسم ٧ ، ص ٦٩ — ٨٢ .
(٥) P. Bensch : *Die Entwicklung des Nomadentums in Afrika* ، رسالة جامعية مكتوبة على الآلة الكاتبة ، گوتنگن سنة ١٩٤٩ (هام) .
(٦) A. Caquot و A. J. Drewes : *Les monuments recueillis a Maqallé (Tigré)* فى *Ann. d'Ethiopie* ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٦ — ٤١ .
(٧) C. Conti Rossini : *Storia d'Etiopia* ، جـ ١ ، ميلانو سنة ١٩٢٨ .
(٨) R. Delbrueck : *Suedasiatische Seefahrt in Altertum* فى *Bonner Jahrbuecher* ، ص ١٥٥ / ١٥٦ ، سنة ١٩٥٥ / ١٩٥٦ .
(٩) A. J. Drewes : *Problèmes de Poléographie Ethiopennes* فى *Ann. d'Ethiopie* ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٢١ — ١٢٦ .
(١٠) F.F. Gautier : *Le passé de l'Afrique du Nord* ، باريس سنة ١٩٣٧ .
(١١) F.W. Green : *Notes on some inscriptions in the Etbai District* فى *PRAS* ، جـ ٣١ ، ص ٢٤٧ — ٢٥٤ ، لوحة رقم ٣٢ و ٣٦ .
(١٢) S. Gsell : *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord* ، باريس سنة ١٩٢٣ وما بعدها .
(١٣) A. Jamme : *Chart of South Arabian Letters* ، فى *Qataban and Sheba* : W. Phillips ، لندن سنة ١٩٥٥ ، ص ٥٥ .
(١٤) H. Kortenbeutel : *Der Aegyptische Sued-und Osthandel in der Politik der Ptolemaer und roemischen Kaiser* ، رسالة جامعية ، برلين سنة ١٩٣١ .
(١٥) H. Lhote : *Le cheval et le chameau dans les peintures et gravures* فى *Bull. de l'institut Francais d'Afrique Noire du Sahara* ، مجلد ١٥ ، عدد ٣ ، داكار ، *IFAN* ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١١٣٨ — ١٢٢٨ .
(١٦) : E. Littmann : المصدر المذكور .
(١٧) R. Mauny : *Préhistoire saharienne* فى *Bull. de corresp. Saharien* ، جـ ١ ، داكار سنة ١٩٤٨ .
(١٨) E. Mittwoch و J.H. Mordtmann : *Sabaeische Inschriften* ، المجلد الأول من *Rathjens- V. Wissmann'sche Südarabienreise* فى *Abh.a.d. Gebietd. Auslandskunde* جامعة هامبورج ، مجلد ٣٦ ، سنة ١٩٣١ .
(١٩) C. Préaux : *Les raisons*

المجلد ، *de l'originalité de l' Egypte› Mus. Helvet.,*
العاشر ، الجزءان الثالث والرابع ، سنة ١٩٥٣
(٢٠) H.v. Wissmann و C. Rathjens : *Lande-*
skundliche Ergelbnisse ، المجلد الثالث من *R.v. W'sche*
Suedarabienreise ، جامعة هامبورج فى *Abh.a.d. Gebiet*
d. Auslanskunde ، مجلد ٤٠ ، سنة ١٩٣٤ (٢١)
Die Sarkophaginschrift von Gizeh: N.Rhodokanakis
فى *Zeitschr. f. Semitistik* ، جـ ٢ ، سنة ١٩٢٤ ،
S. ، ص ١١٣ – ١٣٣ (٢٢) C. Ritter :
المصدر المذكور (٢٣) G. Ryckmans : المصدر
المذكور . (٢٤) J. Ryckmans : *Inscriptions*
historiques sabaéennes de l'Arabie Centrâle ، فى
Muséon عدد ٦٦ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١–٢٤
(٢٥) الكاتب نفسه : *L'origine at l'ordre des*
lettres de l'alphabet éthiopien فى *Bibl. Orient.* ،
عدد ١٢ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٢ – ٢٤ (٢٦)
الكاتب نفسه : *La persécution des chrètiens himyarites*
au 6ème siècle ، Nederl. Histor. Archael. Inst.
فى het nabijé Dosten ، إستانبول سنة ١٩٥٦
(٢٧) W. H. Schoff : *The periplus of the*
Erythraean Sea ، نيويورك سنة ١٩١٢ (٢٨)
Zur Frage der Herkunft des Kamels : A. Staffe
in Afrika فى *Zeitschr. f. Tierzuechtung und*
Zuechtungsbiologie ، عدد ٤٦ ، سنة ١٩٤٠ ، ص
١٣٥ – ١٤١ (٢٩) W. W. Tarn : *Ptolemy II*
and Arabia فى *Journ. of Egypt. Archaeology* ،
عدد ١٥ ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٩ – ٢٥ (٣٠)
J.H. Thiel : *Eudoxus von Cyzicus* ، Mededeel
N.R. Nederl Akad.Afd.Letterkunde ، ص ٢ ، ٨
سنة ١٩٣٩ (٣١) E. Ullendorf : *The Origin*
of the Ethiopic Alphabet فى *Bibl. Orient.* ، عدد
١٢ ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ (٣٢)
Sir M. Wheeler : *Rome beyond the Imperial*
Frontiers ، لندن سنة ١٩٥٤ (٣٣) H.A.Winkler :
Rock Drawings of Southern Upper Egypt ، لندن
سنة ١٩٣٨ (٣٤) الكاتب نفسه : *Voelker und*
Voelkerbewegungen im vorgeschichtlichen Oberaegypten
im Lichte neuer Felsbilderfunde ، شتوتكارت
سنة ١٩٣٧ (٣٥) E.O. Winstedt : *The Christian*
Topography of Cosmas Indicopleustes ، كمبردج
سنة ١٩٠٩ (٣٦) H. v. Wissmann : *Arabien*
und seine Kolonialen Ausstrahlungen Lebensraum-
fragen europaeischer Voelker II ، ليبسك سنة ١٩٤١ ،
ص ٣٧٤–٤٤٨ (٣٧) H.v.Wissmann و M.Hoefner :
المصدر المذكور . (٣٨) H. v. Wissmann :
De Mari Erythraeo : Lautensach-Festschrift ،
Stuttgarter Geograph. Studien عدد ٦٩ ،
شتوتكارت سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٨٩–٣٢٤ (٣٩)
D.J. Woelfel : *Nord und Weissafrika* ، فى :
H. A. Bernatzik : *Die Grosse Voelkerkunde I* ،
ليبسك سنة ١٩٣٩ ، ص ٢٤٣ (٤٠) L.G.A. Zoehrer :
La population du Sahara antérieure à l'apparition
du chameau ، فى *Bull. Soc. Neuchâteloise de*
Géographie ، عدد ٥١ ، سنة ١٩٥٢/١٩٥٣ ٥
آدم] فون فسمان H. v. Wissmann]

٣ – الجزيرة العربية قبل الإسلام

(ا) المصادر

(ب) التاريخ

(ج) الروابط السياسية

(د) النظرة الأخلاقية

(ه) الدين

(ا) المصادر : إن معلوماتنا عن البدو فى الجزيرة العربية قبل الإسلام مستقاة فى جوهرها من مصدرين، أولهما قدر معين من الشعر الجاهلى ، وثانيهما شروح لهذا الشعر وشروح أمثال عربية قديمة كتبها دارسون مسلمون عاشوا فى القرن الثانى الهجرى وبعده ، وتضم هذه الشروح كثيراً من الروايات المأثورة عن حوادث وقعت فى الأزمنة السابقة للإسلام ؛ وقام أيضاً دارسون آخرون بجمع هذه المادة فى مصنفات خاصة . وقد أنكر صحة الشعر الجاهلى علماء محدثون وبخاصة د. س. مرگوليوث D.S. Margoliouth وطه حسين، بيد أن نظرياتهم لم تحظ بالقبول لدى معظم الدارسين إذ يرى هؤلاء أن الشعر الجاهلى برمته قد نقل بأمانة (انظر *The Seven Odes* : A.J. Arberry ، لندن سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٢٨ – ٢٤٥) ، وإن كانوا يسلمون فى الوقت نفسه بوجود بعض القصائد المنحولة ؛ كذلك فإن الروايات التاريخية التى كان بعض الدارسين الغربيين يعدونها تافهة لا وزن لها ، قد أصبح لها الآن فى رأى معظم الدارسين أساس من الواقع وأنها مرآة لظروف الحياة فى الجاهلية وإن كانت لا تكفى لكتابة تاريخ صحيح ؛ وهذه المادة المأثورة يؤكدها من بعض الوجوه بعض ما جاء به القرآن الكريم أو استدلالات من آياته ، كما تؤكدها وتكملها النقوش العديدة التى عثر عليها علماء الآثار المحدثون فى الجزيرة العربية .

(ب) التاريخ : منذ فجر التاريخ والبدو من السهوب العربية يضغطون على أراضى الحضارة المستتبة المحيطة بهم ؛ وكان هذا الضغط فى بعض الفترات أكبر والنفوذ إلى الأراضى المستقرة أعمق ، ويقال إن البدو أقبلوا فى «موجات» ؛ وقد دخل العبرانيون والآراميون والعرب والأنباط سورية والعراق فى الأزمنة السابقة للمسيحية ؛ بينما كان هناك ضغط أكبر من العرب وأهل تدمر فى القرون الستة الأولى السابقة للهجرة. وكان البدو يقبلون مغيرين فى مبدأ الأمر ولكنهم كثيراً ما كانت تطيب لهم الإقامة (مثل قبيلة تنوخ فى العراق حوالى عام ٢٢٥ م) ؛ وتوثقت الصلات بين البدو المستقرين وبين أقرانهم ممن يعيشون فى الصحراء مما يسر التجارة . ولم يكن فى وسع أحد أن يقود قوافل التجارة عبر الصحارى غير البدو ، ولا يضمن سلامة عبور هذه القوافل إلا جماعات قوية من البدو . وهكذا نجد أن البدو يقومون فى تاريخ الإمبراطوريتين البوزنطية والساسانية بدورى المغير والتاجر .

وحاولت الإمبراطوريتان بطرق شتى الدفاع عن نفسيهما من الغارات المعادية التى يشنها البدو



جزيرة العرب القبلية

للسلب والنهب . ووجد أن الطريقة التى تؤدى إلى أحسن النتائج فى هذا الصدد هى استخدام ولاة من أنصاف البدو على حدود الإمبراطورية كى يدفعوا عن الأراضى المستقرة شر الفرق المغيرة عليها من قلب السهوب . وقام ملوك الحيرة اللخميون بهذا الدور فى العراق منذ عام ٣٠٠ م تقريباً حتى نهاية حكم هذه الأسرة عام ٦٠٢ : أما على حدود الإمبراطورية البوزنطية (الروم) فقد قام الملوك الغسانيون بهذا الدور ، بيد أنه يكن لهم شأن إلا مؤخرا (منح يوستنيانوس بعض الألقاب للملك الغسانى عام ٥٢٩) ولم يكن لهم فيما يبدو إلا مخيم اتخذوه قصبة لهم ، ولم تكن فى حوزتهم أية مدينة تضارع الحيرة : وتغير هذا النظام الدفاعى قبل الفتوح الإسلامية بوقت قصير . وكان فى الحيرة مقيم فارسى يهيمن على الزعيم العربى الذى خلف اللخميين فى الحكم ، على حين أن الإعانات المالية البوزنطية للغسانيين قد توقفت بعد الغزو الفارسى (٦١٣ — ٦٢٩) ولم يستأنف منحها فيما بعد .

وبينما يتضح بجلاء أن بدو الجزيرة العربية كانوا منخرطين فى التجارة على نطاق واسع فإن تفصيلات ذلك لم تدرس بعد دراسة وثيقة ، ولم يكن البدو على اتصال بالإمبراطوريتين البوزنطية والفارسية فحسب بل بالمملكة الحميّرية فى جنوبى الجزيرة العربية أيضاً (حتى تغلب عليها الأحباش حوالى عام ٥٢٥) : وكان ازدهار الحضارة فى جنوبى الجزيرة العربية متوقفاً على التجارة، فإذا تدهورت التجارة فيها تدهورت الحضارة (وربما كان هذا يرجع إلى فقد السيطرة على البحر الأحمر) : وتتحدث الروايات العربية عن تصدع سد مأرب واعتبرته إيذاناً بانهيار حضارة جنوبى الجزيرة العربية ، بيد أن الكشوف الأثرية تشير إلى سلسلة من الانهيارات فى نظام الرى ؛ والمظنون أن هذه أعراض الانحلال الذى أصاب جنوبى الجزيرة العربية وليست السبب الذى أدى إليه . وفضلا عن هذا فإن الروايات العربية تربط بين تصدع سد مأرب وبين نزوح كثير من قبائل البدو إلى الشمال (مقترناً فيما يبدو بانصرافهم عن حياة الاستقرار) : وفى الوقت نفسه بدأت فى الازدهار التجارة البرية التى تنقل بالجمال فى قوافل تسير بين اليمن والشام والعراق ، وما إن حل عام ٦٠٠ م حتى كان القرشيون فى مكة يتحكمون فى هذه التجارة إلى حد كبير : وقد اتخذ القرشيون أنفسهم مدينة مكة مركزاً لهم، وبهذه المثابة لم يعودوا بدوا ، إلا أن تجارتهم اقتضت الارتباط بأحلاف وتوثيق صلات أخرى بكثير من القبائل البدوية : ومن ثم فإن قيادة القوافل وكفالة أمنها قد أسهما إسهاماً له شأنه فى معاش البدو ، ثم إن الأسواق التى تجلب إليها القوافل السلع حيث تتبادلها الأيدى قد أتاحت للبدو فرصة الحصول على كثير من السلع التى لا ينتجها الناس فى السهوب : ومن هنا نجد أن الاقتصاد البدوى فى جملته بالجزيرة العربية قبل الإسلام كان أبعد ما يكون عن الاقتصاد المنعزل الذى يقوم على سياسة الاكتفاء الذاتى .

(ج) الروابط السياسية : كانت الوحدات الاجتماعية والسياسية بين البدو العرب جماعات تختلف عددا ؛ ويشير الكتاب الغربيون عادة إلى هذه الجماعات ويصفونها بأنها «قبائل» أو «فروع من قبائل» و «عشائر» إذا كانت هذه الجماعات صغيرة ، بيد أن هذه الألفاظ لا تطابق المصطلحات العربية تماماً ؛ وتشمل اللغة العربية عدداً من الألفاظ التي تطلق على هذه الوحدات السياسية والاجتماعية ، إلا أن العرف قد جرى على أن يشار لأى قبيلة أو عشيرة باسم بنى فلان .

وتكوين هذه القبائل الجاهلية لم يدرس بعد دراسة وافية على ضوء التقدم الحديث فى علم الإنسان الاجتماعى ؛ وتصور هذه القبائل فى الروايات العربية على اعتبار أنها تكونت فى الأصل بصلة النسب من جهة الذكور ، على الرغم من وجود بعض الاستثناءات لهذه القاعدة . وأى شخص لا يمت إلى جماعة ما بصلة نسب (غير صحيح أو صميم) كان يستطيع أن ينعم ببعض الامتيازات التى يتمتع بها أفراد الجماعة وبالحماية أولا وقبل كل شىء . يستطيع أن ينعم بذلك بصفته «حليفاً» أو «جاراً» أو «مولى» ؛ وكان طرفا الحلف يتعاملان رسمياً على قدم المساواة ولكن عند ما يعيش فرد بين قبيلة أو عشيرة بصفته حليفاً فإنه ينزع إلى قبول مركز التابع الذى يعتمد على من يؤويه ؛ ومن جهة أخرى كان الجوار يتضمن شيئاً من السلطان ، الموقوت على الأقل ، لمن يجير ، وكان الجوار يمنح إما بصفة موقتة أو دائمة . وكان مركز المولى يكتسبه الرقيق عند عتقه . وكان الأرقاء يلحقون بالقبيلة والذكور من العرب يصبحون أرقاء إذا أسروا وهم أطفال فى الغارات ، كما كان هناك أرقاء من الأحباش . وكان الرجل يخلع من قبيلته إذاما قتل قريباً له أو كان سلوكه ضاراً بالقبيلة ، وقد يضرب على غير هدى (بصفته صعلوكاً) أو يلحق نفسه بقبيلة أخرى بصفته جاراً إلخ ...

ومهما يكن من أمر فإن هناك أسباباً وجيهة تدعونا إلى الظن بأن الرأى المأثور الذى يذهب إلى أن أفراد القبيلة أو العشيرة بالمعنى الضيق كانوا يرتبطون بصلة النسب من جهة الأب ليس صحيحاً على إطلاقه فى هذا الموضوع ، ولو أن بعض القبائل تكونت على هذا النحو ؛ فهناك أولا آثار عديدة تدل على وجود صلات نسب من جهة الأم بين بعض القبائل العربية فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن هناك بعض الحقائق التى توحى بأن النسب من جهة الأب حل محل هذا النسب ؛ وعلى الرغم من أننا لا نعرف على وجه التحقيق مدى انتشار النسب من جهة الأم وما اقتضاه من حيث العمل فإن ثمة دليلا كافياً يلقى ظلالا من الشك حول قيمة سلسلة الأنساب الأبوية الخالصة وحدها التى وردت فى مصنفات العلماء المسلمين المتأخرين ؛ ومن المحتمل ، فيما يبدو ، أن العلماء المتأخرين ، كانوا فى بعض الحالات التى يسود فيها النسب من ناحية الأم ، لا يجعلون نسباً من ناحية الأب

تفرد في جماعة فيحتجون لذلك بقولهم أنه لا بد أن يكون حليفاً ، ولعل هذا يفسر كيف كان زعيم عشيرة زهرة في مكة حليفاً (الأخنس بن شريك) .

وثانياً نقول إنه قد احتج بأن بعض أسماء القبائل كانت في الأصل تطلق على جماعات قامت على أساس محلي أو سياسي ، وأن هذه الأسماء لا تدل على نسب مشترك (انظر Nallino : Raccolta di Scritti ، ج ٣ ، ص ٧٢—٧٩) ؛ ولعل هذا قد حدث في بعض الحالات ، ومن ثم فإن علماء الأنساب المتأخرين حولوا أسماء الجماعات إلى أسماء أجداد . ولكننا نجازف إذا عللنا جميع الأنساب بهذا الأسلوب ؛ والأمر الذي يمكن أن يكون مؤكداً هو أن تكوين القبائل في الصحراء كان يتغير باستمرار ، فيزدهر بعضها ويصبح أكثر عدداً من أن يكون وحدة تعمل بكفاية ، فينشعب فرعين أو أكثر ؛ والراجح أن هذا يفسر لم كان العرب يطلقون في عهد محمد صلى الله عليه وسلم أسماء على بعض الجماعات المؤلفة من عدة قبائل (انظر Nallino : الكتاب المذكور ، ص ٧٦) ؛ ومن جهة أخرى نجد أن القبيلة التي لا يتيه ذكرها يتضاءل عدد أفرادها ثم تجد نفسها أمام ثلاثة أمور : أن تصبح تابعة لقبيلة أخرى أقوى منها ، أو تتحالف مع قبائل أخرى ضعيفة ، أو تندثر ؛ وهكذا أصبحت بعض القبائل الضعيفة التي تعيش قرب مكة تعتمد إلى حد كبير على قريش ، وتآلفت بعض القبائل الضعيفة وكونت عصبة عرفت باسم الأحابيش ولعل معناها « الجموع المختلطة » (يرى لامنس Lammens أن القول بأن الأحابيش كانوا أرقاء من الأحباش يناقض ما ورد في كتاب ابن هشام ، ص ٢٤٥ ، وكتاب ابن سعد ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٨١ ، وهو لا يستحسن هذا القول ، وانظر Montgomery Watt : *Muhammad at Medina* ، ص ٨١ ؛ M.Hamidullah في *Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi della Vida* ، ج ١ ، ص ٤٣٤—٤٤٧) .

وكانت شئون القبيلة تبرم في « مجلس » من جميع أفرادها ، وكان من حق الجميع أن يتحدثوا ، وإن كانت كلمات الرجال المعترف لهم بالجاه هي التي يقام لها أكبر الوزن ؛ وكان زعيم القبيلة أو رئيسها ، ويسمى السيد ، يبايع بهتاف الأعضاء له في المجلس ؛ وكان يتحدر عادة من أعظم الأسر شرفاً ، ولكن لم يكن هناك قانون ينص على حق الابن الأكبر في زعامة القبيلة ؛ وكان من الضروري في ظروف الصحراء القاسية أن يكون الزعيم قادراً على القيادة في كفاية ، ولم يكن هذا مستطاعاً إذا كان قاصراً ؛ وكان المنصب يفرض على السيد بعض الواجبات وبخاصة ما يرتبط بعلاقات القبيلة (أو العشيرة) بالقبائل الأخرى (أو العشائر) . وكان في وسعه أن يعقد معاهدات ترتبط بها القبيلة ، وكان مسئولا عن افتداء الأسرى والنظر في دفع الدية . وقد جرى أيضاً على القول بأن له الحق في استضافة الغرباء ، وكان يرتجى منه مساعدة الفقراء من أبناء قبيلته ؛ وفي مقابل هذه الواجبات كان له الحق في تسلم ربع أي غنيمة

من الغنائم التى تؤخذ فى الغارات . وكانت المنازعات التى تنشب بين أفراد جماعة تحال عادة إلى سيدهم . أما المنازعات بين أفراد الجماعات التى ليس لها سيد مشترك فإنها كثيراً ما كانت تؤدى إلى القتال ، بيد أنها كانت تحال أحياناً إلى حكم . وكان فى مختلف أرجاء الجزيرة العربية رجل أو اثنان اشتهروا بحكمتهم وحيدتهم ، وكان يطلب إليهما فى الغالب القيام بالتحكيم . وفيما عدا هذا الإذعان الاختيارى لحكم الحكم ، والعضوية فى حلف للقبائل ، فإن كل قبيلة من القبائل الكبرى كانت وحدة سياسية مستقلة : وكان سيد قبيلة قوية يفرض فى بعض الأحيان سلطانه على عدد من القبائل الأخرى ، بحيث يضطرهم إلى الدخول معه فى حلف وتنفيذ أوامره وذلك بقوة شخصيته وشجاعته فى القتال ، بيد أن هذا كان يقابل بالاستياء ، وكان الحلف تنحل عقدته بزوال هذه الشخصية القوية .

(د) النظرة الأخلاقية : كان البدو يعيشون فى ظروف طبيعية قاسية كل القسوة . وكانت أسباب العيش تقصر فى معظم الأوقات عن كفاية السكان . ومن ثم كانت نزعة قوية تتملك القوى لاغتصاب وسائل العيش ، وبخاصة الجمال ، من الضعيف . وقد أدى هذا إلى انتظام البدو فى قبائل وعشائر على درجة كبيرة من التضامن الجماعى . وكانت الجماعات الكبرى أقوى بأساً . بيد أن الظروف التى كانت تقتضى التفرق فى بعض الأوقات سعياً إلى التماس المرعى للجمال جعلت من العسير على جماعات يزيد أفرادها عن عدد معين أن تعمل عمل الوحدات فى كفاية . ومن هنا نشأت — كما قلنا من قبل — نزعة القبائل الكبرى الزاهرة إلى الانشعاب .

وكانت الغزوة أو الغارة للاستيلاء على الإبل تكاد أن تكون رياضة للبدو ، وكانوا يتجنبون إراقة الدماء . على أنه إذا تأصلت العداوة تغيرت صفة الإغارة وانتهت بقتل الرجال وسبى النساء والأطفال ثم احتجازهم لافتدائهم بالأموال أو بيعهم فى سوق الرقيق . وكانت شريعة العين بالعين والسن بالسن مسلماً بها من الجميع . وقد أفادت فى كبح جماح كل من يفكر فى قتل النفس دون جريرة أو لمجرد إرضاء نزوة ، لأن القبيلة كانت ترى أن التهاون فى حماية أفرادها وموالبها أو التغاضى عن الثأر لهم من الأمور التى تمس شرفها . وكان فى الحياة قصاص فى الأيام الغابرة ، ولكن ظهرت فى عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم نزعة إلى أن يستبدل بالقصاص دفع الدية ، وحاول الرسول أن يشجعها ، وجرت العادة أن تكون دية الرجل البالغ مائة بعير . ومهما يكن من شئ فقد كان ثمة إحساس فى بعض الأحيان بأنه لا يخلق برجل أن يستبدل بالدم لبناً .

وكان البـــدو يعجبون بالصفات التى تكفل النجاح فى حياة شاقة يكابدونها فى السهوب ، وكان الولاء لصلة الدم بين الجماعة له شأن كبير ، ويقتضى فيما يقتضيه مبادرة البدوى لنجدة قريبه ونصرته على أى غريب فى أية مناسبة . وتقترن بهذه

الصفة قوة البأس أو الحماسة التي تدل على الشجاعة في القتال، والصبر على المكروه، والإصرار على الثأر، وحماية الضعيف وتحدي القوي(R.A. Nicholson : *A Literary History of the Arabs* ، كمبردج سنة ١٩٣٠ ، ص ٧٩).

وقام الشعراء بدور هام في حياة العرب أيام الجاهلية، وكانت القصيدة تتضمن عادة إما «مفاخر» أي مدح الشاعر لقبيلته لما تتحلى به من قوة بأس وفضائل أخرى ؛ أو « مثالب » (وأيضاً هجاء) أي ذم الشاعر لأعدائه . وكان الاعتقاد السائد أن فضل إنسان على سواه أو الافتقار إلى هذه الصفة يورث إلى حد كبير . وكانت فعال بطل من الأبطال تدل على الصفات البطولية التي لأسرته وعشيرته وقبيلته . ومن ثم كان لما تتمتع به الجماعة من صيت قدر كبير من الاعتبار . وليس من شك في أن قدرة الشاعر على إقناع قبيلته بجدارتها في احتلال مركز الصدارة بين القبائل وإضعاف الروح المعنوية للعدو كانت عظيمة جداً . وربما كان للشعراء في الجزيرة العربية أيام الجاهلية سلطان يفوق سلطان الصحافة في الأزمنة الحديثة ، إذ كان العرب يحسون بأن فيهم شيئاً خارقاً أو سحرياً .

وعلى الرغم من أن القوم كانوا يعولون كثيراً على النسب ، فإنه ليس من الواضح (كما لاحظنا فيما سبق) إلى أي حد كان تعويلهم على النسب من جهة الأب وإلى أي حد كان تعويلهم على النسب من جهة الأم . وهناك أربعة أنماط من الزواج كانت شائعة في الجاهلية يرويها البخاري (٦٧ ، ٣٧ ، ١ ، مترجمة في كتاب *Muhammad at Medina* بقلم مونتگومري وات Montgomery Watt ، ص ٣٧٨) ؛ ويبدو أن اثنتين من هذه الزيجات تتعلقان بنظام للنسب من جهة الأم فيه المحل الأول ، على الرغم من أن البخاري يتحدث عن حكم خاص بتحديد النسب من جهة الأب . وعلاوة على هذا فإن المصادر تشير إلى أن رواية البخاري ليست محيطة ؛ ومن المحقق أنه كان من الشائع أن تعيش المرأة مع أقربائها وأن زوجها كان « يزورها » فقط ليبقى معها فترات قصيرة كما يحدث مثلا عند ما تضرب قبيلتاهما خيامهما كل منهما قرب الأخرى

(هـ) الدين : يدل الشعر الجاهلي على أن حركة شبه دينية نشأت بين القبائل البدوية تقوم على اعتقاد بتفوق أرومة القبيلة ، وكان اعتبار الشرف أو الحسب هو القوة الدافعة لكثير من نشاطها . وبهذا المعنى يمكن القول أن دين البدو الحق هو الإنسانية القبلية . ولم يكن الإيمان بالقدر المنتشر بين العرب معتقداً دينياً بقدر ما هو معتقد يساير الواقع ، أي أنه كان إيماناً بأن العالم خلق هكذا حتى أن ابن آدم ، سواء كثر جهده أو قل ، في سعيه لدفع البلية تقف في سبيله الظروف . غير أن الناس لم يعبدوا القدر باعتباره إلهاً .

وإلى جانب هذه العقيدة كان العرب يتشبثون بعدد من العبادات يتركز كل منها حول محراب خاص (انظر مواد « اللات » و « منات » ... إلخ) . وكان لبعض هذه المحاريب أهمية اجتماعية ، فقد

كان حولها حرم ، على حين كان نظام الشهر الحرام تهيمن عليه الكعبة فى مكة . ولا شك أن هذه الأشهر الحرم والأماكن المقدسة ، التى تتوقف فيها إلى حين المعارك من أجل الثأر ، قد أتاحت للكثيرين من البدو الاجتماع لتبادل التجارة ولأغراض أخرى . ومهما يكن من شئ فإن هذه العبادات ، فيما يبدو ، لم يكن لها فى جملتها إلا أهمية دينية ضئيلة فى حياة البدو حقاً .

وكانت المسيحية قد انتشرت انتشاراً واسعاً فى الجزيرة العربية عندما بدأ النبى محمد صلى الله عليه وسلم يبشر بدعوته ، وكانت بعض جماعات البدو على الأقل تدين بالمسيحية . وكذلك وجدت اليهودية . ولعل بعض من أطلق عليهم اسم «يهود» فى السجلات التاريخية كانوا على الأرجح من العرب الذين اعتنقوا اليهودية ، ولكن على الرغم من الروابط الوثيقة التى كانت تربطهم بالبدو فإنه لم يكن بينهم ، فيما يبدو ، بدوى واحد .

المصادر :

(علاوة على المصنفات الواردة فى النص) :

(١) H. Lammens : *L'Arabie Occidentale avant l'Hégire* ، بيروت سنة ١٩٢٨ ، وبخاصة ص ١٠٠—٢٩٤ . (٢) الكاتب نفسه : *Le Berceau de l'Islam* ، رومة سنة ١٩١٤ . (٣) F. Buhl : *Das Leben Muhammeds* ، ليبسك سنة ١٩٣٠ ، وبخاصة ص ٢١ — ١٠٠ ؛ (٤) M. Guidi : *Storia e Cultura degli Arabi* ، فلورنسة سنة ١٩٥١ ، وبخاصة ص ١٢٢—١٤٣ . (٥) W. Robertson Smith : *Kinship and Marriage in Early Arabia* ، الطبعة الثانية ، لندن سنة ١٩٠٧ . (٦) B. Farès ; *L'honneur chez les Arabes avant l'Islam* ، باريس سنة ١٩٢٣ . (٧) De Lacy O'Leary : *Arabia before Muhammad* ، لندن سنة ١٩٢٧ . (٨) G. Levi della Vida : *Pre-Islamic Arabia* ، فى N.A. Faris (المحرر) : *The Arab Heritage* ، برنستون سنة ١٩٤٤ ؛ (٩) I. Goldziher ; *Muhammedanische Studien* ، جـ ١ ، ص ١—١٠٠ (١٠) الكاتب نفسه : *Abhandlungen Zur Arabischen Philologie* ، ليدن سنة ١٨٩٦ ، جـ ١ ، ص ١—١٢١ . (١١) إلى جانب إشارات أخرى فى *Introduction a l'Histoire de l'Orient Musulman* ، باريس سنة ١٩٤٣ ...إلخ ، ص ١٠٣ — ١١٠ .

[W. Montgomery Watt مونتگومرى وات] آدم

« بدوح » : كلمة من كلمات الأوفاق تتألف من عناصر المربع الوفقى البسيط المنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى :

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

ويعبر عنه فى الحروف الأبجدية بما يلى :

ب	ط	د
ز	هـ	ج
و	ا	ح

ومن المصطلح عليه أيضا ، ولكن فى دائرة أضيق ، استعمال أوفاق أخرى كالسابقة مؤلفة من حروف هذا المربع مثل : بدط ، زهج ،



١ – واحة استوائية.
٢ – مناخ غابة استوائية ، زراعة على المطر ، بن .
٣ – حد مناطق استوائية وغابة .
٤ – جبل يقع دون خط الأستواء : مناخ غابة : زراعة على المطر مأثورة من منطقة البحر المتوسط .
٥ – مناخ سهوب وسهوب شجراء فى مناطق دون خط الأستواء وفى الهضاب ، وزراعة واحية مختلطة بزراعة على المطر.

٦ – زراعة واحية فى منطقة دون خط الاستواء.
٧ – حد صحراء رملية .
٨ – ربوة متحجرة .
٩ – واحة بها ينابيع .
١٠ – محـــلة .
١١ – حد الضباب على طول حافة الهضاب .

خريطة رقم (٤) البحر الأحمر والجزيرة العربية فيما قبل الإسلام . .

الأسماء الحديثة مبينة بين أقواس والخطوط المتقطعة هى : ١ – طرق البخور من ظفار (سفار) وقتأ من طريق يثرب إلى غزة ودمشق ثم إلى جرها . ٢ – الطرق من النيل قرب قفط إلى موانى البحر الأحمر .
٣ – دروب الفيل (من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلاديين) من ظفار وصنعاء إلى بنات حرب وقرن المنازل (ومكة) .
٤ – الطريق الساحل من قرن المنازل إلى أيلة .

واح » وقد تتصل بعضها ببعض كما يأتي : بطدز هج واح ـ ويؤلفون أيضاً من بعض الحروف أوفاقاً رباعية أكبر من تلك مثل الأوفاق الرباعية الأقسام التي أساسها حروف ب ، د ، و ، ح . وفي أقدم الكتب العربية المصنفة في الأوفاق (مثل كتاب شمس المعارف للبوني المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية الموافقة سنة ١٢٢٥ من الميلاد) تجد أن ليس لهذا الوفق شأن يذكر أو أهمية ذات خطر ، غير أنه بالنظر لموافقة الإمام الغزالي عليه واعتباره إياه في كتابه المنقذ (المطبوع في القاهرة سنة ١٣٠٣ هجرية ص ٤٦ و ٥٠) من خير ما يستعان به على حل عويصات المسائل وجلاء غامضها ، لم يلبث أن اشتهر أمره على التدريج وذهب في الآفاق صيته باعتبار أنه طِلَّسْم (بكسر الطاء وتشديد اللام مع الفتح وسكون السين) أوخاتم أوجدول (الوفق والخاتم والجدول المثلث للغزالي) ثم انتهى الأمر به إلى أن صار بداية ونهاية ا (علم الحروف) ومقدمة له ونتيجة : والمتواتر في هذه المسألة أن الغزالي تلقى من الهاتف سر ذلك الوفق بشرح حروف كلمتي كهيعص وحمعسق اللتين تفتتح بأولاهما السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم وبالثانية السورة الثانية والأربعون. والكلمتان تستعملان وحدهما بمثابة طلسمات (راجع كتاب الآثار الإسلامية *Monuments Musulmans* تأليف رينو Reinaud ج ٢ ، ص ٢٣٠) . أما طريقة الاستعمال فليراجع بشأنها كتاب مفاتيح الغيب (المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٢٧هـ ، ص ١٧٦ و ١٧١) للشيخ أحمد موسى الزرقاوي الفلكي ، وهو من المصريين المعاصرين ويشتغل بعلم الأوفاق » وأما الموضوع فراجع بشأنه الرسالتين السادسة والسابعة من هذا الكتاب : ومن الباحثين من يرجعون بصيغة الوفق الذي نحن بصدد الكلام عليه إلى آدم (أبي البشر) الذي يزعمون فيما زعموا أن الإمام الغزالي تلقاها في آخر الأمر عنه بالاتصال والتعاقب (راجع كتاب العناية الربانية ، ص ٤٤ ؛ كتاب الأسرار الربانية ، ص١٥) وكلاهما من تأليف الشيخ يوسف محمد المهتدي ، وهو من المؤلفين المصريين المعاصرين في علم الأوفاق ، وله رسالة خاصة أجهل عنوانها في موضوع ذلك الوفق . وللإمام الغزالي في جميع هذه المصنفات وبخاصة منها كتاب الجفر شهرة وثيقة بأنه القابض على زمام العلوم الروحانية (راجع المجلة الأمريكية *Journ. Amer. Or. Soc.* ، ج ٢٠ ص ١١٣ وكتاب ابن تومرت تأليف گولدتسيهر Goldziher ، ص ١٥) — هذا ومن كلمات الأسرار التي تتألف منها كلمة بدوح كلمة بيلحت الآرامية الفارسية التي تفيد معنى الكوكب أومعنى الإلهة الزهرة (راجع كتاب *Aussuege aus syrischen Akten perischer Martyrer* تأليف هوفمان G.Hoffmann ص ١٢٨ وما بعدها) ولكن هذا الاسم وإن يكن وارداً في الفهرست (ج ١ ، ص ٣١١ ، ٧) على اعتبار أن الخصائص السحرية والشيطانية قد توافرت فيه ومقترناً في غالب الأحيان بكلمة الزهرة (راجع الزهرة مثلا في خطط المقريزي طبعة سنة ١٣٢٤ هـ ، ج ١ ، ص ٨ وفي قصص الأنبياء للثعالبي طبعة سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٢٩ وفي كلا الكتابين أخطاء مطبعية) فالظاهر أنه — أي الاسم —

ما برح مجهولا بالمرة فيما كتب عن الأوفاق والسحر والجن . ولكن الحقيقة التى لاريب فيها هى أنه تسرب إلى حظيرة اللغة العربية لأهل جنوبى جزيرة العرب وشاع فيها عندهم إذ أطلقوه علماً على بعض نسائهم أوصفة لهن تفيد معنى بدانة الجسم — وقد خلط بعد ذلك بكلمة بذخ (راجع اللسان، جـ٣، كلمة بدح) وفى غير ذلك لايبدو أن الكلمة عربية الأصل . على أن كلمة بدوح إذا ظهرت من جهة أخرى مقترنة باسم كوكب من الكواكب ففى هذه الحالة لايكون هذا الكوكب سوى زحل الذى له من المعادن الرصاص (راجع كتاب مفاتيح الغيب الآنف الذكر ، ص ١٧٠) لاالنحاس الذى هو معدن الزهرة . ومما يكاد يكون قليل الجدوى فى هذا المقام أن نشير إلى مافكر فيه فون هامر Von Hammer من احتمال أن تكون كلمة بدوح صفة من صفات الله (راجع المجلة الأسيوية *Journ. As.* سنة ١٨٣٠ ، ص ٧٢) حتى ولو لم تكن فكرته على رواية تركية المصدر (راجع فيما يلى دهساسى de Sacy) ولا إلى الأصل الذى أرجع ده ساسى إليه تلك الكلمة ولا إلى الأسطورة التى قصها ميخائيل صباغ على مسمعه (راجع مجموعة المنتخبات العربية *Chrest. ar.* جـ ٣ ، ص ٣٦٤ وما بعدها) من أن بدوح كان اسماً لتاجر معروف بالصلاح والتقوى فلم تفقد له بضاعة فى الطريق ولا رسالة — هذا وليس فيما صنف من كتب الأوفاق حالات كثيرة ورد فيها هذا الاسم (مثال ذلك : لم يرد فى كتاب الفتح الرحمانى لمؤلفه الحاج سعدون سوى قوله فى ص ٢١ : يابدوح) .

غير أن بدوحا لم يلبث أن تحول فى نظر العامة واعتقادهم إلى واحد من الجن تطلب المساعدة منه ويلتمس العون بكتابة اسمه بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى (انظر المجلة الأسيوية ، المجلد الثانى عشر من السلسلة الرابعة ، ص ٥٢١ ومايليها؛ وكتاب السحر والدين *La magie et la religion* تأليف دوتيه Doutté ص ٣٩٥ إذ أضاف هذا المؤلف إلى كلمة بدوح كلمة قيوم معتبراً إياها من أوصاف الله ؛ وكذا كتاب مصر العليا Upper Egypt لكلونزنگر Klunzinger ص ٣٨٧) . وتستعمل كلمة بدوح أيضاً على وجوه شتى لجلب خير أودفع شر ، فهى العامل فى الشفاء من مرض الاستحاضة mensrrhagie (راجع كتاب دوتيه ص ٢٣٤) وفى آلام المعدة (الكتاب نفسه ص ٢٢٩) وفى التخفى عن الأنظار (ص ٢٧٥) وفى العنة المؤقتة (ص ٢٩٥) . وتحدث لين (فى كتابه : المصريون المحدثون *Modern-Egyptians* فصل ١٢) عن ساحر مصرى فى القاهرة فقال إنه كان يستخدم كلمة بدوح بمرآة مطلاة حبراً وهى الطريقة الشائعة فى مختلف الأعمال السحرية — وعدا ما تقدم تنقش كلمة بدوح فى الجواهر وفى الصفائح المعدن والخواتم على أن تحمل دائماً بصفة كونها طلسما وتكتب فى مقدمات الكتب والتواليف (مثل كبيكج) وفقاً للحماية من الشر (مثال ذلك ماورد فى كتاب فتح الجليل المطبوع

بتونس سنة ١٢٩٠هـ) . ولكن أغلب ما يكون استعمالها فى ضمانة وصول الرسائل والبضاعات إلى المرسلة إليهم . وفيما عدا الشواهد الآنفة : (انظر أيضاً رينو Reinaud فى كتابه الآثار الإسلامية *Les monuments musulmans* ، مجلد ٢ ، ص ٢٩٣ وما بعدها ، ص ٢٥١ وما بعدها ، ص ٢٥٦).

[مكدونالد Macdonald]

تعليق على مادة بلدوح

إن قارئ مادة بلدوح التى نعلق عليها الآن لايفيد من تلاوتها إلا أن مؤلفها العلامة مكدونلد قد اتجه بها إلى قراء فرض أنهم ممن سبقت لهم الإحاطة بموضوعها وأنه يريد الإيغال بهم من مقدماتها إلى نتائجها ومن بسائطها إلى مركباتها ؛ ومن ثم كانت عبارته المستعجمة عسرة الفهم فى مجموعها على طالب الإلمام بشرح تلك المادة إلماماً هو من اختصاص المعاجم العامة لاكتب البحث والاستقراء الخاصة ؛ لذا رأيت جلاء لغوامضها وإتماماً للمعلومات فى بعض نواحيها أن أثبت هنا أن الرواية الرائجة فى شرح كلمة بلدوح وبيان أصلها هى الرواية التى نقلها العلامة المحقق سلفستر دى ساسى Silvestre de Sacy عن العالم البحاثة مخائيل صباغ وهى أن التجار وأرباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحصيناً لها من الضياع ، إذ يعتقدون أن تاجراً من أهل الحجاز كان يسمى بلدوحاً وكان التجار من أهل عصره إذا وجهوا بتجارتهم إلى بعض الجهات نهبها اللصوص إلا ذلك التاجر فإن بضاعته ورسائله كان لايتعرض لها أحد بسوء فتصل سالمة ؛ وما إن توفى حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعاتهم ورسائلهم فكانت تسلم من الأذى وكانوا لايكتبونه بالحروف بل بما يقابلها من الأرقام فى حساب الجُمَّل هكذا ٨٦٤٢، وكثير من الناس كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ودفع الأذى .

غير أن هذه الرواية وإن نقلها المحقق العلامة سلفستر دى ساسى الآنف الذكر لم يقطع بصحتها المحققون غيره ، إذ أجمعوا على أن الصحيح هو ماورد فى الكتاب الموسوم بـ(مستوجبة المحامد فى شرح خاتم أبى حامد) للعلامة شرف الدين أبى عبد الله بن بنت أبى سعيد ، وخلاصته أن المسلمين يعتقدون فى الخواتم والطلسمات ويتوسلون بها فى بلوغ الأرب ودفع الأذى ؛ ومما يعتقدون فيه أكثر من غيره الخاتم المسمى بخاتم أبى سعيد ، ويكتب على ورق أورق غزال ويعلق فى العنق ؛ وصفة كتابته بالأرقام والحروف كما فى الجدولين اللذين أوردهما العلامة مكدونلد فى صدر مادة بلدوح هذه . فإنك إذا جمعت فى الجدول الأول الذى إلى اليمين الأرقام الهندية المكتوبة فى كل خانة من الخانات الثلاث أفقية كانت أوعمودية أو فى اتجاه القطرين المتقاطعين كان المجموع واحداً وهو ١٥ ، والمصطلح عليه فى كتابة ذلك الخاتم أن تكون الأرقام المكتوبة فى الأركان الأربعة من الخاتم زوجية وقسمى بمزدوجات المثلث ، والأرقام

المكتوبة فى الخانات الأخرى فردية وتسمى مفردات المثلث (ولايظنن القارئ أن المراد بالمثلث هنا الشكل الهندسى المؤلف من ثلاثة أضلاع بل المربع المؤلف من ثلاثة أنهر مستطيلة ينقسم كل نهر منها إلى ثلاث خانات) وقد أسلفنا أن المراد من كتابة الخاتم جلب خير أودفع شر فإذا كان القصد تحصيل الخير كتبت الأرقام الزوجية فى الأركان الأربعة وتركت الباقية خالية هكذا :

٤		٢
٨		٦

أو مايقابلها من الحروف هكذا :

د		ب
ح		و

أما إذا كان القصد شرا كتبوا الأرقام الفردية هكذا:

	٩	
٣	٥	٧
	١	

أو مايقابلها من الحروف هكذا :

	ط	
ج	ه	ز
	ا	

فإذا جمعت الحروف الزوجية كانت لفظ (بدوح) أو الحروف الفردية كانت لفظ (أجهزط)، وقد يكتب اللفظان كما هما الأول فى الخير والثانى فى الشر . وكلمة بلوح إذا حملها المسافر لم يتعب أو إذا كتبت على رسالة وصلت سالمة (ومن هذا مر شيوع كتابتها بالأرقام هكذا ٨٦٤٢ على الرسائل حتى المتبادل منها بين بعض أفراد الطبقة المثقفة) وتكتب للمحبة فى ورقة تبخر مع تلاوة العزيمة الآتية عليها :

يابلوح يابلوح يا بلوح
ألف بين الروح والروح
بحق القلم واللوح
وآدم وحوا ونوح

محمد مسعود

« البدوية » (انظر مادة أحمد البدوى) .

« بديع » : من أسماء الله الحسنى ، وكلمة بديع فى معنى اسم المفعول يكون القصد منها « مُخْتَرَع » Discovered أو مبتدع ، وهى من مصطلحات علم البلاغة وتدل على صور الكلام وأجناسه ، ومن ثم كان علم البديع فرعاً من علوم البلاغة . والشاعر ابن المعتز (انظر هذه المادة) هو أول من ألف بالعربية فى هذا الموضوع . وكلف الشعراء المتأخرون باستعمال جميع المحسنات البديعية فى القصيدة الواحدة . وتعرف مثل هذه القصائد بالـ« بديعيات » ، ومن اشتهر بنظمها صفى الدين الحلى . (انظر هذه المادة) وابن حجة وغيرهما (انظر كتاب حاجى خليفة ؛ *Rhetorik der Araber* : Mehren ص ٩٧) .

تعليق على مادة « بديع » :

كانت كلمة بديع بمعناها الاصطلاحى فى علم البلاغة تشمل المحسنات البلاغية والتشبيه والاستعارة وغير ذلك لأن علم البديع أول من وضع فيه كتاباً سماه « البديع » هو ابن المعتز ، وقد جمع سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتجنيس وغير ذلك مما هو داخل الآن تحت علم البيان وعلم البديع وعلم المعانى ، لأن تخصيص مسائل هذه العلوم ومعرفة حدود كل لم يعرف حينذاك ، فإن أول ماعرف منها « البديع » حتى جاء عبد القاهر الجرجانى فحدد موضوعات المعانى والبيان ، فعلوم

البلاغة على أيام عبدالقاهر تميزت وانفصلت وكان ذلك فى القرن الخامس الهجرى ، ثم جاء بعده السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ھ فألف كتابه «مفتاح العلوم» جعله فى النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع فانمازت الحدود ووضحت الرسوم ، ولم يأت بعده من زاد شيئاً من أصول علوم البلاغة الثلاثة إلا ما كان من علم البديع ، فإن علماء مصر والشام قد زادوا على ما وضعه أهل المشرق فيه ، وقد أوصله ابن أبى الإصبع المصرى المتوفى عام ٦٥٤ھ إلى التسعين وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين وسمى كتابه «تحرير التحبير» فى البديع ، ثم زادت الأنواع البديعية عن ذلك كثيراً حتى وصلت إلى مائة وأربعين نوعاً .

وأول من نظم قصيدة سرد فيها أشكال البديع وسميت من ثم «بديعية» الشاعر صفى الدين الحلى المتوفى عام ٧٥٠ھ ومطلع بديعيته :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم
وأقر السلام على عرب بذى سلم

جمع فيها مائة وأربعين نوعاً وجعل كل بيت منها مثالا شاهداً لذلك النوع وذكر اسم النوع البديعى إلى جانب البيت وسمى منظومته «الكافية البديعية» وله عليها شرح لطيف ، وتلاه عز الدين الموصلى المتوفى فى حدود عام ١٣٩٧م ومطلع بديعيته :

براعة تستهل الدمع فى العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

وعقبه تقى الدين بن حجة الحموى المتوفى عام ٨٣٧ھ (١٤٣٣م) ومطلع بديعيته :

لى فى ابتداء مدحكم ياعرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

والتزم فيها تسمية النوع وعلق عليها شرحاً مطولا أصبحت به بديعيته سفراً جليلا سماه «خزانة الأدب» . وتلاه عبد الغنى النابلسى المتوفى عام ١١٣٤ھ (١٧٣١م) ونظم بديعيتين لم يلتزم فى أولاهما تسمية النوع والتزمها فى الثانية ، ومطلع الأولى :

يامنزل الركب بين البان فالعلم
من سفح كاظمة حييت بالديم

ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى بذى سلم
براعة الشوق فى استهلالها ألمى

وسمى منظومته «نسمات الأسحار» .

ثم هناك بديعيات أخرى بعد ذلك . وكل هذه البديعيات من بحر البسيط وعلى روى الميم وكلها فى مدح النبى وفى مدح أصحابه .

عبد الوهاب حودة

+ «البديع الأسطرلابى» هبة الله بن أحمد (وقيل يوسف) ، أبو القاسم : عالم عربى مشهور وطبيب وفيلسوف وفلكى وشاعر ؛ برز بصفة خاصة فى استعمال الأسطرلاب وصناعته كما برز فى صناعة الآلات الفلكية الأخرى . ولا نعرف تاريخ ولادته ، ونحن نجده فى عام ٥١٠ھ (١١١٦ — ١١١٧م) فى إصفهان ، وكانت تربطه بالطبيب النصرانى أمين الدولة بن التلميذ روابط الود ،

ثم عاش بعد ذلك فى بغداد،وهناك جر عليه اشتغاله بالفلك أرباحاً طائلة فيما يقال وذلك فى عهد الخليفة المسترشد . ويذكر أبو الفداء أن الأرصاد الفلكية قد تمت بإرشاده عام ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) فى قصر السلاطين السلاجقة ببغداد . ومن الراجح أن يكون الزيج المحمودى الذى صنفه وأهداه إلى السلطان أبى القاسم محمود بن محمد (١١١٨ – ١١٣١م) هو ثمرة هذه الأرصاد .

وتوفى البديع الأسطرلابى فى بغداد عام ٥٣٤هـ (١١٣٩ – ١١٤٠م) ويقال إنه دفن وهو فى حالة غيبوبة ، وقد ذكر أبوالفرج وحده هذه الرواية . ويزعم ابن القفطى أن أشعار الأسطرلابى كانت فائقة، رائقة، بينما يذكر ابن خلكان أنه كان يستعمل المجون فى شعره حتى يفضى به إلى الفحش فى اللفظ . وقد أورد كل من ابن خلكان وابن أبى أصيبعة مقتطفات من أحسن قصائده . ونشر البديع الأسطرلابى إلى جانب ديوانه الخاص مختارات من أشعار ابن حجاج فى مجلد واحد ورتبه على ١٤١ باباً وسماه «درة التاج من شعر ابن حجاج» (بروكلمان ، قسم ١ ، ص ١٣٠) . ويجب ألا تسوقنا المدائح التى كالها للبديع الأسطرلابى كتاب سيرته من العرب ، وفى طليعتهم ابن القفطى ، إلى الغلو فى تقدير مواهبه . فقد كان المؤرخون وكتاب السير فى القرن الثالث عشر على معرفة قليلة بالرياضيات والفلك ، ولذلك فهم لا يستطيعون تقدير الخدمات الجليلة التى قدمها علماء القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادى عشر الميلادى لهذه العلوم،وهم كثيراً ما أخطأوا كذلك وكالوا المدح جزافاً لمؤلفات العلماء القريبى العهد منهم وذلك على حساب المؤلفات التى ظهرت إبان ازدهار العلم العربى . فإننا لا نجد من ألفاظ المديح التى وجهت إلى البتانى وأبى الوفاء والبيرونى ما يماثل الألفاظ التى وجهت إلى الأسطرلابى، مع أن هؤلاء العلماء يفوقونه علماً .

المصادر :

(١) ابن القفطى ، طبعة ليبرت ، ص ٣٣٩ (٢) ابن خلكان ، طبعة القاهرة عام ١٣١٠هـ ، جـ٢ ، ص ١٨٦ ، ترجمة ده سلان ، جـ ٣ ، ص ٥٨٠ (٣) ابن أبى أصيبعة ، طبعة ميلر ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ (٤) أبوالفرج ، طبعة صالحانى، ص ٣٦٦ (٥) Abulfedae : *Annales muslemici* طبعة ريسكه Reiske وآدلر Adler ، جـ٣ ، ص ٤٤١ (٦) Hammer : *Litteraturgesch. d. Araber* جـ٦ ، ص ٤٣١ (٧) H. Suter: *Abhandlungen zur Gesh. der Mathem. Wissensch.* جـ ١٠ ، ص ١١٧ (٨) ياقوت: إرشاد الأريب ، جـ٧ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ (٩) Sarton : *Introduction to the History of Science* جـ٢ ، ص ٢٠٤ (١٠) F. Rosenthal: *Al-Asturlabi and as-Samaw'al on Scientific progress* فى *Osiris* سنة ١٩٥٠ ، ص ٥٥٥ – ٥٦٤

[H. Suter سوتر]

« بديع الزمان » (٣٥٨ — ٣٩٨هـ) :

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن سعيد بن يحيى ابن بشر ، ولقبه بديع الزمان ، وهو شاعر وكاتب وشيق العبارة ، قرأ فى بلده همذان على أحمد بن فارس وغيره من النحاة .

وفى سنة ٣٨٠ للهجرة ذهب إلى الرى ، حيث نال الحظوة لدى الصاحب بن عباد فترة من الزمان ، ثم خرج منها إلى جرجان حيث عاش فى رعاية أبى سعيد محمد بن منصور .

وفى سنة ٣٨٢ للهجرة ذهب إلى نيسابور ودخلها فقيراً مجرداً إذ خرج عليه اللصوص فى الطريق وسلبوا ما كان معه . ولقيه أبو بكر الخوارزمى شيخ الأدباء فى عصره على غير ما كان يحب ، ومالبث أن دعى ليناظره فى فروع الأدب فى جمع من الناس . وقد ذكر لنا فى وصفه لهذه الحادثة أنه انتصر على أبى بكر (ترجم هذا الوصف ڤون كريمر V. Kremer فى *Kulturgesch* ، جـ ٢ ، ص ٤٧١ وما بعدها) وإن كان هذا يبدو محلا للشك ، وأذاعت هذه الحادثة صيته ، ولما توفى الخوارزمى بعد ذلك بسنوات خلفه بديع الزمان فى مكانته . ووجد حماة له فى خراسان وسجستان وغزنة ، ثم استقر به الأمر فى هراة ، وهناك تزوج من ابنة الحسين بن محمد الخشنامى .

ويظهر أن مقامات البديع ، وهى إحدى مصنفاته ، قد أهداها إلى خلف بن أحمد أمير سجستان الذى نجد وصف رعايته للبديع فى الرسالة رقم ١٧٣ . وكانت كلمة « مقامة » قبل بديع الزمان معناها « العظة » (انظر : مروج الذهب : ص ٤٣١) أو الخطبة (انظر : الجاحظ : كتاب البلغاء ص ٢١٨ ، س ١٣) . فلما أطلقها بديع الزمان على ما أنشأ أصبح لها ما يشبه معنى الكلمة اليونانية « ميمه » ومعناها « الحوار الممتع » .

ويزعم الهمذانى أنه أنشأ أربعمائة مقامة ليست واحدة منها كالأخرى . وهذا الزهو لا يبرره ما بقى لنا من مجموعة مقاماته التى تشتمل على إحدى وخمسين مقامة ، بعضها يشبه البعض الآخر .

وموضوع هذه المقامات فى العادة هو « الكدية » أى إعمال الحيلة لكسب المال ، وفيها يظهر البطل شيئاً من العلم والفصاحة والبداهة . ويحسن أن نقول إن بعض المقامات تصف الحياة فى بغداد فى عهده ، أما البعض الآخر فيتكلم عن تاريخ قديم مثال ذلك :

المقامة التى يظهر فيها الشاعر ذو الرمة ؛ والمقامة التى تتحدث عن محمد بن إسحاق الصَيْمَرى المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة ، والمقامة التى تصور مشهداً فى حياة سيف الدولة المتوفى سنة ٣٥٦هـ .

وموضوعات هذه المقامات تتضمن المناظرة فى الدين ، والمواعظ والأحاجى الشعرية ، كما تتضمن أيضاً حيل الشحاذين واللصوص . ويذهب الحُصْرى إلى أن مقامات بديع الزمان أخذ فكرتها عن الأربعين حديثاً لابن دريد (انظر : زهر الآداب ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ، طبعة ١٣٠٥هـ) .

أما رسائل بديع الزمان ، ويبلغ عددها ٢٣٣ رسالة ، فأغلبها مكاتبات خاصة بذلك فى تدبيجها

من الجهد ما يجعلها جديرة بالنشر . وأغلب الذين كتبت إليهم هذه الرسائل كانوا من ذوى المجد والشهرة ، وإن كان لايذكر منهم الآن إلا القليل مثل : المؤرخ ابن مسكويه والأديب أبى بكر الخوارزمى . وموضوع هذه الرسائل فى العادة أمور خاصة كطلب إعادته بعض الكتب ، أو الشكوى من خراجه ، وبعضها يتناول مسائل أعظم خطراً كالرسالة رقم ١٦٧ التى تصف انتشار الزندقة الشيعية .

وقد اختار الثعالبى (يتيمة الدهر ، جـ ٤ ، ص ١٩٥ — ٢٢٤) منتخبات من شعر البديع أوردها فى يتيمته ، واختار غيرها ياقوت وذكرها فى معجمه ، أما الديوان الذى نشره فى القاهرة عبد الوهاب رضوان ومحمد شكرى سنة ١٩٠٣م فلا يشتمل إلا على ٨٤ صحيفة . وأغلب قصائد البديع أنشأها فى مدح سادته .

طبعات المقامات :

طبعت فى الآستانة سنة ١٢٩٨هـ ، وفى بيروت سنة ١٣٦٧ هـ وهى طبعة منقحة وعليها شرح للشيخ محمد عبده ، وطبعت فى القاهرة حوالى سنة ١٩١٠م وعليها شرح لمحمد محمود الرافعى .

طبعات الرسائل :

أما الرسائل فطبعت فى الآستانة سنة ١٢٩٨هـ ، وفى القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ على هامش خزانة الأدب لابن حجة ، وطبعت فى بيروت سنة ١٨٩٠م وعليها شرح لإبراهيم أحدب الطرابلسى .

وقد أحصى بروكلمان ما كتب فى اللغات الأوربية عن الهمذانى (جـ ١ ، ص ٩٤) . وترجمة البديع التى ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء (جـ ١ ، ص ٩٤ — ١١٨) أخذ معظمها عن الثعالبى ونقل بعضها عن كتاب تاريخ همذان لشيرويه .

[مرگوليوث D.S. Margoliouth]

« بَدِيل » : (انظر مادة « أبدال ») .

+ « بُدَيل بن ورقاء » : زعيم بنى خُزَاعة ، وهى قبيلة كانت تسكن بالقرب من مكة ، وكانت عيناً للنبى محمد تنبئه بما تدبره قريش ثم حالفته بعد صلح الحديبية الذى عقد فى العام السادس للهجرة (٦٢٨ م) .

وكان أول ظهور بديل فى معسكر الحديبية ليخبر محمداً صلى الله عليه وسلم أن قريشاً ستقاتله وتصده ، ثم عاد إلى مكة وكانت له دار بها ، فأعلم قريشاً بما اعتزمه النبى [1] . وكان بنو خزاعة قد التجئوا إلى الحرم أثناء حربهم مع بنى بكر ، وانحازت قريش إلى صف بنى بكر الذين كانوا مواليهم . وكان فى عملها هذا نكث بعهد الحديبية

(١) يقول ابن الاثير « فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نات لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، وان أبوا ، فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى فانطلق بديل الى قريش فأعلمهم ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ... الخ » (أنظر ابن الاثير : حوادث سنة ٦ هـ) .

اللجنة

الذى اعترف فيه بأن بنى خزاعة حلفاء للنبى وبهذا هيئوا له الفرصة لمهاجمة مكة .

وأسرع بديل إلى المدينة ليتفق مع النبى ، ولقى فى طريقه أبا سفيان (انظر هذه المادة) الذى كان ذاهباً إلى المدينة ليجدد العهد .

ويظهر أن كليهما قد اتفق مع النبى على شروط تسليم مكة من غير قتال وعرضا خدماتهما فى هذا السبيل . وزحف النبى إلى مكة على رأس عشرة آلاف رجل وكان غرضه الصريح الثأر لبنى خزاعة ؛ وقبل أن يصل النبى صلى الله عليه وسلم إلى مَرّ الظُهران بيوم ، أى فى منتصف رمضان سنة ٨هـ (أوائل يونية سنة ٦٣٠ م) خرج بديل وأبو سفيان يستطلعان الأمر . ولو لم يكونا اتفقا سرا فيما بينهما لما استطاع أبو سفيان أن يقنع بديلا بالذهاب معه فى هذه اللحظة الحرجة وهو زعيم خزاعة التى كانت سبباً فى الحرب . وقيل إنهما أسلما بعد أن دخلا خيمة النبى وقدما خضوعهما إليه ، ولا يمكن أن يكون بديل قد أسلم قبل ذلك لأن اسمه ذكر بين من شهدوا فتح مكة من المسلمين . ومن مفاخره أن كل من دخل داره فى مكة فهو آمن(١) .
وبعد فتح مكة شهد بديل وأتباعه غزوة حنين . ولم يكن حاضراً حصار الطائف لأنه كان يحرس الغنائم التى غنمها المسلمون فى حنين بمعسكر الجِعْرانة ، ولم يذكر اسمه بعد ذلك ؛ ولا شك أنه توفى قبل وفاة الرسول بين سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) وسنة ١١ هـ (٦٣٢ م) .

المصادر :

(١) الطبرى : التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٣٣٥ ؛ ص ١٦٢١–١٦٢٨ ، ص ١٦٣٤ . (٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٧٠ وما بعدها ، ص ٩٨ . (٣) الأغانى ، جـ ٦ ، ص ٩٧ . (٤) البلاذرى : فتوح البلدان (طبعة ده غويه) ، ص ٣٥ وما بعدها . (٥) ابن هشام : السيرة (طبعة فستنفلد) ، ص ٨٠٧ . (٦) ابن الأثير : أسد الغابة . (٧) Ceatani : *Annali* المجلد الثانى ، الجزء الأول ، سنة ٨ ، رقم ٢١ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٧ . (٨) ابن حجر : الإصابة ، رقم ٦١٤ .

[H. Lammens لامنس]

« بَدَخْشان » أو بلخشان ، وتكتب أحياناً فى لغة الأدب : بَدَخْشانات بصيغة الجمع العربية : بلاد جبلية على الشاطئ الأيسر من المجرى الأعلى لنهر جيحون أو على وجه الدقة على الشاطئ الأيسر لنهر پنج الذى ينبع منه نهر جيحون . والنسبة إليها بلخشانى أو بلخشى بالذال أو بالدال . ويذكر ماكارت J. Marquart (انظر كتاب إيرانشهر ص ٢٧٩) أن هذا الاسم معناه « بلاد البَدَخْش أو البلَخْش ، وهو نوع من الياقوت لا يوجد

(١) رواية ابن الأثير تقول ان النبى (ص) قال « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن داخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن » (انظر ذكر فتح مكة) .

اللجنة

إلا فى بذخشان على نهر كوكچه . ومع ذلك فإن من الأرجح أن تكون كلمة « بلخش » (ومنها الكلمة الفرنسية *Balais* والإنكليزية *Balas*) لهجة من اللهجات تدل فى الأصل على اسم البلاد ، ثم استعملت بعدئذ للدلالة على ذلك النوع من الياقوت . ويذكر ياقوت أن كلمة باخشان هى الاسم المستعمل عادة بين العامة للدلالة على البلاد (انظر معجم البلدان لياقوت ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٥٢٨) . وقد ذكر الرحالة ماركو پولو Marco Polo أيضاً الاسم نفسه . وتوجد المناجم التى يستخرج منها الياقوت خارج بذخشان فى شُغْنَان على الشاطىء الأيمن لنهر جيحون كما يؤخذ من رواية الرحالة القديم ماركو پولو . ومهما يكن من الأمر فإن إقليم شغنان كان فى كل العصور منضماً لبذخشان تحت إمرة حاكم واحد . وكان الياقوت (بالعربية لَعْل ، وبالفارسية لال) المستخرج من بذخشان مشهوراً فى العالم الإسلامى كله إبان العصور الوسطى . وتدل عبارة « لال بذخشى » أو « لال بذخشانى » كثيراً فى الشعر الفارسى عن طريق المجاز على الخمر أو شفتى الحبيب . ولا تزال هذه العبارة إلى اليوم شائعة بين العامة فى آسية الوسطى . والإقليم الذى توجد فيه مناجم اللعل فى الوقت الحالى ولاية من أرض بخارى خاضعة للحكم السوڤيتى . وعلى الرغم من ذلك فإن طرق استغلالها لا تزال على حالها البدائية ، ولذلك فإنها لا تزال عديمة الأهمية فى سوق الأحجار الكريمة بأوربا .

ويروى نهر كوكچه بلاد بذخشان ، وهو فرع من نهر جيحون ، ويطلق عليه اسم خيرْناب فى كتاب حدود العالم .

ونهر كوكچه وروافده هو النهر الوحيد الذى له شأن فى هذه البلاد من الناحية الاقتصادية ، ففى واديه توجد مدن بذخشان — على مقربة من العاصمة الحالية فيض آباد التى أسست فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) — وجِرْم وكِشْم . وهاتان المدينتان الأخيرتان اللتان ورد ذكرهما فى أقدم المصادر العربية قد احتفظتا باسميهما حتى اليوم . ويستخرج لازورد بذخشان فى الوقت الحاضر من المناجم الموجودة فى المجرى الأعلى لنهر كوكچه ، وكانت له شهرة فى العصور الوسطى كذلك . وتحتكر الحكومة الأفغانية اليوم تجارة هذه الأحجار الكريمة ، وتصدر معظم هذه الأحجار إلى الهند . ويوجد فى بذخشان أيضاً مناجم الحديد والنحاس .

وذكرت بلاد بذخشان لأول مرة فى الوثائق الصينية التى يرجع تاريخها إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، إذ وردت باسم بوتعوتشاونگنه فى كتاب هيوان چوانغ . ويذكر شلگل Schlegel أن النطق القديم لهذا الاسم هو پات توك تسعونگنه . وورد اسم هذه البلاد فى كتاب تعنغ شو بهذه الصيغة : باتعوشان ، وورد اسمها فى دائرة معارف چه فويون كوسى بهذا الشكل : بوتعوشان ، ويقول الصينيون إنها جزء من توهولو ، أى بلاد طخارستان . ويريد العرب بكلمة طخارستان

معنيين : الأول : وهو المعنى الضيق ، ويقصدون به البلاد التي بين بَلْخ وبَذَخشان ، أما المعنى الثاني ، وهو الأوسع ، فيقصدون باسم طخارستان جميع البلاد التي على شاطئ نهر جيحون إلى الشرق من بلخ . ومن الواضح أن كلمة طخارستان ظهرت بظهور الطخاريين في القرن الثاني قبل الميلاد ، وهم الذين غزوا إمبراطورية بكتريا [بَلْخ] الإغريقية . وفي القرن الخامس الميلادي احتل الهياطلة هذه البلاد . ونجد في ديوان عوفي الذي جمع في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) خبراً يستدل منه على أن أحد ملوك الهياطلة أعطى ولده حكم جِرْم وبلخشان (Barthold : *Turkestan* ، جـ ١ ، ص ٩١) وقضى الترك في القرن السادس الميلادي على دولة الهياطلة ، وكان حاكم طخارستان بمدلولها الواسع يلقب إبان غزوات العرب الأولى باللقب التركي : يبغو (وهو بالعربية جبغويه (١)) كما تدل على ذلك الوثائق العربية والصينية . وكان أمراء البلاد الأخرى ومن بينهم أمير بلخشان أيضاً تابعين له ، وليس لدينا معلومات أدق عن تاريخ غزو العرب لبلخشان ولا عن الطريقة التي دخل بها الإسلام تلك البلاد ، فلم يذكر الطبري اسم هذه البلاد إلا مرة واحدة ، إذ يصف في حوادث سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) خبر حملة على كِشم في بلاد جبغويه وعلى البلاد التي تليها . وذكر اليعقوبي (طبعة ده غويه ، ص ٢٨٨) أن جِرْم من أعمال بلخشان كانت المدينة المتاخمة للبلاد الإسلامية ، وهي على الطريق التجاري الواصل من وخان إلى التبت . وفي نفس هذه الفقرة ورد ذكر أمير تركي يسمى خُمَار (وهذه صيغة صحيحة للاسم) بك ، وهو يعرف باسم ملك شغنان وبلخشان ، ولا يعرف بشيء غير ذلك ، ويعين الإصطخري (طبعة ده غويه ، ص ٢٧٨) بلخشان بقوله إنها أرض أبي الفتح ، وهو يريد بذلك دون شك الأمير أبا الفتح اليَفْتَلي الذي قاتل ابنه المسمى أبا نصر ، بجوار بلخ ، الوالي الساماني قراتكين المتوفى سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ — ٩٥٢ م) وذلك في رواية السمعاني (انظر Barthold : *Turkestan* جـ ١ ، ص ٦٩) وياقوت (المعجم ، جـ ٥٤ ، ص ١٠٢٣ ؛ انظر أيضاً ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ، ٣٠٧) . ولا نعرف خلاف هذه الحوادث شيئاً عن الحالة السياسية لبلخشان إبان هذا الوقت . وفي القرن الخامس الهجري (التاسع الميلادي) أفلح الشاعر ناصر خسرو في إدخال المذهب الإسماعيلي إلى بلخشان وإذاعته بين أهلها . ولا يزال قبره موجوداً إلى اليوم على المجرى الأعلى لنهر كوكچه ، كما أن تعاليمه لا تزال باقية إلى اليوم في بلخشان وأقاليم الثغور (الحدود) . وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) كان يحكم طخارستان بمدلولها الواسع (بما فيها بلخشان) فرع بعيد من الأسرة الغورية التي كان

(١) ورد هذا الاسم : « جنويه » في الجزء الخامس من ابن الأثير طبعة القاهرة .

اللجنة

مقرها باميان والتي قضى عليها محمد شاه خوارزم في أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

ونجت بلخشان من سورة الغزو المغولى وظلت حتى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) في أيدى حكامها الوطنيين . وذكر ماركو پولو لأول مرة الأسطورة التى تذهب إلى أن الأسرة الحاكمة فى بلخشان من سلالة الإسكندر الأكبر ، وكثيراً ما أورد الكتاب المسلمون بعد ذلك خبر هذه الأسطورة . وذكر محمد حيدر (تاريخ رشيدى ، ترجمة روس E. D. Ross ، ص ٢٠٣) عبارة عن ابنة آخر الحكام هناك جاء فيها أن أسلافها كانوا ملوك بلخشان منذ ثلاثة آلاف سنة . ولم يفلح تيمور نفسه وخلفاؤه فى الحصول على الاعتراف بسلطانهم على تلك البلاد إلا بعد أن خاضوا حروباً طاحنة ، ولم تضم إلى الدولة التيمورية إلا فى عهد الحفيد الأصغر لتيمور المسمى أبا سعيد ، وقد عمد شاه سلطان محمد البلخشى آخر الأمراء إلى مخالفة تعاليم الإسكندر الأكبر (دستور العمل) ، فنظم ديوان شعر باللغة الفارسية ووضع عليه اسما مستعاراً هو لالى (انظر تاريخ رشيدى ، ص ١٤٧) . وخضع هذا الأمير دون مقاومة للجيش الذى أرسله أبو سعيد وسلم نفسه للعدو فى هراة ، أما ابنه فقد اضطر إلى الفرار إلى كاشغر . وتوجى ميرزا أبى بكر ، ولد أبى سعيد ، أميراً على بلخشان — وبعد ذلك عاد الأمير ثانية من كاشغر وطرد أبا بكر ، وكان لا بد له من أن يغزو بلخشان من جديد ، ولهذا السبب قتل أبو سعيد الشاه سلطان محمد سنة ٨٧١ هـ الموافقة سنة ١٤٦٦ — ١٤٦٧ م (انظر كتاب دولت شاه ، طبعة براون ، ص ٤٥٢) . واكتشف الإنكليز فى سنة ١٨٨٥ نقشاً يقول إن محمداً هذا قد شيد فى سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ — ١٤٨٠ م) جسراً من الحجر ، ولكن من المحقق أنه قد حصل خطأ فى قراءة هذا التاريخ (تأريخ رشيدى ، ص ٢٢١) ؛ وبعد ذلك طرد السلطان محمود أمير حصار أخاه أبا بكر من بلخشان وظلت المدينة فى حوزته إلى أن غزا الأزابكة حصار فى بداية القرن السادس عشر . ثم قامت ثورة أهلية فى بلخشان ضد الأزابكة الغزاة . وكان على رأس هذه الثورة مبارك شاه وزبير راغى . وسلم مبارك شاه الثوار قلعة على الشاطئ الأيسر من نهر كوكچه فتحصنوا فيها ولاتزال هذه القلعة تعرف إلى اليوم باسم « قلعة ظفر » .

وقد صد الأزابكة عن بلخشان ، واستنجد الثوار بناصر ميرزا التيمورى ، أخى بابر ، ونصب هذا حاكماً على بلخشان حوالى نهاية سنة ٩١٠ هـ (فبراير سنة ١٥٠٥) ولكنه طرد بعد ذلك بعامين من بلخشان لأنه لم يستطع الاتفاق مع زعماء الثوار . وفى سنة ٩١٣ هـ (١٥٠٧—١٥٠٨م) ذهب السلطان ويس ميرزا ابن السلطان محمود ميرزا إلى بلخشان برضاء بابر ، وهناك استقبل فى « قلعة ظفر » .

وكان مبارك شاه قد قتله صاحبه زبيد قبل ذلك بقليل ، ورغب زبيد بعد وصول الحاكم الجديد فى الاحتفاظ بالسلطة بين يديه ولكنه قُتل اغتيالا . وبعد ذلك بقليل ظهر فى بذخشان شاه رضى الدين زعيم الإسماعيلية فى قهستان ، واجتمع حوله أتباع هذه الفرقة وأخضع لسلطانه جزءاً من هذه البلاد ، ولكنه قتل فى ربيع سنة ١٥٠٩ م وحمل رأسه إلى قلعة ظفر وقدم إلى ميرزا خان وتوفى ميرزا سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وهو على عرش بذخشان .

واستدعى بابر سليمان بن ميرزا خان ، وكان لايزال قاصراً ، واستخلف ابنه همايون على بذخشان ؛ وفى سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩ م) استدعى بابر ولده همايون إلى الهند . وحاول سعيد خان صاحب كاشغر الاستيلاء على هذه البلاد ، ففشل فى محاولته هذه واعترف بابر بسليمان أميراً على بذخشان ، كما اعترف به سعيد خان (١٥٣٠ م) . وحكم سليمان فى بذخشان إلى سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) ولكن حفيده شاهرخ طرده من البلاد فى النصف الأول من ذلك العام ، فلجأ إلى الهند ثم ذهب منها إلى مكة ، ولكنه رجع بعد ذلك إلى بلاده . وفى سنة ١٥٨٤ م غزا الأزابكة بذخشان بقيادة عبد الله خان فلجأ سليمان وشاهرخ إلى الهند ، ولكنهما عادا بعد ذلك وقاما بعدة محاولات لطرد الأعداء ؛ وفى بداية القرن السابع عشر قامت فتنة فى تلك البلاد بتحريض بديع الزمان بن شاهرخ ، وفى سنة ١٦٦٥ م استولت الدولة التيمورية مرة ثانية على بلخ وبذخشان ، ولكن هاتين المدينتين ألحقتا آخر الأمر بأملاك الأزابكة .

وانقسمت دولة الأزابكة أيضاً فى القرن السابع عشر إلى عدة ولايات مستقلة ، واستقرت فى بذخشان أسرة أسسها يار بك وهو الذى أسس مدينة فيض آباد ، وادعى أمراء هذه الأسرة أيضاً فى القرن التاسع عشر أنهم من نسل الإسكندر الأكبر ، وكان أمراء هذه الأسرة — مثلهم فى ذلك مثل أمراء الأزابكة الآخرين فى أفغانستان الحالية — يلقبون بلقب « مير » وهو اختصار لكلمة أمير . وفى سنة ١٨٢٢ م خلع مراد بك حاكم قندز مير محمد شاه ، ونصب تابعاً له يدعى ميرزا كلان أميراً على بذخشان ، ولما توفى مراد أعلن ميرزا استقلاله ، بل أصبح مدة من الزمن سيد قندز . وتوفى ولده وخليفته مير شاه نظام الدين سنة ١٨٦٢ م . وأخذ ابن مير شاه ، ويسمى جهاندار شاه ، يناضل فى سبيل العرش أميراً آخر من أمراء الأسرة نفسها يدعى محمود شاه ، وذلك ابتداء من سنة ١٨٦٧ م . وفى سنة ١٨٦٩ م طرد جهاندار نهائياً من البلاد ، ولكنه استطاع العودة إلى الأرض الروسية سنة ١٨٧٢ م ، وهناك استقر فى أوچقورغان من أعمال « فرغانة » ومنح معاشا سنوياً قدره ١٥٠٠ روبل ؛ وفى عام ١٨٧٨ م اغتاله فى أوچقورغان أناس مجهولون ، وخلعت الحكومة الأفغانية عام ١٨٧٣ م محمود شاه وأحضر إلى كابل ، وظل بها حتى وفاته .

وألحقت بلاده بأفغانستان وأصبحت جزءاً من إقليم تركستان ».

وكان الناس فى روسيا منذ عام ١٧٢٥م يتحدثون عن ياقوت بدخشان ولازوردها ، وكذلك عن مناجم الذهب والفضة التى قيل إنها توجد فيها ». وكان غزو بلاد بدخشان الغنية غرضاً من الأغراض التى اتجه إليها الروس من عام ١٧٣٥ فى سياستهم فى آسية الوسطى .

« على أن التغلغل الروسى لم يبدأ إلا بعد عام ١٨٧٦ » وفى عام ١٨٨٥ أنشئ مركز پامیرسكى على نهر مرغاب ، وفى سنة ١٨٩١ — ١٨٩٢ احتل الروس، بعد صدام مسلح فى يشيل گول ، شرق الپامير بأسره وأصبح يسمى مركز پامير من أعمال إقليم فرغانة ويديره قائد الكتيبة العسكرية الروسية فى الپامير.

وفى ١١ مارس سنة ١٨٩٥ تبودلت المذكرات بين البريطانيين والروس فى لندن ، وقد حددت هذه المذكرات حدود الپامير بين أفغانستان وإمارة بخارى تحت الحماية الروسية » وتركت بدخشان عينها فى أيدى حكام أفغانستان ، أما حدود الپامير الغربية الواقعة شمالى نهر پنج وشرقيه فقد ردت إلى بخارى .

وقد ألغت ثورة سنة ١٩١٨ إمارة بخارى ، ولكن سلطان السوفييت لم يتدعم تماماً فى الپامير إلا سنة ١٩٢٥ ، بعد أربع سنوات من القتال بين عناصر « البيض » والباصمچية (انظر هذه المادة).

إقليم گورنو — بدخشان السوفيتى المستقل استقلالا ذاتيا

فى ٢ يناير سنة ١٩٢٥ وُحِّد الجزءان الشرقى والغربى للپامير فى « إقليم پامير الخاص » وألحق هذا الإقليم إدارياً باللجنة التنفيذية المركزية لجمهورية التركستان السوفيتية الاشتراكية (أسست فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤) » وفى شهر ديسمبر من السنة نفسها غير اسم إقليم پامير إلى إقليم گورنو — بدخشان المستقل استقلالا ذاتياً وأصبح جزءاً من جمهورية تاجيكستان السوفيتية الاشتراكية المستقلة استقلالا ذاتياً (أصبحت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ : « جمهورية تاجيكستان السوفيتية الاشتراكية) ، وقصبتها خاروغ أو (خوروگ) .

ويشمل إقليم گورنو—بدخشان جميع أراضى پامير السوفيتية ، ويحدها من الشمال سلسلة جبال ماوراء آلتاى ، ومن الشرق سينكيانغ فى الصين ، ومن الجنوب أملاك الأفغان ، وفى الغرب پنج ودرواز وسلسلة جبال الأكاديمية ». وبلغت مساحته ٦١,٨٠٠ كيلو متر مربع ؛ وفى سنة ١٩٥١ قسم الإقليم المستقل استقلالا ذاتياً إلى سبعة مراكز (تومان = منطقة) :

١ — شُغْنان (ومركزها الإدارى خاروغ) وتشمل وادى غُنْد.

٢ — إشكاشم (ومركزها الإدارى إشكاشم) وتشمل الوادى الأعلى لنهر پنج والممتلكات السابقة لوخان ، وإشكاشم ، وغاران ، والأراضى الواقعة أعلى ملتقى نهر پنج وشاخ دره.

٣ — وُشت قلعة (ومركزها الإدارى : رشت قلعة) فى حوض شاخ دره .

٤ — روشان (ومركزها الإدارى : روشان) فى وادى پنج أعلى نهر خاروغ .

٥ — برتنگ ، وتشمل حوض نهر برتنگ وروافده كُدَره حتى بحيرة سرز .

٦ — مُرغاب (ومركزها الإدارى مرغاب، وكان من قبل مركز پامیرسكى) وتشمل شرقى الپامير بأسره .

٧ — ونج (ومركزها الإدارى : ونج) وتشمل وادى ونج وياغلام .

وفى سنة ١٩٥٤ ألغى مركز برتنگ وأدمجت أراضيه فى مركزى روشان وونج .

وفى أوائل القرن العشرين لم يزد عدد سكان پامير (روسية وبخارية) عن ٢٠,٠٠٠ نسمة ، وقد زاد عدد سكانها زيادة مذكورة منذ سنة ١٩٢٦ نتيجة لتحسن المواصلات وإدخال أساليب فنية حديثة فى الزراعة. وكان عدد سكانها فى تعداد سنة ١٩٣٩ : ٤١,٧٦٩ نسمة ؛ وبلغ مجموع عدد سكان الإقليم سنة ١٩٥٦ : ٦٢,٠٠٠ نسمة . ويشمل إقليم گورنو–بلخشان من حيث السلالات، منطقتين متمايزتين كل التمايز : الأولى : السهول المرتفعة لشرقى الپامير ويسكنها عدد قليل من بدو القرغيز ، وفى سنة ١٩٢٦ كان ٢,٦٦٠ منهم ينتسبون إلى قبائل إيچكيليك وهم موزعون على العشائر الآتية : «كيسك» : ١,٤٠٠ نسمة ؛ و «تيت» : ٨٠٠ نسمة ؛ و «قپچاق» : ٣٠٠ نسمة ؛ و «تايمان» : ١٠٠ نسمة ؛ ولم يتجاوز عددهم سنة ١٩٣٩ : ٥٠٠٠ نسمة ، أى حوالى ١١٪ من مجموع سكان الإقليم . وهؤلاء القرغيز اسمياً سنية على المذهب الحنفى .

وتقول عن المنطقة الثانية أن وديان غربى الپامير تسكنها شعوب إيرانية يطلق عليها جيرانها التاجيك اسم «غلْچه» والروس اسم «گورنيجه تاجيكى» (وهى تسمية غير دقيقة تجعلهم يلتبسون بتاجيك الأقاليم الجبلية فى دَرْواز ، وقراتگين وزرافشان) أو «پاميرسكو نارودى» (أى شعوب الپامير) ويطلق السكان أنفسهم على أنفسهم اسم «التاجيك» وهى تسمية تثير الالتباس أيضاً ، ويسمون جيرانهم فى درواز الذين يتحدثون بالتاجيكية اسم «پارسى گوى» ، ويقدر مجموع عددهم بما يزيد على ٥٠,٠٠٠ نسمة أى ٨٥٪ من مجموع سكان الإقليم المستقل استقلالا ذاتياً . وأغلبهم من الإسماعيلية النزارية (انظر هذه المادة) هذا باستثناء عدد قليل من البرتنگية والبازغلامية وجميع الونجية، فإنهم مسلمون على المذهب الحنفى . وشعب الپامير عدة جماعات :

١ — جماعة الشغنانية الروشانية : وهم من حيث عددهم أهم الجماعات (٣٥,٠٠٠ — ٤٠,٠٠٠ نسمة ويشملون: (أ) الشغنى (هُگنى) وعددهم ما بين عشرين ألف نسمة وثلاثين ألف نسمة فى مراكز شغنان (انظر هذه المادة) ، ورُشت قلعة (وديان غُنْد ، وپنج ، وشاخ دره (ب) الروشانى : ويعيش منهم حوالى ٨,٠٠٠ نسمة فى

ناحية روشان شمالى الشغنى (وادى پنج) (حـ) البرتنگ : ويعيش منهم حوالى ٢,٠٠٠ نسمة فى ناحية برتنگ (وادى نهر برتنگ) : (د) الأرشر (٣٠٠ نسمة عام ١٩٢٥) : وهذه الشعوب الثلاثة تتكلم بلهجات وثيقة القرابة .

٢ ــ الوخى (وُخ ، وَخَـكْنْد) (انظر هذه المادة) ، وعددهم ما بين ستة آلاف وسبعة آلاف نسمة ، ويعيشون فى ناحية إشكاشم القائمة فى الجزء الشمالى من البامير السوفيتية ، فى الوديان المرتفعة لنهرى پنج ووخان دريا (وثمة عدد مماثل من الوخى يعيش فى أفغانستان) .

٣ ــ اليازغلامى (يُزْدُم ، زَگميك) ولايزيد عددهم عن ٢,٠٠٠ نسمة موزعين على ثلاث عشرة قرية تقوم فى وادى نهر يازغلام (مركز ونج) .

٤ ــ الإشكاشمى (إشكاشُمى) : وعددهم ٤٠٠ فى بدخشان السوفيتية (ما بين ١,٥٠٠ و ٢٠٠٠ نسمة من إخوانهم الذين يتحدثون بلهجتى الزيباكى والسنْغليشى ، يعيشون فى أفغانستان) يقيمون فى قرية واحدة فحسب وهى «ريم» على المجرى الأعلى لپنج (ناحية إشكاشم) .

وتقول أخيراً إن «الونجى» يعيشون فى أقصى الشمال من الإقليم المستقل استقلالا ذاتياً ، فى وادى نهر ونج ، وقد اصطبغ هؤلاء اصطباغاً تاماً بالصبغة التاجيكية وبطل استعمال لغتهم منذ أكثر من قرن من الزمان .

وشعوب البامير تنتمى إلى جماعة اللغات الشرقية الإيرانية ، ولم تضبط هذه اللغات بالكتابة بالرغم من محاولة بذلتها السلطات السوفيتية سنة ١٩٣١ ووئدت فى المهد، وكانت هذه المحاولة ترمى إلى تزويد لغة الشغنى بأبجدية لاتينية وجعلها لغة فصيحة (فى سنة ١٩٣١ نشر كتاب فى المبادىء للأطفال بستالينغراد *Xugnoni alifba* : A. Djahor . *Kudaken chat* ؛ وفى سنة ١٩٣٦ نشرت مطبوعات تاجيكستان الحكومية أول كتب بالشغنية : انظر *Revolutsia i Natsional'nosti* ، رقم ٤ ، سنة ١٩٣٦ ، ٩٢) .

والتاجيكى هى لغة الحضارة (الإدارة والمحاكم والمدارس والصحافة) ، ووجود لغتين (اللهجة المحلية + التاجيكى) شائع . وبعض اللغات ، مثل الإشكاشمى ، تندرس بسرعة ولاتبقى إلا فى صورة «لغات أهلية» ، أما غيرها (البرتنگى والروشانى .. :) فقد اصطبغت بصبغة تاجيكية قوية . على أن اليازغلامى ــ وهى منعزلة انعزالا تاماً ــ والوخى تقاومان مقاومة فعالة أكثر من ذلك .

وكان فى إقليم گورنو ــ بدخشان سبع صحف ــ اثنتان منهما إقليميتان تظهران فى خاروغ : Krasnyj Badakhshan (بالروسية) و «بدخشان سُرْخ» (بالتاجيكى) . وأربع من هذه الصحف محلية بلغة التاجيكى وهى «روشان سرخ» (فى روشان) ، و «حقيقت ونج» (فى ونج) ، و «برق سرخ» ، ثم صحيفة قرغيزية فى مرغاب .

ويعمل النفوذ التاجيكي عمله أيضاً عن طريق التعليم . ففي سنة ١٩٥٤ كان في الإقليم نحو ٢٠٠ مدرسة ، إحدى عشرة منها ثانوية (مدارس مدة الدراسة فيها عشر سنوات ، ومعهد للمدرسين في خاروغ ، ومجموع عدد الطلبة ١٢,٠٠٠ طالب)

وكان إقليم گورنور بدخشان من قبل منعزلا تمام الانعزال ، وقد وصله منذ عام ١٩٣٤ بوادي فرغانة طريق للسيارات (طريق أوش — مرغاب — خاروغ ، وطوله ٧٤٠ كيلو متراً) ، وأكمله سنة ١٩٤٠ طريق خاروغ — ستالين آباد الذي يساير وادي پنج . على أن اقتصاد الإقليم لايزال يسير على النمط التقليدي . فهو يعتمد على تربية البدو للماشية (الأغنام والماعز) وفلاحة البساتين على شرفات الأرض ، وإنتاج الحرير في الجزء الغربي من الإقليم . والإقليم غني برواسبه التي ظل بعضها يستغل زمناً طويلا : اللازورد والدهنج في وادي شاخ دره ، والأحجار الكريمة والذهب والنحاس بالقرب من پورشنيف .

وقصبة الإقليم خاروغ لاتقوم إلا بمشروعات صناعية صغيرة قليلة ، وكان عدد سكانها سنة ١٩٢٦ : ٩٢٧ نفساً ، وبلغ سنة ١٩٥٤ ما بين ألفين وثلاثة آلاف نسمة .

المصادر :

انظر بصفة خاصة (١) تاريخ رشيدي ، ترجمة N. Elias وطبعة E. D. Ross ، لندن سنة ١٨٩٥ (٢) بابر نامه ، طبعة بيفردج في سلسلة گب التذكارية الأولى ، لندن وليدن سنة ١٩٠٥ ؛ وقد بينت الفقرات التي تتناول بدخشان في الفهرس (٣) ومن المخطوطات انظر : مطلع السعدين لعبد الرزاق السمرقندي (انظر هذه المادة) وهو مفيد بصفة خاصة (٤) وانظر عن الإمبراطورية الغورية : طبقات ناصري لأبي عمر الجوزجاني ، كلكتة، سنة ١٨٦٤ (٥) Raverty : *The Tabakat Nasiri* ، لندن سنة ١٨٨١ (٦) أما المعلومات التي تتعلق بالأقاليم الواقعة على المشارف العليا لنهر جيحون في القرن التاسع عشر فقد جمعت بأشد العناية بالاعتماد على أخبار الرحالة الإنكليز ، جمعها J. Minajew : *Swjedjenijao Stranach po verchovjam Amu Darji* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٩ (٧) وقد استطاع بارتولد إلى ذلك أن يرجع إلى روايات الرحالين الروسيين سنة ١٨٧٨ ، وليست هذه الروايات في متناول الناس . (٨) وأما عن حالة هذه الأقاليم قبيل الثورة فانظر بصفة خاصة : Count A. Bobrinskoj : *Gortzy verchovjev Pjandza* ، موسكو سنة ١٩٠٨ ، وقد اعتمد فيه بعض الاعتماد على R. Leitner : *Dardistan in 1866 (1889 and 1893)* ، وعلى الكاتب نفسه : *Dardistan in 1895* (٩) وقد نشرت أكاديمية العلوم في جمهورية التاجيك السوفيتية الاشتراكية سنة ١٩٥٧ كتاباً ممتازاً هو A. M. Mandel'shtam : *Materyali k Istoriko - geograficheskomi obzoru Pamira i pripamirskich oblastac* ، ستالين آباد سنة ١٩٥٧

(المجلد الثالث من أعمال معهد التاريخ والآثار والسلالات التابع لأكاديمية العلوم فى جمهورية التاجيك السوفيتية الاشتراكية) ويشتمل هذا الكتاب على الأوصاف التى كتبها عن پامير المؤرخون والجغرافيون الإغريق والصينيون والعرب حتى القرن العاشر.

وانظر عن گورنو—بدخشان: الكتب العامة(١٠) Gorno-Badakhshanskij Vilayet : B. Morozov فى *Bulletin de l'Université d'Asie Centrale*، ج١٦، سمرقند سنة ١٩٢٧ (١١) Zaterennyj : M. N. فى *Noriyj Vostok* ، رقم ٣ (١٢) Krai (Pamir) *Istorija Karategina Darwazari* : Ksljakov *Badakhshana* ، ستالين آباد سنة ١٩٤٥ (١٣) *Bolshaja Sovetskaja Entsiklopedia* ، الطبعة الثانية، موسكو سنة ١٧٥٢، ج١٢، ص ١١٨ — ١٢٧ (١٤) *Gorno-Badakhshanskaya Astonomnaya Oblost* *Ethnographie*: Monogarova: *Yazgulemtsy Zapadnogo* فى *Sovetskaja Etnografija* ، رقم ٣ ، سنة ١٩٤٩ (١٥) *Gortsky Verkhov'ev Pondja* : A.A.Bobrinskoj (Wakantsy i Ishkashimtsy) فى *Zemlev-edenie* ، رقم ١، سنة ١٩٠٩ ، موسكو (١٦) : L.M. Oshanin *Iranskie plemma Zaperdnogo Pamira-Sravintelnya* *Antropologiceskie issledovanije* فى أعمال معهد أوزبك للطب التجريبى ، طشقند ، ج ١ ، سنة ١٩٣٧ (١٧) : L. N. Oshanin & V.I. Zezenkova *Voprosy Etnogeneza Narodov Srednej Azii* ، *Svote dannykh antropologi* ، طشقند ، مجمع أوزبكستان للعلوم سنة ١٩٥٣ (١٨) : M.E. Masson *Tadjiko-Pamir skaja Ekspeditsija 1933* ، موسكو سنة ١٩٣٤ .

اللغة (١٩) Spisok Pamirskikh : I.I. Zarubin فى *Doklady Rossipkoj Akademii Nauk* *Yazykov* السلسلة ب ، أبريل — يونية سنة ١٩٢٤ (٢٠) Ocherki po : V. S. Sokolova *fonstike iranskikh yazykov* ، ج ٢ ، موسكو — لينينغراد سنة ١٩٥٣ (٢١) : M. S. Andreev *Yazghulemskij Yazyk* ، لينينغراد سنة ١٩٣٠ (٢٢) Yazghulemtsev فى *Trudy tadjikskogo filiala Ak.-Nauk SSSR* ، ج ٩ ، ستالين آباد سنة ١٩٤٠ (٢٣) *Notes sur le Yazghoulami dialecte*: W. Gauthiot *iranien des confins de Pamir* فى المجلة الأسيوية ، ج١١، پاريس سنة١٩١٦ (٢٤) : G.A. Guerson *Iskkashimi, Zebaki and Yazgulami* ، لندن سنة ١٩٢٠ (٢٥) *Indo-Iranien* : G. Morgenstierne *frontier language* ، ج١—٢ ، أوسلو سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٨ (٢٦) الكاتب نفسه: *Notes on Shugni* فى *Norsk Tidshrift Sprogvidenskap* ، ج ١ ، أوسلو سنة ١٩٢٨ (٢٧) : A. N. Boldyrev *Badakhshanskii fol'klor* فى *Sovetskow Vostokovedenie* ، ج ٥ ، سنة ١٩٤٨

نصوص : (٢٨) Trudy : I.I. Zarubin *Pamirakoj Ekspeditsii* ، ج ٦ ، لينينغراد سنة ١٩٣٦ (نصوص أرشر ومفرداتها ، الكاتب نفسه : *Bartangskie i Pushanskie Teksty i Slovar'* ،

موسكو لينينغراد سنة ١٩٣٧) (٢٩) S. L. Klimchitskij : Wakhanskie Teksty في Trudy Akad. Nauk SSSR ، Tadjikskoj basy ستالين آباد، رقم ٣، سنة ١٩٣٦ (٣٠) D.L.R. Loimer : The Wakhi Language ، لندن سنة ١٩٥٨ .

خورشيد [بارتولد — بنكسن ودانكوس Barth. Bennigsen & D'Encausse]

« بَذَنْدُون » أو بَدَنْدون أو بُدَنْدون عند جغرافيي العرب ، وهي الآن بوزانتي ، ويسميها اليونان پودانلوس Podandos : اسم يطلق على نهر وعلى مدينة عليه مهمة من الوجهة الحربية عند درب السلامة Pylae Cilicite جنوبي لؤلؤة Lulon ، ولهذا المكان شهرة في التاريخ لأن الخليفة المأمون العباسي توفي هناك فجأة سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) في حربه مع الروم بعد أن شرب ماء بارداً ، ودفن في طرسوس عند باب بذندون ؛

وبذندون هي بوزانتي الحديثة ، وهي بليدة فقيرة يبلغ عدد سكانها خمسمائة نسمة .

المصادر :

(١) ابن خرداذبه ، طبعة ده غويه ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٠ . (٢) المسعودي : مروج الذهب ، طبعة باريس ، جـ ٧ ، ص ١ ، ٩٦ ؛ (٣) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٥٣٠ ومابعدها (٤) الطبري ، طبعة ده غويه ، جـ ٣ ، ص ١١٣٤ وما بعدها (٥) G. Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate ، كمبردج سنة ١٩٠٥ ، ص ١٣٣ وما بعدها ؛ (٦) W.M. Ramsay : Historical Geography of Asia Minor ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٣٤٨ وما بعدها ؛ (٧) Cuinet : La Turquie d'Asie ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ؛

[هارتمان R. Hartmann]

+ بذندون : هي الآن بوزانتي (پوزانتي) وتقوم على نهر چاكيت چاي (يعرف في مشارفه العليا ببوزانتي صوبي) ، على مسيرة ١٣ كيلومتراً إلى شمال الشمال الشرقي من الممر المشهور الذي يعبر جبال طوروس ، ويعرف بأبواب قيليقية (Pylae Ciliciae : درب السلامة عند ابن خرداذبه ، وهو الآن عند الأتراك كولك بوغازى) ؛

وبوزانتي هي بودانلوس عند الرومان والبوزنطيين (باليونانية : پودانلوس ، پودينلوس ، پوديانلوس ، پودانديس ، پگيودانلوس) ، والبذندون (بَدَندون بُدَندون) عند جغرافيي العرب ؛ وقد رسمت المصادر الغربية في القرون الوسطى هذا الاسم بصيغ مختلفة هي پودانلو Podando وپودوانلو Poduando ، وأوپودانلا Opodanda ، وبوتنترون Botentron ، وبوثنتروت Bothentrot إلخ . وبظهور الإسلام وغارات المسلمين المتكررة التي عبرت أبواب قيليقية إلى آسية الصغرى ، أصبحت بوزانتي للبوزنطيين مركزاً عسكرياً قوياً له شأن كبير ، وأدمجت في كليسوريا في « كپادوكيا إي ميكرا » ، وإن كانت قد رفعت من بعد إلى مرتبة « كليسوريا » مستقلة استقلالا ذاتياً ؛ وكانت بذندون هي البلدة التي توفي فيها الخليفة المأمون

سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) وهو يغير على الروم ؛ ولما اضمحلت الإمبراطورية البوزنطية وتقدم الترك غرباً حتى دخلوا آسية الصغرى ، بدأت بوزانتى تفقد بعض ما كان لها من أهمية ، وانضوت بمرور الزمن تحت حكم سلاطين سلاجقة الروم ثم انضوت بعد ذلك تحت سلطان العثمانيين ؛ وكان الغزو العثمانى لسلطنة المماليك فى الشام ومصر (٩٢٢ — ٩٢٣ هـ = ١٥١٦ — ١٥١٧ م) دليلا على أن جبال طوروس لم تصبح حداً له أهميته السياسية الكبرى ؛ وهنالك فقدت بوزانتى ما كان، قد بقى لها من شأن قديم بوصفها ثغراً يحمى المخرج الشمالى للأبواب القيليقية ؛ وقد ساق أوليا چلبى وصفاً مختصراً لمحطة بريد (منزل گاه) تعرف باسم « سلطان خانى » كانت فيما يبدو هى بوزانتى ، ولكنه لا يذكر هذا الاسم الأخير ؛ وكان ببوزانتى فى منتصف القرن التاسع عشر « خان » ومحطة بريد ودار مكوس ؛ وكانت وقتذاك قرية صغيرة لا يروع العين منظرها تتبع قضاء طرسوس فى سنجق وولاية أذنة (آطنة) ؛ وبوزانتى فى ظل الجمهورية التركية تدخل فى ولاية أطنة الحالية .

المصادر :

(١) ابن خرداذبه ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٠ ؛ (٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٧ ، ص ١ ، ٩٦ ؛ (٣) ياقوت : معجم البلدان ، ص ٥٣٠ وما بعدها ؛ (٤) الطبرى ، جـ ٣ ، ص ١١٣٤ وما بعدها ؛ (٥) حاجى خليفة : جهانما ، ص ٦٠١ ؛ (٦) أوليا چلبى : سياحت نامه ، جـ ٣ ، إستانبول سنة ١٣١٤ هـ ؛ (٧) Constantinus Porphyrogenitus: *De Themibus* ، بون سنة ١٨٤٠ ، ص ١٩ (٨) Th. Kotschy: *Reise in den cilicischen Taurus* ، گوتا سنة ١٨٥٨ ، ص ٢٣٤ (٩) Langlois: *Voyage dans la Cilicie et dans les Montagnes du Taurus* ، باريس سنة ١٨٦١ ، وما بعدها (١٠) F.X. Schaffer: *Cilicia* (*Petermanns Mitteilungen: Erzgaenzungsheft No 14*) ، گوتا سنة ١٩٠٣ ، ص ٨٠ ؛ (١١) Weil: *Chalifen* ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ ؛ (١٢) W.M. Ramsay: *The Historical Geography of Asia Minor* ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٣٤٨ وما بعدها ؛ (١٣) W. Thomashek: *Zur historischen Topographie von Kleinasien im Mittelalter* (فى *SBAK. Wien Phil.-Hist. Cl. Bd.* ١٢٤ ، فيينا سنة ١٨٩١ ، ص ٨٤ ؛ (١٤) E.W. Brooks: *The Arabs in Asia Minor (641-750) from Arabic Sources* فى *The Journal of Hellenic Studies* ، جـ ١٨ ، لندن سنة ١٨٩٨ ، ص ١٩٣ ؛ (١٥) Le Strange ، ص ١٣٣ وما بعدها ؛ (١٦) K. Miller: *Itineraria Romana* ، شتوتگارت سنة ١٩١٦ ، ص ٦٦٤ ؛ (١٧) J. Laurent: *L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquête arabe jusqu'en 886* ، باريس سنة ١٩١٩ ، ص ٢٤٢ (١٨) F. Taeschner: *Das anatolische Wegenetz nach osmanischen Quellen* (*Tuerkische Bibliothek, Bd. 23*) ، ليبسك سنة ١٩٢٦ ، جـ ١ ، ص ١٣٦ وما بعدها ؛ (١٩) J. Karst

C.F. Lehmann-Haupt & : *Busanta* فى *Klio* (*Beitraege zur alten Geschichte*) Bd ١٦=*Neue Folge*, Bd. 8)] ، ليبسك سنة ١٩٣٣؛ ص ٣٦٣ — ٣٦٧ ؛

(٢٠) E. Honigmann : *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches von 363 bis 1071*، بروكسل سنة ١٩٣٥، ص ٢٥٣ (الفهرس،مادة پوداندوس) ؛

(٢١) M. Canard : *Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie* ، ج ١ ، باريس سنة ١٩٥٣ ؛ ص ٢٨٢ — ٢٨٥ ، ٧٣٠ .

(٢٢) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie*، ج ٢ ، باريس سنة ١٨٩١ ، ص ٤٩ . (٢٣) Pauly-Wissowa ، ج ١/٢١ (سنة ١٩٥١) مادة پوداندوس ، العمد ١١٣٦ — ١١٣٩ . (٢٤) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بوزانتى ؛

خورشيد [پارى V.J. Parry]

«بَراءة» : كلمة عربية معناها الخلاص من الشيء أو التحرر منه . ويستعملها أهل الشام بمعنى : امتياز أو جوازسفر أو إجازة علمية . ومن هذا القبيل البراءة (برات) التى تمنحها الحكومة العثمانية إلى الأساقفة قبل مباشرتهم لأعمال منصبهم .

وقد وردت هذه الكلمة بآية لها شأنها فى صدر سورة براءة ، وفيها يأمر الله المؤمنين على لسان نبية صلى الله عليه وسلم بالحج وبرعاية العهد فى الأشهر الحرم . وهذه الآية ليست واضحة تمام الوضوح مما جعل تفسيرها عسيراً بعض الشىء . والتفسير السهل الذى يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى هو أنه يجب على كل مسلم ألا يسيء إلى أخيه فى الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة . ومع ذلك فإن هذا التفسير لا يسلّم به معظم أئمة المفسرين : فالزمخشرى يقول إنه كان هناك عهد بين المسلمين وبين مشركى مكة وغيرهم من العرب ، ثم إن المشركين نقضوا هذا العهد إلا أناساً منهم هم بنو ضَمْرَة ، وبنو كنانة ، فقرأ محمد صلى الله عليه وسلم على المؤمنين الآية التى نزلت عليه ، وهى « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » . ويفسر المسعودى هذه الآية فى كتابه التنبيه والإشراف (ص ٣٦٠) فيقول : « ثم وجه النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى ذى الحجة ليحج بالناس ونزلت عليه سورة براءة فبعث بسبع آيات من صدرها مع على بن أبى طالب وأمره أن يقوم بها على الناس بمنى إذا اجتمعوا وقال : أذّن فى الناس أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم تنادى ليرجع كل قوم إلى مأمنهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة » .

وتقول الروايات إن هذه الحوادث وقعت سنة تسع للهجرة .

المصادر :

Noldeke — Schwally : *Geschichte des Qorâns*، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٢ .

[كاراده فو B. Carra de Vaux]

* براءة :

١ – هذا الاسم مشتق من الأصل العربى برء الذى يستعمل فى كثير من الأحيان للدلالة على المعنى العام : « الخلاص ، الإعفاء » (من واجب أو من تهمة – ومن ثم « البراءة » – من خطر أو مسئولية) وهو معنى يتكرر فى القرآن : ويرتبط بهذا فكرة « البرء من داء ، الشفاء » الذى يعبر عنه هذا الأصل أيضاً فى اللغة العربية الفصحى . وثمة ، بلا شك ، سبب وجيه يحملنا على أن ندرك أن برء بمعنى خلق مأخوذ من اللغة السامية الشمالية ، وهو معنى قرآنى أيضاً حين يكون الحديث عن الله (*Foreign vocabulary of the Qoran* ; Jeffery باروده سنة ١٩٣٨ ، ص ٧٦) .

وترد كلمة « براءة » مرتين فى القرآن ، فهى تدل بلا ريب فى الآية ٣ من سورة القمر على « الأمان ، الحِلّ » على أن تفسيرها حين ترد فى بداية سورة التوبة (وبراءة هى أيضاً اسم من الأسماء التى تطلق على هذه السورة) أمر فيه بعض المشقة : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ؛ والآية التالية التى تجعل العهد المقدس أربعة أشهر قد تثير الافتراض بأن الإشارة هنا إلى « الأمان والإمهال » ؛ على أن التفسير المأثور يشرح هذه « البراءة » على أساس من الآيتين ٣ ، ٥ اللتين تجعلان الله والرسول بريئين من المشركين وأن المسلمين يحل لهم أن يقتلوهم بلا حرج من عقاب (انظر ترجمة بلاشير للقرآن وتعليقاته) وعلى ذلك فإن البراءة تشير إلى « النكث بالعهود » وهو ضرب من النبذ من الجماعة أو الإخراج من حظيرة الدين تكون معقباته المخيفة هى النقيض تماماً للأمان ؛ والحق إن « بريء » هو المصطلح الذى يطلق على شخص أو أشخاص قطعوا كل علائقهم بشخص أو بجماعة ، والغالب أن ينصب ذلك على إخوانهم فى القبيلة ؛ ويدخل المصطلح براءة فى تلك العبارات التى تدل على «الإقصاء أو الإبعاد من حماية الشرع» (وانظر عن « التبرئة » فى شريعة العقاب عند الإباضية مايلى) ؛ و « يمين البراءة » هى اليمين التى ذمّها الحديث (انظر بخاصة : أبا داود : السنن ، رقم ٣٢٥٨) وإن كانت قائمة اليوم ، ومحصلها أن يحلف شخص أنه يكون بريئاً من دين الإسلام ومن أمان الله إذا كانت يمينه باطلة ؛ ويقول الشيعة بالبراءة من أعداء على وذريته؛ وهذه البراءة تقابل الولاء لهذا البيت (وعلى خلاف الشعيرة الكاملة لبراءة الولاية انظر ذم المذهب الحنبلى فى H. Laoust : *La profession de foi d'Ibn Batta* ، دمشق سنة ١٩٥٨ ، ص ١٦٢) .

والأحوال المخزية [للمشركين] التى اقترنت بكلمة براءة على ضوء هذا المفهوم تبرر فى قول بعض فقهاء المسلمين أنه لم يكتب فى أول سورة التوبة باسم الله على خلاف سائر السور .

ويرد فى مصطلح الفقه « براءة الذمة » أو « البراءة » فحسب أى « البراءة من الالتزام بشىء » ؛ مثال ذلك أن « بيع البراءة » هو البيع الذى يخلو من الضمان فيكون فيه البائع محرراً من أى التزام

فى حالة وجود عيب فى السلعة يبيح فى الأحوال العادية فسخ البيع (انظر Santillana : *Instituzioni*، ج ٢ ، ص ١٤٩ عن وجود تشابه عجيب فى الصيغ بهذا الشأن بين مصر الإسلامية وتوسكانيا المسيحية) ، ومن ثم يستعمل مصطلح « تبرئة » استعمالات مختلفة للدلالة على جميع ضروب الأفعال المعلنة لشىء أو المرتبة له التى تحل من المسئولية ، ويمكن أن نذكر « التبرئة » المتبعة الآن بين بدو مراكش ، وهى « غرامة يؤديها والد القاتل لوالدى القتيل نظير استمراره فى العيش بين ظهرانى القبيلة » (Loubignac : *Textes arabes des Zoer*، باريس، سنة ١٩٥٢ ، ٣٥٩) ؛ وانظر أيضاً الاستعمال المماثل لبراءة > براه الملحوظ فى إقليم بيت لحم (حداد فى *Zeitschrift des Deutschen Palaestinavereins* ، سنة ١٩١٧ ، ص ٢٣٣)

ويمكن أن نذكر فى هذا المقام المصطلحات المشتقة من براءة :

(١) « المُبارأة » وهى ضرب من الطلاق يتم بموافقة الطرفين يبرئ الزوج والزوجة نفسيهما بتزول الجانبين عن كل مالهما من حقوق (Bergstraesser-Schacht : *Grundzuege* ، ص ٨٥ ؛ Santillana : *Instituzioni* ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ؛ ابن رشد : بداية ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ ، جـ ٢ ، ٦٦ ، وهو يسوق تعريفاً دقيقاً بالمقارنة ببعض صيغ الطلاق الأخرى)

(٢) « الاستبراء » وله مدلولان متمايزان كل التمايز (أ) استبرأ الجارية : لا يمسها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها هل هى حامل أو لا ، وذلك قبل انتقالها إلى سيد آخر (انظر مادة « عبد »)

(ب) فعل يأتيه المرء بيده اليسرى ليستفرغ بقية البول وينقى موضعه ومجراه حتى يبرئهما منه ، أو الاستنجاء الذى يجب أن يعقب إزالة الضرورة (لسان العرب، جـ ١ ، ص ٢٥ ؛ أبو الحسن: على رسالة ابن أبى زيد ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٠ ، جـ ١ ، ص ١٤٤) .

وننتقل بعدُ إلى النظرية العامة فى الفقه كما نجدها فى الكتب القديمة ، فنجد أن فكرة البراءة فيها ماثلة فى القاعدة التى يرتضيها أهل السنة بعامة ويؤيدها مذهب الأشعرى وهى : « الأصل براءة الذمة » ومعنى هذا بحسب الرأى الذى يأخذ به المرء أنه لا التزام يقيده إلا ما حدده الله ، أو أنه فى حالة غياب الدليل على العكس فإن القول الطبيعى هو البراءة من الالتزام .

و« البراءة الأصلية » بالمعنى الأول تشمل فكرة دينية ، وهى أنها تناقض نظرية المعتزلة التى تقوم على معقولية الأحكام فى جملة من الأفعال الإنسانية ، وترى أن جميع الأفعال الأخرى السابقة للشريعة المنزلة والتى لا تخضع للتقويم العقلى تكون جميعها غير شرعية (فى رأى البعض) أو جميعها مباحة (فى رأى آخرين) أو ليست لها صلاحية شرعية (فى رأى فريق ثالث ؛ انظر الغزالى : المستصفى ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧ ،

ج ١ ، ص ٤٠ – ٤٢ ، ١٢٧ – ١٣٢ ؛ أو انظر أحسن من ذلك : الآمدى : الإحكام ، طبعة القاهرة سنة ١٩١٤) ، وهذان الكتابان يرفضان نظرية المعتزلة . إلا أن علماء أهل السنة جميعاً أو يكادون (ويذكر فى هذا المقام استثناءان لذلك عند المالكية ذكرهما الباجى فى الإشارات ، طبعة تونس سنة ١٣٥١ هـ ، ص ١٢٣ ، ١٣٠ – ١٣١ ؛ وينادى بحث Lapanne-Joinville فى *Travaux Semaine Internat., Droit Musulman* ، باريس سنة ١٩٥٢ ، ص ٨٥ بتصويبات معينة) يرون أن الأحكام الشرعية تقوم على الإطلاق وبلا استثناء على الشريعة المنزلة . وقبل نزول هذه الشريعة وفى خارج نطاقها لا يكون لأفعال الإنسان « حكم » . وهذا الضرب من العزوف من حيث المبدأ عن الحكم ، وهو عزوف يجب ألا يلتبس بالإباحة ، ينكر فكرة قيام أى التزام .

أما بالمعنى الثانى الذى لم يحاول المؤلفون مع ذلك أن يفرقوا بينه وبين المعنى الأول (والخلط واضح فى كتب الشافعية والحنفية المسماة « الأشباه والنظائر » : انظر السيوطى ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ ، ص ٢٩) فإن « البراءة الأصلية » سواء اقترنت بمبدأ « استصحاب حال » أو لم تقترن فإنها تدعم من حيث النظر حلولا لا حصر لها (سواء كانت قواعد فقهية حاسمة أو فروضاً فقهية فحسب) ، وذلك فى ميدان الفقه كله . (Lapanne-Joinville : بحثه المذكور ، ص ٨٢ – ٨٨ ؛ Brunchvig فى *Levi Della Vida Studi* ... ، ج ١ ، ص ٧٥) .

على أن كلمة « براءة » قد استعملت استعمالا مترادفاً بمعنى حسى للدلالة على وثائق مكتوبة مختلفة الأنواع (والجمع « براءات » أو « براوات ») بحكم تطور فى المعنى يبدأ بفكرة « الأداء » وإن شئت الدقة فهى بلاشك « الأداء المالى والإدارى » (الخوارزمى : مفاتيح العلوم (1) ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٠ ، ص ٣٧ ؛ Lokkegaard : *Islamic Taxation* ، كوبنهاغن سنة ١٩٥٠ ، ص ١٥٩ ؛ Spuler : *Iran in frühislam. Zeit.* ، فيسبادن سنة ١٩٥٢ ، ص ٣٣٨ – ٤٥٨) .

ويرد المعنى الأول فى نصوص المعاملات التى تتعلق بالمكوس الجمركية ، وفى المعاهدات التى كانت تبرم مع الدول المسيحية منذ القرون الوسطى ، وخاصة ما كان يبرمه منها الحفصيون (بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) وكان اللفظ يرد فيها بالنسخ اللاتينية أو الرومانية *Arabra, Albara*) Mas-Latrie : *Traité de Paix et de commerce* ، باريس سنة ١٨٦٦ – ١٨٧٢ ، اوجع إلى الحاشية) . ويستطيع المرء كذلك أن يحس فى هذه المواضع بمعنى « الرخصة الرسمية » التى اكتسبتها الكلمة . وما إن حل هذا الوقت حتى أصبحت تستخدم فيما نستطيع أن نسميه « رخصة » « شهادة » « إجازة » وهى الألفاظ التى نطلقها على مختلف الوثائق المكتوبة التى تصدر من الهيئات الإدارية أو تقدم إلى هذه الهيئات ، مثال ذلك « المطالبة المالية » أو أمر الأداء » و « جواز سفر » (Dozy : *Suppl.* ؛

(1) الذى جاء فى نص كتاب الخوارزمى : مفاتيح العلوم : « البراءة حجة يطلبها الجهبذ أو الخازن للمؤدى بما يؤديه إليه

ج ١ ، ص ٦٣) و « علامة يرقبها » الأمين » بسلعة (السقطى : Manuel de Hisba ، طبعة كولان وليفى پروفنسال ، پاريس سنة ١٩٣١ ، ص ٦١) ؛ و « التماس أو عريضة تقدم للسلطان » (Berbère Orientale : Brunschvig ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، تعليق ٣) ؛ وقد جمعت لغات شبه جزيرة أيبيريا واحتفظت بمعان من هذا القبيل مثل الكلمة القطلونية : albara والكلمة القشتالية : albala ، والكلمة البرتغالية : alvara .

وتعرف اللغة العربية الفصيحة الحديثة المصطلح « براءة التنفيذ » الذى يطلق على البراءة التى تمنح للقنصل ، و « براءة الثقة » التى تطلق على أوراق الاعتماد الديبلوماسية (انظر معجمى Wehr, و Bercher) .

وفى العربية العامية بشمالى إفريقية يشيع استعمال : براءة > برا ، والغالب أن يكون ذلك بصيغة التصغير « بريّة » ومعناها « الخطاب ، أو الرسالة أو التذكرة » فحسب (ومن ثم الكلمة البربرية برات ولها نفس هذا المعنى) ؛ أما فى فاس فقد أدى تطور معنى « بريّة » إلى إطلاقها فى العربية على فطيرة مرقوقة على هيئة فطيرة تطوى كطى الرسالة (Textes arabes de Rabat : Brunot ، ج ٢ ، الحاشية ، پاريس سنة ١٩٥٢ ، ص ٤٠) ؛

ويجب علينا آخر الأمر أن نذكر المصطلح الكثير الشيوع فى الشرق وهو « ليلة البراءة » بالتركية « برات گيجه سى » وبالفارسية : « شب برات » وهو يطلق على ليلة النصف من شعبان ، وتعد من الأعياد الدينية (انظر البحث الذى قدمه ح. خ. أودم : برات گيجه سى حقنده بر تدقيق ، أنقره سنة ١٩٥٣) ؛ وقد فات المعنى الدقيق لهذه الكلمة هنا عن الكاتب لأن جميع التفاسير التى تسوقها التفسيرات المأثورة أو العلماء الغربيون ليست مقنعة ، وهى : « الأمان » (لأولئك الذين كتب لهم الحظ السعيد فى هذه الليلة) ، و « الوحى » (نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم) و « الخلق » (للكلمة ؛ ويشير هذا هنا إلى اللفظ العبرى « بريئة » انظر پلسنر ، فى دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مادة « رمضان ») ؛ ولعل من المناسب أولا لتوجيه البحث الاشتقاقى أن نفصل بقدر ما يسعنا من دقة فى أمر قدم المصطلح والظروف المحيطة بنشئه ، ذلك أننا لا نجده شائعاً فى نصوص القرون الوسطى التى تتناول الاحتفال بليلة النصف من شعبان .

والاستعمال الإدارى للمصطلح فى ظل الأتراك العثمانيين قد تطور بصفة خاصة بصيغة « برات » (انظر ما يلى) التى يميزون بينها وبين صيغة براءت .

المصادر :

ذكرت فى صلب المادة .

خورشيد [برنشفيك R. Brunvschvig]

(٢) وقد طور الخوارج موضوع « البراءة » بما عرف عنهم من غيرة دينية وتوكيد لانفصالهم عن غيرهم ؛ فالبراءة عندهم ، على خلاف الولاية

التى هى الواجب العقيدى للتضامن وبذل العون المفروض على المسلم ، هى واجب إنكار كل من لايستحق هذا الاسم . ونستطيع أن نجد عند مؤرخى الفرق جميعاً التطبيقات الخاصة التى أخذت بها الفرق المتعددة إزاء مبدأ «البراءة» : ونحن إنما نستطيع أن نهتدى إلى عرض مباشر كامل لهذه المسألة عن طريق علماء الأصول الإباضية . وأقدم نص انتهى إلينا هو لأبى زكرياء الجناونى (القرن السادس الهجرى = القرن الثانى عشر الميلادى) وهو يفرض على البالغ الرشيد أن يبرأ من : (أ) الكافرين فى الدنيا والآخرة ، أحياء أوأمواتا ، معروفين أو مجهولين (ب) «الإمام الظالم» (جـ) «المنمومين» فى القرآن ، و«الموصوفين بالمعصية» (د) المرء المعروف بشخصه الذى يرتكب الكبيرة .

والحكم فى أمر أطفال الأشخاص الذين تجوز عليهم البراءة يرجأ حتى يبلغوا سن الرشد. و«البراءة» تبطل إذا كفّر عنها المذنب بالتوبة .

المصادر :

(١) أبو زكرياء الجناونى : كتاب الوضع فى الفروع ، القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ١١٠ وما بعدها (٢) Sachau : *Ueber die religioesen Anschauungen der Ibaditischen Muhammedaner in Omân und Ost-Afrika* فى *Mitteilungen des Seminars fuer Orientalische Sprachen, Westasiatische Studien* سنة ١٨٩٩ ، ص ٦٧ وما بعدها (٣) A de Motylinski : *L'Aqida des Abadhites* فى *Rec. XIVe Congr. des Or.* ص ٤٠٩ ومابعدها .

خورشيد [روبيناتشى R. Rubinacci]

+ برات : كلمة من أصل عربى (انظر عن معناها العربى ما سبق بيانه) تدل فى التركية العثمانية على ضرب من الأمر يصدره السلطان . وقد استعملت عدة كلمات تركية أو من أصل آخر بالمعنى نفسه : ففى التركية «بيتى» و«يارليغ» وبيوريلدى ؛ وفى العربية : براءة ، وأمر ، وحكم ، وتوقيع ، ومنشور ، ومثال ، وإرادة ؛ وفى الفارسية : فرمان ، ونشان . وكانت بعض هذه الكلمات تستعمل طوال العصر العثمانى كله ، وبعضها يستعمل فى فترات بعينها فحسب . وكان لبعضها معنى عام فقط ، وكان لغيرها أيضاً معنى أخص من ذلك أوقل معنى محدد . وكان يمكن فى الوثيقة الواحدة أن تستعمل عدة كلمات للدلالة على «أمر السلطان» ، وكان يمكن أن تدل هذه الكلمات على أمر بالمعنى العام وبالمعنى الأضيق أيضاً أوقل المعنى الأكثر تحديداً .

فكلمة بيتى بمعنى أمر السلطان لم تكن مستعملة بكثرة بعد عامى ١٥٠٠م. وكلمة أمر التى ظلت تستعمل أربعمائة عام ، لم تكن تدل فحسب على أمر عام يصدر باسم السلطان ، بل كانت تدل أيضاً على أمر خاص يقضى بإصدار براءة (برات) ومن ثم التعبير الوارد فى ديباجة البراءة (برات): «ألى أميرلى» أى «إلى الذى لديه أمر فى يده». بصدور البراءة وترد كلمة «حكم» دائماً بمعنى الأمر

العام ، ولكنها كانت تدل أيضاً على نوع معين من الأمر قد جرت الحال بأن تتناول الإدارة وثائقه على حدة ، وهو يسجل الآن فى المحفوظات التركية على اعتبار أنه وحدة للحفظ قائمة بذاتها (أحكام دفترلرى) . وكان النشان يدل على جميع الأوامر التى تحمل الطغراء (النشان) بلا أى تخصيص لموضوعها ، ولكنها أصبحت تدل بصفة خاصة منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) على الأحكام التى تضعها أعلى مصلحة مالية فى الدولة وهى « الدفترخانة » وتتعلق بالمسائل المالية . وكان المصطلح « توقيع » مرادفا للمصطلح نشان ، وكان فى الإمكان استخدام التوقيع من غير أى تحديد آخر للدلالة على الوثيقة التى تحمل التوقيع . (ومعنى المصطلحين الأمثل يدل عليه الاشتقاق من اللفظين وهو « توقيعى » و « نشانجى » وكلاهما مترادفان) . وكان ثمة أمر أرفع من ذلك هو « المنشور » الذى كان أندر استعمالا ، وكذلك « المثال » و « إراده » ، وكانت هذه المصطلحات مستعملة منذ القرن التاسع عشر .

وكان لـ « برات » معنى أكثر تحديداً وهو « حجة المنحة » و « وثيقة لإقامة شخص فى وظيفة » . والوثائق التى تنتمى إلى هذه الفئة كانت تتناولها الإدارة أيضاً على حدة . وقد بقى أثر لذلك فى تسمية بعض السجلات العامة « رومْلر كُ برات دفترى » أى دفتر البراءات الصادرة فى مسائل تتعلق بكنيسة الروم الأرثوذكس ؛ و « كاتوليك برات دفترى » إلخ (مدحت سرت أوغلى : محتوى باقمندن باشوكالت أرشيوى ، ص ٢٩ ، ٣٢) .

ولما كانت جميع المنح فى الإمبراطورية العثمانية تصدر عن السلطان ، فإن البراءة (برات) كانت تصدر دائماً باسم السلطان وكانت الصفة اللاصقة بها دائماً هى « شريف » أو « همايون » (أى البراءات الشاهانية) .

وكانت كل التعيينات فى الإمبراطورية العثمانية تتم بـ « المنح » سواء كانت أجورها تؤدى بالتزام ضياع بصفة موقتة أو كانت تؤدى أجورها نقداً . ومن ثم كانت جميع التعيينات فى الخدمة المدنية ، سواء كانت وظيفة الباشا الرفيعة المقام أو وظيفة خادم المسجد المتواضعة ، تتم ببراءة . وكان أساقفة الشام يتلقون أيضاً أوامر تعيينهم من السلطان على هيئة براءة (برات ؛ انظر صدر هذه المادة) ، بل إن أقيال الإمبراطورية — مثل أمراء ترانسلفانيا — كانوا يتلقون الاعتراف بهم فى إماراتهم على هيئة براءة ، مع خلاف واحد هو أن الإجازة التى كانت تصدر إليهم كانت تستكمل فيها هذه الكلمة بما يلى : « بوبرات هما يونى وعهدنامه صدق مشحونى ويردم » أى « لقد أصدرنا براءتنا الشاهانية والعهد الصادق » . وهكذا اندرج تحت الاسم « برات » عدد كبير متزايد من الأوامر . ويمكن أن تصنف هذه الأوامر بحسب مضمونها كما يلى : « وزيرلق براتى » و « تيماربراتى » و « مالكانه براتى » و « إلتزام براتى » ، أما إذا صدرت لصالح جماعة فكانت تسمى « أوجاقلق براتى » ، إلخ .

وقد أصبحت كلمة « برات » بصفة خاصة جزءاً من المصطلحات الكثيرة التى كانت تستعمل فى إدارة

ضياع « التيمار » مثل « برات عاليشان إيچون تذكره ويرلدى » أى التفويض المسمى « تذكره » لإصدار براءة شريفة ؛ و« برات شريفم ويريلمك فرمانم أولماغن » أى : لصدور أمرنا الشاهانى بإصدار براءة شريفة ؛ و « تذكره برات يتديرملك » أى استبدال براءة بالخط المسمى تذكرة ؛ و« تجديد برات أولنمق بابنده خط همايون أولماغن » أى بحكم صدور الأمر السلطانى بتجديد البراءات (وهذه الإجراءات كان يتخذ عادة بعد اعتلاء السلطان العرش) ؛و« ألى براتلى » أى فى يده البراءة (ويقابل هذا المصطلح الذى أشرنا إليه آنفاً وهو « ألى أميرلى ») ؛ و« أهل برات» أى الذى صدرت له براءة ، ويشار كثيراً فى الوثائق الرسمية إلى البراءات الصادرة . على أن كلمة « برات» لاترد كثيراً فى حجج المنح ولا مناص من أن نستخلص من مضامين الوثيقة هل هى براءة أو غيرها .

ويتبين مقدار المنحة من بساطتها أوتعقيدها ، ولكن البراءة فى جميع الأحوال تكتب بالخط الديوانى ، أما العناصر الداخلة فى تركيبها وترتيبها فواحدة فى الغالب . فبعد «الدعوت» و «الطغراء» اللذين يوضعان خارج النص ، يبدأ النص بصيغتين إحداهما أكثر احتفاء بالرسميات : « نشان شريف عاليشان سلطانى. . . حكم أولدركه » أى « شعار السلطان الرفيع الشريف... الذى ينص أمره على مايلى» والصيغة الثانية : « سبب تحرير حروف أولدركه » أى السبب فى تحرير هذه الوثيقة هومايلى .

وفى الصيغة الحافلة بالرسميات يعبر السلطان فى لغة تتمشى مع الأسلوب الفارسى بأنه بما أسبغه عليه الله من سلطان يرى أن من واجبه أن يجزى رعاياه ذوى الغيرة ، ولذلك فهو منذ تاريخ معين بالضبط يعهد إلى واحد معلوم من رعاياه (يذكر اسمه) بوظيفة معينة أومنفعة أو يمنحه مع هذا أملاكاً . فإذا كانت الوظيفة أوالمنفعة تتصل بالانتفاع بضياع بعينها (وكانت الحال على ذلك فى معظم الظروف) فإن هذه الضياع تحصى (ذكر وشرح وبيان أولنور) . وهذا الإحصاء هو فى ظاهر الأمر أبرز جانب من الوثيقة ،ويكون بخط السياق (سياقت) ولكنه يكتب بالأعداد العربية مكوناً قسماً مستقلا من الوثيقة . ويتبع ذلك التنبيه الواجب للسكان المعنيين بأن يعترفوا بالشخص المذكور باعتباره «صوباشى ، سنجق بغى» إلخ،ويختم ذلك بالعبارة المألوفة فى الأوامر السلطانية وهى « وليطع كل امرئ هذا وليحترم الشعار السلطانى : الطغراء » .وتكون البراءة (برات) أحياناً خالية من التأريخ ، وأحياناً بتاريخ ، على نمط من الكتابة مختلف عن نمط الوثيقة يخطه قلم آخر بمعرفة ما يسمى باسم « تأريخجى قلمى» وهو مكتب التسجيل : وفى أسفل الوثيقة فى الركن الأسفل من يسار القرطاس الذى تكتب عليه يرى المكان الذى صدرت منه (بى مقام ، فإذا كان السلطان فى الميدان قيل :بى يورد) .

ويؤدى رسم خاص لتحرير البراءة (رسم برات) . أما الفئة الرسمية للملك فهى فى خبرما نعلم غير معروفة.وقد كانت ، بحسب الشواهد العديدة

التى تعرفها، وفى منح أقل قيمة من ذلك، تتراوح بين ١٪ و٣٪ (انظر Lazzlo Velics & Erno Kammerer: *A magyarorszagi toeroek kincstari defterek*، المجلدات ١ — ٣ ، بودابست سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٣) .

ونستطيع أن نقول على ضوء حجج المنح الفارسية التى لا نعلم منها إلا القليل (Makar Khubcha: *Persidskoe firiaki i ukazi Muzeya Gruzii*، ج ١ تفليس سنة ١٩٤٩ ؛ B.S. Puturidze: *Gruzino-persidskie istoricheskie dopumenti*، تفليس سنة ١٩٥٥ ؛ A.D. Papasiyak: *Persidskie dokumenti Matekadaraka*، ج ١ ، إريوان سنة ١٩٥٦) أنهـا كانت فى تكوينها تشتمل على نفس هذه العناصر كما تشتمل فى معظمها على كثير من عبارات البراءة التركية ، ولكن كلمة « برات » لم ترد فيها ، فإذا استعملت فى الفارسية كان لها معنى مختلف عن معناها فى التركية (انظر البراءة عند العرب فى القسم الأول من هذه المادة) .

المصادر :

(١) من شاء معلومات عن « برات » فلينظر L. Fekete: *Einfüehrung in die osmanischtuerkische Diplomatik der tuerkischen Botmaessighkeit in Ungaren*، سنة ١٩٢٨ ، ٤٦ — ٤٧ (٢) إسماعيل حقى أوزون چارشيلى : طغرا وپنچه‌لر فى بلتن ، رقم ١٧/١٨ ، أنقرة سنة ١٩٤١ (٣) الكاتب نفسه : محتوى باقمندن باشوكالت أرشيوى ، أنقرة سنة ١٩٥٥ (٤) وقد نشرت نصوص البراءات (على أساس نصوص كتب الإنشاء) على يد أحمد فريدون فى منشآت السلاطين (٥) Friedrich Kraelitz فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى ، مجلد ١٠ ، ص ٢٤٦ (٦) ونشرها مع صورة طبق الأصل Franz Babinger: *Le Monde Oriental*، جـ ١٤ ، سنة ١٩٢٠ ، ص ١١٥ (٧) L. Fekete: المصدر المذكور (٨) L. Kulisch: *Mitteilungen der Ausland-Hochschule on der Universitaet Berlin*، فى *Jg. xli, Abt. Westasiatische Studien*، ص ١٢٥ (٩) Gibb & Bowen ، المجلدان ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٠ — ١٩٥٧ ، الفهرس .

[L. Fekete فكته] خورشيد

+ « براءتلى » ، وفى التركية « براتلى » أى حائز البراءة (برات) : اسم أطلق فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين على فئة خاصة من رعايا الإمبراطورية العثمانية غير المسلمين لديهم براءات تمنحهم امتيازات تجارية ومالية هامة . وكانت توزع البراءات البعثات الأوربية الديبلوماسية متوسعة توسعاً سيئاً فى حقوقها فى ظل الامتيازات ؛ وهذه البراءات التى كانت تصدر فى الأصل للنواب والوكلاء القنصليين الذين يختارون محلياً قد أصبحت تباع أو تمنح لعدد متزايد من التجار المحليين الذين كانوا قادرين على الوصول إلى مكانة ممتازة تنعم بالحماية . وقد حاولت السلطات العثمانية أن تكبح جماح هذه التجارة ، وسعى السلطان سليم الثالث فى نهاية القرن إلى منافسة القناصل الأوربيين بأن

يمنح هو نفسه براءات للتجار المسيحيين واليهود المحليين ، وكانت هذه البراءات تعطى نظير أداء رسم قدره ١٥٠٠ قرش وتخول لحائزها الحق فى الاتجار مع أوربا والتمتع فى الوقت نفسه بامتيازات قانونية ومالية وتجارية علاوة على الإعفاءات . وكانت هذه البراءات أيضاً تمكن الذميين العثمانيين من منافسة التجار الأجانب (مستأمن) على حظ متفاوت من المساواة، وقد خلق ذلك طبقة جديدة ممتازة عرفت باسم «أوروپه تجارى». وقد استطاع الإغريق فى هذه الطبقة، بفضل مهاراتهم البحرية وانتهازهم للفرص ، أن يكتسبوا مكانة عليا دعمتها مزايا تمتع العلم العثمانى بمركز الحياد فى الحروب النابوليونية . وفى أوائل القرن التاسع عشر توسع فى هذا النظام حتى شمل التجار المسلمين الذين فى مكنتهم إذا دفعوا رسماً قدره ١٢٠٠ قرش أن يحصلوا على « براءة » العضوية فى النقابة المماثلة لذلك التى عرفت باسم «خيريه تجارى» : على أن عدد من أفادوا من هذه المنحة كان محصوراً جداً . وقد بطلت هذه الشروط والنقابات بعد « التنظيمات » .

المصادر :

(١) جودت : تاريخ ، ج ٦ ، ص١٢٩ـ ١٣٠ . (٢) عثمان نورى : مجله أمور بلديه ، ج ١ ، إستانبول سنة ١٩٢٢ ، ص ٦٧٥ — ٦٨٩ (٣) م. م. ز. پاك آلين : عثمانلى تاريخ ديبملرى وترملرى سوزلغى ، إستانبول ، سنة ١٩٤٦ وما بعدها ، ج ١ ، ص ١١٥ ، و٧٨٠ — ٧٨٣ (٤) Gibb & Bowen: ج ١/١ ، ص ٣١٠ — ٣١١ .

خورشيد [لويس . Lewis]

«البراء بن عازب » بن الحارث الأوسى الأنصارى : قائد من قواد المسلمين ، أرجعه النبى محمد (صلعم) هو ومعاصره عبدالله بن عمر بن الخطاب وكثيراً غيرهما من غزوة بدر لحداثة سنهم ، ولكنه شهد بعد ذلك عدة غزوات أخرى تحت إمرة النبى . وعند ما أرسل النبى خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعو إحدى القبائل العربية إلى الإسلام كان البراء ممن ذهبوا معه؛ وفى عهد عمر ، أرسل المغيرة بن شعبة والى الكوفة البراء مع حنظلة بن زيد إلى قزوين ففتحوا إقليم أبهر . واستنجد أهل قزوين بالديلم ولكنهم سرعان ما خضعوا وأرغمت الديلم على أداء الجزية : وزحف البراء بعد ذلك إلى جيلان والببر والطيلسان ثم فتح زنجان . واشترك البراء كذلك مع على فى وقعة الجمل وفى صفين و فى النهروان ، واستقر البراء زمناً ما فى الكوفة ثم رحل إلى المدينة ، وتوفى بها أو بالكوفة فى عهد مصعب بن الزبير .

المصادر :

(١) ابن سعد ، ج ٤ ، القسم الثانى ، ص ٨٠ وما بعدها ؛ ج ٦ ، ص ١٠ (٢) الطبرى ، ج ١ ، ص ١٣٥٨ ، ١٧٣١ — ١٣٧٢ (٣) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ج ٣ ،

ص ١٧ ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨ (٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧١ — ١٧٢ (٥) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ٣١٧ وما بعدها (٦) Caetani : *Annali dell Islam* ، انظر الفهرس .

[K.V. Zettersteen تسترشتين]

«البراء بن مَعْرور» : من صحابة النبى ﷺ وهو واحد من الأنصار الخمسة والسبعين الذين اجتمعوا فى موسم الحج عند العقبة فى صيف سنة ٦٢٢م ليحالفوا النبى . وكان البراء ابن معرور الخزرجى شيخا مسنا وله مقام كبير . ولما قال النبى إنه يريد أن يعاهدوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم أخذ البراء بيده وعاهده على ذلك باسم الحاضرين جميعا وبايعه .

وفى هذا الاجتماع نفسه الذى سمى باسم بيعة العقبة الثانية اختير اثنا عشر نقيبا من الجماعة الجديدة فى يثرب وجعل البراء بن معرور زعيما لبنى سلمة .

وللبراء شهرة فى تاريخ الإسلام أيضاً لأنه غيّر القبلة قبل محمد ﷺ واستقبل الكعبة فى صلاته . ولما قال له النبى : « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها » فرجع إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبل الشام غير أنه عندما حانت منيته طلب أن يدفن متجها نحو الكعبة .

وتوفى البراء فى المدينة فى شهر صفر قبل أن يصل إليها النبى بشهر وبعد أن أوصى للنبى بثلث ممتلكاته .

المصادر :

(١) ابن سعد ، المجلد الثالث ، قسم ٢ ، ص ١٤٦ وما بعدها (٢) ابن هشام ، طبعة فستنفلد جـ ١ ، ص ٢٩٤ وما بعدها (٣) الطبرى ، جـ ١ ص ١٢١٧ وما بعدها (٤) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٢ ، ص٧٦، ٧٨ (٥) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٣ وما بعدها (٥) Müller : *Der Islam im morgen und Abendland* ، جـ ١ ، ص ٨٩ (٦) Caetani : *Annali dell, Islam* انظر الفهرس .

[K.V. Zetterstéen تسترشتين]

«بَرابْرَه» : جمع بربرى، وهى تطلق فى مصر على النوبيين أو البرابرة كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادى الأعلى لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان حتى دنقلة ، وإذا اتفق وزرنا إحدى بلدان تلك المنطقة لعجبنا من قلة الرجال الذين نصادفهم فيها ، فإنا لا نرى سوى النساء والأولاد والشيوخ . والأرض الخصبة هناك ليست كبيرة ، والسكان كثيرون . فيهاجر الرجال إلى مصر للبحث عن العمل فى المدن الكبيرة خدماً وطهاة وسائقين للعربات وحمالين وسعاة وغير ذلك . وبعد أعوام قليلة

من عملهم يعودون إلى وطنهم بما كسبوه . والبرابرة جنس خفيف الروح نشط أمين ، وهم يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أى لغة أوربية أخرى ، ولكنهم إذا تعلموا العربية لا يجيدون النطق بها ومن ثم أطلق عليهم اسم البرابرة . أما لغتهم الأصلية فهى النوبية ويمكننا أن نقول الآن إن تلك اللغة على صلة باللهجات السودانية ، وهى موضوع دراسات علمية فى الوقت الحاضر .

والبرابرة يعيشون فى القاهرة والإسكندرية متحدين فى هيئات تشبه النقابات تختلف باختلاف مهنهم ، وهم بوجه عام متحدون فيما بينهم . والإسلام دين البرابرة ، وهم من أتباع المذهب المالكى . ويتبين اتحادهم فيما بينهم أيضاً من أن الجزء الأكبر منهم تابع للطريقة الختمية ، وهى فرع من الطريقة الأحمدية المصرية . وشيخهم الأكبر فى الوقت الحاضر هو الشيخ الميرغنى ، وتعرف طريقته فى القاهرة أيضاً باسم الميرغنية . ولما كان البرابرة محبين للاجتماع فإنهم يقطنون معاً فى أغلب الأوقات . وهناك مثل مصرى يقال عند نزول المطر بشدة وهو: « أمطرت برابرة » .

ويمكن الرجوع إلى مادة النوبة فيما يختص ببلادهم وتاريخهم الحافل .

المصادر :

(١) A. von Kremer : *Aegypten* ، ص ١٠٠ وما بعدها (٢) Schweinfurth فى *Baedeker* : *Aegypten* ، الطبعة السادسة ، ص ٤٢ (٣) Socrate Spiro : *An Arabic English Vocabulary* ، وانظر كذلك مادة « بقط » .

[بيكر C.H. Becker]

+ برابره (ومفردها بربرى) : قوم مسلمون يتكلمون بالنوبية ويسكنون ضفاف النيل بين الشلال الأول والشلال الثالث ، ويشمل هذا الاسم: الكنوز ، والسكوت ، والمحس . ولم يجر هؤلاء القوم على إطلاق اسم البرابرة على أنفسهم ، ويقول لين Lane (جـ ١ ، ص ١٧٧ ، عمود ٣) إنه تسمية حديثة متأخرة كان الكتاب المتقدمون يطلقونها على بربر المغرب . ويربط الدناقلة (انظر هذه المادة) الذين يعيشون أعلى الشلال الثالث ، رابطة نسب بالكنوز ، ولكنهم لا يعدون أنفسهم برابرة . والأرض التى يسكنها البرابرة الآن هى الجزء الشمالى لمملكة «مقرة» المسيحية النوبية التى دخلت فى عهد مع عبد الله ابن سعد سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) . وقد بدأت الحلة العربية بهجرة ربيعة إلى إقليم أسوان سنة ٨٦٩ م . ويقال إن الخليفة الفاطمى الحاكم ، بعد هزيمة أبى ركوة سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٦ م) ، قد منح شيخ ربيعة فى أسوان لقب كنز الدولة (المقريزى : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، نشره وترجمه F. Wüstenfeld بعنوان *El Macrizi's Abhandlung ueber in Aegypten eingewanderten arabischen Staemme* فى *Goettinger Studien* ، ٣ ، ٧ ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥ ، ٤٧٥ ، كوتنكن سنة

١٨٤٧). وقد عرف برابرة هذا الجزار الذين نشأوا من تصاهر العرب والنوبيين باسم بني كنز أو كنوز .

وفي القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تفككت أوصال مملكة مقرة تحت ضغط العرب . فلما فتح السلطان سليم مصر أقيمت حاميات من الجنود البوشناق (ويعرفون محليا بالغز) في أسوان وإبريم وساى ، على حين وضعت منازل البرابرة تحت إمرة « كاشف » . وقد ظل الغز ، رغم المصاهرات واصطناع اللغة النوبية ، جماعة متمايزة حتى القرن التاسع عشر .

وفي القرن الثامن عشر كان البرابرة الشماليون تحت ولاية خمام أبي يوسف شيخ هوارة القوى . وقبيل غزو محمد على للسودان ، كان يتولى أمر « كاشفلق » البرابرة ثلاثة إخوة اتخذوا مقرهم « الدر » . وكانت الأكتاف الغزية لأسوان وإبريم وساى تحت إمرة الأغوات الموكلين بها . وقد رحل محمد عثمان الميرغنى ، رأس الطريقة الختمية ، من أسوان إلى دنقلا قبل فتح محمد على للسودان بسنوات قلائل واكتسب هناك كثيراً من الأنصار . وكان فقر أرض البرابرة حافزا لهم على الهجرة . وفي القرن السادس عشر قامت منازل محسية على النيل الأزرق ، أقامها مهاجرون اشتهروا بالولاية وأسسوا مدارس لتحفيظ القرآن . وقد لاحظ رحالة القرن الثامن عشر وجود الخدم البرابرة في القاهرة .

المصادر :

(١) H. A. MacMichael : *A History of the Arabs in the Sudan* ، كمبردج سنة ١٩٢٢ ، ج ١ ، ص ١٢ — ٣٤ ، ١٥٥ — ١٩٠ ، والفهرس ؛ (٢) J. S. Trimingham : *Islam in the Sudan* ، لندن سنة ١٩٤٩ ؛ وقد اشتمل هذان الكتابان على إشارات وافرة إلى المصادر ؛ (٣) وانظر وصفاً كاملا لأحوال البرابرة في أوائل القرن التاسع عشر في J. L. Burchardt : *Travels in Nubia* ، لندن سنة ١٨١٩ .

خورشيد [هولت P.M. Holt]

« بَرَاثَا » : اسم مكان كانت له شهرة قبل الإسلام في الرقعة التي خطت فيها بغداد فيما بعد الإسلام ، وقد انتهى به الأمر إلى أن اندمج في بغداد (انظر مادة «بغداد») . وهذا المكان على مسافة قريبة من الجنوب الشرقي من قرية مُحَوَّل عند البقعة التي ينفصل فيها نهر كَرْخايا الذي يروي حى الكَرْخ التجارى عن قناة عيسى الكبيرة الصالحة للملاحة . ولا يفصل هذه الضاحية عن بغداد ، أعنى عن الجزء الجنوبي من النصف الغربي من المدينة ، إلا جبانة من الجبانات وبستان من النخيل . وكان جامع بَرَاثَا لعهد طويل بمثابة معبد للشيعة ، وسبب ذلك أن هناك رواية لا أساس لها تذهب إلى أن عليا صلى في البقعة التي فيها هذا الجامع ، واغتسل بالقرب منه أثناء قتاله الخوارج سنة ٣٧ للهجرة (٦٥٨ م) ، وتذهب رواية أخرى

إلى أن عليا استحم فى الحى الذى به السوق القديمة للمدينة أو «السوق العتيقة» ، وهى بين باب البصرة الموجود فى مدينة المنصور المدورة وشاطئ دجلة ، وهم يذكرون موضعاً آخر فى تلك البقعة أيضاً يقولون إن علياً صلى فيه ، وانساق الخليفة المقتدر (٩٠٨ — ٩٣٢ م) إلى رأى أهل السنة فأمر بهدم مسجد الشيعة فى براثا ، وأقيم مكانه جامع لأهل السنة فى عهد الخليفتين الراضى والمتقى اللذين وليا الخلافة بعد المقتدر . وكان هذا الجامع فى عهد الإصطخرى (أواسط القرن الرابع الهجرى — القرن العاشر الميلادى) أحد المساجد الجامعة الثلاثة التى كان يصلى فيها الخلفاء ، ويقول ياقوت فى وصف براثا إنها الجزء الأكبر من الجانب الغربى لبغداد وكانت لعهده قفراً ، ولم يبق من الجامع إلا بقايا من جدرانه .

واسم براثا من اللغة الآرامية بَرَيْثا ومعناه الخارج ، انظر عن هذا الموضوع كتاب فراينكل Fraenkel : *Die aram. Fremdwoerter im arab* ، ص ٢٠ .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، فى مواضع مختلفة (٢) الخطيب البغدادى ، طبعة سالمون Salmon ، باريس سنة ١٩٠٤ ، ص ١١٦-١١٧ ، ١٤٨-١٥١ ، ١٦٨ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ (٤) L. Strange : *Baghdad during the Abbasid caliphate* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٠ ، ص ١٥٣ — ١٥٦ ، ٣٢٠ (٥) Streck : *Babylonien nach den arab. Geographen* ، سنة ١٩٠٠ ، جـ ١ ، ص ٥٢ ، ٧١ ، ٩٠ ، ٩٤—٩٥ ، ١٥٢—١٥٣ .

[M. Streck شترك]

+ براثا : اسم حى سكنى على الجانب الغربى من بغداد القديمة إلى الجنوب من حى «باب مُحَوَّل» ، كان فى الأصل على مسيرة ثلاثة كيلومترات تقريباً من بغداد القديمة . وقد جرى القول بأن يكون فى براثا مسجد لصلاة الشيعة يقول ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) إنه قد أتى عليه الخراب تماماً ، ويقول أيضاً إن الحى قد درس فلم يبق له أثر ؛ وقد شيد هذا المسجد سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) ، ثم هدم بعدُ على يد الخليفة العباسى الراضى بالله ، ثم أعيد بناؤه بعد ذلك وظلت تمارس فيه الشعائر حتى بعد عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وهنالك هجر آخر الأمر .

وقبل بناء مدينة بغداد ، كانت براثا قرية يزعم الشيعة أن على بن أبى طالب مر بها وصلى على موقع المسجد . والاسم براثا مشتق من الكلمة السريانية «بَرَيْثا» ومعناها «الخارج» .

المصادر :

(١) ياقوت ، ١ ، ص ٥٣٢ — ٥٣٤ (٢) مراصد الاطلاع ، القاهرة سنة ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ١٧٤ (٣) الصولى : أخبار الراضى

والمثنى ، طبعة Dunne ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ، ص ١٣٦ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٨٥ (الترجمة الفرنسية بقلم Canard ، الجزائر سنة ١٩٤٦ — ١٩٥٠ ، الفهرس) (٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد (المقدمة الخاصة بخطة المدينة) طبعة Salmon ، باريس سنة ١٩٠٤ ، ص ١١٦—١١٧ ، ١٤٨ — ١٥١ ، ١٦٨ (٥) ابن حوقل ، ص ٢٤١ (٦) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤٤ (٧) ابن الجوزى : مناقب بغداد (طبعة الأثرى) ، بغداد ، سنة ١٣٤٢ هـ ، ص ٢١ ، ٢٢ (٨) أحمد حامد الصراف : الشبك ، بغداد سنة ١٩٥٤ ، ص ٢٧٠ — ٢٨١ (٩) على بن الحسن الإصبهانى : تاريخ مسجد براثا ، بغداد سنة ١٩٥٤ ، ص ٢١ (١٠) G. Le Strange : *Baghdad during the Abbasid Caliphate* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٠ ، ص ١٥٣ — ١٥٦ ، ٣٢٠ (١١) Streck : *Babylonien nach den Arab. Geographen* ، جـ ١ ، ص ٥٢ ، ٧١ ، ٩٠ ، ٩٤—٩٥ ، ١٥٢—١٥٣ (١٢) Fraenkel : *Die Aram Fremdwoerter im Arab* ، ص ٢٠

[G. Awad خورشيد [عوض

« برَادِر » : وينطقها العامة « بِلادِر » . النطق التركى للكلمة الفارسية « برَادر » ومعناها أخ ، وهى صيغة للخطاب بين المسلمين الذين يتكلمون اللغة التركية ، ولا يستعملونها مطلقاً للدلالة على غير المسلم .

[Cl. Huart [إيوار

+ « بَرادوست » (برادُسْت) : اسم ناحيتين كرديتين ، الأولى فى الجنوب بين « أشنو » و « روانلوز » وحاضرتها كانى رش ، وتقوم فوق قنة وعرة على ارتفاع ٤,٣٧٢ قدما ، وهى تتاخم « گِرْدى » (شَمْدنيان) فى الشمال ، وشروان فى الغرب ، وبِلْباس فى الشرق ، وهيكلها كتلة قنديل الجبلية (C.J. Edmonds ، ص ٢٤٤ ، التعليق) ، ومنبعا الزاب الأصغر (لاون ثم كالوفى القطاع الفارسى) يقومان فى هذا الإقليم ، كما يقوم فيه أيضا نصب كل شين الأرَرْتُوى فى ممر يعرف بالاسم نفسه .

وثمة برادوست أخرى تعرف باسم « صوماى برادوست » تقوم إلى الشمال بين « تَرْ كَوَر » و « قطور » وقاعدتها چهريك قلعه (B. Nikitine ، ص ٧٩ ، ٢٦٣) ، وفيها اعتقل الباب قبل إعدامه فى تبريز .

وتاريخ برادوست الأول غير معروف لنا حق المعرفة . ويقول م . أ . زكى (تاريخ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩) إن مؤسسى هذه الإمارة هم الحسنويه (٣٤٨ — ٤٠٦ هـ = ٩٥٩ — ١٠١٥ م) متمثلين فى ناصر الدولة بدر وأبنائه الثلاثة ، وكان غازى قران ابن سلطان هو أشهر أمير من هذا البيت ، وقد عارض هذا الأمير فى أول الأمر الشاه إسماعيل ، ولكن علاقاته به تحسنت من بعد ، وقد خلع عليه الشاه لقب « غازى قران » وأقطعه من نواحى « تر كَوَر » و « صوماى » و « دول » ، وهكذا ظل هذا الأمير الشجاع مستقلا فى أمور دولته الداخلية حتى وقعت معركة چالدران المشهورة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) .

و ذلك أخذ يتحلى سلطان العثمانيين شأنه شأن
الأمراء الكرد الآخرين . واعترف العثمانيون
بشأنه ومنحوه عدة نواح فى ولايات إربل وبغداد
وديار بكر . وقد أسس إمارة صوماى الشاه محمد
بك ابن غازى قران ، وظلت سلالته تحكمها حتى
زوال هذا الفرع من الأسرة . وكان أمير صوماى
يلقب سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) بلقب أوليا بك .

أما عن تركور فقد كان أمراء هذا الفرع أيضا
شعبة من قبيلة برادوست . ويقول شرف خان
إن ناصر بك بن قارين بك ابن الشيخ حسن كان
أمير هذا الإقليم فى زمنه (القرن العاشر الهجرى
الموافق السادس عشر الميلادى) . وكان الأمير
خان بِكْدَس أشهر ممثلى هذا الفرع . وقد دافع عن
نفسه فى قلعة « دِمْدِم » التى أصبحت من
أهم موضوعات الأدب الشعبى الكردى . وكان
هذا الرجل أميراً فى أوائل عهد الشاه عباس الأول ،
وقد انتقض على هذا الشاه واعتصم بالقلعة . ووقعت
هذه الحوادث سنة ١٠١٧ .

ونذكر أيضا من الزعماء الآخرين لبرادوست
فى الجنوب فيض الله بك الذى أشار إليه لايارد
(ص ٣٧٣ ، ٣٧٤) ، ويوسف بك الذى حقق
لنفسه الشهرة بقتاله مير محمد صاحب شمدينان ،
وقد اغتاله بالرغم من قيام معاهدة بينهما ومن ثم
ضرب المثل القائل « برادوست بر آى دوست »
(أى برادوست صديقة شهر ...) . وكان فى
الشمال صادق خان الذى كان له شأن فى قيام الأسرة
القاجارية ، وقد انتقض هذا الأمير من بعد على
فتح على شاه سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) . وأدنى
من هذا لزمننا نذكر إسماعيل أغا صيمْقو عبدوى ،
وقد اشتهر عشية الحرب العالمية الأولى وأثناءها
فى الجبهة الروسية التركية وفى العراق . وفى فبراير
سنة ١٩١٨ استطاع صيمقو أن يوقع البطرق
النسطورى بنيامين مار شمعون فى أحبولة ثم اغتاله .
وظل صيمقو إلى حين سيد جميع الإقليم الذى إلى
الغرب من بحيرة أرمية ، ولكن حملة فارسية
تأديبية استطاعت أن تطرده من هذا الإقليم سنة
١٩٢٢ ، والتمس ملجأ بالقرب من رواندوز ،
وحاول بعد سنوات قلائل أن يعود إلى بلاد فارس
ليوطد مركزه ، ولكنه قتل بالقرب من أشنو
(C.J. Edmonds ، ص ٢٥٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ،
٣١٥ ، ٣٦٥) . ومن قبائل برادوست الكبرى
القبيلة التى تحمل هذا الاسم وقد فقدت شأنها .
وقبيلة البالكى هى فى الوقت الحاضر أقوى القبائل
فى الجنوب ، وتعدادها عشرة آلاف أسرة أو نحو
ذلك . ومنازلهم فى كتلة قنديل الجبلية المنيعة ،
وقاعدتها بلدة « رايت » ، وكان الأمير سُهْران
صاحب الغلبة هناك من قبل ، وقد جرى هذا الأمير
على أن يجند فى جيشه رجلا من كل أسرة . ولما انقطع
فرع سهران ، استعادت القبيلة استقلالها ولا تزال
تحتفظ به حتى اليوم (سنة ١٩٥٦) . وزعيمها
الحالى هو عزيز بك (م. أ. زكى : خلاصة ،
ص ٣٩٢) . أما فى الشمال فإن الشقاق هم القبيلة
الرئيسية ، وتعدادها نحو من ٢٬٠٠٠ أسرة (م. أ.
زكى : خلاصة ، ص ٤١٣) . وفى رواية
« تاريخ جودت » الذى استشهد به زكى (انظر

كتابه المذكور ، ص ٢٣٨) إن هذه القبيلة هي وقبيلة الحيدرانلو تنتميان إلى أصل واحد . وكان موطنهم الأصلي في جوار ميافارقين .

المصادر :

(١) H.C. Rawlinson : *Notes on a journey through Persian Kurdistan* في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ، ج ١٠ ، ص ٢٠ (٢) Layard : *Nineveh and Babylon* ، لندن سنة ١٨٥٣ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٤ (٣) Binder : *Voyage au Kurdistan* ، سنة ١٨٨٧ ، ص ١٠٣ (٤) F. Millingen : *Wild Life among the Kurds* ، سنة ١٨٧٠ ، ص ٣٤٥ وما بعدها (٥) O. Mann : *Die Mundart der Mukri Kurden* ، سنة ١٩٠٦ ، ج٢، ص ١—٤ ، ١٩—٤٨ (دملم) ، ص٢٤ ، تعليق ١٧ (كاني وش) (٦) Westrap : *Unter Halbmond u. Sonne* ، سنة ١٩١٢ ، ص ٢١١ — ٢٢٥ (٧) م.ا.ز كي : تاريخ الدول ...: الكردية ، القاهرة سنة ١٩٤٥ (٨) خلاصة تاريخ الكرد ، بغداد سنة ١٩٣٦ ، ص٢٠٠—٢٠٦ (دملم) (٨) C. J. Edmonds : *Kurds, Turks, Arabs* ,OUP سنة ١٩٥٧ (٩) *Folklora Kyrmanca* ، إريوان سنة ١٩٣٦ ، ص ٥٦٧—٥٧٨ (دملم) ، إريوان سنة ١٩٥٧ ، ص ١٠٦ — ١٢٥ (دملم) (١٠) B. Nikitine : *Les Kurdes* ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٢٦٣ چهريك قلعه) .

خورشيد [نيكيتين B. Nikitine]

« برار » : ولاية في الهند بين خطي عرض ١٩° ٣٥َ و ٢١° ٤٧َ درجة شمالا ، وخطي طول ٧٥° ٥٩َ و ٧٩° و ١١َ شرقي گرينوتش ، ويحدها من الشمال تلال ساتپُرا ومن الشرق نهر « وَرْدَهَا » ، ومن الجنوب نهر پنگنگا . وفي سنة ١٩٠١ كان عدد سكان هذه الولاية ٢,٧٥٤,٠١٦ نسمة منهم ٢١٢,٠٤٠ مسلما .

وغزا المسلمون ولاية برار لأول مرة في سنة ١٢٩٤ م ، غير أن أقدامهم لم تثبت فيها إلا في سنة ١٣١٨ م عند ما أصبحت جزءا من مملكة دهلي : وكانت إحدى ولايات الشاهات البهمنية (انظر هذه المادة) ثم تألف منها مُلك بني العماد] شاهية (انظر هذه المادة) وذلك عندما نادى عماد الملك حاكم برار باستقلاله سنة ١٤٩٠ م. ، في عهد الملك البهمني محمود شاه الثاني .

فلما دالت دولة بني عماد سنة ١٥٧٥ م انتقل حكم برار إلى النظامشاهية ملوك أحمد نگر ثم ألحقت سنة ١٥٩٦ م بمملكة المغل . وكان آصف جاه قد عين نائبا للملك في الدكن ولقب بلقب نظام الملك ، غير أنه نادى بنفسه ملكا مستقلا في سنة ١٧٢٤ فانفصلت برار عن مملكة المغل ، وأصبحت من وقتها تخضع بالاسم فقط لنظام حيدر آباد .

وفي معاهدة سنة ١٨٥٣ م أعطيت برار وبعض النواحي الأخرى إلى شركة الهند الشرقية ، وكان يؤخذ جانب من دخلها للوفاء بديون مملكة حيدر آباد والجانب الآخر لنفقة مجندي حيدر آباد . وفي سنة

١٩٠٢ م عقدت الحكومة البريطانية اتفاقا جديدا مع النظام ثبتت به حقه على برار ، وآجرت الولاية لحكومة الهند نظير إيجار سنوى قدره ٢٥ لخًا من الروبيات (١٦٦,٦٦٦ جنيها إنكليزياً) .

المصادر :

(١) T.W. Haig فى *Imperial Gazetteer of India, Provincial series Berar* كلكتة، سنة ١٩٠٩م .

+ وفى عهد نائب الملك فى الهند اللورد ريدنگ Lord Reading تقدم النظام بطلب لاستعادة برار ولكن طلبه لم يظفر بالإجابة ، ثم حدث من بعد فى عهد اللورد ولنگدون Willingdon واللورد لنلثگو Linlithgow أن لوّح للنظام بعض التلويحات ، ولكن برار ظلت تحكم حتى سنة ١٩٥٦ بوصفها جزءاً من الولايات الوسطى .

المصادر :

(١) William : *Pecuniary Transactions of Messrs Palmer and Co.*) Court of Proprietors E.I.C. لندن سنة ١٨٢٤) (٢) R. G. Burton : *History of the Hyderabad Contingent* ، كلكتة سنة ١٩٠٥ (٣) *Imperial Gazetteer of India* ، مادة برار ، أوكسفورد سنة ١٩٠٨ (٤) *Parliamentary Papers* برار ، سنة ١٩٢٥ ، Cmd ٢٤٣٩ ؛ ١٩٢٦ ، Cmd ٢٦٢١ .

[كولن ديفز C. Collin Davies]

+ « برافا » : (انظر مادة « بروة ») .

« بُرَاق » : أطلق هذا الاسم الذى يتصل بالبَرْق فى الأثر للدلالة على حيوان خرافى امتطاه النبى ليلة المعراج .

وقد أشير فى القرآن (سورة الإسراء ، الآيتين ٥١ ، ٥٩ ؛ سورة النجم ، الآيات من ١ — ١٨) إلى رؤيا للنبى رأى فيها أنه حُمل من مكة إلى بيت المقدس ، وصعد من هناك إلى السماء . والحيوان الذى امتطاه النبى لا يصفه القرآن ولا يذكر اسمه ، ولكن المفسرين يقولون إن محمداً كان فى تلك الليلة فى الحجر بالبيت الحرام وجاءه جبريل بالبراق .

وقد وشّيت هذه الأسطورة كثيراً وأصبحت موضوعا من الموضوعات المحبوبة التى توحى إلى الشعراء ومصورى المنمنمات . وهناك أوصاف مستفيضة للبراق تصوره على هيئة فرس لها رأس امرأة وذيل طاووس . ويوجد مقال قيم عن هذا الموضوع فى *Magasin Pitteresque* (١٨٧٦ م، ص ٣٠٤) ، أعيد فيه نشر منمنمة فارسية عجيبة .

وقد نشرت صورة أخرى للبراق فى نفس المجلة (سنة ١٨٨٤ م ، ص ٤) ، أخذت عن مخطوط أويغورى مشهور يشتمل على ترجمة القصيدة الفارسية عن ليلة المعراج المنسوبة لفريد الدين العطار (طبعة Pavet de Courteille ، وانظر أيضا ، أبو الفدا ، والبخارى إلخ) ، وقد امتطى البراق أيضاً إبراهيم عندما ذهب لزيارة ابنه إسماعيل فى منفاه بمكة (انظر الطبرى : تاريخ الفرس ، ترجمة زوتنبرغ ، جـ١ ، ص ١٦٥) .

[كارا ده فو B. Carra de Vaux]

تعليق على مادة « براق »

في حديث الإسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به أتى بدابة « دون البغل وفوق الحمار ، أبيض ، يضع خطوه عند أقصى طرفه » وهذا هو الوصف الوارد في الأحاديث الصحاح للبراق : وهي أحاديث لاشك في صحتها عند أهل العلم بالحديث ، بل هي في جملتها متواترة قطعية الثبوت : وهذا الوصف وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس من أقوال المفسرين كما يزعم كاتب المادة ، وإن لم يصدق هو وأمثاله ذلك فلا شأن لنا بإقناعهم ، إذ أن هذه الشئون من الغيب الذى لايدخل تحت الحس والمشاهدة ، فلا يؤمن به إلا من يؤمن بأصل الإسلام ، وبنبوة محمد ورسالته ، فمن شاء أن يناظر فليناظر على أصل الإسلام أولا .

وقد كان لكاتب المادة مندوحة أن يتحاشى الألفاظ الجافة في تعبيره .

وهذا البراق ليس حيوانا كما يظن الكاتب من ظاهر لفظ «دابة» الذى عبر به عنه في الأحاديث ، لأنه من أمور الغيب التى أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم مما وراء هذه المادة التى في متناول الحس البشرى : ولا يستطيع العقل الإنسانى أن يفهم مدلول هذه الأشياء الخارجة عن نطاق قوته التى منحت له : إلا بالتعبير عنها بألفاظ تدل على مدلولات مما يُحَس ويُرى ويُشعر ، كما جاء وصف الجنة والنار في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وكما جاءت بعض أوصاف في الأديان السابقة ، على لسان الأنبياء قبل نبينا ، صلى الله عليهم أجمعين .

إن هذه الأمور الغيبية إنما أمرنا بالإيمان بها كما وردت ، لا نتكلف أن نصورها بأكثر مما عبر عنها الله في كتابه أو رسوله في سنته ، وقد جعل الله من أول فضائل المؤمنين أنهم (الذين يؤمنون بالغيب) فيصدقون رسولهم فيما أخبرهم ، مما غاب عن حسهم وقصرت عقولهم عن إدراكه ، وليس بضارهم شيئا أن يؤمنوا به ، بل في الإيمان به كل الخير : ثقة النفس بالله ، والاعتراف بقدرته وضعف الإنسان فيتبع أوامر ربه كلها ، فيما فهم ومالم يفهم ، وفيما أحب وفيما كره (ألم : ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين : الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) [سورة البقرة آية ١ — ٣] .

والمثل على ذلك حاضرة : يأمر أحدنا طفله بأمر كله لطفله نفع ورضى ، والطفل يعجب لأبيه ، ويرى أمره أحيانا مخالفا عقله الصغير ، وليس بمستطيع أن يدخله في نطاق تصوره ، ومع ذلك يأبى أبوه إلا أن يلزمه الطاعة ولعله في بعض الأمور لو خالف أباه كان فيها هلاكه .

ويرى الرجل العاقل أشياء من عمل من هم أكبر منه عقلا وعلما ، ينكرها ويجزم بأنها خطأ لا صواب فيه ، ثم إذا أمكن لغيره أن يفهمه عللها أو ملابساتها علم أنه أنكر صوابا ، وأن العلة إنما كانت في قصور فهمه .

وإنا لنقرأ كثيراً عن أبحاث الراصدين من علماء الفلك فنجد فيها أخباراً عما ظهر لهم من الرصد والحساب من أبعاد الكواكب من الأرض

التي نعيش عليها ، لا يمكن للرجل العادى الذى لم يدرس هذه العلوم أن يتصورها (بعض الكواكب يبعد عن الأرض ٢٢٠ ألف سنة ضوئية ، أى باعتبار أن الضوء يسير فى الفضاء بسرعة ١٨٦ ألف ميل فى الثانية الواحدة) وإنما يصدّق بها ثقة بالعلماء الذين بحثوا ونقبوا ، وقد يكون الخطأ فى حسابهم جللا ، ولعل الغلطة فى رقم من أرقام حسابهم تنتج فروقا بما لا يتصور عدّه من ملايين الأميال .

هذا كله فى عقل إنسانى أمام عقل إنسانى ، فماذا ترى فى عقل إنسانى ضعيف أمام قدرة الخالق وعلمه الذى يحيط بكل شىء ؟ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) [سورة الكهف آية ١٠٩]

وأما ما نقله الكاتب من أن بعض الناس تخيل صورة البراق فصوره أو وصفه فذلك شىء لا يعرفه الإسلام ولا المسلمون ، ولسنا نعبأ إلا بالبراءة منه .

وقد تعرض الكاتب للإشارة إلى الإسراء والمعراج وعبر عنهما بأنهما رؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وله شىء من العذر فى هذا ، إلا فى نسبته إلى النبى ، فإن الأحاديث الصحيحة المتواترة صريحة فى أنهما لم يكونا فى عالم الرؤيا ، إنما كانا فى اليقظة بالجسم والروح ، وكان هذا موضع الإعجاز ، وكان هذا مما أنكرته قريش ، ومما ارتد بسببه بعض ضعفاء الإيمان إذ ذاك ، ولم تكن قريش لتكذب رجلا يدعى أنه يرى رؤيا فى المنام ، فإن هذا مما يمكن أن يكون لكل إنسان ، إنما هم ينكرون شيئا معجزاً خارجا عن حدود القدرة البشرية ، وكاتب المادة إنما تبع فى كلامه بعض من أخطأوا من الكاتبين الإسلاميين فزعموا أن الإسراء والمعراج بالروح ، توهما منهم الحديث زعموه عن عائشة أنها ما فقدت جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ، وهو حديث لا أصل له ولا إسناد ، بل هو حديث مكذوب مفترى ، وعائشة كانت حين الإسراء طفلة صغيرة ، والنبى صلى الله عليه وسلم إنما دخل بها بالمدينة ، والإسراء كان بمكة قبل الهجرة .

احمد محمد شاكر

+ «بَراق بابا» : درويش تركى ، اكتسب شيئا من الشهرة فى عصر الإيلخانية ، ويقال إنه كان مريدا للصوفى المشهور صارى سلتوق (انظر هذه المادة) وقد ذكر فى الحديث عن الحركات البابائية والبكتاشية والمولوية ، ويعرف أتباعه بالبراقية ، وكان خليفته خيرام أميرجى . وثمة قصة حفظها لنا يازجى أوغلى تجعله أميراً سلجوقياً أدخله فى المسيحية بطرق يونانى ثم أعيد إلى حظيرة الإسلام على يد صارى سلتوق الذى أسبغ عليه سلطان ولايته وسماه باسم براق .

وتصفه المصادر العربية فتقول إنه من أهل توقات (وهى بوقات فى النص المطبوع من كتاب ابن حجر ، ويجب من ثم تصويبها) ، وأن أباه كان موظفا كبيراً وأن عمه كان نساخاً مشهوراً ، وقد نزح من تركية إلى إيران ، ويقال إنه كان له هناك بعض التأثير على غازان وألجايتو ، وفى جمادى

الأولى سنة ٧٠٦ (٥ نوفمبر سنة ١٣٠٦) بلغ هو وفريق من مريديه دمشق ، وكان لباسه وسلوكه فيها من العجب بحيث أكسبه مكانا فى التواريخ الإخبارية لإمبراطورية المماليك . وزار براق بيت المقدس ، ولكنه منع من زيارة مصر ، فقفل راجعا إلى إيران . وفى سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧ — ١٣٠٨ م) أقنع ألجايتو بإيفاده فى مهمة إلى جيلان ، وفيها قتل .

ويلتبس الاسم التركى بَراق أحيانا بالكلمة العربية « بُراق » (انظر هذه المادة) فينطق كما تنطق . أما صيغة « برّاق » التى أوردها إيوار Huart فصيغة خطئة أيضا . والحق إن الاسم كلمة تركية تطلق على نوع خاص من الكلاب ، وصفه كوپريلى بأنه « كلب لاشعر له » (Chamanisme ، ص ١١ — ١٥ ، رقم ٢٦) ووصفه پيليو Pelliot بأنه « كلب طويل الشعر يتفاوت نصيبه من الخرافة » (Notes sur l'histoire de la Horde d'or ، پاريس سنة ١٩٥٠ ، ص ٥٧ — ٥٨) . ولم يكن هذا الاسم بقليل الشيوع بين المغول والأتراك فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين (انظر بعض الشواهد فى G. Moravczik : Byzantinoturcica ، بودابست سنة ١٩٤٢ — ١٩٤٣ مادتى : بَراكُس ومَراك ؛ وانظر أيضا مادتى « براق » و« براق خان ») .

المصادر :

(١) أفلاكى : مناقب العارفين ، ترجمة Cl. Huart : Les saints des derviches tourneurs ، پاريس سنة ١٩١٨ — ١٩٢٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ (٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٨ — ٢٩ ، (Quatremère : Mamlouks جـ ٢ ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨) (٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ — ٤٧٤ (٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ (٥) المنهل الصافى (wiet رقم ٦٣٨) (٦) العينى : عقد الجمان فيما نقله عنه حسين حسام الدين : أماسية تاريخى ، ص ٤٦٠ — ٤٦٤ .

(٧) وقد درس م . فؤاد كوپريلى "براق بابا" وهو يرى فى تعاليمه ومسلكه صدى لأثر الشامانية التركية المغولية فى الإسلام . انظر كتاب كوپريلى : تورك أدبياتنده إيلك متصوفلر ، إستانبول سنة ١٩١٨ ، ص ٢٣٥ ، تعليق رقم ١ (٨) أناطولى ده إسلاميت ، دار الفنون أدبيات فاكولته سى مجموعه سى ، جـ ٢ ، سنة ١٩٢٢ ، ص ٣٩٢ — ٣٩٤ (٩) أناطولى سلجوقلى لرى تاريخنك يرلى قينـاقلرى فى بلتن ، جـ ٢ ، سنة ١٩٤٣ ، ص ٤٣١ ، تعليق رقم ١ (١٠) Influence du Chamanisme turco-mongol ، إستانبول سنة ١٩٢٩ ، ص ١٤ — ١٧ (١١) وانظر أيضا P. Wittek : Yazijioghlu Ali on the Christian Turks of the Dobruja فى Bulletin of the School of Oriental and African Studies ، جـ ٤٥ ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ (١٢) عبد الباقى گولپيكارلى : يونس إمره حياتى ، إستانبول سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٨ — ٤٩ ، (لم أطلع عليه) .

خورشيد [لويس B. Lewis]

« بُرَاق حاجب » (وأصح من هذا أن يقال « برّاق ») : ذكره ابن الأثير باسم بُلاق ، وهو أمير كرمان ومؤسس دولة جديدة فى تلك البلاد ؛ كان فى أول أمره من القراخطاى ، وهم قوم وثنيون ؛ ويقول الجُوَيْنى إنه جىء به إلى محمد ابن تكش الخوارزمى بعد موقعة « طلاس » التى هزم فيها القراخطاى فى ربيع الأول من سنة ٦٠٧ هـ (أغسطس — سبتمبر سنة ١٢١٠ م) ودخل فى خدمته . أما النسوى (طبعة هوداس Houdas ، ص ٩٥) فيروى أنه جاء إلى محمد مبعوثاً من القراخطاى (وقد ذكر الجوينى هذا عن أخى براق) وأن محمداً أبقاه قسراً لديه ؛ وتذهب هذه الرواية أيضاً إلى أن براقاً لم يدخل فى خدمة محمد إلا بعد انتصاره الحاسم على القراخطاى ، وأنه أقامه حاجباً له ، ويقال إنه كان يتولى هذا المنصب فى دولة القراخطاى أيضاً . وعندما فر محمد وأبناؤه أمام الغزو المغولى ذهب براق إلى بلاد العجم مع أمير من الأمراء هو غياث الدين پيرشاه .

وفى أواخر سنة ٦١٨ هـ (شتاء سنة ١٢٢١ — ١٢٢٢ م) توفى محمد وفر ابنه الأكبر جلال الدين إلى بلاد الهند ، وترك المغول البلاد بعد أن أعملوا فيها الخراب ، فنودى بغياث الدين أميراً على بلاد الفرس كلها تقريباً فولى براقاً والياً لإصفهان ؛ واختلف براق مع وزير تلك المدينة ، فاستأذن فى الذهاب إلى جلال الدين فى الهند ؛ وهاجمه فى طريقه إليها شجاع الدين أمير كرمان الذى أراد أن يسبى زوجات براق ويغنم ما معه ، ولكن براقاً وحرسه أوقعوا بخصمهم الهزيمة ، ولم يكتفوا بذلك بل فتحوا بلاد كرمان كلها فى وقت وجيز فعدلوا عند ذاك عن المضى إلى الهند (٦٢٩ هـ = ١٢٢٢ — ١٢٢٣ م) .

هذه هى رواية الجوينى . أما النسوى (المصدر المذكور) فيجعل براقاً والياً على كرمان من أول الأمر ؛ وعند ما جاء السلطان جلال الدين إلى كرمان سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) قدم براق خضوعه إليه فثبته فى حكم هذه الولاية ، وإن كانت بعض أفعاله قد أثارت الريبة فى نفس السلطان .

وبينما كان السلطان جلال الدين مشغولا فى حملاته على أرمينية جاءه الخبر فى جمادى الآخرة من سنة ٦٢٣ هـ (يونية من سنة ١٢٢٦ م) بأن براقاً خرج عليه وتحالف مع المغول بعيد ذلك ، فأرسل غياث الدين على رأس ٦٠٠٠ رجل ليقضى على الفتنة ، ثم تبعه جلال الدين بعيد ذلك فى جيش آخر ، ولكنهما لم يتمكنا من براق الذى احتمى بأسوار قلعته (انظر النسوى ص ١٢٤) ؛ ويظهر أن جلال الدين نفسه لم يصل إلى كرمان ، وأنه تلقى فى طريقه إليها رسلا عديدين أوفدهم إليه براق ليؤكدوا إخلاصه لمولاه ، وكان جلال الدين لايزال بالقرب من إصفهان ، فقرر أن يعدل عن قتال براق وأن يثبته فى منصبه ، بل إنه أرسل إليه أيضاً خلعة (ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ١٢ ، ص ٢٣٦) ؛

وفى أواخر سنة ٦٢٥ ﻫ (١٢٢٨ م) اختصم غياث الدين أخاه ، ففر إلى كرمان ومعه أمه التى أصبحت زوجاً لبراق بالرغم منها ومن ابنها . وبعد ذلك بقليل اتهم غياث الدين وأمه بأنهما دسا السم لبراق . فشنق براق زوجه وقتل حرس السلطان الذى كان يتألف من خمسمائة رجل ، وسجن غياث الدين نفسه ، ثم قتل وإن كان قد ذاع خبر بأنه استطاع الفرار إلى إصفهان .

ويقول الجوينى إن براقاً أنبأ الخليفة أنه اعتنق الإسلام وأنه سيكون تابعاً مخلصاً للإمام على خلاف أمراء دولة خوارزمشاه الذين كانوا يعادون بنى العباس ويريدون أن يعترف لهم باستقلالهم . ووافق الخليفة على طلبه ومنحه لقب قُتْلُغ سلطان ، أى السلطان السعيد . ويؤكد النسوى من ناحية أخرى أنه رأى بعينى رأسه خطاباً باسم براق أرسل إلى وزير السلطان جلال الدين يقول فيه إنه أدى إلى السلطان خدمة جليلة بأن قضى على ألد خصومه ، وأنه يرجو أن يثبته السلطان على دولة كرمان وقد بلغ سناً عالية .

ويروى لنا وصّاف (طبع فى الهند على الحجر ، ص ٢٧٨) أن براقاً قال للمغول إنه ذبح غياث الدين لأنه كان ثائراً على الخان الأكبر ، وأنه ــ حسب شريعة المغول ــ يرث دولة القتيل وله الحق فى سبى زوجاته ، ويقال إنه استند إلى هذه الشريعة عندما زحف على علاء الدولة محمود أتابك يزد الذى كانت أرملة غياث الدين موجودة لديه . واصطلح الأميران على أن يسلم أتابك يزد أرملة السلطان إلى أمير كرمان ، ويقال إنها ولدت له بنتاً ، وقد زوجه فى نظير هذا من ابنته .

وعندما أراد المغول فتح سجستان سنة ٦٣٢ ﻫ (١٢٣٥ م) طلب طائر بهادر قائد جيش المغول إلى براق أن ينضم إليه إعلاناً لخضوعه للخان الأكبر ، ولكن براقاً اعتذر بكبر سنه ، وأوفد ابنه ركن الدين إلى بلاد المغول عوضاً عنه ولكنه علم بوفاة أبيه فى الطريق ، وكان ذلك فى ٢٠ من ذى الحجة من سنة ٦٣٢ ﻫ (٥ سبتمبر سنة ١٢٣٥ م) وقد ذكر هذا التاريخ فى النسخة الخطية لكتاب تأريخ وصّاف الموجودة فى سانت بطرسبرغ ، أما النسخة المطبوعة على الحجر (ص ٢٨٨) فلم تذكر التاريخ .

المصادر :

(١) الجوينى : تأريخ جهـــان كشاى فى *Recueil de Textes relatifs àl'hist,. des* : Houtsma *Seldjoucides* ، جـ ١ المقدمة ، ص ٢٣ وما بعدها ؛ (٢) Houdas : *Histoire des mongols* ، جـ ٣ ، ص ٥ وما بعدها ، ص ١٩ ، ص ٣٢ وما بعدها ، ص ١٣١ وما بعدها ؛ (٣) Hammer-Purgstall : *Geschichte der Ilchane* ، جـ ١ ، ص ٦٦ .

[بارتولد W. Barthold]

« براق خان » : أمير مغولى من أمراء آسية الوسطى ، وهو الحفيد الأكبر للأمير چغتاى (انظر هذه المادة) وحفيد متوگن ، توفى فى باميان سنة ١٢٢١ م ، واشترك أبوه يسون توا ،

فى حوادث سنة ١٢٥١ (انظر مادة « باتوخان ») وكان مصيره مصير الأمراء الثائرين الآخرين .

وقد تعلم براق هو وأخواه فى منغوليا ، شأنهم فى ذلك شأن جميع ذرية چغتاى وأوگداى ، وبعد سنوات من اعتلاء الخان الأكبر خبلاى العرش (١٢٦٠ — ١٢٩٤ م) سمح لهم بالعودة إلى وطنهم والاستيلاء على چغانيان ، وكانت ملكاً وراثياً لأبيهم . وكان الأمير مبارك شاه ابن عم براق قد اعترف به قبل ذلك بوقت قصير زعيماً لأسرة چغتاى فى آسية الوسطى . ومبارك هذا أول أمير اعتنق الإسلام من أمراء هذه الأسرة . ومن ثم تلقى براق من الخان الأكبر مرسوماً « يارليغ » بتعيينه وصياً للعرش بجانب ابن عمه الأمير مبارك ، أما براق فإنه لم يهتم بهذا التغيير ، ولكنه أفلح بعد قليل من الزمن ، بالمؤامرات التى دبرها فى چغانيان ، من الوصول إلى غرضه دون أن يقوم بأى عمل عدائى ظاهر ضد مبارك . وقد انفض جميع أمراء أسرة چغتاى من حول مبارك شاه وانضموا إلى هذا المدعى الجديد للعرش ، ويقال إن مباركا نفسه اعترف بسلطان براق والتحق بخدمته فى البلاط رئيساً لصيادى الوحوش « بارس چى » .

ولسنا متأكدين من تواريخ هذه الحوادث ، إذ هى متضاربة . فيذهب جمال قرشى ، صاحب الرحلة الوحيدة التى تعد فى نظرنا المصدر الوثيق للوثائق الخاصة بآسية الوسطى (انظر Barthold: *Turkestan v epokhu mongolskago noshestvina* ، ج ١ ، ص ١٤٨) أن مبارك شاه اعتلى العرش فى جمادى الآخرة سنة ٦٦٤ (١٠ مارس — ٧ أبريل سنة ١٢٦٦) فى آهنگران . وفى ذى الحجة من العام نفسه) ١٣ سبتمبر — أول أكتوبر) سجنه براق فى خوجند ؛ ويقول وصّاف إن براق اعتلى العرش فى بداية سنة ٦٦٣ هـ (٢٤ أكتوبر سنة ١٢٦٤) . وذكر الأخوان نيقولا وماتيو پولو Nicola & Matteo Polo — اللذان لا بد أن تكون مدة الثلاث السنوات التى قضياها فى بخارى واقعة بين عامى ١٢٦٢ ، ١٢٦٥ م — أن براق خان كان أميراً لتلك البلاد . ومن المحتمل بناء على ذلك أن يكون ماركو پولو — الذى سمع الناس يتحدثون عن براق خان وغزواته فى فارس أثناء رحلة ماركو فى فارس وأفغانستان — قد أورد هذا الاسم خطأ عند كلامه عن الرحلة الأولى لأبيه وعمه .

وفى الأعوام التالية أخذ براق يدافع عن نفسه ضد قبلاى الخان الأكبر وضد قايدو حفيد أوگداى الخان الأكبر المطالب بالعرش فى آسية الوسطى . وطرد براق مُغُلتاى الذى عينه الخان الأكبر والياً على التركستان الصينية وولّى مكانه والياً آخر ، فأرسل الخان الأكبر لقتاله جيشاً عدته ستة آلاف فارس لإعادة الوالى المطرود إلى منصبه ، ولكن براق أرسل لملاقاته جيشاً يفوقه فى العدد بكثير (٣٠ ألف رجل) فلم يكن أمام فرسان الخان الأكبر إلا الانسحاب دون قتال ؛ وأعمل جنود براق السلب والنهب فى مدينة خُتَن ، وهى من أملاك الخان الأكبر .

وكان براق فى قتاله مع قايدو أقل توفيقاً ، إذ رجحت كفته بادئ الأمر ولكن خصمه استعان برجال القطيع الذهبى ، فظهر فى آسية الصغرى الأمير بَرْكَجار ، أخو الخان باتو والخان بركه Berke ، على رأس جيش عدته خمسون ألف مقاتل ، وبظهور هذا الأمير تغير سير تلك الحرب إذ انهزم براق وانسحب إلى ماوراء النهر كى يقاوم أعداءه مقاومة اليائس المستميت . ولكن قايدو نفسه طلب الصلح من براق ، فعقد المتحاربون مجمعاً « قرلتاى » وفيه اتفقوا على تأسيس إمبراطورية مستقلة تمام الاستقلال فى آسية الوسطى تحت سلطان قايدو .

وكذلك اتفقوا فيه على أن جميع الأمراء يجب أن يعتبروا أنفسهم إخواناً فى الدم « أنده » وأنه يجب حماية ما يملكه سكان الريف والحضر وأن يقنع الأمراء بالمراعى الموجودة فى السهوب أو فى الجبال ، وأن يعملوا على إبعاد القوم الرحل عن المناطق الزراعية . وقد ترك الجزء الأكبر من بلاد ما وراء النهر ، أى نحو ثلثى هذه البلاد ، فى أيدى براق ، ومع ذلك فقد جعلت الأراضى الزراعية فى تلك البلاد تحت إدارة الوالى مسعود بك الذى أقامه قايدو . وتختلف الروايات فيما يختص بالمكان الذى عقد فيه المجمع وبتاريخه ، فيذهب رشيدالدين إلى أن هذا المجمع عقد فى طلاس ، وذلك فى ربيع سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) .

ويقول وصّاف إنه عقد فى سهوب قطوان إلى الشمال من سمرقند بعد التاريخ المتقدم بسنتين أو ثلاث سنوات ، لأنه وفقاً لهذا المصدر يكون مسعود بك قد ذهب إلى إيران فى أواخر سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٨ م) بصفته مبعوثاً من قبل قايدو وبراق وأن الحملة التى وجهها براق لمقاتلة أباقا قد حدثت فى سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨ — ١٢٦٩ م) .

وقد دبر أمر هذه الحملة فى هذا المجمع ووافق عليها قايدو . ومن الراجح أن قايدو كان غرضه من تلك الوسيلة إبعاد خصمه عن البلاد ، ذلك الخصم الذى كان مصدر خطر دائم . وأرسل مسعود بك إلى إيران على زعم تحصيل ما يستحقه قايدو وبراق من الدخل ، إذ كان من المبادئ المقررة أن جميع أمراء البيت المالك لهم نصيب من دخل البلاد المفتوحة . أما الغاية الحقيقية من إرسال مسعود إلى إيران فهى أن يعرف تلك البلاد ويختبر شئونها . وبعد رجوع المبعوثين بقليل جهر براق بالعداوة واحتل بعض الأقاليم من أعمال خراسان وأفغانستان ، ولكن الجنود التى أرسلها قايدو تحت إمرة الأمير كبجاق لمعاونته لم تحسن معاونته ، بل تخلت عنه بعد قليل كما جاء فى كتاب رشيد الدين ، أما قايدو فيذكر بعد ذلك أن هذا الانسحاب قد تم بناء على أمره . ومن ذلك الوقت عاش قايدو وأباقا فى سلام ووئام . وهزم أباقا خصمه هزيمة منكرة فى غرة ذى القعدة سنة ٦٦٨ (٢٢ يولية سنة ١٢٧٠) واضطر براق إلى الانسحاب إلى ما وراء نهر جيحون نحو بخارى فى خمسة آلاف مقاتل فقط . وقد سقط براق أثناء الموقعة من فوق جواده وأصابه العرج فنقل على محفـــــة .

وتختلف المصادر فيما يختص بالسنة الأخيرة من حياة براق . فيذكر وصاف أنه قضى الشتاء في بخارى ، وفيها اعتنق الإسلام وسمى نفسه السلطان غياث الدين . وفي العام التالي جهز حملة للإغارة على سيستان (سجستان) ولكن مشروعاته باءت بالفشل بسبب غدر بعض الأمراء ، فاضطر إلى أن يسلم نفسه هو وامرأته إلى قايدو فأمر بسجنهما . أما التفصيلات التي ذكرها رشيد الدين في كتابه فهي أتم من معلومات وصاف وأصح منها على ما يظهر ، فقد جاء في كتاب رشيد الدين أن خيانة الأمراء حدثت عقب انسحاب براق إلى ما وراء نهر جيحون مباشرة . وأن براق نفسه ذهب إلى طشقند وهناك أرسل في طلب العون من قايدو. فخرج قايدو على رأس جيش عدته عشرون ألف مقاتل ، ولكنه لم يتقدم إلا ببطء شديد انتظاراً منه لنتيجة القتال بين براق والأمراء الثائرين ، ثم استغلال الموقف لصالحه ، وقد خرج براق منتصراً من القتال ، فأشار على قايدو « أخيه في الدم » أن يعود إلى بلاده إذ لم يعد في حاجة إلى معونته ، ولكن قايدو لم يكف عن زحفه إذ كان جيشه أقوى بكثير من جيش براق ، فلم يكد قايدو يصل إلى قرب معسكر براق حتى حاصره بجيوشه أثناء الليل . وقد مات براق من الخوف في تلك الليلة كما يقال .

ولما ظهر رسل قايدو في المعسكر في صبيحة اليوم التالي استقبلوا بالنواح وعلموا أن براق قد مات فرجعوا إلى سيدهم . وأمر قايدو أن يدفن براق فوق جبل عال أعنى كما يدفن المغول لا المسلمون .

وقد اشتكى الأمراء وعلى رأسهم مبارك شاه من استبداد براق فسمح لهم قايدو بأن يستحوزوا على المخلفات التي تركها براق ، وانتزعت امرأة مبارك شاه بيدها القرط من أذن أرملة براق . والتحق مبارك شاه بعد ذلك بقليل بخدمة أباقا . وليس من شك أن الأخبار التي رواها رشيد الدين قد استقاها من أحد رجال البلاط .

ويذكر وصاف أن براق توفى في أواخر سنة ٦٦٨ هـ (صيف سنة ١٢٧٠ م) أما جمال القرشي فيذكر أنه توفى في بداية سنة ٦٧٠ هـ (٩ أغسطس سنة ١٢٧١) . وجدير بنا أن نفضل الرواية الثانية لأنها هي الوحيدة التي تتفق والمعلومات التي ذكرها رشيد الدين عن العهد الذي حدثت فيه الحرب بين براق وأباقا ، تلك المعلومات التي تستأهل التصديق .

المصادر :

(١) تأريخ وصاف ، طبعة Hammer ، ص ١٣٤—١٣٥ ، والترجمة ص ١٢٧ وما بعدها (٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، نقلا عن المخطوطات المحفوظة في سانت بطرسبرغ ، وقد أعد E. Blochet النص لنشره في سلسلة گب Gibb التذكارية (٣) d'Ohsson : *Histoire des mongols* ج ٣ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ . (٤) Hammer - Burgstall : *Geschichte der Ilchane* ج ١ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

[بارتولد W. Barthold]

« البرامكة » :

١ — أسرة فارسية من أبنائها الوزراء الأولون من الفرس للخلافة الإسلامية ؛ وليس « برمك » اسم شخص ، وإنما هو لقب يطلق على الموبذ فى « نَوْبَهَار » وهو منصب دينى ورائى . وكانت الأراضى الملحقة بالمعبد فى يد أبناء هذه الأسرة أيضاً ، ومساحتها حوالى ٧٤٠ ميلا مربعاً (طولها ثمانية فراسخ وعرضها أربعة) أى أكبر قليلا من مساحة إمارتى ليب Lippe وشامبورغ ليب Schaumburg-Lippe معاً . وظلت هذه الضياع ، أو جزء منها ، فى حوزة البرامكة إلى عهد متأخر . ويقول ياقوت فى حديثه عن قرية « راون »[1] الكبيرة والكثيرة الخير شرقى بَلْخ إنها كانت ليحيى بن خالد بن برمك (جـ ٢ ، ص ٩٤٢) . و « نوبهار » اسم مشتق من كلمتين سنسكريتيتين هما « نفا » و « فهارا » ومعناهما المعبد الجديد إشارة إلى معبد بوذى . قال بذلك الحاج الصينى هوان چوانگ فى القرن السابع لميلاد المسيح (*Mémoires sur les contrées occidentales* ، ترجمة St. Gulien ، جـ ١ ، ص ٣٠ وما بعدها ؛ *Histoire de la vie de Hiouen — Thsang* ص ٦٤) بل لقد عرف هذا المعبد بعض جغرافيى العرب مثل ابن الفقيه (طبعة ده غويه ، ص ٣٢٢) الذى قال إن نوبهار تعبد فيه الأوثان وليس بيتا من بيوت النار ؛ وإذا أغفلنا بعض مبالغات ابن الفقيه فإننا نجد أن وصفه ينطبق تماماً على المعبد البوذى .

ولقد حاول الفرس أن يربطوا بين هذه الأسرة الفارسية الأصل وبين ما أثر عن الدولة الساسانية لأسباب لا تخفى ، فجعلوا المعبد البوذى بيتاً من بيوت النار (ياقوت ، جـ ٤ ، ص ٨١٩ وما بعدها) ونسبوا إنشاءه إلى ملوك الفرس الأقدمين ، كما زعم موابذته أنهم من سلالة وزراء آل ساسان (سياستنامه ، طبعة Schefer ص ١٥١) ولعل هذه المزاعم لم تنشأ قبل عهد هارون الرشيد ثم ذاعت فى المؤلفات المتأخرة التى لم تتأثر بها الروايات المحلية فحسب (فضائل بلخ فى Schefer : *Chrestomathie persane* ، جـ ١ ، ص ٧١) بل تأثر بها العلماء المحدثون أيضاً (Browne : *A literary History of Persia* ، ص ٢٥٧) .

وليس من المستحيل أن يكون ابن المقفع ، وهو فارسى الأصل ، قد وضع أقوالا كهذه . والحق إن معاصره خالدا لم يكن له من النفوذ أيام أبى العباس والمنصور ما كان ليحيى فى عهد هارون الرشيد ، ولكن مكانته وكرمه الذى جر المنافع على أهل بيته جميعاً كانا يغريان بوضع الروايات الفارسية التى تعظم من شأن البرامكة (ابن الفقيه ، ص ٣١٧) .

ويقول البلاذرى (طبعة ده غويه ، ص ٤٠٩) إن النوبهار خرب فى عهد معاوية والراجح

[1] فى معجم البلدان ، طبعة القاهرة عام ١٣٢٤ هـ ، جـ ٤ ، ص ٦١٥ أنها « بليدة من نواحى طخارستان شرقى بلخ ليست بالكبيرة » . م

أن ذلك كان بعيد عام ٤٢ هـ الموافق ٦٦٣–٦٦٤م (Marquart : *Eranshahr* ، ص ٦٩) : ويقول الطبرى إن الأمير نيزك ، وهو من أهل البلاد ، ضلى فى نوبهار فى زمن متأخر يرجع إلى عام ٩٠ هـ (٧٠٨ — ٧٠٩ م). وليس لدينا عن آخر البرامكة أبى خالد وأسلافه إلا روايات أسطورية ، ولم يستطع ابن خلكان نفسه أن يجزم بإسلام برمك ، ويذهب ابن الفقية (ص ٣٢٤) إلى أن خالداً هو ابن برمك هذا من ابنة أمير صغانيان ، ويروى الطبرى (جـ ٢ ، ص ١١٨١) فى حديثه عن حملة قتيبة بن مسلم على العصاة فى بلخ عام ٨٦ هـ الموافق عام ٧٠٥ م أن زوج المؤبد كانت من السبايا وأنها أمضت ليلة مع عبد الله أخى قتيبة وأنها حملت بخالد فى هذه الليلة ، ثم أطلق سراحها مع بقية الأسرى فى اليوم التالى ، وظاهر مما أضافه الطبرى عن أصل هذه القصة أنها من وضع أبناء عبد الله ، ولم يكن ذلك لتشريف هذا البيت الفارسى بالدم العربى ، كما ذهب البعض ، وإنما كان لتقريب البيت العربى من البرامكة أصحاب الحظوة عند الخلفاء ، ومن المحتمل أن نجد فى هذه القصة التاريخ المضبوط لولادة خالد . أما وفاته فقد ذكر أنها كانت عام ١٦٥ هـ الموافق ٧٨١ — ٧٨٢ م ، ومعنى ذلك أنه كان فى الخامسة والسبعين عند ما بلغته الوفاة : وكان أبوه برمك مبرزاً فى الفلك والفلسفة والطب ، وهو الذى عالج الأمير مسلمة بن عبد الملك (عن جاء ألم به (الطبرى ، بالمصدر المذكور) ،

ويستدل من هذا على أن برمك ترك موطنه ورحل إلى دار الخلافة ، وكان ذلك ، كما تقول روايات متأخرة ، فى عهد الخليفة عبد الملك عام ٨٦ هـ الموافق ٧٠٥ م ، وهو العام الذى توفى فيه الخليفة ، ويظهر أنه عاد إلى موطنه بعد ذلك ، وفى عام ١٠٧ هـ (٧٢٥ — ٧٢٦ م) أعاد ، بأمر الوالى أسد بن عبد الله ، بناء بلخ التى كانت قد خربت (الطبرى ، جـ ٢ ، ص ١٤٩٠) .

ولا نعرف عن ولادة خالد وتعلمه إلا القليل ، وليس هناك من الأخبار ما يدلنا على تاريخ تقربه من الخليفة أبى العباس ، أو سبب هذا التقرب الذى بلغ من الوثوق حداً جعل زوج كل من الخليفة ووزيره ترضع ابنة الأخرى (الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨٤٠) ، وبعد عام ١٣٢ هـ الموافق ٧٤٩ — ٧٥٠ م أسند إلى خالد الإشراف على ديوان الخراج ، وتقول بعض المصادر إنه كان يلقب بالوزير وقتذاك (المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٤٠ — ٣٤٢ *Frag. Hist. Arab.* ، طبعة ده غويه ، ص ٢١٥ ، ص ٢٦٨) ويظهر أنه كان أول الكتاب الذين حملوا لقب الوزارة ، ولم يذكر الوزير أبو سلمة على أنه أول «وزير لبيت محمد» بين الكتاب ، ولعله كان وزيراً بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة فى القرآن (سورة طه ، آية ٢٩ وما بعدها) أو بالمعنى الذى ورد على لسان أبى بكر فى المصادر التاريخية (الطبرى ، جـ ١ ،

ص ١٨١٧ ، ص ٦٦ ، ص ٢٩٤٠ ، ص ١١) .
بل لم يكن خالد نفسه وزيراً بالمعنى الذى كانت تحمله هذه الكلمة فيما بعد . ولم تقف شهرته عند القدرة فى الحكم والسداد فى المشورة بل تعدت ذلك إلى البراعة فى الحرب . وانضم تحت لواء أبى مسلم وقائده قحطبة بن شبيب مناصراً آل محمد ومحارباً دولة بنى أمية .
واستعمل على طبرستان بين عامى ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) و ١٥٢ هـ (٧٦٩ م) وخرب أثناء ذلك مَصْمَغَان فى جبل دَمَاوَنْد (Marquart : *Eranshahr* ، ص ١٣٨) ويقال إن أهل طبرستان بعد هذا الانتصار نقشوا على دروعهم صورة خالد وسلاحه (ابن الفقيه ، ص ٣١٤) . وفى عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٧٨٠ م) ظهرت براعته الحربية فى الاستيلاء على صمالو ، وهو من حصون الروم ، مع أنه كان قد طعن فى السن (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٤٩٧) .

وأول ما نجد خالداً يشير على الخليفة المنصور فى قضية تخطيط بغداد عام ١٤٦ هـ الموافق ٧٦٣ — ٧٦٤ م ، وفى تنازل عيسى ابن موسى عن حقه فى ولاية العهد عام ١٤٧ هـ الموافق ٧٦٤ — ٧٦٥ م : وتنسب له مبان كثيرة ببغداد ، كما ينسب له تخطيط مدينة المنصورة فى طبرستان أثناء ولايته عليها ؛ وقد نصب قبيل وفاة المنصور عاملا على الموصل بعد أن طلب إليه الخليفة أن يدفع ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم ، كما نصب ابنه يحيى على آذربيجان . ويقال إن أهل الموصل لم يوقروا عاملا كما وقروا خالداً ، مع أنه لم يكن يلجأ إلى القسوة قط فى تأديبهم . ويذهب المسعودى (المروج ، جـ ٦ ص ٣٦١) إلى أن أحداً من أبنائه لم يضارعه فى نبل خصاله .

ويذكر ابن خلكان أن ابنه يحيى توفى فى الثالث من المحرم عام ١٩٠ هـ (التاسع والعشرين من نوفبر عام ٨٠٥ م) بالغاً من العمر السبعين أو الرابعة والسبعين ، فيكون قد ولد بلا ريب عام ١٢٠ هـ (٧٣٨ م) أو قبل ذلك ببضع سنين . وهو — على خلاف أبيه — لم يشتهر إلا بأنه كان عاملا ووزيراً ، فلم يروعنه غزو أو فتح . وأهم ما خلفه من الأعمال قناة سيحان بالبصرة (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٥ ، البلاذرى ، ص ٣٦٣) : وعهد إليه الخليفة المهدى بتأديب ابنه هارون عام ١٦١ هـ (٧٧٧ — ٧٧٨ م) وبعد عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٧٨٠ م) كان يحيى يشرف على ديوان الرسائل لولى العهد الذى استعمل على المغرب (أى جميع الولايات غربى الفرات) بما فى ذلك أرمينية وآذربيجان . وتعرضت حياته للخطر فى الفترة القصيرة التى حكم فيها الخليفة الهادى ، لاتصاله الوثيق بهارون الذى رغب خصومه فى إرغامه على النزول عن حقه فى ولاية العهد . ولكن ما كاد هذا يصل إلى الخلافة حتى استوزر يحيى ، وكان لا يزال يدعوه « يا أبت » ، وأعطاه سلطة لا حد لها . ومكث يحيى يحكم بمعاونة ولديه الفضل وجعفر

سبعة عشر عاماً (٧٨٦ – ٨٠٣ م) . أما ابناه الآخران موسى ومحمد فيندر أن يرد لهما ذكر .

وكان الفضل المولود عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ – ٧٦٦ م) أكبر ابنى يحيى وأعظم من أخيه شأناً . واستعمل بين عامى ١٧٦ هـ (٧٩٢ – ٧٩٣ م) و ١٨٠ هـ (٧٩٦ – ٧٩٧ م) على الولايات التى كانت تشمل الجبال وطبرستان ودُنْباوَنْد وقومس كما استعمل مدة من الزمن على أرمينية وآذربيجان وكذلك على خراسان من عام ١٧٨ هـ (٧٩٤ – ٧٩٥ م) إلى ١٧٩ هـ (٧٩٥ – ٧٩٦ م) . ويقول اليعقوبى (تاريخه ، جـ ٢ ، ص ٥١٦) إنه لم يوفق فى حروبه فى أرمينية ، أو فى داغستان بنوع خاص . وتنسب إليه فى خراسان أعمال ليس من المعقول أن يكون قد قام بها فى مدة ولايته القصيرة على هذه البلاد . ويقال إنه جند للخليفة ٥٠٠,٠٠٠ من الخراسانيين أرسل عشرين ألفاً منهم إلى بغداد وظل الباقون فى خراسان (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٣١) وأنه أحرز عدة انتصارات باهرة وشيد الكثير من المساجد والرباطات وحفر قناة جديدة فى بلخ (*Chrestomathie* : Schefer *persane* جـ ١ ، ص ٧١ ، ٨٨) وشيد مسجداً جامعاً جديداً فى بخارى ، وهو أول من أدخل القناديل فى المساجد فى رمضان (نرشخى ، طبعة Schefer ، ص ٤٨) . ويروى المسعودى (المروج ، جـ ٦ ، ص ٣٦٣) أن الفضل عكف فى الأيام الأولى لولايته على اللهو والصيد ولم ينته عن ذلك إلا بعد أن جاءه كتاب من أبيه .

أما جعفر الذى استفاضت شهرته فى القصص فيما بعد ، والمولود عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) والذى كان فى السابعة والثلاثين من عمره عند ما بلغته الوفاة ، فإن الناس لم يمتدحوا منه إلا حسن خطه وبلاغة منطقه وعلمه بالفلك . ويؤثر عنه أنه كان مثلا يحتذى فى اتخاذ الأزياء ، وهو أول من استعمل رباط الرقبة لطول عنقه (الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ٢ ص ١٥١) وترد أسباب صلته بالخليفة — ولم يكن أبوه يحيى راضياً عنها — إلى رذيلة مشهورة فى الشرق (الطبرى ، جـ ٣ ، ص٦٧٦ م) . ويبدو أن جعفراً لم يفارق الخليفة إلا فى رحلة قصيرة إلى الشام عام ١٨٠ هـ (٧٩٦–٧٩٧م) لكى يصلح بين قبائل العرب التى كان يقاتل بعضها بعضاً ، كما فعل أخوه موسى قبل ذلك بأربعة أعوام ، ومع هذا فقد أسرف فى التعبير عن حزنه لفراق الخليفة ورغبته فى العودة إليه (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٢) . واستعمله الخليفة على ولايات واسعة عدة مرات ، ولكنه لم يكن يذهب إليها ، وإنما كان يحكمها دائماً نوّاب من قبله . ولا نستطيع أن نجزم من المصادر التى بين أيدينا بأنه أشرف على شئون الدولة بنفسه باعتباره وزيراً أو نعين المبانى والأعمال التى قام بها ، ولا يدل على نفوذه إلا ظهور اسمه على سكة الخليفة .

ولم يكن لأبيه نفسه من سعة النفوذ خلال الأعوام السبعة عشر التى قضاها فى الحكم مايروى عنه ، وكان عليه فى الأعوام الأولى لحكمه أن يعرض شئون الرعية على الخيزران أم الخليفة المتوفاة سنة ١٧٣ هـ الموافق ٧٨٩ — ٧٩٠ م ، فلما توفيت احتجز الرشيد الخاتم من جعفر وعهد بجانب كبير من أمور الرعية إلى الفضل بن الربيع وهو الذى نافسهم وخلفهم على دست الوزارة فيما بعد : وفى عام ١٧٩ هـ الموافق ٧٩٥ — ٧٩٦ م خلف الفضل محمداً بن خالد البرمكى فى الحجابة وكان استعمال على بن عيسى بن ماهان على خراسان مخالفاً لرغبة الوزير (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٧٠٢) ؛ وفى حجة عام ١٨١ هـ (أوائل عام ٧٩٨ م) أجيب إلى طلبه فى اعتزال الحكم والبقاء فى مكة (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٦) ، ولكنه عاد إلى بغداد فى العام التالى ، ويظهر أنه تسلم أزمة الحكم مرة أخرى .

ويتضح من هذه الأقوال أن نكبة البرامكة سبقتها تمهيدات من زمان طويل ، ولم تكن راجعة إلى رغبة فجائية للخليفة . ففى الليلة الأولى من صفر عام ١٨٧ هـ (٢٩ يناير عام ٨٠٣ م) قتل جعفر بأمر الخليفة وأعقب ذلك زج يحيى وأبنائه الثلاثة الآخرين فى السجن وصودرت أملاكهم وأعطى الأمان لأقارب الوزير ، ولم يلحق بمحمد ابن خالد ، أخى يحيى ، وأسرته مكروه ؛ ثم أمر الرشيد فعلق رأس جعفر على جسر بغداد الأوسط ، كما علق نصفا جسمه على الجسرين الآخرين ، واحتجز الوزير وأبناؤه فى مدينة الرقة .

ومات يحيى والفضل قبل الخليفة ، ولا نعرف شيئاً عن مصير موسى ومحمد : ويظهر أن عمران بن موسى كان الحفيد الوحيد للوزير البرمكى الذى برز فى الشئون العامة ، فقد ذكر فى حوادث سنة ١٩٦ هـ الموافق ٨١١ — ٨١٢ م أنه دافع عن المدائن بلد آل ساسان أمام جيش المأمون (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٨٥٩ وما بعدها) ؛ ثم ورد ذكره مرة أخرى سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) نائباً لعامل السند (المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٠٥) : كما ذكر أبو القاسم عباس بن محمد البرمكى على أنه واحد من آخر وزراء الدولة السامانية (Barthold : *Turkestan w epochu mongolskago nashestvija* جـ ٢ ، ص ٢٧٨ متبعاً رواية الگرديزى) ولم يرد ما يفيد نسبته إلى هذه الأسرة ، وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) نجد حسن البرمكى الدانشمندى قد أسفر عدة مرات بين الدولة الغزنوية وبلاط الخليفة (البيهقى ، طبعة مورلى Morely ، ص ٤٤١ وما بعدها) : أما محمد بن جهم البرمكى المترجم المشهور لكتاب « خداى نامه » فالراجح أنه كان واحداً من موالى البرامكة ، كما ذهب البعض ، وكذلك كان المنجم الذى ذكره الطبرى (جـ ٣ ، ص ٤٩٧ وما بعدها) فى حوادث سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٧٨٠ م) .

ولا تساعدنا المعلومات التى بين أيدينا فى إحصاء أعمال البرامكة وتقدير فضائلهم ومساوئهم .

والشائع أنهم كانوا مسلمين معروفين بالتقى اشتهروا بحجهم وبالمباني التي شيدوها ، بيد أن خصومهم يتهمونهم بعدم الاحتفال بالإسلام وتعاليمه ، فقد أورد الجاحظ بيتين من الشعر في كتابه « البيان والتبيين » (جـ ٢ ، ص ١٥٠) لشاعر مجهول — وإن كان ابن قتيبة قد نسبهما في « عيون الأخبار » (ص ٧١ ، طبعة بروكلمان) للأصمعي اللغوي — قال فيهما :

إذا ذُكر الشرك في مجلس
أنارت وجـــوه بني برمك
وإن تليت عنـــــدهم آية
أتوا بالأحاديث عن مروك[1]

(انظر فيما يختص بهذا الكتاب مصنف حمزة ، طبعة Gottwaldt ، ص ٤١) . وقال شاعر آخر (البيان والتبيين ، وعيون الأخبار ، المصدران المذكوران) عن نفسه :

إن الفـــــراغ دعـــاني
إلى ابتنـــــاء المســـاجد
وإن رأيي فيـــــــــا
كـــــرأي يحيى بن خالد

ويقال إن المنصور اتهم وزيره خالداً بأن هواه مع الفرس (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٤٢) . ويقول الطبري (جـ ٣ ، ص ٥٧٢ وما بعدها) إن الهادي اتهم يحيى بالكفر ، والراجح أن يكون الرشيد قد أوقع بالبرامكة لتهم مثل هذه ، ولكن شيئاً من هذا لم تذكره المصادر : ومما يدل على أن سقوط البرامكة له صلة بالعودة إلى تعاليم الإسلام الحقة أن السكة بعد سنة ١٨٧ هـ لم تكن تحمل اسم الخليفة أوولي عهده كما كانت الحال منذ عهد المهدي.

ولم ينكر أحد من أنصار البرامكة أنهم لم يغنوا الدولة فحسب ، بل أغنوا مواليهم أيضاً ، وكان المؤرخون يميلون دائماً لأهل القلم لأسباب واضحة ، ولذلك فإن التاريخ ، حتى الذي برئ من التحيز للفرس ، أسرف في مدح البرامكة الذين كانوا يعتبرون منشئي هذه الطبقة ، وسكت عن كثير من مساوئهم . ويجب ألا نعتمد كثيراً على ما يقال من أن عهد هارون الرشيد كان العصر الذهبي للخلافة الإسلامية (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٥٧٧ ومابعدها) أو أن الرشيد أحسن الحكم طالما كان البرامكة معه كما زعم بعض المؤرخين (المسعودي : التنبيه ، ص ٣٤٦ ؛ *Frag. Hist. Arab.* ، ص ٣٠٩) : ومع هذا فإن الرواية الشائعة تؤيد حكم المؤرخين في الحالتين ؛ وإنها لشهادة جديرة بالاعتبار في فضائل هؤلاء الفرس أن يمجدهم عربي من المدرسة القديمة كصاحب الأغاني ، وأنهم استطاعوا أن يوطدوا النظام في ولاية عربية خالصة كولاية الشام .

(١) ورد في عيون الأخبار ، طبعة دار الكتب المصرية جـ ١ ، ص ٥١ ، هامش رقم ٢ من كتاب مروك أنه « محرف من مزدك ، واليه ينسب المزدكية وقد خرج في أيام قباذ بن فيروز فبدل شريعة زرادشت واستحل المحارم وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد ، وكثر أتباعه ، وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى انوشروان فقتله ، وأباد أتباعه » .

المصادر :

(١) ضياء الدين برنى : أخبار برمكيان ، فى Chrestomathie persane : Schefer جـ ٢ ص ٢ — ٥٤ . (٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٦ ، ص ٣٦١ وما بعدها ، ص ٣٨٦ ومابعدها (٣) ابن خلكان : ترجمة ده سلان ، جـ ١ ، ص ٣٠١ وما بعدها ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ وما بعدها ، جـ ٤ ، ص ١٠٣ وما بعدها . (٤) الطبرى ، انظر الفهرس ؛ (انظر كذلك المصادر المذكورة بصلب المادة) .

[بارتولد W. Barthold]

+٢ خالد بن برمك : لا نكاد نعرف شيئاً عن نشاط خالد حتى ظهر حوالى نهاية العصر الأموى فى صفوف الحركة الهاشمية ، وهنالك وكل إليه توزيع الغنائم فى جيش قحطبة . ثم أقامه الخليفة الجديد السفاح بعيد ذلك على ديوانى الجند والخراج ، ثم عهد إليه الإشراف على هذا المكتب كله حتى لقد أصبح له — فى قول مؤرخ من المؤرخين الإخباريين — شأن الوزير . وألحق بالخدمة الشخصية للخليفة ؛ فأتاح له هذا شرف رؤية ابنته هو ترضعها زوجة السفاح على حين كانت زوجته هو أيضاً مرضعة لابنة مولاه ؛ وظل خالد فى عهد المنصور يلعب دوراً هاماً ، دون أن يكون اليد اليمنى للخليفة كما تردد كثيرا على سبيل التأكيد . ويظهر أنه ظل عاماً على الأقل مديراً لديوان الخراج ، ولو أنه سرعان ما أقصى من الإدارة المركزية بفعل أبى أيوب المتآمر ؛ وأقيم خالد واليا على فارس ، ويبدو أنه قضى فى هذا المنصب نحوا من سنتين . ثم نراه بعد ذلك فى بغداد يقنع الخليفة — فى قول رواية مشهورة — بالعدول عن تدمير إيوان كسرى ، وقد اشترك سنة ١٤٧هـ (٧٦٤ — ٧٦٥م) فى المناورات التى حملت عيسى بن موسى على النزول عن حقوقه فى الخلافة ، وبذل النصيحة لأبى عبيد الله معاوية الذى كان وقتذاك عائداً من الرى ؛ وأقيم خالد من بعد واليا على طبرستان ، وبقى فيها حوالى سبع سنين (وقد اشتهرت السكة التى ضربت باسمه بين سنتى ١٥٠ و ١٥٤هـ = ٧٦٧ —٧٧١م) واستولى على حصن أستونا وَنْدقرب دَمَاوَنْد وحبب إليه سكان هذين الإقليمين حيث أقام المدينة الجديدة المنصورة . والراجح أن هذا هو الوقت الذى أصبح فيه حفيده الفضل بن يحيى أخا فى الرضاع لهارون بن المهدى ؛ والظاهر أنه قد فرضت عليه غرامة كبيرة آخر الأمر سنة ١٥٨هـ (٧٧٥م) ، أى قبيل وفاة المنصور ، ثم أعفى منها وأقيم واليا على إقليم الموصل ، وكانت قد شبت فى هذا الإقليم فتنة كردية . ونجده فى بداية خلافة المهدى فى فارس ؛ والظاهر أنه أبلى أيضاً البلاء الحسن كما فعل ابنه يحيى فى نفس الوقت ، وذلك فى حصار صَمَالو بأرض الروم ، ولو أنه توفى بعيد ذلك سنة ١٦٥هـ (٧٨١ — ٧٨٢م) فى الخامسة والسبعين من عمره تقريباً .

المصادر :

(١) Les Barmécides : L. Bouvat ، ص ٣٧—٤٣ (٢) الطبرى : الفهرس (٣) الجهشيارى ،

كتاب الوزراء والكتّاب، الفهرس (٤) المسعودى: مروج الذهب، جـ٥ ، ص ٤٤٤ (٥) ابن الفقيه ، ص ٣١٤ (٦) ياقوت ، جـ١ ، ص ٢٤٤ (٧) ابن خلكان ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٤٨ ، جـ١ ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ (٨) J. Walker : *Arab-Sassanian Coins* ، لندن سنة ١٩٤٦ ، ٧٠٦ .

٣ — الوزارة وسقوط البرامكة : عندما اختار هارونُ الرشيد يحيي بنَ خالد وزيراً كان له رصيد من الشهرة لا بأس به ؛ وقد عاون يحيي أباه فى ولايته على أقاليم مختلفة ، ثم أقيم هو سنة ١٥٨هـ (٧٧٥) والياعلى آذربيجان. وكان لايزال فى صف خالد فى فارس عند بداية عهد المهدى، وأصبح سنة ١٦١هـ (٧٧٨م) كاتب سر الأمير هارون ومؤدبه حالاً محل أبان بن صدقة ، وقد صحب هذا الأمير فى حملة صَمَالو ، ووكل إليه بصفة خاصة مؤونة الجيش ؛ وبعد ذلك بقليل بويع لتلميذه بأن يلى الخلافة بعد ولى العهد وأقيم واليا على الأقاليم الغربية وعلى آذربيجان وأرمينية ، فكان يحيي يدير هذا الجزء من الإمبراطورية الإسلامية . وثبت يحيي فى منصبه بعد وفاة المهدى ، إلا أنه وجد نفسه محل عداوة الخليفة الجديد الهادى ، إذ اتهمه هذا الخليفة بنصرة هارون عليه وتشجيع هارون على تعزيز حقوقه فى ولاية الخلافة، وهو أمر قدر له أن ينتهى بسقوط الهادى فى وقت جد قريب . على أنه حدث فى الليلة نفسها التى ألقى فيها يحيي فى السجن ليلاقى حتفه كما أخبرنا ، أن وجد الهادى ميتا ، وثمة أقوال تذهب إلى أن الخيزران أم الخليفة التى كانت تؤيد هارون كانت لها صلة بموته .

ومهما يكن من شىء فإن هارون الرشيد قد بادر بمجرد بيعته إلى استدعاء يحيي وعهد إليه تدبير الأمور وفوضه تفويضا عاما فى ممارسة السلطة. وتلقى هذا الكاتب المقتدر لقب الوزير ، وأشرك من أول الأمر ابنيه الفضل وجعفرا فى مباشرة الواجبات الإدارية والحكومية . وكثيرا ما كانا يتوليان الرئاسة معه ، وكانا يلقبان أيضاً بلقب الوزارة فيما يظهر. وظل يحيي فى منصبه سبعة عشر عاما ، من سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) إلى سنة ١٨٧هـ (٨٠٣م) ، وقد أشار بعض الكتاب إلى هذه الفترة بعبارة « سلطان آل برمك » . واشتغل يحيي برد المظالم باسم الخليفة ، كما كانت له سلطة اختيار كتابه الذين باشروا العمل وكلاء عنه ، وكان يحيي من حيث العمل رأس الإدارة . بل إن وظيفة الخاتم التى أمسكت عنه فى أول الأمر ، سرعان ما وضعت تحت إشرافه . وكذلك تقول الروايات بأن الرشيد قد أسلمه خاتمه الخاص ، دليلا على السلطة الجديدة التى كان يباشرها الوزير . وهذا الخاتم الذى عهد به إلى جعفر قد عاد إلى يحيي من بعد ، ولكنه نزل عنه عندما رحل للإقامة بمكة ، ثم رد إلى جعفر بعد أن كان قد استرده يحيي بعد عودته من مكة .

ولم يقنع ابنا يحيي — الفضل وجعفر — بمجرد مؤزازة أبيهما فى تولى السلطة وإنما باشرا أيضاً مسئوليات هامة . فقد كان للفضل ، وهو أكبرهما

فضلا عن كونه أخا هارون فى الرضاع ، شأن خطير فى السنوات الأولى . ذلك أنه أقيم سنة ١٧٦هـ (٧٩٢ م) ، أو ربما قبل ذلك ، على رأس الولايات الغربية لإيران ، وأنفذه الخليفة لقتال يحيى بن عبد الله العلوى الذى كان قد افتتن . واستطاع أن يحمل يحيى هذا على الخضوع بالمفاوضة . وفى العام التالى أقيم الفضل واليا على خراسان فقام فيها بدور الموفق والبناء ، فقد هدأ من ثائرة إقليم كابل وجند هناك جيشا محليا أرسل بعضه ، كما قيل ، إلى بغداد . فلما عاد الفضل إلى البلاط ترك نائبا عنه يلى أمر ولايته التى ظل محتفظاً بها حتى عام ١٨٠هـ (٧٩٦م) . والظاهر أنه كان سنة ١٨١هـ (٧٩٧م) يلى أمر الحكم فى غيبة أبيه . على أنه كان أول من فقد حظوة الخليفة، فقد أغضبه غضبا شديداً فجرده هارون من جميع مناصبه إلا قيامه بتأديب الأمير محمد الأمين ، وكان الرشيد قد أخذ البيعة على العهد إليه بالخلافة من بعده سنة ١٧٨هـ (٧٩٤م) .

أما جعفر — الذى أغرم الكتّاب بتأكيد فصاحته وتضلعه فى الفقه — فقد وكلت إليه سنة ١٧٦هـ (٧٩٢م) ولاية الأقاليم الغربية مع أنه ظل مقيما بالبلاط ، ولم يتركه إلا سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م) لإخماد الفتن التى نشبت فى الشام ، ثم أقيم بعد ذلك واليا على خراسان إلى حين ، وعهد إليه حرس الخليفة كما عهد إليه منصب صاحب البريد وصاحب السكة والطراز (والحق إن اسمه يظهر على السكك التى ضربت فى الشرق منذ سنة ١٧٦هـ = ٧٩٢م ، ثم على السكك التى ضربت فى الغرب بعد ذلك) ، وكان إلى ذلك مؤدبا للأمير عبد الله المأمون الذى عهد إليه بالخلافة بعد الأمين سنة ١٨٢هـ (٧٩٨م) . وكان فوق ذلك كله صفىّ الخليفة ، إن لم يكن ساقيه كما يزعم كثيرا ، وكان يشارك عن طيب خاطر فى مجالس اللهو التى كان أخوه مع ذلك ينكرها .

أما وقد كان تأديب وليى العهد اللذين رتب لهما أن يقتسما بالفعل الإمبراطورية الإسلامية موكلا إلى ابنى يحيى ، فإن السلطة كانت خليقة أن تبقى فى يد آل برمك أمدا طويلا، لو أن الرشيد سمح بذلك . على أن الخليفة عندما عاد من الحج الذى أداه مع حاشيته سنة ١٨٦هـ (٨٠٢م) قرر فجأة أن يتخلص من سيطرتهم : ففى ليلة السبت غرة صفر سنة ١٨٧ (٢٨ — ٢٩ يناير سنة ٨٠٣) أمر بجعفر فقتل ، وقبض على الفضل وإخوته ، ووضع يحيى تحت المراقبة واستصفيت أملاك جميع البرامكة فيما عدا محمد بن خالد . وترك جثمان الفضل معروضا للناس فى بغداد سنة . أما الفضل ويحيى نفسه — الذى كان قد أبدى الرغبة فى أن يشارك ولديه مصيرهما — فقد حملا إلى الرقة سجينين ، وهناك توفى يحيى فى المحرم سنة ١٩٠ (نوفمبر ٨٠٥) عن سبعين عاما ، وتوفى الفضل فى المحرم سنة ١٩٣ (نوفمبر سنة ٨٠٨م) بالغا من العمر خمسة وأربعين عاما.

وهذه النكبة التى حلت بالبرامكة فاجأت معاصريهم فلم يستطيعوا أن يجدوا لها تفسيرا مقنعا ،

فابتدعوا أسبابا خرافية مثل قصة العبّاسة (انظر هذه المادة) التى ظلت مدة طويلة تعلو على جميع الأسباب . وقد ظل الأصل فى سقوطهم خفياً فى بعضه على المؤرخين المحدثين ، ولكن من العسير أن يقال إنه كان نتيجة لنزوة أصابت الخليفة فجأة ، وحتى إذا كان هذا السقوط « قد دبر من قبل » كما قال بارتولد ، فإنه يكون قد دبر قبل سقوطهم بوقت طويل ، دبره خليفة فرض عليه أن يحتمل وصاية وزرائه فى ضيق متزايد ، خليفه اتهمهم فى بعض الأوقات بالجرى على سياسة تناقض مصالحه هو .

ولم تكن وزارة البرامكة حقا هى عهد الوئام الكامل كما صورتها القصص بعد ذلك . إذ بالرغم مما قيل فى هذا الموضوع فإن أسباب الخلاف كانت قائمة بين الخليفة ومؤدبه السابق الذى لم تكن يده قط مطلقة كل الإطلاق فى الحكم . ذلك أنه لم يكن فى السنوات الأولى مضطراً ، كما قال بارتولد من قبل ، إلى الرجوع إلى الخيزران فحسب ، وقد كانت تنصره دائما وهى بقيد الحياة ، بل كان أيضاً مضطرا فى كثير من الأحيان إلى الانصياع إلى رغبات الخليفة والالتجاء إلى تلك البراعة التى اشتهر بها كثيرا : بل إنه كان فى بعض الأحيان لا ينجح فى فرض آرائه ، ثم إن الرجل الذى أقيم على خراسان خلفا للفضل سنة ١٨٠هـ (٧٩٦) قد ولى على غير ما نصح ، وكان الفضل يجد نفسه فى أحيان أخرى مضطرا لأن يتذرع بحجج يأخذ فيها بأوساط الأمور إلى حد كبير ، ومن ثم نجده يسرع بالخروج من بغداد إلى الرقة سنة ١٨٣هـ (٧٩٩م) ليصرف النظر عن غضب الخليفة على الفضل ولا يفلح فى ذلك إلا على حساب إنكار مسلك ابنه : وقد حدث فى وقت متقدم عن ذلك كثيرا أن كان للدسائس شأن فى إضعاف مركزه ، فقد كان الخليفة عند وفاة أمه متطلعا إلى إسباغ آيات الشرف على رجل حاشيته المصقول الفضل ابن الربيع ، وكان قد بدأ منذ وقت طويل يهتم به ، ثم أقامه زيادة على ذلك حاجبا سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) مكان محمد بن خالد البرمكى : وكان لهذا الوجيه الجديد نفوذ متزايد فى البلاد ، وقد أدرك بعين بصيرته أوجه قصور خصومه وأثار حنق الرشيد عليهم .

وكذلك لم تكن صلات الخليفة بأبناء يحيى على وئام فى جميع الأحوال ، ذلك أن الخليفة لم يكن يحبذ السياسة المنحازة إلى العلويين التى كان يسير عليها الفضل الذى لم يكن فيما يبدو قد رزق المرونة المأثورة عن أبيه : وأقصى الفضل عن السلطة سنة ١٨٣هـ (٧٩٩م) قبل أن تحل النكبة بالبرامكة فتدول دولتهم بأربع سنوات. وحتى جعفر — الذى كان ينعم فيما يظهر بثقة الخليفة التامة وبقى سلطانه عليه مدة أطول من سائر البرامكة — لم يأمن شكوك مولاه الجموح وقد عنّف مرة على إساءة استخدام سلطته .

وكان من المألوف جدا بطبيعة الحال أن يتعدل موقف الرشيد من البرامكة أثناء السبعة عشر عاما من سيادتهم ، فقد قنع الخليفة عند ولايته الخلافة فى سن الثالثة عشرة بأن يسير على نصيحة والدته ويعفى نفسه من بعض المسؤوليات بإيكالها ليحيى .

على أن هذا الموقف الذليل بدأ يثقل عليه ، واشتد ذلك عليه منذ زادت رغبته فى فرض إرادته بمرور السنين ، على حين راح البرامكة يملئون معظم مناصب الدولة الجليلة بأقاربهم ومواليهم ويعدون العدة لإقامة ما يشبه الوزارة الوراثية ، فأصبحوا بذلك دولة داخل الدولة ، وهم قد جمعوا فى الوقت نفسه ثروة ضخمة أثارت طمع مولاهم وأصبح كرمهم الذى صار مضرب المثل يستلفت الأنظار باستمرار : وإذا كانت الأسباب المختلفة كافية لتبرير سقوطهم ، فإن وحشية المعاملة التى حلت بجعفر كانت بلا شك جزاء للحب الذى أفاءه عليه الخليفة والذى كان من شأنه أن يؤجل الخاتمة المحتومة التى نزلت به . على أن التهم التى رمت البرامكة أيام سطوتهم بالزندقة فى بعض الأحيان ، ليس لها فيما يبدو نصيب فى النكبة التى حلت بهم ، بل إن هذه التهم لم يكن لها فيما يظهر أى أساس من الحقيقة . صحيح أن هؤلاء الكتاب الإيرانيى الأصل قد أظهروا اهتماماً خاصاً بالروائع الأدبية التى وفدت من إيران والهند ، وكذلك بالمبادىء المختلفة فى الفلسفة والدين وأبدوا الميل إلى الاستماع إلى مناقشتها ، ولكن هذه الأمور كانت من الأذواق التى فشت فى المجتمع البغدادى لهذا العصر ولم تلازمها بالضرورة آراء متزندقة . زد على ذلك أن البرامكة قد هيأوا أنفسهم تماما للأخذ بما جرى عليه عرف البلاط العباسى الذى كانوا يعيشون فيه ؛ لقد كانوا يقدرون كل التقدير الشعراء والكتاب العرب ، وأبدوا — شأن كثير جدا من الموالى — حبا للظهور بمظهر الكرم مستلهمين التقاليد البدوية : ومع أنهم اتخذوا فى كثير من الأحيان موقف التراضى حيال سكان الولايات أو نحو بعض الدول الخاضعة للدولة ، إلا أنهم لم يحاولوا فيما يظهر أن يؤثروا المأمون — ابن المرأة الفارسية — على أخيه. وهم فيما يبدو قد خدموا أولا الخلافة فى كفاية وإخلاص مهدئين خواطر الناس فى إيران الشرقية ، ومخمدين للفتن التى نشبت فى الشام بل فى إفريقية ، محققين إخضاع المنتقضين بما فيهم العلويون ، موجهين أداة الحكم فى نظام وأمان ، كافلين للدولة موارد هامة ، ناهضين بالمرافق العامة (مثل قناة القاطول وقناة سيحان) ، رافعين للمظالم بالعدل والقسطاس على هدى ما حكمت به الشريعة ، معززين القضاء بإنشاء منصب قاضى القضاة . ولاشك أنهم بتصرفهم وسلوكهم قد عجلوا بصبغ البلاد بالصبغة الإيرانية التى بدأت تتضح منذ قيام العصر العباسى ، نافثين فى الوزارة طابعا لم ينِ عن أن يجذب أنظار المقلدين الذين جاءوا بعدهم . على أنه بالرغم من الامتيازات الجديدة التى منحت لهم وهيبتهم الخارقة فإن سلطانهم كان مسألة شخصية إلى حد كبير ، شأنها شأن المأساة التى أودت بهذا السلطان . ولا يبدو لنا أنهم سعوا بحال إلى تغيير الوزارة على نسق ساسانى نظرى :

ولم يكن نشاط البرامكة مقصورا على السياسة والحكم فحسب ، فهم قد حققوا أيضاً أموراً هامة فى ميدانى الثقافة والفن : ذلك أنهم بلاشك سلكوا مسلك الرعاة للشعراء ، يوزعون العطايا بين مداحيهم على يد جهاز خاص أقاموه لهذا الغرض بالذات ، وهو

« ديوان الشعر » ، وكانوا يرعون العلماء ويجمعون المتكلمين والفلاسفة فى دورهم ويعقدون بينهم مجالس ظلت شهرتها باقية ، كانوا يشجعون الفنون ، وكانوا هم أنفسهم أرباب العمارة الكبار ، خلفوا قصورا عدة فى بغداد ، أصبح أشهرها ، وهو قصر جعفر ، مقر الخلافة من بعد .

وكذلك لم يختف سلطان البرامكة بسقوطهم ، بل هو قد ظل نافذا فى السنين التالية على يد وزراء وكتاب تسنموا السلطة فى عهد المأمون ، وكان معظم هؤلاء مواليهم وتابعيهم السابقين كما هى حال الفضل بن سهل المشهور ، ومن المعروف حقا أن وزراء الرشيد كانوا أيام ظهور البرامكة يجمعون حولهم طائفة من الكتاب ذوى الكفاية البارزة لم يستطع الخلفاء الذين أتوا بعده أن يستغنوا عنهم .

ونجد أخيرا أن كتب الأدب قد وقعت على البرامكة تشيد بخصالهم الحميدة المشهورة وتبالغ فى ذلك بعض المبالغة أحيانا (حكمة يحيى وما رزق من موهبة التنبؤ بالحوادث ، وترفع الفضل وكرمه المبذول ، ورشاقة أسلوب جعفر) ، على حين نجد بعض القصص ، مثل تلك التى دخلت من بعد فى كتاب ألف ليلة وليلة ، تضفى الشهرة على شخصية جعفر الوزير وصحبته للرشيد .

المصادر :

(١) L.Bouvat : *Les Barmécides* (٢) D. Sourdel : *Le Vizirat Abbaside* (يظهر قريبا) (٣) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، الفهرس (٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ — ١٩٥٣ ، جـ٣ ، ص ٢٦ — ٣٤ (٤) الطبرى ، الفهرس (٥) اليعقوبى ، الفهرس (٦) ابن خلكان ، هذه المادة .

٤ — أفراد آخرون من أسرة البرامكة : كان ليحيى أخ هو محمد بن خالد الذى كان حاجبا منذ عام ١٧٢هـ (٧٨٨م) إلى عام ١٨٩هـ (٧٩٥م) ، وهو الوحيد من أفراد الأسرة الذى أمسك عنه الخليفة عند سقوط الأسرة .

وقد كان له — علاوة على الفضل وجعفر — ابنان آخران هما محمد وموسى ، وكانا أقل من ذلك تألقا إلا أنه كان لهما شأن فى البلاط . وقد اشتهر موسى بالشجاعة فى الحرب ، وكان واليا على الشام سنة ١٧٦هـ (٧٩٢م) . وقد ألقى بهذين الأخوين فى السجن سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣م) هما وأبوهما وأخوهما ، ولكن أطلق سراحهما الأمين الذى أبدى نحوهم الكرم والسماحة . وظل موسى بالعراق وحارب فى جيش الخلافة ، ثم انحاز إلى المأمون فأقامه بعد ذلك واليا على السند . وتوفى موسى سنة ٢٢١ هـ (٨٣٥ م) تاركا ابنا يدعى عمران خلف أباه وأبلى البلاء الحسن فى عدة حملات . أما محمد فقد انضم إلى بلاط المأمون فى مرو ، وفيه خلفه ابنه محمد وابن أخيه العباس بن الفضل .

ونذكر من سلالة البرامكة العديدين واحدا اشتهر بالموسيقى والأدب ألا وهو أحمد بن جعفر

الملقب بجحظة (انظر هذه المادة) وهو حفيد موسى ابن يحيى والصاحب الحميم للخليفة المقتدر.

المصادر :

(١) L. Bouvat : *Les Bermécides* ، ص١٠١ وما بعدها (٢) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، طبعة القاهرة ، ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

٥ — النسبة : البرامكة : حمل هذه النسبة أيضاً أشخاص لا ينتسبون إلى أسرة البرامكة . والطائفة الأولى من هؤلاء تشمل موالى البرامكة وأرقاءهم الخصيان وأحفادهم . أما الآخرون فكانوا سكانا لذلك الحى من بغداد الذى أطلق عليه اسم البرامكة : ويشمل هؤلاء المغنية دنانير ، والأديب محمد بن الجهم ، وفلكيا شهد حصار صَمَالو ، ووزيرا للسامانيين ، ورسولا للغزنويين .

وقام فى زمن متأخر عن ذلك عدد من الأسر زعمت أنها تنتسب للبرامكة (مثل شَرْبَداران فى خراسان ، وبرامك فى توات) . ونجد أخيرا قبيلة منها أولئك الراقصات المسميات فى مصر بالغوازى ، واللاتى ظللن إلى عهد قريب يجمعن فى مصر ، وتزعم هذه القبيلة أنهامن نسل البرامكة . ولاشك أن سمعة أولئك الراقصات قد جعلت لكلمة برمكى ذلك المعنى المنحط الذى يتخذ أحيانا فى لغة المصريين المحدثين .

المصادر :

(١) L. Bouvat : *Les Barmécides* ، ص١٠٥ وما بعدها .

خورشيد [سوردل D. Sourdel]

+ « البَرانِس » : اسم واحدة من مجموعتى القبائل اللتين قامت عليهما مجتمعتين أمة البربر (انظر هذه المادة) ، والمجموعة الأخرى هى البُتْر ، واسم البرانس هو جمع اسم جد هذه المجموعة المشترك وهو : بُرْنُس (انظر عن الأصل المحتمل لهذا الاسم مادة « بتر ») .

ويقول ابن خلدون إن البرانس تشمل خمسة شعوب كبرى : أَوْرَبَة ، عَجِيسَة ، أَزْداجة ، مصمودة غُمَارة ، كتامة زواوة ، صنهاجة ، هَوّارة . على أن انتساب الشعوب الثلاثة الأخيرة إلى هذه المجموعة أمر يدور حوله خلاف ، فبعضهم يقول إنها من نسل حمير ومن ثم فهم غير بربر ، ولن نتناول هنا هذه الشعوب الثلاثة ولا المصمودة .

وأقدم موطن للبرانس — بالمعنى الدقيق لهذا الاسم — هو كتلة جبال أوراس ، وولاية قسنطينة الشمالية ، وولايتا القبائل حيث جروا على العيش فيهما مقيمين مع أهل الجبال . وفى وقت الفتح العربى الأول ، أى فى الربع الأول من القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) اضطرت أوربة — قبيلة كسيلة المشهور (انظر هذه المادة) — إلى النزوح عن جبال أوراس عقب هزيمة زعيمهم ومقتله ، فقد عموا شطر شمالى مراكش حيث مكنوا لأنفسهم من كتلة زَهْرون الجبلية حتى نهر وَرْغَة ، ونحن نصادف اليوم أسماء بعض قبائلهم القديمة على طول ضفاف هذا النهر ، ونعنى بها : لُجَايَة ومَزْيات

(٩) ، ورَغيوّة . والشأن الذى كان لهم مع إدريس الأول (انظر هذه المادة) معلوم مذكور .

وليس لدينا معلومات عن الظروف التى وفد فى ظلها بعض البرانس إلى شمالى تازة واستقروا فيه ، ومهما يكن الأمر فإن البكرى يذكر بعض البرانس والأوربة مرتبطين بمملكة نُكور (انظرهذه المادة) ونحن نجد فى القبيلة الحالية (تسمى فى لهجة : البرانِص ، وينسب إليها فيقال : البرنوصى) التى تضم عشيرة تعرف باسم وَرْبَة ما يذكّرنا بالأمير أوربة الذى استقبل إدريس الأول (فى وَلِيلى) بل نجد أيضاً آثار القصر قائمة هناك .

وأسهمت برانس أوربة فى الحملات التى شنت من مراكش على شبه جزيرة إيبريا ، وقد استقر بعضهم هناك وخلعوا اسمهم على جبل البرانس الذى يعرف الآن باسم سيرا المعدن Sierra de Almadén إلى الشمال من قرطبة .

وقد كان بعض البرانس من شمالى تازة فريقاً من مجندى « الريف » الذين استولوا على طنجة سنة ١٦٨٤ ، وثمة قرية فى فحص طنجة تحمل هذا الاسم .

أما برانس أزداجة(أو برانس مسطاسة) فلا نعرف شيئاً عن الأسباب التى حملتهم على الاستقرار فى إقليم وهران ، ولا يزال بعض المسطاسة يعيشون فى إقليم بادس (انظر هذه المادة) ، والأمر كذلك بالنسبة لكتامة مراكش ، إذ ليس لدينا معلومات عن استقرارهم هناك .

المصادر :

(١) ابن خلدون : البربر = *Histoire des Berbères* ، الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ، ٢٧٢ — ٢٩٩ ؛ (٢) E.F. Cauthier : *Les siècles obscurs du Maghreb* ، سنة ١٩٢٧ ، ص ٢١١ — ٢١٤ ؛ (٣) Anon : *Fragments historiques sur les Berbères au Moyen-Age* ، ترجمة ليفى پروفنسال ، ص ٦٤ ، ٨٠ ؛ (٤) Leo Africanus ، طبعة Epaulard ، ص ٣٠٥ . (٥) Trenga : *Les Branès* جـ ١ ، ٣ ، ٤ . (٦) G.C. Colin : *Le Parler arabe du Nord de la region de Taza* ، فى *BIFAO* جـ ١٨ ، سنة ١٩٢٠ ، ص ٣٣ ؛ (٧) الكاتب نفسه : *Sayyidi Ahmed Zarrûq Al-Burnûsi* ، فى *Rivista della Tripolitana* ، سنة ١٩٢٥ .

خورشيد [كولان G.S. Colin]

الـ « براهمة » :كان أبو الريحان البيرونى الأفضل بل الأوحد من بين المؤلفين العرب الذين وقفوا على أسرار الهند البرهمية ، ومصنفه الجليل عن الهند (طبعة وترجمة سخاو سنة ١٨٨٨ م ، وطبعت الترجمة حديثاً سنة ١٩١٠ م) يشهد بأنه درس تلك البلاد دراسة توافرت له فيها مواهب لا نظير لها فى ميادين الفلسفة والأدب والعلوم ، وهو حجة فى حديثه عن طبقات الهند والبراهمة وعن طريقة معيشتهم وماهية كتبهم ودينهم وعلومهم .

وقد درس البيرونى اللغة السنسكريتية ونقل منها إلى العربية طائفة من كتبها ، وكان ملما بكتب الهنود المقدسة وهى البيذ والبرانات Vedas Puranas ومطلعاً على كل شىء حتى علم العروض السنسكريتى . أما علم ما وراء المادة عند البرهمية فقد كان محيطاً بدقائقه إحاطته ببعض أساطيرهم . وله أبحاث فى موضوع بيضة براهم[1] ومختلف أدوار حياة العالم وفى موضوع الكليا واليوجا والتناسخ والثواب على الأعمال فى العوالم المختلفة وفى النجاة . وقد ألف البيرونى كتابه هذا فى مدينة غزنة ، أعنى فى بقعة كان بها كثيرون من السكان الهنود (حوالى سنة ١٠٣٠ م) وكان قد تنقل من قبل فى بلاد البنجاب .

وإذا استثنينا هذا المصنف الجليل فإن معلومات مؤرخى العرب عن مذهب البرهمية وعن الهند شحيحة جداً . أما التفصيلات الوافية أو المعلومات الصحيحة فلا وجود لها حيث يخيل أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى توافرها . من ذلك أنك لا تجد لها أثراً فى كتاب المسعودى ولا فى كتاب الشهرستانى على الرغم من تخصص الشهرستانى فى علم الفرق والطوائف والمذاهب الدينية ومن إلمامه بشىء ولو يسير عن البوذية ، كما لا تجدها فى الأساطير التى أخرجتها لنا الهند مثل كتاب كليلة ودمنة ، ولا فى أحاديث الأسفار والرحلات المسطورة عن الهند بخاصة كالرحلة الموسومة «بعجائب الهند» وكتاب «سلسلة التواريخ» . وينبغى أن نلاحظ هنا أن جزيرة سيلان التى تدين بالبوذية هى البقعة الوحيدة من بلاد الهند التى كانت معرفة العرب بأحوالها أقل منها بأحوال البقاع الأخرى .

ولقد أورد المسعودى اسمى اثنين من مؤلفى العرب صنفا فى موضوع الفرق الهندية ، وهما أبو القاسم البلخى والحسن بن موسى النوبختى ، وقال هذا المؤرخ إن البراهمة من نسل برهمان وهو ملك مترهب وعالم ، عقد مجمعاً من الحكماء وسن بمعونتهم قواعد الدين ، ووضع نظرية الأدوار الفلكية .واخترع أرقام العدد وحسب مقدار حركة المبادرة السنوية للاعتدالين . وفى قول برهمان هذا أن عمر العالم ١٢٠٠٠ دور مقدار كل دور ٣٦٠٠٠ سنة ، وأنه — أى العالم — ينمو ويتسع فى الأدوار الأولى ثم يضمر ويتضاءل وتبطؤ حركته فى الأدوار الأخيرة ، ومن قوله فى موضع آخر إن دورة العالم تقدر بسبعين ألف سنة وتسمى «هزروان» .

ويقول الشهرستانى إن برهام ينكر النبوة لعدة أسباب أوردها ، وما ذكره موجزاً منها لا يعطينا أية معلومات عن ديانات الهنود ، لأن هذا الموجز إنما هو خلاصة مناظرة دارت

---

(1) بيضة براهم اصطلاح يطلقه البراهمة على كل الاثير من جهة استدارته وشكل حركته بل على كل العالم من جهة انقسامه الى الاعلى والاسفل .

اللجنة

بين أحد المسلمين وواحد ممن لا يؤمنون بالنبوة ».

وآداب اللغة العربية تجعل مرتبة البراهمة وسطاً بين الفلاسفة والمتنبئين ، وفى كتاب كليلة ودمنة لا يبدو بيدبا البرهمى إلا فى ثوب الرجل الحكيم صاحب الرأى السديد والنظر الثاقب البعيد . ويقول مؤلف الكتاب عن بيدبا إنه كان فاضلا حكيما يعرف بفضله ويرجع فى الأمور إلى قوله . ويقول مؤلف كتاب الأسفار والرحلات إنه كان بين الهنود رجال وقفوا حياتهم على الدين وعلماء يسمون بالبراهمة وكان من بينهم شعراء يعيشون فى قصور الملوك وعلماء فى الفلك وفلاسفة ومنجمون ، ويضع الشهرستانى علماء النجوم والعرافين فى مصاف البراهمة .

أما كتب الأسفار فاهتمامها بالزهاد أكثر منه بالبراهمة ، فقد وصفت طرائف حياتهم وصفاً حسناً وقالت عنهم إنهم يتخذون من الجماجم البشرية زقاقا لهم وتسمى عندهم باسم بيكرجى أو بيكور تصحيف كلمة بهكشو (انظر كتاب عجائب الهند ، *Merveilles de l'Inde* طبعة ڤان درليث Van der Lith ، الفهرس) . ويطلق سعدى الشاعر الفارسى وغيره اسم البراهمة على عبدة النار (انظر : بستان ، طبعة باربييه ده مينار Barbier de Meynard ، ص ٢٣١) .

[كارا ده ڤو B. Carra de Vaux]

« براهوئى » : (انظر مادة « بلوچستان ») .

« بَرَبا » : سهب بسيبريا الغربية فى « أوبلاست » نوڤو سيبيريسك بالجمهورية الروسية السوڤيتية الفدرالية الاشتراكية ، بين خطى عرض ٥٤° و ٥٧° شمالا ، ويحده من الشرق والغرب سلاسل من التلال على شواطئ نهر إيرتش ونهر أوب . وهذا السهب الذى يمتد ١١٧,٠٠٠ كيلو متر مربع به عدة بحيرات معظمها مالح ، وأكبرها بحيرة چانى . وبعض أرضه مستنقعات ، ولكن بها بعض المناطق الخصبة . وتوصف القرى الروسية الموجودة عند أطراف هذا السهب بأنها قرى مزدهرة كثيرة العمران . ويطلق الروس على التتر أهل هذه البلاد اسم « برينتسى » ، وقد أجلوا منذ القرن السابع عشر عن النواحى الخصبة فأخذ عددهم فى التناقص منذ ذلك الحين . وذكر « رادلوف » Radloff فى الإحصاءات التى جمعها سنة ١٨٦٥ م أن عدد التتر من أهل بربا كان حينذاك ٤٦٣٥ نسمة فقط ؛ وهم لم يدخلوا فى الإسلام فى أغلب البقاع إلا فى القرن التاسع عشر ، ولقى « رادلوف » هناك بعض الرجال المتقدمين فى السن وعلم منهم أنهم يذكرون أن آباءهم كانوا من الألتاى يقدمون القرابين ولا يتزيون بالزى الإسلامى . وجمع « رادلوف » نماذج من أدب التتر من أهل بربا . وهم يشتغلون بالزراعة وبصيد السمك وقنص الوحوش شأنهم فى ذلك شأن الروس . وقد ازداد محصول المصائد ونمت تجارة الفراء على وجه

خاص القرن الماضى ؛ وفى الوقت الذى ذهب فيه مدندورف Middendorf إلى هناك كان لا يوجد فى تلك البقاع من الحيوان ذى الفراء إلا الذئب والقاقوم(١) .

والراجح أن سكان هذه البلاد من التتر قد هاجروا إليها إبان عهد المغول ، وكانت لهجرتهم صلة بتأسيس دولة سيبريا ؛ وكانت سهوب بربا هى الحد الفاصل بين الروسيا وبلاد القلموق منذ أن فتحت دولة سيبريا إلى عهد بطرس الأكبر ، وإقليم الحدود الموجود بين مدينة «تاره» على نهر إيرتش ومدينة «تومسك» شرقى نهر أوب كان يسمى فى ذلك العهد إقليم بربا «Barbanskaya volost» ، وكان أهل تلك البلاد يتكلمون لغة القلموق إلى جانب لغتهم التركية الأصلية ويؤدون الجزية للروس والقلموق ثم اقتصروا على أدائها للروس . وقد استوطن بلاد بربا فى القرن الثامن عشر الميلادى عدد كبير من المنفيين من الروسيا .

+ ويشغل تتر بربا فى الوقت الحاضر عدداً قليلا من القرى (كلها من التتر ومن الروس التتر) قرب بحيرات سبرالى ويورتوش ومتنكش ، وفى حوض نهر «أوم» وخاصة فى ناحية كويبشف (كاينسك سابقاً) على طول سكة حديد ما وراء سيبريا .

(١) القاقوم حيوان من فصيلة بنات عرس يكون فى البلاد الشمالية لونه أحمر قاتم فى الصيف وأبيض فى الشتاء ما عدا ذنبه ــ انظر معجم الحيوان لمعلوف ، ص ٩٦ .

وظل إسلام بربا الذى بدأ فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ماضياً فى طريقه نتيجة لجهود التجار التتر والمبشرين القادمين من قازان الذين شقوا طريقهم مصعدين مع نهر إيرتش : على أنه يبدو من الأرجح أن معظم التتر من أهل البلاد قد دخلوا فى الإسلام على المذهب الحنفى بعد أن مكّن المستعمرون من قازان التتر لأنفسهم فى غربى سيبريا .

ولهجة تتر بربا ــ التى لم تدرس بعد دراسة وافية ــ لها خصائص صوتية معينة (مثال ذلك : تس بدلا من ز) وقد استسلمت تماماً أو كادت للترية القازانية والروسية .

المصادر :

(١) *Die Baraba* : A. v. Middendorf وبه خريطة فى *Mémoires de l'Acad. Imp. des Sciences de St. Pétersbourg* ، المجموعة السابعة ، ج ١٤ ، سنة ١٨٧٠ م (العدد التاسع) ؛ (٢) *Aus. Sibirien* : W. Radloff ، الطبعة الثانية ، ليبسك سنة ١٨٩٣ م ، ج ١ ، ص ٢٤١ وما بعدها (٣) الكاتب نفسه : *Proben der Volkslitteratur der tuerkischen Staemme Sued-Sibiriens* ، ج ٤ ، ص ١ وما بعدها وكذلك المقدمة ، ص ١٢ (٤) *Zapiski Imp. Ruisk Geogr. Obshch. po otd etnografii* المجلد العاشر ، ج ١ ، ص ٤٤ ، وفيه وصف لرحلة المبعوث الروسى Nikolai Spafari نيقولاى

سپافارى فى سنة ١٦٧٥م: (٥) Obrazisi : W. Radlov
Narodnoy Litteraturi Tyurkskikh Plemen ج ٤ ،
سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٧٨ (٦) الكاتب نفسه :
Phonetik der noerdlichen Tuerkensprachen ، ليبسك سنة
١٨٨٢. (٧) الكاتب نفسه : Narechiya Tyurkskikh
Plemen Zhivushchikh v Yuzhnoy Sibiri i Djungarskoy
Stepi ج ١ — ١٠ ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٦٦ —
١٩٠٧ (٨) Statisticheskie Dannie : S.K.Patkhanov
Pokazivayuchiya Plemmenoy Sostav Naseleniya
Sibiri, Yaziki i Rodi Inorodtdsev فى Zap. Imp. Russ.
Geogr. Obshch. po Otdelu Statistiki ، سانت بطرسبرغ
سنة ١٩١٢ ، ج ١١/ ١ (٩) الكاتب نفسه : Spisok
Narodnostey Sibiri سانت بطرسبرغ سنة ١٩٢٣
(١٠) Zametki ob Etnicheskom : N.A. Aristov
Sostave Tyurkskikh Plemen i Narodnostei, Svedeniya
ob ikh Chislennosti فى Zhivaya Starina ، سانت
بطرسبرغ سنة ١٨٩٦ ، صورة طبق لأصل ، ٣-٤
(١١) Kainskaya Baraba : N. Kostrov ، تومسك ،
سنة ١٨٧٤ (١٢) Baraba : A. v. Middendorf
سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٧١ (١٣) S.P. Suslov :
Zapadnaya Sibir ، موسكو ، سنة ١٩٤٧

[بارتولد بننگسن Barthold-Bennigsen]

+ «بَرْبا»: اسم أطلقه المصريون على جميع المعابد والآثار القديمة؛ وهذا القول الذى قال به ابن جبير يؤيده ياقوت، إذ يقول «بربا كلمة قبطية، وهى اسم للبناء المحكم القديم الذى كان يقام فى الأيام الوثنية، وكان يستعمل موضعا للسحر، وكانت الأبنية التى من هذا القبيل عمائر عجيبة مليئة بالصور وأعمال النحت». وقد لاحظ عبد اللطيف بدوره براعة بناء هذه المعابد ودقة التناسب فى أشكالها، وضخامة حجم المواد المستخدمة فى تشييدها، وقد عجب لذلك الحشد الذى تحفل به من النقوش والصور والحفر الغائر والنحت البارز. ويرى بعض كتاب العرب أن هذه التشاخيص المختلفة قد قصد بها المنفعة إذ هى تعبر عن أصول الصنعة للحرف على اختلافها وما تستعمله من أدوات، ثم هى تحفظ للأجيال المقبلة بوصف للعلوم.

ويستعمل سفروس الأشمونينى — المؤرخ النصرانى لبطارقة الإسكندرية — كلمة بربا بمعنى محدد دقيق. التحديد هو المعبد الوثنى، تمييزاً له من العمائر المقامة للعبادة المسيحية. والحق إن الكلمة العربية «بربا» هى رواية فى رسم الكلمة القبطية «پربيه» أى المعبد، واستعمالها قد أكسبها الجمع الفصيح «برابى». والتعبير «بربا» أورده أيضا ليو الإفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى).

ويروى كثير من الكتاب قصصا مستحيلة عن هذه المعابد، إما بحديثهم عن الوسائل التى تحمى البلاد من الأعداء المغيرين باستخدام الطلسمات، وإما بقولهم إن هذه الطلسمات تساعد على اكتشاف الكنوز، ويسعد هؤلاء الكتاب جدا أن يفيضوا فى هذه القصص ويتوسعوا فيها.

والوصف الوحيد الرصين نسبياً من هذه الأوصاف قد خطه قلم ابن جبير فى حديثه عن معبد أخميم الذى اندثر .

المصادر :

(١) الفهرست ، جا ، ص ٣٥٣ ، جـ٢ ، ص ١٨٨ (٢) صاعد : طبقات الأمم ، ترجمة بلاشير ، ص ٨٥ (٣) ابن جبير ص ٦١ ، ترجمة Broadhurst ، ص٥٣ ومابعدها (٤) عبداللطيف ، ص ١٨٢ (٥) ياقوت ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، ٥٣١ (٦) ليو الإفريقى ، طبعة Epaulard ، جـ ٢ ، ص ٥٣٧ (٧) المقريزى ، طبعة *IFAO* ، جا ، ص ١٦٢ (٨) S. de Sacy: *Observations sur le nom des Pyramides* فى *Bibl. des arabisants français* جـ ١ ، ص ٢٤٣ — ٢٥٠ (٩) Quartemère: *Recherches sur la langue et la littérature de l'Egypte*، ص ٢٧٨ — ٢٨٠ (١٠) *L'Egypte de Murtadi* ، المقدمة بقلم ڤيت ، ص ٩٨ — ١١٤ .

[G. Wiet ڤيت] خورشيد

« بَرْبَر » : مدينة كانت تابعة للسودان الإنكليزى المصرى ، تقوم على النيل عند خط عرض ١٨° ١´ شمالا وخط طول ٣٣° ٥٩´ شرقى گرينوتش. وهذه المدينة تعتبر مفتاحاً للسودان ، ومنها تبتدئ الطرق الموصلة إلى أسوان وسواكن . وكانت حاضرة ملك من المكوك تابع لمملكة الفنج فى سنّار . وظلت كذلك إلى أن أخضعت لحكم مصر سنة ١٨٢١ م . وفى سنة ١٨٤٤ م سقطت بربر فى يد محمد بن أحمد المهدى ، وضيق الخناق على غوردون ثم جلا عنها أتباع المهدى فى سنة ١٨٩٧ م واحتلها كتشنر ، وأصبحت حاضرة المديرية التى تسمى باسمها ، حتى إذا كانت سنة ١٩٠٥ م ، انتقل مقر الحكم منها إلى الدامر ؛ ولما افتتح الطريق الحديدى الموصل من عطبرة إلى بورسودان وسواكن سنة ١٩٠٦ م ، أثر تأثيرا سيئا على تجارة القوافل فى بربر وقضى على أهمية المدينة .

المصادر :

(١) J. L. Burchkardt: *Travels in Nubia* ، ١٨٢٢ م ، ص ١٩٣ — ٢٢٨ (٢) E. A. W. Budge: *The Egyptian Sudan* جـ ٢ ، ص ٤٠١ (٣) Gleichen: *The Handbook of The Sudan* ، جـ١ ، ص٣٣٥ (٤) Baedeker: *Egypt* ، الطبعة الرابعة ، ص ٤٠٩ — ٤١٠

[R. Hartmann هارتمان]

+ بَرَبَر :

١ — إقليم قبلى ، وكان الاسم فى الأصل يدل على أرض « ميرقاب » (مَيْرَقاب) ، وهم قوم يتحدثون بالعربية يزعمون أنه تربطهم بالجَعَلْيين صلة قرابة . وكانت بربر تمتد على ضفتى النيل من الشلال الخامس (على خط عرض ١٨° ٢٣´ شمالا) حتى نهر عطبرة (عطبرا) ، وكان الميرفاب يشملون المزارعين النهريين وشبه البدو ، وكان المَكّ قبلا تابعاً لسلطان الفنج صاحب سنار ، وكان إذا توفى مك أقام السلطان خليفته من أسرة .

تمساح الحاكمة ، وكان يجبى ضريبة كل أربع سنوات أو خمس ، من الذهب والجياد والإبل ، وقد وصف بوركارت Burckhardt سنة ١٨١٤ الجزء الجنوبى الأقصى من الأرض المرافابية قائلا إنها مملكة صغيرة قائمة بنفسها يحكمها عضو من أسرة تمساح .

وكانت بربر مركزاً تجارياً له شأنه ، وكان طريق من مصر العليا يعبر صحراء النوبة يبلغ عندها نهر النيل ، وكانت تمر بها القوافل الذاهبة إلى مصر من سِنّار وشِنْدى ، وكانت تجارة دنقلة تجد منفذاً لها باختراقها بربر ، وما وافى مستهل القرن التاسع عشر حتى كان طريق دنقلة — بربر الذى يخترق صحراء البيوضة قد حف به الخطر وقل استعماله ، وكانت التجارة مع سواكن والتاكه (وهو الإقليم المحيط بكسلا الحديثة) تافهة بالنظر إلى ركون قبيلتى البجة والبشارين إلى السلب والنهب ، وكانت المكوس على التجارة العابرة التى تجبى من القوافل المصرية هى قوام موارد الملك ، وكان المرافاب لا يؤدون له أية ضرائب عن الأرض أو المحصول ، وإن كانوا يؤدون الجزية التى تجبيها سنار . وكانت القوافل القادمة من الجنوب (أى من أرض الفنج) لا تؤدى أية مكوس ، ولو أنها كانت تقدم الهدايا إلى الملك .
وقد أدت الصلات التجارية لبربر إلى استقرار الدناقلة والعبابدة وغيرهم من الغرباء . وكان العبابدة يُستأجَرون أدلاء وحماة للقوافل التى كانت تعبر صحراء النوبة ، ويذكر أن نصر الدين ، وهو آخر ملك ، قد التمس عون محمد على باشا لاستعادة عرشه ، ومن المؤكد أنه قد رحب بوصول الجيش التركى المصرى فى ٥ مارس سنة ١٨٢١ .

٢ — مديرية : كانت الأرض المرفابية أثناء العصر التركى المصرى جزءا من مديرية بربر التى كانت تمتد من حجر العَسَل (على خط عرض ١٦° ٢٤َ شمالا) إلى أبو حمد على الضفة اليمنى وإلى كورتى على الضفة اليسرى ، وتشمل الصحراوات المجاورة وبدوها . وكان بسط حكم محمد على على البجه — الذى أدى إلى افتتاح طريق تجارى دائم مع سواكن — قد زاد من رخاء هذه القصبة الإقليمية . وكان آخر وال خديوى هو حسين باشا خليفة الوجيه العبّادى الذى حاول أن يكبح جماح مجهودات المهدية حين وصل غوردون حاكما عاماً فى فبراير سنة ١٨٨٤ . وقد أدت المحاولات التى بذلها غوردون لإقامة صلات ودية بالمهدى وكشفه الطائش عما استقر عليه الرأى من الجلاء عن السودان ، إلى إضعاف المقاومة . ففى أبريل سنة ١٨٨٤ فوض المهدى محمد الخير عبد الله خوجلى فى أن يقود الجهاد فى بربر ، وفى مايو أخذت القصبة الإقليمية ، وترك غوردون معزولا فى الخرطوم .

وكان يحكم بربر فى عهد المهدية حاكم عسكرى له حامية إقليمية وبيت مال . وقد أزعج اضمحلال التجارة السكان ، ولكن ظلت تقوم تجارة مزعزعة مع مصر العليا وسواكن ، وكانت

المكوس المحصلة عنها مصدراً من مصادر الموارد الخاصة بهذا الإقليم . وكان آخر وال مهدى هو محمد الزاكى عثمان ، وقد التمس هذا الوالى العون حيال التقدم الإنكليزى المصرى فلم يظفر بطائل ، فأخلى قصبة الإقليم واحتلها القوات الإنكليزية المصرية فى سبتمبر سنة ١٨٩٧ . وبعد إعادة الغزو أعيد تنظيم بربر فى حدود أضيق مما كانت عليه المديرية قبل عهد المهدية ثم أدمجت هى ودنقلة وحلفا لتصبح المديرية الشمالية الحالية .

٣ — المدينة : كانت بربر من حيث هى اسم مدينة غير معروفة فيما يظهر قبل العصر التركى المصرى . ويتحدث بروس Bruce سنة ١٧٧٢ عن « گوز » (أى قوز الفنج) قائلا إنها حاضرة بربر . وكان هذا المكان قد اضمحل اضمحلالا كبيراً أيام زيارة بوركارت سنة ١٨١٤ ، حين كانت الحاضرة قرية أوغل من ذلك شمالا سماها « أنخيرة » ، وقد يكون ذلك خطأ منه فى الرسم كان المقصود به « المخَيْرِف » (المخَيَّر فى Cailliaud) وهو اسم استعمل للدلالة على حاضرة الإقليم فى العهد التركى المصرى . وقد هجرت المخيرف بعد الغزوة المهدية ، وتقوم المدينة الحديثة بربر أقصى من ذلك شمالا ، على موقع المعسكر المهدى . وقد اضمحل شأنها بعد إعادة الفتح . ونقل مقر الإقليم سنة ١٩٠٥ إلى الدامر ، وحلت محله من حيث هو مركز للمواصلات المدينة الحديثة عطبرة (عطبرا) الواقعة على الخط الحديدى .

المصادر :

(١) *Travels in Nubia* : J. L. Burckhardt لندن، سنة ١٨١٩، ص ٢٠٧—٢٥٨ (٢) شقير : تاريخ السودان ، القاهرة ، سنة ١٩٠٣ ، جـ ١ ، ص ٨٧—٩٠ (٣) *The Fung Kingdom of Sennar* : O.G.S. Crawford ، گلوستر سنة ١٩٥١، ص ٥٣—٩٦، ٢٦٧ — ٢٧٠ (وقد زود الكتاب باشارات إلى المصادر) (٤) وثمة تقرير قيم لم ينشر بقلم حسين باشا خليفة كتبه عن سقوط بربر ، وهو موجود فى المخطوطات السودانية بالخرطوم .

خورشيد [هولت P. M. Holt]

« البربر » :

تاريخهم : استقر البربر فى شمالى إفريقية منذ عهد سحيق ، وقد ذكرهم المؤرخون الجغرافيون الأقدمون بأسماء متعددة ، فقالوا إن النسامون Nasamons والپسيل Psylles يقطنون برقة Cyrénaïque وطرابلس Tripolitaine وإن الگرمانت Garamantes يعيشون عيشة بدوية فى الصحراء ؛ والماكيل Makyles والماكسى Maxyes على الساحل التونسى ، والمسولان Musulans والنوميديين Numides فى المغرب الشرقى ، والگتول Gétules على حدود الصحراء والهضاب المرتفعة ، ويعيش المور Maures فى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى .

وأنشأ الفينيقيون والقرطاجنيون واليونان

مستعمرات فى هذه البلاد ، إلا أن هـذا لم يؤثر إلا أثراً ضئيلا فى سكانها أجمعين ، اللهم إلا إذا استثنينا البقعة التى كانت تلاصق قرطاجنة . وقد أدى انقسام البربر قبائل متنافرة إلى عجزهم عن إنشاء دويلات قوية وطيدة الأركان ، ولو أنهم كانوا يتحدون إلى حين فى بعض الأوقات أمام عدو أجنبى . وشهد وسط المغرب وغربيه نشوء نظام سياسى بقيام ممالك المسيليين Massyliens والميسيسيليين Massésyliens وموريتانيا Maurétanie فى عهد الحروب البونية ؛ أما شرقيه فقد ظلت تسوده الفوضى . وتمكن الأمير ماسنيسا Massinissa بفضل مواهبه وبفضل معونة رومية من أن يوحد بلاد نوميديا تحت سلطانه وأن ينشئ فى بضع سنين ملكا يشمل جميع قبائل البربر من ملوية إلى خليجى سرت Syrtes ؛ ولكن هذه المملكة لم تعمر طويلا إذ اختفت عام ٤٦ ق . م . ، وأصبحت نوميديا الشرقية ولاية رومانية . وأعيد إنشاء هذه المملكة بعد ذلك بسنوات فى ظل حماية رومية ؛ وكانت مملكة موريتانيا — التى أنشأها أغسطس لـ « يوبا » الثانى عام ١٧ ق . م . — أقصر عمراً ، لأنها دخلت فى حوزة الرومان عام ٤٢ م .

وظل الرومان يسودون إفريقية حتى القرن الخامس لميلاد المسيح ، وامتزج البربر بغيرهم فى ولاية إفريقية وفى نوميديا خلال هذه القرون ، ولكن البربر الذين كانوا يعيشون فى الجبال الشاهقة والهضاب المرتفعة على حدود الصحراء وفى موريتانيا لم يتأثروا بغيرهم من الأجناس إلا قليلا . وقنع الرومان فى الغالب بفرض الجزية على البربر وتجنيدهم وتركوا حكم القبائل لشيوخها ، ومع ذلك فان نار الرغبة فى الاستقلال لم يخمد أوارها فى صدور البربر ، فبدت حيناً على هيئة فتن يقودها وطنيون تتفاوت درجة تأثرهم بالرومان مثل تاكفاريناس Tacfarinas (١٧ — ٢٩م) وحيناً آخر على هيئة غارات يقوم بها بدو الصحراء أو القبائل التى تعيش فى الداخل والتى لم تأخذ بأسباب الحضارة ، ومن ذلك الغارات التى قام بها النسامون والگرمانت فى عهدى أغسطس ودوميتيان والقلاقل التى أثارها المور فى عهود هدريان وأنطونينوس وكومّودوس ، ومن قبيل هذا أيضاً ما قام به الگتول إبان ثورة العسكر وفتنة العشائر الخمس ، وهى قبائل جرجرة (فى نهاية القرن الثالث الميلادى) . وأخذ سلطان الرومان يتقلص بالتدريج ، تشهد بذلك حركات البربر الناشطة التى كانت تزداد قوة على قوة . ووضحت شخصية البربر باعتناقهم المذاهب

المرطقية كالدوناتية (*) ولذلك فإن الخلافات الدينية التي مزقت أوصال إفريقية في القرن الرابع الميلادي كانت من وجوه كثيرة حرباً بين الأجناس المختلفة ، وكانت ثورة الكيركنسليون(*) نوعاً من الجموح البربري ، أما ثورتا فيرموس Firmus (٣٧٢ – ٣٧٥ م) وگيلدون Gildon (٣٩٨ م) فهما شاهدان على سرعة انفعال البربر ؛ ولكنهم ظلوا حتى ذلك الوقت – كما كانوا في العهد القديم – عاجزين عن الاتحاد أمام العدو الأجنبي وطرده من بلادهم .

وكان لعداوتهم للرومان أثر واحد هو أنها سهلت على الوندال غزوهم . ولم يجد هؤلاء الغزاة من الجرمان مناصاً من الركون إلى البربر كما فعل أسلافهم الرومان . ونجح گيسريخ Geiserich في كبح جماحهم بتجنيدهم في جيوشه غير أن خلفاءه اضطروا إلى أن يشنوا عليهم حرباً لا تنقطع . وحافظت موريتانيا وبلاد القبائل وأوراس وطرابلس على استقلالها ؛

ولم يكن البوزنطيون – الذين سيطروا على إفريقية قرناً من الزمان بعد غزوهم للوندال – أوفر حظاً من أسلافهم ، فقد قام زعماء البربر وهم أنتالاس Antalas في بيزاسين (أواسط المملكة التونسية) ويبداس Yabdas في أوراس ، وماسيناس Massinas في موريتانيا ، في وجه سليمان عامل يوستنيانوس ، ولم يستطع التغلب عليهم إلا بعد عناء كبير . وتحرج مركز البوزنطيين في إفريقية بعد قتل هذا العامل في الحملة التي أنفذت إلى لواتة طرابلس . ولم يستطع حنا تروگليتا Jean Troglita دفع غزوة لواتة إلا بمساعدة بربر أوراس ، بيد أن أهل المغرب جميعاً لم يعترفوا بسلطان بوزنطة ، ونستطيع أن نقول إن البربر كانوا مستقلين في كل مكان إذا استثنينا بيزاسين وولاية إفريقية القديمة (تونس) والجزء الشمالي مما يعرف الآن بولاية قسنطينة والبلدان التي على الشاطئ والمعاقل التي في الداخل ؛ وكان البربر في ذلك الوقت ينقسمون إلى ثلاث جماعات رئيسية :

١ – ففي الشرق تقيم لواتة وهي قبائل هوارة وأوريغة ونفزاوة وأوربة في طرابلس وبرقة والجريد وأوراس .

٢ – وفي الغرب تنتشر صنهاجة في المغربين الأوسط والأقصى ، فكتامة تقيم في بلاد القبائل الصغرى وزواوة في بلاد القبائل الكبرى ، وزناتة على شاطئ الجزائر بين بلاد القبائل وشلف وبنو يفرن (إفرن) من شلف إلى ملوية ، وغُمَارة في الريف وبَرْغُوَاطَة ومَصْمُودَة على الشاطئ الأطلسي لمراكش

(*) الدوناتية فرقة نصرانية قديمة نشأت بافريقية في القرن الرابع الميلادي معارضة لانتخاب كلكيانوس أسقفا لقرطاجنة ، وقد سميت بالدوناتية نسبة الى دوناتوس رأس هذه الفرقة التي ازعم اتباعها أنهم وحدهم المثلون للمذهب الصحيح.

(*) هم جماعة من الدوناتية .

اللجنة

وكَزَوُلة فى جبال الأطلس الكبرى ، ولمطة فى جنوبى مراكش : وتعيش صنهاجة — وتعرف باسم أهل اللثام — عيشة بدوية فى الصحراء الغربية .

٣ — وتعيش زناتة فى بقاع متوازية على حدود الهضبة من طرابلس إلى جبل عمور ، ثم ينتشرون تدريجاً ناحية المغربين الأوسط والأقصى .

ولم يؤثر مجىء العرب فى حالة البربر هذه إلا أثراً ضئيلا ، فقد كانت حملاتهم الأولى مجرد غارات انحصر أثرها فى أعمال التخريب التى قامت بها عصابات من المسلمين(١) : وأصبحت للعرب بانشاء القيروان عام ٦٧٠م قاعدة حربية دائمة ينقلون منها حملاتهم المستمرة ، غير أن غزوات عقبة كانت أقرب إلى الغارات منها إلى الفتوح الحقيقية ، لأنه لم يستطع الاستيلاء على البلدان التى كانت فى أيدى البوزنطيين كما عز عليه غزو البربر الذين يحتمون فى معاقلهم الجبلية . والحق إن هذه المعاقل كانت أبعد منالا من أن تخضع ، بل إن أحد شيوخها، وهو كُسَيْلَة، فاجأ عقبة وقتله عند تَهُوذَة وأجلى العرب عن إفريقية ، وأنشأ مملكة بربرية تشمل الأوراس والجزء الجنوبى من قُسَنْطِينة ، والجانب الأكبر من بلاد تونس (٦٨٧ — ٦٩٠ م) .

إلا أن كسيلة لم يستطع الثبات طويلا ، إذ انتصر المسلمون آخر الأمر فى نهاية القرن الأول للهجرة بالرغم من مقاومة بربر الأوراس التى يرمز إليها بشخصية الكاهنة الأسطورية . ولم يوفق عقبة كثيراً فى حمل البربر على الإسلام ، غير أن العرب عاودوا ذلك فى القرن الثانى ؛ والواقع أن المصلحة تغلبت فى إسلامهم على الإقناع ، لأن قواد العرب عمدوا إلى تجنيدهم فى جيوشهم فأسلموا طمعاً فى الغنائم ، وكانوا نواة الجيوش التى تمكنت — تحت إمرة قواد من العرب أو من البربر مثل طارق — من أن تكمل فتح المغرب فى بضع سنين والأندلس فى أقل من نصف قرن .

على أن هذه العلاقات الطيبة بين العرب والبربر لم تدم أمداً طويلا ، فقد شكا البربر من أنهم لم يكافأوا على حسن بلائهم المكافأة المجزية ، ومع أنهم دخلوا فى الإسلام إلا أنه لم يُسوَّ بينهم وبين العرب ، وترك البربر كذلك مذهب أهل السنة واعتنقوا مذاهب الخوارج كالإباضية(*) والصُفْرية لأنها تتفق ونزعاتهم الحرة ؛ ثم انتقض البربر على العرب ، وقد بدأت هذه الحركة فى الغرب عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) بزعامة مَيْسَرَة وهو سقاء طَنْجى ؛ وانتصر الأمير خالد على هؤلاء الثوار وقتل زعيمهم ، ولكنهم اكتسحوا المغرب كله بل عبروا إلى الأندلس ، ولقى العرب على أيديهم بعض الهزائم المنكرة كالهزيمة التى منى بها كلثوم عند بَقْدورة عام ١٢٣هـ (٧٤٢م) وطردوا من القيروان ، ونهبتها قبيلة ورفجومة ، وهم من الصفرية ، عام ١٣٩هـ (٧٥٦م) ثم انتصر الهوارة الإباضية بزعامة أبى الخطاب على

(*) الاباضية ليسوا من الخوارج ولا يرضون بهذه التسمية اذ لا علاقة لهم بالخوارج الا فى مسألة التحكيم .
ابو اسحاق اطفيش

قبيلة ورفجومة ، وبسطوا سلطانهم على بلاد تونس وطرابلس ، وبذلك تقلص نفوذ خليفة بنى العباس فى إفريقية فترة من الزمن .

على أن البربر الذين كانوا على الدوام منقسمين على أنفسهم لم يستطيعوا الاستفادة من نجاحهم هذا فقضى الجند القادمون من الشام على جيش أبى الخطاب، وعادت إفريقية إلى حوزة العرب عام ١٤٤هـ (٧٦١م) . ولم يستطع العرب أن يوطدوا سلطانهم فى شرقى بلاد المغرب إلا بعد أربعين سنة كاملة قضوها فى حروب دامية ومعارك عديدة ، بلغت فى رواية ابن خلدون ثلاثمائة وقعة ، وفقد العرب بقية بلاد المغرب ، وقامت فى بقاع مختلفة دول مستقلة تمام الاستقلال عن خليفة بنى العباس ؛ أمراؤها من أصل عربى وأهلها من البربر وهى : مملكة تاهرت (تقدمت) التى أنشأها الإمام ابن رستم من بقايا الإباضية الذين فروا من شرقى المغرب إلى وسطه ؛ وسجلماسة وأمراؤها من بنى مدرار ؛ وتلمسان التى أسسها أبو قرة زعيم بنى يفرن ، ونكور فى الريف ، وبرغواطة على شاطئ المحيط الأطلسى ؛ ثم دولة فاس التى أنشأها إدريس الثانى العلوى فى أوائل القرن التاسع الميلادى بمساعدة قبائل مكناسة وسدراتة وزواغة البربرية . ولم يعترف بسلطان بنى العباس إلا دولة الأغالبة (٨٢ — ٩٠٨م) شبه المستقلة، وهم الذين جندوا البربر لغزو صقلية ، وكان عليهم من جهة أخرى إخماد الفتن العديدة التى قام بها أهل طرابلس ، وجنوبى تونس ، والزاب وخضنة .

ولم تضعف مقاومة البربر للعرب عما كانت عليه ، بل إن هذه المقاومة كانت من القوة بحيث غلبت على بلاد المغرب مذاهب الشيعة التى كانت تخالف مخالفة جوهرية مذاهب الخوارج التى اعتنقها البربر قبل ذلك بقرن واحد . وأمدت قبيلة كتامة الداعى أبا عبد الله بالجند الذين حاربوا الأغالبة ووضعوا أسس الحكم الفاطمى الذى قام عليه عبيد الله المهدى . ولم يفلح الفاطميون قط فى إخضاع البربر جميعاً . فبالرغم من أنهم نجحوا فى الحد من نفوذ إمامة تاهرت فإنهم لم يستطيعوا زحزحة الأدارسة عن سلطانهم فى المغرب الأقصى ، كما أنهم لم يفلحوا فى أن يضموا إلى صفهم قبيلتى مغراوة وزناتة اللتين دانتا بالطاعة لبنى أمية فى الأندلس بداعى كراهيتهم للفاطميين . ثم اضطروا إلى إخماد فتنة الخوارج التى قام بها أبو يزيد صاحب الحمار (٩٤٢ — ٩٤٤م) وهى فتنة استهدفت لها نفوذهم ولم يتمكنوا من القضاء عليها إلا بمعاونة صنهاجة المغرب الأوسط ، وسرعان ما اتجه نظرهم ناحية المشرق ؛ وما إن توطدت أقدام الخليفة المعز فى مصر (٩٧٢م) حتى انصرف اهتمام الفاطميين عن المغرب . فتنازعت شمالى إفريقية من جديد مختلف قبائل البربر ، ولم تستطع إحداها الاستئثار بالنفوذ . أما فى الشرق فقد حلت صنهاجة محل كتامة واعترفت بسلطان بنى زيرى أمراء إفريقية وطرابلس ؛ ومنذ أن فقد الأدارسة سلطانهم فى المغرب انتقلت الزعامة إلى زناتة الذين كانوا أول الأمر عمالا فحسب من قبل بنى أمية فى الأندلس ثم أصبحوا أمراء مستقلين .

ودالت مملكة بنى زيرى فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى وظهرت دولة بنى حمّاد فى المغرب الأوسط ، واعترف أمراؤها بالطاعة لخليفة بغداد، وجعلوا « القلعة » عاصمتهم ثم نقلوها إلى بجاية بعد ذلك ، وزادت غزوة بنى هلال فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى من الفوضى التى كانت تسود البلاد من جراء تنازع البربر ، وكان من النتائج المباشرة لهذه الغزوة خراب إفريقية وجزء من بلاد المغرب، كما كان من نتائجها غير المباشرة تغيير جوهرى فى توزيع الأجناس فى شمالى إفريقية،

وما إن وصل الاضطراب إلى غايته حتى قامت دولتان بربريتان هما دولة المرابطين ودولة الموحّدين ، وكل منهما تدعو إلى مذهب دينى إصلاحى مخالف لما تدعو إليه الأخرى ، وقد نجحتا فى توطيد سلطانهما فى شمالى إفريقية مدة من الزمان ، وكان انتصار المرابطين انتصاراً لقبيلة لمتونة التى كانت إلى ما قبيل ذلك الوقت تعيش عيشة البدو فيما بين جنوبى مراكش وشواطئ السنغال والنيجر ، وظلت هذه القبيلة تدين بالإسلام بالاسم فقط مع أنها اعتنقته فى القرن الثالث للهجرة، ثم تعلمت أصول هذا الدين وشعائر أهل السنة على يد ابن ياسين المرابطى ، وعقدت العزم على القيام بالحق والدعاء إليه بين السوذان وأهل جنوبى مراكش اللذين لم تكن قد تيسرت لهم سبل الهداية ، وسرعان ما تجاوزت غزوات المرابطين تلك الحدود وأنشأ زعيمهم يوسف بن تاشفين مدينة مراكش عام ١٠٦٢م ، وأخضع مراكش كلها والمغرب الأوسط إلى حدود مملكة بنى حمّاد فى بضع سنين ، وَرد نصارى الأندلس بانتصاره فى الزلاّقة عام ١٠٨٦م ، وخلع أمراء الأندلس فأضحى سيد هذه البلاد غير مدافع ، وكما كان نهوض المرابطين سريعاً فكذلك كان اضمحلالهم،والحق إن تلك الانتصارات التى أحرزوها قد أنهكت واهم،كما فتّ فى عضدهم احتكاكهم بمدنية تفوق مدنيتهم، فاختفى هؤلاء البربر الذين نزحوا من الصحراء فى أمد وجيز ، واضطر الخلفاء إلى تجنيد مرتزقة النصارى وأصبحوا لا يحفلون باتباع السنة ، فجلبوا بسلوكهم العار على المسلمين المتشددين فى أمور دينهم ، وثار فى وجههم مصامدة درن الذين آمنوا بمذهب التوحيد تأثراً بدعوة ابن تومرت ، وهبوا بقيادة بربرى قادر من كومية يدعى عبد المؤمن ووضعوا حداً لحكم المرابطين دون أن يتكبدوا فى سبيل فى ذلك كبير مشقة .

وكان ملك الموحدين أكثر اتساعاً من ملك أسلافهم ، فبالرغم من أن عبد المؤمن لم يستطع غزو الأندلس كلها فانه نجح فى القضاء على مملكة بنى حمّاد فى بجاية ومملكة بنى زيرى فى إفريقية، وطرد النصارى من الثغور التى كانوا قد استولوا عليها ، وأصبح سيد البلاد التى بين سرت والمحيط الأطلسى ، وبهذا امتد ظل دولة بربرية عظيمة على إفريقية الشمالية كلها ، ولكن هذه الدولة كانت هى الأخرى سريعة الزوال : فلم يكن خلفاء المرابطين أكثر تمسكا بمذهب أهل السنة من المرابطين ، بل لقد ذهب واحد منهم هو المأمون إلى حد أن صب اللعنات

جهرة على ابن تومرت كما غضب على المؤمنين الصادقين .

وعجّل التنافس بين مختلف الأحزاب البربرية فى القضاء على دولة المأمون، وخضبت المنازعات التى قامت بين مصمودة وكومية بلاط مراكش بالدماء . وكانت القبائل البربرية تنتصر لجهود بنى غانية أو حاولت الاستقلال . وبعد وفاة عبد المؤمن بقرن انحدر آخر خلفائه أبو دبُّوس حتى أصبح زعيم عصابة من اللصوص عام ١٢٧٩م ، وكانت نهايته غامضة ، وعندئذ تنازعت المغرب عدة دول جديدة هى : بنو مرين فى فاس ، وبنو عبد الواد فى تلمسان ، وبنو حفص فى تونس . ولم تستطع دولة من هذه الدول أن تفرض سلطانها على الأخريات ولا أن تفوز بالاحترام بين رعاياها . وكانت قبائل الجهات الجبلية بمراكش فى انتقاض دائم على بنى مرين . أما فى المغرب الأوسط فقد أزاحت قبائل بنى وَمانُو فى وانشريش وزَوَاوَة فى جُرْجُرَة وقبائل ولاية قسنطينة وأهل الزاب وبلاد الجريد ، عن كاهلهم نير أمراء قسنطينة وبجاية وتونس ؛ وحدث مثل هذا فى واحات جبل نفوسة وجبال أوراس ، ومن ذلك يتضح أن البربر عجزوا مرة أخرى عن أن يتحدوا لتكوين دولة عظيمة . وليس فى مقدورنا أن نتتبع تاريخ البربر منذ ذلك العهد إلا إذا فصلنا الكلام عن تاريخ القبائل المختلفة ، ومما يزيد فى صعوبة هذا العمل التغيرات التى حدثت إثر غزوة بنى هلال ، فان البربر كانوا يختلطون بالعرب فى السهول والهضاب ، وكانوا قد هجروا تدريجاً لغتهم وعاداتهم وفقدوا أيضاً اسمهم القديم ، واستعاضوا عنه باسم شخص وصلوا به نسبهم . بل نستطيع أن نقول إنهم استعربوا . وخلص من هذا بعض أقوام لم يكن الوصول إلى مواطنهم سهلا ميسورا كقبائل الأوراس وقبائل الريف ، وانضم إلى هؤلاء اللاجئون من جميع الأجناس ، بل إن بعض هذه الأقوام نزحوا إلى الصحراء ، ولذلك يمكننا أن نقول إنه منذ القرن الرابع عشر الميلادى « اتصل بنيانهم على بلاد السودان إلى المشرق مناظرا لسلع العرب على بلاد المغربين وإفريقية » (ابن خلدون ، تاريخ البربر ، ترجمة ده سلان، جـ٢ ، ص١٠٤).

وصحب هذا الانحلال تأخر الحضارة الإسلامية بوجه عام . ولسنا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن جماعات كثيرة من البربر ارتدت إلى ما يشبه الهمجية ، ولم تحتفظ من الإسلام إلا ببعض مظاهره ، وكان ردهم إلى الإسلام الصحيح فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد أصحاب الرباطات الذين يزعمون أنهم جاءوا من جنوبى مراكش، من ساقية الحمراء التى يجعل منها القصص الخيالى الشائع المنشأ الدائم للمبعوثين والأولياء ، وكان نفوذ هؤلاء الأتقياء عظيما جداً حتى إن قبائل بأسرها فى الوقت الحاضر تربط نسبها بهم . غير أن قليلا من الجماعات البربرية لم تتأثر بهذا النفوذ ، وربما كان من هؤلاء الزكارة الذين تختلف عقائدهم وشعائرهم أشد الاختلاف عن عقائد مسلمى المغرب وشعائرهم مما أثار أعجب الفروض وأبعدها عن التمحيص .

توزيعهم الجغرافي : والبربر اليوم – كما كانوا في القرون الأولى للهجرة – ليسوا وحدة متجانسة ، ومازالت سلالتهم هي العنصر الغالب على سكان شمالي إفريقية ، ولكنهم تغيروا تغيراً عظيماً لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في كثير من الأحيان ، فهم لم يعودوا يذكرون شيئاً عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عاداتهم . وبقيت جماعات كبيرة منهم تعيش في الجبال وفي الصحراء لاتريم ، أو قل في المناطق التي لم يستطع العرب النفاذ إليها أو الاحتفاظ بها ، وهذه الجماعات ترتبط بجماعات أصغر منها آخذة في الانقراض السريع تتفاوت صلة بعضها ببعض قوة وضعفا . وبقاؤها الآن شاهد على كيفية توزيع السكان في الزمن القديم . ومن الصعب جداً أن نعطي بياناً دقيقاً بهذه القبائل ، ويلوح أن بقاء اللهجة البربرية هو أوثق المقاييس التي نستطيع أن نعول عليها في هذا الشأن ، وإن كانت بعض القبائل التي تزعم أنها من أصل بربري لم تعد تتكلم بلغة أجدادها .

ويمكننا أن نقول على وجه الإجمال إن كثافة الجماعات البربرية تزيد كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، فالبربر مفرقون في مساحة شاسعة من الأرض تحدها من الشرق واحة سيوة وصحراء ليبيا وجبال تبستي ، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الجنوب بلاد الهوسا Haussa والمجرى الأوسط لنهري السنغال والنيجر .

طرابلس وبرقة : تعيش بعض الجماعات البربرية في الجبال التي بأرض برقة وفي جبل غوريان وجبل يفرن ثم في جبل نفوسة ، وهو معقل الإباضية . ونجد هذه الجماعات أيضاً في واحات سيوة وأوجلة وسوكنة وتيمسا وفي فزان ، ونذكر كذلك مجبرة أوجلة وأورفلة التي تعيش في جوار طرابلس ، وهم من أصل بربري بالرغم من تكلمهم العربية .

تونس : ويتكلم الجيربي ، نسبة إلى جزيرة جربة ، لهجات بربرية ، وهم – مثل أهل نفوسة – على مذهب الإباضية . وكذلك سكان الكهوف من مطماطة وبعض سكان جبل سند . أما القبائل الأخرى التي تقطن بلاد تونس – مثل قبيلة خومير – فقد استعربت .

الجزائر : كانت بلاد القبائل في الشمال والأوراس في الجنوب الشرقي هما أكثر البلاد احتفاظاً بمشخصاتها ، ومع أن بلاد القبائل الصغرى كانت أقل تأثراً بالعرب من بلاد القبائل الكبرى فإن اللهجات البربرية مازالت مستعملة في جوار برج بوعريريج وبابورس Babors وعند التلاغمة وبني عبد النور وزواغة إقليم سطيف . وقد احتفظت زواوة من بين قبائل جرجرة بلهجة تعتبر أكثر لهجات الشمال نقاء ، وهي تتصل بقبائل وادي ساحل في الشرق وبني خلفون في الغرب . أما في جنوبي ولاية قسنطينة وشرقها فإن أولاد خيار في سوق أهراس والحراكتة بعين البيضا والنمامشة في تبسة Tebessa يتصلون بشاوية أوراس . وتعيش جماعات ضئيلة آخذة في الانقراض السريع بتل الجزائر ووهران في بقاع متوازية ممتدة من الشرق إلى

الغرب وهى الأوزرة Uzara وزعتيت وبنو بو يعقوب ومراشدة أطلس بليده Blida . ثم بنو مناصر بين مليانة Miliana وشرشال وتنس Tenes وهراوة ثنية الأحد (ثنية الحاد) وبنو بوختوس من وانشريش وأعشاشة ضهرة وبل حليمة من فرنده Bel Halima de Frenda وبنو سنوس وبنو بوسعيد الذين يعيشون على الحدود بين الجزائر ومراكش .

وكذلك البربر الذين يعيشون فى صحراء الجزائر وواحات وادى ريغ ووارجلا وواحات مزاب التى يسكنها البربر الإباضية وقصور مغر وقصور بوسمغون وعين سفيسفة وهى تحدد الطريق الموصل بين جنوبى قسنطينة وجنوبى شرق مراكش .

مراكش : هى الوحيدة بين أقطار شمالى إفريقية التى يكثر فيها العنصر البربرى ، فهو يسود الريف والسلاسل المختلفة لجبال أطلس والسوس ووادى نون ودراعة (درعة) والواحات . وبالرغم من ذلك فاننا لم نعرف كل القبائل البربرية بعد ، ويمكننا تمييز عدد معين من أهم الجماعات البربرية وهاك هى :

١ — سكان ملوية الأدنى ، وهم بنو بوزقو وبنو يزناسن ويعتبرون همزة الوصل بين بربر الجزائر ومراكش .

٢ — أهل الريف وهم قليعة وتمسمان (*) بطيوه وبنو أوريغن وبنو سعيد .

٣ — البرابر الذين يقطنون البلاد التى تحيط بمنابع ملوية وسبو ووادى دراعة (أو درعة) فى وسط مراكش ويتفرقون فى فاس ومكناسة شمالا وتافيلالت فى الجنوب الشرقى بما فى ذلك المحلات القليلة التى تمتد إلى قرابة الشاطىء الأطلسى عند الرباط وسلا . وينتسب إلى هؤلاء بنو زيان وبنو مير وبنو مقلد والأيت شرشن والأيت عطا والأيت يفلمن وهم حلف من البرابر .

٤ — الشلحة وتقطن الأراضى التى إلى جنوبى مغادور ومراكش ووديان سلسلة الأطلس العظمى والأطلس الخلفية وشاطىء المحيط الأطلسى ووديان السوس ووادى نون والمجرى الأعلى لوادى تنسفت ووادى درعة . وهناك قبائل أخرى تنتسب إلى هذه المجموعة ولكنها ليست معروفة تماماً ، وهى إهلن فى إقليم حاحة وكندفة وكزولة وكلوة أطلس العظمى والهوارة وأيت يحيى بالسوس والشروكة وأيت إكلف وأيت آزمور التى تقطن الساحل وغيرها .

٥ — سكان الواحات ، وهى تافيلالت وفجيج وتوات . ويعيش فى هذه الواحات إلى جانب السكان من البربر الخلص ناس سمر الوجوه هم الحراتين ، وفى أصلهم خلاف ، فبعض الكتاب يزعمون أنهم بربر سود ، ويقول آخرون إنهم بين البربر والسودان مثلهم فى ذلك مثل الملاتوكيتول عند القدماء ، ويرى فريق ثالث أنهم البقية الباقية من الجنس الأسود المعروف بالكرمانى .

٦ — بربر الصحراء : تغلب العرب على قبيلتى

(*) وردت « بنو تمسامان » فى البيان المغرب ، اللجنة

زناتة وصنهاجة القديمتين اللتين كانتا تسودان الصحراء الغربية فى القرون الأولى للهجرة ، وفرضوا عليهم الجزية ومن ثم أصبحت كلمة صنهاجة مرادفة تقريباً لكلمة عبد . وبالرغم من ذلك فان بعض القبائل احتفظت باستقلالها مثل أولاد دَليم وهم من سلالة المرابطين ، والدويش Douiash (إيدا وعيش) وَمشْدوف فى تقنت . ولا تزال بعض العشائر من قبيلة تَرارْزَة الكبيرة بشمالى السنغال وبخاصة أولاد دَيمان والتَنْدَغَة ، تتكلم البربرية . ويحتفظ الطوارق فى أواسط الصحراء بميزة من أهم ميزات الجنس البربرى ، فهم ينقسمون فيما بينهم إلى جماعتين كبيرتين : طوارق الشمال ، وهم أزجر تسيلى Tassili والهجّار الذين يقطنون الجبال المعروفة بنفس الاسم ؛ وطوارق الجنوب ، وهم الأوليمدن وكيل وى الأير ، وامتزج هؤلاء بعناصر من السودان .

عادات البربر : إن العادات واللغة هى الخصائص المميزة لقبائل البربر . ومع ندرة مالدينا من المعلومات عن بعض جماعاتهم التى لم تدرس بعد دراسة جيدة مثل بربر مراكش ، فإن هذه المعلومات على قلّتها فيها ما يكفى للدلالة على تميز عادات تلك الجماعات عن غيرها من الجماعات المعروفة جيدا مثل بربر بلاد القبائل والشاوية والأوراس والطوارق . وأهم الخصائص البارزة هو تأثير العادات فى التشريع ، والقرآن ليس هو المصدر التشريعى عند البربر كما هو عند العرب . ومع أنهم يعتنقون الإسلام إلا أن عقيدتهم بعيدة كل البعد عن شريعتهم : فكتاب الله هو المصدر الذى لا ينازَع فى كل ما يتصل بالإيمان وسلامة الدين ، ولكنه لا أثر له فى التشريع المدنى أو الجنائى إلا بمقدار عدم تعارضه مع قانون العادة . ويختلف مقدار امتزاج القرآن بالعادات باختلاف القبائل ومقدار تأثرها بالنفوذ العربى[٢] . هذا هو الذى قرره هانوتو بالنسبة لشريعة بلاد القبائل ، وهو صحيح أيضاً بالنسبة لغيرها من جماعات البربر . وقانون البربر قابل للتعديل والتحوير ، لأنه وضعى غير منزل من السماء ، أما الشريعة المحمدية فمأخوذة من القرآن ، وهو كتاب منزّل غير قابل للتعديل ، ولهذا أصبحت بالضرورة غير قابلة للتعديل أيضاً .

وعادات البربر تنقسم قسمين :

(١) العادة : وهى ما اصطلح الناس على فعله وتوارثوه بالنقل من جيل إلى آخر ، وتطلق فى بلاد القبائل على كل ما يتعلق بحقوق الفرد ونقل الملكية .

(٢) والعرف : وهو ما اصطلح عليه أهل ناحية ما .

وتعديل المبادئ التى تدخل فى حدود العادة يقتضى موافقة القبائل ، أما الأحكام التى أقرها العرف فلا يستلزم تعديلها إلا موافقة جماعة القرية

ولكل قبيلة أو جماعة محلية من جماعات البربر دستور خاص بها يسمونه « إزرف » تتفق أحكامه فى الغالب مع التقاليد القديمة ، وتنفذها جماعة الشيوخ فى القرية وتسمى «أنفالز» .

وقد أوجدت المخالفات للقانونين المدنى والجنائى نظاماً معينا لفرض الغرامات يسمونه «القانون»، وهو يختلف فى قرية عنه فى أخرى ، وهم يدونونه أحياناً، ولكن القاعدة العامة هى الاعتماد فى حفظه على ذاكرة الشيوخ ، وتوجد أحكام من هذا النوع عند بعض قبائل البربر فى مراكش مثل « أيت عطا » و « أيت بوزيد » ؛ وكثير من الأحكام التى تفرضها العادة يرجع تاريخها إلى عهد قديم جدا سابق على الإسلام نفسه ، نضرب لذلك مثلا بالعقوبة بالمثل فى القانون الجنائى ، والحق فى « الرَّقْبة » ، أو حق أسرة القتيل فى الثأر لنفسها من القاتل ؛ ونظام « العنَـايه » ، أو علامة الأمان التى تعطى للفرد أو لجماعة من الأغراب ، ونظام « الدَّهيبه » ، وهو نوع من الحصانة يعطى للفرد أو للجماعة ويكون وراثيا أحياناً .

وهناك جماعات من البربر تختلف شرائعها اختلافا بيّنا عما ذكرنا الآن ، وهى قبائل الإباضية فى مزاب فان شرائعها مأخوذة من الدين ، وتمتاز عن شريعة أهل السنة بشدتها المتناهية .

وحياة البربر الاجتماعية تختلف فى كثير من النواحى عن حياة العرب ، ومركز المرأة عندهم من أهم الخصائص المميزة ، فالمرأة البربرية لها من الاعتبار والنفوذ أكثر مما للمرأة العربية ، وهى لا تُكره على الحجاب ، والتزوج من امرأة واحدة هو القاعدة العامة التى تتبعها الأسر البربرية ، ونجد بين القبائل التى استمسكت بالأصل القديم أكثر من غيرها — كالطوارق — آثار تنظيم الأسرة على أساس سيادة الأم .

ويختلف نظام البربر السياسى باختلاف الأقاليم ، ولكننا نستطيع مع هذا أن نميز نوعين رئيسين :

الأول : النظام الأرستقراطى ، وهو نظام قائم على وجود طبقة من الأشراف محبة للحرب والنزال ، تخضع لها طبقة أخرى من الأتباع والرقيق ، وتتوسط الطبقتين أحيانا طبقة من المرابطة .

والثانى هو النظام الديمقراطى : وهو نظام يقوم على نوع من المجالس البلدية الجمهورية تسن شرائعها بنفسها وتحكم نفسها بنفسها ؛ نضرب لذلك مثلا بنظام القرى فى بلاد القبائل وأوراس وجبال الأطلس فى مراكش . والأعمال العامة فى قرى جبال الأطلس يباشرها قضاة تنتخبهم الجمعية العمومية لسكانها وتسمى « أنفالز » ، وشكل هذه الحكومة يبدو ديمقراطيا أكثر من حقيقته، وذلك لأن النفوذ فى الجمعية العمومية محصور فى أيدى الرجال الأقوياء وكبار السن منهم . أما فى (ميزاب) مزاب فالنفوذ فى يد أرستقراطية دينية تسمى « إعَزّابَن » [٣] . وكل جمهورية من هذه الجمهوريات الصغيرة منقسمة على نفسها بسبب منافسات صفوفها ، والصفوف عبارة عن أحزاب تلتف حول رجل ذى خطر ، وهى شديدة الغيرة على استقلالها .

وكانت الحرب فى الأزمان القديمة متصلة دائمة بين القرى والقبائل المختلفة فى بلاد القبائل ، ومازالت الحال فى مراكش على هذا المنوال . وتغلب النزعة الفردية بين البربر يقف الآن — كما وقف فى الزمن السالف — بينهم وبين إقامة جماعات سياسية ذات خطر ما ، ومع أنهم يستطيعون تكوين

جماعات متحدة موقوتة أو مستديمة فإنهم لم ينهضوا مطلقا إلى إدراك أى نظام من النظم الأكثر كمالا .

[ج . إيفر G. Yver]

الدين :

يظهر أن دين البربر كان يتألف فى العصور القديمة من عدد من العقائد المحلية يتوافق وانقسام البربر إلى قبائل .

والمعبودات التى كانوا يعبدونها — ومعلوماتنا عنها قليلة وناقصة — كانت من غير شك من الأشياء الطبيعية كالكهوف والصخور والينابيع والأنهار والجبال (كجبال الأطلس مثلا) ؛ وكانوا يعبدون أيضاً الأجرام السماوية كالشمس والقمر وبعض الكواكب الأخرى ؛ وتقديس البربر لهذه الأشياء لا نزال نلمس آثاره فى بعض خرافاتهم ؛ ومن الثابت أنهم منذ العصر البونى لم يقتصروا على الأخذ عن غيرهم عقائدهم فى الآلهة وإنما خلطوا بينها وبين الآلهة التى كانوا يعبدونها .

ودخل كثير من البربر فى دين اليهود . وإذا كانت اليهودية لم يكن لها الشأن الذى أراد البعض نسبته إليها ، فانه مما لاشك فيه أنها انتشرت فى شمالى إفريقية كله ؛ وإذا استثنينا نسل اليهود الذين أخرجوا من بلاد الأندلس فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فان معظم أتباع هذا الدين من أهل البلاد هم من نسل أولئك الذين تهوّدوا قبل دخول الإسلام فى بلادهم . ومهدت اليهودية السبيل للنصرانية التى سرعان ما افترقت عنها هنا كما حدث فى غير بلاد البربر ، وقوى شأنها وازدهرت بالرغم من الكفاح العنيف الذى كان لابد لها من أن تشنه على الوثنية ، وبالرغم من انقسام الرأى بين النصارى أنفسهم انقساما أدى إلى تمزق وحدتها . وليس هذا مقام الإفاضة فى ذكر تاريخ هذا الانقسام (انظر : Dom Leclercq : *L'Afrique Chrétienne* ، طبع فى باريس سنة ١٩٠٤ فى مجلدين ؛ Monceaux : *Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne* ، طبع فى باريس سنة ١٩٠١—١٩٠٩ فى ثلاثة مجلدات) ؛ وإنما يكفينا هنا أن نلاحظ أن المسيحية أتاحت للبربر فرصة الاتحاد ضد الحكم الرومانى ، وأنهم أقبلوا أيما إقبال على اعتناق الآراء الخارجة التى كانت تتعارض مع عقيدة الكنيسة فى رومة ، وقد حدث هذا الأمر نفسه بعد الفتح الإسلامى ، ولم يتغير فيه إلا أسماء الخصوم لاغير .

ولسنا نعلم علم اليقين التفصيلات الخاصة بدخول البربر فى الإسلام ، ولكنا نعلم فقط أنهم ارتدوا عن الإسلام اثنتى عشرة مرة[٤] ، ولو أنهم وجدوا لهم نصيرا أقوى من الإمبراطورية البوزنطية أو مملكة القوط الغربيين التى لم تدم طويلا ، لانتهت مقاومة البربر إلى نتائج مختلفة كل الاختلاف عما انتهوا إليه ؛ ولم يسد الإسلام نهائيا إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى . وكان فى ذلك القرن نفسه أن تلاشى آخر المسيحيين من أهل البلاد .

واتبع البربر فى بداية الفتح الإسلامى مذهب أهل السنة ، وكان هو المذهب الوحيد الذى عرفوه ،

ولكن نزعتهم الاستقلالية سرعان ما بدت فى أخذهم بآراء الخوارج التى كانت تؤكد فكرة المساواة العامة تأكيدا جازماً ؛ ولم يكن البربر يضمرون فى قلوبهم الاهتمام الحقيقى بعقائد الدين، يبدو هذا واضحا جليا من وقوف طائفة منهم إلى جانب الشيعة فانحازوا إلى صف الأدارسة فى فاس ، ووقفوا أيضاً إلى جانب أولئك الذين انغمسوا فى معتقدات الفرس وذهبوا إلى أن الإمام هو تجسد الإله على الأرض ؛ ويفسر لنا هذا أيضا لم كان الفاطميون والخوارج والصفرية والإباضية(*) وكتامة أهم أنصار عبيد الله المهدى ؛ ثم حدث رد فعل كتب النصر لعقائد أهل السنة على يد قبيلة لمتونة ، وهم مرابطة الصحراء الذين لم يدخلوا فى الإسلام إلا فى القرن العاشر الميلادى ، وكذلك على يد مصمودة فى جبال الأطلس وهم الذين أنشأوا دولة الموحدين وأجلوا عن بلادهم أولئك الذين كانوا يعتقدون غير معتقداتهم كالنصارى والشيعة ، ولم يبق إلا قليل من الخوارج الذين اعتصموا بالجبال أو احتموا بالبحر أو الصحراء (انظر مواد «الخوارج والصفرية والإباضية والنكارية ، ونفوسة ، وبنى رستم ») .

وإذا نظرنا إلى البربر من ناحية الدين دون تمييز بين الفرق فإنا نجد أنه لم يخرج منهم إلا متكلمون شغفوا بالجدل والمناظرة ، ولم ينبغ من بين البربر رجال مفكرون عظماء(*) سواء من فريق أهل السنة أم من الزنادقة ؛ والمذهب الذى انتشر بينهم من بين مذاهب المسلمين الأربعة كان أكثرها ضيقا وأقلها مرونة إذا استثنينا مذهب ابن حنبل ؛ ذلك هو مذهب مالك بن أنس الذى ما زال أكثر المذاهب انتشارا بين البربر حتى اليوم ؛ وعقيدة أهل السنة هى العقيدة السائدة فى الوقت الحاضر ، وإن كان يشوبها بعض الخرافات المحلية بنسب متفاوتة ؛ نذكر على وجه التخصيص عقيدة المرابطة الذين اتخذ الكثير منهم آلهة غامضة ، ولا ينطبق هذا القول على بعض طوائف الإباضية التى عاشت فى ميزاب وجربة وجبل نفوسة والذين يحتفظون بصلاتهم مع إخوانهم فى الدين فى بر الزنج (زنجبار) .

وينبغى أن نذكر أنه إلى جانب دين الإسلام الصحيح حصلت محاولتان لإقامة دين فى مراكش أريد أن تكون له بالإسلام نفس الصلة التى يقول الإسلام بوجودها بينه وبين المسيحية ، ذلك هو الدين الذى دعا إليه الخارجى صالح بن طريف بين قبيلة برغواطة (*) وبقى فيهم من القرن الثانى

(*) لم يكن الاباضية أنصارا لعبيد الله المهدى بل كانوا حربا عليه ولا سيما بعد انقراض مملكته تاهرت تلك المملكة المستقلة الاباضية الجامعة بين البربر والعرب والفرس تحت لواء واحد .

ابو اسحاق

(*) برغواطة أخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف بقرية « تامسنا » بالريف حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك وأصله يهودى من برباطة — حصن من عمل شذونة بالاندلس — مشعوذ يتعاطى السحر ، نزل بين أولئك البربر وقد ساد فيهم الجهل فأظهر الاسلام والزهد والصلاح فخدع أولئك الاوفاض حتى اعترفوا له بالولاية فقدموه على أنفسهم فشرع لهم ما هو شبيه بالمجوسية كنكاح بعض ذوات المحارم وغير العبادات الاسلامية وحرم عليهم أكل الرأس من الحيوان فيقال لمن اتبعه ودخل فى ديانته برباطى فعربته العرب فقالوا برغاطى وبرغواطة . ولم يبلغ الينا ظهور هذه النحلة الضالة فى الشاوية الحديثة كما زعم الكاتب .

ابو اسحاق

إلى القرن الخامس للهجرة ، فقد دعا إليه فى بلاد الريف حاميم المفترى (انظر هذه المادة) فى القرن الرابع الهجرى ، ودعت إليه الشاوية الحديثة فى تامستا (*) .

اللغة والأدب :

على الرغم من استحالة التدليل على وحدة الأصل بين قبائل البربر فإن وحدة اللغة قائمة بينهم . وإذا كنا لا نعرف إلا القليل عن لغة البربر القديمة فإن هذا القليل يمكننا من القول بأن اللهجات التى كانت مستعملة قديماً لا تختلف فيما بينها أكثر من اختلاف اللهجات المستعملة اليوم بين البربر .

والنقوش القديمة وحدها هى التى يمكن أن تمهد لنا السبيل إلى معرفة هذا الموضوع ، ولكن مما يؤسف له أن هذه النقوش لم تحل رموزها بعد ، وأن المحاولات التى بذلت لقراءتها لم تسفر عن نتائج مرضية . وقد جمع هذه النقوش فيدهيرب Faidherbe عام ١٨٧٠م بعنوان (*Collection Complète des Inscriptions numidiques* ، ليل سنة ١٨٧٠م ؛ انظر أيضاً J. Halévy : *Essai d'épigraphie Libyque* ، باريس سنة ١٨٧٩م) .

ومن ذلك الوقت لم تمر سنة دون أن تكتشف فيها نقوش أخرى (انظر المجموعات الموجودة فى *Recueil de la société archéologique de Constantine* وفى *Revue africaine* وفى *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions* وغيرها) .

والرأى الشائع حتى اليوم أن حروف الهجاء الليبية ترجع إلى أصل فينيقى (انظر Halévy : كتابه المذكور ، ص ١٣ — ١٦) ولم يلق قبولا الرأى الذى يذهب إلى أن هناك صلة بين الأبجدية الليبية وبين أبجدية إحدى اللغات السامية المستعملة فى الجنوب وبخاصة أبجدية أهل ثمود (انظر Littmann : *L'origine de l'alphabet libyque* فى المجلة الأسيوية ، المجموعة العاشرة ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ — ٤٤٠) . أما الرأى القائل بأن الأبجدية الليبية متصلة بأبجدية أهل بحر إيجة فإنه ما زال فى حاجة إلى الدرس والتمحيص (انظر Ch. Berger : *Histoire de l'écriture dans l'antiquité* ، باريس ، سنة ١٨٩١م ، ص ٣٢٤ — ٣٣٢) . وقد بطل استعمال الأبجدية الليبية فى الجهات الشمالية بعد الفتح العربى ، ولا أثر لها اليوم إلا فى الأبجدية التى يستعملها الطوارق . وليس لدينا من لغة البربر القديمة فيما عدا تلك الكتابات القديمة سوى بعض كلمات وردت فى مؤلفات الكتاب القدماء تناولها التحريف كثيراً أو قليلا ، وأهميتها تنحصر فى الوجهة اللغوية . وتنطبق هذه الملاحظة على الكلمات التى نقلها إلينا الكتاب العرب . والشىء الوحيد الذى نستطيع أن نؤكده هو أن غزوة بنى هلال الكبرى التى وطدت أقدام العرب فى الشمال الغربى من إفريقية فى القرن الحادى عشر الميلادى كان لها أثر عظيم فى اللغة البربرية ، إذ اختفت بعض اللهجات ودخل البعض الآخر كثير من الكلمات يمكن تمييزها بسهولة عن الكلمات الأخرى التى دخلت اللغة البربرية فى القرون السابقة (انظر R. Basset : *Les Mots arabes passés en berbère* فى *Oriental.*

(*) البحث عن هؤلاء مستوف فى كتاب ازهار البستان فى اخبار الزمان .

ابو اسحاق

Studien, Th. Noeldeke gewidmet ج ١ ، ص ٤٢٩–٤٤٣) . ولو كان قد قدر لنا أن نعرف لهجة الگوانش Guanche التي لم تتأثر بالفتح العربي لعوضت علينا هذه المعرفة إلى حد ما جهلنا باللغة البربرية القديمة ، ولكن مما يؤسف له أن ما نعلمه من هذه اللهجة التي كان يتحدث بها سكان جزائر الكنارى حتى القرن السابع عشر ينحصر فى الصيغ المحرفة التي وصلت إلينا على يد الكتاب الأسبان . وقد جمع برتلو S. Berthelot ما بقى من كلمات هذه اللهجة (انظر Parker Webb & Sabin Berthelot : *Histoire naturelle des Iles Canaries* المجلد الأول ، ج ١ ، پاريس سنة ١٨٣٢) .

واللغة البربرية — وهى فرع من اللغات الكوشية أو الحامية التي تمت بالصلة إلى اللغات السامية — لا يزال يتحدث بها إلى اليوم سكان المناطق التي بين واحة سيوة والمحيط الأطلسى ، ومن منبع نهر النيجر حتى البحر المتوسط . ولكنها ليست وحدها اللغة السائدة بين سكان تلك المنطقة الشاسعة ، ولم تصنف اللهجات البربرية حتى الآن إلا تصنيفا أوليا . وعندما تتم دراسة كل لهجة من هذه اللهجات دراسة تامة ، نستطيع وقتئذ أن نحدد الصلات التي تربط بينها ، وأن نربط هذه اللهجات بالكتابات الليبية وذلك عند ما ننتهى من حل رموزها .

وأهم اللهجات البربرية ، إذا أحصيناها مبتدئين من الشرق إلى الغرب ، هى : لهجة زناتة ويتحدثون بها فى شمال السنغال كما تتحدث بها قبائل الطوارق فى أولميدن Awelimmiden والهجار (تيْنِتْق) والأزكر ولهجة شلحة فى السوس ، وتمزيغت فى جبال الأطلس ، ولهجة الريف شمالى مراكش ، ولهجة البرابر فى الجنوب الشرقى ، وزناتة فى شرق مراكش وغرب الجزائر . أما لهجة قصور فيتحدثون بها فى واحات تدكلت وتوات وگورارا وزناتة فى وسط الجزائر ويتكلم بها الوانشريش وأعشاشة وهراوة . وهذه اللهجة قريبة الشبه إلى حد بعيد بلهجة بنى مناصر كما تختلط عن طريق جبال الأطلس بلهجة زواوة التي يتحدثون بها فى بلاد القبائل الكبرى وهى إحدى اللهجات التي بقيت على حالها وباللهجات التي يتحدثون بها فى بجاية ووادى ساحل .

وأما فى الجنوب فتوجد لهجات ميزاب وورارجلة ووادى ريغ وكذلك لهجة الشاوية التي يتحدث بها الأوراس ولهجات القبائل الموجودة ما بين سطيف وسوق أهراس . وأما فى تونس فقد بقيت اللغة البربرية فى جنوبها الأقصى إذ تتحدث بها قبائل مطماطة وسند وأهل جربة وكذلك فى الجهات التي تنتهى عند حدود طرابلس إذ تختلط هناك باللهجة التي يتحدثون بها فى جبل نفوسة . ولا نجد هذه اللغة فيما عدا ذلك إلا فى الواحات مثل غدامس وغات وأوجلة وسيوة . وقد شرع فى دراسة هذه اللهجات كلها ، ولكن التقدم فى هذه الدراسة لم يسر بدرجة واحدة فى جميعها .

ولابد أن تكون المؤلفات الدينية قد بلغت شأوا كبيرا عند البربر ، وخاصة بين الخوارج كما نلحظ ذلك فى الإشارات المتفرقة عند المؤرخين

وكتاب السير» وإذا كنا قد فقدنا القرآن الذي وضعه كل من حاميم وصالح - اللهم إلا بعض فقرات منه فانه قد بقي لنا من بين جميع المؤلفات الإباضية رسالة ابن غانم المسماة «المدونة»(*) (انظر De Motylinski : *Le Manuscrit arabo - berbère de Zouagha* في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذي عقد بالجزائر سنة ١٩٠٩م، جـ٢، ص ٦٤ — ٧٨)؛

أما فيما يختص بمؤلفات أهل السنة فقد فقدنا ترجمة القرآن والنص البربري للرسائل الثلاث التي كتبها بلهجة شلحة المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين في القرن الحادي عشر الميلادي، ومع هذا فقد وصل إلينا مصنفان يرجع تاريخهما إلى القرن الثامن عشر كتبهما بلهجة شلحة محمد ابن علي بن إبراهيم وهما : «الحوض» وهي رسالة في الفرائض الدينية استقاها من كتاب المختصر لسيدي خليل، وقد نشر هذه الرسالة وترجمها لوسياني M. Luciani (الجزائر ١٨٩٧م)؛ أما المصنف الثاني فهو كتاب «بحر الدموع» وهو تتمة للرسالة الأولى، وهما مخطوطان محفوظان في الجزائر وپاريس؛ وقد نشر ده سلان De Slane الفصلين الأولين من هذا الكتاب مع ترجمتهما الفرنسية (انظر *Appendice à l'Histoire des Berbères*، جـ٤، ص ٥٥٢ — ٥٦٢).

ويتصل بهذا النوع من المؤلفات بعض الأشعار الدينية وكلها منظومة بلهجة شلحة، مثل أشعار صبي وفيها يصف نزول شاب إلى الجحيم للبحث عن والديه (انظر R. Basset : *Le Poème de Cabi*، پاريس عام ١٨٧٩م) وأشعار سيدي حمّو (انظر Stumme : *Dichtkunst und Gedichte der Schluh*، ليپسك سنة ١٨٩٥م؛ Johnston : *Fadma Tagurramt* في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين جـ٢، ص ١٠٠ — ١٠١) وقصة المعراج وترجمة للبردة.

أما المؤلفات الأخرى غير الدينية فهي قليلة ولم يقم بنشرها سوى الأوروبيين مثل كتاب غرب إفريقية لسيدي إبراهيم، وقد كتبه بلهجة شلحة ونشره نيومان في المجلة الأسيوية (عام ١٨٤٨، ص ٢١٥ — ٢٦٠) وقام بترجمته باسيه R. Basset (پاريس، ١٨٨٢م) وكتاب وصف جبل نفوسة لإبراهيم بن سليمان الشماخي، وقد كتبه بلهجة نفوسة وقام

(*) رسالة ابن غانم يعني مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني، وهو من كتب الحديث المشهورة رواية عن شيوخه مثل الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري عن أبي الشعثاء جابر بن زيد الازدي فقيه البصرة التابعي، وهذه المدونة لم يذكر الكاتب اهي الصغرى أم الكبرى . قدم أبو غانم صاحب المدونة من البصرة الى تيهرت في عهد الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فمر على نفوسة فترك نسخة من مدونته عند العلامة عمروس بن فتح النفوسي فنسخها اثناء غيبة أبي غانم في تيهرت فأجازه فيها عند أوبته، والنسخة التي أخذها معه الى تيهرت رواها عنه الامام عبد الوهاب وابنه الامام افلح الا ان التي بين أيدينا اليوم هي النسخة النفوسية العمروسية . والمدونة عربية لا بربرية، أما المؤلفات البربرية فاشهرها مؤلفات أبي سهل ترجمان للامام عبد الوهاب، وعقيدة نفوسة قبلها ومقدمة التوحيد، وهذه ترجمها الى العربية العلامة أبو عمر بن جميع الجربي من علماء القرن السابع، وقد عني الاباضية بالتأليف بالبربرية منذ ظهروا بين البربر أوائل القرن الثاني للهجرة، وكانت هذه الوسيلة من أسباب تمكين للبربر في الاسلام . وكان ابن مطير النفوسي البربري أول من حفظ القرآن ونبغ في العلم أخذ عن أبي عبيدة التميمي بالبصرة ثم رجع الى نفوسة حيث ظهرت آثاره .

أبو اسحاق

بترجمته ونشره موتيلنسكى Motylinski (طبع النص بالجزائر عام ١٨٨٥ م) ، ونشرت الترجمة بباريس عام ١٨٩٨ م . وكذلك نذكر من بين تلك الكتب مجموعة من القصص عنوانها «كتاب الشلح» وهو مخطوط محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس . وهذا الكتاب مستق أكثره من كتاب «بختيار نامه» وكتاب «ألف ليلة» ، وقد قام كل من ده سلان de Slane وباسيه Basset وروشمونتيه Rochemonteix بنشر وترجمة بعض مختارات من هذا الكتاب .

أما المؤلفات الشعبية الأخرى مثل القصص والأشعار وكتب الأحاجى فهى أكثر أهمية من كل هذه النصوص التى اختلطت باللغة العربية اختلاطاً كبيراً . وهذه المؤلفات موجودة تقريباً فى جميع اللهجات التى ذكرناها ، والكلام مفصل عنها فى المواد الخاصة بها .

وقد نشر باسيه Basset ترجمة المجاميع العامة من هذه المؤلفات (*Contes berbères* ، باريس ١٨٩٧ م ؛ *Nouveaux contes berbères* ، باريس ١٨٩٧) . ونذكر من المجموعة المكتوبة بلهجات معينة ما يأتى :

(١) مصنفات كتبت بلهجة شلحة التى يتحدثون بها فى تزرولت :

Stumme : *Elf Stuecke im Shilha Dialekt* مأخوذة من *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesell.* ، سنة ١٨٩٤ م ؛ Stumme : *Maerchen der Schluh von Tazerwalt* ، ليبسك سنة ١٨٩٥ م (النص والترجمة) ؛ De. Rochemonteix : *Contes du Sous et des Oasis de la Tafilalt* بالمجلة الأسيوية ج ١١ ، عام ١٨٨٩ م ، ص ١٩٨ — ٢٢٥ .

(٢) مصنفات بلهجة قصور :

R. Basset : *Recueil de textes et de documents pour la philologie berbère* ، الجزائر سنة ١٨٨٧ م .

(٣) مصنفات بلهجة بنى مناصر :

R. Basset : *Textes berbères dans le dialecte des B. Menacer* ، رومة سنة ١٨٩٢ م .

(٤) مصنفات بلهجة زواوة :

Hanoteau : *Poésies populaires de la Kabylie du Jurjura* ، باريس سنة ١٨٦٧ م ؛ le P. Rivière : *Recueil de contes populaires de la Kablie du Zurjura* ، باريس سنة ١٨٨٢ م (الترجمة فقط) ؛ Ben Sedira : *Cours de langue Kabyle* ، الجزائر سنة ١٨٨٧ م (النص فقط) ؛ Mouliéras : *Légendes et contes merveilleux de la Grande Kabylie* ، باريس سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٧ م ، فى ثمانية أجزاء (النص فقط وهو ناقص) ؛ Le Blanc de Prébois : *Essai de contes Kabyles* فى جزئين ، بتنة عام ١٨٩٧ م (وهو ناقص) ؛ Luciani : *Chansons Kabyles de Smail Azikkiou* ، الجزائر سنة ١٨٩٩ م ؛ Boulifa : *Recueil de poésies Kabyles* ، الجزائر سنة ١٩٠٤ م .

(٥) مصنفات بلهجة وادى ساحل :

R. Basset : *L'insurrection algérienne de 1871 dans les chansons populaires Kabyles* ، لوفيان عام ١٨٩٢ م .

(٦) مصنفات بلهجة الشاوية :

Cinq textes berbères en dialecte : G. Mercier chawia . وهى مأخوذة من المجلة الأسيوية ، باريس سنة ١٩٠٠ م .

(٧) مصنفات بلهجة بلاد الجريد :

'Maerchen der Berbern von Tamazratt : Stumme ليبسك سنة ١٩٠٠ م .

(٨) مصنفات بلهجة تيتق :

Observations grammaticales et textes : Masqueray de la temahaq des Taitoq ، باريس سنة ١٨٩٧م .

ونذكر أيضاً من هذه المؤلفات « القوانين » وهى مجموعة من العادات التى لا زالت مرعية عند بعض القبائل البربرية ، وهذه القوانين محفوظة فى صدور القوم ، ولكن بعض القوانين الخاصة ببلاد القبائل الكبرى قد دونها ونشرها كل من Essai de grammaire Kabyle : Kanoteau (الجزائر ، ص ٣١٣ — ٣٢٤) ؛ La Kabylie et les coutumes Kabyles (باريس فى ثلاثة مجلدات عام ١٨٧٣م ، المجلد الثالث الملحق ، ص ٣٢٧—٤٤٣ ، الترجمة فقط) وقد أعاد نشر جزء منه Masqueray : Formations des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie ، باريس سنة ١٨٨٦م ص ٢٦٣—٣٢٤ (الترجمة فقط) ؛ Cours de langue Kabyle : Ben Sedira ص ٢٠٥ — ٣٥٥ (النص فقط) و Boulifa : فى Le Kanoun d'Adni فى Recueil de mémoires et de textes publiés en l'honneur du XIV Congrès des Orientalistes ؛ وقد نشر هذه القوانين كذلك أساتذة مدرسة الآداب العليا بالجزائر عام ١٩٠٥ م ، ص ١٥٢ — ١٧٨ .

وليس من الضرورى أن نحصى هنا الترجمات المختلفة للعهد القديم والعهد الجديد التى قامت بها الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية .

المصادر :

لقد جمع أهم المعلومات Fournel فى كتاب اسمه Les Berbères ، باريس سنة ١٨٧٧ م — ١٨٨١ م فى مجلدين ولكنه توقف عند رحيل المعز لدين الله إلى مصر ، ويمكن الرجوع فيما يختص بالمؤرخين العرب إلى الكتب الآتية :

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ، بولاق عام ١٢٨٤ هـ فى سبعة مجلدات ، وقد ترجم ده سلان De slane المجلدين السادس والسابع من هذا الكتاب باسم Histoire des Berbères ، الجزائر سنة ١٨٥٢ — ١٨٥٦ م فى أربعة مجلدات (٢) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، طبعة تورنبرغ ، أبسالا سنة ١٨٤٣ — ١٨٤٦ م ، فى مجلدين (٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، طبعة دوزى ، فى مجلدين ، ليدن سنة ١٨٤٨ — ١٨٥١ م (٤) المراكشى : تاريخ الموحدين ، طبعة دوزى ، ليدن سنة ١٨٤٧ م (٥) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة ده سلان ، الجزائر سنة ١٨٥٧م ، ترجمة ده سلان ، باريس سنة ١٨٥٩ م (٦) Descript. al-Maghribi : de Goeje ، ليدن

١٨٦٠ ، وهو مقتطف من كتاب اليعقوبى . (٧) Masqueray : Chronique d'Abou Zakaria ، الجزائر سنة ١٨٧٨ م (٨) البرادى : كتاب الجواهر ، قسنطينة سنة ١٣٠٢ هـ (*) (٩) R. Basset : Les Sanctuaires du Djebel Nefousa ، باريس عام ١٨٩٩م (١٠) Quedenfeldt : Eintheilung und Verbreitung der Berberbevoelkerung in Marokko ، بحث فى مجلة Zeitschr fur Ethnologie عامى ١٨٨٨ و ١٨٨٩ م (١١) Daumas : La Grande Kabylie ، باريس سنة ١٨٤٧ (١٢) Carette : Etudes sur la Kabylie proprement dite باريس ، سنة ١٨٤٨ ، فى مجلدين (١٣) Barth : Reisen und Entdeckungen in Nord-und Centralafrika ، گوتا سنة ١٨٥٨ ، فى خمسة مجلدات ، جـ ٥ ، ص ٥٧٣—٥٨١ (١٤) Duveyrier : Les Touaregs du Nord ، باريس ، سنة ١٨٦٤ (١٥) Bissuel : Les Touaregs de l'Ouest ، الجزائر ، سنة ١٨٨٨ (١٦) Jean : Les Touaregs du Sud-Est de l'Air ، باريس ، سنة ١٩٠٨ (١٧) Ben Hazera : Six mois chez les touaregs du Ahaggar ، الجزائر ، سنة ١٩٠٤ (١٨) Hanoteau et Letourneaux : La Kabylie et les coutumes Kabyles ، باريس فى ثلاثة مجلدات عام ١٨٧٢—١٨٧٣ (١٩) Renan : La Société berbère فى كتاب Mélanges d'histoire et de Voyages ، باريس سنة ١٨٧٨ ، ص ٣١٩—٣٥٣ . (٢٠) P. Dugas : La Kabylie et le peuple Kabyle ، ليون سنة ١٨٧٧ (٢١) Masqueray : Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie ، باريس سنة ١٨٨٦ (٢٢) Morand ؛ Les Kanouns du Mzab فى مجلة Etudes de droit musulman algérien ، الجزائر سنة ١٩١٠ ، ص ٤١٩ — ٤٥٧ (٢٣) R. Basset : Recherches sur la religion des Berbères ، باريس سنة ١٩١٠ (٢٤) de Slane : Appendice à l'histoire des Berbères جـ ٤ ، ص ٤٨٨—٥٨٤ (٢٥) R. Basset : Etudes sur les dialectes berbères ، باريس سنة ١٨٩٤ (٢٦) الكاتب نفسه : Loqmân berbère ، باريس سنة ١٨٩٠ ؛ وانظر كذلك التقارير المقدمة إلى مؤتمرات المستشرقين المختلفة فى لندن عام ١٨٩١ وفى باريس عام ١٨٩٧ وفى همبورغ عام ١٩٠٢ وفى كوبنهاغن عام ١٩٠٨ .

(*) كتاب الجواهر لأبى القاسم البرادى طبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ لا بقسنطينة وهو طبع حجرى لم يطبع سواه .
اطفيش

[باسيه René Basset]

تعليقات على مادة « البربر »

(١) هذه دعوى زائفة لا يسعنا السكوت عنها ؛ ولئن كانت نفس الكاتب تأبى عليه أن يقول الحق فإننا نتولى بيانه : فتح المسلمين العرب لشمالى إفريقية — كسائر فتوحاتهم — يحمل معه الهداية والعدل والبطولة ، ولم يحصل منهم تخريب ولا تعسف ولكنهم صالحوا الروم حيث طلبوا منهم الصلح على مليونين ونصف مليون من الدنانير عند احتلالهم لسبيطلة على أن يتركوا البلاد بيد الروم فوفوا بما عاهدوهم عليه ؛ فلما رجعوا نقض الروم العهد فكان جديرا بالمسلمين أن يعيدوا الكرّة عليهم ، فكان ذلك بإمرة ابن خديج فابن نافع الفهرى البطل الكامل الرجولة .

والقيادة والمهارة ، فتح البلاد الإفريقية إلى أواسطها فتحا رسخ معه قدم الإسلام ، لذلك اختط مدينة القيروان عاصمة البلاد فحصل الأثر الذى يريده من انضواء البربر تحت لوائه وإيوائهم إلى القيروان . فانقلاب البربر تحت إمرة كسيلة وهم حديثو العهد بالإسلام ليس دليلا على الضعف فى العرب بل هو دليل التسامح الإسلامى وعدم إدراك البربر الإسلام بعد إدراكا إذعانيا ، ولم يأت آخر القرن الأول إلا وقد أذعنوا للإسلام عن إيمان راسخ من وارف ظلاله على البربر إلى المحيط .

(٢) هنا يقدح زناد الاستعمار القح ويتوارى العقل والعلم : إن البربر لم يكن لهم على الإطلاق تشريع غير الشريعة الإسلامية منذ اقتنعوا بالإسلام وتلقوا القرآن مصدرا للشريعة ، فدعوى هانوتو معروفة وهى دعوى محاربة الإسلام فى بلاد البربر وهى غير خفية عن الناس ، فاذا كان الكاتب يحذو حذوهانوتو فهو من تلك الطينة ، وإنما البربر — حتى الذين ضربت الجهالة أطنابها بينهم — لا يعرفون غير القرآن والشريعة المحمدية ، وما يسعى إليه الاستعمار الفرانسوى من إحياء عادات جاهلية لإيجاد التباين بين العرب والبربر ما هو إلا إعلان للحرب ضد الإسلام ، والبربر لا يتأثرون بغير الإسلام بعد أن ساد فيهم ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا ، يزعم هذا الكاتب — كسائر رجال الاستعمار — أن للبربر قانونا هو « أزرف » — أو تازرفت » أى حكم العرف أو الجماعة وأنهم يصدرون عنه ، إن هذا إلا إفك وافتراء . فهل يا ترى هذا القانون فى الأحوال الشخصية أو فى الجنائية ؟ كل ذلك لا وجود له فيما مرجعه الأحكام الشرعية سواء فى البربر المالكية الذين يوجد قضاتهم بينهم يحكمون بالفقه المالكى ، أو البربر الإباضية الذين يحكم قضاتهم بينهم بالفقه الإباضى وكلاهما مصدره القرآن ، وإن كانت جهالة فى جهة متغلبة فلا يعدو الأمر أن يكون عملا بالجهالة فان استغلتها السياسة وهى عمياء فلا يجوز للعلم استغلالها ، والعرف محكم عند سائر المسلمين فيما يتعلق بالمصطلحات مالم يرد فيه الشرع .

(٣) « إعزّابن » بكسر ففتح فشد وفتح ففتح فسكون : جمع بربرى مفرد أعزاب وتعريبه العزابة جمع عزابى نسبة إلى العزوب عن الدنيا أى الإعراض عنها إلى الانقطاع إلى أمور الدين والآخرة على حد قول الشاعر : عزوب عن الدنيا وعن زهراتها ؛

وهؤلاء العزابة هم جماعة يتألف منهم المجلس الدينى الذى يتولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد لا باللسان فقط ، ويقيم الوظائف الدينية كالأذان والإمامة ، ويتولى بعض منهم شئون الأموات من غسل وتكفين وشئون الأوقاف الخيرية ومحاكمة مقترف الكبائر وإعلان البراءة منه حتى يتوب ويقلع عن إثمه ، ويتولى برئاسة شيخ الجامع — وهو من العلماء الأساطين فى علوم الشريعة وعلوم القرآن والسنة — تحديد المهور ومحاكمة الممتنع عن أداء الحقوق ، كما يتولى بعض منهم تحفيظ القرآن الكريم فى مدارس تؤسسها أوقاف المساجد ، وهؤلاء يعملون

حسبة انتغاء مرضاة الله، ويشترط أن يكونوا من أهل الورع والصلاح والتفقه فى الدين والأمانة والصدق حتى أنه لو ارتكب أحد منهم ما يخل بالكرامة والنزاهة فانه يعزل ولا يعود إلى المجلس ولو بعد التوبة . وتأليف هذه المجالس نشأ بعد انقراض الإمامة الرسمية من تيهرت، فكان كل من هذه بميزاب أشبه بجمهورية ، وتاريخ نشأتها يقرب من أوائل القرن الخامس ومؤسسها العلامة أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسى صاحب كتاب أصول الأرضين فى فقه عمارة الأرضين وتخطيط البلدان وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية، والغرض من تأليف هذه الجماعات العزابة حفظ الدين والهيئة الاجتماعية بالأوطان الإباضية بالمغرب: جبل نفوسة ، وجزيرة جربة ، ووادى أريغ ، ووارجلان ، ووادى مزاب، إلا أنه لم يبق لها أثر إلا فى ميزاب اليوم. ولعل الكاتب يرى شدة الأمر والنهى أرستقراطية ، مع أن هذه الجمهوريات متى كان رجالها ممن توفرت فيهم الشروط كانت هى الديموقراطية بعينها، ومن الغريب ماحكاه هذا الكاتب عن المنافسة والانقسام وليس لهما وجود يذكر .

(٤) لقد حصل امتزاج البربر بالعرب منذ أذعنوا للإسلام ووقفوا على كمالاته الخلقية والدينية والاجتماعية بما لم يقع منهم مع أمة من الأمم التى استولت على شمالى إفريقية وذلك لأمور : الأول أنهم من أصل واحد وهو السامية ، والثانى أنهم رأوا من جلال الهداية الإسلامية مالم يروه قبلها ، والثالث أن العرب اتخذوا بلاد البربر وطنا لهم فكانوا مع البربر جنبا إلى جنب عملا ومصاهرة واختلاطا بخلاف الروم والوندال والقرطاجنيين والرومان فانهم كانوا بمعزل عن أبناء البلاد . الرابع وجود التوافق فى كثير من الشيم والعوائد بين العرب والبربر كاكرام الضيف والغيرة على العرض والشمم والأنفة وحماية الذمار وبساطة المعيشة . انظر إلى ما يقول برونيت : عاش العرب والبربر جنبا إلى جنب قرونا عديدة واشتركوا بصفة عامة فى مدنية واحدة ، والمدنية التى ازدهرت بهذه البلاد كانت مدنية قوم شمالى إفريقية لا مدنية خاصة بأحد العنصرين . ومثل هذا قاله سيديو . وكان من البربر فحول من العلماء والشعراء والفلاسفة ألفوا فى العلوم العربية والشرعية كأنهم من أقحاح العرب .

(٥) يظهر أن الكاتب لم يبحث فى حياة رجال البربر الذين ساهموا بأوفر قسط فى العلم والتأليف ، ولذا لم ير أمامه إلا من شغفوا بالجدل والمناظرة ، ولقد ظهر فى البربر فحول المؤلفين الذين ضربوا بسهم من الإجادة فى التأليف . ففى جبل نفوسة تألف مجمع علمى أخرج للناس كتاب الديوان فى علوم الشريعة كلها وهو فى خمسة وعشرين جزءاً ويعرف بديوان الأشياخ ، ألفه عشرة من العلماء . ومن فحول العلماء البربر الشيخ عامر بن على الشماخى النفوسى صاحب كتاب الإيضاح فى الفقه ، وهو من مبتكرات التأليف حيث يقرن أمهات المسائل بالدليل الأصلى، وهو من علماء القرن الثامن ، وأبو

الكاتب من الإمام ابن يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانى السدراتى من رجال القرن السادس ، وقد ترجمت له مؤلفات إلى بعض اللغات الأوربية وأمثال هؤلاء كثيرون تكفلت بذكرهم كتب رجال الإباضية كالطبقات والسير ، وكذا نبغ من البربر المالكية من لا يحصون عدا .

أبو إسحاق إطفيش

« بَرْبَرَا » (بربرة) : قصبة الصومال الإنكليزى وفرضة على خط عرض ١٠° ٢٦َ شمالا وخط طول ٤٥° ٤َ شرقى گرينوتش . ويطلق كتاب الرحلة فى البحر الإريترى Periplus maris Erythraci وبطلميوس وكوزماس Cosmas الاسم بَرْبَريكى إيبروس أو بَرْبَرْيا على ساحل أرض اللبان ، والراجح أن تكون المدينة نفسها هى عين مَلاَوْ أمپوريوس .

ولا يعرف القدماء من جغرافيى العرب إلا بلاداً تعرف باسم بربرة ، وقد أطلق على خليج عدن اسم «بحر بربرا» أو الخليج البربرى نسبة إلى هذه البلاد . واسم هذه البلاد مأخوذ من اسم أهلها الذين يطلق عليهم اسم بربروى باليونانية أى بربرا أو برابر . ويظهر أن القوم الذين يقول عنهم ياقوت (جـ ٤ ، ص ٦٠٢) إن بلادهم بين بلاد الحبش والزنج هم أسلاف أهل الصومال الحاليين . ولسنا على ثقة من أن أهل بربرة قد اعتنقوا المسيحية يوماً ما ، وإن كان الأحباش النصارى قد بسطوا نفوذهم مدة من الزمن على جزء من ساحل بربرا . وكان الإسلام فى عهد ياقوت قد تغلغل بين هؤلاء القوم ، ولكن ياقوتا مع ذلك يصفهم بأنهم سودان جدا وأن لهم عادات بربرية كاستعمال السهام المسمومة وخصى الأسرى .

ويذكر ابن سعيد المتوفى عام ١٢٨٦ م أن معظم أهل بربرة اعتنق الإسلام ، ويقول ابن بطوطة إنهم من الشافعية وهم على هذا المذهب حتى اليوم .

ويظهر أن ابن سعيد هذا هو أول من ذكر مدينة بربرة ، ولا نعرف إلا القليل عن تاريخها ؛ وتذكر الروايات المحلية أنه جاء تلك البلاد كثير من البعوث الإسلامية . وينبغى أن نجعل صلة بين هذه الروايات وبين الانتشار الإسلامى العظيم الذى كان مستمراً منذ القرن الثالث عشر الميلادى وإلى نضال الولايات الحبشية التى فى الأطراف فى سبيل الاستقلال .

ولا بد أن بربرة كانت فى القرن الرابع عشر جزءاً من مملكة عَدَل زَيْلَع (انظر هذه المادة) ؛ وقد تحدث ڤارشيما Varchema الذى قام برحلة فى بداية القرن السادس عشر عن أمير مسلم كان يحكم فى جزيرة بربرة . ومن المحتمل أنه يشير بهذا القول إلى مملكة هرر تحت حكم أحمد گران الذى قاتل الحبش . وكان البرتغاليون يعاونون الأحباش فى قتالهم ، يساعدهم فى ذلك الترك الذين كانوا يحكمون

فى اليمن منذ عهد سليم الأول ، وقلما تجد لدعوى الترك بأنهم أصحاب السلطان فى بلاد العرب الجنوبية من أثر فى استقلال البلاد الواقعة على ساحل الصومال فى العهود المتأخرة . وقد دب الاضمحلال تدريجاً فى مدينة بربرة بسبب المنازعات الداخلية فيها ، كما اكتسبت تلك المدينة سمعة سيئة بسبب ذبح أهلها لبحارة السفينة مارى آن Mary Ann عام١٨٢٥م ومهاجمتهم الرحالة بيرتون Burton عام ١٨٥٥م .

واحتلها المصريون عام ١٨٥٥ م ولكنهم اضطروا إلى الانسحاب منها عام ١٨٨٤ م بسبب قيام المهدى بثورته ، ومن ثم احتل الإنكليز زيلع وبربرة . وقد أثار الملا المشاغب حديثاً ، وخاصة عام ١٩٠٢ ، القلاقل داخل بلاد بربرة .

ووصف الرحالة الذين زاروا بربرة فى أواسط القرن التاسع عشر بأنها محلة فقيرة جداً بها أكواخ حقيرة ، ويتضاعف عدد سكانها إبان إقامة الأسواق الكبيرة من نوفمبر إلى أبريل ، وتتجر السفن القادمة من السواحل العربية والخليج الفارسى والهند فى الرقيق والماشية ، وأنشأ المصريون فى عهد احتلالهم لبربرة مدينة جديدة على مقربة من المدينة الأصلية ، وقد أحرقت هذه المدينة الجديدة عام ١٨٨٨ م ثم أعاد الإنكليز بناءها على النمط الأوروبى ، وأخذت سوق المدينة تستعيد مكانتها بعد أن أضحت عديمة الأهمية ،

ويتراوح عدد سكان هذه المدينة بين ١٠ آلاف و ٢٥ ألف نسمة ، ويصل هذا العدد إلى ٣٠ ألف نسمة إبان انعقاد السوق . وتنقل السفن الإنكليزية فى الغالب التجارة الخارجية لهذه البلاد وأهم صادراتها الجلود ،

المصادر :

(١) المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس ، جـ ١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٣ (٢) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ١٠٠ ، جـ ٢ ، ص ٩٦٦ وما بعدها ، جـ ٤ ، ص ٦٠٢ (٣) أبو الفداء ، طبعة رينو ، ص ١٥٨ وما بعدها (٤) ابن بطوطة ، طبعة ديفريمرى Defrémery جـ ١٢، ص ١٨٠ (٥) R. Burton : *First Footsteps in East-Africa* ، لندن سنة ١٨٥٦ ، ص٤٠٧ — ٤٤٠ (٦) G. Ferrand : *Les Çomalis* ، باريس سنة ١٩٠٣ ، ص ١٠٩ — ١١٢ (٧) Earl of Cromer : *Modern Egypt* جـ ٢، ص ٤٩—٥١ .

[هارتمان R. Hartmann]

+ بربرا : هى الثغر والحاضرة السابقة لحمية الصومال الإنكليزية ، وتقع على خط عرض ١٠° ٢٦َ شمالا ، وخط طول ٤٥° ٢َ شرقاً .

وموقع بربرا الأصلى هو بندر عباس ، وهو الآن جبانة إلى الشرق من المدينة الحالية ، ومن بين قبورها قبور السادة الثلاثة الذين يقال إنهم عنوا بتأسيس بندر عباس كما أسس غيرهم

من العرب المهتدين إلى الإسلام زيلع ومَقَدِشو. وقد تواترت الأخبار بأن المدينة كانت معاصرة لـ «عَمود» و «أو بَرّه» القائمتين أقصى منها ناحية الغرب، وكانت جزءاً من دولة عَدَل الإسلامية (قامت فى بعض الأحيان على زيلع [انظر هذه المادة]) التى أسست فى القرن الرابع عشر الميلادى، وسرعان ما اضمحلت بعد الغزوة التى شنها أحمد بن إبراهيم الغازى (١٥٠٦ — ١٥٤٣ م) على الحبشة فى القرن السادس عشر. وبينما كانت الجيوش الحبشية تستفيق من خسائرها بمعونة البرتغاليين نهب «سالْدَنْها» بربرا سنة ١٥١٨. وأصبحت بربرا هى وزيلع فى القرن السابع عشر ولاية لأشراف مُخا، وقد أبرمت أول معاهدة بين البريطانيين والصوماليين سنة ١٨٢٧، بعد سنتين من نهب السفينة مارى آن تجاه بربرا. وعقدت إنكلترة مع شَرْمَرْكَه (هبر يونس الصومالى) حاكم زيلع معاهدة سنة ١٨٤٠ تخول لها حقوق إيواء سفن شركة الهند الشرقية، وكان هو وكيل البريطانيين فى بربرا عند ما هوجم بيرتون سنة ١٨٥٥. ويصف الرحالة فى القرن التاسع عشر بربرا فيقولون إنها مجموعة بائسة من الأكواخ يتضاعل عدد سكانها فى الأشهر الحارة إلى ثمانية آلاف نسمة، على أن الثغر يفتح ذراعيه من أكتوبر إلى مارس، أى أثناء الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، للسفن القادمة من جزيرة العرب والخليج العربى والهند، حاملة وارداتها من البلح والنسيج والأرز والمعادن وغيرها، وصادراتها من العبيد، والماشية الحية، والسمن، والجلود، ويرتفع عدد سكان المدينة فى بعض الأحيان حتى يبلغ أربعين ألف شخص.

وقد احتل المصريون بربرا سنة ١٨٧٥، ثم انسحبوا منها بعد تسع سنين أثناء فتنة المهدى فى السودان، وهنالك احتلت بريطانيا زيلع وبربرا، وعقدت معاهدات مع عشائر گَدَبورسى (سنة ١٨٨٤) وهبر أول (سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٦)، وفى سنة ١٩٠١ بدأ الشيخ محمد عبد الله حسان الملاّ المشاغب (انظر هذه المادة) الجهاد ضد الدول الاستعمارية. وتخلى عن حكم الداخل سنة ١٩٠٨، واستؤنف الحكم تدريجا حوالى سنة ١٩١٢.

وكان يسيطر على بربرا فى زمن بيرتون هبر أول عيّال أحمد الذين كانوا لا يزالون بعد فى سنة ١٩١٢ يتلقون إعانة سنوية قدرها عشرة آلاف روبية. ويندر أن يقل السكان اليوم عن ثلاثين ألف نسمة معظمهم من هبر أول عيسه موسه، والمدينة فى الوقت الحاضر مقر إقليم بربرا، وهى قاعدة محمية الطريقة القادرية وبها مقام السيد عبد القادر الجيلانى، كما أنها مقر حزب رابطة الشباب القومى الصومالى. وقد أنشئ مجلس حكومى محلى سنة ١٩٥٣، والثغر آخذ فى التطور.

المصادر :

علاوة على ما ذكر : (١) الدمشقى، طبعة مهرن، ص ١٦٢ (٢) شهاب الدين، فتوح

الحبشة ، طبعة وترجمة باسيه سنة ١٨٩٧ (٣) British Somaliland : R. E. Drake-Brockmann، لندن سنة ١٩١٢، ص٣١—٣٩ (٤) A.T. Curle: فى Antiquity ، سبتمبر سنة ١٩٣٧ ، ص ٣١٥—٣٢٧ (٥) J.S. Trimingham: Islam in Ethiopia، أكسفورد سنة ١٩٥٢ ، فى مواضع مختلفة.

خورشيد [لويس I. Lewis]

«بربروسيه» : (انظر مادة : «خير الدين»)

+ «بربرى» : اسم أطلق على الهزارة الشرقيين الذين يقطنون الإقليم الجبلى لأفغانستان الوسطى بين كابل وهراة ؛ ويطلق فى إيران على إقليم مشهد ، وبلوچستان (قرب كَوَطَّة) ، وفى جمهورية تركانستان السوفيتية الاشتراكية على واحة كوشكا فى إقليم ماكى (انظر مادة «هزاره») .

خورشيد [هيئة التحرير]

+ «بَرْبُشْتَر» : مدينة قديمة على نهر ڤيرو Vero وهو رافد من روافد نهر كينكة Cinca شمالى شرق سَرَقُسْطَة فى مشارف جبال البرانس الوسطى . وهى تقوم على مسيرة ٥٠ كيلو متراً شرق وَشْقَة مباشرة تقريباً . وقد ذكر بربشتر ابن حيّان فقال إنها دخلت فى حظيرة الإسلام أيام فتح الأندلس ؛ وظلت فى أيدى المسلمين بلا انقطاع مدة ٣٦٠ سنة بعد ذلك ؛ وقد غدت قاعدة فى حصون الثغر الأعلى وكانت فى تنظيم هذه الحصون رابطة بين سرقسطة ولاردة .

وفى خبر الحملة التى شنها عبد الملك المظفر سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٦ م) على بَنْبَلُونَة ، ذكرت بربشتر على اعتبار أنها آخر بلاد الإسلام (ابن عذارى ، جـ ٣ ، ص ١٢) ؛ وكانت بربشتر وقت الاستيلاء عليها سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤م ؛ انظر ما يلى) تابعة لبنى هود أصحاب سرقسطة ، ومن الواضح أنه كان بها عدد كبير من السكان ولديها ثروة عظيمة ، ولو أن الأرقام التى ذكرها المؤرخون العرب فى وصف هذا الحادث متبعين ابن حيّان فيها مبالغة فيما يبدو ؛ وفى صيف عام ١٠٦٤ ظهر أمامها جيش نصرانى قدر عدده بأربعين ألف مقاتل ، وكان بين هذا الجيش نورمان بقيادة روبرت كرسپين Robert Crespin (ذكر هذا الاسم مؤرخ إخبارى لاتينى) وغيرهم ، وانخرط هؤلاء فيما عرف بحرب صليبية قبل قيام الحروب الصليبية ؛ وضرب هذا الجيش الحصار حول بربشتر شهراً ونيفاً ثم نجح فى الاستيلاء عليها . صحيح أن الدور الذى لعبه نصارى الأندلس غامض وأن بربشتر قد استردت بعد عام ؛ إلا أن سقوطها كان إيذاناً بمرحلة فى إعادة غزو أسپانيا على يد النصارى .

وقد تحدث المعاصرون عن هذه الواقعة على اعتبار أنها حدث لا نظير له وأنها أكبر نكبة أصيب بها الأندلس الإسلامى على الإطلاق ، وزاد ما وقع فيها من تجاوزات ابن حيان على

حالة الأندلس (ابن حيان فيا رواه عنه ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥) .

والدليل على السمة المميزة للانشقاق الذى دب فى صفوف المسلمين فى الأندلس هو أن المعتضد بن عبّاد لم يمدّ المقتدر بن هود صاحب سرقسطة حليفه بالاسم إلا بخمسمائة فارس ، وكان المقتدر وقتذاك يعبئ جنوده ليكرّ على النصارى ، مع أن الهوزنى من أعيان إشبيلية قداستحثه إلى أن يشخص إليه بنفسه (ابن سعيد : المُغْرِب فى حلى المغرب ، طبعة شوقى ضيف ، ج ١ ، ص ٢٣٤) ؛ وتمكن المقتدر بن هود من استرداد المدينة بفضل كتيبة من رماة السهام ؛ على أن بربشتر لم يقدر لها أن تبقى بعد ذلك طويلا فى يد المسلمين ، فقد انتزعها للمسيحيين آخر الأمر بدرو صاحب أرغون سنة ١١٠١ ، وهذا حادث كان معروفاً فيا يظهر لياقوت (انظر معجم البلدان ، هذه المادة) .

المصادر :

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٨ ، ٢٥٣—٢٥٥(٢) المقّرى : نفح الطيب= *Analectes* ج٢ ، ص ٧٤٩وما بعدها (٣) R. Dozy : *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne* ، الطبعة الثالثة ، ج ٢، ص ٣٣٥ وما بعدها (٤) Menédez Pidal : *La Espana del Cid* ، مدريد سنة ١٩٢٩، ج ١ ، ص ١٦٣ وما بعدها .

خورشيد [دنلوب D.M. Dunlop]

+ « البَرْبَهارى » ، الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى : متكلم حنبلى مشهور ، توفى ببغداد فى سن عالية ؛ وكان البربهارى عالماً وفقيهاً ، وهو فوق هذا كله من أولئك الوعاظ المشاهير الذين كان لهم فى تاريخ الخلافة أيام القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) شأن هام فى النضال بين السنية ودعاة الشيعة ، والذين حاولوا بنجاح أن يقفوا فى سبيل تطور علم الكلام المتأثر بالمعتزلة وشبه المعتزلة دون أن يظهروا أقل ميل للتوفيق .

وقد درس البربهارى أصول مذهب ابن حنبل على أبى بكر المرْوَزى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨م؛ انظر هذه المادة ؛ وانظر تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ — ٤٢٥ ؛ وطبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ٥٦ — ٦٣ ؛ وكتاب الاختصار ، ص ٣٢ — ٣٤)؛ والمروزى هذا هو الذى قيل إنه كان من أحب تلاميذ ابن حنبل إليه ومن أكثر المجتهدين فى إذاعة مذهب هذا الفقيه العظيم فى الفقه خاصة وفى الأخلاق والآداب والعقائد بعامة. وكان الصوفى المشهور سهل التسترى المتوفى سنة ٢٨٣هـ (٨٩٦م) ورأس مذهب السالمية (انظر هذه المادة) والذى قدر له أن يؤثر فى عدة أشخاص آخرين من أكابر الحنابلة ، شيخا للبربهارى أيضاً .

والبربهارى هو صاحب « كتاب السنّة » الذى نقل معظم متنه إلينا القاضى أبو الحسين فى كتابه « الطبقات » (ج ٢ ، ص ١٨ — ٤٣) الذى يذكر لنا مما ألفه أحمد غلام خليل المتوفى سنة ٢٧٥هـ

(٨٨٨ م) معارضاً المغالاة فى الصوفية المأثورة عن أبى حمزة ، والثورى المتوفى سنة ٢٩٧ هـ (٩١٠ م) وهو نفسه كاتب له ميول حنبلية (انظر Massignon : L. *Textes inédits* ، ص ٢١٢ — ٢١٣) : ويقال إن أبا الحسن الأشعرى ألف كتابه « الإبانة » إثر مناقشة مع البربهارى ، وهو قول يتضح من الدراسة المقارنة بين مذهب الاثنين فى العقائد أنه ليس فيما يظهر بعيد الاحتمال .

وعقيدة البربهارى تقوم فى جوهرها على الجدل الذى ينكر إذاعة البدع المشتبهة ويلتزم فى غيرة العودة إلى تعاليم « الدين العتيق » كما فهم أيام الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين قبل الفتنة التى أعقبت مقتل عثمان بن عفان ومبايعة على بن أبى طالب بالخلافة . والمبدأ الذى تقوم عليه هذه العودة يستند إلى « تقليد » الرسول وأصحابه وتابعيهم الصالحين الذين يستشهد البربهارى بهم كثيراً ، وهم ، علاوة على ابن حنبل ومالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥ م) : عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ (٧٩٧ م) وفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) وبشر بن الحارث المتوفى سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) .

ولا ينكر البربهارى استخدام « العقل » ، بل هو على العكس يرى فيه فضلا أفاءه الله على مخلوقاته درجات ، وهو ضرورى لنجاة المخلوق آخر الأمر . وهو أيضاً لا ينكر إنكاراً باتاً « الباطن » الذى يقابل « الظاهر » ما دام هذا الباطن سنده القرآن والسنة . أما ما يلحه البربهارى فوق ذلك كله فهو الانحراف الشرير واستخدام « التأويل » و « الرأى » و « القياس » استخداماً تعسفياً فى مسائل العقائد . أما مذهبه فى صفات الله فهو يقتصر على محاولته ترديد ما ورد فى القرآن والسنة .

وأما فى السياسة فيتخذ البربهارى موقف المدافع الغيور عن حق قريش فى الخلافة ، وإن كان يذكّر المؤمنين فى غيرة لاتقل عن ذلك بالواجب المفروض عليهم من إطاعة أولى الأمر إلا إذا خرجوا عن طاعة الله . وهو شديد بخاصة فى ذم كل المحاولات التى ترى إلى الفتنة المسلحة (الخروج بالسيف) معتبراً فى الحق أن إعادة الشرع إلى نصابه يجب أن يكون بالالتجاء إلى الرأى العام والدعوة والأمر بالمعروف وبذل النصيحة : وإعادة الشرع إلى نصابه فى عالم انقسم فيه الإسلام شيعاً يقع الواجب فيه بخاصة على « أهل الحديث » و « أهل السنة والجماعة » الذين أكد الله تعالى فوزهم .

وقد كان البربهارى صادقاً مع مبادئه ، فحارب « البدعة » بشخصه حربا لاهوادة فيها ، كما حارب « الفرقة » وخاصة المعتزلة والشيعة حتى اتُّهم أحياناً بأن له أطماعاً سياسية .

والحق إن أثر البربهارى تتبينه فى المظاهرات الشعبية والانتفاضات التى نشبت فى بغداد بين سنتى ٣٠٩ و ٣٢٩ (٩٢١ — ٩٤٠ م) : وقد كان ذا صلة بالمعارضة التى لقيها الطبرى الذى دعاه الوزير على بن عيسى سنة ٣٠٩ هـ إلى الحضور لمناقشة خصومه الحنابلة فى مسألة العقائد التى تفرق

بينه وبينهم ، أجل الطبرى الذى اقتضى الأمر دفنه ليلا سنة ٣١٠ هـ فى داره لعداوة العامة له (انظر عن هذه الحوادث كتاب البداية ، جـ ٩ ، ص ١٣٢ و ١٤٥ — ١٤٦) .

ووقع سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) شغب سفك فيه الكثير من الدماء بين أتباع البربهارى وخصومهم ، وقد نشأ هذا الشغب حول تفسير الآية ٧٩ من سورة أسرى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ، وقد قال تلاميذ البربهارى فى تفسير هذه السورة أنها تدل على أن الله تعالى سوف يجلس النبى على عرشه يوم البعث ، بينما قال خصومهم الذين اتبعوا مذهب الطبرى وابن خُزَيْمَة : أن هذا المقام ليس إلا شفاعة النبى للمؤمنين الذين اقترفوا الكبائر يوم الحساب (انظر البداية ، جـ ١١ ، ص ١٦٢ — ١٦٣) .

وقد حدث سنة ٣٢١ هـ (٩٢٣ م) فى خلافة القاهر ، وحين أثيرت مسألة ذم معاوية على المنابر ، أن اتخذ إجراء موجه إلى المذهب الحنبلى مباشرة ، ذلك أن الحاجب على بن يلبق أمر بالبحث عن البربهارى فحاول أن يختفى ، ولو أن عدداً من تلاميذ هذا المتكلم الحنبلى قد اقصوا إلى البصرة (الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ ؛ البداية ، جـ ١١ ، ص ١٧٢) . أما الإجراءات التى اتخذها الخليفة القاهر لإعادة حسن السلوك إلى نصابه ، فقد قصد بها إلى حد ما تهدئة النقاد الحنابلة .

والظاهر أن أنصار البربهارى لم يكن لهم شأن مباشر سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) أيام محاكمات الشَلْمَغَانى وابن مقسم ، ومع ذلك فقد سيق القارئ ابن شَنَبُوذ إلى ساحة المحاكمة على يد الوزير ابن مقلة وحكم عليه ، لأنه اتهم هو أيضاً بالقول جهرة بقراءات مختلفة عن نسخة عثمان بن عفان من القرآن (الصولى ، ترجمة M. Canard ، جـ ١ ، ص ١٠٩ ، ١٤٥) ، والظاهر أن ذلك كان نتيجة لشغب قام به الحنابلة فى بغداد .

وقد بلغ قلق الخواطر الذى أثاره أنصار البربهارى منتهاه سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) فى بداية خلافة الراضى ، وخاصة أيام وزارة ابن مقلة عشية إقامة ابن رائق أميراً للأمراء . ويسجل المؤرخون المسلمون (الصولى ، جـ ١ ، ص ١١٤ ؛ الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩ — ٢٣١ ؛ البداية ، جـ ١١ ، ص ١٨١ — ١٨٢) أن الحنابلة نهبوا الحوانيت وتدخلوا فى المعاملات التجارية ليفرضوا ما قضى به الشرع ، وهاجموا الخمارين والجوارى المغنيات ، وحطموا الآلات الموسيقية ، واقتحموا المساكن الخاصة ، وفضحوا لصاحب الشرطة كل رجل وجدوه فى الطريق سائراً مع امرأة من غير محارمه (انظر مادة « الراضى ») . وهنالك حرمت سلطات الخلافة على أنصار البربهارى الاجتماع أو التدريس وحرمت على المسلمين الائتمام بإمام على المذهب الحنبلى . ولم ينقص شر أنصار البربهارى ؛ فأصدر الخليفة الراضى سنة ٣٢٣ مرسوماً (نصه فى الكامل لابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٣٠) ينكر

الحنابلة ويبرئ الجماعة الإسلامية منهم ويرميهم بالقول بالتشبيه وتحريم زيارة قبور كبار الأئمة ، وهذا الإنكار للحنابلة إنما منع مظاهراتهم إلى حين .

واستأنف أنصار البربهاري إثارتهم للخواطر فى عنف سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) أيام إمارة بجكم ، وضايقوا الناس الذين يؤمون عيد المحيا ، أى الشعائر التى كانت تقام فى بعض المساجد فى ليلة النصف من شعبان (الصولى ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥) ، فأصدر صاحب الشرطة أوامره بالتفتيش عن البربهارى ، ولكنه اختفى للمرة الثانية ، ولو أن واحداً من نوابه يدعى « دلاء » قتل .

وقلت فرص تجريد أنصار البربهارى من نزعاتهم العدوانية أيضاً بما قام به الأمير بجكم سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) من إعادة بناء مسجد « براثا » ، ذلك أن هذا المسجد كان قد هدم فى خلافة المقتدر فقد اعتبره أهل السنة وكرا للشيعة (انظر الصولى ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ، ٢٠٨) . فلما اغتيل الأمير بجكم سنة ٣٢٩ هـ على يد عصابة كردية من قطاع الطرق ، أظهر الحنابلة ابتهاجهم فى شغب ، وحاولوا أن يهدموا مسجد براثا وهاجموا أيضاً حى الصيارفة فى درب عون الذى كان فى قلب حى المال والتجارة فى قصبة الدولة بغداد (الصولى ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، ١٩) . واضطر الخليفة المتقى إلى اعتقال عدد من الحنابلة وأن يشدد الحراسة على المسجد الشيعى .

وتوفى البربهارى وهذه الأزمة فى عزها ، وكانت وفاته فى رجب سنة ٣٢٩ هـ (أبريل سنة ٩٤١) بدار أخت توزون حيث كان قد اختفى وهناك ثوى جثمانه (طبقات الحنابلة ، جـ ٢ ، ص ٤٢ — ٤٥ ؛ البداية ، جـ ١١ ، ص ٢٠١) .

وقد ظهر أثر البربهارى أيضاً فى عدد من الفقهاء الحنابلة المعاصرين مثل ابن بطّة العكبرى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) الذى لقيه فى بغداد فى عدة مناسبات واستوحاه فى تصنيف كتابيه « الإبانة » و « العقيدة » .

ونجد أثره واضحاً أيضاً عن طريق ابن بطة فى القاضى أبى يعلى الفرّاء المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) وفى عدد من تلاميذه ، وخاصة الشريف أبو جعفر الهاشمى المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) الذى أثار مظاهرات عديدة عنيفة قام بها العامة منكرين البدع .

المصادر :

(١) أبو الحسين بن الفرّاء : طبقات الحنابلة ، القاهرة سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ ، جـ ٢ ، ص ١٨ — ٤٥ . (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ . (٣) النابلسى : اختصار طبقات الحنابلة ، دمشق ، سنة ١٣٥٠ هـ ، ص ٢٩٩ — ٣٠٩ . (٤) ابن العماد : شذرات ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٣ . (٥) H. Laoust : *La Profession de foi d'Ibn Batta* فى *PIFD* سنة ١٩٥٨ ، ١٨ — ٤١ والفهرس .

خورشيد [لاوست H. Laoust]

+ « البُرْت » وجمعها « البُرْتات » : تعريب للكلمة الأسپانية مشتق من الكلمة اللاتينية پورتوس « portus » يفسر الكتّاب العرب معناها بأنه مرادف للكلمة العربية باب والجمع أبواب . والشكل المثلث الذى عرف به العرب شبه جزيرة إيبيريا معلوم مشهور ؛ فقد اتبعوا بطلميوس وحددوا أركان هذا المثلث بطريف فى الجنوب ، ورأس الطرف — أى فنستير — فى الغرب ، أما فى الشرق فيحدد فريق منهم هذا الركن بمنطقة أربونة ، أو بوادى لوبريغات Llobregat فى قول الفريق الثانى ، أو بهيكل الزهراء Port - Vendres فى قول الفريق الثالث . وقد نشأ اختلافهم فى تحديد الركن الثالث من سببين لم يلتفت إليهما أحد الالتفات الذى يستحقانه ، فنجد فى المقام الأول أن جغرافيي العرب فى القرون الوسطى لم يكن لديهم فكرة واضحة عن جبال البرانس كما أنهم لم يطلقوا عليها اسما محدداً ، ونجد فى المقام الثانى أنهم بينوا الحد الشمالى الشرقى بطرق تختلف اختلافاً مشهودا باختلاف الأفكار السائدة فى الأوقات التى عاشوا فيها والموقف السياسى للإقليم .

فالبعض ، وهو أقدمهم ، مثل الرازى وابن حيان واليسع ، اتبعوا رواية القوط الغربيين فجعلوا حدود شبه الجزيرة كما كانت فى عهد وَمْبَه Wamba أى فى منطقة أربونة . والبعض الآخر ، وهم متأخرون عن هؤلاء ، مثل البكرى ، قد عرفوا بغزو الفرنجة للتخوم الأسپانية وجابوا البلاد براً وبحراً ، فلما سمعوا أن القطلونيين ببرشلونة وأقاليم البرانس يسمون بالفرنجة ويعتزون كذلك ، جعلوا الحد الشمالى الشرقى على خط لوبريغات . وعلى هذا الحد ذكر البكرى البرت فى السلسلة القطالونية الجبلية الساحلية ، وأراد البكرى ألا يدع مجالا للشك فى أن الحد بين الأندلس والقارة (الأرض الكبيرة) يقوم على هذا النهر الذى كان يعرف اسمه اللاتينى (روبريقاتوس Rubricatus) ، فذكر أن « أبواب » جبل البرت تواجه جزيرتى ميورقة ومنورقة . وهذه الشهادة قد أيدها ابن سعيد وقبلها المقّرى على اعتبار أنها أدق الشهادات لأن كثيراً من الرحالة يؤيدونها . وقد ذكر ابن الأبّار أكثر من مرة المعركة الشهيرة التى لقى فيها الأمير المرابطى ابن عائشة مصرعه وسماها « واقعة البرت » (تشير إليها المصادر المسيحية باسم El Congost de Martorell) . ويذكر ابن خلدون البعثة التى أرسلها كونت برشلونة الفرنجى الذى كان يقيم على الجانب الآخر من البرت إلى عبد الرحمن الثالث .

أما الإدريسى الذى كان يكتب فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وشهد استقلال المملكة القطاونية الأرغونية ، فقد عنى بألا يسمى القطالونيين فرنجة ، ويجعل حد أسپانيا هيكل الزهراء ، وهو حين يعدد الأقاليم الستة والعشرين للأندلس يجعل طرطوشة وطركونة وبرشلونة فى إقليم البرتات إلى الجنوب من جبال البرانس ، ويبين فيما يظهر أن هذا الجبل المسمى البرت أو البرتات كان فى وسط الإقليم .

المصادر :

(١) الإدريسى ، المتن ، ص ١٧٦ ؛ الترجمة، ص ٢١١ (٢) المقرى : نفح الطيب= *Analectes* ، جـ ١ ، ص ٢٥٢—٢٥٣ (شواهد من الرازى والبكرى وابن سعيد ، جـ ١ ، ص ٨٢ — ٨٣) (٣) ابن الأبار : التكملة فى المكتبة الأندلسية ، جـ ٤ ، ص ٥٥ ، ٣٠٩ (٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٢ (٥) Chronicle of Ripoll and Chronicle of Tortosa in Villanueva : *Viaje litrario* ، جـ ٥، ص ٢٤٧ .

خورشيد [ميراندا A. Huici Miranda]

+ «بُرْتُقال»: الاسم الذى أطلقه العرب على مدينة قديمة (كاله Cale أو كالم Calem أو پورتوس كاله Portus Cale أو أوپرتو الحديثة Oporto) على مصب نهر دويره ثم أطلقوه من بعد على مملكة البرتغال . وقد كان تاريخ هذا الإقليم قبل قيام البرتغال الحديثة فى القرن الثانى عشر يدخل فى تاريخ الأندلس (انظر هذه المادة) ، ولا شك أن جميع أراضى البرتغال الحديثة قد وقعت فى أيدى المسلمين سريعا أيام الفتح العربى . ونحن لا نسمع بوجود مقاومة للفتح إلا فى الجنوب (انظر مادة «باجة») كما نسمع بفتح يابرة وشنترين وقلمرية على يد عبد العزيز بن موسى ابن نصير والى الأندلس من سنة ٩٥ إلى سنة ٩٧ هـ (٧١٤ — ٧١٦ م) ، وجاء فى ملحوظة لكاتب متأخر رواها بسند جيد هو محمد بن موسى الرازى من أعيان القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أن شنترين وقلمرية كانتا قد أخرجتا من قبل من التقسيم العام بين جند موسى بن نصير ، والظاهر أن ذلك قد تم بمعاهدة (انظر Lévi-Provençal : *Hist. Esp. Mus.* ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢، وانظر ما يلى) .

واضطراب الأحوال السياسية فى الأندلس ، وخاصة منذ عام ٧٥٠ تقريباً ، وانسحاب أعداد كبيرة من السكان الجدد إلى الشمال الغربى ، ومعظمهم من البربر ، قد هيأ الأسباب لبداية عودة المسيحيين إلى غزو الأندلس . فقد بسط ألفونسو الأول صاحب أشتوريش (٧٣٩ — ٧٥٧ م) أو ابنه فرويلا الأول Frucla (٧٥٧ — ٧٦٨ م) فى رواية ابن حيان (المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٣) سلطانه على شمالى البرتغال الحديثة بما فيها مدينتا أوپرتو وبراغا شمالى نهر دويره و نهر ڤيزيو جنوبى هذا النهر . وثمة ابن آخر لألفونسو هو أورليو Aurelio الذى حكم من سنة ٧٦٨ — ٧٧٤ م ، ذكره ابن الخطيب (أعمال الأعلام ، ص ٣٧٣) فقال إنه فاتح «أرض برتقال» . ويقال إن ألفونسو الثانى (٧٩١ — ٨٤٢ م) قد استولى على الأشبونة سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) وأنه بعث برسالة إلى إكس لاشاپل يزف فيها هذا النبأ إلى شارلمان . على أن مثل هذا الظفر ، إذا صح ، كان عابرا : وظلت الحال على ذلك حتى عهد ألفونسو الثالث فأصبح

خط نهر دويره تحت سيادة المسيحيين على تفاوت فى ذلك ، عقب الاستيلاء الحاسم على أوپرتو سنة ٨٦٨ م .

ووقعت قلمرية فى يد المسيحيين سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) على أنها استردت سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) على يد المنصور الذى كانت مسيرته العجيبة من قرطبة وشنت يعقوب (Santiago de Compostella) قد وجهت عن طريق قورية وڤيزو Viseau . ثم إن الأشبونة Lisbon التى كانت لا تزال تابعة للخلافة المحتضرة سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) فى عهد المهدى (الحميدى ، ص ١٨) قد أصبحت من بعد ، أيام ملوك الطوائف ، تابعة لبنى الأفطس أصحاب بطليوس الذين كانوا يتنازعون على سيادة غربى الأندلس مع بنى عباد أصحاب إشبيلية ، وقد ظلت الأشبونة بعد سقوط قلمرية النهائى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م ؛ انظر ابن عذارى ، جـ٣ ، ص ٢٣٩) هى وشنترين إمارة إسلامية محصورة شمالى نهر تاجه حتى استولى على الاثنتين ألفونسو هنريك أول ملوك البرتغال سنة ٥٤١ هـ (١١٤٧ م) . وقد جرى القول بأن ألفونسو هنريك قد اتخذ لقب الملك بعد انتصاره على المسلمين عند أوريق Ourique قرب باجة فى يولية سنة ١١٣٩م . وقبل وفاته سنة ١١٨٥ م كان البرتغاليون قد حازوا معظم الجنوب .

ويشهد بتقلب مصائر الحرب قبل ذلك حالة لاميغو Lamego جنوبى دويره التى استولى عليها ألفونسو الثالث فيما يظهر سنة ٩٠٤ ; وقد فقد المسيحيون هذه البلدة من بعد ولكن فرديناند الأول استردها سنة ١٠٣٨ ، حين سمح لملكها أو واليها بأن يظل تابعاً للملك المسيحى . وانتقلت فى وقت ما قبل عام ١١٠٢ إلى السيادة الإسلامية مرة أخرى ، ثم نزل عنها نهائيا لكوند دون هنريك فى هذا العام (F.Fernandez Gonzalez : *Mudejares de Castilla*، ص ٢٩) . ونستدل على تأصل العروبة فى هذا الإقليم إذا رجعنا إلى خبر ذكره الكاتب المواعينى (Pons Boigues : *Historiadores* رقم ١٨٩) من أعيان القرن الثانى عشر عن بعض النصارى المتحدثين باللغة العربية الذين صادفهم المعتضد صاحب إشبيلية فى حملته على البرتغال حوالى سنة ١٠٢٠ فى حصنى الإخوان التى تقوم مقامها اليوم الافوينس Alafoens أو ألافويس (< الايون Alajoen) شمال ڤيزيو ، وزعم هؤلاء النصارى أنهم ملكوا هذه الأرض بعهد من موسى بن نصير (انظر ما سبق) ومع كونهم من المستعربين بلا شك ، إلا أنهم ادعوا أن نسبهم يرتفع إلى جبلة بن الأيهم وهو عربى نصرانى من الشام كان معاصراً للنبى محمد (Fernandez y Gonzalez : كتابه المذكور ، انظر Dozy : *Loci de Abbadidis*، جـ٢ ، ص ٧) .

وفى عهد الخلافة كانت عدة كور (انظر مادة «الأندلس» ، قسم ٢ ، ٧) تتبع برمتها أو بجزء منها أرض البرتغال الحديثة : (١) فى أقصى الجنوب؛ فيما يعرف اليوم بمحافظة الغرب Algarve كانت تقوم كورة أشكونبة نسبة إلى المدينة القديمة التى كانت تحمل هذا الاسم فى الداخل من فارو ؛ واضمحل شأن المدينة بعد الفتح العربى وحلت محلها شِلْب قصبةً للكورة ، ولكنها ظلت قيد الوجود فى القرن الخامس الهجرى الموافق الحادى عشر الميلادى (ابن عذارى ، جـ ٣ ، ص ٢١٥) . وكانت شلب تقوم أقصى من ذلك غرباً بالقرب من دال نهرين ، وقد ذكرت أول ما ذكرت باعتبارها ثغرا وقت أن هبط بهذه الأرض أهل الشمال سنة ٢٢٩ هـ الموافقة سنة ٨٤٤ م (انظر مادة «البحر المحيط») وارتفع شأنها حتى غدت مدينة زاهرة ، وربما حدث ذلك بخاصة بعد سقوط الخلافة فى ظل بنى عبّاد أصحاب إشبيلية . والبلدان الأخرى أو القرى الكبيرة فى هذه الكورة كانت فى قول ابن سعيد (المُغرب فى حلى المَغرب ، ذخائر العرب ، جـ ١٠ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٥ ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ وما بعدها) : شَنَتَبُوس أو شَنَتَّرُوس (؟ — شَنَتَبْرُوس للدلالة على ساو براس Sao Bras) ، وَرمَادَة ، وشَنْتَمَرِيَّة (شنتمرية الغرب — Santa Maria de Algarve ، وهى الآن فارو) ، والعليا (Loulé) وقَسْطَلّة (Cacela) . ويذكر الإدريسى (حوالى سنة ١١٥٤ م) فى وصفه لشلب أن سكان قراها وسكان المدينة كانوا يتكلمون بالعربية الخالصة (٢) وإلى الشمال من أشكونبة مباشرة ، أى فيما يقابل بايكسو ألنتيخو Baixo Alentejo كانت تقوم كورة باجة ، وكانت هذه الكورة فى قول أبى سعيد تشمل مارْتُلَة التى يُلحقها ابن الخطيب (أعمال الأعلام ، ص ٢٨٧) فى كورة شَذُونَة (٣) وأقصى من ذلك شمالا كانت تقوم كورة الأشْبُونَة أو لشبونة (المقّرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٩٦) التى كانت تشمل شنترين ، وشَنْتَرَة ، وقبِنْذاق أو القَبِنْذاق (انظر القبذاق = Alcaudete) بين قرطبة وغرناطة . ولم تذكـــر كور أخـــرى فى البرتغال . وقد أدخل ابن سعيد يابُرَة فى مملكة بطليوس ، وربما كانت فى عهد الخلافة جزءاً من كورة مارِدَة (المقّرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٠٣) . وكانت قلمرية لا تزال تابعة للمسلمين سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) وكانت فيما يحتمل قاعدة كورة (انظر E. Lévi-Provençal : *Esp. Mus.* ، جـ ٣ ، ص ٥١) .

وكانت البرتغال الإسلامية — مثل سائر أطراف الأندلس — تمدنا بشواهد كثيرة على حالتها الخاصة فى مراحل تاريخها . وقد بذلت محاولات لتوكيد

استقلالا لم تصب من النجاح إلا بعضه ، وكان ذلك فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) على يد عبدالرحمن بن مروان الجِلّيقى ، وعلى يد بنى بكر فى شَنْتَمَرِيَّة الغرب فى هذا القرن نفسه ، وقد قامت بعد ذلك بكثير حركة دينية مجاهدة فى الغرب تزعمها ابن قَسِي الذى انتفض فى مارتلة سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) فأسهمت هذه الحركة فى سقوط المرابطين ، وأصبح ابن قسى سيداً لشلب ، وربما كان هو ومعاصره ابن وزير هما المسلمين الوحيدين اللذين ضربا سكة لهما على الأرض البرتغالية .

وقد اتسمت الفترة الأخيرة من النضال بين المسيحيين والمسلمين فى البرتغال بجهد كبير وإن كان لم يكتب له التوفيق ، وقد بذله أبو يعقوب يوسف الموحدى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ، إذ يظهر أن الأسطول الموحدى فشل أمام لشبونة واضطر الموحدون إلى التخلى عن الهجوم البرى الرئيسى على شنترين وأصيب أبو يعقوب بجرح فى هجمة شنها البرتغاليون على ساقة للموحدين فتوفى متأثراً به قرب يابرة فى ارتداده إلى إشبيلية .

وكانت هذه النكسة التى أصابت الموحدين على غير ما يتوقع عامة الناس فى البرتغال ، ذلك أن سلطان الموحدين وهيبتهم كانا عظيمين فى نظرهم .

وفى سنة ١١٨٩ م ، وهى السنة التى سقطت فيها شلب فى يد البرتغاليين ، وصف هذه المدينة صليبى مجهول (مجهول من توزين) بأنها أقوى بكثير من لشبونة النصرانية وأغنى منها عشرة أضعاف . ولما انتصر المسيحيون فى وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) التى أسهم فيها البرتغاليون بنصيب ، أصبحت خاتمة الصراع الطويل على مرأى البصر ، وقد سقطت شلب نهائيا سنة ١٢٤٩ م ، وفقد المسلمون الغرب ، وهى مقامهم الأخير فى أرض البرتغال الحديثة . وفى معركة قرب طريف على نهر سليط وقعت سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) ضم البرتغاليون بقيادة ملكهم ألفونسو الرابع صاحب البرتغال ، صفوفهم إلى القشتاليين للوقوف فى وجه الجنود الإفريقيين لأمير فاس المرينى أبى الحسن على وجنود يوسف الأول سلطان غرناطة . ويصف ابن الخطيب كيف أوشكوا أن حطموا صفوف البرتغاليين فى أول هجمة ، ولكن شجاعتهم لم تُجْدِهم وخسروا هذا اليوم (أعمال الأعلام ، ص ٣٨٩) ، ومن هنا لم يعد هناك أمل فى أن يستعيد المسلمون سلطانهم فى غربى الأندلس .

وقد أخرجت المدن الكبرى للبرتغال الإسلامية جملة صالحة من الكتّاب ذكرتهم كتب التراجم العربية ، من أشهرهم ابن بسّام ، وأبو الوليد الباجى (انظر مادة « الباجى ») ، وابن عمّار الشاعر

وصديق المعتمد بن عباد ، وابن قسى الذى ذكرناه من قبل ، وهو صاحب كتاب «خلع النعلين فى التصوف» وغيره من الكتب .

وثمة أوصاف بعض رحلات إلى البرتغال فى القرن العاشر الميلادى زودنا بها الإصطخرى (المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٤٦) وابن حوقل (طبعة كرامرز ، جـ ١ ، ص ١١٦—١١٧) ؛

المصادر :

(١) F. Codera: *Los Benimeruân en Mérida y Badajoz*= *Noticias que referentes Algarbe de Andalus en todo el siglo III de la hégira y principios del IV, o sea desde el 200 al 317 (815 a 929 de J.C.) encontramos en los autores arabes* فى *Estudios criticos de Historia arabe espanola, secunda serie* (*Colleccion de Estudios arabes*، جـ ٩، مدريد سنة ١٩١٧ ، ص ١ — ٧٤) (٢) الكاتب نفسه: *Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana* (*Colleccion de Estudios arabes* ، جـ ٣) سرقسطة سنة ١٨٩٩ ، ص ٢٩ — ٥٢ (٣) D. Lopes: *Os Arabes nas Obras de Alexandre Herculano, Notas marginaes de lingua e historia portuguesa* فى Boletim da Segunda Classe, Academia das Ciencias de Lisboa ، جـ ٣ — ٤ ، لشبونة سنة ١٩١٠ — ١٩١١ (٤) الكاتب نفسه: *A Batalha de Ourique e comentario leve a una polémica* فى *Biblos* ، ٣ ، رقم ١١—١٢ ، قلمرية سنة ١٩٢٧ (٥) José D. Garcia Domingues: *Historia Luso-Arabe, Episodios e figuras meridionais* ، لشبونة سنة ١٩٤٥ (٦) Ambrosio Huici: *Los Almohades en Portugal* فى *Annais da Academia Portuguesa da Historia* ، السلسلة ٢ ، جـ ٧ ، ص ١٩ وما بعدها (٧) R. Dozy: *L'Expedition du Calife almohade Abou-Yacoub contre le Portugal* فى *Recherches* ، الطبعة الثالثة ، جـ ٢ ص ٤٤٣—٤٨٠ (٨) E. Lévi-Provençal: *Hist. Esp. mus.* ، جـ ١ — ٣ ، الفهارس .

[D.M. Dunlop دنلوب] خورشيد

«بُرْتَنْــكْ» : (انظر مادة «بلخشان») .

«برتو پاشا» : اسم اثنين من رجال الدولة العثمانية :

١ — برتو محمد پاشا : أمير بحر ووزير فى دولة آل عثمان . بدأ حياته العملية موظفاً فى ديوان الحرم السلطانى ، وأصبح قپوجى باشى (انظر هذه المادة) فآغا للإنكشارية ، وفى عام ٩٦٢ هـ الموافق ١٥٥٥ م ارتقى منصب الوزارة ، وفى عام ٩٦٨ هـ الموافق عام ١٥٦١ م نصب وزيراً ثالثاً ، وفى عام ٩٨٢ هـ الموافق عام ١٥٧٤ م

أصبح وزيراً ثانياً فسرداراً للأسطول العثمانى تحت قيادة قپودان پاشا موٴذن زاده على ، وبعد ذلك غضب عليه وتوفى باستانبول ودفن فى « تربته » بقرافة أيوب .

المصادر :

(١) J. v. Hammer : *G.O.R.* جـ ٣ ، ص ٣٨٢ ، ٤٣٨ (٢) محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ ٢ ، ص ٣٧ وما بعدها .

٢ — پرتو محمد سعيد پاشا : شاعر وواحد من كبار الموظفين العثمانيين ، وهو من أصل تترى . ولد فى قرية « دراجه » بالقرب من أرمية « ورحل إلى إستانبول فى حداثته والتحق باحدى وظائف الحكومة . وفى المحرم من عام ١٢٤٠ هـ (سبتمبر ١٨٣٤ م) أصبح بكلكجى أفندى (كاتب الإنشاء) ؛ وفى شعبان عام ١٢٤٢ هـ (مارس ١٨٢٧ م) أصبح رئيساً للكتاب . وفقد هذا المنصب بعد ذلك بعامين وذهب إلى مصر فى مهمة خاصة ، وعند عودته أصبح مساعداً (كخيا) للصدر الأعظم عام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) . ونصب وزيراً للشئون المدنية (مُلكيه ناظرى) فى الثالث والعشرين من ذى القعدة عام ١٢٥١ هـ (١٢ من مارس عام ١٨٣٦م) ومنح لقب المشيرية . وفى ربيع عام ١٨٣٦ م منح لقب پاشا ، ولكنه صرف عن منصبه مع خريف العام نفسه . وفى بداية سبتمبر عام ١٨٣٦ م نفاه السلطان محمود الثانى إلى إشقودرة من أعمال ألبانيا . ورحل پرتو پاشا إلى منفاه بعد صدور الأمر بأسابيع قليلة ، ولكنه لم يصل إليه إذ توفى بأدرنة بعد ثلاث ساعات من المأدبة التى أقامها لتكريمه مصطفى پاشا حاكم هذه المدينة (ويذكر گب Gibb فى كتاب *History of Ottoman Poetry* ، جـ ٤ ، ص ٣٣٣ أن اسم هذا الحاكم كان أمين پاشا) وليس من شك فى أن هذه الوفاة الفجائية كانت نتيجة للسم ، وينسب الرأى العام الجريمة إلى السلطان محمود نفسه . ويمكن الرجوع فيما يتصل بأسرته إلى كتاب سجل عثمانى (جـ ٢ ، ص ٣٨) . وكان زوج ابنته وصّاف بك الذى شاركه آراءه كاتب سر السلطان محمود هذا على جانب كبير من العلم ولكنه كان ضعيف الخلق يقبل الرشوة ، وقد فقد منصبه فى الوقت الذى عزل فيه پرتو ونفى هو الآخر إلى توقاد من أعمال الأناضول (انظر G. Rosen : *Gesch. der Tuerkei* ، ليپسك عام ١٨٦٦ ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ وما بعدها) .

وخلف پرتو پاشا فى منصبه خصمه السياسى عاكف پاشا (انظر Babinger : *G. O. W.* ، ص ٣٥٧ وما بعدها) . وكان پرتو پاشا من

ناحيته السياسية مشهوراً بخصومته الصريحة للروسيا ، ولم تكن خصومته للمسيحيين بأقل من خصومته للروس ، فقد اضطهدهم بإحياء القوانين القديمة المهجورة منذ أمد طويل ، وكان عداؤه للمسيحيين يشتد كلما تقدمت به السن .

ولپرتو پاشا ديوان شعر يعتبر مثالا للفن الشعرى فى عهد السلطان محمود الثانى ، وطبع مرتين الأولى فى بولاق عام ١٢٥٣ هـ من القطع المتوسط فى وإحدى وتسعين صحيفة ، والثانية فى إستانبول عام ١٢٥٦ هـ من القطع المتوسط فى مائة وثلاثين صحيفة (وانظر فيما يختص بمصنفات پرتو پاشا الأخرى كتاب عثمانلى مؤلفلرى لمحمد طاهر البروسوى ، ص ١١٤ وما بعدها) . وتوجد الآن مكتبة پرتو پاشا القيمة الغنية بالمخطوطات فى الدار التى كانت معروفة بتكية السليمية فى إشقودرة .

المصادر :

(١) G. Rosen : *Geschichte der Türkei* ، ليبسك عام ١٨٦٦ م ، جـ ١ ، فى مواضع مختلفة ، وخاصة ص ٢٥٥ وما بعدها (٢) Gibb : *H.O.P.* ، جـ ٤ ، ص ٣٣٢ وما بعدها ، مع إشارات إلى كتاب *Turquie* تأليف Jouannin et J. van Gaver المطبوع فى پاريس عام ١٨٤٣ م فيما يختص بوفاة پرتو پاشا فى أدرنة (٣) محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ ٢ ، ص ٣٨ (٤) سامى فراشرى : قاموس الأعلام ، ص ١٤٩٤ وما بعدها (٥) محمد طاهر البروسوى : عثمانلى مؤلفلرى ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

ويجب ألا نخلط بين المترجم له والشاعر والسياسى پرتو أدهم پاشا المتوفى فى السابع من ذى القعدة عام ١٢٨٩ هـ (٦ يناير عام ١٨٧٣ م) الذى كان حاكما لقسطمونى (انظر هذه المادة) وقد نشرت مجموعة من شعره منها «شاهنامه» و«لاحقه» باستانبول فى تاريخ غير معروف ، «وإطلاق الأفكار فى عقد الأبكار» إستانبول عام ١٣٠٤ هـ . وانظر فيما يختص بسيرته كتاب محمد طاهر المذكور آنفاً (جـ ٢ ، ص ١١٤ وما بعدها) .

[بابنگر Franz. Babinger]

«بُرْج» : (انظر مادة «نجوم»)

+ «بُرْج» (والجمع بروج ، وأبراج ، وأبْرِجة) : هو البرج المربع أو المستدير سواء كان يكتنف سورا ، أو قائماً بذاته ويستخدم طابية أو حِصْنا .

معان خاصة : وكل صورة من صور البرج الاثنى عشرة تعد منزلا من منازل الشمس ؛ دار ويفية تتفاوت فى تحصينها وتقوم برأسها وسط الحدائق (شرق المغرب) ؛ برج يستخدم مناراً (برج المنار) ؛ برج يستخدم عشاً للحمام وخاصة الحمام الزاجل (انظر *La poste* : S. Sauvaget *aux chevaux dans l'empire des Mamlouks*، باريس سنة ١٩٤١، رقم ١٥٧) ؛ وفى العمارة : دعامة الجسر ؛ وفى الموشيقى : الجنس ؛ شريحة أو ربع من فواكه معينة مقسمة بالطبيعة أقساماً (كالبطيخ والبرتقال) ؛ صف من الحب فى سنبلة القمح .

وكان التصغير المؤنث « البُرَيْجَة » هو الاسم الذى أطلقه المراكشيون على حصن مازكان (انظر مادة « الجديدة ») أثناء احتلال البرتغاليين لها .

والظاهر أن الكلمة تتصل حقاً بالكلمة اليونانية « پورگوس » والكلمة اللاتينية بورگوس burgus (ومن ثم الكلمة الألمانية burg) ، وانتقلت أيضاً إلى العبرية والآرامية (انظر Fraenkel : *Aram. Fremdwoerter im Arab.*، ص ٢٣٥) ؛ على أن استعارة هذه الكلمة لا شك أنها قديمة جداً ، ذلك أننا نجدها بالفعل فى النقوش السبئية (انظر D. Landberg : *Glossaire Datinois*، جـ ١ ، ص ١٤٨) .

خورشيد [كولان G.S. Colin]

